

حرب التواطؤ الثلاثي

العدوان الصهيوني الأنجلوفرنسي
على مصر - خريف ١٩٥٦

ان حرب / حسن البدري
عقيد دكتور / فطين أحمد فريد

المكتبة الأكاديمية

حرب التواطؤ الثلاثي

العدوان الصهيوني الانجلو فرنسي على مصر

خريف ١٩٥٦

حرب التواطؤ الثلاثى

العدوان الصهيونى الأنجلوفرنسى على مصر
خريف ١٩٥٦

بقلم

اللواء أركان الحرب (م)
حسن أحمد البدرى

العقيد الدكتور
فطين أحمد فريـد



الناشر

المكتبة الأكاديمية

١٩٩٧

حقوق النشر

المكتبة الأكاديمية

١٢١ ش التحرير - الدقى - القاهرة

تليفون : ٣٤٨٥٢٨٢/ ٣٤٩١٨٩٠

فاكس : ٣٤٩١٨٩٠ - ٢٠٢

رقم الإيداع ٩٦/٩٩٨٢



رحيل الفارس

قبل أن تدور آلات الطباعة لتقدم للقارئ العربى هذا الكتاب ، رحل عن دنيانا أحد مؤلفيه ، وهو فارس الكلمة الشجاعة الصادقة اللواء أ.ح / حسن البدرى - شيخ المؤرخين العسكريين المصريين الذى نذر حياته للتأريخ للعسكرية المصرية - بعد عمر حافل بالعطاء تقلد فيه العديد من المناصب العسكرية الرفيعة ، كان آخرها عمله كمديراً لأكاديمية ناصر العسكرية العليا ، ورئيساً لهيئة البحوث العسكرية .

وكان تقريره الثمين وتحليله الموضوعى للأسباب العسكرية التى أدت إلى هزيمة يونيو ١٩٦٧ - والذى قدمه إلى الرئيس الراحل جمال عبد الناصر بصفته رئيساً للجنة تقصى الحقائق العسكرية فى تلك الحرب - وراء تعيينه مستشاراً عسكرياً للرئيس جمال عبد الناصر فى ذلك الوقت ، وترشيحه لتأسيس الوحدة العسكرية بمركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بمؤسسة الأهرام .

وخلال رحلة حياته الحافلة بالعطاء حتى الساعات الأخيرة من العمر ، قدم الفقيد للمكتبة العربية والأجنبية العشرات من الدراسات والأبحاث العسكرية والتاريخية ، التى كان من أبرزها المراجع العسكرية المصرية الرسمية لجولات الصراع العربى الإسرائيلى ، والموسوعة العسكرية الدولية - التى شارك فى إعدادها مع العديد من كبار الضباط المصريين والأجانب ، وقامت بإصدارها باللغة الإنجليزية مؤسسة ماكميلان عام ١٩٩٣ .

وبالإضافة إلى المؤلفات العديدة التى كتبها الفقيد للعسكريين المتخصصين ، فإنه كان حريصاً على أن يقدم للقارئ العربى تاريخه العسكرى بأمانة وعمق ، بأسلوب سهل ممتع ، بعيداً عن المصطلحات العسكرية المعقدة . فأثرى المكتبة العربية بمؤلفاته عن التعاون العسكرى العربى وجولتى الصراع العربى الإسرائيلى فى عامى ١٩٤٨ ، ١٩٧٣ .

وكان آخر مؤلفاته فى هذا الشأن هو هذا الكتـاب القيم ، الذى تصدره المكتبة الأكاديمية بمـناسبة مرور أربـعين عاماً علـى حرب العدوان الـثلاثى على مـصر عام ١٩٥٦ ، بعد أن تكشفت حقائق كـثيرة من خبايا ذلك العدوان . فجاء الكتاب عرضـاً أميناً وموثقاً لأحداث تلك الحرب وملابساتها ، والتى أنهت إلى غير رجعة عصر الوجود العسكرى البريطانى فى مصر .

لواء طيار د. / جبر على جبر

بسم الله الرحمن الرحيم

وداعاً صاحبى فى طريق الخير والنور

وداعاً أخى فى الفضل والوفاء

وداعاً صديقى فى الشدة والرخاء

وداعاً زميلى فى الحب والحرب لمصر دائماً

أمسكت قلمى لأكتب الوداع وفى قلبى رنين الفضل يذكرنى بقوله تعالى : ﴿ ولا تنسوا الفضل بينكم ﴾ صدق الله العظيم الذى يذكرنا دائماً حتى لا ننسى فضل ذوى الفضل علينا

وكنت ياحسن : حسن الخلق

حسن الطبع

حسن المظهر

حسن المخبر

حسن الكلمة

حسن القول

حسن الفعل

حسن النقد

فقد وافقت على أن أتشرف بوضع اسمى بجوار اسمك على غلاف كتابنا «فى قلب المعركة» الذى يحمل مشوار حياتنا العسكرية وما وقر فى وجداننا من انطباعات الطهارة والرحمة واليقين والقرب من الله سبحانه وتعالى ولكنك يا حسن الفضل تركت عقلك يتغلب على قلبك وصدر الكتاب دون أن تكتب اسمك على الغلاف وأنكرت ذاتك التى شاركتنى فى كل خطوات الكتاب .

الذى كتبناه معاً بصدق

وأخرجناه معاً بسخاء

وانتظرناه معاً بلهــفة

فإلى روحك الطاهرة ونفسك المطمئنة التى رجـعت إلى ربها راضية مرضية نسأله تعالى أن يدخلهـا فى زمرة عباده الصالحـين فى جنة الخلد مع الـشهداء والصديقيـين إنه ولى ذلك ومولاه اهدى كتـابنا فى **قلب المعركة** وستخصص كـل حصيلة تسويقه صدقـة جارية على روحك الطاهرة ونفسك المطمئنة

وإلى لقاء متى يشاء الله .

أخوك

عبد المنعم خليل

تحية وفاء ورثاء لأستاذ الجيل
اللواء أركان الحرب حسن أحمد البدرى

يعز على كاتب هذه الكلمة وهو يسطرها أن يذكر علماء التاريخ العسكرى والحديث والمعاصر وقادة القوات المسلحة على مدى ثلاثة عقود من الزمان أن العالم الجليل اللواء حسن البدرى كان علماً من أعلام العسكرية المصرية وعالماً ومؤرخاً فذاً فى التاريخ العسكرى وبالأخص تاريخ الصراع العربى الإسرائيلى ، وضع كل قدراته العلمية والبحثية والفكرية لتسجيل تاريخ الجيش المصرى بكل موضوعية وتجرد . وأن لجان كتابه التاريخ العسكرى فى القوات المسلحة المصرية بل وعلى إمتداد الساحة العربية والعالمية سوف تحرم من جهد هذا العالم الجليل .

عاش اللواء حسن البدى ضابطاً وقائداً وعالماً ومؤرخاً فذاً بين علماء ومؤرخى هذا الجيل وترك فى نفوس زملائه وطلابه ومريديه وقادة القوات المسلحة أطيب الأثر وأجمل الذكر . وإذا كان قد غادرهم إلى جوار ربه فأنه حى فى قلوبهم بل هو ملء حياتهم بما قدم بين يدى الأيام من جليل الخدمات فى ميادين العسكرية والتاريخ والفكر والثقافة .

وخدمات الفقيد الكريم تجلّ عن الحصر فى ميادين الفكر العسكرى وكافة ميادين المعرفة. عاش رحمه الله إنساناً كريماً دمث الخلق وأستاذاً مرشداً وهادياً وراعياً لمدرسة كبيرة فى ميدان التاريخ العسكرى والتى أسسها مع أستاذه الكبير الدكتور عبد الرحمن زكى .

وقد شغل الفقيد مناصب عديدة مهمة بالقوات المسلحة بينها منصب مدير أكاديمية ناصر العسكرية العليا ورئيس هيئة البحوث العسكرية كما كلف من الرئيس الراحل جمال عبد الناصر بالتحقيق فى أسباب هزيمة يونيو ١٩٦٧ بالإضافة إلى أنه شارك فى كل الحروب العربية الإسرائيلية . كما كان عضواً عاملاً فى كثير من الهيئات والجمعيات العلمية والثقافية وتخرج على يديه من مدرسته العسكرية الفكرية النبيلة عدد كبير من أساتذة وقادة القوات المسلحة بل كل قادة الجيل الحاضر وانتفعت بمواهبه هيئات كثيرة منها هيئة البحوث العسكرية وأكاديمية ناصر العسكرية العليا والكلية الحربية وكلية القادة والأركان ولجنة تاريخ ثورة ٢٣

يوليو ومركز الدراسات الاستراتيجية والوحدة العسكرية بالأهرام والتى أسسها وتولى رئاستها فترة طويلة ولجنة التاريخ ولجنة الترجمة بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ومعهد الدراسات العربية . كما تولى منصب المستشار العسكرى لولى عهد المملكة العربية السعودية ورأس تحرير ١٤ مجلة مصرية وعربية فى مجال العلوم والفكر والثقافة العسكرية .

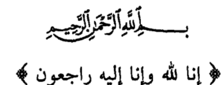
وأبرز مؤلفات اللواء حسن البدرى التى تجعله يقف شامخاً فى مجال التاريخ العسكرى مؤلفه الهام عن حرب فلسطين عام ١٩٤٨ بعنوان «الحرب فى أرض السلام» ومؤلفه عن حرب أكتوبر بعنوان «حرب رمضان» بالإشتراك مع زميليه المقربين اللواء طه المجدوب واللواء ضياء الدين زهدى ومؤلفه الأخير «حرب التواطؤ» مع تلميذه العقيد دكتور / فطين أحمد فريد عن العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ . والكثير من المؤلفات الرائعة .

وكانت شخصيته العلمية النبيلة الهادية فى كل أولئك ملء السمع والبصر والفؤاد بفضل ما رزقه الله من حب العسكرية والعلم والانصراف إلى البحث والتحصيل وعشق الجيش المصرى والمعرفة وتقدير جهود العلماء والوفاء للزملاء والطلاب ، فضلاً عن سعة الأفق وسماحة الخلق وصبر الكريم وكمال المروءة .

وإن زملاءه وطلابه ومريديه ليعرفون له هذه السجايا ويعلمون مقدار ما أنفقه من جهد فى خلق علم التاريخ العسكرى فى القوات المسلحة المصرية وتدعيمه ، وخلق مدرسة كبيرة عملاقة لهذا العلم الكبير ورعايته فى هدوء وصبر وعزيمة صادقة . ان زملاءه وطلابه ومدرسته التاريخية يقدرون فجيعة فقدان هذا العالم الجليل بل وفجيعة العالم العربى كله بوفاته ويضرعون إلى الله العلى القدير أن يتغمده ببره ورضوانه وأن يوفقهم فى السير على هديه للنهوض برسالته والمحافظة على تراث مدرسته التاريخية العسكرية العظيمة ذات التقاليد النبيلة العريقة الخالدة .

عقيد دكتور

فطين أحمد فريد على



﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾

خلال رحلة عمل فى ألمانيا فى شهر مايو ... حدثتنى زوجتى بالتليفون ونقلت إلى خبر وفاة الصديق العزيز اللواء / حسن البدرى ... وقفزت الدموع من عينى رحمة عليه ... وتذكرت سنوات طويلة تعاملت فيها مع الصديق العالم الراحل ... فمنذ كنت أعمل بمؤسسة الأهرام تعرفت عليه كخبير فى الدراسات الاستراتيجية ... ثم التقينا للعمل هو كمؤلف وأنا كناشر فى عام ١٩٧٤ ... وتحدثنا عن أحلامه فى التأليف وكان يسلمنى مخطوط كتابه الأول من سلسلة « الحروب العربية الإسرائيلية » ذلك الجزء الأول عن حرب ١٩٤٨ الذى طبع أكثر من مرة وتدارسته الكليات العسكرية بالعالم العربى ثم انتقل الصديق للعمل فى المملكة السعودية ولم تنقطع اتصالاتنا ...
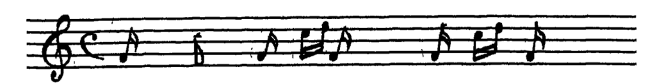
وكان الصديق الراحل يختار لدارنا أفضل المؤلفين فى الدراسات العسكرية التى تؤكد بطولة وعالمية الضابط المصرى على مر التاريخ الحديث ... وشارك مع أخوة أجلاء فى نشر كتب افتخرنا بنشرها ...

ولعلى لا أنسى أنه قبل سفرى بيوم واحد كان الصديق الراحل يجلس على مكتب صغير بالمكتبة الأكاديمية يراجع آخر مراجعة لكتابه الذى نقدمه .... وحضر لمكتبى وقال بلغة رقيقة مهذبة كعادته «تمام يا أفندم» الحمد لله تمت مراجعة الكتاب تماماً .. ولم يشأ القدر أن يرى الصديق الراحل هذا الكتاب الذى توقفت لقاءاتنا عنده ... { وقد رأيت أن تقدم نبض الأصدقاء لهذا الكتاب بصفحات قليلة من الرثاء والتقدير الواجب لهذا الرجل العظيم .... لا أستطيع أن أعدد مواهبه .. علمه الغزير ... أدبه الجم ... صدقه العظيم .... وطنيته الطاغية .... وعسكريته المصرية العظيمة ... } .

وكل ما يجعلنى أشعر بإستمرار وجوده أنه وضعنى فى طريق النشر على طريق هام فى ضرورة الاصرار على نـشر العديد المتاح من أعمـال وكتابات العسكريـين المصريين وضرورة نشر الـصور العظيمـة لوطنية وإخلاص رجـال الجيش المصرى بمخـتلف أسلحتـه . . ولقد أسعدنى هـــذا التنوع فـى نـشر كتب لرجال الجيش البرى والجـوى والبحرى . . . وكان ومـازال الجميـع يؤكــدون لــى أنهـــم سيتممـــون الرسالة التى عاهدوا عليـها صديقنا الراحل اللواء حسن البدرى . . . عليه ألف رحمة وسلام .

وأنى أدعو كل من يتصفح هذا الكتاب أن يترحم على روح هذا الرجل العظيم .

الناشر : أحمد أمين



لا عدا يا أرض مصر بك عاد إننا دون حماك أجمعين

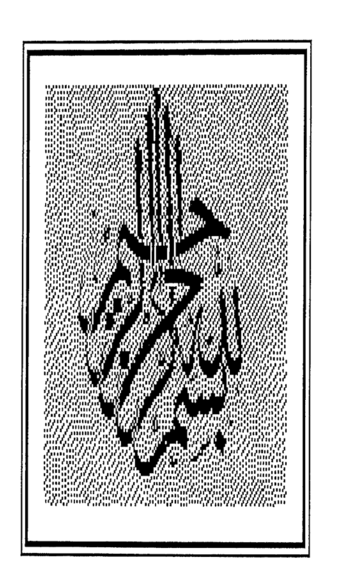
إهداء

إلى مصرنا العزيزة الغالية وشعبها العريق
وقواتها المسلحة الباسلة نهدى هذا الكتاب

عن
حرب التواطؤ الثلاثى فى خريف عام ١٩٥٦
التى حرَّرت بها مصر إرادتها ، ورفعت هامتها بين الدول

العقيد الدكتور
فطين أحمد فريد

اللواء أركان الحرب
حسن أحمد البدرى


بسم الله الرحمن الرحيم

المحتـــويات

الموضـوع **الصفحة**

الموضـــوع	الصفحة

الباب الخامس
الغزو البحرى الانجلوفرنسى لمصر

الباب السادس
موقف الدول من العدوان

الباب السابع
العدوان والأمم المتحدة

الباب الثامن
قبض الريح

الخرائط

مقدمة

تعرض الشرق الاوسط خلال الألف الثانى من الميلاد لثلاث غزوات من الغرب ، كانت أولاها عندما زحفت الحملات الصليبية بدءا من عام ١٠٩٩ لتسيطر على المنطقة وتمارس فيها استعمارا استيطانيا تحت مزاعم الدين الذى كان منها بريئًا.

وجاءت الغزوة الثانية مع مطلع القرن التاسع عشر لتفرض الرأسمالية الغربية على الشرق الاوسط علاقة تبادل اقتصادى غير متكافىء تقوم على اعتبار أن الغرب الاوربى هو مركز تجميع فائض القيمة الاقتصادية المنتزعة من دول الهامش العربية التى كان عليها أن تكتفى بوظيفة دعم آلة الإنتاج الغربية بحاجتها من الخامات والمواد والأيدى العاملة الرخيصه ، ثم تفتح لها أسواقها لتصريف أكبر قدر من الكماليات بأغلى الأسعار ، بقصد امتصاص عائد ما قامت بتصديره للغرب حتى لايعود على أصحابه بأية فوائد .

وقد تطلب تأمين تلك الغزوة الرأسمالية أن تحتل أغلب دول أوروبا الغربية مئات القواعد العسكرية فى الشرق الأوسط ، وعن كثب من حوله ، لتضمن استمرار النهب الاستعمارى لثروات العرب مع اجبارهم على الرضوخ لهذه العلاقات الجائرة ، عن طريق غطرسة القوة ومناورة الأساطيل والجيوش للترويع وفرض الارادة على الحكومات الوطنية .

ثم جاءت الغزوة الثالثة فى أعقاب الحرب العالمية الثانية فى صورة محاولات خبيثة لملء الفراغ المزعوم ، والمترتب على التغييرات التى دخلت على الخريطة السياسية الجديدة بعد تلك الحرب وكمحاولة لفرض أحلاف فى منطقة الشرق الاوسط تتيح للاستعمار ان يغير وجهه المرفوض من شعوب المنطقة ، ليظل يمارس نفس اساليبه تحت قناع متطور يزعم ان الرغبة الحميدة هى التى تدفعه الى ملء الفراغ الذى ترتب على انحسار الاستعمار وقواعده العسكرية عن المنطقة ، مع الاستعداد للمشاركة فى الدفاع عنها ضد الأخطار التى تتربص بها متغافلا عن أن هذا الاستعمار الغربى نفسة كان ولايزال أشد تلك الأخطار على المنطقة .

وقد تعرض العالم العربى خلال تلك الغزوة الثالثة إلى أزمتين طاحنتين ، نشبت

الأولى بقيام دولة إسرائيل فى قلب الوطن العربى وأعز أراضيه ، وفشل الدبلوماسية والسياسة والعسكرية العربية فى الحفاظ على عروبة فلسطين .

ثم نشبت الازمة الثانية كرافد للاولى وبسببها ، عندما توالت الانقلابات والثورات لإسقاط نظم الحكم التى تجاوزها الزمن ، لتقيم مكانها نظماً أخرى عصرية إلا أنها سرعان ما اصطدمت بالتناقضات الحادة بين الإمكانات المتواضعة المتاحة والغايات الضخمة المنشودة ، فتعثرت فى مسيرتها وتواضعت أو تلاشت إنجازاتها .

وراحت الأزمتان سالفتا الذكر تدفعان الوطن العربى نحو ساحة صراع إقليمى يتربص الغرب فيه بالعرب بهدف استدراجهم إلى صراع مسلح بالأصالة والوكالة ليستعيد هيمنته على الوطن العربى فيما عرف بالعدوان الثلاثى على مصر ، الذى كان بمثابة صحوة الموت للاستعمار الأنجلو فرنسى فى الشرق الأوسط ، الذى شاء القدر أن تكون نهايته فى نفس المكان الذى كان قد دخل منه منذ ٧٤ عامًا ليحتل مصر . . . « **احتلالا مؤقتا** » على نحو ما زعم وقتذاك !

ولقد تميَّز العدوان الثلاثى بأنه الحرب التى كسبها سياسيًا أحد أطرافها (مصر) ، بينما كسبها عسكريًا الطرف الآخر (بريطانيا وفرنسا وإسرائيل) ، كما أنها كانت نقطة التحوّل فى تاريخ منطقة الشرق الأوسط ، بنزوح القوى الاستعمارية عنه ، ودخول القطبان العظيمان بنفوذهما إليه ، لترث الولايات المتحدة المركز الذى كانت بريطانيا وفرنسا تتمتعان به فى تلك المنطقة ، بينما سعى الاتحاد السوفيتى إلى أن يحقّق حلم القياصرة بالوصول إلى مياهها الدافئة .

أما مصر فقد خرجت من هذه الحرب بمكاسب سياسية واقتصادية ومعنوية عظيمة ، إذ حرَّرت إرادتها الوطنية ، واستعادت سيطرتها على قناة السويس ، وقامت بتمصير اقتصادها ، كما تبوأت المكانة الأدبية الرفيعة بين دول العالم الثالث وصار كفاحها وصمودها فى وجه دولتين كبيرتين مثلاً يحتذى بين الأمم .

مايو ١٩٩٦

المؤلفان

الباب الأول

الأحداث فى المعترك السياسى

الفصل الأول : الإعداد للعدوان

الفصل الثانى : العــــــدوان

الأحداث السياسية المصاحبة للعدوان

واجهت الدول الغربية موقفا بالغ التعقيد إزاء قيام حكومة مصر بتأميم شركة قناة السويس . وبينما جنحت المملكة المتحدة وفرنسا إلى استخدام القوة منذ بداية الأزمة ، حاولت الولايات المتحدة البحث عن حل سلمى لإقناع مصر به سواء عن طريق المباحثات أو التلويح بالضغط .



٢٦ يوليو

١٩٥٦

قرار رئيس الجمهورية رقم ٢٨٥ لسنة ١٩٥٦

باسم الأمة :

رئيس الجمهورية :

بعد الاطلاع على الفرمانين الصادرين فى ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٥٤ و ٥ يناير سنة ١٨٥٦ بشأن الامتياز الخاص بإدارة مرفق المرور بقناة السويس ، وتأسيس شركة مساهمة مصرية للقيام عليه ؛

وعلى القانون رقم ١٢٩ لسنة ١٩٤٧ بشأن التزام المرافق العامة ؛

وعلى القانون رقم ٣١٧ لسنة ١٩٥٢ فى شأن عقد العمل الفردى ؛

وعلى القانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٥٤ بشأن شركات المساهمة وشركات التوصية بالأسهم والشركات ذات المسئولية المحدودة وعلى ما ارتآه مجلس الدولة ؛

أصدر القانون الآتى :

مادة ١ – تؤمم الشركة العالمية لقناة السويس البحرية (شركة مساهمة مصرية) وينتقل إلى الدولة جميع ما لها من أموال وحقوق وما عليها من التزامات ، وتحل جميع الهيئات واللجان القائمة حاليا على إدارتها ويعوض المساهمون وحملة حصص التأسيس عما يملكون من أسهم وحصص بقيمتها مقدرة بحسب سعر الإقفال السابق على تاريخ العمل بهذا القانون فى بورصة الأوراق المالية بباريس ويتم دفع هذا التعويض بعد إتمام استلام الدولة لجميع أموال وممتلكات الشركة المؤممة .

مادة ٢ – يتولى إدارة مرفق المرور بقناة السويس هيئة مستقلة تكون لها الشخصية الاعتبارية ، وتلحق بوزارة التجارة ويصدر بتشكيل هذه الهيئة وبتحديد مكافآت أعضائها قرارا من رئيس الجمهورية ، ويكون لها فى سبيل إدارة المرفق جميع السلطات اللازمة لهذا الغرض دون التقيد بالنظم والأوضاع الحكومية .

الرئيس عبد الناصر يعلن قرار تأميم شركة قناة السويس

وبعد أن اقتنعت الـولايات المتحدة بعدم جدوى هذا الأسلوب تحول فـكرها الى اللجوء لمجلس الأمن لحل المشكلة ، إلا أن اعتراض أغلب أعضائه على ذلك جعل الولايات المتحدة تضعها مؤقتا على الرف .

والواقع أن مشكلة قـناة السويس ذات جذور عميقة فى الصراع الـدائر بين الحق والباطل فحق مصر فى تأميم شركة القناة يستند إلـى القانون ويدعمه أكثر من ثلثى شعوب العالم . وعلى الطرف المضاد تقـف المملكة المتحدة وفرنسا وقلة من حكومـات أوروبا الغربية تريد أن تعيد عقارب التـاريخ للخلف ، وتستأنف أمبريـالية القرن التاسع عشر على المـناطق الكثيرة التى كانت تستعمرها وتنهب خيراتها .

ورغم ما بـذل من جهود صادقة لـلوصول بالأزمة إلى حـل عادل بوعد حكومـة مصر تعويض حملة أسهم شـركة القناة ، وفتح الملاحة فيها لجميع الدول بـلا تفرقة فإن حكومتى المملكـة المتحدة وفرنسـا لم تدخرا وسعا فى إحـباط تلك الجهود لـسابق عزمهمـا على شن الحرب على مصر .

ولذلك ، فبـعد نجاح السكرتيـر العام للأمم المتحـدة فى عقد إتفاق بين وزيـر خارجية مصـــر ووزيـرى خارجية المملكـــة المتـــحدة وفرنـســا فيما بين ٩ و ١١ أكتوبر ١٩٥٦ ، قبل به كافة الأطراف مناقـشة المشاكل الناشبة بينهم ، فى صورة ست مبـادىء تتم مناقشتها النهـائية فى اجتماع تالٍ ، يعقد بينهم يوم ٢٩ أكتوبر فى جنيف ، ظهر أن نفس هذا اليوم كان هو الموعد الذى حددته حكومات العدوان الثلاثى لتبدأ الحرب فيه !

الفصل الأول

الإعـــداد للعـــدوان

تمهيد - فشل المملكة المتحدة وفرنسا - انتقال الأزمة لمجلس الأمن - سياسة مصر فى الأمم المتحدة - المفاوضات السرية فى مكتب همر شولد - اجتماع باريس - معاهدة سيفر - الولايات المتحدة تتأكد .

تمهيد :

جاء قرار مصر بتأميم شركة قناة السويس فى ٢٦ يوليو ١٩٥٦ كصدمة للغرب وخاصة المملكة المتحدة وفرنسا ، فإضطرب مجرى سياستهما نتيجة لهذا الاجراء الذى فاجأهما فعمدتا الى بذل الجهود المضنية لإلغاء هذا التأميم ولكن كتب عليها الفشل . وصاحب تلك الجهود تهديدات كثيرة وتلويحًا بالحرب وبالعقوبات الاقتصادية . ومن ناحية أخرى بادر وزير خارجية الولايات المتحدة بالاجتماع برئيسى وزراء المملكة المتحدة وفرنسا حيث اتفق الرأى بينهم على توجيه دعوة للدول المستخدمة للقناة للنظر فى المشكلة ، واتخاذ قرار بشأن قيام حكومة مصر بخرق اتفاقية عام ١٨٨٨ ، كما دعوا إلى تدويل القناة .

وعقد مؤتمر لندن الأول فى ١٦ أغسطس ١٩٥٦ من ممثلى اثنتين وعشرين دولة ، وتقدمت الولايات المتحدة بمشروعها الذى أُطلق عليه فيما بعد الثمان عشر دولة ، ويتضمن إنشاء إدارة دولية للقناة International - Board .

وشكلت لجنة خماسية برئاسة « المستر روبرت منزيس »(*) لعرض نتيجة المؤتمر على الحكومة المصرية التى اعلنت رفضها للمشروع ، مع حرصها على تكرار عروضها السلمية ، مثل عقد مؤتمر من الدول المستخدمة للقناة ، أو تشكيل هيئة مفاوضة للوصول إلى حلٍّ يتفق مع ما قررته اتفاقية القسطنطينية عام ١٨٨٨ ، دون المساس بسيادة مصر وحقوقها المشروعة .

وعندما اجتمعت الدول الثمان عشرة فى لندن فى ١٩ سبتمبر ١٩٥٦ للنظر فى الوضع الجديد ، تقدمت الولايات المتحدة بمشروع يقضى بإنشاء جمعية للمنتفعين بقناة السويس ، على أن يكون أهم وظائفها تحصيل رسوم القناة من الدول الأعضاء ، على أن يدفع جزء منها لمصر وتمر سفن الدول الاعضاء فى القناة بمرشدين من قبل الجمعية ، غير أن الدول الثمان عشرة لم تتفق حول تلك الفكرة ، وبدت فى الأفق اتجاهات إن لم تكن متضاربة فهى مختلفة فى كثير من التفصيلات الهامة ، بحيث لا يمكن القول أن هذه الدول اجتمعت كلمتها على قرار واحد يمكن أن تقوم على تنفيذه .

وخلال تلك الايام بذلت المملكة المتحدة وفرنسا جهودا كثيفة لوضع العراقيل أمام الإدارة المصرية للقناة وإرباك الملاحة فيها ، كما سحبتا مرشديهما وحرضتا بعض الدول الاخرى للاقتداء بهما حتى يظهر أمام الرأى العام العالمى أن مصر فشلت فى ادارة القناة ولم تستطع تحمل تبعاتها ومسئولياتها .

على أن مصر استطاعت أن تمسك بزمام الموقف رغم تلك المحاولات وغيرها ، وساعدها على ذلك عاملان هامان :

الأول : أن مركزها من الناحيتين القانونية والفعلية كان قويا سليما ، فالتأميم حق مشروع لمصر ، شأنها فى ذلك شأن جميع الدول التى لجأت إليه ، ثم إن القناة ملك مصر وهى التى تتحكم فيها .

والثانى : أن مصر نجحت رغم سحب المرشدين فى تسيير الملاحة فى القناة بصورة أقنعت الرأى العام العالمى بجدارتها فى إدارة القناة .

فشل المملكة المتحدة وفرنسا :

وبعد فشل مؤتمر لندن الثانى وكذا فشل مؤامرة سحب المرشدين ، لم يبق للمملكة المتحدة وفرنسا إلا طريقا واحداً هو العدوان على مصر . ولم تكن مؤتمرات لندن أوالاتصالات مع الولايات المتحدة قد أوقفت الاستعدادت العسكرية ، فحركات القوات مستمرة ، وحشد القوات فى قبرص ومالطة يسير فى طريقه المرسوم ، والقيادتان الفرنسية والبريطانية تنسقان الخطط وترتبان عملية غزو مصر[1] .

وإذ يئست الدولتان - المملكة المتحدة وفرنسا - من إمكان حمل مصر - بالطرق السلمية - على قبول حل يحقق أغراضهما . وتحت الضغط المتزايد لعدم استخدام القوه سواء من جانب الدول التى وافقت على الانضمام الى جمعيه المنتفعين ، أو التى عارضتها ، أو من جانب الرأى العام العالمى الذى عارض بشدة سياسة الالتجاء للقوة ، تظاهرت الدولتان بالجنوح للسلم وتقدمتا بشكوى يوم ٢٣ سبتمبر ١٩٥٦ الى مجلس الامن ضد مصر بأنها أنهت من جانب واحد نظام الإدارة الدولى لقناة السويس الذى أكدته ، وأكملته معاهدة ١٨٨٨ ، كما قدمتا مشروع قرار إلى مجلس الأمن بفرض قرارات الدول الثمان عشرة كأساس لحل مشكلة القناة [٢] .

وفى ٢٩ سبتمبر سافر أنتونى إيدن وسلوين لويد إلى باريس لإجراء مباحثات مع جى موليه وكرستيان بينو . وصدر بيان بعد تلك المباحثات يزعم أن الهدف منها هو تقويه التضامن الأنجلوفرنسى فى كل مجال ، وأن ذلك قد تحقق خاصة بالنسبة للسياسة التى تنتهجها الدولتان عند نظر مسأله قناه السويس أمام مجلس الأمن . . . ثم نوه البيان عن تقوية التحالف الغربى والتصميم على تحقيق نتائج إيجابية فى هذا المجال [٣] .

وعند مغادرة المستر إيدن لمطار ليه بورجيه بباريس صرح بأن العمل الذى قام به الرئيس عبد الناصر لم يهدد فقط المصالح الاقتصادية للكثير من الدول وإنما شكّل افتئاتا على شرعية المعاهدات الدولية والثقه المتبادله بين الحكومات . لقد كان هذا درسا قبل الحرب . . وهو درس اليوم . . ومن واجبنا العمل معا فرنسيين وإنجليز للبحث عن حل عادل للصعوبات الحالية [٤] .

وظهر أن الرأى قد استقر فى مباحثات باريس بين إيدن والزعماء الفرنسيين على استخدام القوة التى تحدد لها يوم ٨ أكتوبر ١٩٥٦ للهجوم على مصر ، وقد أشار جى موليه أثناء تلك المباحثات الى إمكانية إشراك إسرائيل فى العدوان[٥] .

ومهما كان من تجاهل إيدن فى مذكراته لهذا الشق المهم من أحداث أزمة السويس فإن الوقائع تشير الى أن هذا الاجتماع بحث أمر المؤامرة الثلاثية ووافق إيدن على أن تستمر فرنسا فى التفاهم مع إسرائيل وعلى أن يستمر المتحدثون الرسميون فى الحكومتين على ابراز خطورة التدخل الشيوعى فى الشرق الأوسط نتيجة للسياسة المصرية[٦] .

وقد أثارت مباحثات إيدن فى باريس الريبة لدى الحكومة المصرية والرئيس عبد الناصر نظرًا للكتمان الشديد الذى أحاط بها ، ولكن ذلك لم يمنع من أن يكون التقدير الذى ساد وقتئذ على ضوء معلومات وصلت للقاهرة عن الاجتماع - أن المملكة المتحدة وفرنسا ينسقان سياسة التدخل العسكرى ضد مصر، حتى فى حالة معارضة الولايات المتحدة (٧) .

انتقال الأزمة لمجلس الأمن :

انتقلت الأزمة إلى الأمم المتحدة عندما طلبت حكومتا المملكة المتحدة وفرنسا عقد جلسة لمجلس الأمن فى ٢٦ سبتمبر لبحث الموقف الذى خلقته الحكومة المصرية بعملها الانفرادى فى إنهاء النظام الدولى لإدارة قناة السويس ، الذى أكدته وأكملته اتفاقية ١٨٨٨ . وكانت هناك شكوى مضادة من جانب مصر ضد الأعمال التى ترتكبها كل من المملكة المتحدة وفرنسا بما يهدد السلم والأمن الدوليين ، وأن مصر لم تسع إلى رفع شكواها أمام المجلس قبل ذلك تمشيا مع السياسة التى اتبعت منذ إعلان التاميم والتى تعتمد على الوقت ليمتص ثورة الغضب التى اشتعلت فى بعض دوائر الغرب ضد قرار مصر . كانت مصر تنتظر وصول القضية إلى الأمم المتحدة لتواجه خصومها لأول مرة أمام هذه المنصة العالمية(٨) .

وقد قدرت السياسة المصرية فى ذلك الوقت ان لجوء الدولتين الى مجلس الامن وليس الى الجمعية العمومية يعنى دخول الأزمة فى مرحلة حاسمة ، لأن هذا الإجراء الذى لم يتخذ من قبل يكشف عن أمرين خطيرين هما أن الدولتين فشلتا فى المعركة السياسية خارج الأمم المتحدة . وأنهما تلجآن إلى الخطوة الأخيرة فى مظاهرة سلمية قبل الإقدام على مغامرة عسكرية (٩) .

وإذا ربطنا بين الفشل خارج الأمم المتحدة والفشل المتوقع داخلها وأمام مجلس الأمن إزاء الفيتو السوفيتى يتبين لنا على الفور أن المظاهرة السلمية تعنى : أن تظهر الدولتان للرأى العام العالمى أنهما استنفدتا الوسائل السلمية وأن الاتحاد السوفيتى (سابقًا) يعرقل الوصول إلى تسوية سلمية للأزمة ، وأن مصر تتصرف فى حماية الاتحاد السوفيتى (سابقًا) ، وأنه لم يَعد هناك من سبيل إلا التصرف خارج الأمم المتحدة .

سياسة مصر فى الأمم المتحدة :

كان تشكيل مجلس الأمن فى عام ١٩٥٦ لايعطى الاطمئنان لمصر بعدد الأصوات التى

سوف تقف بجانبها فخلاف الدول الخمس الدائمة فى مجلس الأمن كانت هناك أستراليا وبلجيكا وكوبا وبيرو وإيران ويوجوسلافيا ، وكما هو واضح فإن هذه الدول باستثناء الاتحاد السوفيتى (سابقًا) ويوجوسلافيا تقف مع الغرب إما بحكم المصالح الغربيه أو النفوذ الغربى فيها . وكان تقدير السياسة المصرية وقتذاك أن هناك احتمالين : فإما أن يصدر مشروع قرار بإنشاء إداره دوليه للقناة ، وسوف يستخدم الاتحاد السوفيتى (سابقًا) حق الفيتو ضده . وإما أن تدعو الجمعية العمومية إلى المفاوضة . فأما الموقف الاول فهو شبه مؤكد بينما يعتبر الموقف الثانى صعب التحقق نظراً لعدم توفر الأسس التى تصلح للتفاوض[١٠] .

لذلك كان من الضرورى ألا ترسم مصر خططها على أساس أتخاذ موقف الدفاع بل وضع القوى المعادية فى موقف الاتهام أمام الرأى العام العالمى ، ولكن ذلك لم يكن يكفى لمواجهة ما قد يترتب على الفيتو السوفيتى من تقديم المبرر للمملكة المتحدة وفرنسا لتنفيذ مخططهما العسكرى ، وبناء على ذلك رأت مصر أن اتخاذ الموقف الثانى هو الأنسب ، أعنى التفاوض[١١] .

وفى ٢٤ سبتمبر طلبت مصر من رئيس مجلس الأمن بحث شكواها ضد المملكة المتحدة وفرنسا . وفى نفس الوقت بدأت الاتصالات بين رئيس بعثتها فى الأمم المتحدة السفير عمر لطفى وبين المستر همرشولد سكرتير عام الأمم المتحدة حول القرار المنتظر ، وقد دار الحديث حول تأليف المجلس لجنه للتفاوض بين مصر والدول الغربية لإيجاد حل للأزمة[١٢] .

كان الموقف مليئاً بالاحتمالات المضادة لإدراج شكوى مصر فالمطلوب سبعة أصوات ليتم إدراج الشكوى بينما مواقف الدول الاعضاء فى المجلس لا يطمئن إليها كثيراً . وكان الفيصل فى تحديد ما يمكن أن يسفر عنه التصويت فى هذه الإجرءات هو موقف الولايات المتحده ؛ لأن تأييدها لإدراج الشكوى يعنى تأييد الصين الوطنية وكوبا وبيرو وإيران . وبذلك تتوافر خمسة أصوات إلى جانب الاتحاد السوفيتى (سابقًا) ويوجوسلافيا فتتحقّق بذلك الأغلبية المطلوبة[١٣] .

وعندما اتصل السفير عمر لطفى يوم ٢٥ سبتمبر بكابوت لودج المندوب الأمريكى فى مجلس الامن أبلغه بأنه لم يتلق تعليمات من المستر دالاس ، وكان هذا الرد غريباً بالنسبة الى الولايات المتحدة ، منذ قامت الأمم المتحدة بتأييد إدراج أى شكوى فى جدول أعمال المجلس حتى ولو كانت موجهة ضدها .

وقد ذكر السفير عمر لطفى ذلك لكـابوت لودج ، إلا أن الأخير لم يعلق انتظاراً لرأى دالاس . وفى نفس الوقـت كان ممثلا المملكة المتحدة وفرنسا يعمـلان من أجل رفض إدراج الشكـوى المصرية . وكـانت الردود من جانـب ممثلي كـوبا وبيرو وإيران أنـهم لم يتـلقوا تعليـمات من حكوماتهم بعد . وعندما ظهر موقـف الولايات المتحدة فى صباح ٢٦ سبتمبر بتأييد إدراج الشكـوى أبلغ ممثل كـوبا رئيس البعثـة المصرية أنه تلقى تعليمـات بتأييد طلب مصر ، كما أكد مندوب بـيرو أنه سيصوت فى صالح إدراج الشكوى ما لم تـصله تعليمات بخلاف ذلك . كما تـلقى مندوبا ايران والصين الوطـنيه تعليمات بتأيـيد إدراج الشكوى(١٤) فتحققـت بذلك الأغلبية المطلوبـة ، واعتبرت دوائر الامم المتحده أن مصـر قد احرزت نصراً بقبول إدراج شكواها .

وفـى جلسة ٢٦ سبتمبر ناقش المجـلس جدول الأعمال ووافق على ادراج شـكوى مصر بأغلبية ٧ أصوات ، وامتنـاع المملكة المتحدة وفرنسا واستراليا وبلجيـكا عن التصويت ، كما وافق على دعوة مندوب مصرللاشتراك فى المناقشة مع تأجيل الجلسة إلى ٥ أكتوبر(١٥) .

وفى ٣ اكتوبر وصل الدكـتور محمود فوزى وزير الخارجية إلى نيـويورك واتفق موعد وصوله مع وصول غالـبية وزراء خارجية الدول الأعضاء لمجلس الأمن . وبـدأت سلسلة من الاتصالات قام بـها الدكتور فوزى قـبل انعقاد المجلس ، كـشفت عن ملامح الـطريق الذى ستسلكه الأزمة فى مجلس الأمن ، وكان تركيز السياسة المصرية على قطع الطريق نهائيًا على استخدام القـوة ضدها ، مع العمل على التـفاوض فى إطار ما أعلنته مصـر من مبادئ لحل الأزمة (١٦) .

وعندما عرض همرشولد على الدكتور فوزى صرف النظر عن الأساليب الماضية ، وأن الأسلوب الذى يـنصح به هو تشكـيل لجنة بواسطة مجـلس الأمن تشترك فيـها مصر ، أو يشكل مجلس الأمن نفسه لجنه تشترك فيـها مصر .لم يرفض الدكتور فوزى اقتراح التفاوض الذى عرضه همـرشولد ولكنه تحفظ عـلى تشكيل مجلس الأمـن بتكوينه غير المـتعاطف مع مصر ، والذى لا يبعث على الاطمئنان بأن ما سوف يشكله من لجان لا يجعل مصر تثق فى عدالة ما تقرره أو تحاول فرضه على مصر(١٧) .

ولذلك فقـد اتفق همرشولد و فـوزى على عقد اجتماعـات مغلقة وسرية بـين الدكتور

فوزى وبينــو ولويد فى مكتب هــمرشولد الذى يعلن أنــه الداعى لهذه الاجتمــاعات كإجراء طبيعى وأن المجتمعين هم أطراف النزاع فقط [١٨] .

وقد أيد فوستــر دالاس ذلك وشجع وزراء الخارجية الثـلاثة على تصفية خـلافاتهم فى جلسات مغلقة بمشاركة همرشولد كوسيط [١٩] .

وعندما اجتمع مجلس الأمن فى ٥ أكتوبر كان سلوين لويد أول المتحدثين . وقد تحدث لمدة ساعة قدم فى نهايتها مشروع القرار البريطانى الفرنسى الذى يحتوى على الآتى [٢٠] :

١- تأكيــد حق الملاحـــة فى قناة الســويس لجميــع الــدول طبقــًا لمعاهدة القسطنطينية .

٢- إدارة القناة من قبل هيئة ذات طابع دولى .

٣- الموافقة على النتائج التى وصلت إليها الدول الثمانى عشرة فى مؤتمر لندن .

٤ التوصية بأن تدخل مصر فى مفاوضات قائمة على هذه الاقتراحات .

٥ دعوة مصر الى التعاون مع جمعية المنتفعين بقناة السويس .

ثم تحدث بــينو بعــد ذلك بنفس لــهجة لويــد ، وتبعهمــا دالاس فأيد مشــروع القرار الأنجلوفرنسى فى عبــارات لم تكن واضحة تماماً . إذ كانت تؤيد المملكــة المتحدة وفرنسا إلى حد ما كمــا تؤيد مصر إلى حد مــا . وبينما تحدث عــن ضرورة ضمان حرية الملاحــة بقناة السويس كان يميل إلى العرض الذى قدمته مصر بأن يحل الخلاف بالوسائل السلمية . ولهذا اقترح أن تعقــد اجتماعات خارج مجلس الأمن ، بــين وزراء خارجية الدول الرئيسيــة المعنية وهى مصر والممــلكة المتحدة وفرنسا ، حتــى يمكن حل النزاع عن طريق المفــاوضات المباشرة قبل الوصول إلــى مرحلة التصويت بالمجلــس . وقد أعرب همرشولد عن تأييــده لمقترحات دالاس [٢١] .

وفى ٨ أكتوبر ألــقى الدكتور محمود فوزى خــطابه الرئيسى فى مجــلس الأمن ، حيث أوضح وأكد إن لكل دولة مســتقلة الحق فى أن تؤمم أية مؤسسة تخضع لــسيادتها وهو حق أكدته الجمعــية العمومية للأمم المتحــدة . وأن لكل دولة الحق فى استخدام مواردهــا لرفاهية شعبــها بما يتمشــى مع سيادتها ومــبادىء الأمم المتحدة وإن شركــة قناة السويس هــى شركة مصريــة منحت الحكومه المصرية امتيازها لمدة ٩٩ عاما . والمادة ١٦ من الاتفاقية المعقودة بين

الحكومة المصرية وشركة القناه فى ٢٢ فبراير ١٨٦٦ تنص على أن الشركة البحرية العالميـة لقناة السويس هى شركة مساهمة تخضع لقوانين البلاد وعاداتها. [٢٢] .

وتحدث دالاس مرة أخرى أمام مجلس الأمن يوم ٩ أكتوبر فاصر على أن الدول الغربية ودولا أخرى تميل الى حل مشكلة القناة بالوسائل السلمية . ثم أصر على قانونية معاهدة ١٨٨٨ وعلى تنازل مصر لشركة قناة السويس عن مسئوليتها لتقديم نظام محدد لضمان حقوق المرور طبقا للمعاهدة . وكان هذا مثالا أخر لولع دالاس بالتطوع بتفسير المعاهدة والامتياز الذى منح لتثبيت حقوق المنتفعين وحقوق مصر والتزاماتها . وقال دالاس : اذا لم يكن الرئيس عبد الناصر مستعدا لاحترام تلك الحقوق والالتزامات ، فإنه يكون منتهكا لمعاهدة القسطنطينيه ومرتكبا خطيئة فى حق الالتزامات الدولية . وأضاف أنه اذا لم تتبن الأمم المتحدة هذا الرأى فإنها تنتهك بذلك القانون الدولى [٢٣] .

المفاوضات السرية فى مكتب همرشولد

بعد خطاب دالاس يوم ٩ أكتوبر ، بدأت المحادثات الخاصة بين محمود فوزى ولويد وبينو فى مكتب همرشولد ، واستمرت حتى مساء يوم ١١ أكتوبر . وقد استغرقت هذه المفاوضات ستة اجتماعات انتهت بتقديم همرشولد مفكرة عمد أسماء (بالاحتياجات) تحتوى على ست نقاط [٢٤] :

١ - أن يكون المرور عبر القناة حراً ومفتوحا ودون تمييز مباشر أو غير مباشر لجميع السفن .

٢ - أن تحترم سيادة مصر .

٣ - أن تعزل إدارة القناة عن سياسة أية دولة .

٤ - أن تقرر رسوم القناه بالاتفاق بين مصر والمنتفعين .

٥ - أن تخصص نسبه عادلة من الرسوم لتنمية القناة .

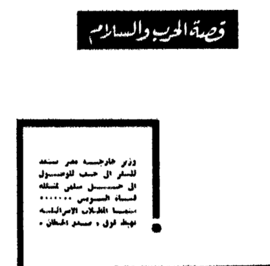
٦ - فى حالة الخلاف بين الحكومه المصرية وشركة القنناه يلجأ الى التحكيم

وفي يوم ١٢ أكتوبر اجتمع مجلس الامن فى جلسة سرية عرض همرشولد الموقف خلالها وقال ان المباحثات كانت استكشافية لمحاولة إيجاد مجال مشترك للتراضى بين

الأطراف فشملت (الاحتياجات) التى يجب التراضى عليها أولاً ثم وسائل تنفيذها ، وقد اتفقت الأطراف على المبادىء الستة ، أما عن الناحية التنفيذية فكان من المستحيل ان يصل الأطراف الى مثل هذه الأمور المعقدة في وقت ضيق . وأعلن الدكتور محمود فوزى أن المبادىء الستة ترضى مصر مع تحفظها على مبدأ عزل القناة عن السياسة وقال لويد إن المبادىء لا تصل بنا إلى نظام مرض وأن مقترحات الدول الثمانى عشرة ما زالت أفضل أساس ، ولكن ذلك لا يمنع من أنه قد توجد وسيلة أخرى لتنفيذ هذه الاقتراحات(٢٥) .

وفى ١٣ أكتوبر قدمت المملكة المتحدة وفرنسا مشروع قرار عدلتا به عن مشروع قرارهما الأول ، وقد احتوى مشروع هذا القرار علي جزءين ، اشتمل الجزء الأول على المبادىء الستة التي عرضها همرشولد ، أما الجزء الثانى فكان إعادة تأكيد مقترحات الدول الثمانى عشرة بلندن التى هدفت إلى إعادة فرض السيطرة الدولية على القناة (٢٦) .

وقد عرض المشروع السابق على مجلس الأمن للتصويت علي قسمين يضم القسم الاول المبادىء الستة وقد وافق عليها المجلس بالإجماع وقد سبق لمصر أن قبلتها أثناء المفاوضات السرية . أما الجزء الثانى فقد أيدته تسع دول وعارضته مصر وكذا الاتحاد السوفيتى (سابقًا) ويوجوسلافيا وبذلك أسقطه الفيتو السوفيتى(٢٧) . ومع هذا اتفق فوزى ولويد وبينو علي الاجتماع فى جنيف لمناقشة تطبيق النقاط الستة الأصلية . وتحدد يوم ٢٩ أكتوبر موعدا لهذا الاجتماع (٢٨) .





مع انتهاء جلسات مجلس الأمن شعر الرئيس ايزنهاور والمستر دالاس بالرضا عن نتائج المناورات التى انتهجاها . وأكد دالاس لزملائه فى وزاره الخارجية أنه يعتقد الآن أن الخطط العسكرية الأنجلو فرنسية قد (ذهبت أدراج الرياح) . كما قال ايزنهاور فى مؤتمر صحفى (يبدو أننا تخطينا أزمة خطيرة . ولا يعنى هذا القول أننا قد تجاوزناها تماما ، لكننى تحدثت مع وزير الخارجية . . وبوسعى أن اخبركم أن كلينا يصلى لله شكرا على ما منحنا إياه) [٢٩] .

اجتماع باريس :

فى غمار هذه التطورات التي كاد مجلس الأمن أن ينتهى فيها من بحث المشكلة وتحديد المبادىء التى ستقوم عليها التسوية السلمية ، وبينما السكرتير العام داج همرشولد يستعد لأستئناف المباحثات إذ بوزير خارجية المملكة المتحدة سلوين لويد ونظيره الفرنسى كرستيان بينو يغادران نيويورك فجأة ليحضرا اجتماعاً بباريس يوم ١٦ أكتوبر بين رئيس الوزراء الفرنسى جى موليه ونظيره البريطانى أنتونى إيدن . وقد بحث فى هذا الاجتماع آخر تفاصيل خطة إسرائيل العدوانية بعد تعديلها الى هجوم مباشر ضد مصر ، واتفق على أن تبدأ إسرائيل هجومها فى أول نوفمبر .

ثم تقرر تعديل الخطة بحيث يبدأ الهجوم الاسرائيلى مبكرا عن أول نوفمبر حتى يسمح للقوات الأنجلوفرنسية أن تبدأ عملية الغزو البحرى لبور سعيد فى الخامس من نوفمبر وهو نفس يوم إجراء انتخابات الرئاسة الأمريكية . وقد بدأ الصمت يطبق على عواصم التآمر ، وأسدل ستار من السرية حول الخطط والتوقيتات الجديدة وشكى أعضاء السفارة الأمريكية فى كل من لندن وباريس من السرية والكتمان الذى أصبحا يلقيانه في دور حكومتى المملكة المتحدة وفرنسا [٣٠] .

معاهدة سيفر :

حان لقاء المتآمرين البريطانيين والفرنسيين والإسرائيليين وجها لوجه ولأول ولآخر مرة ، فاجتمع ممثلو البلدان الثلاثة لتنسيق توقيتات ومراحل خططهم الحربية . وفى سرية تامه توجه أعضاء الوفود الثلاثه إلى قصر بونيه دى لاشابيل ، وهو قصر فخم ومنعزل فى ضاحية سيفر إحدى ضواحى مدينة باريس . فقاد بينو سيارته بنفسه الى هناك بعد ظهر ٢٢ أكتوبر ، بعد أن تأكد من عدم متابعة أحد له .

وهبطت طائـرة الوفد الإسرائيلى الذى رأسـه بن جوريون وضم موشيه ديـان وشيمون بيريز فـى مطار عسكرى فـى فيلا كوبليـه جنوب غرب باريس بـالقرب من سيفـر ، حيث اصطحبـهم الكولونيـل منجان فى سيارة عـادية لا تنم عن هوية مـستقليهـا . وبوصول بن جوريون ختمت المؤامرة الثـلاثية فصولها أما سلوين لويد فقد أخبـر زملاءه بعد ظهر الاثنين انه أصيب بنوبة برد وبدلا من أن يتوجه الى منزله توجه الى المطار حيث استقل طائرة نقلته سرا إلى فيلا كوبليه ، ومن ثم الى سيفر (٣١) .

وفى تلك الفيلا المـملوكة لأحد أصدقاء بورجيس مونورى بدأت الاجتمـاعات السريـة التى أصرَّ عليها بن جوريون قبل ان يدفع جـيشه للحرب . وعقد الاجتماع الأول فى الساعة الرابعة بعد ظهر يوم ٢٣ أكتوبر ، وقد اقتصر على الزعماء الفرنسيين موليه وبينو وبورجيس مونورى والقادمين من اسرائـيل . وبدأ بن جوريون بعرض خطته التى تلـخصت فى القضاء على عـبد الناصر وتـقسيم الأردن والاسـتيلاء على الجـنوب اللبنـانى . وأذهلت خـطة بن جوريون الفـرنسيين . ويقول أبل تـوماس الذى حضر الاجتمـاع بوصفه مساعدا لـبورجيس مونورى لقد أدركنا أنه اذا تمـسك بن جوريون بخطتة الحمقاء فسيضـعنا فى طريق مسدود . ربما كان يحاول أن يحنث بوعده نتيجة عزوفه عن التعامل مع المملكة المتحدة ، لكن اذا كان يقصد ذلك فعلا ، فلماذا جاء إذن (٣٢) .

رفض موليه مشروع بن جوريون وطلب الانتقال الى مناقشة جوهر عملية التواطؤ .وكان أيدن قد أكد لموليه ان المملكة المتحدة لن تشارك فى العملية إلا اذا وجدت ذريعة لذلك وهى شن إسرائيل الهجوم أولاً على ان يعقبه صدور انذار انجلو فرنسى لكل من اسرائيل ومصر . وفى هذه الحـالة فقط تتعـهد المملكة المـتحدة باستـخدام القوة . وعارض بن جـوريون هذا الاقتراح إذ لم يستسغ فـكرة ان تهاجم اسرائيل وحدها وتبدو امام العالـم اجمع أنها البادئة بالعدوان (٣٣) .

كما أعرب بـن جوريون عن قلقه أيضـا من فكرة أن تحارب إسرائيل وحـدها فى الايام الاولى للمـعركة قبل ان تتحرك الـقوات الانجلو فرنسيـة . فمصر تمتلك الآن قاذفـات قنابل سوفيتية مـن طراز اليوشين ٢٨ ، وقد تستخدمـها فى قصف المدن الإسرائيليـة قبل أن يدمر البريطانيون والفرنـسيون القوات الجوية المصرية . وأكد بينو أن المملـكة المتحدة لن تشترك مطلقـا ما لم تحصل علـى « الذريعه الإسرائيلـية » . وأردف بينو انه مـتفهم تماما لـقلق بن جوريون آزاء الأمن ، ولذا فإن فرنسا مستعدة لتقديم ضمانات عسكرية لإسرائيل (٣٤) .

ثم أبدى بن جوريون تحفظات أخرى ، إذ طلب ابلاغ ايزنهاور بالهجوم والحصول على موافقته . كما نصح أيضا بتأجيل الهجوم حتى تنتهى الانتخابات الأمريكية نظرا لأن أيزنهاور يخوض حملته الانتخابية على اساس انه مرشح السلام . وأردف بن جوريون أن الولايات المتحدة ستكون بذلك أكثر استعدادا لتقديم العون إلى إسرائيل الذى سوف تحتاجه بعد الانتخابات .

إلا ان جى موليه حذر بن جوريون بلهجة شابها بعض السخرية من الاعتماد على دعم الولايات المتحدة ، وقال هازئاً إن الولايات المتحدة تحتاج الى سنوات لكى تفهم مشاكل العلاقات الخارجية . كما قال بورجيس مونورى لبن جوريون إنه يمكنه الاعتماد على الأسطول الفرنسى فى الدفاع عن شواطىء إسرائيل ، وعلى الطائرات الفرنسية فى الدفاع عن سمائها . لكنه أردف قائلا إن فرنسا ستنسحب من العملية اذا لم تبدأ العمليات فى الأيام القليلة القادمة ؛ إذ يستحيل عليها الاستمرار فى وضع قواتها المسلحة وسفنها التجارية فى حالة استنفار لفترة طويلة ، وان الموعد النهائى هو بداية نوفمبر (٣٥) .

وأجاب بن جوريون بأنه لا يريد أن يقبل عار الهجوم أولا ، أو ان يتحمل مخاطر أن تحارب اسرائيل بمفردها لعدة أيام . وأضاف إنه من الحماقة الاستمرار فى المباحثات فى ظل هذه الظروف ، وبالتالى فسوف يغادر سيفر فى الصباح (٣٦) .

وعندما وصل لويد وسكرتيره الخاص دونالد لوجان إلى سيفر فى الساعة السابعة مساء ٢٣ اكتوبر التقى مع الفرنسيين أولا ليطلع على سير المباحثات ، الأمر الذى أثار غضب الإسرائيليين ويقول لويد فى مذكراته إنه عندما انضم أخيراً إلى الإسرائيليين « كان انطباعى الأول أن مكان الاجتماع هو غرفة مليئة بأناس منهكين للغاية ، راح معظمهم فى سبات عميق . وكان هناك شاب يغط فى نومه بصوت عال . وبدأ بن جوريون نفسه فى صورة غير طبيعية بالمرة » . ونظر لويد الى الإسرائيليين بتجهم وتحول الجو المنسجم الى فتور تام .

وتصافح بن جوريون ولويد ببرود . وبدأ واضحاً شعور لويد بعدم الارتياح واصراره على الإبقاء على مسافة بينه وبين الإسرائيليين . أما بن جوريون الذى لم ينس بعد النضال المرير بين البريطانيين واليهود فى الأيام الأخيرة للانتداب على فلسطين فقد بدأ منزعجا لوجود لويد . وتصور أن لويد يحاول معاملته « كخادم له »(٣٧) .

ولم يكن لـويد فى واقع الأمر سعيدا بـالتواطؤ مع الإسرائيلـيين ، بل إن ولاءه لإيدن ويأسه من التوصل الى حل لأزمة قناة السويس المستعـصية هما السببان الحقيقيان لوجوده فى سيفر . وبالتالى لم يكن مستعدا للمسـاومة مع بن جوريون أو الفرنسيين . وتركزت الكلمة الافتتـاحية التى ألقـاها لويد على المـباحثات التى أجـراها فـى الأمم المتحدة مـع وزير الخارجية المصرى محمـود فوزى والتى لم تحل شيـئا على حد تعبيره ، سوى مشكلة الملاحة فى القنـاة . ولكـن الاتفـاق لـن يضعف الـرئيس عـبد الناصر ، بـل سيـدعمـه فى واقـع الأمـر .

وقال إن حكومة المملكة المتحدة تريد الإطاحة بـالرئيس عبد الناصر ومن ثـم ستهاجم مصر مع فرنسا إذا هاجـمت اسرائيل أولا . وبهذه الطريقة البارعة ، جـعل لويد الأمر يبدو وكأن اسرائيل تتـحرك بصورة مستقلة تماما دون أى تـشجيع من المملكة المتـحدة . فالهجوم البريطانى لن يأت إلا كنتيجة للتحرك الاسرائيلى وليس بالتعاون معها [٣٨] .

وبعـد مناقشات حامـية وقـع وثيقة « سيفر » كل مـن بن جوريـون وبينو وباتريك دين . . . ونصت وثيقة سيفر على أن تهاجم اسرائيل أولاً وأن توجـه الملكة المتحدة وفرنسا « نداءين » – ولـيس إنذارين ، نظـراً لاعتراض بن جـوريون على مخـاطبة اسرائيـل بهذه اللهجة – إلـى مصر وإسرائيل فى اليوم التـالى ، وأن تهاجم القوات الجوية الأنجلـو فرنسية مصر خلال ٣٦ ساعة .

وقد أصرت المملكه المتحدة على أن تتعهد اسرائيل بعدم مهاجمة الأردن وهو ما وافق بن جوريـون على أن تـتضمنـه الورقة . وكـان بن جوريـون قد حصل عـلى ورقة أخـرى من بورجيس مونورى جـاء بها « تتعهد الحكومة الفرنسية بوضـع سرب من طائرات مستير ٤ ايه ، وسرب من المقاتـلات القاذفة من طراز اف ٤٨ فى اسرائيـل فى الفترة من ٢٩ الى ٣١ أكتوبر ١٩٥٦ لضمان الدفاع الجوى عن الأراضى الإسرائـيلية ، وبالاضافه الى ذلك سترابط سفينتان من الأسطول الفرنسى فى الموانئ الإسرائيلـية خلال نفـس الوقـت » وتحـددت ساعـة الصفر للهجـوم الإسرائيـلى لتكـون بعـد ظهر ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦[٣٩] .

وعاد بن جوريون الى اسرائيل يوم ٢٥ اكتوبر يحمل معه نسخة ممهورة من معاهدة سيفر السرية التى كـتب على قمتها جملـة لا تنشر إلى الأبد وجلس على السفور مع وزرائه الذين أحاطهم علـما بعزمه على إصدار أمـر التعبئة العامة لمـواجهة التحالف العـربى الجديد الذى

طـوق اسرائيل ووضعها فى خطر مباشـر وداهم . وهكذا وفى أقل من ٢٤ ساعة من توقيع معاهدة سيفر استعد المسرح لحرب قادمة (٤٠) .



كـما صدر القرار النهائى بتنفـيذ الخطة موسكتير المعدلة الـنهائية يوم ٢٥ أكتوبرفبدأت قوات العدوان التحرك من قـواعدها بالجزائر وجنوب فرنسا - كما استأنـفت طائرات المستير الفرنسية المتجهة إلى إسرائيل ما انقطـع من رحلاتها ، فمرت بمطار برنديزى الإيطالى ، ثم ليماسول القبرصى حتى وصلت الـى مطارات إسرائيل يوم ٢٨ اكـتوبر . واعلن ان تحركات الأسطول الفـرنسى البريطـانى ليست إلا تحركـات تمليها مطـالب التدريب وتحتـمها دواعى المناورات البريئـة . وقامت إسرائيل بتعبئة قـواتها سراً ، وعلى مراحل متتـالية ، استمرت

خمسة أيام وأعدت تدابيرها النهائية للحرب . وأخطـرت شركاءهـا ان بـدء عملية قـادش المعـدلـه سـوف يبدأ يوم ٢٩ اكتوبر (٤١) .

وبهذا أصبح بدء الخطة موسكتير المعدلة النهائية هو يوم ٧ أو ٨ نوفمبر . . وكان للتاريخ الأخير أهمية خاصة . . . فهو يعقب يوم الانتخابات الامريكية فى ٦ نوفمبر . . . وكان هناك شبه اعتقاد بأن ايزنهاور سوف يغض الطرف عنه (٤٢) .

وقد حفلت الأيام الأخيرة من شهر اكتوبر بسيل من الأحداث الجسام بالنسبة لرئيس الولايات المتحدة ووزير خارجيته . فلم يبق سوى أسبوعين فقط على الانتخابات . وبينما كانت بولندا والمجر على وشك التمرد ، أخذت اسرائيل تعبىء قواتها ، وواصل البريطانيون والفرنسيون حشودهم فى البحر المتوسط وتوقفت الاتصالات تماما بين هذه الدول وبين واشنطن (٤٣) .

وانتزعت أحداث المجر اهتمام واشنطن فجأة بعيداً عن الشرق الأوسط . ففى يوم الجمعة ٢٦ اكتوبر عقد مجلس الأمن القومى الامريكى اجتماعه رقم ٣٠١ منذ تولى ايزنهاور رئاسه الولايات المتحدة . وكانت المجر هى الموضوع الرئيسى المطروح على جدول الأعمال رغم إشارة الرئيس إلى تلك القائمة الطويلة من الأضطرابات التى يجب أن يعالجها كبار مسئولى الأمن فى الأمة . (لدينا تقارير متفرقة من سائر أنحاء العالم كلها تدعو الى القلق . فهناك شائعات - ثبت كذبها - عن اغتيال الملك حسين فى الأردن ، وأنباء عن أحـداث شغب فى سنغافوره وسخط خطير فى تونس والجزائر والمغرب . لكن الأنباء الأكثر الحاحا تتوالى من المجر) . وهو ما سيتغير بعد فترة وجيزة . وقدم آلان دالاس مدير المخابرات المركزية الامريكية تقريراً حول المعارك الأخيرة بين القوات السوفيتية وقوات المجر (٤٤) .

ثم انتقل ايزنهاور لمناقشة الموضوع الذى سيتداخل مع موضوع الانتفاضات الشيوعية خلال الايام الاخيرة للحملة الانتخابية : أى الشرق الأوسط . وقد اطلع فوستر دالاس مجلس الأمن القومى على الأحداث المزعجة للغاية التى تجرى فى الأردن بما في ذلك الإشاعة التى زعمت اغتيال الملك حسين .

أما مصدر الإشاعة فكان تصريحا لمصدر مطلع فى باريس وعلى الارجح أنها كانت محاوله من المخابرات الفرنسيه لمساعدة إسرائيل فى مخططها الرامى الى تضليل واشنطن

والقاهرة ودفعهما الي الاعتقاد بان الاستعدادات العسكرية الإسرائيلية كانت تستهدف الأردن وليس مصر (٤٥) .

وفى نفس يوم ٢٦ أكتوبر حضر آلان دالاس اجتماعا آخر أمام اللجنة الخاصة التابعة للمخابرات المركزية الأمريكية والتى تم تعيينها لفك طلاسم الأحداث الغامضة التى تجرى فى الشرق الأوسط . إذ بدا واضحا أن فرنسا واسرائيل على وشك القيام بشىء ما ، وهو ماينطبق أيضًا على المملكة المتحدة وفرنسا . فهل تعمل الدول الثلاث معاً ؟

وقد بعث عملاء دالاس في تل أبيب بتقاريرهم التى اكدت أن موشيه ديان قام بمهمة سرية خارج البلاد ومن باريس اشارت التقارير إلى اختفاء كبار اعضاء مجلس الوزراء ، ومن لندن انقطعت تماما عمليات تبادل المعلومات بين جهازى المخابرات البريطانى والأمريكى وهو الأمر الذى كان يجرى بصورة منتظمة بل إن رئيس مكتب اتصال المخابرات المركزية الأمريكية مع المخابرات البريطانية تشستر كوبر بعث الى واشنطن بتقرير قال فيه إن الاستقبال الحار الذى كان يحظى به فى كل اجتماع للجنة المخابرات المشتركة تحول الآن إلى برود تام . أما مفتاح اللغز الأخر المنذر بالخطر فقد كان رصد كمية كبيرة من الاتصالات اللاسلكية بين تل ابيب وباريس ، وهى مقدمة منطقية لأى حرب حديثه (٤٦) .

وأضاف آلان دالاس الى هذه النذر القائمة تقريراً أخر جاءه من السفير الأمريكى فى باريس أثناء عطلة نهاية الأسبوع ملخصه أن فرنسا والمملكة المتحدة وإسرائيل تستعد للهجوم على مصر عقب الانتخابات الامريكية وتعود اهمية هذه المعلومات الى أن مصدرها هو جاك شابان دلماس وزير الدولة الفرنسى وصديق السفير الأمريكى (٤٧) .

وقد تبين فيما بعد صدق هذه المعلومات إذ كانت القوات المسلحة للبلدان الثلاثة تتحرك بشكل واضح نحو أوضاع قتالية ، رغم أنه لم يتم التأكد عما إذا كانت تتحرك مجتمعة أو فرادى . وكشفت الصور التى التقطتها طائرات الاستطلاع من الارتفاعات الشاهقة طراز يو ٢ وطبعها ريشارد بيزل الرجل الذى طور برنامج هذه الطائرات ، الحشود البحرية البريطانية فى مالطا وقبرص . كما التقطت صور أخرى للإمدادات العسكرية الفرنسية أثناء شحنها على السفن فى مينائى مرسيليا وطولون .

وعلق بيزل على الصور تعليقا ساخراً بقوله (لا يبدو أن الحلفاء يحشدون سفنهم فى البحر المتوسط للاشتراك فى سباق للقوارب) كما أشار محلل آخر وهو روبرت آمورى نائب مدير المخابرات المركزية الأمريكية إلى أن ما يكنه ايدن من حقد للرئيس عبد الناصر قد وصل الى درجة جعلته يقرر -على الأرجح -الانضمام الى أى مشروع يرمى الى الإطاحة به (٤٨) .

وفى نفس يوم ٢٦ أكتوبر اتصل فوستر دالاس بالرئيس ايزنهاور تليفونيا لأخذ رأيه في أحداث المجر والشرق الأوسط حيث أشار ايزنهاور الى أن (التقارير الأخيرة تجمع على وجود عملية تعبئة واسعة للجيش الإسرائيلى) . واقترح دالاس أن يتصل الرئيس مباشرة بالحكومة الإسرائيلية لاستيضاح موقفها (٤٩) .

وكتب ايزنهاور في مذكراته يوم ٢٦ أكتوبر يقول (كيف نستطيع أن نبنى « سعود » كمنافس لـ "عبد الناصر " فى العالم العربى وفى نفس الوقت نكبح جماح حلفائنا الأطلسيين وهم على وشك أن يطلقوا العنان لحماقاتهم ؟ لقد عرض علىّ المستر هوفر وكيل الخارجية الأمريكية خطة لإسقاط الرئيس عبد الناصر تقوم بها إحدى وكالاتنا ولم اوافق عليها نظرا لسهوله كشفها) (٥٠) .

وفى يوم الأحد ٢٧ أكتوبر سجل الرئيس أيزنهاور فى مذكراته (جاءنى « فوستر دالاس » يقول إنه قابل عددا كبيرا من أعضاء مجلس الشيوخ وهم يرحبون بأن تتورط المملكة المتحدة فى الشرق الأوسط ، وأن تتوقف الملاحة فى قناة السويس حتى يضطر البريطانيون والفرنسيون الى شراء بترول أمريكى . وقد رددت عليه قائلا « من أين سيأتون بالمال لكى يدفعوا لنا ثمن هذا البترول » .

وأكثر من ذلك فقد طلب الرئيس أيزنهاور من وزير خارجيته فوستر دالاس أن يدعو السفير الإسرائيلى « أبا إيبان » إلى مكتبه ويبلغه رسالة منه إلى رئيس الوزراء الإسرائيلى بن جوريون تنص على « إذهب وقل لبن جوريون » إنه إذا كان سيمضى فيما يفعله الآن مطمئنا الى أننى سوف أسكت مراعاة للأصوات اليهودية فى الإنتخابات فإنه سوف يكون قد ارتكب خطأ كبيراً . إننى سوف أتصرف وفقا لمصالح الولايات المتحدة سواء فزت فى الانتخابات أو خسرت الرئاسة . قل لهم إن أهدافنا لا تختلف عن أهدافهم ولكننى لا أريد أن تتم

عمليـــة إزاحة « الرئيس عبـد الناصر » بوسائل الاستعمار القـــديم ، ووفقا لمصالحه[٥١] .

اذا لـم يـكـن هنـاك سـر خـفى عن الرئيس ايـــزنهاور ، بـل ان قـــراره يـوم ٢٧ أكتوبر بضرورة ترحيل كل الرعايا الامريكـيين من مصر قاطع فى دلالته أنه كان يعرف كل شىء وقد ترك للآخرين الحبل عـلى الغارب وعندما بـدءوا يلفونه حـول اعـناقهـم راح هـو يشد ليحكـم الخنـاق واختلفت لغتـه وتســارعت خطـــاه [٥٢] .

وتكشـــف وثائـق الخارجية المصرية تفاصيل خطيرة عن التـآمر على مصر . . ففى ٢٧ أكتوبر ١٩٥٦ أرسل السفيـر المصرى فى واشنطن أحمد حسين رسالة مهـمة وخطيرة لوكيل وزارة الخارجية المصرية وأرسل صوراً منها للرئيس عبد الناصر يخبرهم فيها بأن المستر هارى كيرن ذكر له أنه قابل المـستر سلوين لويد قبيل مغادرته نـيويورك حيث أوضح له أن دخول القوات البريطانية مصر أمر يسير الا أن الخـروج منها بعد ذلك صعب وأكد المستر كيرن أن الأنجليز يـبيتون الشر لمصر وأنـهم ينتظرون إجراء الانتـخابات الأمريكية حتـى لا يحرجوا الأمريكيين الآن [٥٣] .

وفى ٢٦ أكـتوبر ١٩٥٦ صـدرت الأوامر الابتدائـية ، وفى ٢٧ أكـتوبر وضعـت خطط العدوان موضـع التنفيذ ، فـصدرت الأوامر فـــــى هذا اليوم الى المجـموعه البرمائـية لقوة الهـجوم التى سبق ان تحـركت يوم ٢٢ أكتوبر ثم عـادت الى ميناء بون الجـزائرى يوم ٢٥ أكتوبر بالإبحار مرة ثانية وكما صدرت أوامر الاستـعداد الى لواء الفدائيين الثالث البريطانى المعسكـر فى مالطه ، ووصل الـى اسرائيل فى نفـس اليوم الخبراء العـسكريون الفرنـسيون المكلفون بصيانة طائـرات (المستير) التى ستقـوم بمهام « المظلة الجوية » للقوات الإسرائيلية اثناء زحفها فى سيناء .

وبصفة عـامة كان كل شىء علـى ما يرام ، وقد أخذت نتـائج محادثات سيـفر التى جرت يوم ٢٢و٢٣و ٢٤ أكـتوبر والتى انتـهت بما يسمونـه الآن بروتوكول « سيفـر » تؤتى ثمارها علـى النحو المرغوب . وظل الشك يـساور الأمريكيين فى ذلك الوقـت فى أن شيئا يوشك أن يحدث . .لذلك طلبوا من فرنسا والمملكة المتحدة وإسرائيل إيضاحات لما تحس أنه يجرى منهم فى الخفاء الا أنها تلقت تأكيدات بأن شيئا لايبيت فى السر[٥٤] .

الولايات المتحدة تتأكد :

فى ٢٧ أكتوبر ١٩٥٦ بعث السفير الأمريكى فى تل أبيب بتقرير الى حكومته قال فيه « إن هناك تعبئة عامة فى إسرائيل والموقف جد خطير » . وقد وصلت هذه المعلومات الى الرئيس أيزنهاور وهو فى مستشفى والتر ريد العسكرى فى واشنطن فأصدر تعليماته على الفور بإرسال رسالة إلى بن جوريون على أن يسلمها له السفير الأمريكى فى تل ابيب اشتملت على قلقه البالغ من التعبئة الإسرائيلية وخطورة ذلك على الوضع فى منطقة الشرق الأوسط .

كما لفت ايزنهاور نظر بن جوريون إلى خطورة الموقف وما سينشأ عنه من توتر ثم تدخل الولايات المتحدة على ضوء التصريح الثلاثى فى عام ١٩٥٠ . كما أخبره بأنه أصدر تعليماته لبحث هذا الموقف مع بريطانيا وفرنسا بالإضافة إلى أنه أرسل رجاء فى هذا الخصوص الى الدول الأخرى فى المنطقة لوقف أى عمل عدائى وقد أبلغت هذه الرسالة الى لندن وباريس [٥٥] .

وحالما أدركت واشنطن خطورة التعبئة الإسرائيلية ، وجّهت تعليمات عاجلة الى سفيرها بلندن وينثروب أولدريتش ليتحرى ما يحدث فى الشرق الأوسط . فرتب عشاءً مع سلوين لويد مساء الأحد ٢٨ أكتوبر ، وحضر كلاهما ومعه مستشاره السياسى وسأل اولدريتش لويد عن رأى المملكة المتحدة فى مغزى التعبئة فى إسرائيل فأجابه لويد بأنه لا يعرف ، وأن البريطانيين فى ظلام بالنسبة لذلك ، وأن الحكومة البريطانية قد حذرت الإسرائيليين بعدم الهجوم على الأردن . ثم سأله أولدريتش : هل إسرائيل ستهاجم مصر ؟ فأجاب سلوين لويد على هذا السؤال بقوله : ليس لدى أية معلومات على الإطلاق [٥٦] .

وفى ٢٨ أكتوبر ، وبعد أن تلقى أيزنهاور معلومات مزعجة من السفير الأمريكى فى تل أبيب ادوارد لوسون عن التعبئة الإسرائيلية الشاملة بعث برسالة إلى بن جوريون يقول فيها « أننى أذكرك بالمشروع السابق لدالاس وهو عدم اتخاذ خطوات عنيفة تهدد السلام فى الشرق الأوسط . وقد أرسل هذه الرسالة أيضا الى كل من لندن وباريس » [٥٧] .

وعندما وصل دالاس الى واشنطن يوم ٢٨ أكتوبر قادما من مدينة دالاس علم بتطورات الموقف الجديد ، وبأن التعليمات قد صدرت بإجلاء الرعَايا الأمريكيين عن إسرائيل واستدعى

دالاس السفير الإسرائيلى أبا إيبان فى نفس اليوم واستفسر منه عن أسباب التعبئة فرد إيبان أنها لأغراض دفاعية ثم استدعى القائم بأعمال المملكة المتحدة والقائم بأعمال فرنسا ، وقال لهما إذا بدأ القتال ستطلب الولايات المتحدة من الأمم المتحدة إيقافه ، إن استخدام القوه سيصبح نقطة سوداء تلطخ سمعة الغرب فى العالم وسيكون تدخلا غير مشروع يتعارض مع أحكام القانون الدولى (٥٨) .

وفى يوم ٢٨ أكتوبر أشارت الصحف إلى أن أسطولا قوياً من السلاح البحرى الملكى البريطانى غادر مالطة فى اتجاه الشرق الاوسط ، وكان هذا التحرك يهدف من الناحية الشكلية الى إجراء تدريبات ، بينما كان يهدف فى الواقع إلى التجمع عند النقطة " ى " وهى نقطه فى مكان ما فى البحر تقرر أن تتجمع عندها سفن الحملة التى ستحتشد أمام بور سعيد يوم ٧ أو ٨ نوفمبر ، وقد حصل الجنرال أندريه بوفر على هذا التاريخ المتقدم عنوة من الجنرال ستوكويل قائد القوات البريه أثناء المحادثات التى جرت بينهما فى باريس يوم ٢٦ أكتوبر، و قد أمكن فيما بعد إقناع لندن بتقديمه الى ٦ نوفمبر . وفى ٢٩ أكتوبر انتقل مركز قيادة القوة (أ) من الجزائر الى قبرص (٥٩) .

كانت واشنطن حتى هذه اللحظه تجهل تماماً أى معلومات عن لقاء سيفر ، لكن فى وقت متأخر من مساء يوم ٢٨ أكتوبر تجمعت أمام اللجنة الاستشارية للمخابرات دلائل كافية جعلتها تجزم بأن هدف التحركات الإسرائيلية هو مصر . وتم على الفور إرسال تحذيرات الى إيزنهاور وكل هيئات الأركان الأمريكية المشتركة بأن إسرائيل ستهاجم مصر « فى وقت قريب للغاية » وقد كان هذا هو أول تأكيد رسمى بأن هدف إسرائيل هو مصر وليس الاردن ولم يبق على الحرب سوى أقل من ٢٤ ساعه (٦٠) .

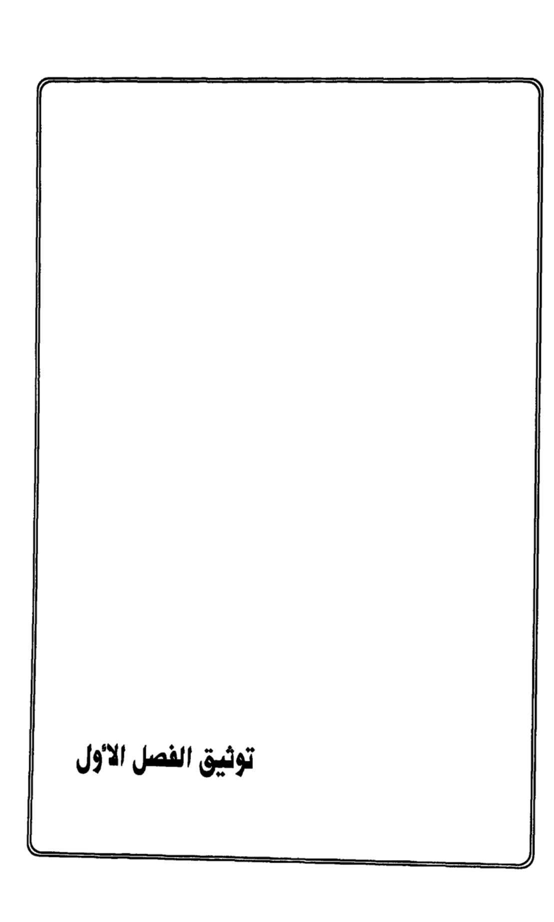
وفى صباح يوم الاحد ٢٨ أكتوبر وصلت الى همرشولد برقية سرية للغاية من الجنرال إيدسون بيرنز رئيس مراقبى الأمم المتحدة تحذر من أن التعبئة الجزئية فى إسرائيل والمبرر المعلن لها يشيران إلى تصاعد خطر اندلاع حرب شامله ومن الجدير بالملاحظه أنهم أشاروا إلى تجدد هجمات الفدائين الذين تحركهم مصر على أنه أحد أسباب التعبئه . ونظراً لرفض إسرائيل الأخذ بتحقيقات المراقبين العسكرين التابعين للأمم المتحدة ، فإن شيئاً لن يمنع القوات الإسرائيلية من المغالاة فى تضخيم ظروف أى حادث واستغلالها كذريعة للأعمال الانتقامية (٦١) .

وفى نفس الصباح التقى موشيه ديان مع بن جوريون لصياغة البيان الرسمى الذى سيصدر بعد بداية الهجوم واقترح ديان أن تكون الصياغة (حازمة ومتوعدة لكن ينبغى ألا تكشف عن نوايانا الحقيقية) . وبعد تعديلات عديده وافق بن جوريون على بيان موجز يقول (أعلن المتحدث العسكرى أن قوات جيش الدفاع الإسرائيلى قد دخلت الى منطقتى الكونتيلا ورأس النقب وتتقاتل الآن مع وحدات الفدائيين ، كما أنها احتلت مواقع غرب ملتقى طرق نخل قرب قناة السويس . وقد جاء هذا العمل رداً على اعتداء الجيش المصرى على خطوط المواصلات الإسرائيلية فى البر والبحر بهدف تدميرها وحرمان المواطنين الإسرائيليين من الحياة الآمنة .

ولم يقم الجيش المصرى بالطبع بأى أعمال عدوانية ، لكنها كانت الذريعة للتدخل الأنجلوفرنسى (٦٢) .



وفى نفس الصباح وافق بن جوريون على نص البيان الرسمى



توثيق الفصل الأول

(*) روبرت منزيس - رئيس وزراء استراليا .

(١) صلاح بسيونى - مصر وأزمة السويس ، ص ١٢٧ .

(٢) المصدر السابق ، نفس المكان ، انظر كذلك محمود فوزى - حرب السويس ١٩٥٦ ، ص ٥٩ - ص ٦١ .

(٣) وثائق الخارجية المصرية - غير منشورة - إدارة الأبحاث ، قسم النشرات ، نشرة خاصة عن العدوان الثلاثى على مصر بتاريخ ٢٩ ديسمبر ١٩٥٦ ، سرى جداً ، ص ٢ ، انظر كذلك :

Mahmoud Fawzi – The Suez War, 1956, pp. 94–96.

(٤) صلاح بسيونى - مصر وأزمة السويس ، ص ١٢٧ ، انظر كذلك ايدن ، انتونى - مذكراته ، الجزء الأول ، ص ١٢٥ .

(٥) ايدن ، انتونى - مذكراته ، الجزء الأول ، ص ١٣٥ ، انظر كذلك بن جوريون ، دافيد - إسرائيل تاريخ شخصى ، إعداد مركز البحوث والمعلومات ، ص ٢١٧ .

(٦) أزو ، هنرى - فخ السويس ، ص ٢٦٧ ، انظر كذلك :

Robertson, Terence – Crisis, pp. 126–128.

(٧) صلاح بسيونى - مصر وأزمة السويس ، ص ١٢٨ - ص ١٢٩ .

(٨) وثائق الخارجية المصرية - غير منشورة - تقرير كتبه وكيل إدارة الأبحاث بالخارجية المصرية ، يوم ٢ اكتوبر ١٩٥٦ ، ورفع إلى الدكتور محمود فوزى وزير الخارجية ، انظر كذلك محمود رياض - مذكراته ، الجزء الأول ، الجزء الثانى ، أماكن متفرقة .

(٩) صلاح بسيونى - مصر وأزمة السويس ، ص ١٢٩ - ص ١٣٠ ، انظر كذلك محمد حسنين هيكل - ملفات السويس ، ص ١٢٨ - ص ١٢٩ - ص ١٣٠ ، بارزوهار ، ميشيل - حرب السويس ، مصلحة الاستعلامات ، ص ٦٧ - ص ٧٣ .

Barker, A.T. Suez the Seven Days War, London 1969, pp. 77–79.

(١٠) محمود رياض - مذكراته ، الجزء الثانى ، الأمن القومى العربى بين الانحياز والفشل ، ص ١٤٧ - ص ١٥٠ ، انظر كذلك صلاح بسيونى - مصر وأزمة السويس ، ص ١٣٥ - ص ١٣٨ .

(١١) صلاح بسيونى - مصر وأزمة السويس ، ص ١٣٢ .

(١٢) المصدر السابق نفسه .

Mahmoud Fawzi – The Suez War, 1956, p. 75, see Also.

(١٣) وثائق الخارجية المصرية - غير منشورة - برقية مرسلة من السفير عمر لطفى المندوب المصرى الدائم فى الأمم المتحدة ، إلى وزير الخارجية الدكتور محمود فوزى برقم ٤٣٤٤ - ٤٣٤٥ بتاريخ ١٧ سبتمبر ١٩٥٦ ، انظر كذلك محمود فوزى - حرب السويس ١٩٥٦ ، ص ٧٩ .

(١٤) صلاح بسيونى - مصر وأزمة السويس ، ص ١٣٣ ، انظر كذلك :

Mahmoud Fawzi – The Suez War, 1956, pp. 88–89.

(١٥) وثائق الخارجية المصرية - غير منشورة - برقية من السفير عمر لطفى إلى الدكتور محمود فوزى برقم ٤٣٤٨ - ٤٣٤٩ بتاريخ ، ٢٥ سبتمبر ١٩٥٦ .

(١٦) صلاح بسيونى - مصر وأزمة السويس ، ص ١٣٤ .

(١٧) وثائق الخارجية المصرية - غير منشورة - اتصالات الدكتور محمود فوزى فى نيويورك أيام ٣ ، ٤ أكتوبر ١٩٥٦ ، برقية مكتب نيويورك فى ١٩٥٦/١٠/٤ برقم ٤٧٠٤ / ٤٧١٧ .

(١٨) نفس المصدر السابق ، مقابلة بين الدكتور محمود فوزى وداج همرشولد يوم ٤ أكتوبر ١٩٥٦ بمكتب همرشولد .

(١٩) وثائق الخارجية المصرية - غير منشورة - مقابلة بين الدكتور محمود فوزى وداج همرشولد بمكتب الأخير فى الأمم المتحدة مساء يوم ٤ أكتوبر ١٩٥٦ .

(٢٠) Neff, Donald – Warriors At Suez War 1956, pp. 97–98.

انظر كذلك محمود فوزى - حرب السويس ١٩٥٦ ، ص ٨٠ .

(٢١) Mahmoud Fawzi – The Suez War 1956, pp. 97–98.

(٢٢) Ibid, pp. 97–98, See Also, Fimer, Herman, Dulles Over Suez, London, 1964, pp. 701–705.

(٢٣) وثائق الخارجية المصرية - كلمة الدكتور محمود فوزى أمام مجلس الأمن ، يوم ٨ أكتوبر ١٩٥٦ . انظر كذلك :

Mahmoud Fawzi – The Suez War, 1956, pp. 98–99.

(٢٤) Mahmoud Fawzi – Ibid, pp. 702–707, See Also, Neff, Donald – Worriors At Suez, pp. 429–432.

(٢٥) وثائق الخارجية المصرية - غير منشورة - مجموعة وثائق أزمة السويس ، برقية مكتب نيويورك رقم ٤٨٦٩ بتاريخ ١٢/ ١٩٥٦/١٠ .

(٢٦) نفس المصدر السابق ، برقية مكتب نيويورك رقم ٤٨٧٠ بتاريخ ١٣/ ١٩٥٦/١٠ ، انظر كذلك صلاح بسيونى - مصر وأزمة السويس ، ص ١٥٠ - ص ١٥١ ، محمود فوزى - حرب السويس ١٩٥٦ ، ص ٨٤ - ص ٨٥ .

(٢٧) United Nations – Official Record of the General Assembly Emergency and Ordinary Meeting . Security Council Official Record and Annexes, Also as a Summary, Year Book of the United Nations, 1956.

(٢٨) Mahmoud Fawzi – The Suez War 1956, pp. 104–105, See Also, Neff, Donald – Worriors At Suez, pp. 435–437, Eden, Anthony – Full Circle, pp. 375–378.

(٢٩) Neff, Donald – Op.Cit., pp. 442–444.

(٣٠) Ibid, p. 445, See Also Eisenhower, Dwight – Waging Peace, 757–775.

(٣١) صلاح بسيونى - مصر وأزمة السويس ، ص ١٦٨ ، انظر كذلك :

Neff, Donald – Warriors At Suez, pp. 446–448, Fimer, Herman, Dulles Over Suez, London, 1964, pp. 722–724.

(٣٢) Neff, Donald – Ibid, pp. 450–453, See Also :

صلاح بسيونى – مصر وأزمة السويس ، ص ١٨٦ – ص ١٨٧ .

Robertson, Terence – Crisis, pp. 765–767.

(٣٣) Neff, Donald – Warriors at Suez, pp. 456–459, see Also Robertson, Terence – Crisis, pp. 189–193.

(٣٤) Childers, Erskine – Road To Suez, pp. 202–204, See Also : Neff, Donald – Op.Cit., p. 460.

(٣٥) Ben–Gurion, David – Israel : A Personal History, pp. 227–233.

(٣٦) Neff, Donald – Op.Cit., pp. 462–464.

(٣٧) Ben–Gurion, David – Israel : A Personal History, pp. 208–221.

(٣٨) Lloyd, Selwyn – Suez 1956, pp. 722–724, See Also : Neff, Donald – Op.Cit., pp. 466–468.

(٣٩) Lloyd, Selwyn – Op.Cit., pp. 726–728, See Also : Robertson, Terence – Crisis – The Inside Story of the Suez Conspiracy, London 1964, pp. 112–114.

(٤٠) Neff, Donald – Op.Cit., pp. 471–472, See Also : Ben–Gurion, David – Israel : A Personal History, pp. 768–769, Dayan, Moshe – Diary of The Sinai Campaign, pp. 722–724, Dayan, Moshe Story of My Life, pp. 66–68.

(٤١) وثائق الحربية المصرية – غير منشورة – ملف رقم ٩٨ ، فكرة الخطة موسكيتر المعدلة النهائية ، انظر كذلك روبرتسن تيرنس – الأزمة ، قصة مؤامرة العدوان الثلاثى على مصر ، ص ٤١ – ص ٤٢ .

(٤٢) المصدر السابق نفسه .

(٤٣) المصدر السابق نفسه ، انظر كذلك :
Dupuy, Trevor – Elusive Victory : The Arab–Israeli War 1947–1974, pp. 189–191.

(٤٤) Neff, Donald – Warriors at Suez, pp. 502–503, See Also : Fimer, Herman – Dulles Over Suez, pp. 732–734.

(٤٥) Eisenhower, Dwight – The White House Years, pp. 115–117, See Also : Nutting, Anthony – Nasser, pp. 89–91.

(٤٦) Eisenhower, Dwight, Op.Cit., pp. 122–124.

(٤٧) Eisenhower, Dwight – The White House Years, pp. 653–755, See Also : Nutting, Anthony – No End of a Lesson, pp. 89–92, Childers, Childer, Erskine – The Road to Suez, pp. 210–214.

(٤٨) Eisenhower, Dwight – Op.Cit., p. 158, See Also : Heikal, Mohamed – Nasser, The Cairo Documents, pp. 89, 94, Fimer, Herman – Dulles Over Suez, pp. 157–159, Neff, Donald – Warriors at Suez, pp. 502–506.

(٤٩) Neff, Donald – Ibid, pp. 508–509, See Also : Nutting, Anthony – No End of a Lesson, pp. 788–789.

(٥٠) Neff, Donald – Op.Cit., p. 511, See Also : Fimer, Herman – Dulles Over Suez, pp. 202–204.

(٥١). Eisenhower, Dwight – The White House Years, pp. 276–277, See

(٥٢) Eisenhower, Dwight – The White House Years, pp. 220–223, See Also Hughes, Emmet John – The Ordeal of Power, pp. 87–89.

(٥٣) Eisenhower, Dwight – Op.Cit., p. 224, See Also : Nutting Anthony – Nasser, pp. 164–167, Heikal, Mohamed – Nasser, Op.Cit., pp. 102–105.

(٥٤) رسالة من السفير أحمد حسين إلى وكيل وزارة الخارجية المصرية الدائم ، أرسلت صورة منها إلى الرئيس عبد الناصر بتاريخ ٢٧ أكتوبر ١٩٥٦ .

(٥٥) أزو ، هنرى – فخ السويس ، ص ٢٥٣ – ٢٥٥ ، انظر كذلك :
Finer, Herman – Dulles Over Suez, pp. 242–248, Neff, Donald – Op.Cit., pp. 494–496.

(٥٦) Eisenhower, Dwight – The White House Years, 215–221, See Also : Brecher Michael – Decisions in Istael's Foriegn Policy, pp. 155–157.

(٥٧) Mahmoud, Fawzi – The Suez War 1956, pp. 120–121.

(٥٨) Eisenhower, Dwight – The White House Years, pp. 235–238, See Also : Mahmoud Fawzi – The Suez War 1956, pp. 122–123.

(٥٩) Finer, Herman – Dulles Over Suez, pp. 184–186.

انظر كذلك صلاح بسيونى – مصر وأزمة القناة ، ص ٢١٠ .

(٦٠) Neff, Donald – Op.Cit., pp. 421–423, See Also : Beaugre, Andre, The Suez Expedition 1956, pp. 194–197, Childers, Erskine – The Road to Suez, pp. 213–216.

انظر كذلك بوفر ، أندريه – حملة السويس ، ترجمة المخابرات العامة ، ص ١٢٢ ص ١٢٧ .

(٦١) Neff, Donald – Op.Cit., pp. 433–436, See Also : Robertson, Terence Crisis, pp. 141–144.

(٦٢) United Nations, Year Book of the United Nations, 1956.

(٦٣) دايان ، موشى - يوميات معركة سيناء ، ص ١٣٩ - ١٤٢ ، انظر كذلك :
Dayan, Moshe – Story of My Life, London 1971, pp. 62–64,
Ben–Gurion, David – Israel : A Personal History, pp. 102–103,
Childer, Erskine – The Road to Suez, London 1962, p. 54.

الفصل الثانى

العـــــــدوان

تمهيد - العدوان - خطة الهجوم الإسرائيلى - التحرك الامريكى - الإنذار الانجلوفرنسى - مصر ترفض الإنذار - قنابل الطائرات الانجلو فرنسية تؤكد التواطؤ - التحرك الانجلو فرنسى - قبول إسرائيل وقف النيران - تطور تصدع التواطؤ - تواطؤ ثنائى جديد - التعليمات الاخيرة - العملية المحمولة جوا والإبرار - المعتدون يطلبون هدنة - أكاذيب فى مجلس العموم والامم المتحدة - موقف الجبهة الداخلية المصرية - تعليق •

تمهيد :

بعد انتهاء جلسات مجلس الأمن من النظر فى تأميم مصر شركة قناة السويس لم يعد أمام إيدن وموليه إلا المفاوضة التى طالما دعت إليها مصر، والتى أخذ همرشولد يعد لها العدة فبدأت دعايتهما بتسميم الجو والزعم بأن الدور على مصر لتتقدم باقتراحاتها - ثم - خشية من افتضاح الحقيقة - طالبتا باقتراحات مكتوبة ثم - إمعاناً فى التمويه - اتجهت دعايتهما إلى وجوب تقديم مصر اقتراحات كافية ! ولم يعقد الاجتماع الذى كان مقدراً له أن يتم بواسطة همرشولد بجنيف يوم ٢٩ إكتوبر ١٩٥٦ إذ وقع العدوان الثلاثى فى عصرذلك اليوم .

والواقع أن المملكة المتحدة وفرنسا لم تقبلا استئناف مباحثات نيويورك ، لأن الحل الذى لا تكونان فيه الطرف الأقوى سيكون لصالح مصر ومؤيداً للتأميم الذى بدأ الرأى العام العالمى يتقبله خاصة وأن الملاحة فى القناة انتظمت تماماً رغم مؤامراتهما التخريبية .

ومن ناحية أخرى كانت مصر تدعم مركزها بدعوتها القوية للتحرير ، وإعلانها سياسة عدم الانحيـاز ، وعقدها صفقـات الأسلحة مـن التـرسانة الشرقيـة مما أكد زعامتهـا للشرق العربى ، فآمـــن الاستعمار أن ساعته قـــد دنت سـواء فى الجزائر - بالنسـبة لفرنسا - أو بالنسبة للمصالح الاقتصادية الكبرى للمملكة المتحدة - وهكذا سارت سياسة الغرب ومطامع إسرائيل فى اتجاه واحد إلى أن بلغتا نقطة الالتقاء ، وهى ضرورة هزيمة مصر وتحطيم النظام التحررى القائم فى القاهرة وكسر شوكة قواتها العسكرية المضطردة القوة والنمو .



وفى نفس الوقت اجتمع أقطاب حكومتى المملكة المتحدة وفرنسا

إيدن وموليه وبينو

وفى نفس الوقت الذى اجتمع فيه أقطاب حكومتى المملكة المتحدة وفرنسا لتجديد شباب الاتفاق الودى المنعقد بينهما عام ١٩٠٤ ، توالت الأنباء عن زيادة تحركات اساطيل الدولتين نحو شرق البحر المتوسط واستغلت الدعاية الغربية كل فرصة سانحة لاتهام مصر وتجريحها - كما وقع فى حادث الباخرة آتوس - وذلك بغرض تعبئة الرأى العام داخل بلادهما وفى العالم أجمع ضد مصر وإعداده لقبول العدوان عليها .

وعندما أعلنت إسرائيل التعبئة العامة لاحت طلائع العدوان فى الأفق ، وزاد بن جوريون كعادته من التباكى على السلام واتهام مصر بانتهاكه بتحالفاتها الثنائية مع شقيقاتها العربية وزيادة هجمات الفدائيين العرب على إسرائيل ، مع خطورة الوضع فى المنطقة بعد عقد مصر صفقة الاسلحة التشيكية التى أخلت بموازين القوى فى المنطقة .

كما أخذت أبواق الدعاية الغربية - وخاصة البريطانية - تحذر من خطورة الوضع فى الشرق الأوسط مما دعا الرئيس إيزنهاور إلى تحذير بن جوريون من تهديد السلام فى المنطقة .

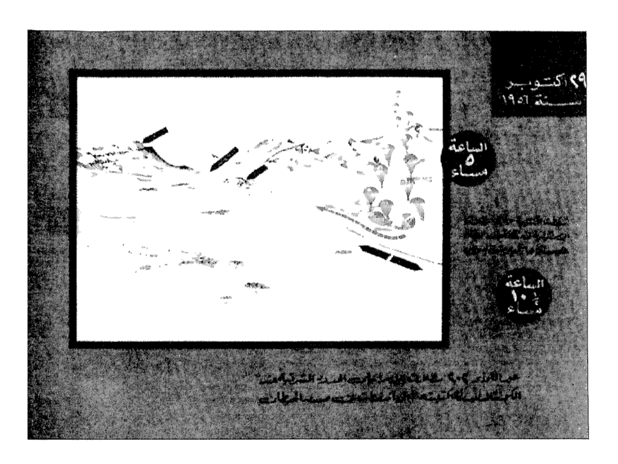
العدوان

بدأ العدوان الإسرائيلى على الأراضى المصرية فى سيناء فى الساعة الخامسة من بعد ظهر يوم ٢٩ اكتوبر ١٩٥٦ ، وهو نفس موعد المفاوضات المتفق عليها بجنيف .وقد بدأ هجوم إسرائيل بإسقاط كتيبة مظلات فوق الممر الشرقى لممر متلا لتخلق الذريعة للتدخل الأنجلوفرنسى على نحو ما اتفق عليه فى بروتوكول سيفر .

كان التحرك العسكرى الإسرائيلى مفاجئاً للقيادة المصرية التى لم تجد سبباً واضحاً يبرره فى هذا التوقيت بالذات فقد كان الموقف على خطوط الهدنة المصرية الإسرائيلية هادئاً طوال الأسابيع الأخيرة ، فمنذ بدأت أزمة القناة ولاح خطر التدخل العسكرى الأنجلوفرنسى فى منطقتها - تقرر سحب مجموعة الجيش الرئيسية من سيناء وترك ٦ كتائب فيها فقط حتى لاتنعزل قوات سيناء عن الدلتا إذا ما قامت القوات الأنجلوفرنسية بهجوم يستهدف قناة السويس .

وقد وزعت تلك الكتائب الست التى بقيت فى سيناء قرب خط الحدود الشرقية حيث تمركزت كتيبتان فى منطقة (أم قطف) وكتيبتان فى منطقة (الشيخ زويد) مع بقاء كتيبتين فى

الخلف فى منطقة (العريش) فضلاً عن قوات الحرس الوطنى وحرس حدود فلسطين الموجود بقطاع غزة .



وكانت المواقع المصرية شبه خالية إلى درجة دفعت الجنرال (بيرنز) كبير مراقبى الهدنة إلى أن يكتب تقريراً لـ (داج همرشولد) السكرتير العام للأمم المتحدة يقول فيه (إن تقلص حجم القوات على الخطوط المصرية يمثل إغراءً شديداً لإسرائيل) إلا ان الرئيس عبدالناصر استبعد أن تنزلق إسرائيل إلى هذا الإغراء فى تلك المرحلة [١] .

وكان تقدير الرئيس عبدالناصر وقت أن اشتد خطر التدخل الأنجلو فرنسى أن إسرائيل سوف تتردد عن التورط فيه حفاظاً على صورتها أمام الرأى العام العالمى ، واستبعد أن تقوم بدور التابع لاثنتين من الدول الاستعمارية الكبرى كما كان تقديره بعد تراجع خطر التدخل الأنجلوفرنسى عقب انتهاء مناقشات مجلس الأمن أن إسرائيل لن تسارع

بالعمل المسلح والا فإنها سوف تظهر نفسها فى صورة من يعيد تأزم الموقف فى الشرق الاوسط بعد أن بدت احتمالات انفراجه خاصة ، وأن ذلك سوف يعرضها للوم شديد ، ويضعها فى موقف سياسى سيئ سوف تحرص على تجنبه [٢] .

توجه الرئيس عبدالناصر إلى مقر القيادة العامة للقوات المسلحة فى كبرى القبة وهو مازال يتساءل عن أهداف الهجوم الإسرائيلى مستبعداً احتمال تواطؤ إسرائيل فى عمل مشترك مع المملكة المتحدة وفرنسا ، ومن الغريب أنه لم يشك فى هذا التواطؤ حتى بعد أن قرأ نص البيان الإسرائيلى عن نزول المظلات الإسرائيلية فى صدر الحيطان التى تبعد نحو ٦٥ كيلو متراً شرق قناة السويس ولم يكن يستبعد تورط إيدن أو موليه فى التواطؤ لحسن ظنه بهما ولكن لأن مجرد شبهة التواطؤ مع إسرائيل كفيلة بإسقاط كل نظم الحكم الموالية لهما فى الوطن العربى وزيادة النقمة عليهما فيه [٣] .

لقد رجح الرئيس عبدالناصر أنه إذا أرادت المملكة المتحدة وفرنسا غزو مصر فإنه من الخير لهما مهما كانت المصاعب والمشاق أن تجيئا إلى مسرح العمليات جهاراً نهاراً فى استعراض قاطع للقوة . وينطبق ذلك أيضاً على إسرائيل ، فإذا أرادت أن تهاجم فما عليها إلا ان تستغل أكداس السلاح الذى حصلت عليه فتخترق حدود مصر بمفردها وتقوم بعملية محدودة ، أما أن يتواطأ الثلاثة على تنفيذ خطة سرية على النحو الذى كشفت عنه الأيام فقد ظل الرئيس عبد الناصر يستبعده لساعات طويلة [٤] .

ولهذا كانت قراراته عندما وصل إلى القيادة العامة للقوات المسلحة أن تدفع القوات المصرية لمواجهة هجوم إسرائيل .

خطة الهجوم الإسرائيلى

كانت الخطة الإسرائيلية التى لخصها الجنرال موشيه ديان فى كتابه يوميات معركة سيناء ووجدت بعض تفاصيلها فى حطام طائرة البريجادير الاسرائيلى عساف سمحونى الذى سقطت طائرته داخل الأردن تتلخص فيه إسقاط كتيبة مظلات من اللواء ٢٠٢ مظلات فوق صدر الحيطان ثم يزحف باقى اللواء على محور الكونتيلا - نخل - صدر الحيطان لينضم إلى الكتيبة التى أسقطت شرق ممر متلا .



اللواء ٢٠٢ المظلى يخترق الحدود المصرية فى الكونتلا
لينضم إلى الكتيبة التى اسقطت شرق متلا

وبعد تنفيذ الضربة الجوية الأنجلوفرنسية تتقدم المجموعة ٣٨ عمليات بقيادة البريجادير يهودا والاش ، والمكونة من اللوا ء السابع المدرع واللواء الرابع المشاة ، واللواء السابع والثلاثين الميكانيكى للاستيلاء على أم قطف بينما تتقدم المجموعة ٧٧ عمليات بقيادة البريجادير حاييم بارليف والمكونة من اللواء السابع والعشرين المدرع واللواء الأول المشاه ، واللواء الحادى عشرالمشاه لاحتلال رفح والعريش ثم تواصل المجموعتان الزحف حتى يصلا إلى ١٦ كيلومتر شرق القناة حيث يتوقفا هناك وفى الجنوب تتقدم مجموعة اللواء التاسع الميكانيكى بقيادة البريجادير إبراهام بوفيه من ايلات الى شرم الشيخ (٥) .

التحرك الامريكى :

اتصل جون فوستر دالاس هاتفياً بكابوت لودج المندوب الأمريكى بالأمم المتحدة بعد

٤٠ دقيقه من إذاعة أنباء الهجوم الإسرائيلى ، واخطره باختراق القوات الإسرائيلية بقوة غير معروف حجمها وهل هى مجرد إغارة انتقامية أم حرب سافرة وكان المستر دالاس قد استدعى السفيرين الفرنسى والبريطانى ليجس النبض عما اذا كانت حكومتهما ستتحرك داخل الأمم المتحده لمطالبة إسرائيل بالانسحاب أم لا[٦] وفى نفس تلك الليله أعلن المتحدث باسم البيت الابيض أن الولايات المتحدة ستلتزم بتعهدها بمساعدة ضحية أى عدوان فى الشرق الأوسط ، وأن الحكومة الامريكية ستطلب انعقاد مجلس الأمن . وكان الموقف فى واشنطن مشحونًا ويعبر عن السخط والحنق لما تقوم به إسرائيل مع الشك فى نوايا المملكة المتحدة وفرنسا ، وقد انهالت الاستفسارات على لندن وباريس عما يعتزمانه مصحوبة بالتحذير من اى عمل عسكرى ، والتاكيد بأن الولايات المتحدة سوف تقف ضده[٧] .

ولدى وصول الرئيس إيزنهاور إلى البيت الابيض وجد فى انتظاره كبار المسئولين الأمنيين ، الأخوين دالاس ، ووزير الدفاع تشارلز ويلسون ، ورئيس هيئة الأركان المشتركة الادميرال راد فورد وآخريسن . وأمر إيزنهاور دالاس بإرسال برقية صارمة اللهجة إلى الإسرائيليين . وقال الرئيس « حسناً ، فوستر عليك أن تقول لهم عليهم اللعنة ، إننا سنفرض عقوبات عليهم ، وإننا سنذهب إلى الامم المتحدة ،وسنبذل أقصى ما فى وسعنا لإيقاف هذا الشئ »[٨] .

درس الرئيس أيزنهاور مع مستشاريه الهجوم الاسرائيلى من جميع جوانبه ، ولكن لم تتضح بجلاء العلاقة بين الهجوم الاسرائيلى وحشود قوات الغزو الأنجلوفرنسية . لقد تصور عديد من المسئولين الذين حضروا الاجتماع الطارئ فى البيت الابيض أن إسرائيل تقوم بعمل لجس النبض . وظن البعض أن القوات الإسرائيلية ستتحرك بسرعة إلى قناة السويس ، وأن الأمر برمته لن يستغرق سوى ثلاثة أيام . ولم يوافق فوستر دالاس على وجهتى النظر كلتيهما . وإنتهى الاجتماع بعد ساعة حيث تقرر استدعاء القائم بالأعمال البريطانى المستر كولسون ، إلى البيت الأبيض ، للاجتماع بالرئيس إيزنهاور ودالاس . واخطر أيزنهاور كولسون " بأن موقف الولايات المتحدة من المملكة المتحدة مرهون بالتطورات الجارية فى الشرق الأوسط . وأنه يشعر بضرورة الالتزام بدعم الطرف الذى يتعرض للعدوان ، على نحو ما سبق تأكيده فى الربيع الماضى ، عندما رفضت الولايات المتحده تزويد مصر أو إسرائيل بالاسلحة . واثناء هذا الاجتماع أصدر السكرتير الصحفى للرئيس إيزنهاور المستر هاجرتى بياناً شديد اللهجة قال فيه إن الرئيس الامريكى قد اخبر القائم بالأعمال البريطانى

أن " الولايات المتحده كانت قد تعهدت بمساعدة الطرف الذى سيتعرض للعدوان فى الشرق الأوسط ، وهى عازمة على الوفاء بتعهدها هذا " (٩) .

الإنذار الانجلو فرنسى :

حتى صباح يوم ٣٠ أكتوبر كان الرئيس عبدالناصر لا يزال يستبعد احتمال التواطؤ . ولم تمض غير ساعات قليلة حتى دعيا السفيران المصريان فى لندن وباريس إلى وزارتى الخارجية فى العاصمتين لكى يتسلم كل منهما إنذاراً بريطانيا - فرنسياً يطالب كلاً من مصر وإسرائيل بالانسحاب بعيداً عن قناة السويس لمسافة عشرة أميال حتى لا يتعرض هذا المرفق الدولى المهم للخطر من جراء القتال الدائر عن كثب منه ، وبناء على ذلك فإنهما يطلبان من حكومة مصر أن :

١ - توقف فوراً كل الأعمال الحربية فى البر والبحر والجو .

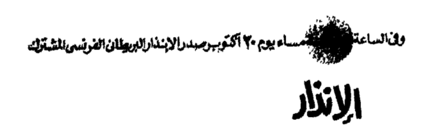
٢ - تسحب كل القوات المصرية إلى مسافة عشرة أميال غرب القناة .

٣ - حتى يمكن ضمان حرية مرور سفن جميع الدول فى القناة ، وحتى يمكن فصل القوات المتحاربة ، تحتل القوات البريطانية والفرنسية مواقع رئيسية فى بورسعيد والإسماعيلية والسويس ، وكانت الساعة السادسة مساء الثلاثاء ٣٠ أكتوبر ١٩٥٦ ، عندما صدر هذا الإنذار المشترك .

كما طلبت حكومتا المملكة المتحدة وفرنسا رداً على هذه المكاتبة خلال اثنتى عشرة ساعة. وإذا انتهى هذا الوقت قبل أن تتعهد إحدى الحكومتين أو كلتاهما بتنفيذ هذا الإنذار ، فإن قوات المملكة المتحدة وفرنسا ستتدخل بأية قوات تراها ضرورية لضمان التنفيذ (١٠) .

وشعر تريفليان سفير المملكة المتحدة بغاية الحرج إذ لم يعلم بالإنذار الأنجلوفرنسى إلا فى وقت متأخر من عصر يوم ٣٠ أكتوبر ، عندما لفت نظره أحد مرؤوسيه إلى أن جهاز التيكر يحمل معلومات مهمة عن توجيه إنذار أنجلوفرنسى إلى القاهرة وتل أبيب ثم تسليمه لسفيرى الدولتين فى لندن وباريس(١١) .

وصار استدعاء تريفليان لمقابلة الرئيس عبدالناصر حيث وجد معه الدكتور فوزى وزير الخارجية وبادره الرئيس عبدالناصر قائلاً بهدوء " أهذا هو إنذاركم ؟ فأجابه تريفليان " لم يقل أحد إنه إنذار بل هو مجرد رسالة ترمى إلى التدخل لوقف القتال وحماية القناة " .



ان حكومتى المملكة المتحدة وفرنسا تطالبان الحكومة المصريه :

١ ـ بوقف جميع العمليات الحربية فى البر والبحر والجو وخلافه .

٢ ـ بان تسحب جميع القوات المسلحة المصريه الى مسافة عشرة اميال من القناه .

٣ ـ بان تقبل الاحتلال المؤقت للمواقع الحيويه فى بورسعيد والاسماعيلية والسويس بواسطة القوات الانجليزية والفرنسيه وذلك حتى تتسنى ضمان حرية مرور سفن جميع الدول عبر القناه ، وحتى يمكن الفصل بين المتحاربين .

ان حكومتى المملكة المتحدة وفرنسا تطالبان بالرد على هـذا التبليغ فى خلال اثنتى عشرة ساعه . وفى حالة انتهاء هذا الوقت دون قيام احدى الدولتين او كليهمـا بالاذعان لتلك الطلبات فان قوات المملكة المتحدة وفرنسا ستتدخل بالدرجه الكافية لضمان الاذعان .

ورد الرئيس عبد النـاصر " إن بإمكاننا أن ندافع عن القناة ، ولسـوف ندافع عنها غداً ضد إسرائيل ، وضد آخرين " (١٢) .

مصر ترفض الإنذار :

رفضت مصر الإنذار الأنجلـوفرنسى بعد مناقشات فى مجلـس الوزراء ، تبين خلالها أن الرئيس عبـد الناصر لم يأخذه مأخذ الجـد ، إذ كان يرجح أن الغرض منه أن تحـتفظ مصر بالجزء الأكبـر من قواتها المسلحـة دون دفعها إلى أرض المعركـة فى سيناء فتتيـح لإسرائيل بذلك أن تحقق النصر نتيجة ضعف وقلة القوات التى تواجهها (١٣) .

ثم أصدرت القيادة العامة المصريه بلاغا رسمياً من الإذاعة المصرية ، بعد منتصف الليل عن سيـطره القوات المـصرية على المـوقف الذى نشأ عـن عدوان إسرائيـل ، وأكدت عدم تعرض قناة السويس لأى تهديد عسكرى ، وأن قوافل الـسفن تعبر القناة بأمن كامل وسلامة تامه ، وأن القوات المصرية المسلحة قادرة على حماية قناة السويس تحت كل الظروف (١٤) .

قنابل الطائرات الانجلو فرنسية تؤكد التواطؤ:

والآن بدا شبح التواطؤ مـاثلاً للعيـان ولكن جمـال عبد الناصـر كان غير قـادر على التصديق ، ولعله لم يصدق تماما إلا عندما انتهت فترة الإنذار ، وبدأت أول غارة للطائرات القاذفة البريطانية على مطار «الماظـة» الملاصق لبيته فى منشيه البكرى مساء يوم ٣١ أكتوبر ؛ وفاءً للتعهد الذى قطعه إيدن على نفسه لبن جوريون بتدمير سلاح الطيران المصرى (١٥) .

مع غـروب شمس الأربعاء ٣١ أكتوبر ، بدأت الطائرات الأنجـلوفرنسية تنفـيذ الضربة الجوية الشاملة ضد مطارات مصر ودفاعها الجوى . وبـسقوط القنابل على مطار الماظة الحربى المجاور لبيت الرئيس عبدالناصر ، قُطِعَ الشك باليقـين وتاكـد الـرئيس عبدالناصـر أنـه يـواجـه عـدوانـاً ثلاثيـاً يتمتع بتفـوق ساحـق .

وهرع الرئيس إلـى مقر قيادة القوات المسلحـة بكوبرى القبة حيث اقتـضى تطور الأمور إعادة النظر فى الخـطة المصرية . واختلفت أراء الموجـودين بمكتب اللواء محمد عـبد الحكيم عامر من بعض أعضـاء مجلس قيادة الثورة السابق وعدد من الوزراء وقـادة القوات المسلحة . وظهر أن هناك اتجاهين لمواجهة الموقف يتلخصان فى الآتى(١٦) :

الاتجاه الاول : وقـد تبـناه اللـواء عامـر يحـض علـى القتـال حتـى آخـر طلقـة وآخـر رجـل .

الاتجاه الثانى : وقد تبناه صلاح سالم عضو مجلس الثورة السابق ، وكان ينحو إلى الواقعـية ، وأن مصر تـواجه ثلاثة أعداء ولـيس عدواً واحدا هـو إسرائيل ، لا سـيما وأن العدوين من القوى الكبرى ويملكان من القوة ما لا قبل لمصر بمواجهته ، ومن ثم فقد اقترح " صلاح سالم " - وهو فـى أشد حالات الأسى والحزن - أنه لاخيار أمام "الـرئيس عبد الناصر " غير الاستسـلام وبسرعة ، قبل أن يتمكن الطيران المعادى مـن تدمير مرافق مصر الحيوية وتمزيق جيشها وتهديم مدنها(١٧) ، وسرعان ما اعترف صلاح سالـم بخطئه بعد أن هدأت أعصابه الثائرة وتطوع لقيادة منطقة السويس(١٨) .

ولم يـتأثر الـرئيس عـبد النـاصر بما سمـعه من هـذين الاتجاهـين ، ومضى يـشرح وجهةنظره فقال : " إنه لو كان يعرف أن المعركة هى شخصه لابتعد بأى وسيلة عن مسرح الحوادث ، ولكن المسـتهدف هـو مصر وشـعبها ، وإذا لم يقف الشعـب المصرى فى هذا

الموقف ويخوض المعركة دفاعا عن وطنه ومستقبله فإن مصير الأمة العربية كلها يصبح معرضا للضياع" [١٩] .

ودعا عبد الناصر الى اجتماع محدود بمكتب رئيس هيئة أركان الحرب الفريق محمد ابراهيم ، حضره بعض أعضاء مجلس قيادة الثوره السابق المشاركون فى الحكم وقتها ، بالإضافة إلى وزير خارجية مصر الدكتور محمود فوزى ، وعدد محدود من القادة العسكريين والمستشارين السياسيين . وكان اتجاه الاجتماع مؤيداً لوجهة نظر " عبد الناصر " ، وإن كان الدكتور محمود فوزى قد أبدى ملاحظة قال فيها : " إن كل شىء يتوقف على أوضاع الاستعداد فى القوات المسلحة وعلى إمكانات تعبئة الشعب لحرب طويلة . وفى كل الأحوال فإن المعارك لا تخاض فى ميادين القتال وحدها ، وإنما تخاض فى ساحات السياسة الأوسع والأكبر ، وإنه حتى إذا استطاعت قوات الغزو ان تحتل منطقة قناة السويس ، فإنه على ثقة بقدرة مصر وأصدقائها على خوض معركة ناجحة فى الأمم المتحدة تعبىء العالم ضد الغزاة وترغمهم على الرحيل [٢٠] .

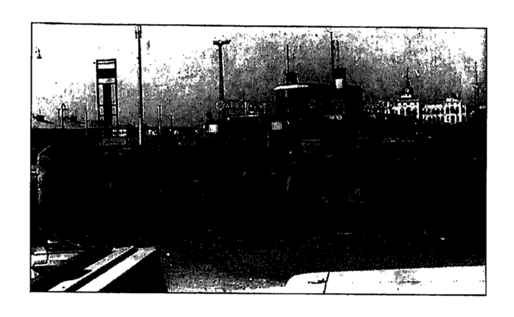
وشرح الرئيس عبد الناصر خطته لمواجهة الموقف الطارىء فكان أول ما ذكره هو ضرورة عودة الفرقة الرابعة المدرعة التى عبرت فى الليلة السابقة الى سيناء ، ووقف تقدم كل التشكيلات الأخرى التى كان مفروضا أن تلحق بها ، مع استمرار تمسك الكتائب المشاة الست بمواقعها فى سيناء لمدة ٤٨ ساعة ، لكى تتمكن الفرقة الرابعة المدرعة من إتمام انسحابها إلى غرب القناة .

وهكذا اتخذ الرئيس عبد الناصر قراره التاريخى بإنسحاب القوات المسلحة المصرية من سيناء اثناء ليلة يوم ٣١ أكتوبر/١ نوفمبر ، كما أصدر أمرا بانتشار قاذفات القنابل المصرية من طراز اليوشن ، وإرسالها الى الصعيد والسعودية ، كما قطع علاقاته الدبلوماسية مع المملكة المتحدة وفرنسا ، واستولى على ممتلكاتهما فى مصر [٢١] .

وأصدر الرئيس عبد الناصر أوامره بضرورة وضع الخطط الخاصة بحرب العصابات موضع التنفيذ الفورى ، وأسند إلى زكريا محى الدين مسئولية قيادة المقاومه الشعبية ، بينما تولى كمال الدين حسين قيادة الفدائيين فى منطقة قناة السويس . واخفيت الاسلحة فى منازل وأماكن اختيرت فى كل مدينة كبيرة وصغيرة من مدن الوجه البحرى ، بالإضافة إلى الأجهزة الأخرى مثل أجهزة الارسال اللاسلكى وآلات الطباعة . كما وزعت الأسلحة على المتطوعين فى المقاومة الشعبية بواسطة عربات الجيش ، التى كانت تجوب الشوارع حاملة

مكبرات الصوت ، تدعو الناس الى الجهاد ومقاومة الغزاة الزاحفين . وإذا كان هذا الأسلوب فى تنظيم المقاومة الشعبية يتسم بالارتجال ، فإنه لم يكن بغير فعاليه (٢٢) .

وأخيراً صدر القرار بتعطيل الملاحة فى قناة السويس لوضع العالم أمام واقع جديد ، وكانت هناك خطة مسبقة لإغراق باخرة محملة بالأسمنت فى عرض المجرى ؛ لسده فى اللحظة التى يصدر فيها الأمر بذلك (٢٣) .

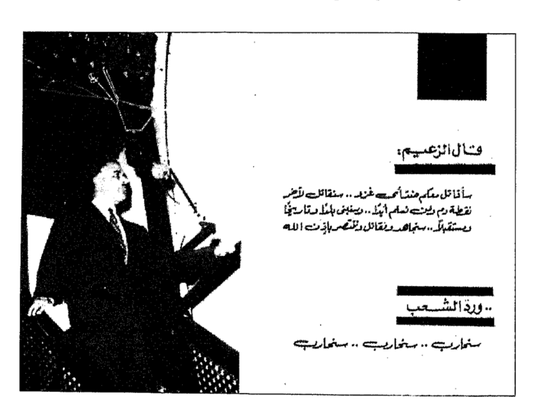


كانت هناك خطة مسبقة لتعطيل الملاحة فى قناة السويس

وبينما كانت تلك القرارات والأوامر تصدر من القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية ، اجتمع بعض رجال الأحزاب المنحلة وقرروا تشكيل وفد منهم لمقابلة الرئيس عبد الناصر لاقناعه بالموافقة على قبول الإنذار الأنجلوفرنسى ، إلا أن الرئيس عبد الناصر رفض الاجتماع بهم ، وهدد بقتلهم رميا بالرصاص لو أصروا على موقفهم (٢٤) .

بل إن سليمان حافظ وزير الداخلية السابق كان يرى فى ذلك الوقت عودة الرئيس السابق محمد نجيب إلى الحكم ، وأن على الرئيس عبد الناصر أن يعود إلى الكتيبه السادسة المشاه التى كان بها قبل قيام الثورة ، على أن يتقدم محمد نجيب بعد عودته للحكم الى الدول المعتدية بطلب ، بجعل مصر دولة محايدة كسويسرا دون قناة السويس على أن تضمن هذه الدول حياد مصر ؛ حتى تجنب البلاد ويلات الحرب والدمار (٢٥) .

بدأت الغارات على القاهرة وأفرغت طائرات الكانبرا والفاليانت حمولتها من القنابل فوق المطارات المصرية . وبعد قليل ، قام السلاح الجوى البريطانى بغارة أخرى على مدينة القاهرة وألقى عليها ملايين المنشورات ، بهدف خفض الروح المعنوية ودعوة الشعب الى الاستسلام . وقبل أن يطلع الشعب المصرى على تلك المنشورات ، كان الرئيس عبد الناصر يخطب فى الإذاعة من فوق منبر الجامع الأزهر معلنًا أنه سيقاتل بجانب شعبه حتى آخر قطره فى دمه ، وأنه لن يقبل تسليم بورسعيد أو الإسماعيلية أو السويس ، وأن جميع الدول الصديقة سوف تمد يد المعونة لمصر (٢٥) .



وكان هدف الرئيس عبد الناصر مزدوجًا من هذا الخطاب ؛ إذ سعى إلى توسيع نطاق النزاع بالحصول على مساندة التضامن الإفريقى الآسيوى ضد هذا النوع الجديد من عدوان الاستعمار ، كما أنه هدف أيضا إلى تنشيط المقاومة الشعبية ضد الغزو المنتظر (٢٦) .

التحرك الانجلو فرنسى

بدأت سفن الغزو الأنجلوفرنسى فى التحرك صوب الموانىء العميقة فى مالطا والجزائر والموانىء الأخرى على البحر المتوسط ، توطئة للهجوم على مصر فى رحلة تستغرق ستة أيام (٢٧) .

وباتخاذ قرار الغزو وإصدار الأمر إلى القيادة فى قبرص ، بعث انتونى ايدن برسالة خاصة الى الرئيس أيزنهاور يخطره بالأمر ويشرح له القصد من الغزو مركزا على نقطتين أولاهما ، أن التراجع يعنى انتشار الفوضى واشتعال النيران فى كل مكان من الشرق الأوسط ، وثانيتهما أن الغرض من الغزو هو عدم ترك فراغ عسكرى فى المنطقة ، التى تشكل بؤرة المصالح الدولية ؛ ولذلك فإن العملية ستكون محدودة ومؤقتة (٢٨) .

ولما لم يتلق إيدن أى رد أو تعليق على رسالته ، ظن أن الولايات المتحدة أطلقت يده أخيرًا فى عملية الغزو ، ووفقا للشروط المحدودة التى ذكرها . غير أن الحكومة الأمريكية أصدرت أمرها - فى ذلك اليوم -إلى الأسطول السادس الأمريكى بإخلاء الحوض الشرقى للبحر المتوسط فورًا ؛ لتفسح بذلك المجال أمام الغزو بالأسطولين الفرنسى والبريطانى ، وتتيح لهما حرية العمل تجاه سواحل مصر فى البحر المتوسط (٢٩) .

وكانت " موسكيتير المعدلة " لا تزال تمثل الخطة الحقيقية للهجوم ، إلا أنها كانت تحتاج إلى بعض اللمسات الأخيرة . ولذلك فقد عقدت عدة اجتماعات لبحث تلك التعديلات ، فى يومى ٣١ اكتوبر وأول نوفمبر ، وتمثلت المشكلة الأولى فى التوقيت الذى كان القادة الفرنسيون يرون ضرورة أن يتم الإبرار فى بورسعيد يوم ٦ نوفمبر ، أما المشكلة الثانية فقد تمثلت فى تفاصيل العملية المحمولة جوا ، إذ كان المقرر أن يتم إسقاط قوة بريطانية على منطقة الجميل ، وأن يجرى الاستيلاء على الكبارى الواقعة جنوب بورسعيد بعملية تشترك فيها الحوامات . كما كان من المقرر أيضًا أن يقوم الجانب الفرنسى بإسقاط قوة فى بور فؤاد ، إلا أن الجنرال ستوكويل أعلن أن الأوامر قد صدرت اليه بإلغاء عملية الحوامات ، لوجود دفاعات مضادة للطائرات فى المنطقة .

وتمثلت المشكلة الثالثة فى أسلوب الزحف من بورسعيد صوب الجنوب ، إذ كان من المقرر فى البداية أن تتحرك القوات الفرنسية بمحاذاة الشاطىء الشرقى للقناة غير ان هذا الطريق اصبح متعذراً بسبب عمليات توسيع القناة ووجود قناة فرعية واسعة نسبيًا . ومن ثم فقد أصبح التقدم فى محاذاة الشاطىء الغربى عملا مشتركًا ، تقوم به القوات الإنجليزية والفرنسية تساعدها قوة برمائية داخل القناة ذاتها .

واستقر الرأى بعد مناقشات مطولة على أن يتولى الجنرال ماسو الفرنسى قيادة عملية القنطرة ، وكان هذا كسبا للفرنسيين ، على أن تكون القوات المتقدمة - والتى تضم كتيبتى مظلات بريطانية وكتيبة دبابات - تحت إمرة البريجادير بتلر قائد لواء المظلات البريطانية ، وكان هذا الحل الوسط يعنى ان سرعة التقدم ستكون فى يد الجانب البريطانى ، على أن أسوأ ما فى الأمر كان فى تضمين الأمر النهائى الصادر من الأركان المتحالفة ، فقرة تنص على ألا يتم التقدم نحو القنطرة إلا بمقتضى تعليمات من الجنرال ستوكويل (٣٠) .

وكانت هناك خطة عاجلة لدى هيئة أركان الحرب المتحالفه بقبرص ، تدعى الخطة " اوميليت " ، وتعتمد أساسا على انهيار المقاومة من جانب مصر إذا ما نجح الانقلاب المحتمل ضد الرئيس عبد الناصر فى القاهرة (٣١) .

ورغبة فى تحقيق السرعة ، طلب الجنرال اندريه بوفر فى اجتماع " قادة الميدان " بقبرص بدء تنفيذ خطة " أوميليت " ، إلا ان الجنرال هيو ستوكويل قائد القوات البرية الأنجلوفرنسية رفض ذلك وسانده الأدميرال دورنفورد سلاتر محتجا بأن الصور التى التقطت لبورسعيد أخيراً من الجو تشير الى أنه يجرى دعمها بالقوات هى ومنطقة القناة ، بما يعنى التصميم على المقاومة . وقد اذعن الفرنسيون لهذا الرأى خاصة وأن الكلمة الأخيرة كانت للجنرال ستوكويل (٣٢) .

نقل الجنرال اندريه بوفر الرفض البريطانى إلى الأدميرال بيير بارجو - نائب القائد العام للغزو الأنجلوفرنسى الذى طلب منه أن يضع مشروع خطة فى إطار التوجيه الذى سبق أن تقدم به فى باريس ، وبمجرد أن اتخذ بوفر هذه المهمة ، تقدم باقتراحه فى أول نوفمبر الذى أكد فيه إمكان القيام بثلاث عمليات إسقاط بقوات المظلات : الأولى بريطانية فى منطقة الجميل ، والثانية والثالثة فرنسيتان فى منطقتى جنوب بورسعيد وجنوب بورفؤاد ، يستطيع الحلفاء بعدها أن يختبروا مدى قوة المقاومة المصرية ، ويمكن أن يتم الإسقاط فى

مناطق ضيقة تحيط بها المياه لتحمى المظليين من احتمال مهاجمتهم بالدبابات ، حتى تصلهم قوات الغزو البحرى عند الفجر يوم السادس أو الخامس من نوفمبر .

وقد اعتبر الجنرال بوفر أن إسقاط المظلات فوق بورسعيد وبورفؤاد أهم وأكثر حسمًا للأمور من الإسقاط فى منطقة الجميل . كما أنه استبعد احتمال استخدام الدبابات ضد المظليين قبل وصول قوات الغزو إليهم ، أى قبل السادس وربما الخامس من نوفمبر [٣٣] .

وأقر الأدميرال بارجو خطة الجنرال بوفر فى صباح الثالث من نوفمبر ، ثم عقد اجتماع فورى بينه وبين الجنرال كيتلى والجنرال ستوكويل حضره بوفر . وحصل الأدميرال بارجو على موافقتهما على ان يعاد دراسة الخطة على مستوى القيادة المتحالفة . وتم ذلك فى اجتماع آخر " لقادة الميدان " ، عقد فى الحادية عشرة من صباح نفس يوم الثالث من نوفمبر [٣٤] .

قرر المجتمعون أن يسقط البريطانيون ٤٠٠ جندى فى مهمة التقدم نحو بورسعيد ، وبعد ١٥ دقيقة يسقط الفرنسيون ٤٥٠ جنديًا جنوبى المدينة ، وتقرر أن يتم تدمير بطاريات المدفعية الساحليه المصرية بغارات جوية تفاديًا لاستخدام مدافع الأسطول الضخمة فى هذه المهمة ، حتى لا يتعرض المظليون الفرنسيون لنيرانها ، كما تقرر - لنفس السبب - إلغاء عملية إسقاط المظلات فوق بورفؤاد وقد كانت هذه الخطة فى حجمها المبدئى أصغر نطاقا من خطة الجنرال بوفر الاصلية ، وأطلق عليها خطة " تليسكوب " ، ولم يقبلها الجانب البريطانى عن قناعة بما تضمنته ، ولكن بناء على أوامر صدرت إليه بالموافقه . وعلى أيه حال .. فإن الامر لم يتعد مجرد الاتفاق على خطة أخرى تضاف إلى مالدى الحلفاء من خطط كثيرة ، أما قرار بدء الغزو فلم يكن قد اتخذ بعد [٣٥] .

وصل المستر انتونى هيد وزير الدفاع البريطانى والجنرال جيرالد تمبلر إلى اسكوبى حيث القيادة المتحالفة خلال ليلة الثالث من نوفمبر ، وقابلا الجنرال كيتلى والأدميرال بارجو بهدف تأكيد الأوامر الصادرة بالهجوم ، بالإضافة إلى التوجيه الذى كانا يحملانه ، وينص على أن يقتصر الغزو على منطقة القناة [٣٦] .

قبول إسرائيل قرار وقف النيران

فى الساعة الثامنة والنصف من صباح ٤ نوفمبر ١٩٥٦ وصل الحرج إلى ذروته لحظة أن قبلت إسرائيل قرار الجمعية العمومية للأمم المتحدة بوقف إطلاق النار تحت ضغط الولايات المتحدة الأمريكية المتزايد ، مع التلويح بفرض العقوبات الاقتصادية على إسرائيل إذا لم توقف القتال ، وكذا لاطمئنان إسرائيل إلى أنها حققت معظم أهدافها المنشودة من التواطؤ باحتلال كل سيناء الشمالية وقطاع غزة ، ولهذا فاجئت إسرائيل - فى مساء الرابع من نوفمبر - حليفتيها المملكة المتحدة وفرنسا بهذا الإجراء ، دون أن تكلف نفسها عناء إخطارهما مسبقا بما اعتزمته ، فوضعتهما فى موقف بالغ الحرج ، إذ كيف لهما أن يزعما أمام العالم أجمع أنهما عازمتان على إسقاط مظلاتهما فوق بورسعيد - تطوعًا وسعيًا منهما - لوقف القتال بين المتحاربين ، بينما المتحاربان قد أوقفا القتال بينهما فعلاً ٠

ولقد كانت هذه اللطمة الإنتهازية من اسرائيل للمملكة المتحدة وفرنسا كافية لوأد التواطؤ واجتثاث المؤامرة الثلاثية من جذورها ، ولكن المجموعة العسكرية الفرنسية انبرت لإنقاذ الموقف فاتصل المسيو جى موليه بدافيد بن جوريون ، مبينًا له مغبة هذا الإجراء المنحرف ، وإضراره بمصالح إسرائيل نفسها بدرجة أشد مما ينزله بحليفتيه من أضرار ، خاصه وأن قوات إسرائيل لم تكن قد أتمت بعد الاستيلاء على منطقة مدخل خليج العقبة ، التى تشكل أثمن أهداف إسرائيل من الحرب ، والتى يتعذر - ان لم يستحيل حل مشكلتها اذا ما تعهدت إسرائيل أمام العالم بقبولها وقف إطلاق النار ، قبل أن تتم حسم تلك المشكلة ٠

وقد أحسن جى موليه الضرب على هذا الوتر الحساس ، فكان أن أصدر دافيد بن جوريون تعليماته إلى مندوب إسرائيل الدائم فى الأمم المتحدة ، بأن يعود ويضيف سطرًا إلى النص الرسمى لبيان إسرائيل ليلغى به وعدها الذى مازالت أصداؤه تتردد فى قاعة الأمم المتحدة عن قبولها إيقاف القتال ؛ فيشترط لذلك شروطا ثلاثة ، هى أن تقبل مصر الدخول مع إسرائيل فى مفاوضات سلام ، وأن تعد مصر برفع حصارها الاقتصادى عن إسرائيل ، وأن توقف إلى الأبد أعمال الفدائيين العرب ضدها ٠ وبهذا لم يكن رجوع إسرائيل عن وعدها حياءً منها لما فعلته بحليفتيها ، بل يقينًا منها بفداحة خسارتها من جراء الخروج عن دورها المرسوم فى مخطط التواطؤ ٠

تطور تصدع التواطؤ

كان لاختلاف الأسلوب وتعارض الأهداف بين أطراف محور التواطؤ الثلاثى - لندن ، باريس ، تل أبيب - منذ أن تم توقيع بروتوكول سيفر السرى ليلة ٢٤ أكتوبر ١٩٥٦ آثار بالغة على سير الحرب بصفة عامة ، والغزو البحرى الأنجلوفرنسى الذى يعتبر المجهود الرئيسى للعدوان الثلاثى بصفة خاصة . وقد حملت نفس فقرات بروتوكول سيفر جرثومة هذا الاختلاف منذ البداية ، ثم اتسع الخرق ، حتى بلغ حد التمزق فى مناسبات ثلاث ؛ حدثت أولاها خلال مرحلة حصر العدوان الإسرائيلى والاستعداد لتدميره ، وذلك عندما صمم دافيد بن جوريون صباح ٣١ أكتوبر على النكوص ، وعدم إكمال دوره فى الحرب . وسحب كافة القوات الاسرائيلية من سيناء بمجرد أن تأخرت المملكة المتحدة وفرنسا عن تنفيذ الضربة الجوية الشاملة ضد مصر ، صباح يوم ٣١ أكتوبر ، طبقًا للموعد المتفق عليه فى البروتوكول[٣٧] ، رغم أن الدافع لذلك كان الحرص على تجنب المقاتلات المصرية نهاراً ، والتى لم تكن تستطيع القتال ليلاً لعدم توفر الأجهزة الخاصة بها للقيام بتلك المهمة .

تواطؤ ثنائى جديد

وخلال مرحلة النضال من أجل تحقيق التوازن الاستراتيجى فى مسرح الحرب استفحل أمر التصدع فى محور التواطؤ الثلاثى ، عندما سعت كل من فرنسا وإسرائيل فى ظلام ليلة ٣ نوفمبر ١٩٥٦ إلى عقد تواطؤ ثنائى بينهما خفية عن شريكتهما الثالثة بريطانيا - وجاء هذا التواطؤ الثنائى نتيجة اختلاف وجهات نظر المجموعة العسكرية الفرنسية " مع المجموعة السياسية " البريطانية " فى أسلوب إدارة الحرب ضد مصر ؛ إذ اصطدم الأدميرال ديسكار بارجو نائب القائد العام لقوات الغزو البحرى مع رئيسه الجنرال تشارلس كيتلى ، فيما يتعلق بضرورة الإسراع فى شن الغزو البحرى[٣٨] .

ولثقة بارجو المطلقة فى تأييد الحكومة الفرنسية لوجهة نظره ، أرسل فى الساعة الثالثة والنصف من عصر يوم السبت ٣ نوفمبر ، برقية إلى وزارة الدفاع الفرنسية ، يطلب فيها سحب وحدات المظلات الفرنسية الموجودة بمعسكر ميشيل لوجران فى قبرص من تحت إمرة الجنرال كيتلى ، ووضعها تحت قيادته هو ؛ حتى تتوفر له حرية العمل المنفرد مستقلا عن رئيسه المتردد ، كما طلب من حكومته فى الوقت نفسه ان تبدأ الاتصالات بالحكومة

الإسرائيلية لتنسيق التعاون المشترك معها ، لتنفيذ عدوان ثنائى ضد مصر ، يبدأ فى صباح ٤ نوفمبر ؛ بهدف الاستيلاء على منطقة بورفؤاد والقنطرة شرق .

وقبل أن ترد الحكومة الفرنسية على الأدميرال بارجو ، كان رئيس أركان حربه الجنرال جازان قد أرسل إلى معسكر " ميشيل لوجران " ليعبىء كتيبتى مظلات فرنسيتين ، ويضعهما فى حالة استعداد وتأهب للنزول فوق القنطرة شرق وبورفؤاد صباح يوم ٤ نوفمبر ، كما أرسل تعليماته إلى الملحق العسكرى الفرنسى بتل أبيب ؛ لينسق تفاصيل العمل الثنائى الفرنسى الإسرائيلى المشترك [٣٩] .

ولم تكن الحكومتان الفرنسية والإسرائيلية بأقل تعطشا من الأدميرال بارجو إلى عقد هذا التواطؤ الثنائى ، كما لم يقف بروتوكول سيفر - ولو لبرهة قصيرة - حائلا بينهما وبين خداع الشريك الثالث - المملكة المتحدة - بهذا الأسلوب الملتوى . وفى ليلة ٣/ ٤ نوفمبر أسرع الملحق العسكرى الفرنسى بتل أبيب ، الكولونيل موريس ، ليضع الخطوط الأولى لهذا التواطؤ الجديد مع وزارة الدفاع الإسرائيلية ، وتحديد أبعاد هذا التواطؤ الثنائى وإطاره ، ثم انتقل إلى رئاسة الأركان العامة الإسرائيلية لصياغة الفكرة فى مخطط كامل الحلقات مع رئيس الأركان العامة الجنرال موشيه ديان .

إلا أن الجنرال ديان طرح رأيا أشد التواء وأكثر خروجا على البروتوكول ؛ إذ اقترح أن تترك قوات الغزو البحرى الفرنسية كلها المنطقة المحددة لإنزالها شرق بورسعيد ، وتأتى إلى ساحل العريش ، لتستقبلها القوات الإسرائيلية وتفتح امامها طرق واتجاهات سيناء الثلاثة ، كما توفر لها كافة المساعدات لتصل إلى قناة السويس من طرق متعامدة عليها ، تؤدى مباشرة إلى القنطرة والإسماعيلية والسويس فى وقت واحد ، دون أن تتعرض لمقاومة مسلحة ، أو تصادف نضالا شعبيا ، أو يعرقلها تردد القائد العام البريطانى .

وبينما كان هذا التواطؤ الثنائى بين فرنسا واسرائيل يأخذ شكله التنفيذى فى رئاسة الأركان العامة الإسرائيلية بتل أبيب ، كان الملحق العسكرى الاسرائيلى بباريس الكولونيل يوسف نحمياس ، يدلى فى هذا التواطؤ الجديد بدلوه ، ويضع مع وزير الدفاع الفرنسى الخطوط المتوازية للخطة العسكرية الثنائية الجديدة من الزوايا السياسية والاستراتيجية [٤٠] .

وأحس الجنرال كيتلى برائحة ما يدبر خلف ظهره ، فبادر بعقد مجلس الحرب قبل منتصف ليلة ٣/ ٤ نوفمبر ، وقد ضم كلا من الأدميرال بارجو ، والجنرال بوفر نائب القائد

العام للقوات البرية لعملية الغزو البحرى ، والجنرال جايلز مدير الإدارة التكتيكية للقوات الفرنسية المنقوله جوًا ، والجنرال ماسو قائد فرقة المظلات العاشرة الفرنسية ، والبريجادير بتلر قائد مجموعة اللواء ١٦ المظلات البريطانية ، ولم يحضرهذا المؤتمر بطبيعة الحال ، الجنرال جاران لانشغاله فى إعداد كتيبتى المظلات الفرنسيتين فى معسكر ميشيل لوجران ، دون علم القائد العام للقوات المتحالفه الذى كان يترأس مجلس الحرب فى تلك اللحظة[٤١] .

واحتد القادة الفرنسيون خلال المؤتمر المنعقد بمركز قيادة العمليات المشتركة فى ابسكوبى ، حتى نجح الأدميرال بارجو فى إجبار الجنرال كيتلى على الرضوخ لوجهه نظره ، وتنفيذ الخطة " تليسكوب " التى تبلورت فى شن عملية تعرضية مزدوجة ، هى - فى جوهرها - مزيج من الخطة " سيمبلكس " (أوميليت ٢) والخطة " موسكيتير " المعدله النهائية العتيدة ، على أن يتم تنفيذ الخطة تليسكوب خلال أيام ٤ ، ٥ ، ٦ نوفمبر ١٩٥٦ على الوجه التالى [٤٢] .

١ - فى صباح يوم ٤ نوفمبر تتم القوات الجوية الانجلو فرنسية تدمير المدفعية الساحلية ، واجهزة الرادار ، والمدفعية المضادة للطائرات ، ومراكز المقاومة فى منطقة رأس الشاطىء ببورسعيد .

٢ - فى صباح ٥ نوفمبر تنفذ العملية سيمبلكس (أوميليت ٢) ؛ فيهبط جنود المظلات البريطانيون فوق مطار الجميل غرب مدينة بورسعيد، بينما يهبط جنود المظلات الفرنسيون جنوب بورسعيد وفى بور فؤاد ، فيؤمن بذلك المحيط الخارجى لمنطقة رأس الشاطىء .

٣ - ومع صباح يوم ٦ نوفمبر يبدأ الغزو البحرى للعملية موسكيتر المعدلة النهائية .

وانفض مجلس الحرب الذى دعا إليه الجنرال كيتلى بعد منتصف ليلة ٣ / ٤ نوفمبر لينعقد مرة أخرى فى الساعة الرابعة فجرًا بوصول السير انتونى هيد وزير الحربية البريطانية إلى ابسكوبى موفدًا من الحكومة البريطانية ليزيح الستار عن هذا الغموض وتلك البوادر التى تنم عن تصدع بجبهة القيادة العسكرية المتحالفة . وحضر عن الجانب البريطانى كل من السير انتونى هيد والجنرالات جيرالد تمبلر رئيس هيئة أركان حرب الإمبراطورية البريطانية ، وكيتلى ، وهويس رئيس إدارة التخطيط المشترك ، والمستر مورى المستشار الدبلوماسى ، كما حضر عن الجانب الفرنسى كل من الأدميرال بارجو والجنرال جاران - الذى كان قد عاد لتوه

من مهمة إعداد كتيبتى المظلات الفرنسيتين بمعسكر ميشيل لوجران - والمسيو بابان المستشار الدبلوماسى . وبعد أن استنفد الطرفان كل أسباب العتاب ، انفضت الجلسة فى الساعة السادسة والنصف من صباح ٤ نوفمبر وقد التأم الصدع ظاهريا ، وارتضى الجمع العود إلى التعاون والتكاتف ، مدركين ضخامة التبعة ومقدرين أخطار المسئولية .

هذا ولم يفت القادة الفرنسيون - حفظا لماء الوجه - أن يتنصلوا فى نهاية المؤتمر من تواطئهم الثنائى مع إسرائيل ، ويذلوا الوعد بالعمل داخل اطار خطة تليسكوب نصًّا وروحًا .

التعليمات الأخيرة :

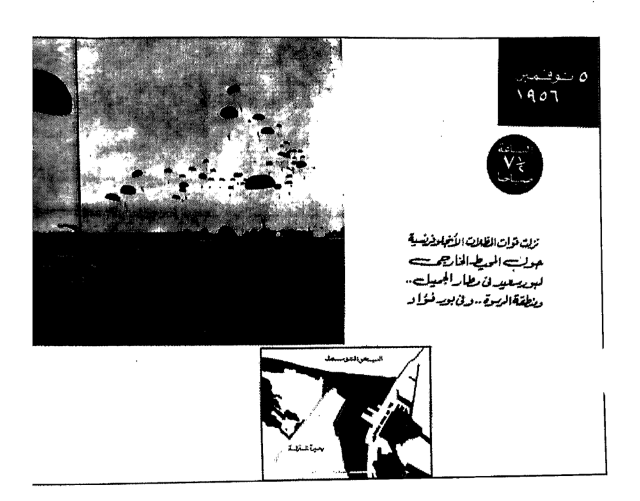
ومع فجر يوم ٤ نوفمبر ، أخذت هيئات أركان الحرب توفق بين الخطة « تيلسكوب » وبين التعليمات الجديدة التى صدرت إليها ، وقد أضاف الجنرال أندريه بوفر عملية إسقاط جنود المظلات فوق بور فؤاد ، كما أعيد توجيه عمليات الطيران والبحرية . وفى العاشرة صباحا كان كل شئ قد أعد ووزعت على كل مسئول خطة تعديل « تيلسكوب » على العملية « موسكيتير » ، مع إضافة رقم (١) على التعليمات الصادرة بالنسبة للعملية ، وفى الحال بدأ تحميل السفن بصفة نهائية فى ميناء ليماسول وبمجرد اتمام ذلك صعد الجنرال بوفر فوق الطراد جان بار لإصدار تعليماته الأخيرة إلى الضباط الذين سيشتركون فى العملية ، وفى الساعة السادسة مساء ، صدر أمر الإبحار(٤٣) .

ولم تكن هذه السفن تحمل سوى الموجات الأولى التى سيتم إبرارها الى شاطئ الغزو صباح ٦ نوفمبر ، أما القوة الرئيسية للغزو فسوف تلحق بها فى المرحلة التالية . وفى اليوم التالى (٥ نوفمبر) التقت السفن الفرنسية فى النقطة المحددة "ى" مع السفن البريطانية ، التى أبحرت من مالطة وسارت العمارتان البحريتان فى خمسة أرتال - ثلاث بريطانية واثنان فرنسيان - خلف ستار من سفن الكراكات (٤٤) .

العملية المحمولة جواً والإبرار :

وفى حوالى الساعة السابعة والنصف صباح ٥ نوفمبر ، هبطت المظلات البريطانية بقيادة البريجادير بتلر فوق منطقة الجميل ؛ حيث صادفت مقاومة عنيفة من القوات المحلية المؤيدة بالدفاع الشعبى ، وتلتها بعد ربع ساعة عملية المظليين الفرنسيين فى منطقة الإبرار المحددة لها

جنوبى قناة الوصل التى تربط قناة السـويس ببحيرة المنزلة من ناحية الغرب[٤٥] ، ثم أعقبها عملية الإبرار فوق الرسوة وبورفؤاد وهكذا بدأت عملية الإبرار .



ثم أعقب ذلك عمليـة اقتحام جـوى رأسـى بالحـوامـات مـن حـامـلات الطائـرت الى رأس شـاطئ الغـزو ، وتعتـبر أول عمـلية اقتـحام جـوى رأسـى فـى التـاريخ .

والى أن انتهى الغزو البحرى الأنجلو فرنـسى بوقف إطلاق النار ، لم يكن قد تم تأمين رأس الشاطئ ، بل انحصرت قواته داخل جيب صـغير طويل ، مع التورط فى قتال عرضى داخل المناطق المبنـية من مدينة بورسعيد بما حصـر معظم أعمال القتال الرئيسـية على امتداد شارعين فقط ، هما شارع محمد على وشارع السـلطان حسين ، الذى أطلق عليه بعدئذ اسم شارع الشهداء .

وخلال هذه المرحلة عملت القوات المسلحة المصرية وقوى النضال الشعبى فى التحام كامل على دحر الغزو البحرى ، ونجحت فى تشبيت قوات الإبرار الجوى البريطانى الفرنسى طوال يوم ٥ نوفمبر ، كما أنزلت بقوات الإبرارالبحرى يوم ٦ نوفمبر خسائر كبيرة ، وتمكنت من تثبيت العدو داخل منطقة رأس الشاطئ ، ومنعته من تأمينها وعرقلت انطلاقه خارجها صوب الإسماعيلية .

ونتيجة لهذه الجهود أمكن تجميد الأوضاع على الاتجاه التعبوى لقناة السويس بما أوضح أن أى مجهود إضافى تبذله قوات الغزو للانطلاق من رأس الشاطئ ، سوف يكون باهظ التكاليف . ولم يعد أمام حكومتى المملكة المتحدة وفرنسا والحالة هذه - بالإضافة للضغوط السياسية العالمية الواقعة عليها - إلا أن ترضخا لقرار وقف إطلاق النار ، وتنفذاه اعتباراً من الساعة الثانية بعد منتصف ليلة ٦/٧ نوفمبر .

المعتدون يطلبون هدنة :

بعد استيلاء الفرنسيين على منطقة الرسوة ومحطة مياه بورسعيد ، وقطع الاتصال البري مع الاسماعيلية طلب " الكولونيل شاتو جوبير " من المهندس المصرى المقيم فى محطة المياه مساعدته فى الاتصال بالسلطات المصرية فى المدينه ؛ للاتفاق على تجنيب المدنيين ويلات القتال . وبعد محاولات متعددة ، أمكن الاتصال بالقائد المصرى لقوات بور سعيد الذى رفض الطلب فى بادىء الامر . وفى حوالى الساعة الرابعة عصر يوم ٥ نوفمبر ساء الموقف بمدينة بورسعيد نتيجة قطع المياه عنها ، وعن المستشفيات . فضلا عن تعرض المدنيين للقصف الجوى العنيف الذى تسبب فى المئات من الضحايا ، وبناءاً على طلب السلطات المدنية فى بورسعيد ، قبل القائد المصرى الطلب الذى سبق أن تقدم به قادة القوات المعتدية [٤٦] .

كانت الأسباب الحقيقية وراء هذا الطلب من جانب المعتدين ، هى : أولا كسب الوقت وتخفيف الضغط على قوات المظلات ، وثانيا الحصول على مهلة لإعادة التنظيم وإخلاء الجرحى . أما اسباب قبول الطلب من الجانب المصرى ، فكانت الرغبة فى إعادة المياه للمدينة التى اشتعلت بها الحرائق الكثيرة ، وإيقاف قصف الأهالى المدنيين والنازحين عنها عن طريق بحيرة المنزلة ، ودفن القتلى حتى لا تنتشر الأوبئة بالمدينة .

ورغم ان القائد المصـرى قد أوضح الأسباب الحقيقية لخـطورة ورفض بحث أى شروط خاصه بالـتسليم ، موضحًا أن المـدينة لم ولن تسـتسلم دون قتال ، وأن البـحث يجب أن يكون مقصورا على الاتفاق على إيقاف إطلاق النيران بصفة مؤقتة ، إلا ان الجانب البريطانى ادعى أن بـورسعيد قـد استسـلمت · أمـا حقيقـة ما حدث فـتتلـخص فى أن أقدم الـقادة البريطانيـين فى بورسعيد فى ذلك الوقت ، وهو البريجاديـر بتلر قائد اللواء ١٦ المظلات ، تقدم ببعض الشروط المكتوبة إلى القائـد المصرى الذى رفض مجرد الاطلاع عليها · وأستقر الرأى أخيرًا على إيقاف النيران مؤقتا حتى السـاعة التاسعة والنصف مساءً ، ولما سئل القائد المصرى عند مغادرته مـحطة المياه عن رأيه فى الشروط المعروضة أوضح لـهم أنها لا تستحق البحث ، وأن القتال سوف يستأنف بمجرد انتهاء الفترة المحددة ·

وكان هذا التصرف إجراءً محلياً بحتاً ؛ إذ لم ينجح القائد المصرى فى الاتصال بالقاهرة رغم تكـرار محاولته ذلـك ، فلم تعلم أى جـهة فى القاهـرة بهذا الاتفاق ، وكـان الهدف الأساسى من قبول إيقاف إطلاق النيران هدفًا مدنـيًا ، وإن كان قد ترتب عليه بعض الفوائد العسكرية مثل إعـادة تنظيم القوات وكسر حدة هجوم العدو الجـوى · كما أعيدت المياه مرة أخرى إلى المـدينة فى نـفس الليلـة · وليس أدل علـى كذب ادعاء التسـليم من أن الـقائد البريطانى بـالمدينة عندما تيقن مـن رفض القائد المصرى بحث أى شروط ، طـلب مد فترة إيقاف اطلاق النيران حـتى الساعـة التاسعـة والنـصـف لكـى يتمكـن مـن اتمام إخلاء جرحاه [٤٧] .

اكاذيب فى مجلس العموم والأمم المتحدة :

طارت أنباء مـا حدث فى بورسعيد إلـى سفينة القـيادة فى عرض البحر ، ومـنها الى قبرص ، ثم الى لندن وباريس ، وخلال هذه المرحلة الطـويلة تعرضت الحقيقة إلى تغيرات كبيرة خلقـتها أحلام وآمال المعتدين إلى أن تـلقفها رئيس وزراء بريطانـيا ، وهو يقف أمام مجلس الـعمـوم يواجـــه الانتقادات والمطالبه بـاستقالته ، فتـلقف هذا الخبر لـيخرج به من ورطته ، بأن أعلن لـلتو واللحظة عن استسلام بـورسعيد ، فضجت القاعة بـالتصفيق[٤٨] وكان إيدن يعتقد وقتها أنه قد ضمن النصر ، إلا أن هذا النصر كان بعيدًا ؛ إذ توقف جنود المظلات البريطانيين غرب المدينة حيث أصبحوا محصورين هم ورجال المظلات الفرنسـيـين فى نصف دائرة حول "محطة المياه " ، بينما المصريون يحيطون بهم من كل جانب ·

لقد انقلب نبأ إيقاف النيران المؤقت الذى طلبه القائد الفرنسى وأيده القائد البريطانى المحلى إلى خبر خلقه الخيال عن استسلام مدينة بورسعيد . وهكذا تصرفت المملكة المتحدة فى ذلك اليوم بنفس الأسلوب المضلل الذى تصرفت به إسرائيل فى اليوم الأول للقتال يوم ٢٩ أكتوبر ، حين ادعت أن مجموعة جنود المظلات التى أسقطتها فى منطقة صدر الحيطان تشكل تهديدًا لقناة السويس ، بينما كان هؤلاء الجنود يحفرون الأرض بأظافرهم بحثًا عن الحماية والأمان .

هكذا فعلت المملكة المتحدة حين ادعت سقوط مدينة بورسعيد ، لمجموعة مماثلة من جنود المظلات ، كانت هى الأخرى تعانى من الفشل والخسائر ، مما دفع قادتها لطلب هدنة مؤقتة لكسب الوقت وإخلاء جرحاهم .

وبينما كان إيدن يعلن فى مجلس العموم نبأ إستسلام بورسعيد كان الرئيس عبد الناصر يؤكد للسفير الأمريكى فى القاهرة أن مصر ستقاتل ، وأن القاهرة ستكون " ستالينجراد جديدة " .

وفى نفس الوقت كانت إذاعة دمشق تؤكد عزم مصر على مواصلة القتال ، بينما أخذ المذيعون العرب فى قبرص يهجرون محطة الإذاعة ، بعد أن أعلنوا على الملأ رفضهم لما يجرى ضد مصر .

وازداد موقف بريطانيا سوءًا أمام العالم ، بساستقالة وزير ثالث هو السير إدوارد بويل وزير الدولة لشئون الخزانة ليلحق بزميليه ، اللذين سبقوه ، وهما والتر مونتكتون وأنتونى ناتنج .

وأسرعت بريطانيا إلى الأمم المتحدة - فى محاولة للتخفيف من حدة الرأى العام العالمى ضدها تعلن كذبا أنها ستوقف القصف الجوى ضد مصر ، بينما كانت طائراتها مستمرة فى قصفها ، وسفن الغزو الأنجلو فرنسى تقترب من شاطئ الغزو البحرى ببورسعيد فى صباح اليوم التالى . وهكذا استمر المخطط العدوانى فى سيره ، أما الموقف السياسى فقد خيم عليه جو غريب ينذر بهبوب عاصفة خطيرة .

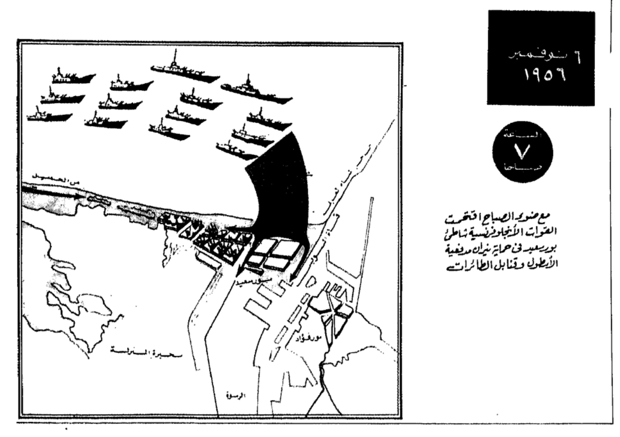
موقف الجبهة الداخلية المصرية :

صمدت الجبهة الداخلية وتكاتفت وراء الرئيس عبد الناصر ، ولم يحدث ما توقعته

قوى العدوان التى كانت على ثقة من سقوط نظام حكم الرئيس عبد الناصر ، بمجرد قصف الأهداف العسكرية بالقنابل . ولما حطموا محطات الإرسال المصرية ، ليفقد الرئيس وسيلة اتصاله بالشعب بادرت محطة إذاعة دمشق بمواصلة الرسالة مستهلة إذاعتها قائلة . . . هنا القاهرة ، ثم أملوا أن يسقط النظام بعد عملية الغزو البحرى لشاطئ بورسعيد فإذا بتمسك الشعب بالرئيس عبد الناصر يزداد ، وهو ينادى من فوق منبر الجامع الأزهر : " . . . سنقاتل . . . سنقاتل " (٤٩) .

وأبدت بورسعيد وشعبها وقواتها مقاومة نشطة ، دخلت بها فى سجل المدن الصامده التى نالت اعجاب العالم ودفعته الى تسجيل وطنيتها وبسالتها ، وقد استمر قصف المدينة من الأسطول والطائرات طوال يوم ٥ نوفمبر ·

وفى صباح ٦ نوفمبر ، بدأ الغزو البحرى بنزول القوات الأنجلوفرنسية على ساحل بورسعيد وبورفؤاد ، وواجهت بورسعيد موجات الغزو المتتالية ، معتمدة على قواتها المسلحة وقوى الدفاع الشعبى (٥٠) .



وفى الساعة الثانية من فجر٧ نوفمبر ، أوقفت المملكة المتحدة وفرنسا إطلاق النار ، بعد أن تحقق الفشل ، وتأكدت كل منهما ان حسابات النصر والهزيمة كان يجب ان تتم بدقة أكبر ، وأن كسب مصر المعركة السياسية فوت عليهما كسب المعركة العسكرية (٥١) .

تعليق

وعندما يثور السؤال . . هل كانت مصر تتوقع عدواناً اسرائيلياً ؟ تكون الإجابة : إن الصراع العربى الإسرائيلى صراع يتسم بالاستمرارية ؛ إذ إن أسبابه كانت وما زالت قائمة . فاحتمال قيام اسرائيل بالعدوان أمر قائم فى كل وقت . ولذلك كان العدوان محتملا وإن كان مستبعدا فى ذلك الوقت بالذات ؛ إذ لم تكن اسرائيل طرفا مباشرا فى الصراع الذى كان يدور بين مصر والمملكة المتحدة وفرنسا على القناة ملكيتها .

كما لم يكن يجول بفكر أحد أن تنزلق كل من الإمبراطورية البريطانية والإمبراطورية الفرنسية لتدرك التواطؤ مع إسرائيل فى القيام بعدوان على مصر .

وعندما يثور التساؤل . . هل كانت مصر تتوقع عدواناً ضدها من المملكة المتحدة وفرنسا ؟ تكون الإجابة : بأنه كان احتمالا واردًا عقب تأميم شركة قناة السويس ، إلا أنه مع مضى الوقت أصبح احتمالا ضئيلا بعد موافقة مجلس الأمن على النقاط الست ، وانفراج الأزمة واندفاعها فى طريق الحل السلمى؛ خاصه بعد تحديد موعد لقاء الدكتور محمود فوزى وزير خارجية مصر مع كل من سلوين لويد وزير خارجية المملكة المتحدة وكريستيان بينو وزير خارجية فرنسا مساء ٢٩ أكتوبر فى جنيف ، بحضور داج همرشولد السكرتير العام للأمم المتحدة ، وهو نفس يوم العدوان الذى اتفق عليه ثالوث التواطؤ (٥٢) .

ورغم ذلك فإن القيادة العسكرية المصرية لم تستبعد العدوان ؛ إذ جاء فى تقرير القيادة العامة للقوات المسلحة عن الموقف العسكرى فى شرق البحر المتوسط فى سبتمبر ١٩٥٦ ترجيحًا بقيام فرنسا والمملكة المتحدة بالهجوم على منطقة الإسكندرية أولاً بغرض استدراج قواتنا المدرعة إلى غرب الدلتا لتهيئ الفرصة لغزو منطقة القناة بنجاح ، وأن الفاصل الزمنى بين العملية الخداعية ضد الإسكندرية والعملية الرئيسية ضد القناة لن يكون طويلا (٥٣) .

وعندما يثور السؤال . . هل كان هناك إحساس بالتواطؤ الثلاثى ، عندما بدأت إسرائيل العدوان عصر يوم ٢٩ أكتوبر ؟ !

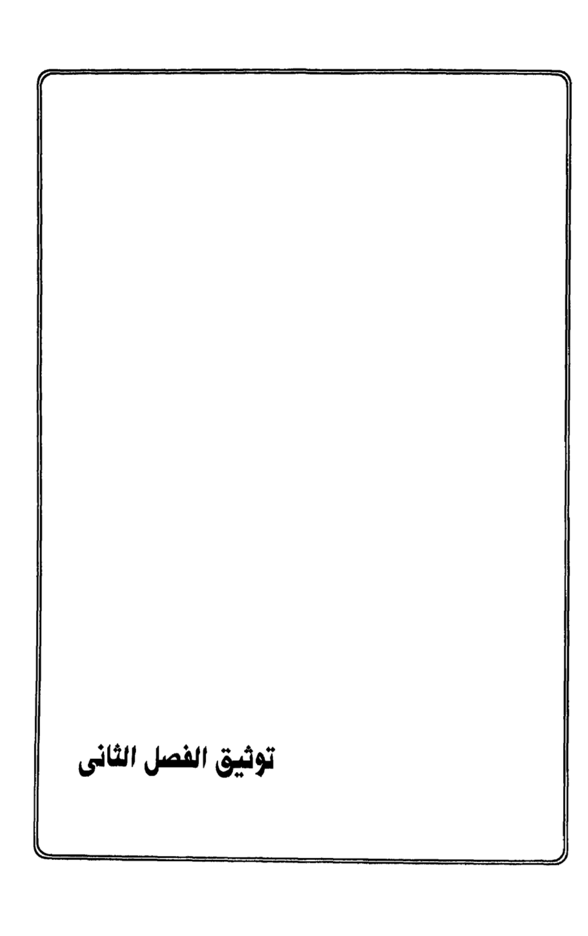
تكون الإجابة : لم يكن هناك احساس بذلك خاصة ، وقد بدأت أزمة قناة السويس تنجلى ، ولذلك فقد صدرت الأوامر لقوات سيناء بالتمسك بمواقعها الدفاعية قرب الحدود الشرقية ، وعلى الأخص منطقة أبو عويقيلة والدفاع عن مواقعها طبقا للخطة المعتمدة ·

ثم دفعت قوات دعم إضافية ليلة ٢٩ / ٣٠ أكتوبر لمواجهة العدو فى ممر متلا ، كما دفعت الفرقة الرابعة المدرعة صباح يوم ٣٠ أكتوبر لاتخاذ مواقعها فى منطقة بير روض سالم ، بل حدث التفكير خلال ليلة ٣٠/ ٣١ أكتوبر فى إسقاط قوات المظلات المصرية غرب منطقة الكونتلا ؛ للحيلولة دون اتصال أى قوات برية إسرائيلية متقدمة نحو الغرب مع القوات التى أسقطت فى صدر الحيطان ·· إلا أن تطور الأحداث حال دون اتمامها ·

ويتضح مما سبق أنه طيلة يومى ٢٩ / ٣٠ أكتوبر ، لم يكن هناك إحساس لدى القيادتين السياسية والعسكرية المصرية بوجود تواطؤ بين إسرائيل وفرنسا والمملكة المتحدة ، بل كان الفكر السائد أن إسرائيل تقوم بمغامرة محدودة كوسيلة ضغط قد تفيد " فى تليين " موقف القيادة السياسية تجاهها ·

وعندما بدأت طائرات الكانبرا البريطانية فى الظهور بطريقة فردية فوق منطقة القناة ومدينة القاهرة ، راحت بعض عوامل الشك تتسرب إلى ذهن القيادة السياسية والرئيس عبد الناصر ·

فلما صدر الإنذار الأنجلوفرنسى قطع الشك باليقين ، خاصة عندما طالب مصر بأن تبتعد بقواتها العسكرية لمسافة ١٦ كيلومترا غرب القناة ، وأن تتقدم إسرائيل غرباً حتى ١٦ كيلومتراً من القناة ، وأن تسمح مصر بنزول القوات الأنجلو فرنسية لتحتل المراكز الرئيسية على إمتداد قناة السويس ، حتى يتم الوصول الى تسوية سلمية تضمن حرية الملاحة لجميع الدول · حينئذ أيقن الجميع آن هناك تآمراً وتواطؤ بين هذه الدول الثلاث : إسرائيل والمملكة المتحدة وفرنسا .



توثيق الفصل الثانى

(١) محمد حسنين هيكل - ملفات السويس ، ص ٥٣١ - ص ٥٣٢ .

(٢) المصدر السابق نفسه - ص ٥٣١ ، انظر كذلك محمد حسنين هيكل - قصة السويس ، ص ١٢٦ .

(٣) وثائق وزارة الحربية المصرية - غير منشورة - الأوراق الخاصة بالألوف عساف سمحونى ، ملف يحمل اسم هذا القائد الإسرائيلى ، انظر كذلك ديّان موشيه - يوميات معركة سيناء ، ص ١١٩ - ص ١٣٥ ، صلاح بسيونى - مصر وأزمة السويس ، ص ٢٠٢ ، ص ٢٠٣ .

(٤) Murphy, Robert – Diplomat Among Warriors, pp. 105–106, See Also : Fimer, Herman – Dulles Over Suez, pp. 215–219.

(٥) Eisenhwoer, Dwight – Op.Cit., 215–218, See Also : Dupuy, Trevor – Elusive Victory, pp. 222–223.

انظر كذلك صلاح بسيونى - مصر وأزمة السويس ، ص ٢١٠ .

(٦) Ibid, pp. 232–234; See Also : Neff, Donald – Warriors At Suez, pp. 492–494.

(٧) Neff, Donald – Worriors At Suez, pp. 502–506, See Also : Robertson, Terence – Crisis, pp. 250–258.

(٨) محمد حسنين هيكل - ملفات السويس ، ص ٥٣٣ ، انظر كذلك أمين هويدى ، حروب عبد الناصر ، ص ٦٨ .

Mahmoud Fawzi – The Suez War 1956, pp. 123–124.

(٩) Neff, Donald – Warriors At Suez, pp. 510–512, See Also Trevelyan, Humphry, Robert – The Middle East in Revolution, pp. 165–167.

(١٠) Ibid, pp. 515–516.

(١١) عبد اللطيف البغدادى - مذكراته ، الجزء الأول ، ص ٣٣٨ ، انظر كذلك ناتنج ، أنتونى - ناصر ، ص٢٠٨ ، محمود رياض - مذكراته ، الجزء الثانى ، ص ١٥٤ .

(١٢) وثائق القيادة العامة المصرية - البلاغ الحربى رقم (٦) ، يوميات حرب القيادة العامة ، صادر الساعة ٢٢٤٥ ، يوم ٣٠ أكتوبر .

(١٣) ناتنج ، أنتونى - ناصر ، ص ٢٠٨ ، انظر كذلك محمد حسنين هيكل - ملفات السويس ، ص ٥٣٣ .

(١٤) ناتنج ، أنتونى - ناصر ، ص ٢٠٨ - ص ٢٠٩ .

(١٥) محمد حسنين هيكل - ملفات السويس ، ص ٥٣٤ ، انظر كذلك مقابلة مع نائب رئيس الجمهورية السابق (على صبرى) ، قام بها الباحث فطين أحمد فريد يوم ١٨ ديسمبر ١٩٨٦ بمنزله بمصر الجديدة ، حيث وضح أن محمود فوزى كان مؤيداً لوجهة نظر صلاح سالم .

(١٦) أمين هويدى - حروب عبد الناصر ، ص ٧٣ .

(١٧) محمد حسنين هيكل - المرجع السابق ، ص ٥٣٤ ، انظر كذلك مقابلة مع عبد اللطيف البغدادى نائب رئيس الجمهورية السابق بمنزله بمدينة نصر ، صباح يوم ٢٢ ديسمبر ١٩٨٦ ، قام بها الباحث فطين أحمد فريد .

(١٨) Mahmoud Fawzi – The Suez War 1956, pp. 142–143, See Also :
محمد حسنين هيكل - المرجع السابق ، ص ٥٣٥ .

(١٩) محمد حسنين هيكل - المرجع السابق ، ص ٥٣٥ - ص ٥٣٦ ، انظر كذلك أمين حامد هويدى ، حروب عبد الناصر ، ص ٦٨ ، عبد اللطيف البغدادى - مذكراته ، الجزء الأول ، ص ٣٣٦ وما بعدها ، . أزو ، هنرى - فخ السويس ، ص ٣٤٦ .

(٢٠) ناتنج - أنتونى : ناصر ، ص ٢٠٨ - ص ٢٠٩ .

(٢١) محمد حسنين هيكل - المرجع السابق ، ص ٥٣٦ ، انظر كذلك أمين هويدى - حروب عبد الناصر ، ص ٧٥ .

(٢٢) أمين هويدى - حروب عبد الناصر ، ص ٧٣ .

(٢٣) عبد اللطيف البغدادى مذكراته ، الجزء الثانى .

(٢٤) مجموعة خطب الرئيس عبد الناصر عام ١٩٥٦ .

(٢٥) المصدر السابق فخ السويس ، ص ٣٥٢ .

(٢٦) Op.Cit. : Warriors At Suez, pp. 508 - 509.

(٢٧) ايدن ، انتونى مذكراته ، الجزء الثانى ، ص ١٢٠ - ص ١٢٥ .

(٢٨) Dulles, T.F. War or Peace, London 1957, p. 84.

انظر كذلك ناتنج أنتونى ، أنتونى ناصر ، ترجمة شاكر ابراهيم ، ص ١٨٤ - ١٨٦ .

(٢٩) بوفر ، أندريه - حملة السويس ١٩٥٦ ، ترجمة المخابرات العامة ، ص ٨٠ - ص ٨٢ .

(٣٠) أرو ، هنرى - فخ السويس ، ص ٣٥٧ .

(٣١) بوفر ، أندريه - حملة السويس ١٩٥٦ ، ترجمة المخابرات العامة ، ص ٨٢ - ص ٨٦ ، انظر كذلك أرو ، هنرى - المرجع السابق ، ص ٣٥٧ - ص ٣٥٩ .

(٣٢) المرجع السابق نفسه - حملة السويس ١٩٥٦ ، ص ٨٤ - ص ٨٦ .

(٣٣) بوفر ، أندريه - المرجع السابق ، ص ٨٥ .

(٣٤) المرجع السابق نفسه ، ص ٨٥ - ص ٨٦ .

(٣٥) المرجع السابق نفسه، ص ٨٧ - ص ٨٨ ، انظر كذلك أرو ، هنرى - فخ السويس ، ص ٣٧٥ - ص ٣٧٦ .

(٣٦) Robertson, Terence, Crisis, pp. 133-134.

(٣٧) بوفر ، أندريه حملة السويس - ترجمة المخابرات العامة ، ص ٨٩ - ص ٩١ .

(٣٨) بوفر ، أندريه المرجع السابق ، ص ٩٣ ص ٩٥ ، انظر كذلك أرو ، هنرى فخ السويس ، ص ١٣٥ ص ١٣٨

(٣٩) Love, Kenent – Suez The Twice Fought War, p. 210.

(٤٠) Childers, Erskine – The Road To Suez, pp. 138–141.

(٤١) Ibid, p. 142.

(٤٢) آزو ، هنرى – فخ السويس ، ص ٣٧٨ ، انظر كذلك كلارك ، م. – الهبوط من السويس ، مصلحة الاستعلامات ، الترجمة العربية رقم ٥١٣ ، ص ٦٤ .

(٤٣) آزو ، هنرى – المصدر السابق ، ص ٣٧٨ ، ص ٣٧٩ . انظر كذلك : .
O'Ballance, Edgar – The Sinai Campaing 1956, London 1956, p. 70.

(٤٤) بوفر ، أندريه – حملة السويس ١٩٥٦ ، ترجمة المخابرات العامة ، ص ٩٧ ، انظر كذلك :
Love, Kennett, Suez The Twice – Fought War, p. 235.

(٤٥) وزارة الحربية – حرب العدوان الثلاثى على مصر ، الجزء الثانى – المجلد الثانى ، طبعة ١٩٦٩ ، كود ٢/٣ ، ص ٢١٩ . كان العميد أ ح / صلاح الموجى هو قائد قوات بورسعيد ، وهو ضابط كفء له تاريخه الكبير ، وهو لم يسلم المدينة بل وقع فى الأسر .

(٤٦) مقابلة تمت بين العقيد دكتور / قطين أحمد فريد ، والعميد أ ح / صلاح الموجى قائد قوات بورسعيد بمنزله بالجيزة ، يوم الاثنين الموافق ٢٥ ابريل ١٩٩٤ .

(٤٧) آزو ، هنرى – فخ السويس ، ص ٣٩٣ – ص ٣٩٤ .

(٤٨) أمين هويدى – حروب عبد الناصر ، ص ٧٥ .

(٤٩) صلاح بسيونى – مصر وأزمة السويس ، ص ٢٠٨ – ص ٢٠٩ .

(٥٠) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٠٩ .

(٥١) أمين هويدى – حروب عبد الناصر ، ص ٦٨ – ص ٦٩ .

(٥٢) وثائق القيادة العامة للقوات المسلحة ، محفوظات القوات المسلحة ، تقرير القيادة العامة للقوات المسلحة ، سبتمبر ١٩٥٦ .

(٥٣) المصدر السابق .

الباب الثانى

الأحداث فى مسرح الحرب

الفصل الثالث : مجمل سير القتال

فى جبهتى سيناء والقناة

الفصل الثالث

مجمل سير القتال فى جبهتى سيناء والقناة

عام - مراحل حرب العدوان الثلاثى - ملخص الأحداث - يوميات العدوان - مناوشات يوم ٢٩ أكتوبر - احتدام القتال يوم ٣٠ أكتوبر - الموقف فى نهاية يوم ٣٠ أكتوبر - الإنذار الذى هدد الضحية - أحداث القتال يوم ٣١ أكتوبر - أحداث القتال يوم ١ نوفمبر - أحداث القتال يوم ٢ نوفمبر - أحداث القتال يوم ٣ نوفمبر - أحداث القتال يوم ٤ نوفمبر - أحداث القتال يوم ٥ نوفمبر - أحداث القتال يوم ٦ نوفمبر - تفسخ محور التواطؤ - التعليق ٠

عام :

إستغرق القتال فى حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف عام ١٩٥٦ مائتى ساعة ، وتراوحت شدّته بين المناوشات المنخفضة الشدة ، والمعارك المحتدمة ، وأعمال الاقتحام الرأسى وعمليات الغزو البحرى . وبدأت الحرب فى الساعة الخامسة عصر يوم الأثنين ٢٩ أكتوبر ، عندما أسقطت الأركان العامة الإسرائيلية الكتيبة ٨٩٠ مظلات بقيادة المقدم روفائيل إيتان[١] فوق المدخل الشرقى لمر متلا على مسافة ٦٠ كيلو متراً شرق قناة السويس لتخلق المبرر للقوات الأنجلو فرنسية للتدخل فى الحرب الدائرة ، تحت زعم الحرص على حماية هذا المرفق الدولى المهم من أخطار الحرب المشتعلة على مشارفها . وانتهى القتال فى المسرح فى الساعة الثانية بعد منتصف ليلة ٦ / ٧ نوفمبر ١٩٥٦ ، بصدور قرار مجلس الأمن بوقف إطلاق النيران فى المسرح ، ورضوخ كافة الأطراف المتحاربة له ٠

إن أبسط الحروب يصعب متابعة وقائعها وتحديد أمكنتها وأزمنتها بدقة ، وكذلك كان حال حرب العدوان الثلاثى ، التى تميزت باستقلال كل اتجاه تعبوى تقريباً عن الآخرين

بدرجة غير عادية . فمحاور الهجوم الإسرائيلى الأربعة فى سيناء لم يكن يربط بينها إلا أضعف درجات التعاون المشترك ، سواء على المستوى التكتيكى أو التعبوى ، أما الارتباط بينها وبين محور الغزو البحرى الأنجلوفرنسى فلم يكن يحكمه سوى دواعى إخفاء التواطؤ بقدر ما تسمح به الظروف ، ولهذا كان تأخير الضربة الجوية الشاملة الأنجلوفرنسية لحين تخلق إسرائيل ذريعة التدخّل ، ثم يصدر الإنذار الأنجلو فرنسى للطرفين بالابتعاد عن قناة السويس ، وعندما ينتهى الأجل الذى حدده ذلك الإنذار لمصر لتنصاع لشروطه ، تبدأ طائرات الكانبرا البريطانية والطائرات ف - ٨٤ الفرنسية العمل بعد أن ترفض مصر الإنصياع للإنذار الذى حرص محور العدوان على صياغته بقدر كبير من الإجحاف بها ، والتهديد السافر الذى لن تقبله مصر قطعاً [1] .

وهكذا فرض التواطؤ الأنجلو فرنسى قيوداً على توقيتات الحرب ومراحل القتال ، جعلتها تختلف عن التوقيتات والمراحل العادية .كما أنها على خلاف باقى الحروب التى تبدأ بأعنف درجات القتال شدّة ؛ إذ اقتصرت مرحلتها الافتتاحية على بعض المناوشات التى لم يتجاوز هدفها مجرد خلق الذريعة للتدخل الأنجلو فرنسى ، طبقا لحبكة مخطط العدوان ، كما اتفق عليه ليلاً أطرافه الثلاثة فى معاهدة سيفر ، التى وقعوها مساء ٢٤ أكتوبر ١٩٥٦ بضاحية باريس .

فالجيش الإسرائيلى يُصر على القتال تحت سماء يملك السيطرة الجوية عليها بلا منازع ، بينما سلاحه الجوى لم يصل بعد إلى القدرة على تحقيق ذلك بمفرده ، ولن تستطيع الطائرات الأنجلو فرنسية أن تقوم بتلك المهمة نيابة عنه ، إلا بعد توفير المبرر لهذا التدخل العدوانى ، الذى يجب أن يسبقه إصدار إنذار للطرفين المتحاربين بالكف عن القتال على مشارف القناة حتى لايتعرض استمرار الملاحة فيها للخطر ، وذلك للظهور بمظهر الحريص على سلامتها ، الأمين على مصالح الأسرة الدولية فى أن تظل مفتوحة أمام جميع السفن بلا تمييز .

وبناء على ما سبق. . فقد اتفقوا على إسقاط كتيبة المظلات فوق ممر متلا على مشارف القناة ؛ لتكون الذريعة للتدخل الأنجلو فرنسى فى الحرب بقواتهما العسكرية على أن يعقب ذلك صدور الإنذار الأنجلو فرنسى للطرفين المتحاربين على مشارف القناة ، وبعد ٢٤ ساعة من إسقاط تلك الكتيبة ، كما حددت تلك الخطة وقت شن الضربة الجوية الشاملة

الأنجلوفرنسية بعد ١٢ ساعة من صدور الإنذار ، (إلا أنها تأجلت ١٢ ساعة أخرى لتتم ليلاً) ؛ لتكون هى نفسها بمثابة الإشارة الخضراء للقيادة الجنوبية الإسرائيلية للتحول بالقتال من مستوى المناوشات إلى مستوى المعارك المحتدمة ، التى بدأت صباح ١ نوفمبر بالهجوم الرئيسى على الدفاعات المصرية فى ام قطف ورفح على حدود سيناء الشرقية ، بينما تواصل الطائرات الأنجلو فرنسية قصف عمق مصر ، مع التركيز على شاطىء الغزو الذى اعتزمت اجتياحه وشيكاً ، وذلك لتليين مابه من دفاعات وموانع هندسية قبل الهجوم عليها .

ودارت خلال تلك الساعات المائتين خمس معارك برية فى شبه جزيرة سيناء ، وعملية غزو بحرى فى منطقة بور سعيد ، كما تخللتها ايضاً الضربة الجوية الأنجلو فرنسية الشاملة ليلة ٣١ اكتوبر ، والتى حطمت طائرات ومطارات وعناصر الدفاع الجوى المصرى قبل أن ينبلج فجر يوم ١ نوفمبر ، فأحرزت للقوات البرية الإسرائيلية مطلبها للقتال ، وهو أن تتمتع بمزايا التفوق الجوى ، بل والسيادة الجوية المطلقة .

ثم انتهى العدوان الثلاثى على مصر بانسحاب القوات الأنجلو فرنسية من شاطىء الغزو يوم ٢٢ ديسمبر ١٩٥٦ ، الذى أعقبه انسحاب القوات الإسرائيلية من سيناء وقطاع غزة يوم ٦ مارس ١٩٥٧ وقد حفلت الفترة بين وقف إطلاق النيران فى المسرح وبين جلاء أخر جندى من الأعداء عنه بنشاط العمل الفدائى المصرى والفلسطينى لمدة ١٢٠ يوماً ضد قوى العدوان ، مع التركيز بصفة خاصة على شاطىء الغزو البحرى ببورسعيد ، الذى تكبد فيه الأعداء خسائر كبيرة ، دفعتهم إلى الإسراع بالرحيل قبل موعده المحدد .

وانفردت تلك الحرب أيضاً عن سائر الجولات التى سبقتها أو أعقبتها بأنها كانت الوحيدة التى اشتركت فيها قوات مسلحة من خارج منطقة الشرق الأوسط بصورة سافرة ، مما أدى الى تعدد اتجاهات العدوان التى اشتملت أيضاً على كل أوجه المعركة الحديثة للأسلحة المشتركة من تقدّم إلى أرض المعارك ، وهجوم ، ودفاع ، وانسحاب منها ، فضلاً عن الغزو البحرى ، والاقتحام الجوى الرأسى ، والقتال الجوى والبحرى المنفرد ، والعمل الفدائى النشط .

إلا أن ضعف التنسيق بين قيادات العدوان الثلاثى ، واختلاف المرامى التى تسعى حكوماتها إلى تحقيقها ، إلى جانب اختلاف المذاهب العسكرية والتنظيم والتكتيك ، بل ولغة الحوار بين أطراف العدوان أدّت جميعها إلى إثارة بعض الظنون ، ووقوع عدة ارتباكات

خلال سير القتال صبغته بالبطء والتخبط ، كما حدثت عدة مشاحنات وتعارض فى الأراء بين قادة قوات العدوان حتى أوشكت إحداها أن تحل رباط التعاون بينهم ، بينما كانت المواقف السياسية تتطور بسرعة على الساحة المحلية والدولية فى مجلس الأمن والجمعية العموميه للأمم المتحدة بما جعل دينامية المساعى السياسية والدبلوماسية وقراراتها تسبق ديناميه القتال فى المسرح ، فتكشف عن خبيئة التواطؤ للعالم أجمع رغم مابذلته الأطراف الثلاثة من جهد كبير لإخفائه ، فترتب على انكشافه دمغ هذا العدوان باللاأخلاقية ، واجتماع الكلمة على ازدرائه وتجريمه ، مع الإصرار على وقفه وإزالة كل آثاره ·

وعلى كثرة ما وقع من تلك المشاحنات طيلة أيام القتال ، فإن العلاقات السياسية والعسكرية بين فرنسا وإسرائيل ظلت متينة ، كما استمر تدفق المعونات الفرنسية إليها ، فإلى جانب الطائرات الميستير الستين التى أهدتها فرنسا لإسرائيل فى شهر أغسطس قبيل العدوان ، فقد وعدتها أيضاً بثلاثة أسراب من المقاتلات بطياريها الفرنسيين لتقوم تلك الطائرات الخمس والأربعين بدعم أعمال قتال القوات البرية الإسرائيلية فى سيناء وتأمين سماء إسرائيل ، بينما يؤمن الأسطول الفرنسى سواحلها ويشترك الطراد جورج ليجوس فى تليين الدفاعات المصرية قرب الساحل فى رفح والعريش بنيران مدافعه الضخمة ·

وبذلت فرنسا الوعد لإسرائيل بإمداد المظليين بمتلا بالمدافع المضادة للدبابات والذخائر والمياه والأغذية ، وكذلك بأية وحدات مقاتلة إسرائيلية أخرى تحتاج إلى المساعدة[٣] .

مراحل العدوان الثلاثى على مصر :

لقد دارت الحرب من وجهة نظر الإستراتيجية المصرية ، وطبقاً لتطوراتها السياسية والعسكرية فى أربع مراحل متتالية كالآتى :

المرحلة الأولى

محاولة حصر العدوان الإسرائيلى ·

المرحلة الثانية

اكتشاف التواطؤ والعمل على سرعة سحب القوات المصرية من سيناء .

المرحلة الثالثة

تركيز جهد الدفاع فى اتجاه جبهة قناة السويس ؛ استعداداً لمواجهة الغزو الأنجلوفرنسى الوشيك .

المرحلة الرابعة

الضغوط السياسية والعسكرية على حكومات محور التواطؤ وانسحاب قوات العدوان .

وقد استغرقت المرحلة الأولى ٥٠ ساعة فيما بين الخامسة عصر يوم ٢٩ أكتوبر ، والسابعة مساء يوم ٣١ أكتوبر ١٩٥٦ ، عندما صدر الإنذار الأنجلو فرنسى لمصر بوقف النيران تحت زعم الرغبة الحميدة فى حماية قناة السويس ، وانحصر القتال خلال تلك المرحلة داخل مسرح سيناء بين القوات الإسرائيلية التى يدعمها مجهود جوى وبحرى فرنسى متفوق ، وبين القوات المصرية .

وقد بدأ بإسقاط قوة من المظلات فى منطقة تخلو من أى بشر ، وعلى مسافة نحو ٦٠ كيلو متراً من قناة السويس ، ثم زجت إسرائيل بإسم القناة عمداً فى بيان أذاعه المتحدث الرسمى للجيش الإسرائيلى فى الساعة التاسعة ليلاً ؛ للإيهام بوجود حالة صراع مسلح على مشارف قناة السويس تهدد سلامة وإنتظام سير القوافل البحرية فيها .

وانتهت تلك المرحلة بنجاح القوات المصرية فى حصر العدوان الإسرائيلى ودفع الإحتياطيات التعبوية الى سيناء ، وتأهبها لتوجيه ضربة مضادة لاستعادة الأوضاع فى المسرح .

واستغرقت المرحلة الثانية ٨٤ ساعة فيما بين الساعة السابعة مساء يوم ٣١ أكتوبر ، والساعة السادسة من فجر يوم الاحد ٤ نوفمبر ١٩٥٦ ، عندما بدأ التمهيد الجوى الأنجلوفرنسى لعملية الغزو البحرى .

وكانت الساعة السابعة مساء ٣١ أكتوبر هى اللحظة الحاسمة فى سجل حرب العدوان الثلاثى ، عندما انقضت الطائرات الأنجلوفرنسية بغتة على مطارات مصر لتدمر ما بها من طائرات ، فانكشفت للتو حقيقة المؤامرة الثلاثية التى حيكت أطرافها ليلاً بضاحية سيفر ، وما بيته محور العدوان لندن -باريس - تل أبيب من نوايا حقودة ضد مصر وجيشها

وزعامتها لتحطيم ذلك الجيش ، وإسقاط تلك الزعامة التى أعلن أنتونى ايدن أن عليها أن تختفى .

وصدر قرار توحيد الجبهة المصرية غرب قناة السويس فى الساعة العاشرة من مساء نفس اليوم لإنقاذ القوات الموجودة فى مسرح سيناء من الشرك المدبر الذى أعد لها هناك ، بعد أن استدرجها جيش إسرائيل داخل أعماق هذا المسرح ؛ لتنزل قوات الغزو الأنجلوفرنسى فى ظهرها . وتقفل عليها مؤخرة المسرح على امتداد القناة حتى تفقد الزعامة المصرية جيشها فلا يصبح أمامها بعدئذ إلا الرضوخ لرغبات المعتدين وشروطهم المجحفة .

ولتجنّب ذلك صدر قرار سحب قوات مصر من سيناء وتوحيد جبهة القتال غرب القناة ؛ لتحقيق الاتزان الإستراتيجى فى مسرح الحرب والاستعداد لمواجهة الغزو الأنجلوفرنسى المتوقع ، بتركيز حشد الجيش وقوى النضال الشعبى داخل مثلث الدفاع الحيوى بورسعيد – السويس – القاهرة .

وبمجرد صدور هذا القرار ، تحولت الصورة العامة للحرب من مجرد قتال داخل منطقة محدودة إلى صراع مسلح على صعيد مصر كله ، ففقدت خطة العدوان أهم ركائزها وهى القضاء على غالبية القوات المسلحة لمصرية بعد استدراجها بواسطة جيش إسرائيل داخل الشرك ، الذى أعده لها فى أعماق سيناء الشرقية .

واستهلت مصر أعمالها العسكرية فى تلك الفترة بسحب قواتها من سيناء مع ترك عناصر انتحارية لستر عملية الانسحاب السريعة ، وقد صاحب ذلك عملية إخلاء بعض طائرات القوات المصرية من قواعدها الجوية المعرضة إلى قواعد أخرى أقل تعرضاً فى صعيد مصر ، ثم إلى قواعد صديقة خارجها .

وقد تعرضت مصر خلال تلك المرحلة للضرب الجوى المركز من جانب القوات الجوية البريطانية والفرنسية ، شمل معظم أرجاء الجمهورية فى مرحلته الأولى ، قبل التركيز على شاطئ الغزو البحرى ببورسعيد قبيل عملية الإبرار وأثناءها .

ولم يكن ساحل بورسعيد يوفر فى نظر الجنرال هيوستوكويل قائد قوات الغزو البرية المكان الأمثل لتنفيذ العملية موستكير المعدلة النهائية ، فالقوات التى تنزل إلى الساحل لن يكون من السهل انطلاقها من جيب بورسعيد الضيق نحو الجنوب ؛ نظراً لانحصار الطريق

الوحيد بين قناة السويس وبحيرة المنزلة بما لا يترك سوى عشرات الأمتار فقط للتحركات العسكرية الضخمة التى يمكن عرقلتها ، بل وإيقافها تماماً ببعض الكمائن والحفر وحقول الألغام ليصبح ذلك المضيق أرنهايم ثانية . لقد كان ساحل غرب الإسكندرية هو الأمثل ، فهو الذى يوفر الأرض المفتوحة إلى القاهرة . وقد اعتمد الجنرال ستوكويل فى نظرته تلك على سابق خدمته بنفس المنطقة منذ عهد قريب [٤] .

واستغرقت المرحلة الثالثة ٦٨ ساعة فيما بين الساعة السادسة من فجر يوم الأحد ٤ نوفمبر والساعة الثانية من فجر يوم الأربعاء ٧ نوفمبر ١٩٥٦ ، وبدأت بالتمهيد الجوى لعملية الغزو البحرى الأنجلوفرنسى لشاطئ بورسعيد ، ثم تنفيذ الاقتحام الجوى والبحرى لإنشاء رأس شاطىء فيما بين منطقة الجميل غرباً وبورفواد شرقاً ، توطئة للانطلاق منه فى محاولة يائسة نحو الإسماعيلية ، والسويس ثم القاهرة على نحو ما فعل الجنرال وولسلى فى عدوان سبتمبر ١٨٨٢ ، الذى انتهى باحتلال مصر وكبت الثورة العرابية .

وانتهت تلك المرحلة بتأمين رأس الشاطئ فى بورسعيد ، وما أعقبها من صدور قرار وقف إطلاق النار من الجمعية العمومية للأمم المتحدة ، ثم رضوخ حكومات دول العدوان لهذا القرار بعد تسويف ومماطلة هزيلة ، ومن ثم توقف القتال فى المسرح .

أما المرحلة الرابعة والأخيرة فقد استغرقت ١٢٠ يوماً فيما بين ٧ نوفمبر ١٩٥٦ و ٦ مارس ١٩٥٧ ، عندما أتمت القوات الإسرائيلية الانسحاب من شبه جزيرة سيناء وقطاع غزة ، بعد أن كانت القوات الأنجلو فرنسية قد سبقتها بالانسحاب من رأس الشاطئ ببورسعيد يوم ٢٢ ديسمبر ١٩٥٦ وخلال تلك المرحلة حسمت القضية لصالح مصر فيما عدا قبولها وضع قوة طوارئ دولية فى مدخل خليج العقبة عند شرم الشيخ ؛ لتقوم بتأمين حرية الملاحة فى الخليج لجميع السفن بما فيها الإسرائيلية أو تلك التى تحمل بضائع لإسرائيل .

أما أبرز المكاسب التى خرجت بها مصر من هذه الجولة ، فكانت إلغاء معاهدة الصداقة والتحالف بينها وبين بريطانيا بعد أن تحولت من حليف إلى عدو ، وما تبع ذلك من استيلاء مصر على القاعدة البريطانية العسكرية الضخمة بمنطقة قناة السويس ، بكل ما تحويه من أسلحة وعتاد وذخائر بكميات ضخمة كتعويض عن الأضرار التى ترتبت على العدوان ، ثم انفرادها بملكية وحق إدارة قناة السويس بلا منازع أو معترض .

ملخص الأحــداث :

كان التوتر الشديد الـذى أثاره تأميم شركة قناة السويس قد بدأ يهـدأ شيئاً ما ، عندما توالت البلاغات على القيادة الشرقيـة المصرية فى الساعة السابعة من مساء الاثنين ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ ، والتى جاء أولها من نقطة الحدود قرب الكونتلا عن تحرك نحو ٥٠ لورى معادٍ فى وادى جرافى المواجه للكونـتلا ، مع سماع أصوات طائرات كثيرة تعبر سماء المـنطقة متجهة غربا .

ثم أعقبة مـباشرة بلاغ آخر من النقيب وجـدى شرف بمنطقة نخل عن تـعرض عربتى تموين قواته وهما آتيتـان من متلا لنيران مدافع الماكينة عند المدخل الـشرقى للمر . أما ثالث البلاغات فجاء من عمـال تمهيد الطرق قرب ممر متلا عن اسقاط قوة من المظـليين فوق منطقة صدر الحيطان ، كانوا قد شاهدوها رأى العين .

وكان هولاء المـظليون يشـكلون فى حقـيقة الأمر الكتـيبة ٨٩٠ مظلات قيـادة المقدم / روفائيل إتيان من اللواء٢٠٢ المظلى قيادة العقيـد أرييل شـــارون ، التى قفزت بمظلاتها من ١٦ طائرة داكـوتا كانت قد أقـلعت من مـطار عقير فـى الساعة الرابـعة والنصـف عصراً ؛ لتسـقطهـم فى تمام الخـامسة علـى مشارف قـناة السـويس ، حتى تـوفر الذريـعة للتـدخل الأنجلوفرنسى تحت زعم الرغبة الحميدة فى وقاية القناة من أخطار القتال الدائر قربها ، والذى يهدد بتـوقف الملاحة فيها . ومـن طريف ما يذكر فـى هذا الصدد أن الألوف مشنـيه عايزر وايزمان قـــائد تلـك القاعدة الجـوية راح يسائل نفسه كلما اقـلع رف من تلك الـطائرات بالمظليين ، قائلا : "هل يملك هؤلاء الكفاءة القتالية الفعلية لما يقدمون عليه من قتال ؟ " .

والواقع أن منطقة صدر الحيطان لم تكن تـصلح لإقناع أحد بما ساقه الإعلان الإسرائيلى من مزاعم ، فهى تبعد عن القناة بأكثر من ٦٠ كيـلومترا بما لا يجعل للقتال الدائر فيها كل هذا الخطر علـى الملاحة فيها ، وقد كان الاختـيار الأول لرئاسة الأركان العامـة قد وقع على المدخل الغربـى للمر الذى لا يـبعد عن القـناة سوى ٣٠ كيـلو متراً فقـط ، إلا أن طائرة الاستطلاع التى حومت فوقه بالأمس شاهدت عدة خيام منصوبة حوله فعمدت رئاسة الأركان الإسرائيلية إلى تغيير منطقة الإسقـاط إلى المدخل الشرقى للممر ، إذ كان الإصرار على أن يتم فى منطقة ليس بها نفس حية . وعندما دفع أحد ضباط الأركان بأن بُعد المنطقة الجديدة

يفقد الذريعة حجيتها ، نصحه موشيه ديان رئيس الأركان بألا يشغل باله بتلك التوافه ، فوقت المعارك تتوه الحقائق(٥) .

وبينما كانت طائرات الداكوتا تسقط المظليين فوق صدر الحيطان ، كانت عشر طائرات طراز ميتيور تقوم بحراستها ، واثنتا عشرة طائرة فرنسية من طراز المستير تراقب منطقة القناة وهى على استعداد لمطاردة أية طائرة مصرية تحاول التدخل فيما يحدث بصدر الحيطان(٦) .

وقد وقع الاختيار على ممر متلا لخلق ذريعة التدخل الأنجلوفرنسى فى الحرب للأسباب التالية :

١ - خلو المنطقة من القوات المصرية بما يؤمن قوة المظليين من خطر الإبادة فتنهار ذريعة العدوان .

٢ - قرب المنطقة من قناة السويس ، وهو الشرط الأساسى لخلق حالة صراع مسلح على مشارفها ، يبرر التدخل الأنجلو فرنسى لحمايتها مما تتعرض له من أخطار .

٣ - طبيعة ارض الممر التى تتميز بالوعورة الشديدة والضيق بما يتيح لقوة صغيرة نسبياً ذات تسليح خفيف ، فرصة التمسك بالارض لمدة طويلة نسبيا لحين وصول القوات البرية اللاحقة ، وهو مالا توفره الاتجاهات التعبوية الأخرى فى سيناء بنفس تلك المزايا .

٤ - عدم صلاحية أرض الممر لاستخدام المدرعات ؛ مما يؤمن قوة المظليين ذات الأسلحة الخفيفة من مخاطر التعرض للدبابات المصرية التى لا تملك دفاعًا وهجومًا حيالها .

٥ - بُعد أقرب قوة مصرية عن منطقة الإبرار بما يجعل احتمال تدخلها السريع فى القتال أمراً بعيد الاحتمال ، خاصة وأن مثل تلك القوات سوف يتعين عليها أن تعبر القناة أولا مما سوف يعرقل وصولها إلى منطقة الإبرار مدة كافية ليستكمل المظليون فيها تجهيز موقعهم الدفاعى على أفضل وجه . وقد عملت بريطانيا وفرنسا على زيادة عدد السفن العابرة للقناة طيلة ليلة ٢٩ / ٣٠ أكتوبر ؛ لتعطيل عبور أى قوات مصرية إلى سيناء .

٦ - خلو الاتجاه التعبوى الجنوبى فيما بين الكونتلا ومتلا من الدفاعات المصرية القوية ، مما يكفل للقوات البرّية اللاحقة المشكلة من باقى كتائب اللواء ٢٠٢ المظلى سرعة الوصول إلى كتيبته المنعزلة بصدر الحيطان ؛ لتمدها بالدعم القتالى والإدارى الكافى لمواجهة مختلف المواقف المحتملة ، لا سيما وأن روح الزمالة سوف تدفعهم إلى الإسراع بالانضمام إلى كتيبتهم المسقطة فى الأمام ٠

٧ - البدء بالأعمال التعرضية عند صدر الحيطان سوف يجذب أنظار القيادة العامة المصرية إلى اتجاه مخادع بعيداً عما اعتزمته الأركان العامة الإسرائيلية من شن الهجوم الرئيسى فى وسط وشمال سيناء ، على إمتداد محورى العوجة -الإسماعيلية ، ورفح - القنطرة(٧) .

إجراءات القيادة الشرقية :

تعدّدت الاحتمالات إزاء مقاصد الإبرار الإسرائيلى بمنطقة صدر الحيطان فى نظر القيادة المصرية ، إلا أن عمق الإبرار الكبير وما سبقه من نشاط كثيف للقوات الإسرائيلية قرب الحدود الشرقية فى مواجهة رفح وأبوعويقيلية والكونتلا دفع القيادة الشرقية إلى ترجيح عزم إسرائيل على شن عملية هجومية رئيسية ضد سيناء ٠

ولما لم تكن القوات المتمركزة بها تكفى لمواجهة مثل هذا الهجوم ، فقد بادرت القيادة الشرقية إلى اتخاذ قرار قفل المدخل الغربى لممر متلا ؛ توطئةً للزحف خلاله بقوة كبيرة وتكليفها بالقضاء على قوة المظلات المتمركزة شرقه فى تعاون وثيق مع الأورطة الثانية استطلاع ، التى كلّفتها بأن تلتف خلفها عبر وادى المليز لتشكل الطرف الشرقى من حركة الكماشة ، بينما تشكل مجموعة اللواء الثانى المشاه طرفها الغربى ، وبذلك يتم الإطباق على المظليين من الجانبين بما يضمن تدميرهم (٨) .

وبتوالى وصول المعلومات من نقطة المراقبة والإنذار المصرية قرب حدود مصر الشرقية عن تحرك أرتال العدو المدرعة والميكانيكية قرب تلك الحدود ، عزمت القيادة الشرقية على دعم قوات الدفاع عن سيناء بحشد احتياطياتها التعبوية المشكلة من قيادة الفرقة الرابعة المدرعة ، والمجموعة الثانية المدرعة ، واللوائين ٣٠ و ٤٢٦ من جيش التحرير الوطنى ، وكذا الآلاى الثانى استطلاع عدا الأورطة التى دفعت عبر وادى المليز إلى صدر الحيطان ، لتحتل جميعها خط الدفاع الثانى عن سيناء حول منطقة بير روض سالم ٠

وسعيا الى توفير احتياطى تكتيكى مناسب للفرقة الثالثة المشاة القائمة بالدفاع عن المثلث أبوعويقـيلية -رفح -العـريش كل بلواء مشاة عـدا كتيبة ، فقـد قررت القيادة الشـرقية دفع مجموعة لواء مشـاة إلى العريش لتخلى اللواء الرابـع المشاة المتمركز فيها للعـمل كاحتياطى لتلك الفرقة .

كما خصـصت القيادة الشرقـية المجهود الجوى المناسـب لمساندة تلك الأعمـال البرية ، واطمأنت الى أنه بمجرد إتمام تلك التحركات سالـفة الذكر سوف يتحقق التوازن التعبوى فى جبهة سيـناء بالقدر المنشود ، كما تـتهيأ الظروف المناسبـة فى الوقت نفسه للتحـول للهجوم المضاد العام ، عندما يحين وقته لتدمير العدو الذى اخترق الحدود .

إجراءات القيادة العامة المصرية

ترتب على تصديق القيادة العامة على قـرارات القيادة الشرقية سالفة الذكر ، أن عمدت القيادة العامة بدورها إلى دفع جزء من احتياطياتها الاستراتيجية من منطقة القاهرة الى منطقة قناة السويس حفظـا للاتزان الأستراتيجى بمسرح الحرب ،واستعداداً لمـا قد تكشف عنه الأيام المقبلة من أحداث .

كما دفعت وحدات منتخبة من جيش التـحرير الوطنى إلى سيناء ، وخصصت المجهود الجوى المناسب لـدعم وحدات القيادة الشرقـية ،وقصف الاهداف الحيوية داخـل إسرائيل ، خاصة مـطاراتها الحربيـة وأماكن تمركز قـواتها البريـة قرب الحدود ، ثم كلفـت الأسطول المـصرى بقصف قـاعدة حيفا الـبحرية بمدفـعية المدمرات ، كـما أمرت الكتـيبة ٧٥ مظلات بالاستعداد لقطع موخرة العدو إذا ما تقدم على الاتجاه التعبوى الجنوبى ليلحق بكتيبة المظليين التى اسقطها عند صدر الحيطان ،مع القيام بـإغارة فدائية محدودة ضد هدف عسكرى منتخب فى منطقة بير السبع(٩) .

التنسيق مع القيادة العربية المشتركة

ثم استكملت القيـادة العامة المصرية آخر الإجراءات بتنسيق خططهـا مع القيادة العربية المشتركة لحشد قوة مناسبة من المدرعات والمشاه فى مـنطقة متاخمة لحدود إسرائيل على جبهة الأردن صباح ٣١ أكتوبر لشن هجوم يفصل شمال إسرائيل عن جنوبها ، مع دفع مجموعات فدائيين للعمل على شل وإرباك التحركات الإسرائيلية على الطرق ، بينما تقوم القوات الجوية

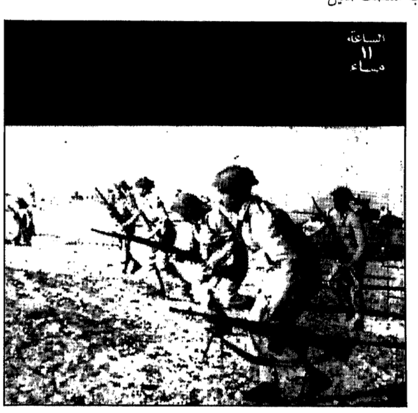
السورية بقصف مطارات شمال إسرائيل · وقد أعلنت كل من الأردن وسوريا التعبئة العامه فور إبلاغهما بتلك القرارات ·

يوميات العدوان

مناوشات يوم الاثنين ٢٩ اكتوبر

تحول الشك فى مقاصد إسرائيل من إبرار كتيبة المظلات فى صدر الحيطان إلى يقين ، عندما أعلنت الإذاعة الإسرائيلية على لسان المتحدث الرسمى لجيش الدفاع الإسرائيلى فى الساعة التاسعة مساء عن هذه الإغارة العميقة ، ثم زج باسم قناة السويس فى بلاغه ليخلق الذريعة للتدخل الأنجلوفرنسى للحفاظ على سلامة واستمرار الملاحة الدولية فيها [١٠] .

وفى الساعة الحادية عشر مساء نفس اليوم ، بدأت مجموعة اللواء الثانى المشاه المصرية المشكلة من كتيبتى مشاه فقط فى عبور قناة السويس ، والاتجاه إلى ممر متلا فى نفس الوقت الذى عبرت فيه مقدمة اللواء ٢٠٢ المظلية الحدود المصرية عند الكونتلا ، وبدأت الزحف نحو التمد قرب منتصف الليل ·



أما الاحتياطيات التعبوية للقيادة الشرقيـة فى منطقة قناة السويس والمشكلة من المجموعة الأولى المدرعة والآلاى الثانى استطــلاع عدا أورطة ، ومــجموعة اللواء الثالث المشاه فكانت تتأهــب للتحرك عبــر قناة السويس نــحو سيناء ٠كمــا بدأ اللواء ٩٩ المشاه الاحتــياطى فى التحرك مــن منطقة تمركزه فــى الغرقدة غربا صوب بــير روض سالم ؛ ليحتــل خط الدفاع الثانى على الطريق الأوسط ، ولينشئ مع مجمــوعة اللواء الثالث المشاه القاعدة الوطيدة التى توفر للقوة المدرعة الضاربة فرصة العمل منها ضد القوات الإسرائيلية المهاجمة ٠

وكان من المظاهــر الملفتة للنظر كـثافة تحركات السفن عــبر القناة طيلة هذه الــليلة ، بما عرقل عبور القوات نحــو سيناء ، نزولاً على أوامر القيادة العامة الــتى أكدت على أن تكون الأفضلية للسفن وليس للقوات المندفعة نحو سيناء

احتدام القتال يوم الثلاثاء ٣٠ أكتوبر

موقف القوات الإسرائيلية على الاتجاه التعــبوى الجنوبى :

اصطدمت مجــموعة اللواء ٢٠٢ المظلات بموقع التمــد التعطيلى الذى تحتلــه عناصر من الآلاى الثانى سيــارات حدود ، والتى كانت قد أمرت بإخــلاء مواقعها لعدم تكافؤ تسليحها مع تسليح الــعدو ، ثم أمرت باعادة احتلال تلك المواقــع مرة ثانية قبيل هجوم الــعدو عليها بدقائق قليلة .

ودارت معركة غير متكــافئة بين الطرفين بدأت حوالى الساعة الرابــعة والنصف فجرًا ، وانتهت الساعة السابعة والنصف صباحًا عندمــا استشهد معظم افراد الموقع التعطيلى . إلا أن مجموعة لواء المظلات لم تستأنف تقدمها غربا حتى العصر ؛ نظرًا لتعرضها لغارات جوية ، فلم تصل إلى نخل إلا مع آخر ضوء ، ثم واصلت تقدمها الحــثيث لتتصل بكتيبتها المسقطة بالامس فى صدر الحيطان حوالى الساعة الحادية عشرة والنصف ، قبل منتصف الليل متأخرة بذلك نحو ست ساعات عن الوقـت المحدد لها فى أمر العمليات [١١] .



على الاتجاه التعبوى الأوسط

بدأت مجموعة اللواء الرابع المشاة الإسرائيلية هـجومها على نطاق الأمن بالقصيمة الذى تحتله أورطة استطلاع خفيفة ، وذلك قبيل فجر يوم ٣٠ أكتوبر . ومع الصباح اضطرت القيادة الجنوبية الى دفع مجموعة قتال مدرعة من اللواء السابع المدرع صوب القصيمة ، بعد أن تعثرت مجموعة اللواء الرابع المشاه ، وفشلت فـى اقتحامها (١٢) .

واستمر القتال محتدما هناك حتى الظهر بينما طلائع القوات الاسرئيلية تلتف على الجانب الجنوبى لدفاعات أم قطف ، ولما فشلت فى اقتحامها من الحركة راحت تبحث عن منافذ أخرى للوصول الى قلب هذه الدفاعات من الجنب أو المؤخرة .

ثم بدأت القيادة الجنوبية محاولاتها بعد الظهر لتأمين المناورة العرضية بقواتها بين الاتجاهين التعبويين الجنوبى والأوسط ، فأمرت مجموعة اللواء الرابع المشاه بدفع عناصر منها الى نخل ، بينما دفعت بعناصر أخرى من اللواء السابع المدرع الى الحسنة .

على الاتجاه التعبوى الشمالى

تدفقت أرتال القوات الاسرئيلية نحو مناطق تجمعها الأمامية فى المستعمرات الإسرائيلية المجاورة لخط الهدنة والحدود الدولية ؛ حيث شكلت هدفا مناسبا للقصف الجوى أو لنيران المدفعية البرية إلا أنه لم يستغل على أى وجه .

واقتصرت أنشطة الطائرات الإسرئيلية منذ الصباح على تقديم المعاونة الجوية المباشرة فوق الاتجاه التعبوى الجنوبى ، مع التركيز على المدخل الشرقى لممر متلا حيث كانت الكتيبة ٨٩٠ مظلات تتعرض لمناوشات كثيفة ،بينما راحت الطائرات الفرنسية تراقب منطقة القناة من السماء ، وتهاجم المطارات المصرية القريبة منها[١٣] .

الموقف فى نهاية يوم ٣٠ أكتوبر

على الاتجاه التعبوى الجنوبى (انظر الخريطة رقم ٢)

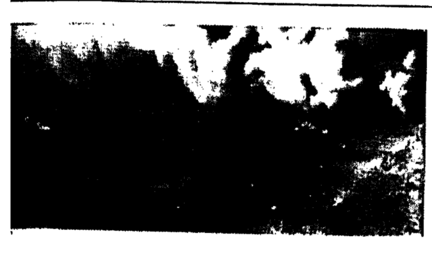
صادف تقدم اللواء ٢٠٢ المظلات من الكونتلا صوب صدر الحيطان عدة مشكلات ، ناجمة عن سوء التحضير للتحرك، ونقص معدات لنجدة العربات المعطلة ،ومقابلة بعض المواقع الدفاعية التى أبدت شيئا من المقاومة ، ووعورة الطريق خاصة بين التمد ونخل[١٤] .

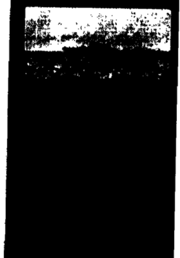
وقد ترتب على هذا التأخير فى الوصول الى الكتيبة ٨٩٠ بصدر الحيطان ، أن ظلت تعانى من تعرض أجنابها ومؤخرتها للتهديد نظرا لوجودها فى أرض مكشوفة على المدخل الشرقى لممر متلا الذى نجحت مقدمة اللواء ٢ المشاه فى قفله فى وجهها . وقد أضاع الألاى الثانى استطلاع فرصة القضاء على تلك الكتيبة المنعزلة بتأخره فى الوصول إليها حيث عمد قائده إلى التوقف والمبيت ليلة ٢٩/ ٣٠ أكتوبر فى مكان لا يبعد عن موقع تلك الكتيبة سوى مسيرة ساعتين فقط ، كما أقفل جهاز اللاسلكى ١٠٠ وات المتصل بالقيادة الشرقية دون سبب .

على الاتجاه التعبوى الأوسط

ارتدت الأورطة الثانية الخفيفة من الحدود شرق القصيمة بقتال تعطيلى حتى مضيق أم مطامر جنوب شرق أم قطف .وقد أبدى العقيد جوزيف هاربز قائد مجموعة اللواء ٤ المشاة الإسرائيلى بعض التردد فى مهاجمة موقع القصيمة الدفاعى ، كما ظهر ضعف سيطرته على

قواته بما أدى الى فقدها الاتجاة وانتشارها على مساحة واسعة فأصدر رئيس الاركان العامة أمرا بعزلة من قيادة هذا اللواء .





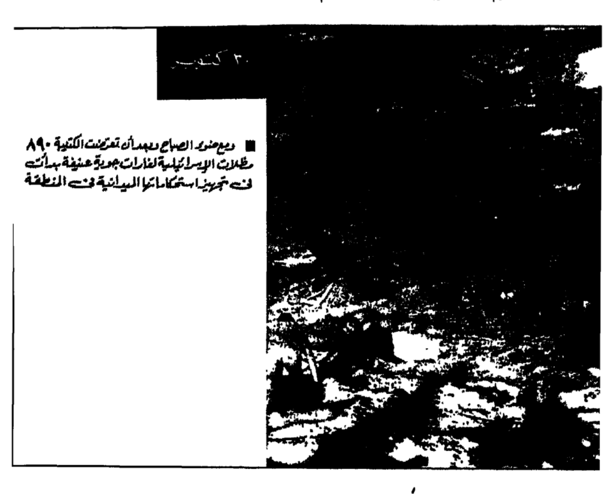
[illegible] الثانى [illegible] الدفاع وأوقفوا اللواء ٢٠٢
[illegible] ساعات طويلة وأوقعوا به الخسائر ولم يتمكن اللواء الإسرائيلى من
[illegible] الا بعد استمرار القوة المصرية بأكملها فى دفاعاتها ...

ولم تكن مجموعة اللواء ١٠ المشاة بأفـضل حظا فى هجومها الأول على أم قطف ، إذ قابلتـها دفاعات اللواء ٦ المشاة بنيران كثيـفة أجبرتها على التوقـف والارتداد للخلف .ولأن العقيـد يهودا والاش كان قد تعجل هـذا الهجوم قبل الموعـد المحدد لة فقد تعرض للـتكدير والتأنيب الـشديد من رئيس الأركان العامة الـذى أغلظ له القول بضرورة الانصـياع الكامل لأحكام وتوقيتات الخطط الموضوعة .

ومرة أخرى تشكل الحشود الإسرئيلية الكثيـفة على الاتجاه التعبوى الأوسط هدفا مغريا للطائرات المصرية ، وهى معرضة فى الأرض المكشوفة إلا أنها لم تتعرض لأى قصف جوى فى هذا اليوم .

على الاتجاه التعبوى الشمالى

فتحت مدفعية مجموعة اللواء الخامس المشاه المصرى نيرانها على مناطق التجمع الأمامية لمجموعة العمليات ٧٧ قيادة العقيد حاييم لاسكوف ، وعلى المستعمرات الإسرائيلية القريبة من خط الهدنة والحدود الدولية ٠ ولم تظهر قوات مجموعة العمليات نشاطا قتاليا على هذا الاتجاه طيلة يوم ٣٠ أكتوبر نزولاً على أحكام الخطة العامة ٠



■ ومع ضوء الصباح وبعد أن تعرضت الكتيبة ٨٩٠ مظلات الإسرائيلية لغارات جوية عنيفة بدأت فى تجهيز استحكاماتها الميدانية فى المنطقة

وتجدر ملاحظة أن توقيتات الأعمال التعرضية الإسرائيلية حتى الآن تتابعت بفاصل ٢٤ ساعة بين مناوشات الكتيبة ٨٩٠ مظلات فى متلا ، ومناورات المجموعة ٣٨ عمليات أمام أم قطف وعلى جانبها الجنوبى ، بينما ستبدأ مجموعة العمليات ٧٧ هجومها بعد ذلك بنحو ٢٤ ساعة أيضا ضد رفح ٠ وتكشف تلك التوقيتات وأعمال القتال أن القيادة الجنوبية الإسرائيلية حرصت على ان تطوى دفاعات سيناء الأمامية فى حركة مروحية من الجنوب

للشمال صوب البحر المتوسط ؛ نظرًا لتركيز الدفاعات المصرية قواها فى القسم الشمالى فيما بين أم قطف ورفح ، مع ترك القسم الجنوبى فارغا تقريبا ٠

وقد سهّلت تلك الأوضاع الدفاعية على القيادة الجنوبية مهمة تطويقها من الأجناب والمؤخرة ، مثلما فعلته مرة أخرى فى جولة صيف ١٩٦٧ ، التى طوتها بحركة مروحية من الشمال للجنوب ؛ نظرًا لتركيز الدفاعات المصرية فى القسم الجنوبى من سيناء فى هذه الجولة ٠

الاحتياطيات المصرية :

كانت الاحتياطيات التعبوية للقيادة الشرقية قد وصلت إلى منطقة تجمعها بالجفجافة على الطريق الأوسط ، تمهيدًا للحشد فى الأمام حول بير روض سالم ، وفى أعقابها الاحتياطيات الإستراتيجية للقيادة العامة المصرية بعد وضعها تحت قيادة المنطقة الشرقية ٠ وبهذا تأهبت تلك القوات لحصار العدوان الإسرائيلى ، وتثبيته فى مساء يوم ٣٠ أكتوبر عندما وقع حدث خطير فجأة هو صدور الإنذار الأنجلوفرنسى ٠

المعارك البحرية

أمرت قيادة القوات البحرية المقدم حسن رشدى طمارين ، قائد الفرقاطة إبراهيم الأول بقصف ميناء حيفا بمدافعها عيار ٤,٥ بوصة حيث توجد مستودعات البترول الرئيسية الإسرائيلية وسفن الأسطول ، إلا أن المدمرة كيرسانت الفرنسية اعترضتها فى طريق العودة وتمكنت من أسرها صباح ٣١ أكتوبر ، وقامت بسحبها داخل ميناء حيفا حيث زعمت الدعاية الإسرائيلية أنها مدمرة روسية من طراز سكورى الحديث ، بينما كانت فى حقيقتها فرقاطة بريطانية قديمة[١٦] .



المدمرة إبراهيم الأول بعد سحبها داخل ميناء حيفا

الإنــذار الذى هــدد الضــحية :

فوجئ العــالم فى الساعــة السابعة من مــساء يوم ٣٠ أكتوبــر ، ببلاغ مشترك تصدره حكومتا المملكة المتحدة وفرنسا تطالب فيــه كل من مصر وإسرائيل بالإنسحاب بعيدا عن قناة السويس بعشرة كيلومترات ؛ لتقوم قواتهما باحتلال ضفتيها صيانة للملاحة البحرية فيها من التوقف بسبب القتال الدائر عن كثب منهــا . وقد حدد نفس البلاغ الساعة السادسة من فجر اليوم التالى موعداً لبدء التدخل الأنجلوفرنسى ، سواء رضخت مصر له أم رفضته(١٧) .

وكانت مطالبة الإنذار كلا الــطرفين المتحاربين أن ينسحبا بعيدا عن ضــفتى القناة لمسافة عشرة كيلومــترات ، تعنى أن تتقدم قوات إسرائيــل من موقعها بصدر الحيطــان نحو خمسين كيلو متــراً أخرى صوب القناة ، بينمــا تنسحب القوات المصــرية سبعين كيلوا متــراً لتصبح خلف ضفتهــا الغربية بعشرة كيلومتــرات ، وفى هذا دليل قاطع على التواطــؤ الأنجلوفرنسى لصالح إسرائيل المعتدية ، وتهديد سافر لمصر المعتدى عليها .

ومن الطبــيعى أن ترحب إسرائيــل بالإنذار ، بينمــا ترفضه مصر التــى أصدرت بلاغا رسميا تؤكد فيه سيطرتها على الموقف الــناشيء عن عدوان إسرائيل ، مع عزمها على حماية القناة من أية أخطار حتى تواصل السفن عبورها بأمن وسلامة .

احداث القتال يوم الاربعاء ٣١ اكتوبر
بــين التسويــف والمراوغــة والشــك العــظيم :

عكفت القيــادة العامة المصرية عند الظهر عــلى إحكام خطتها للتمســك بعقد مواصلات سيناء ، مع تأمين الجانب الأيمن للاتجاه التعبــوى الأوسط ؛ توطئة لشن الهجوم المضاد العام على امتداده لــطرد قوات إسرائيل من القصيــمة وأم قطف ، واستمرار قفل مــدخل متلا من الشرق فى وجه كتيبة المظليين الى أن تتم مجموعة اللواء ٢ المشاة ، والأورطة الثانية استطلاع قفل طرفى الكماشة حولها وإبادتها .

وعلى الجانب المــقابل ، فوجئت رئاسة الوزارة ورئــاسة الأركان الإسرائيلية بعــدم تنفيذ المملكة المتحدة وفرنسا الضربة الجوية المتفق على شنها صباح ٣١ أكتوبر ، بمجرد انتهاء موعد الإنذار الأنجلو فرنــسى . ومع أن دوافع هذا التأجيــل كانت عسكرية محــضة ؛ إذ استصوب مارشال الجو دنيــس بارنيت قائد القوات الجويــة أن يطلق طائراته تحت ســتر الظلام ، الذى

لاتملك مصر حياله طائرات للقتال الليلى ، إلا أن الشك المترسب فى وجدان دافيد بن جوريون من البريطانين منذ أيام الانتداب على فلسطين ، تحول إلى جزع أن يكون أنتونى إيدن رئيس وزراء المملكة المتحدة قد نقض عهود سيفر وتراجع عن تنفيذ الضربة الجوية ، ولهذا قرر وقف الهجوم الإسرائيلى ، وسحب القوات داخل إسرائيل على الفور(١٨) .



قررت القيادة العامة طرد العدو من القصيمة

ولما كان هذا القرار يتعارض مع أطماع موشيه ديان رئيس الأركان العامة ، ويحرمه المجد الذى يتطلع عليه ، بعد أن يحقق النصر الذى كان مضمونا بفضل التواطؤ الذى جعل دور إسرائيل مثل من يصعد التل على دراجة وهو ممسك بمؤخرة العربة التى تصعد أمامه(١٩)، إلى جانب أنه لم يكن قد أحاط الحكومة علما بمدى تورط قواته فى متلا والقصيمة وأم قطف ، خروجا على خطة قادش التى اعتمدتها فقد لجأ إلى التسويف والمراوغة لكسب الوقت ، أملا فى أن تكون المشكلة مجرد تأجيل لموعد الضربة الجوية الأنجلوفرنسية وليس إلغاءها كلية ، ولثقته فى أن الحليف الفرنسى به الكفاية لتحقيق النصر المشترك معه إذا ما تقاعس إيدن عن القيام بدوره .

وبعد أن تفاعلت كافة تلك العوامل فى ذهن موشيه ديان ، خرج بالحل الوسط ، فأمر بوقف القتال النشط فى سيناء وقصره على تأمين عقد المواصلات حول جبل لبنى - الحسنة - نخل بوصفها مفتاح سيناء ، وذلك حتى ينجلى الموقف الأنجلوفرنسى ، فإما أن يعاود الهجوم إذا ما صدقت نياتهما فى الاشتراك فى القتال ، وإما أن ينهى العملية إذا ماثبت غدرهما بإسرائيل .

إلا أن العقيد يهودا والاش قائد مجموعة العمليات ٣٨ كان فى وادى آخر ؛ إذ دفع اللواء ٧ المدرع عبر مضيق الضيقة خلف دفاعات أم قطف ، كما أعد مجموعتا اللوائين ٤ و١٠ المشاة و٣٧ الميكانيكى لتوجيه ضربة رئيسة من عدة اتجاهات لاجتياح الدفاعات ومواجهة رئاسة الأركان بالنصر كأمر راهن ، يخفف من خروجه على تعليمات رئاسة الأركان عمدا .

وخرج الأمر من يده بفشل مجموعة اللواء ٧ المدرع فى اجتياح دفاعات أم قطف من الخلف ، بل وتورطها فى مصيدة هناك بين صمود تلك الدفاعات ، وخطر قوات الضربة الرئيسية المقتربة على الاتجاه التعبوى الأوسط لحسم القتال فى أم قطف .

وتحرج الموقف قبيل العصر عندما فشل العميد عساف سمحونى ، قائد المنطقة الجنوبية فى إعادة تماسك جبهته ، وتعذر سحب اللواء ٧ المدرع من أورطتة مما اضطره إلى أن يأمره بالتحول للدفاع فى مكانه لحين طلب النجدة من رئاسة الأركان العامة .

وبينما الحال على تلك الصورة القائمة المليئة بالحرج والارتباك ، إذا بالعقيد أريل شارون قائد مجموعة اللواء ٢٠٢ المظلات يدفع بقواته جزءًا وراء الآخر داخل ممر متلا . وبمجرد أن اجتازت المقدمة المدخل الشرقى فتحت عليها مجموعة اللواء ٢ المشاة المصرية نيران الجحيم من كل جانب فاستحال على شارون مواصلة التقدم أو الانسحاب . واستمر القتال محتدمًا لأكثر من سبع ساعات فلم يهدأ إلا بعد أن أرخى الليل سدوله بعدة ساعات [٢٠] .

الموقف العام بسيناء عصر ٣١ أكتوبر (انظر الخريطة رقم ٣)

ما زالت مجموعة اللواء ٦ المشاه تتشبث بدفاعاتها فى أم قطف وتحبط هجمات مجموعة اللواء ١٠ المشاة و ٣٧ الميكانيكى المتكررة من الجنوب والخلف ، وهجمات مجموعة اللواء ٧ المدرع واللواء ٤ المشاة من الأمام [٢١] .

وبالمثل تكرر صد وإحباط مجموعة اللواء ٢٠٢ المظلات على مدخل ممر متلا الشرقى ، ونجحت مـجموعة اللواء ٢ المشاه فى قفلة بيـنما كان اللواء ٩ الميكانيكى قيادة الـعقيد أبراهام يوفية يتحرك من بير هاركيمر فى اتجـاه الكونتلا ليؤمن ظهر مجموعة اللواء ٢٠٢ المظلات ، ثم يتأهب بعدئذ لمواصلة الاندفاع جنوبا بحذاء ساحـل خليج العقبة ؛ للاستيلاء على منطقة شرم الشيخ كختام لمراحل خطة قادش المعدلة (٢٢) .

أمـا مجموعة اللواء ٥ المشاة المتمركزة فى رفح ، فـلم تبذل المجموعة ٧٧ عمليات قيادة العميد حاييم لاسكوف أية نشاط قتالـى أمامها طيلة يوم ٣١ أكـتوبر ، بعد أن اتمت الحشد حول مستعمرات الحدود .

وقبل أن تغرب الشمس كانت القيادة العامة المصرية قد سيطرت على الموقف فى سيناء، واستعدت لشن الضربة المـضادة الرئسية بالاحتياطيات التعبوية والاستـراتيجية ، التى كانت تدخل وقتئذ مناطق التجمع الأمامية فى شرق سيناء وتتأهب لبدئها مع أول ضوء الغد .

وبهذا لم تتجاوز الأعمال العدائية الإسرائيلية طيلة الساعات السبع والاربعين الماضية من لحظة إسقاط المـظلات بمتلا مجرد خلق الذريـعة للعدوان الأنجلوفرنسـى ، الى جانب تورّط مجموعة العمليات ٣٨ فى قتال خاسر فى منطقة أم قطف والقصيمة (انظر الخريطة رقم ٤)

مظاهر تبعث على الارتياب

لم تكـن إدارة القتال فـى سيناء هى كل ما يشغل بال القيادة الشرقـية بالإسماعيلية ، ولا القيادة العـامة بالقاهره ، فقد شعرتا مع أول ضوء ٣٠ أكتوبر أن أمورا غير عاديه تجرى فـى المـسرح ، وعن كثب مـنه فى البحريـن المتوسط والأحمر تـبعث على القـلق والحذر الشديد ، إلى جانب النشاط المحموم الذى تبذله حـكومتا المملكة المتحدة وفرنسا داخل أروقة مجلـس الأمن ، وفى كل مـن جزيرتى مالـطه وقبرص ، حيـث راح قنصل مـصر صلاح قانصوه يرسل المعلومات المتتالية عمـا احتشد فى الجزيرة من قوات برية وطائرات وسفن من أشكال وأحجـام مختلفة ، تبـعـث عـلـى الارتياب فيما تقـصده من أعمال فى المسـتقبل القريب (٢٣) .

وكان من أبرز المظاهر الداعية إلى ذلك الارتياب ما يلى :

١ - إن النشـاط الجوى المعادى فـوق سيناء ومـنطقة الـقناة خلال يـومى ٣٠ و ٣١

أكتوبر يزيد على قدرة إسرائيل منـفردة ، فالمرجح أن هناك قواتًا من خارج المسرح تتعاون معها .

٢ - إن الأسطولـين : البريطانى والـفرنسى اتخذا أوضـاعًا على مشارف ميـاه مصر الإقليمية تكشف عن حالة حصار بحرى .

٣ إن المدمرة الفـرنسية كيرسانت اعترضت فجر ٣١ أكتوبر الفرقاطة إبراهيم الأول فـى عـرض البحـر ، واطلـقت عليها نيـرانها دون اى استفزاز من جـانب تلك الفرقاطة .

٤ - إن التحركات الأنجلوفرنسية على امتداد حوض البحر المتوسط زادت بدرجة ملفتة للنظر.

٥ إن المناورات السياسية الأنجـلوفرنسية داخل مجلسيهما التشـريعيين ، تفصح عن محاولات تقنين لعدوان تعتزم الحكومتان القيام به قريبًا .

٦ إن محاولات المملكة المتحدة وفرنسا عرقلة أعمال مجلس الأمن بالنسبة للنظر فى أمر العدوان الإسرائيلى على مصر ،واستخدامهمـا حق الفيتو مرتين متتاليتين لشل قرار إيقاف العدوان الإسرائيلى يبين مدى الانحياز التام لجانب إسرائيل .

٧ إن الدعايات المضـادة التى يطلقها صوت بـريطانيا ضد مصر من قـبرص بلغت درجة شديدة من الحدة لتأليب العالم عليها .

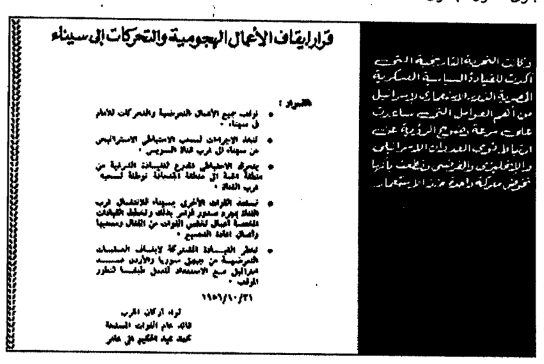
٨ إن الإنذار الأنجلوفرنسى يطالب مصر بالانـسحاب غرب القناة ، ويهدد بضربها واحتلال اراضيهـا إذا لم تنصاع له ، بينـما يسمح لإسرائيل أن تـواصل التقدم ؛ فتحتل مـزيداً من أرض مصر على مشارف القـناة التى تزعم الحكومتـان حرصهما على سلامتها وتطالب بابتعاد الطرفين المتحاربين عن ضفتيها .

وظلت تلك الشكوك والريب تتراكم أمام الزعـامة المصرية حتى الساعة الرابعه عصراً ؛ عندما تحـوّل الشك الى يقين فـوجدت أنه لم بعد مـن الصواب استمرار دفـع القوات داخل اعمـاق سينـاء حتـى لايحدث فـراغا إستـراتيجـيا علـى الاتجاه المحتـمل للـغزو البـحرى الأنجلوفرنسى ، والذى يؤدى مباشرة الى القاهرة . (انظر الخريطة رقم ٥) .

ولم تكن مصـر تملك وقتها مايكفى مـن القوات لاستمرار إدارة الأعمال التـعرضية فى سيناء ، والدفـاع عن قناة السويس ضد غزو بحـرى قد يقع عليها . وبعد تـقدير الموقف ، قررت القيادة السياسيـة وقف كافة التحركات الأمامية فى سيناء ، وعودة الـقوات إلى الضفة الغربيـة للقناة ، قبـل أن يقطع الغزو البـحرى الأنجلوفرنسى خـط الرجعة عليـها ، وحتى تشارك فى تعزيز الدفاعات هناك .

الكانبره تكشف أبعاد المؤامرة

انطلقت صفـارات الإنذار فجأة لتعلن عن غارة جـوية ، بينما كان الرئيس عـبد الناصر مجـتمعًا فى السـاعة السابعـة مساء٣١ أكتوبر بـسفير إندونـسيا . وبمجرد أن سـمع صوت الطائرات تمر فوق منزله صعد الى السطح ؛ حيث تأكد أنها ليست إسرائيلية ؛ لأن إسرائيل لاتملك قاذفـات نفاثة . وبينـما شاهد أنوار القـاهرة وهى تنطفـىء وقذائف المدفعيـة المضادة للطائرات تنطـلق بكثافات عالية ، توجه الرئـيس إلى مقر القيادة العامة للـقوات المسلحة ، الذى بلغه فى الساعـة الثامنة مساء ، وقد انكشفت له أبعاد مؤامـرة التواطؤ بجلاء ، بعد أن قصفت الكانبـرة البريطانية والمستير الفرنسـية قواعد ومطارات مصر فى مستهل فـترة التمهيد الجوى للغزو البحرى [٢٤] .



قرار إيقاف الأعمال الهجومية والتحركات إلى سيناء

تقرر :

- تؤجل جميع الأعمال التعرضية والتحركات للأمام فى سيناء .
- تنفذ الإجراءات لسحب الاحتياطى الاستراتيجى من سيناء إلى غرب قناة السويس .
- يتحرك الاحتياطى الفرعى للقيادة الشرقية من منطقة [illegible] إلى منطقة الجبانة توطئة لسحبه غرب القناة .
- تستعد القوات الأخرى بسيناء للانتقال غرب القناة بمجرد صدور أوامر بذلك وتخطط الهيئات المختصة أعمال تخلص القوات من القتال وسحبها وأعمال إعادة التجميع .
- تخطر القيادة المشتركة لإيقاف العمليات التعرضية من جبهتى سوريا والأردن ضد إسرائيل مع الاستعداد للعمل طبقا لتطور الموقف .

٣١/١٠/١٩٥٦

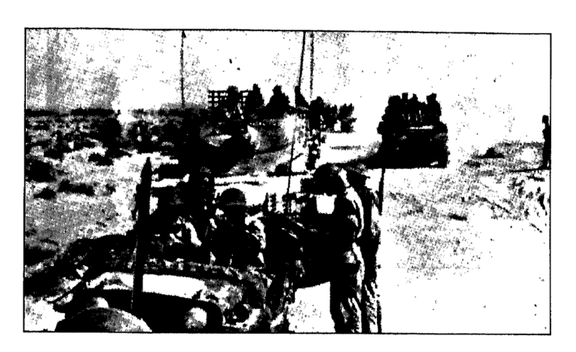
لواء أركان الحرب
القائد العام للقوات المسلحة
محمد عبد الحكيم على عامر



وفى نفس الوقت كانت سفن الغزو تغادر موانىء جبل طارق ومالطة وقبرص فى طريقها الى بور سعيد ، حيث إعتزم قائدها العام الفريق أول تشارلزكيتلى احتلال رأس شاطىء بورسعيد لتنطلق منه القوات صوب الإسماعيلية والسويس فى المرحلة الاولى ، ثم إلى القاهرة بعد ذلك لإسقاط نظام الحكم فيها ، وليس كما فعل سلفة الجنرال وولسلى لتثبيت نظام حكم الخديوى توفيق ، والقضاء على الثورة العرابية الوطنية (٢٥) .

وكأنما أعطت قنابل الطائرات الأنجلوفرنسية إشارة البدء لقوات إسرائيل لتستأنف اعمالها العدوانية فى سيناء، اذ اندفعت للتو مجموعة اللواء ٧ المدرع قياده العقيد أورى بن أرى لتشن هجومًا مركزًا ضد مؤخرة دفاعات أم قطف . ثم تلتها مجموعة العمليات ٧٧ بهجوم ليلى صامت على دفاعات مجموعة اللواء ٥ المشاه فى رفح . كما قامت كل من رئاسة الأركان العامة وقيادة المنطقة الجنوبية أيضًا بتعزيز تلك الهجمات بقوات جديدة ، دفعتها للقتال لرفع معدلات الهجوم الذى لم يكن يصادف حتى تلك اللحظة سوى الفشل وصمود الدفاعات فى وجهه فى كل مكان . وبعد أن وضعت قيادة المنطقة الجنوبية مجموعة اللواء ٣٧ الميكانيكى قياده العقيد شمويل جولندا فى الاحتياطى القريب ، دفعت مجموعة اللواء ٩ المشاه الميكانيكى قيادة العقيد إبراهام بوفيه ؛ لتعبر الحدود عند الكونتلا متجهة الى رأس النقب ،

ثم لتواصل التقدم على امتداد ساحل خليج العقبة الغربى إلى منطقة شرم الشيخ لتحتلها وتفتح المضيق للملاحة الإسرائيلية[٢٦] .



تقدم اللواء ٩ الميكانيكى على امتداد ساحل خليج العقبة إلى شرم الشيخ

أحداث القتال يوم الخميس ١ نوفمبر

على الاتجاه التعبوى الجنوبى :استمرت مجموعة اللواء ٢ المشاه حتى الساعة الثامنة مساء ٣١ أكتوبر فى قفل المدخل الشرقى لممر متلا ، فى وجة محاولات اختراقه بمجموعة اللواء ٢٠٢ المظلى ، ثم انتقلت تحت ستر الظلام الى المدخل الغربى للممر كمرحلة أولى من مراحل تنفيذ قرار توحيد الجبهة .

على الاتجاه التعبوى الشمالى : تعرضت مجموعة اللواء ٥ المشاه منذ الساعة الثالثة يوم ١ نوفمبر لهجوم رئيسى من مجموعة العمليات ٧٧ بعد تمهيد نيرانى كثيف ، اشترك فيه الأسطول الفرنسى من البحر بالطراد جورج ليجوس الذى اطلق نحو ٤٠٠ قذيفة عيار ١٥٢ مللميتر لتكثيف نيران المدفعية الإسرائيلية للهجوم . وقبل أن ينبلج الفجر ، كانت دفاعات

رفح قــد اخترقت جزئيا ، وبدأت مجموعة اللواء ٥ المشاه ترتد غربا نحو العريش ، ونجحت فى إخلاء دفاعاتها تمامًا حوالى الثامنة والنصف صباحًا .

وقامت قيادة الفرقة ٣ المشاه ومجموعة اللواء ٤ المشاه بالانسحاب من العريش الى غرب القناة تحت ستر بعض الأعمال الـتعطيلية فى منطقة الـكيلو متر ٣٨ ، والريســة على الطريق الشمالى ، وبير لحفن على الطريق العرضى الذى يصل بين الطريقين الشمالى والأوسط .

منطقة مدخل خليج العقبة

على إثر استلام قائد المـنطقه أمر الانسحاب إلى الضفة الغربـية للقنـاة[٢٧] قام بتقدير موقفه ، واقترح عــلى القيادة العامة أن يستمر فــى مكانه لمواجهة الهجوم الإسرائـيلى المتوقع رغم الظروف المعاكسة التى تحيط به ، وقـد وافقته القيادة العامـة علــى ذلك[٢٨] .

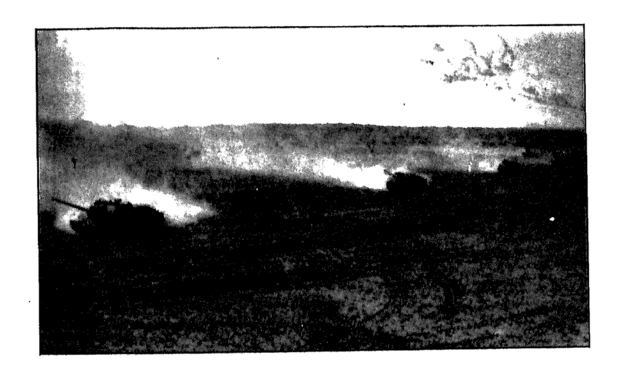
الاحتياطيات التعبوية والاستراتيجية

أتمت قيادة الفرقة ٤ المدرعة والمجموعة ٢ المدرعه ومجموعتى اللوائين ٤٢٦ و ٣٠٠ من جيش التحرير الوطنــى والآلاى الثانى استطلاع عبور قناة السويس للضــفة الغربية ، واتخاذ المواقع المحددة لها فيها . كما انتقلت المجمــوعة الأولى المدرعة ومجموعة اللواء الثالث المشاه واللواء ٩٩ المشاه الاحتياطى إلى منطقة بيــر الجفجافة ، ثم بدأت مع أخر ضوء فى استكمال التحرك صوب الإسماعيلية .

وحوالى الــساعة الخامســة مساء ، صدرت الأوامر مــن القيادة العــامة بتحرك الـفرقة ٤ المدرعة إلــى القاهرة ، وكــذا الفرقة الـثالثة المــشاه ، فلم يـعد لدى القـيادة الشرقـية ذلك الاحتياطى الـتعبوى الذى تستنــد إليه خطة الدفاع عن منـطقة قناة السويس ، ممــا دفعها إلى تعديل خطتها لمواجهة هذا الموقف الجديــد بالإضافة إلى زوال فرص القتال المتحرك ، بعد أن أحرزت قوات العدوان الثلاثى السيادة الجوية فى سماء المسرح .

المعارك البحرية :

أحكمــت الأساطيل الانجلو فــرنسية حلقـة الحصار حول سواحــل مصر على البـحرين المتوسط والأحمر ، وأوقفت الملاحة البحريــة من وإلى موانىء مصر . كما اشترك الأسطول الفرنسى فى قصف دفاعات رفح لمعاونة هجوم مجموعة العمليات ٧٧ عليها ، واعترض الطراد البريطانى نيوفوندلاند الفرقاطة دمياط ، وأغرقها أمام رأس غارب فى خليج السويس[٢٩] .



. . . وصدرت أوامر القيادة العامة بتحرك الفرقة ٤ المدرّعة

وتمكنت الفرقاطة رشيد من الخروج من مرسى شرم الشيخ فى الساعة الخامسة عصراً واختراق الحصار المضروب حولها بالطراد نيوفوندلاند والمدمرتان كرين وديانا البريطانيتين والمدمرة جاريل الفرنسية ، ونجحت فى الوصول سالمة الى مرسى شرم الوجه بالشاطىء السعودى حوالى الحادية عشرة يوم ٢ نوفمبر(٣٠) .

وانقضت الطائرات الفرنسية على المدمرة الناصر والفرقاطة طارق ، منتهزة فرصة انشغالهما فى تنظيم عملية ترحيل رعايا الولايات المتحدة على السفن الأمريكية ، فنشبت معركة جو بحرية فيما بين الساعة السابعة والربع والعاشرة والثلث صباحاً ، دون أن تتمكن الطائرات من إصابة السفينتين (٣١) .

الأعمال الجوية :

انتقلت الطائرات التى نجت من الضربة الجوية الأنجلوفرنسية إلى مطارات أخرى فى

عمق الجمـهورية بينما توجـه البعض الآخر إلى مطارات صـديقة بالدول العربيـة فى الشرق والجنوب .

وركزت القوات الجوية المعادية غاراتها ، حيث حاولت الطائرات الإسرائيلية شل وإرباك ارتداد القـوات البرية المصريـة من سيناء إلـى الضفة الغـربية للقنـاة ، وعاونتها الـطائرات الأنجلوفرنسية فى تـلك المهمة . فضلاً عن استمرار قصف بعض الأهداف الحـيوية فى منطقة القناة وغرب وجنوب الدلتا .

احداث القتال يوم الجمعة ٢ نوفمبر

القوات المصرية

اتمت إخلاء شبه جزيرة سيناء طبقاً لقرار توحيد الجبهة غرب قناة السويس ، بينما ظلت قوات شرم الشـيخ تحتل دفاعاتها فـى انتظار وصول قوات العـدو البرية الى المنطقـة لصدها وتدميرها . أما قوات قطاع غزة فلم يكن أمامهـا إلا أن تتشبث بمواقعها الدفاعية ؛ نظرًا لأن وضع القطاع الجغرافى لايسمح لها بالانسحاب بعد أن إحتل العدو منطقة رفح .

والتزاما بسوق الحقائق حلوها ومرها .. فـإن أسلوب إنسحاب القوات المصرية من شبه جزيرة سـيناء شابه الـكثير من الـفوضى والخروج عن الـتكتيك المـعتمد فى كـافة المدارس العسـكرية ، بالقدر الـذى جعل معـظم التحركـات التى تمت لتنفـيذه تأخذ صورة التـقهقر المشوب بالتفسخ ، وليس الانسحاب المنظم فى مراحل محددة من خط أمامى الى خط خلفى على نحو ما يقضـى به العرف العسكرى . ومامن شك فى أن هذه التـجربة المؤسفة تركت آثارها الـسيئة عـلى انسحـاب صيف ١٩٦٧ ، الذى انـقلب الى تـقهقر انـفلتت فـيه عرى التشـكيلات والوحدات ، وهام الجـميع على وجوهـهم فوقعت بهـم الخسائر الفادحـة التى ماكانت لتحدث بذلـك القدر الهائل ، لو ساد ضبط النفس والانضباط الـعسكرى والسيطرة الحازمة على تلك القوات المنسحبة .

وفى منطقة قناة الـسويس ، ركزت عناصر الدفاع الجوى جهودها لحماية المـعابر القليلة من خطرالغارات الأنجلوفرنسية العنيفة التى حـاولت تدميرها لتقطع خط الرجعة على القوات المنسحبة من شبه جزيـرة سيناء ، حتى تلحق بها القوات البرية الإسرائيـلية وتدمرها طبقاً لما اتفق عليه فى بروتوكول سيفر .

وبمجرد أن أكملت قوات سيناء العبور إلى الضفة الغربية ، قام المهندسون العسكريون بنسف تلك المعابر وسد قناة السويس فى وجه الغزو البحرى الوشيك كدرس مستفاد من عدوان بريطانيا عام ١٨٨٢ ، وماتضمنه من وعود دى ليسبس لعرابى بعدم السماح للجنرال وولسلى بالدخول بسفنه عبر القناة لغزو مصر ، وماترتب على ذلك من دخول تلك السفن ، ونجاح القوات المعتدية فى احتلال مصر .

امّا فى منطقة القناة فقد استمرت قيادة المنطقة الشرقية فى تنظيم الدفاع والسيطرة على التحركات الى المواقع الجديدة ؛ تنفيذاً لقرار توحيد الجبهة غرب القناة .كما استمرت القيادة العامه فى السيطرة على عملية إعادة تجميع الاحتياطى الاستراتيجى من القوات التى أخلت سيناء . وبنهاية هذا اليوم ، كانت الطائرات التى سلمت من الضربة الجوية الأنجلوفرنسية قد اتمت الانتقال إلى مطارات عربية صديقة خارج الجمهورية .

قوات العدوان الثلاثى :

القوات الإسرائيلية :

ظلت مجموعة اللواء ٢٠٢المظلى ثابتة فى أماكنها حول المدخل الشرقى لمر متلا لليوم الثانى ، دون أن تشعر بانسحاب مجموعة اللواء٢ مشاه الى غرب الممر . وفى الساعة الخامسة إلا الربع اُسقطت سريتا مظلات من هذا اللواء فوق مطار الطور ، ثم نقلت اليه جواً من إيلات الكتيبة ١١٢من اللواء ١٢ المشاه الإسرائيلى تمهيداً لإحكام حلقة الحصار حول شرم الشيخ .

وحوالى الساعة الخامسة صباحاً ، بدأت مجموعة اللواء ٩ المشاه الميكانيكى التقدم من رأس النقب نحو عين الفرطاجة الواقعة الى الغرب من واسط[٣٢] .

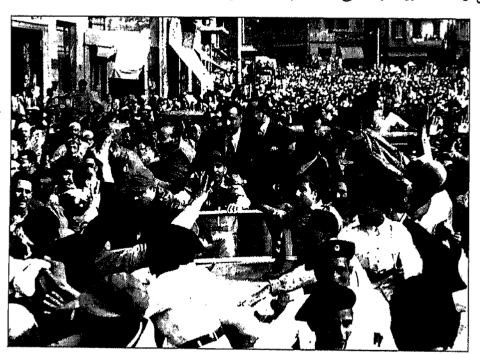
وفى منطقة ام قطف اخترقت قوات مجموعةالعمليات ٣٨ الدفاعات بعد قصف جوى وتمهيد نيرانى عنيف ضد الخنادق الخالية .واصطدمت مجموعة اللواء٢٧ الميكانيكى المندفعة صوب قلب الدفاعات من جهة الغرب بمجموعة اللواء ٧ المدرع المندفعة اليها من الشرق ، فدارت بينهما معركة تصادمية حامية أسفرت عن تدمير ثمان دبابات ، قبل أن تتدخل الطائرات الإسرائيلية وتنبهها إلى هذا الخطأ الجسيم ، الذى يعود سببه إلى نجاح مجموعة اللواء ٦ المشاة المصرية فى الانسحاب من ام قطف ، دون أن يشعر بها العدو. وقد اهتمت

رئاسة الأركان الإسرائيلية بهذا الحادث[٣٣] واستنبطت منه الدروس المستفادة التى تكفل عدم تكراره فى المستقبل ، وهو الأمر الذى لم يفعل الجانب المصرى مثله ، مما تسبب فى وقوعه فى نفس الخطأ أكثر من مره.

ودخلت قوات مجموعة العمليات ٧٧بلدة العريش ، بعد أن أخلتها مؤخرة مجموعة اللواء ٤ المشاه وقيادة الفرقة الثالثة المشاه ، بينما كانت مجموعة اللواء ١٢ المشاه المدعمة تهاجم القسم الشمالى من قطاع غزه ، وتقتحم البلدة ثم تندفع منها جنوباً نحو خان يونس ، حيث توقفت أمامها عند أخر ضوء [٣٤] .

القوات الأنجلو فرنسية وردود فعل مصر :

بينما كانت سفن الغزو تقترب حثيثاً من ساحل بورسعيد ، اتسع مجال التمهيد الجوى المركز ضد مصر فشمل أهدافاً مدنية أيضاً ، بعد أن تأكدت القيادة الأنجلوفرنسية بقبرص من خلو مسرح الحرب من الطائرات المصرية . وما إن قصفت هوائيات الإذاعة المصرية بأبى زعبل وأسكتت إرسالها حتى أعلنت إذاعة دمشق نداء « هنا القاهرة » .



الرئيس عبد الناصر فى طريقه إلى الجامع الأزهر

ظهر يوم ٢ نوفمبر ١٩٥٦

وكان أبرز أحداث يوم الجمعة ٢ نوفمبر ١٩٥٦ ، ذهاب الرئيس عبد الناصر فى موكب مكشوف ليلقى تلك الخطبة الشهيرة من فوق منبر الجامع الأزهر عقب الصلاة ، فكشف فيها عن حقيقة التواطؤ الثلاثى وأهدافه العدوانية ، ووضع ميثاق النضال الشعبى لمقابلة الغزو الأنجلوفرنسى ، فكان مما قاله الآتى :

« فى هذه الأيام التى نكافح فيها من أجل حريتنا وشرف الوطن ، أحب أن أقول لكم إن مصركانت دائماً مقبرة الغزاة . بعد الغارة الأولى البريطانية الفرنسية التى حدثت ليلة الأربعاء الماضى صرنا نحارب فى جبهتين ، جبهة الإسرائيلين على الحدود ، وجبهة الاستعمار الأنجلوفرنسى فى القناة . وكان لابد أن نتخذ قراراً سريعاً وحاسماً لإحباط خطة العدو ، إذ كان الغرض من جذب القوات المسلحة المصرية إلى سيناء هو أن تصل القوات الأنجلوفرنسية إلى القناة ، فأصدرت الأمر للقائد العام للقوات المسلحة بسحب جميع القوات المصرية من سيناء إلى غرب قناة السويس ، حتى تكون بجانب الشعب لملاقاة الإستعمار ».

« لقد تم سحب قواتنا من سيناء وتركنا قواتًا إنتحارية هناك ، ورجعت جميع قواتنا إلى القناة والدلتا ، ونحن فى انتظار الإنجليز والفرنسيين » .

« سأقاتل معكم ضد أى غزو .... سنقاتل إلى أخر نقطة دم .... لن نستسلم أبدًا ، وسنبنى بلدًا وتاريخًا ومستقبلاً ، سنجاهد ونقاتل وننتصر بإذن الله » .

وقد ألهبت تلك الخطبة التاريخية المشاعر الوطنية فى الأمة العربية من الخليج إلى المحيط ، واستجابت جماهير مصر للنداء فهبت تجاهد وتقاتل لتنتصر بعون الله ، ولتبنى بلداً وتاريخاً ومستقبلاً .

إلا أن دعاة التخاذل الذين لا تخلو من أفعالهم أية أحداث مصيرية ، أطلوا برؤوسهم مساء نفس اليوم ، عندما طلب وفد منهم برئاسة سليمان حافظ وزير الداخلية السابق مقابلة الرئيس عبد الناصر لينصحه بالتنحى والاستسلام .[٣٦] وكان الرائد صلاح سالم زميله فى مجلس الثورة السابق قد نصحه أيضاً بأن يقوم وباقى الزملاء ، بالتوجه إلى مبنى السفارة البريطانية بالقاهرة لتسليم أنفسهم للسفير همفرى ثريفليان ![٣٧] .

أما اللواء محمد عبد الحكيم على عامر وزير الحربية والقائد العام ، فلم يهبط بفكره الى هذا الدرك من الانـهيار المعنوى ، بـل اكتفى بالقـول : " بأن الاستمرار فى المـعركه سوف يترتب عليه تدمير البلاد وقتل الكثيرين من المدنيين ، ولسوف يكره الشعب النظام والقائمين عليه ، ولهذا فهو ينصح مخلصاً بأن نطالب بوقف القتال تفادياً لكل ذلك [٣٨] .

أما رأى أغلبية أعضاء مجلس الثورة السابق الـذين جمعهم الرئيس جمال عبد الناصر لمناقشه تلك الاقتـراحات المتخاذلة ، فكانوا على تصميـم رجل واحد " إنه إذا كان لابد من أن نخسر المعركة ، فلا أقل مـن أن نخسرها بشـرف ، أما التسليم فسوف يدفع الشعب إلى احتقارنا ، وأن الكره الذى يخشاه عبد الحكـيم عامر لهو أخف وطأه من أن نسقط فى أعين الشعب ، ونفقد احترام العالم أجمع [٣٩] .

أحداث القتال يوم السبت ٣ نوفمبر :

القوات المصرية

اقتصرت أعمال قوات منطقة شرم الشيخ علـى تعديل أوضاع مواقعها الدفاعية ؛ بهدف تركيز الدفاع عـن منطقة شرم الشيخ فقط ، بعـد أن نزل العدو بالطور واحتلها بنـحو كتيبة ونصف مشاه ، فقطع خط الرجعة على قوات شرم الشـيخ إلى الضفة الغربية للقناة ، فضلاً عن عدم كـفاية القوات المـتيسرة لـتأمين الدفاع عـن رأس نصرانى ؛ حيـث توجد المدفـعية الساحلية التى تقفل الخليج - وشرم الشيخ معاً .

غير أن هذا الـتعديل أدى الى فقـد أهم دعائم ثبات الـدفاعات ، بعد أن فقـد العمق اللازم للمـناورات العرضية . وكان مـن الأصوب أن تستغل طـبيعة الأرض الملائمة لـلقتال التعطـيلى وبث الكمـائن وإقامة الموانع التـعطيلية علـى امتداد وادى كيد الشـديد الوعورة ، وكذلك وادى خشب الكثير الانحناءات ؛ لتكبيد العدو أفدح الخسائر ، لاسيما وقد بعد عن قواعده الرئيسية بمسافات شاسعة وأنهكه التحرك الطويل فوق أرض بالغة الوعورة .

وفى قطاع غزه ، أدارت عناصر الفرقة الثامنـة حرس حدود فلسطين معركة دفاعية ضد مـجموعة اللواء ١٢ المشاه قيادة العقيد دافيد الـيعارز ، وقاتل جنودها جنباً إلى جنب أهالى بلدة خان يونس بضراوة حتى النهاية .

وفى منـطقة قناة الـسويس ، التحـمت جماهير الـشعب التى وزعـت عليها الحـكومة

الأسلحة مع الجنـود ، وراح الجميع يجهـزون الدفاعـات ، كما بدأ احتياطى القيـاده الشرقية يقيم خط الدفاع الثانى حول بلدة العباسة .

القـوات الإسرائيلية (انظر الخريطة رقم ٦)

بدأت مجموعة اللواء ٢٠٢ المظلى التقدم داخـل ممر متلا الذى أخلته القوات المصرية من يومين سابقين ، فوصلت إلى مدخله الغربى بعد ١١٥ ساعه من إسقاط الكتيبة ٨٩٠ المظلية فى صدر الحـيطان ، حيـث دفعت بعـض عناصرهـا إلى رأس سدر والطـور على السـاحل الشرقى لخليج السويس (٤٠) .

كمـا تابعت مـجموعة الـلواء ٩ المشاه المـيكانـيكى التـحرك صوب رأس نصـرانى ، فاصطدمت بكمين قرب نهايه وادى كيد عطل تقدمها طيلة ليلة ٣/ ٤ نوفمبر .

وقد حقق العقيد ابراهام يوفيه - بنجاحه فى اجـتياز سلسلة الأودية البالغة الوعورة فيما بين رأس النقـب ونبـق - إنجازات لا تقـل فى قيمتهـا عن نجاحه فى اجتيـاح دفاعات شرم الشيخ بعـدئذ . وكانت تلك الأودية الضـيقة التى تحف بها المـرتفعات الشاهقة مـن جانبها وتكثر بهـا التعاريج والانثناءات الحـادة توفر الكثير من الأمـاكن المثالية لبث الـكمائن وزرع الألغام والشراك الخداعـية ؛ ولهذا فقد كان مثيراً للـدهشة ألا تعمد قياده منطـقه شرم الشيخ إلى تنفـيذ شىء من ذلك اللـهم ، إلا كمين وادى كيد الذى عـطل تقدم مجمـوعة اللواء ٩ المشاه الميكانيكى طيلة ليله ٣/ ٤ نوفمبر رغم ضعف تكوينه . ثم أن هذه المجموعة باتت أكثر من ليلة فى هذا الطريق الطويل ، فلم ينتهز أحد تلك الفرص المتكرره لمباغتة معسكرها تحت جنح الظلام(٤١) .

وفى قطاع غزة ، أتمت مجمـوعة اللواء١١ المـشاه احتلاله ، وبدأت فى تطـهير أوكار الفدائيين داخل القرى والأحراش وفرض الحكم العسكرى على الأهالى (٤٢) .

القوات الانجلوفرنسية :

عندمـا أرخى الليل أستـاره ، تعرض مخطط الـعدوان الثلاثى إلى نـكسة ثانية عـندما اجتمع طرفان منه خفيـة عن الثالث ، ليتفقا على احتلال القطاع الشـمالى من قناة السويس بأن تقوم إسرائيل بتأمـين منطقة القنطرة شـرق ، لتسقط فرنسا عليها قوة من المظلات بقيادة الجنرال جاران . وقد أرسل الأدميرال الفرنسى بيير ديسكار بارجو ، نائب القائد العام لقوات

الغزو ، إلى وزارة الدفاع الفرنسية من وراء ظهر القائد العام الجنرال تشارلز كيتلى ، يطلب إخراج كتيبتى مظلات من تحت القيادة المشتركة الأنجلوفرنسية ليستخدمهما فى مخططه الثنائى . كما أرسل تعليماته أيضاً الى الكولونيل موريس الملحق العسكرى الفرنسى بتل أبيب[٤٣] ؛ لوضع تفاصيل تلك العملية الثنائية وتنسيقها مع القيادة الإسرائيلية .

وحاول موشيه ديان رئيس الأركان العامة تبسيط العملية فعرض على موريس استخدام ساحل العريش للابرار البحرى الفرنسى ، ثم التقدم صوب القنطرة فبور سعيد . ولم يوقف تلك المؤامرة الثنائية إلا قبول المملكة المتحدة تقديم موعد الغزو البحرى ؛ لتبدأ مرحلة التمهيد الجوى له فجر يوم ٤ نوفمبر ، بعد أن كانت تسوف وتؤجل تنفيذه خشية عواقبه .

أحداث القتال يوم الأحد ٤ نوفمبر :

تصدعات فى محور لندن - باريس - تل أبيب :

تأثر الصراع منذ بدايته بأحداث دبلوماسية وسياسية متعددة واكبت معاركه ، وتبلورت فى ثلاثة تصدعات متتالية فى علاقات التعاون المشترك بين أطراف العدوان الثلاثى ، أدت إلى إدخال بعض التعديلات على الخطط المتفق عليها مسبقاً ؛ خاصة ما يتعلق منها بحجم وتوقيتات عملية الغزو البحرى وأماكن عمل القوات المكلفة به .

وكان السبب وراء تلك التصدعات اختلاف أهداف كل طرف من العدوان ، الذى التأم شملهم للقيام به ، وقد حمل بروتوكول سيفر جرثومة تلك التصدعات منذ البداية ، ثم اتسع الخرق حتى كاد يبلغ حد التمزق فى ثلاث مناسبات متتالية .

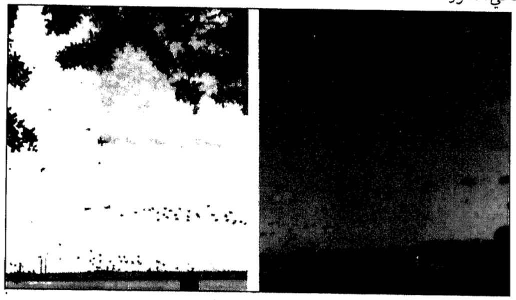
وقد حدث التصدع الاول صباح ٣١ أكتوبر عندما لم تقع الضربة الجوية الأنجلوفرنسية فى موعدها المتفق عليه بسيفر ، فظن دافيد بن جوريون أن حليفيه قد خذلاه وتركاه وحيداً فى المسرح ، فبادر إلى إصدار الأمر بوقف كل أعمال القتال ، وسحب كافة القوات الإسرائيلية فوراً داخل حدود إسرائيل .

ثم حدث التصدع الثانى فى ظلام ليلة ٣ نوفمبر ، عندما سعت فرنسا وإسرائيل إلى العمل فى خفية عن الشريك الثالث المملكة المتحدة بعد أن اصطدم الأدميرال بارجو بالجنرال كيتلى لرغبته فى الإسراع بالغزو البحرى صباح ٤ نوفمبر ، قبل أن تضيع الفرصة ، بينما ظل كيتلى يرفض ذلك بعناد .

وعندما أحس الجنرال كيتلى بما يدور خلف ظهره ، بادر بعقد مجلس الحرب فى الساعة العاشرة قبل منتصف ليلة ٣/ ٤ نوفمبر ، الذى ضم كلاً من كيتلى وبارجو والجنرالان بوفر نائب قائد القوات البرية ، وجيل مدير الإدارة التكتيكية للقوات الفرنسية المنقولة جواً ، وماسو قائد الفرقة ١٠ المظليين ، والعميد فرنون بتلر قائد مجموعة اللواء ١٦ المظلى البريطانى (الشياطين الحمر) .

وشعر مجلس الوزراء بلندن بما يدور فى ابسكوبى من منازعات ، فأوفد انتونى هيد وزير الدفاع ، وجرالد تمبلر رئيس أركان حرب الإمبراطورية ؛ للوقوف على حقيقة الموقف بمركز القيادة المشتركة بقبرص . ووصل الوزير ورئيس الأركان إلى الجزيرة ؛ حيث انضما مباشرة إلى المجلس المنعقد بعد منتصف الليل بنحو ساعتين .

واحتدت الأصوات وتطايرت الاتهامات ، وبدى أن عُرى التعاون المشترك سوف تتمزق لا محالة ، وإذا بالأدميرال بارجو يلح فى حمل كيتلى على الرضوخ لوجهة نظره بشن عملية مزدوجة اقترحها الجنرال بوفر ؛ لتبدأ صباح ٤ نوفمبر بتدمير المدفعية الساحلية بشاطيء الغزو وأجهزة الرادار ، وعناصر الدفاع الجوى ومراكز المقاومة البرية على ان يتبعها صباح ٥ نوفمبر هبوط المظليين البريطانيين فوق مطار الجميل غرب بور سعيد ، بينما يهبط المظليون الفرنسيون جنوب بور سعيد وفوق بور فؤاد ، لتأمين المحيط الخارجى لرأس شاطيء الغزو(٤٤) .



المظليون البريطانيون يهبطون فى الجميل والفرنسيون جنوب بورسعيد

ثم يبدأ الشق الثانى للعملية المزدوجة صباح ٦ نوفمبر بالإبرار البحرى لعملية الغزو ؛ طبقاً لما سبق الاتفاق عليه فى خطة موسكتير المعدلة النهائية .

أما التصدع الثالث والأكثر خطورة وأبعد اثراً . . فقد جاء من قبل إسرائيل عندما قبلت فى الساعة الثامنة والنصف من مساء ٤ نوفمبر قرار الجمعية العمومية للأمم المتحدة بوقف اطلاق النار ، تحت ضغط الولايات المتحدة المتزايد ، والتلويح بفرض العقوبات الاقتصادية على إسرائيل إذا لم توقف القتال فوراً (٤٥) .

ولما كان بن جوريون قد حقق أكثر أهدافه من العدوان باحتلال سيناء الشمالية وقطاع غزة ، فقد فاجأ حليفيه ، المملكة المتحدة وفرنسا ، بقبول القرار دون أن يكلف نفسه عناء إخطارهما بذلك ، فوضعهما فى موقف بالغ الحرج ، إذ كيف يستمرا فى ادعاء أن تدخلهما فى النزاع ينبع عن رغبة صادقة للفصل بين إسرائيل ومصر ووقف القتال الدائر بينهما ، إذا كانت إسرائيل ومصر قد قبلتا وقفه فعلاً !

وكانت تلك اللطمة الانتهازية كافية لتمزيق عرى التواطؤ الثلاثى ، لولا أن انبرى جى موليه رئيس وزراء فرنسا بمعاتبة بن جوريون على فعلته ، التى وضعت شريكيه فى موقف ملؤه السخرية . . . ثم إن إسرائيل ، وإن كانت قد حققت أكثر أهدافها وقتذاك ، فإنها لم تستكمل بعد أثمن أهدافها وهو احتلال منطقه شرم الشيخ لفتح خليج العقبة لسفنها .

وقد أحسن موليه الضرب على الوتر الحساس ، فكان أن تراجع بن جوريون وأمر مندوبه الدائم بالأمم المتحدة أن يضيف إلى نص بيانه الرسمى بقبول وقف النيران فقرة واحدة ، تحمل ثلاثة شروط ، هى : أن تقبل مصر الدخول مع إسرائيل فى مفاوضات مباشرة للسلام ، وأن تعد برفع حصارها الاقتصادى عن إسرائيل ، وأن توقف أعمال الفدائيين العرب ضد إسرائيل إلى الأبد .

وتلقى موليه وإيدن هذه الإضافة المكشوفة بالارتياح والامتنان ، فأصدرا أوامرهما للجنرال كيتلى بالاستمرار فى تنفيذ العدوان طبقاً لخطة موسكتير المعدلة النهائية .

القوات المصرية :

أصدرت القيادة الشرقية أمرها بتعزيز منطقة بور سعيد بعناصر من المدفعية المضادة للطائرات ، ومدفعية الميدان الصاروخية وعناصر من الفدائيين ، إلى جانب تعزيز المضايق

الواقعة جنوب بور سعيد بقوات من المشاه ، كما أمرت بنسف وإغراق عدة منشآت فى ميناء بور سعيد ، وكان اللافت للنظر أنها لم تعمل أى إجراءات لزرع ألغام فى ساحل الغزو المحتمل ، أو إقامة موانع بحرية أو برية فيه ، مما جعل قوات الغزو تجتازه بيسر ودون خسائر تقريباً (٤٦) .

وعلى الطرف الآخر من قناه السويس ، أمرت القيادة الشرقية بدعم منطقة السويس بكتيبة مشاه من اللواء ٩٩ المشاه الاحتياطى . ويتضح من ذلك أنها لم تكن حتى هذا الوقت المتأخر ، قد تمكنت من تحديد اتجاه الغزو البحرى ، الذى كان وقتها على مشارف شاطيء الغزو المنتخب ، ولو قامت طائرة أو سفينة أو حتى زورق استطلاع بجولة أمام ساحل مصر على البحر المتوسط ، لظهرت سفن الغزو الكثيرة والمتعددة الأنواع وهى تمخر مياهه فى اتجاه رأس الشاطيء بجلاء لا تخطؤه العين .

وحدثت معركة بحرية شمال فنار البرلس ، بين ثلاثة لنشات طوربيد مصرية ، وبعض قطع الأسطول البريطانى غير أن طائرات العدو أغرقت تلك اللنشات .



القوات الإسرائيلية :

قامت مجموعة اللواء ٩ المشاه الميكانيكى بعد قصف دفاعات رأس نصرانى باقتحام المواقع الخالية ، التى انتقلت منها القوات المصرية إلى شرم الشيخ ثم تابعت القوات الإسرائيلية تقدمها جنوباً إلى أن اصطدمت بنقط القتال الخارجية لمنطقة شرم الشيخ الدفاعية ، وبعد محاولة فاشلة لاقتحامها من الحركة ، توقفت أمامها وراحت تعد لهجوم ليلى مدبر ضدها ، إلا أن مصيره لم يكن أكثر حظاً من سابقه .

القوات الأنجلوفرنسية :

كان الجنرال أندريه بوفر بمجرد أن وصل الى مركز قيادته ، بمطار تايمبو بقبرص ، بعد ظهر ٢٩ أكتوبر - قادماً من الجزائر ، وبصحبته ثلاثه آلايات من جنود المظلات - قد استلم البلاغ ببدء القوات الإسرائيلية العدوان فى ممر متلا ، فعكف للتو على وضع اللمسات النهائية للغزو البحرى الوشيك ، وقد تبعه الجنرال هيوستوكويل فى فجر اليوم التالى ، حيث فتح مركز قيادته فى اكروتيرى [٤٧] .



الجنرال بوفر بمركز قيادته بمطار تايمبو

وخلال تلك الفتـرة كانت المدمرات البريطانيـة تتجمع خارج مينائى مـالطة وقبرص ؛ استعداداً لحراسة قوافل سفـن الغزو المتجهة الى بور سعيد ، بينما كـانت المدمرات الفرنسيه كير سانت وبوفيه وسـيركوف تقوم بداوريات الحراسه قرب سواحل إسرائيـل فيما بين حيفا وتل أبيب .

وتحت الزعم بإجراء تجربـة على تحميل السفن بقوات ومعـدات الغزو ، أصدر الجنرال ستوكويل أمره ببدء عمـلية التحميل فى الساعة العاشرة صباح ٣٠ اكـتوبر ، التى انتهت فى نفس لحظة انقضاض الطائرات الكانبره على مطارات مصر ، وقصفها بقنابلها فى السابعة من مساء نفس اليوم .

وبهذا اختصر ستوكويل يومًا كاملاً فى توقيتات عملية موسكيتير ؛ مما اتاح له ان يبكر بها من ٨ إلى ٧ نوفمبر . وكان أسطول الغزو البريطانى يمخر عباب البحر المتوسط شرقاً ، بعد أن غادر موانـى مالطة خلال ليلة ٣١ اكـتوبر ، وذلك فى نفس الوقـت الذى غادر فيه أسطول الغزو الفـرنسى ميناء قسنطينة الجـزائرى ؛ ليلحق بالأسطول البريـطانى فى الغد ، الذى كان نفس موعد مغادرة أسطول غزو ثالث جزيرة قبرص لينضم إلى الأسطولين سالفى الذكر يوم ٦ نـوفمبر قرب ساحـل بور سعيد ؛ حيـث احتشدت ٥ حاملات طـائرات تحمل ٢٥٠ طائـرة قتال ، و٦ طـاردات إحـداهـا بالبحـر الأحمر ، و١٧ مدمـرة إحداها بالـبحر الأحمر ، و ١٤ فرقاطة منها ٢ بالبحر الأحمر ، و ٧ غواصات ، ونحو ٢٥٠ سفينة مختلفة الأنواع بين ناقلة وقود وتموين وورشة وسفينة ركاب وسفينة بضائع وسفينة مساعدة .

وبينما كـانت تلك الأساطيل الثـلاثة وما تتضمنه مـن سفن كثيرة - تجد السـير نحو شاطيء الـغزو صباح ٤ نوفمـبر ، كانت الطـائرات الأنجلوفرنـسية تلين لهـا دفاعات رأس الشاطيء ، وتقـصف عقـد المواصلات الحديـدية ، والمعسكرات ، ومرابض نيـران المدفعية المضادة للطائرات ، وعـدة أهداف أخرى .

وكـــانت حامـــية بور سعيد التى لم تـتجاوز فى شهر اكتـوبر مجرد كتيبـتين مشاه احتياط ، وبـطارية مدفعية سـاحلية ، وبعض المدافـع المضادة للطائرات قـد عززت - بمجرد اكتشاف أهداف التواطؤ الثلاثى ، وتوقع العدوان الأنجـلوفرنسى - بقوات إضافية ، وصلتها يوم ٤ نوفمبر ، تشتمل على ثلاث كتائب حرس وطـنى ، وكتيبة مشاه احتياط ثالثة ، كما وصـل إليها أيضـاً اربعة مدافع اقتحام سو ١٠٠ ذاتية الحركة من الأسـلحة التى تم اخلاؤها من سيناء .

وفى صباح ٥ نوفمبر ، وصل العميد أركان الحرب صلاح الدين صادق الموجى رئيس أركان القيادة الشرقية، متطوعاً ليتولى قيادة بور سـعيد ، وبرفقته قطار كامل من الأسلحة الصغيرة والرشاشات لتوزيعها على المواطنين ، وقد أمر بوضع براميل مليئة بالرمال لقفل ممرات مطار الجميل ؛ بهدف منع طـائرات الأعداء من الهبوط فيه ، كما أنشأ أربعـة أوكار مدافع ماكينة على المحيط الخارجى للمطار (٤٨) .

وطيلـة هذا اليوم ، راحـت اذاعات العدو تصـب دعاياتها ضـد شعب مصـر ورئيس جمهوريـتها ، وتنذرهم بالـويل والثبور . وكان أعـجب ما حدث فى هذا اليـوم الذى شهد أعنف معركة دعائية فى تاريخ الشرق الأوسط ، أن أمسك مدير محطة إذاعة صوت بريطانيا بقبرص بـالميكروفون ، ليـذيع على العالـم الرسالة التالـية : أرجو أن يكون مفـهوماً لدى حضرات المستمعين طبيعـة الظـروف التـى نـعمل فـى جـــوها ، وأننا لا نوافق أبداً على كل ما يذاع " .

أحداث القتال يوم الاثنين ٥ نوفمبر :

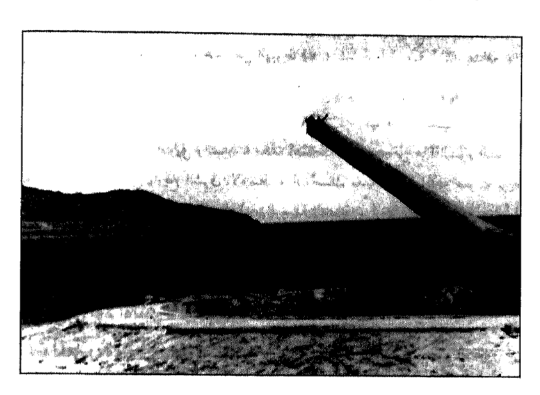
القوات المصرية :

نسفـت قوات الدفاع عـن بور سعيـد كوبرى الجمـيل غرب المديـنة إلا أن التجـهيزات الهندسية وتوزيع الـقوات والأسلحة على النقط الحيوية برأس الشاطـىء لم تتم على الصورة المنشـودة ، فضلاً عمـا سبق ذكره من أن إغـفال زرع الألغام والمـوانع فى ساحـل الغزو أو المطارات والأراضى الصـالحة للإبرار الجوى ونزول الطائـرات الخفيفة أدى إلى سهولـة تنفيذ عملـيات المظليـين ، وسرعة استـخدام الطائرات الأنجـلوفرنسيـة لمطار الجمـيل ، والأراضى الصالحة لهبوطها وإقلاعها دون بذل أى مجهود لتطهيرها (٤٩) .

القوات الإسرائيلية :

عزم موشية ديان أن يطير بطائرة من طراز داكوتـا الى الطور ؛ حيث يستقل بايبر كب إلى شرم الشيخ ليحضـر آخر معارك جولة خريف ١٩٥٦ ، ويتأكد من تنـفيذ الهجوم على شرم الشـيخ فى هذا اليوم . ولـما لم تحضر البايـبر كب فى موعـدها ، استقل سيـارة قيادة متجهة إلى شرم الشيخ فلم يبلغها ، إلا بعد أن كانت مجموعة اللواء ٩ المشاه الميكانيكى قد أتمت اجتياح دفـاعاتها ، واحتلال المنطقة ، وذلـك حوالى الساعة التاسعة والـنصف ليلاً ؛

حيث راح بعض الجنود المظليين يفتشون التلال المحيطه بالمنطقه بحثاً عن الشاردين ويجمعون الأسرى [٥٠] .



المدفع الساحلى عيار ٦ بوصة ويظهر أثر التدمير فى فوهة ماسورته

ولما كان رجال المدفعية الساحلية قد دمروا مدافعهم قبل الانسحاب من رأس النصرانى ؛ فقد زال سلاح قفل الخليج ، وراحت السفن الإسرائيلية والتى تحمل بضائع لإسرائيل تعبر مضيق الانتربرايز البحرى من وإلى ميناء إيلات التى انتعشت أحوالها وتحولت فى بحر سنوات قليلة من قرية صغيرة إلى ميناء نشيط .

القوات الانجلوفرنسية :

استهل الجنرال كيتلى هجومه باقتحام جوى رأسى بالحوامات ، فوق سطوح بعض المنشآت الحيوية ببور سعيد وبور فؤاد ، بينما تعزل الطائرات الأنجلوفرنسية ميدان المعركة غرب وجنوب المدينة ، وتمنع القوات العسكرية وقوى الدفاع الشعبى من الاقتراب من مواقع إسقاط المظليين . ثم تمكن المظليون الفرنسيون فى الساعة التاسعة صباحاً من الاستيلاء على

كوبرى الرسوة ووابور المياه جنوب المدينة ، وقطعوا المياه عن بور سعيد وبور فؤاد (٥١) .

وفى الوقت نفسه ، أتمت قوات المظلات البريطانية احتلال وتأمين مطار الجميل غرب المدينه ، ثم أسقطت قوات إضافية أخرى بعد الظهر، كان قوامها من المظليين البريطانيين والفرنسيين أيضاً .

ومن طريف ما كان يحدث وقتئذ برئاسة هيئة أركان الحرب المصرية خلال هذا الغزو ، أن الفريق محمد إبراهيم رئيس الأركان ، وقد كان زميلاً للجنرال كيتلى بدوره سابقه بكلية أركان الحرب بإنجلترا - اعتاد كلما جاءه نبأ عن تحركات الغزو أن ينظر إلى خريطة الموقف العام وهو يردد القول . . . والآن ماذا تعتزم أن تفعل يا زميل الدراسة اللدود ؟

وفى الساعة الثانية والنصف عصراً سعت القيادة التكتيكية لقوات الاقتحام الجوى ، الرأسى إلى عقد اتفاق مؤقت مع العميد أركان الحرب صلاح الدين صادق الموجى ، قائد قوات الدفاع عن بور سعيد بغرض تجميد الموقف وكسب الوقت ، حتى تصل قوات الإبرار البحرى صباح يوم ٦ نوفمبر ؛ طبقاً للخطة المعتمدة ، وقد قبل الموجى وقف النيران المؤقت تحت شرط إعادة ضخ المياه للمدينة حتى لا تتعرض حياة الشيوخ والأطفال والنساء للخطر ، وبدفن الشهداء لتوقى انتشار الأوبئة الفتاكة بالمدينة ، وكلها إجراءات إنسانية يعمد إليها ألد الأعداء لتجنيب الأهالى المدنيين ويلات الحرب قدر الإمكان .

إلا أن أحد ضباط الشرطة استغل خط التليفون الوحيد المتصل بالقاهرة ؛ ليخطر وزير الداخلية زكريا محيى الدين بأن الموجى قد استسلم (٢٣) ؛ الأمر الذى أنكره القائد البريطانى بعد الحرب واشاد بشجاعه وهدوء أعصاب الموجى وحسن تصرفه فى مواجهة المواقف الصعبة .

والحقيقه أنه لما سلم العميد بتلر فى الساعة الخامسة والنصف شروط التسليم التى صاغها الجنرال ستوكويل على ظهر سفينة القيادة ، رفضها الموجى للتو فأكتفى بتلر بمواصلة وقف النيران حتى الساعة الحادية عشرة والنصف مساءً طبقاً للاتفاق الأول مع الموجى (٥٢) .

وكان الضمير العالمى فى مساء هذا اليوم قد أدان تلك الأعمال الأنجلوفرنسية ، ووصفها بالبربرية والحمق ، ثم أصدر الماريشال بولجانين رئيس الوزراء السوفييتى إنذاره الى كل من المملكة المتحدة وفرنسا وإسرائيل ، يدين فيه عدوانهم الآثم على مصر ، ويحذرهم من مغبة

تعريض السلام والأمن الدوليين للخطر ، وكان مما جاء فى إنذاره لإسرائيل ما يلى : [٥٣]

« إن الحكومة الإسرائيلية المجرمة التى تفتقر إلى الشعور بالمسئولية ، تتلاعب الآن بمصائر العالم وبمستقبل شعبها بالذات »

أما رسالتيه إلى المملكة المتحدة فرنسا فقد احتوت على الفقرة التالية :[٥٤]

إن الحرب التى أثارتها المملكة المتحدة وفرنسا واستخدامهما إسرائيل ضد مصر سيترتب عليها نتائج غاية فى الخطورة بالنسبة للسلام العالمى ، وإذا كانت تلك الحكومتين قد عمدتا إلى شريعة الغاب فى عدوانهما على مصر فليتذكر أنهما ليسا الوحشين الوحيدين فى تلك الغابة :[٥٥]

ومع ما احتوت عليه تلك الرسائل من تهديد سافر وتحذير شديد اللهجة ، فالواقع أن إجراءات الولايات المتحدة التى لوحت بها لدول العدوان ، كانت اشد تأثيراً عليها من الإنذار السوفيتى ، وذلك لأن قطع المساعدات عنها على نحو ما لوح به الرئيس ايزنهاور ، يترتب عليه أوخم العواقب التى لا تستطيع تلك الحكومات أن تتحملها .

أحداث القتال يوم الثلاثاء ٦ نوفمبر :

القوات المصرية

انشغلت القيادة الشرقية طيلة هذا اليوم فى دفع التعزيزات إلى بور سعيد للتمسك بمنافذها الجنوبية . كما ركزت القيادة العامة جهود القوات المسلحة وقوى النضال الشعبى حول المحيط الخارجى لرأس الشاطىء جنوب بحيرة المنزلة ، وفى شمال الإسماعلية[٥٦] .

كما قامت بعض الطائرات بمهام انتحارية على ارتفاعات منخفضة ضد تجمعات المظليين وقوات الاقتحام الجوى الرأسى برأس الشاطىء . وقد تمكنت من إنجار مهامها بنجاح ، والعودة إلى مطارات سرية بالدلتا ، حيث يسهل اخفاؤها بين المزروعات الكثيفة . وقامت جماعات فدائية بعبور بحيرة المنزلة إلى بور سعيد ؛ حيث تولت تنظيم المقاومة الشعبية والسيطرة عليها .

القوات الانجلو فرنسية

وصلت قافلة الغزو البحرى أمام بور سعيد فى الساعة الرابعة والنصف من فجر يوم ٦ نوفمبر ؛ حيث انشطرت إلى قسمين ، توجه الأول منهما بحمولته من القوات البريطانية صوب ساحل المدينة بينما توجه القسم الثانى بحمولته من القوات الفرنسية صوب ساحل بور فؤاد [٥٧] .

وبعد تمهيد عنيف جداً بنيران الأسطول والطائرات ، استمر من الساعة الخامسة و ٢٥ دقيقة حتى السادسة ، بدأ الغزو البحرى الذى وصلت موجاته الأولى حوالى الساعة السادسة والربع إلى الشاطىء ، تحمل الفدائيين البحريين المدعمين بالدبابات . ولم يكن هذا الساحل رغم التقديرات السابقة باحتمال غزوه من البحر - قد جهز بأية موانع هندسية أو ألغام ؛ مما جعل نزول القوات عليه يتم بسهولة ويسر ، وبلا خسائر تقريباً .



بعد تمهيد عنيف جدًا استمر ٢٥ دقيقة بدأ الغزو البحرى

إلا إنه بمجرد أن زحفت قوات الفـدائيين البحريين لشق طريقها نحـو بداية طريق القناة المتجه جنوباً نحو الإسماعيلية ، تصدت لها المـقاومات العنيفة مما أجبر قياده الغزو على دفع التعزيزات لاحتلال بور سعيد نفسها ، فأنزلـت كتيبه اقتحام جوى بالحوامات ، كما أنزلت آلاى دبابات سنتوريان على أرصفة الميناء ، ثم دفعته للتو لمعاونة الفدائيين البحريين .

وفى السـاعة الثانية عـصراً أبرق السيد انـتونى ايدن رئيـس وزراء المملكة المتـحدة الى الجنرال تشارلز كيتلى يأمره بالاستعداد لوقف النيران اعتباراً من الساعة الخامسة ، مع محاولة كسب أكبر مسـاحة ممكنة من رأس الشاطيء قـبل هذا الوقت(٥٨) . فدفع كيتـلى على وجه السرعة بقوة من المظلات والصاعقة الفرنسية والـدبابات البريطانية نحو الجنوب ، تمكنت من الوصول إلى منطقه رأس الـعش الواقعة على مسافه ١٧ كيلومتراً جـنوب بور سعيد ، حيث أوقفتها المـقاومات المصرية ، وكانت تـلك النقطة هى أقصـى ما وصلت إليه عملـية الغزو البحرى ، التـى كانت تهـدف إلـى احتلال السويس والإسماعـيلية والقاهرة لتـسقط نظام الحكم ، وتعـيد مصر الى سابـق عهدها بالاستـعمار ، وتلغى تـأميم شركه قنـاة السويس لتغترف من خيرات مواردها الغنيه التى حرمت منها شعب مصر ، زهاء مائة عام .



تفسخ محور التواطؤ

بينما كانت عقارب الساعة تلتقى عند الثانية عشرة من منتصف ليلة ٦/٧ نوفمبر ، كان السيد انتونى إيدن قد يقترب من حافة الانهيار العصبى . وكم كانت المفاجأة مؤلمة لبطانته ، وهم يرون رئيس وزراء الإمبراطورية التى لم تكن تغيب عنها الشمس ، وقد انخرط فى البكاء ، بعد ان رأى نبوءته تتحقق ليلة أن توعد مصر لقيامها بتأميم شركه القناه بقوله : « إننى أفضل أن تنهار الإمبراطوريه البريطانية دفعة واحدة ، على أن تظل تعانى سكرات موت بطيء[٥٩] .

وما ان استرد بعض جأشه ، حتى أرسل إلى سكرتير عام الأمم المتحدة يخطره برضوخه لقرار وقف النيران ، ولما تقطع قواته من أرض مصر سوى جزء من الألف من المسافة التى قطعتها لتصل من أراضى المانيا الغربية والجزيرة البريطانية إلى ساحل بور سعيد .

وكانت خيبة أمل المسيو جى موليه فى زميله السير إيدن شديدة فيما أبرمه من قرار وقف النيران بمفرده . ورغم الإلحاح والتضرع الذى وجهه إليه ؛ ليرجع عن ذلك القرار الذى هدم المعبد على رؤوس ثلاثى تواطؤ سيفر ، فقد ظل إيدن على تخاذله الذى لم يجد المسيو موليه حياله إلا أن يأمر الجنرال بول إيلى ، رئيس هيئة أركان الحرب الفرنسية بإنقاذ مايمكن إنقاذه ، وحث الأدميرال بارجو على أن يعمل منفرداً ويبذل غاية جهده لتستولى قواته على المزيد من الأرض ، دون الالتفات إلى قرار وقف إطلاق النيران ، أو ما قد يبديه الجنرال كيتلى من اعتراضات ٠

وعندما اجتمع بارجو بقيادته لبحث الأمر اقترح معاونوة ثلاث خطط لتحقيق أوامر المسيو موليه ، تلخصت فى الآتى :[٦٠] .

خطة بارجو :

وتتلخص فى إسقاط مظليين فرنسيين على طول قناة السويس لاحتلالها ٠

خطة الزى :

وتتلخص فى أن يرتدى جنود إسرائيل الموجودون قرب ضفة القناة الشرقية الزى العسكرى الفرنسى ، ثم يزحفوا الى القناة ليحتلوا ضفتيها نيابة عن القوات الفرنسية ٠

الخطة الحمراء

وتضيف إلى خطة الزى دفع قوات فرنسية على جناح السرعة لغيار القوات الإسرائيلية التى ترتدى الزى الفرنسى قبل أن يفتضح أمرها ، ولتعزز الأرض المكتسبه وتحكم السيطرة عليها ٠

إلا أنه عندما اتصل المسيو موليه بزميله دافيد بن جوريون ؛ ليرجوه التعاون فى تنفيذ هذه المؤامرة الأخيرة ؛ فوجىء بصديقة يكشف عن انتهازيته ، وهو يقول له بنبرة التأكيد : " لقد حققت إسرائيل كل ما كانت تصبو إليه ، ولم يعد هناك ما يدفعنا إلى مواصلة الحرب بعد موقف انتونى إيدن الأخير " (٦١) .

بهذا الرد الحاسم انتهت محاولة التآمر الفرنسية سالفة الذكر ، بينما كان السير انتونى إيدن يرسل إلى الجنرال كيتلى أمرًا قاطعًا بأن يمنع القوات الفرنسية من محاولة التقدم جنوبًا من رأس الشاطىء ، فيحيل كيتلى هذا الأمر إلى بتلر الذى يسارع بتنفيذه ٠ ثم يتبعه إيدن بأمر ثانٍ فى الساعة الثانية من فجر ٧ نوفمبر بوقف النيران ، التى كان كيتلى قد أوقفها فعلا قبل ذلك بنيف وساعتين ، أى فى الساعة الثانية عشرة إلا ست دقائق من منتصف الليل ٠

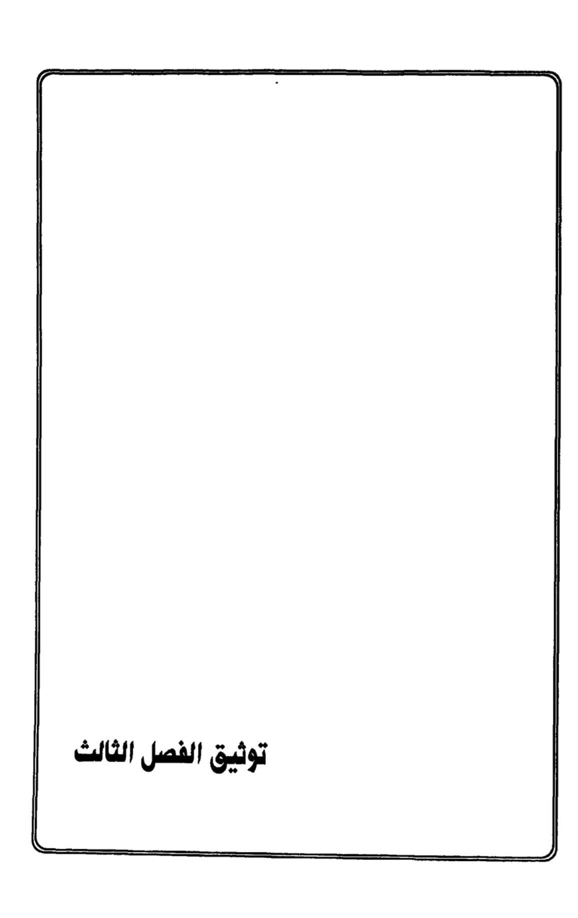
وبوقف النيران انتهت أعمال القتال النظامى فى مسرح الحرب ، وذهب السير إيدن إلى جزيرة جامايكا ليقضى فترة نقاهة تحققت فى نهايتها نبوءته الثانية ، التى قال فيها أن العالم لايتسع لى ولعبد الناصر ، ويجب على أحدنا أن يذهب فقد سقطت حكومته ، وأضطر إلى أن يعتزل الحياة السياسية ، ويذهب إلى غيابة التاريخ ، ثم لحقه جى موليه بعد قليل ، وإن بقيت وصمة التواطؤ الثلاثى تلطخ صفحات إيدن وموليه وبن جوريون ، كلما فتح قارىءمن الأجيال التالية سجل العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ٠

التعليق :

فى حياة الشعوب قد يهون العمر إلا لحظة ، وتهون الأرض إلا موضعًا ٠

ولقد كـانت حرب العدوان الـثلاثى هى اللحـظة ، التى استـردت فيها مصـر إرادتها المتحررة ، والموضع الذى عـاودت منه المسيرة فى ركب الدول ذات الكرامة الـوطنية والتاريخ الحضارى ، الذى كانت قد بدأته فى فجر التاريخ .

ولقد ترتب على صـمود مصر فى وجه هذا العدوان الثلاثى الكـاسح ، وما لقيته من دعم ومؤازرة من أمة العرب والعالم الثـالث ، أن ظهرت خريطة علاقات جديدة بين الدول لم يعد فيها مكان لممارسة الدول الاسـتعمارية دور السيد المطاع ، كما تحررت الإرادة الوطنية لغالبيـة الشعوب النامية التى قهرها الاستعمار زمنًا طـويلاً ، ونتيجة لهذا الحدث الذى ترددت أصداؤه فى كل أرجاء العالم ، صار النصر السياسى الذى حققته مصر فى ختام ذلك العـدوان ، بمثابة نقطة التحول إلـى آفاق الاستقلال والحرية السيـاسية فى أجزاء كثيرة من المعمورة .



توثيق الفصل الثالث

(١) دايان ، موشيه : يوميـات معركة سيناء (القاهرة : إدارة المطبوعـات والنشر للقوات المسلحة ، ١٩٦٦) ، ص ١٠١ .

(٢) Nutting, Anthony – The Story of Suez (London : Constable, 1967), p. 105.

(٣) Love, Kennett – The Twice Fought War (New York : Mc Graw – Hill, 1969), p. 501.

(٤) Ibid, p. 599.

(٥) المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ١٠٢ .

(٦) المصدر نفسه : ص ١٠١ .

(٧) المصدر نفسه : ص ١٠٢ .

(٨) دار المحفوظات المركزية العسكريـة : القاهرة ، الملف رقم ٦/٣٣٦ ، مسلسل ١١٣ ، كود ٣٧ .

(٩) المصدر نفسه : الملف رقم ٣/٢١٣ ، مسلسل ٤٢ ، كود ١٥ .

(١٠) المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ٩٨ .

(١١) شارون ، أرييل : مذكرات آرييل شارون (بـيروت : مكتبة بيسان ، ١٩٩٢) ، ص ١٨٦ ، ١٨٧ .

(١٢) Dayan, Moshe – Story of My Life (London : Weidenfeld & Nicolson, 1976), pp. 205–206.

(١٣) المصدر السابق : دار المحفوظات المركزية العسكرية ، نفس الملف والمسلسل .

(١٤) المصدر السابق : مذكرات آرييل شارون ، ص ١٨٥ – ١٨٦ .

(١٥) المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ١١٣ .

(١٦) Op.Cit.: The Twice Fought War, pp. 512–513.

(١٧) Lloyed, Selwyn – Suez 1956 (London : Jonathan Cape, 1978), pp. 195–196.

(١٨) المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ١١٧ – ١١٨ .

(١٩) المصدر نفسه : ص ٨٨ .

(٢٠) المصدر السابق : مذكرات آرييل شارون ، ص ١٨٨ – ١٩٦ .

(٢١) دار المحفوظات المركزية العسكرية : القاهرة الملف رقم ٢٤/٥ ، مسلسل ١١١ ، كود ٣٧ ، مذكرة عن معركة أم قطف .

(٢٢) المصدر نفسه : الملف رقم ٦/٣٣٦ ، مسلسل ١١٣ ، كود ٣٧ .

(٢٣) المصدر نفسه : اشارة رقم ٣٨ عمليات .

(٢٤) هيكل ، محمد حسنين : ملفات السويس (القاهرة : مركز الأهرام للترجمة والنشر ، ١٩٨٦) ، ص ٥٣٣ – ٥٣٥ .

(٢٥) Beaufre, Andre : The Suez Expedition 1956 (New York : Fredrick A. Praeger 1969), p. 51.

(٢٦) المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ١٣٥ – ١٣٧ .

(٢٧) دار المحفوظات المركزية العسكرية : القاهرة ، مسلسل رقم ٢٨٣ ، يومية حرب ، إدارة عمليات وخطط الجيش الساعة ١٢١٠ يوم ١ نوفمبر ١٩٥٦ ، أمر إلى قائد منطقة شرم الشيخ بالانسحاب إلى غرب قناة السويس .

(٢٨) المصدر نفسه : مسلسل ٢٩٩ ، الساعة ٢١٠٠ يوم ١ نوفمبر ١٩٥٦ ، التصديق على اقتراح قائد منطقة شرم الشيخ بالبقاء فى مواقعه .

(٢٩) Dupuy, Trevor N.: Elusive Victory (New York : Harper & Row, 1978), p. 211.

(٣٠) Op.Cit.: The Twice Fought War, p. 590–591.

(٣١) Ibid, p. 617–618.

(٣٢) المصدر السابق ، يوميات معركة سيناء ، ص ١٨٢ .

(٣٣) Op.Cit.: The Twice Fought War, p. 545.

(٣٤) المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ١٦٣ – ١٦٧ .

(٣٥) جريدة الأهرام : القاهرية ، عدد السبت ٣ نوفمبر ١٩٥٦ .

(٣٦) البغدادى ، عبد اللطيف : مذكرات البغدادى (القاهرة) ، المكتب المصرى الحديث (الجزء الثالث) ١٩٧٧ ، ص٣٤٦ .

(٣٧) المصدر السابق : ملفات السويس ، ص ٥٣٤ .

(٣٨) المصدر نفسه : ص ٥٣٥ – ٥٣٦ .

(٣٩) المصدر السابق : مذكرات البغدادى ، ص ٣٤٥ .

(٤٠) المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ١٨٣ .

(٤١) المصدر نفسه : ص ١٨٤ .

(٤٢) المصدر نفسه : ص ١٧٥ – ١٧٧ .

(٤٣) المصدر نفسه : ١٧٩ – ١٨٠ .
والمصدر السابق Op.Cit. : The Suez Expedition, p. 97.

(٤٤) Ibid : p. 92.

(٤٥) المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ١٩٨ – ٢٠٠ .

(٤٦) دار المحفوظات المركزية العسكرية : القاهرة ، الملف رقم ٢٤/٥ ، مسلسل ١١١ ، كود ٣٧ .

(٤٧) Op.Cit. : The Suez Expedition, p. 83–87.

(٤٨) المصدر السابق : دار المحفوظات المركزية : القاهرة ، الملف رقم ٢٤/٥ ، مسلسل ١١١ ، كود ٣٧ .

(٤٩) المصدر نفسه .

(٥٠) المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ٢٠٣ - ٢٠٦ .

(٥١) Op.Cit. : The Suez Expedition, p. 103–104.

(٥٢) المصدر السابق : دار المحفوظات المركزية : القاهرة ، الملف رقم ٦/٢٦٤ ، مسلسل ١٢٢ ، كود ٣٧ .

(٥٣) المصدر السابق : ملفات السويس ، ص ٥٥٤ - ٥٥٥ .

(٥٤) Op.Cit.: The Twice Fought War, pp. 610–611.

(٥٥) Eden, Anthony : Full Circle (London : Cassell and Company, 1960), p. 554.

(٥٦) المصدر السابق : دار المحفوظات المركزية : القاهرة ، الملف رقم ٦/٤٦٤ ، مسلسل ١٢٢ ، كود ٣٧ .

(٥٧) Op.Cit.: The Suez Expedition, p. 102–104.

(٥٨) Op.Cit.: Full Circle, p. 557.

(٥٩) Sunday Times : Weekly Review (The Suez Report, September 4 1966).

(٦٠) Op.Cit.: The Suez Expedition, pp. 115–121.

(٦١) Op.Cit.: The Twice Fought War, p. 626.

الباب الثالث

القتال فى شبه جزيرة سيناء

الفصل الرابع : تسلسل الأحداث على المحور الجنوبى ومعركة ممر متلا

الفصل الخامس : معركة أم قطف

الفصل السادس : تسلسل الأحداث على المحور الشمالى ومعركة رفح

الفصل الرابع

تسلسل الأحداث على المحور الجنوبى " الكونتلا متلا" ومعركة ممر متلا

مقدمة - مجمل الخــطة الاسرائيليـــه - إجراءات الأمن الإسرائيلية - اختيار منطقة الحشد - تشكيل المعركة للواء ٢٠٢ المظلى - الخطه الإسرائيلية التفصيلية - تشكيل المسير - الخدمة الإدارية والفنية - بدء القتال على المحور الجنوبى - الإبرار الجوى فى صـدر الحيطان . رد فعل القيادة الشرقية المصرية - خطة العقيد الــشربينى - خطة المقدم عطيه - زحف قوات العقيد شارون - سقطوا وهم قابضون على السلاح - معركة متلا - وصف الأرض - تأثير طبيعة الأرض على المعركة - خطة العقيد الشربينى للدفاع عن الممر - المحاولة الأولى لاقتحام الممر - المحاولة الثانية الهجوم الاول عــلى الممر - الهــجوم الثانى - الهجوم الثالث والأخير - شارون يواجه خطراً جديداً - هل كانت المعركه ضرورية ؟ تداعيات موقف الشربينى - التعليق .

مقدمة :

يرجع سبب انتخاب المدخل الشرقى لممر متلا موقعاً لبدء عدوان إسرائيل إلى خلوه من أى نفس حية .[1] وعندما اعترض البعض بأنها تبعد نـحو ستين كيلو متراً عن قناه السويس التى يـراد خلق حالة صراع مـسلح على مـشارفها ، تعـطى الذريعة للـقوات الأنجلوفرنـسية للتدخل لحمايتهـا ، طمأنهم الجنرال موشيه ديان بأنه وقت المعارك تتـوه الحقائق التى يسهل على وسائل الإعلام الصهيونية أن تلوى أعناقها بما يخدم وجهة نظر اسرائيل .

ولهذا فإنه لـم يطرأ سبب لاشتعال القـتال ، إلا بعد أن نزلت الكتـيبة ٨٩٠ مظلات

ذات شعار الثعبان المجنح ، والتى يقودها المقدم روفائيل ايتان على مدخله الشرقى ؛ مما دعا القيادة المصرية إلى سرعة دفع مجموعة اللواء الثانى المشاه قيادة العقيد وجيه طاهر الشربينى لشن الهجوم عليها بالمواجهة ، بينما يقوم الألاى الثانى استطلاع مدرع قيادة المقدم احمد على عطيّه بالالتفاف عليها من جانبها الأيمن عبر وادى المليز ليباغتها من الخلف[٢] .

وكان باقى مجموعة اللواء ٢٠٢ مظلات قيادة العقيد أريل شارون تغذ السير من الكونتلا ؛ لتنضم إلى كتيبته المسقطة فى متلا قبل ان تتعرض لهجوم مصرى متفوّق ، لن تستطيع مواجهته بأسلحتها الخفيفة وحجمها الصغير[٣] .

وهكذا تحولت المسألة إلى سباق سير اقتراب بين قوتين متضادتين ، يفصلهما عن شرق الممر نفس المسافة تقريباً ، ويتعرضان لمشكلات مشابهة نظراً لوعورة الأرض وانقضاض الغارات الجوية عليهما ، بينما زاد حمل مجموعة اللواء الثانى المشاه المتمركزة فى الشلوفة بوجود معبر واحد فوق قناه السويس ، التى تقف حائلاً بينها وبين هدفها ، مع ضرورة إعطاء الأفضلية لعبور قوافل السفن واقتصار عبور المجموعة بين فواصل القوافل . وعلاوة على ذلك فقد كان للواء ٢٠٢ المظلى الذى يتمتع بدرجة ميكنة افضل ، كتيبة كاملة بموقع صدر الحيطان قائمة بالتجهيز للمعركة المنتظرة [٤] .

كما أن دولتى التواطؤ كان لهما دور فى معاونة اللواء ٢٠٢ مظلى فى معركته بأن وفرت القوات الجوية الفرنسية الدفاع الجوى عن إسرائيل ؛ حتى تخلى سلاح الطيران الإسرائيلى لمساندة اللواء المظلى بأكبر حجم ممكن من المعاونة الجوية ، فضلاً عن عمل مظلات مستمرة فوق منطقة قناة السويس لمنع الطائرات المصرية من مهاجمة القوه الإسرائيلية [٥] .

وإلى جانب ذلك ، فقد خصص مجهود جوى فرنسى آخر للاشتراك فى أعمال قتال الاتجاه الجنوبى مع سلاح الطيران الإسرائيلى ، علاوة على الإمداد الجوى المستمر بطائرات نورد أطلس من قواعد قبرص لتزويد الكتيبة ٨٩٠ مظلات شرق متلا ، وباقى اللواء ٢٠٢ المظلى المتقدم على المحور الجنوبى بكل ما يلزم من أسلحة ثقيلة وعربات ومواد إعاشة .

هذا بينما حشدت المملكة المتحدة قوة مدرعة فى منطقة العقبة الأردنية على أهبة الاستعداد للتدخل الفورى ؛ لمساندة أعمال قتال اللواء ٢٠٢ مظلى ، اعتباراً من صباح ٣١

أكتوبر ١٩٥٦ . وكانت هذه القوة مشكلة من آلاى دبابات سنتوريان ، وسرية مشاه ، وفصيلة رشاشات متوسطة وبطاريات مدفعية ميدان ٢٥ رطلاً ، وتروب مدفعيه مضادة للدبابات ١٧ رطلاً و ٥٠ ناقلة دبابات .

مجمل الخطة الإسرائيلية :

شكلت أعمال قتال اللواء ٢٠٢ المظلى المرحلة الأولى من العملية « قادش » ، وقد بدأت تلك المعركه فى آخر ضوء يوم ٢٩ أكتوبر ، كما تحدد آخر ضوء يوم ٣٠ موعداً لانتهائها ، على أن تقتصر جميع أعمال القتال فى المحاور الأخرى على خدمة عمليات هذا اللواء المظلى ٠

وقد اشتملت هذه المرحلة على الأعمال القتالية التالية :[٦]

* تحرك اللواء ٢٠٢ المظلى من منطقة عين حصب بالنقب الجنوبى ، صوب صدر الحيطان مروراً بالكونتلا والتمد ونخل ، بهدف سرعة الاتصال بالكتيبة المسقطة جواً ٠

* الاستيلاء على منطقة القصيمة بلواء مشاه ، وفتح طريق الحسنة بلواء مدرع لتأمين الجانب الأيمن للواء المظلى ، خلال تقدمه على المحور الجنوبى ٠

ولتحقيق ذلك ، كان على اللواء ٢٠٢ المظلى أن يعبر خط الحدود المصرية فى الساعة الرابعة عصراً يوم الإثنين ٢٩ أكتوبر ، وبعد أن يقضى على كل ما يصادفه من مقاومات فى الكونتلا والتمد ونخل ، يستولى على تقاطع طرق نخل كمهمة مباشرة ، ثم يستأنف الاندفاع نحو صدر الحيطان لينضم على كتيبته المسقطة هناك ، قبل آخر ضوء يوم الثلاثاء ٣٠ أكتوبر ٠

ويقوم بالاستيلاء على ممر متلا خلال ليلة ٣٠ / ٣١ أكتوبر ، ثم يؤمن مدخله الغربى قبل أن ينبلج فجر يوم الأربعاء ٣١ اكتوبر ١٩٥٦ ،٠ وهو نفس التوقيت الذى حدده الإنذار الأنجلوفرنسى لبدء تدخله السافر إذا ما رفضت مصر الرضوخ له [٧] .

إجراءات الأمن والخداع :

لما كانت أعمال قتال اللواء ٢٠٢ المظلى تشكل المرحلة الوحيدة التى تنفرد فيها إسرائيل بالعمل قبل التدخل الأنجلوفرنسى ، فقد حرصت الأركان العامة على أن تدير قتالها بحذر

شديد ، وأن تؤمنة ضد المفاجآت غير المتوقعة ، مع التأهب لوقف القتال وسرعة سحب القوات داخل إسرائيل ، بمجرد أن تدعو الحاجة لذلك[٨] .

كما هدفت الأركان العامة أيضاً إلى خداع القيادة المصرية عن حقيقة ذلك العدوان وحجمه ومداه واتجاهاته ، وكسب الوقت مع الاحتفاظ بحرية التصرف السريع فى حالة التعرض للفشل ، أو حدوث خلل فى ترتيبات التواطؤ . ولهذا حرصت على قصر كافة أعمال المرحلة الأولى على مجرد الاستيلاء على بعض المواقع التى تضفى على القتال سمة الإغارة العميقة وتعطيها الصورة الانتقامية[٩] .

اختيار منطقة الحشد :

اختارت الأركان العامة الإسرائيلية منطقة حشد اللواء ٢٠٢ المظلى فى عين الحصب المتاخمة للحدود الاردنية ، والتى تبعد نحو مائة كيلومتراً عن الحدود المصرية ؛ لإخفاء نية الهجوم على الاتجاه الجنوبى بسيناء حتى لاتتاح الفرصة للقيادة المصرية لتعزيزه ·

تشكيل المعركة للواء ٢٠٢ المظلى :

كان هذا اللواء المظلى أرقى وحدات جيش إسرائيل من حيث الكفاءة القتالية واللياقة البدنية العالية والروح التعرضية · وقد بدأ تشكيله فى يناير ١٩٥٤ من كتيبة مظلات ، والوحدة ١٠١ من الضباط والجنود المسرحين من الخدمة الإلزامية ، ذوى الصفات الخاصة عسكرياً وأخلاقيًا ، والقادرين ذهنياً ونفسياً على تنفيذ الأعمال الدموية ·

وقد استكمل اللواء تشكيلة فى العام التالى كقوة عسكرية خاصة ، تستخدم فى تنفيذ الإغارات الانتقامية وأعمال الإرهاب ضد الدول العربية المتاخمة · فقام اللواء بنحو ٤٥ اغارة كانت آخرها ضد قلقيلية بالأراضى الأردنية يوم ١١ اكتوبر ١٩٥٦ ، أى قبل بدء العدوان على مصر بحوالى ١٨ يوماً · وتعتبر إغارة قلقيلية اكبر عملية قام بها هذا اللواء ، ورغم انه أصيب فيها بخسائركبيرة ، إلا أنه نفذ الإغارة كتطعيم عملى للمعركة المقبلة على الاتجاه الجنوبى فى سيناء [١٠] .

وقد كان اللواء ٢٠٢ المظلى عصر يوم الاثنين ٢٩ اكتوبر ١٩٥٦ ، يتشكل كالآتى :

مجموعة الإبرار الجوى التكتيكية :[11]

ضمت هـــذه المجموعـــة الكتـيبة ٨٩٠ المظلات ، والبـطارية ٣٣٢ هاون ثـقيل ١٢٠ ملليمتراً (٦ هاونات) ، وتروب مدفعيـة مضادة للدبابات (٤ مـدافع عديمة الارتـداد) و٨ عربات جيب ، وعدة لوارى ، و٥ طائرات مواصلات ، وعدد من الشراعيات ، وقد أقلعت بها ١٦ طائرة داكوتا من مطار عكير عصر يوم ٢٩ أكتوبر ·

كمـــا خصص لمعاونتهـا سـرب مقاتـلات قـاذفـة وسرب مقاتـلات ، ووحدة إمداد جوى ·

القوة الرئيسية :

ضمت هذه الـقوة الكتيبة ٨٨ المظلات الاحتياطـية ، والكتيبة ٧٧١ المظلات الناحال ، وكتيبة هاون ثقيل ١٢٠ ملليمتراً عدا بطارية ، وكتيبة مدفعية ميدان (١٨ مدفع) ، وبطارية مضادة للطائرات ، و٤٦ عربـه ناقلـة جند مدرعة ، وسريـة دبـابـات خفيفـة طـراز أ.م . اكس ، وكتيبة ناحال من سريتـين ، وطاقم أرض هبوط ، وسرب نقل جوى داكوتا ، وسرب مواصلات جوية ، ومستشفى ميدانى ·

كما خصـص لها مجهود جوى مـقاتل ، وآخر للنـقل الجوى الفرنسى مـن إسرائيل وجزيرة قبرص ·

الخطة التفصيلية الإسرائيلية :[12]

بعد أن تجمعت قوات اللواء ٢٠٢ المظلى فى منـطقة عين الحصب الساعة الخامسة مساء ٢٨ أكتوبر ١٩٥٦ ، بـدأ التقدم فى الساعة الـثالثة فجرا وبتـشكيل منضم فى رتـل مسير بمقدمة قوية وقوة أساسية على أن تعبر المقـدمة خط الحدود المصرية فى الساعة الرابعة عصر يوم ٢٩ أكتوبر عنـد ثميلة سويلمه شمال شرق الـكونتلا ، بينما تعبرها الـقوة الأساسية فى الساعة الخامسة ، وتستولى على الفور على قرية الكونتلا ·

وفى نفس اللحظة تنقض الكتيبة ٨٩٠ مظـلات على منطقة صدر الحيطان باقتحام جوى رأسى ؛ لتـستولى عـلى المدخل الـشرقى لممـر متلا ، وتقـوم بتأميـنه إلى أن تصـل القوة الأساسية للواء خلال ٢٤ ساعة من بدء عملية الاقتحام الجوى الرأسى سالفة الذكر ·

ولتحقيق ذلك ، تواصل مجموعة اللواء الاندفاع ليلا فى اتجاه التمد ثم نخل مع إزاحة نقط الإنذار والمراقبة المصريـة التى تصادفها ، وتجتاح المواقع التعطيلية الـتى تعترض طريقها حتى تستولى عـلى منطقة نخل وتؤمن تقاطـع الطريق الهام بها كمهمة مـباشرة للواء ، قبل ظهر يوم الثلاثاء ٣٠ أكتوبر .

وتبدأ مجموعة اللواء فى تنفيذ المهمة التالية للتقدم صوب صدر الحيطـان ؛ لتنضـم إلى كتيبتهـا المسقطة بالأمس ، وذلك قبل مغرب يوم ٣٠ أكتوبر .

ثم يكون اللواء بأكملـه مستعدًا لتنفيذ ما يوكل اليه من مـهام أخرى فى اتجاه بور توفيق ورأس سدر أو بير جـفجافة ؛ تبعًا لأوامـر قائد المنطقـة العسكرية الجـنوبية العمـيد عساف سمحونى ، وكمهمة نهائية للواء .

تشكيل اللواء :(١٣)

بعد تقدير مقتضـب للموقف ، قرر العميد أرييل شارون ترتيب سـير لوائه فى مقدمة قوية ، تدفع امامها حرسًا اماميًا لإزاحة نقط المراقبة والإنذار التى تعترض طريقه طبقًا للخطة سالفة الذكر حتى يضمن لقواته التقدم بمعدل سريع نحو هدفها النهائى .

وقد تشكلت تلك المقدمة من كتيبة مظلات محمّلة فى ناقلات الجند المدرعة التى وصلتها حديثا ، وبطاريتى مدفعية ميدان ٢٥ رطل ، وفصيلتى دبابات خفيفة طراز أ ٠ م ١٠ إكس .

أما القوة الأساسـية التى ضمّت باقى اللواء فكـانت من كتيبة المظلات النـحال وبطارية مدفعية الميدان وكتيبة الهاون الثقيل عدا بطارية وفصيلة دبابات خفيفة .

الخدمات الإدارية والفنية :(١٤)

ولم تغفل الخطة توفيرالمياه والوقود والذخائر للكتيبة ٨٩٠ المظلات بما يكفيها للقتال ٢٤ ساعة ، وهى منعـزلة فى منطقة صدر الحيطـان ، كما اهتمت الخطة أيضًا بإسـقاط الأسلحة المعاونة الثقيلة للكتيبة بعد ثلاث ساعـات من إبرارها جوًا بالمنطقة ؛ أى فى الثامنة من مساء نفس اليوم ، فضلاً عن إسقاط كمية إضافية من مواد الإعاشة تكفيها مدة ٢٤ ساعه أخرى .

أمّا باقى مجموعة اللواء ٢٠٢ المظلى فقد نصّت الخـطة على إعاشتها بطريق البر على محور الكونتلا .. التمد - نخل - صدر الحيطان .

بدء القتال على المحور الجنوبى[١٥]

كان من المقرر أن يبدأ تحرك اللواء ٢٠٢ المظلى الساعة الثالثة فجر ٢٩ أكتوبر ، إلا أن بعض عناصره لم تكن حتى هذا الوقت قد انضمت إليه فى عين الحصب ٠

وحرصًا من قائد اللواء على الالتزام بالتوقيتات المفروضة عليه فى الخطة حتى لا يتأخر عن الإنضمام إلى كتيبته المسقطة فى صدر الحيطان قبل آخر ضوء يوم ٣٠ ؛ فقد قرر بدء التحرك فى السابعة صباحًا ، دون انتظار العناصر المتأخرة ٠

وتابعت القوة الرئيسية تقدمها صوب الكونتلا طيلة ٢٩ أكتوبر عبر المدقات ، والأدوية الصحراوية دون أن يسمح العقيد شارون لها بأى وقفات للراحة ؛ حتى يعوض الوقت الضائع كما أمر بإعادة ملء العربات بالوقود أثناء التحرك توفيرًا للوقت ٠ ورغم ذلك فقد تبعثرت أرتال اللواء على الطريق الطويل الوعر ، وداخل رمال وادى الجرافى اللينة حيث عانت من الغرز ، ورداءة المدقات فلم تصل طلائعها إلى الحدود المصرية إلا مع مغرب الشمس حيث شاهدتها نقط المراقبة المصرية وأبلغت قيادتها عنها ٠

واستمر العقيد شارون يجمع عناصر لوائه المظلى حتى الساعة الثامنة مساءً ، عندما عبرت مقدمته الحدود التى كان عليها أن تعبرها قبل ذلك بأربع ساعات حسبما كانت تقضى به الخطة الموضوعة ٠ أما باقى عناصر اللواء فكانت لا تزال مبعثرة على إمتداد وادى الجرافى وقد بلغ بها الإجهاد غايته ٠

الإبرار الجوى فى صدر الحيطان :[١٦]

قبل الساعة الخامسة بدقائق وصلت الطائرات الداكوتا الست عشره طراز (C - 47) إلى منطقة صدر الحيطان تحرسها عشر طائرات ميتيور من قاعدة حاتسور الجوية بقيادة الألوف مشنيه عايزر وايزمان ، علاوة على اثنتى عشرة طائرة مستير فرنسية ، وشاهد بعض عمال الطرق المصريين المظليين وهم يهبطون إلى الأرض من ارتفاع ١٥٠٠ قدم ٠ ونظرًا لنشاط الريح وارتفاع الطائرات . . فقد انتشر ٣٩٥ مظليًا على مساحة كبيرة كما أصيب ١٥ منهم بجراح ٠

وعلى خلاف ما حددته الخطة من إسقاط الكتيبه عند النصب التذكارى فى المدخل الشرقى للممر ، فقد أخطأ الطيارون فأسقطوها فى منطقة منبسطة تبعد عنه نحو ثمانية كيلو مترات شرقًا قرب جبل الحسن

وقد كشف العقيد احتياط أرييه بيرو قائد إحدى سرايا الكتيبة ٨٩٠ مظلات بصدر الحيطان لجريدة الجيروزالم بوست الأسبوعية فى ٨ أغسطس ١٩٩٥ ، أنه قتل ٤٩ مدنيًا من عمال تمهيد الطرق فور هبوط سريته ، وأنه عمد إلى قتلهم لأنه لم يكن يستطيع حراستهم وإطعامهم .

وقال العقيد بيرو إنه قرر أن يخرج عن الصمت بعد ٣٩ عامًا من هذا الحادث المسجَّل فى ملفات دوَّنها مع وزير الدفاع الراحل موشيه ديان ، وأن الكتيبة ٨٩٠ مظلات تعتبر وحدة المذابح ، وأنها عندما لم تجد فى صدر الحيطان جيشًا نظاميًا يمكن أن تدخل معه فى حرب ، دخلت معركة وهمية مع مواطنين مصريين عزّل من السلاح .

كما شهد العقيد شاؤول ريفا قائد الوحدة ١٣ كوماندوز بحرية أنه رأى كتيبة العقيد روفائيل إيتان ، وهى تقتل ٥٠ مدنيًا مصريًا يرتدون الجلباب ، وكانوا يعملون فى رصف الطريق ، وأنه عندما ناقش قائده فى هذه الجريمة قال له « ابتعد إن كان قلبك لايحتمل منظر الدماء » .

وجاء فى جريدة معاريف أن العقيد إيتان قائد الكتيبة ٨٩٠ مظلات ، هو الذى أصدر أمره المباشر بقتل هؤلاء العمال المدنيين ، وأن العقيد بيرو أوقفهم فى الصحراء ، ثم أطلق عليهم النار بشكل عشوائى بينما كان إيتان يقوم بتصويرهم بالكاميرا بالقرب من نصب باركر .

وأكد العميد احتياط مردخاى برون أن الكتيبة ٨٩٠ مظلات قتلت أكثر من ٥٠٠ شخصًا ، إذ أنه ووحدته أحصى عدد الجثث فيما بين ٢٩ أكتوبر و ٤ نوفمبر ١٩٥٦ فكانت أكثر من ٥٠٠ جثة .

وقد أكد العقيد إحتياط ميخائيل دار ما قاله أرييه بيرو ، كما ذكر المؤرخ العسكرى العقيد إحتياط مائير بائيل أنه يعرف الكثير من الحالات المشابهة ، التى قتل فيها ضباط وجنوب إسرائيليون مدنيين وأسرى مصريين كانوا عزّلا من السلاح ، وأن جيش إسرائيل ضرب صفحًا عن تلك الجرائم فلم يعاقب أحدًا من مرتكبيها .

وبينما سارع اثنان ممن نجوا من مذبحة عمال الطرق الى الشط للإبلاغ عن هذه الاعمال

العدائية ، كان روفائيل إيتان قائد الكتيبة قد اكتشف خطأ الإسقاط وبدأ يتقدم غربًا إلا أنه بعد سير مجهد لمدة ساعتين ، اكتشف أنه أخطأ الاتجاه فتوقف عند أول مرتفع صادفه ، وكان عبارة عن تبة صغيرة لا يزيد عرضها عن ٢٥٠ مترًا ، حيث اتخذ عليها موقفًا دفاعيًا ليمضى فيه ما بقى من تلك الليلة . وبمجرد أن انبلج الفجر ، تحقق من أنه لا زال على مسافة كيلو مترين من هدفه عند مدخل الممر الذى كلف بتأمينه .

ثم توالت البلاغات على القيادة المصرية ، وكان أكثرها وضوحاً ما أفادت به عربة عادت من الشط إلى نخل عن وجود المظليين الإسرائيليين فى المنطقة . وبعد ذلك بقليل وصلت إلى قياده آلاى الحدود بنخل رسالة لاسلكية من نقطة الشط ، تفيد بتعرض عربة الإجازات التى كانت متوجهة إلى نخل لنيران الإسرائيليين فى منطقة صدر الحيطان أوقعت بأفرادها بعض الإصابات واضطرتها إلى العودة للشط .

رد فعل القيادة الشرقية المصرية :[١٧]

لم يكن هناك ما يبعث على الشك عن اعتزام إسرائيل شن عدوان على مصر ، فيما عدا بعض الظواهر التى تركزت فى نشاط جوى فوق شبه جزيره سيناء ، بعد ظهر يوم ٢٩ أكتوبر . إلا أنه بتوالى البلاغات من نقط المراقبة والإنذار عن ظهور طائرات إسرائيلية فوق الكونتلا وغزة وأم بسيس ونخل والتمد والقصيمة ورفح ، ثم اقتراب بعضها من مطار كبريت بمنطقة القناة قبل آخر ضوء نفس اليوم . . . كل ذلك دفع القيادة الشرقية المصرية إلى الاستعداد لمواجهة أحداث محتملة ، وإن لم تتضح معالمها بعد .

وبازدياد نشاط العدو ، أصدرت القيادة الشرقية المصرية الأمر لقواتها بالاستعداد للتحرك خلال ساعتين من صدور الأمر ، وذلك اعتباراً من الساعة ٢٠٠٠ يوم ٢٩ أكتوبر . وفى نفس الوقت تقريباً ، أمرت الفرقة الثانية المشاه الموجودة ضمن الاحتياطى العام غرب القناة بالتأهب لقفل ممر متلا ومضيق وادى سدر ، الى جانب الاستعداد للدفاع عن منطقة الشط .

ثم قام قائد الفرقة اللواء أركان الحرب محمود محمد السرساوى باستدعاء العقيد وجيه طاهر الشربينى قائد مجموعه اللواء الثانى المشاه بالشلوفة ، حيث أخطره بإسقاط المظلات الإسرائيلية فى صدر الحيطان ، ثم أمره بالآتى :

١ - رفع درجة استعداد اللواء وتجهيز إحدى كتائبه فى ظرف ساعتين ، وباقى مجموعة اللواء فى ظرف أربع ساعات .

٢ - التأهب لتأمين المدخل الغربى لمر متلا ومضيق وادى سدر ، علاوة على الدفاع عن منطقة الشط .

وبعودة العقيد الشربينى إلى الشلوفة ، أمر المقدم أركان الحرب محمد طلعت الألفى قائد مجموعة الكتيبة الخامسة المشاه بتأمين ممر متلا من مدخله الغربى ، بينما تستمر مجموعة الكتيبة السادسة المشاه فى الدفاع عن منطقة الشط وتؤمنها . كما أوفد أحد ضباطه مع عنصر صغير لخدمة القائد ، لتنظيم عملية عبور قواته ليلا من معدية الشط .

وقبل أن ينتهى العقيد الشربينى من إصدار تلك الأوامر ، تلقى تعديلاً من القيادة الشرقية بأن تقوم مجموعة اللواء ، عدا كتيبة ، بالسيطرة على منطقة ممر متلا ومضيق وادى سدر من جهة الغرب ، والقضاء على المظليين الإسرائيليين ، قبل أن تصلهم القوات اللاحقة بطريق البر ، وبالتعاون الوثيق مع الآلاى الثانى استطلاع مدرع المتمركز بفايد ، والذى أمر بدفع أورطة منه للالتفاف عبر وادى المليز القضاء على مؤخرة تلك القوات .

وكان على باقى الآلاى أن يؤمن قاعدة لحشد المجموعة الأولى المدرعة قيادة العقيد أركان الحرب طلعت حسن على فى وادى المليز ، بالإضافة إلى دفع أورطة أخرى منه لتأمين منطقة الحسنة .

خطة العقيد الشربينى : [18]

بمجرد أن أخذ الموقف صورة محددة فى مخيلة العقيد الشربينى ، عقد تقديرًا سريعًا له ؛ ليحدد الأسلوب الذى ينفذ به المهام التى أوكلت إليه ، والذى تلخّص فى الآتى :

١ - دفع مجموعة الكتيبة الخامسة المشاه بعد دعمها بتروب هاون ثقيل ١٢٠ ملليمترا ، وجماعة حاملات أفراد مدرعة ، وفصيلة نقل جند لتبدأ عبور القناة من معدية الشط فى الساعة الحادية عشرة ليلا ، ثم تتقدم صوب مضيق وادى سدر لتأمينه من الغرب بمجموعات من الكتيبة عبر ممر متلا بوثبات ، لاحتلال مدخله الشرقى قبل ضوء يوم ٣٠ أكتوبر ، ومنع العدو من اختراقه .

٢ - وتعمل نفس هذه الكتيبة كقاعدة نيران لمجموعة الكتيبة السادسة ، التى كلفت بشن الهجوم المضاد على قوات العدو ، التى أسقطت جوا بمهمة القضاء عليها ، بالتعاون مع مفرزة الألآى الثانى استطلاع مدرع الذى كلف بالالتفاف حول مؤخرة قوات المظليين عبر وادى المليز .

وحتى يضمن سرعة عبور قواته ، تقدم العقيد الشربينى بطلب وقف الملاحة فى القناه إلا أنه لم يتصدق له على هذا الطلب . كما أن طلعة الإستطلاع الجوى التى طلب خروجها فى الساعة السابعة والنصف صباح ٣٠ أكتوبر ، لم تتمكن من تزويده بأية معلومات عما يحدث بصدر الحيطان ؛ حيث كانت شبورة الصباح الكثيفة تغطى المكان .

خطة المقدم عطية [١٩] (انظر الخريطة رقم ٧)

كان تحت قيادة المقدم أحمد على عطية أورطة رئاسة ، وثلاث أورط استطلاع محملة فى حاملات أفراد مدرعة ٦ X ٦ ، وأورطة دبابات من ١٢ دبابة شيرمان معدلة . وقد تلقى قبل منتصف ليلة ٢٩ / ٣٠ أكتوبر أمرًا إنذاريًا بالاستعداد للتحرك فى ظروف ساعتين إلى منطقة الجفجافة - وادى المليز ، على أن يبدأ عبور قناة السويس من كوبرى الفرادن فى الساعة الثانية ليلا للعمل كمقدمة للمجموعة الأولى المدرعة قيادة العقيد طلعت حسن على على المحور الأوسط - الإسماعيلية شرق أبو عويقيلية .

ونصت الأوامر أيضًا على تأمين قاعدة فى وادى المليز ، لتتجمع فيها المجموعة الأولى المدرعة ؛ توطئة للقيام بالأعمال التعرضية ضد قوات العدو وطبقًا لتطور الموقف .

وقد تلخصت خطة المقدم عطية ، بعد أن قام بتقدير موقفه طبقًا للمعلومات القليلة المتوفرة فيما يلى :

١ - دفع الأورطة الثانية استطلاع من القصاصين إلى الجفجافة ، لتلتف حول الجانب الأيمن للعدو فى صدر الحيطان من خلال وادى المليز ، حيث تتعاون مع مجموعة اللواء الثانى المشاه قيادة العقيد الشربينى ، فى القضاء على العدو بعملية هجومية من المواجهة والمؤخرة .

٢ - دفع باقى الآلاى كمقدمة للمجوعة الأولى المدرعة على الطريق الأوسط ، حتى الجفجافة لتأمين قاعدة وطيدة للمجموعات هناك .

٣ - دفع أورطة استطلاع للعمل كمفرزة فى اتجاه الحسنة لتأمينها ٠

وبهـــذا كان علـى وحـدات هذا الآلاى الموجودة بالقـصاصين وفايد ، أن تقـطع نحو ١٦٠ - ١٧٠ كيلو مـتراً لتصل إلى أهـدافها ، مع ما يتخـلل ذلك من عبور الـقناة فوق كوبرى الفردان ، كلما سمحت حركةالملاحة فيها باستخدام هذا الكوبرى ٠

زحف قوات شارون :[٢٠]

تقع تبـة الكونتلا على رأس مـثلث طرق التمد - الـنقب - الكونتلا ، ويـعتبر وادى الجرافى طريق الاقتـراب الطبيعى من النقب الجـنوبى إلى الكونتلا حيث يـعبر حدود مصر الشرقية عند ثـميلة سويلمة ، ويستمر حتى هـضبة العجمة على السفوح الشمـالية لمرتفعات سيناء الجنوبية ٠

وكان الهدف الأول للعقيد شارون هو الاستيلاء على نقـطة مراقبة الكونتلا التى يحتلها ١٠ أفراد من سلاح الحدود ، فبدأ يـهاجمها فى الساعة السـابعة مساء ٢٩ أكتوبر بفـصيلتى دبابات (٨ دبابات) ، وبطاريتى مـدفعـية (١٢ مدفع ٢٥ رطـل) ، وعدة عربات مدرعة نصف جنزير ٠

وبينما كانت مقـدمة لواء المظلات تجتاح نقطة المراقبة ، كان باقى عـناصر اللواء يعانى من تعطل عرباته فى بطن وادى الجرافى برماله الناعمة ، كما كانت الدبابات تستهلك الوقود بمعدلات عالية جدًا ، رغم وجود فناطيس الإمداد بالـوقود بعيدًا فى الخلف ، بما أجبر العقيد شارون على طلب إمداد قواتـه من الجو ، الذى رفضه العميد سمحونى لعـدم التحضير لمثل تلك العملية مسبقًا ٠

وقد بذل العـقيد شارون ومعاونوه جـهدًا كبيرًا فى إعـادة تجميع قواته المبـعثرة ، وحل مشكلاتها الإداريـة والفنية المعقدة قبل أن يتـمكن من استئناف التحـرك صوب التمد ٠ ولما يئس فى ساعة متأخرة من الـتغلب على تلك المشكلات ، اكتفى بإعادة تنظـيم كتيبة المقدمة فقط وانطلق بهـا نحو التمد كسبـًا للـــوقت ، بينما كلف أركان حربه بسـرعة تجميع باقى العناصر واللحاق به [٢١] .

وعند منتصـف الليل بدأت كتيبة المقدمة فـى التحرك نحو الموقع التعطـيلى ، الذى يقع غرب بئر الـتمد بنحو عشرة كـيلو مترات ، والذى كانت تحـتله الأورطتين ٥,٦ من الآلاى

الثانى سيارات الحدود ، فبدأت طلائعها تقترب من هذا الموقع التعطيلى فى الساعة الثالثة والنصف فجراً ، بعد سير بالغ المشقة ، قطع خلاله خمسين كيلو متراً .

ولما قابلت كتيبة المقدمة ناراً حامية من الموقع ، توقفت أمامه نحو الساعة إلى أن انسحب الموقع للخلف ليستأنف الدفاع هناك . وكان أمام العقيد شارون إما أن يهاجمه فيما بقى من ساعات الظلام ، أو أن ينتظر وصول باقى لوائه ليبدأ هجوماً مركزاً بقوات متفوقة ، الأمر الذى استغرق نهارا كاملا قبل أن يتمكن من شن هذا الهجوم الجديد عند أخر ضوء الغد .

وكان تأخير الهجوم بهذا القدر يتعارض مع الخطة المعتمدة بما يعرضها للفشل ، فلما وصلت باقى العناصر حوالى الساعة الخامسة فجراً ، بادر شارون بمهاجمة الموقع الخلفى مستغلا وقوع أشعة الشمس فى أعين المدافعين عنها ، ومعتمداً على تفوقه العددى بنسبة ٥ : ١ ، علاوة على توفر الدبابات والعربات المدرعة لديه وافتقار الموقع الدفاعى إليها .

وقد بدأ الهجوم فى الخامسة والربع إلا أنه عندما وصل إلى مسافة ١٥٠٠ متر من الموقع ، انهالت عليه نيران الرشاشات والهاونات التى أوقعت به بعض الخسائر ، فانتشرت دباباته على الجانب الأيمن ، بينما إلتفت عرباته المدرعة على الجانب الأيسر ، ثم فتح نيرانه الكثيفة على الموقع ، بينما تقتحم الدبابات الأسلاك الشائكة التى تحمى حزام الألغام على مواجهة الموقع .

وتحت ستر قذائف الدخان لتعمية المدافعين ، إقتحمت القوات المهاجمة الموقع بعد أن فقدت عربة مدرعة . وظل الموقع يباشر الدفاع بغاية الإصرار والصلابة فى وجه عدو متفوق لأكثر من ساعتين متواصلتين لم يهدأ القتال خلالهما لحظة واحدة ، حتى سقط أفراده جميعًا ، وهم يقبضون على أسلحتهم . والواقع إن الأورطتين ٦,٥ سيارات حدود أبديا من ضروب الشجاعة فى الدفاع عن موقع التمد الخلفى ما هو جدير بالإشادة به ، فلم تتوقف الأورطتان عن القتال حتى استشهد كل ضباطهما وأغلب جنودهما ، وهم يقاتلون دفاعًا عن موقعهم .

وعندما انتهى القتال فى التمد حوالى الساعة الثامنة صباح يوم ٣٠ أكتوبر ، حلقت بعض طائرات الميج المصرية فوق قوات العدو ، وأمطرتها بقذائفها التى حطمت ست عربات مدرعة وجرحت العشرات من الجنود .

وكان لتلك الغارة وقع شديد على معنويات العدو ، دفع العقيد شارون إلى تأجيل استئناف التقدم صوب نخل حتى يستخدم قوات جديدة فى مقدمة زحفه ، بدلاً من القوات التى أنهكتها المعارك ، ونالت غارات الميج من معنوياتها .

وبانتهاء العقيد شارون من موقع التمد ، لم يعد بينه وبين الانضمام على الكتيبة ٨٩٠ المظلات بصدر الحيطان إلا اجتياز دفاعات نخل . إلا أنه ما إن عقد العزم على استئناف التحرك صوبها حتى تعرضت قواته حوالى العاشرة صباحًا لغارة جوية ثانية ، كانت أشد عنفًا من الأولى بما دفعه إلى التفكير بتأجيل التقدم حتى يحل الظلام . وقد استغل هذه الوقفة التكتيكية فى تمهيد أرض هبوط للطائرات غرب بشر التمد بحوالى كيلو مترين لإخلاء جرحاه جواً [٢٢] .

وبينما القوات تنتظر ما يقرره قائدها ، راحت الاستغاثة تنهال عليه من الكتيبة ٨٩٠ مظلات بصدر الحيطان ، وما تتعرض له من غارات جوية مركزة ، واقتراب قوات مصرية ضخمة من السويس . وكان طبيعيا أن تثير تلك المعلومات قلقًا بالغًا بين جنود اللواء بما دفع قائده إلى المخاطرة بالتقدم فى وضح النهار ، حتى يدرك الموقف المتدهور بصدر الحيطان . إلا أن سوء حالة مجموعة اللواء والبطء الشديد فى إعادة تجميعها ، أخَّر هذا التقدم من الساعة ١٢ إلى الساعة الثالثة والنصف عصراً .

وبمجرد أن انتظم الرتل على طريق نخل ، تعرض لغارة جوية ثالثة من الطائرات الفامبير أنزلت به عدة خسائر ، وعطلت تقدمه فترة أخرى فعمد العقيد شارون إلى زيادة الفواصل بين عناصره لتفادى الضرب الجوى المصرى ، الأمر الذى أدى إلى انتشار الرتل على مسافة ٣٠ كيلومتراً .

وقبيل الخامسة عصراً بدقائق ، ظهرت طلائع العدو شرق بلدة نخل التى كان العقيد شارون قد طلب قصف دفاعاتها من الجو ، ورغم أن الطائرات الإسرائيلية حلقت فوقها عدة مرات ، إلا أنها فشلت فى التعرف على المواقع المصرية التى أحسن جنودها إخفاءها وتمويهها فطلب شارون أن تتوجّة تلك الطائرات إلى صدر الحيطان لقصف القوات المصرية التى كانت تقترب وقتها منها [٢٣] .

وكانت القوة المدافعة عن نخل عندما وصلت اليها طلائع قوات العقيد شارون ، تحتل

نقطتين أماميتين وموقعاً رئيسياً فوق النقب التركى . ولم يكن إجمالى القوات المصرية يزيد على أربع فصائل من حرس الحدود مقابل ثمان سرايا ميكانيكية من ٢٤فصيلة من المظليين ، بما كفل لها تفوقاً عددياً بلغت نسبته ٦ : ١[٢٤] .

وبعد قصفه بنيران تمهيدية لمدة ربع الساعة ، اقتحمت سريتان ميكانيكيتان وبعض الدبابات النقطتيين الأماميتين ،ثم تابع باقى القوة الزحف فاستولى على المواقع الرئيسى قبل غروب الشمس .

وكأنما كانت أشعة الشمس الغاربة سياطًا تلهب ظهور جنود شارون للإسراع نحو صدر الحيطان قبل ان يتفاقم الخطر الذى تتعرض له الكتيبة ٨٩٠ المظلات غير أنها لم تصلها إلا قبيل منتصف ليلة ٣٠/ ٣١ أكتوبر متأخرة عن التوقيت المحدد فى الخطة ، بنحو ست ساعات لتبدا قتالاً رئيسياً هناك فيما أطلق عليه اسم معركة ممر متلا .

معركة ممر متلا[٢٥]

لو قدر لأحد أن يخترق دياجير منتصف ليلة ٣٠/ ٣١ أكتوبر من فوق قمّة أحد مرتفعات جبل الحيطان لشاهد عجبًا .فبينما كانت مؤخرة اللواء ٢٠٢ المظلى تقترب من ناحية الشرق ، كانت مؤخرة مجموعة اللواء الثانى المشاة تقترب من ناحية الغرب ، وكأنهما على موعد للقاء سوف تراق فيه دماء كثيرة قبل أن ينفض عقده.

ولقد تميّزت معركة متلا بطابع فريد بما أحاطها من ملابسات ومفاجآت ، ونظراً لما انفردت بة طبيعة أرضها من خصوصية ، باعدت بين شكل القتال الذى دار فيها وبين المعارك التقليدية المعهودة . وعلاوة على ذلك فقد اتسمت المعركة بالعنف الزائد على امتداد سبع ساعات ، لم ينقطع فيها التلاحم أويهدأ الصراع ، بما يجعلها أطول معارك حرب العدوان الثلاثى زمناً وأكثرها إهدارًا للدماء[٢٦] .

وبمجرد أن ذر قرص الشمس فجر يوم ٣١ أكتوبر حدث أول اتصال بين اللواء ٢٠٢ المظلى ومجموعة اللواء ٢ المشاه ، بينما كانت المقارنة العددية بينهما تميل بشدة لصالح العدو الذى كان يتفوق فى عنصر المشاة بنسبة ٨ : ١ ، ويملك من الدبابات ما لاتملكة القوة المصرية.

وصف الأرض [٢٧]

ما ان يقترب مدق نخل من مدخل مضيق متلا الشرقى ، حتى تنكمش الأرض المنبسطة وتضيق مواجهتها كلما اتجهنا غربا إلى أن تنعدم تمامًا ، عند سلسلة المرتفعات الوعرة التى تلتقى عندها مجموعة المدقات الجبلية المتفرعة إلى الشط غرباً ونخل شرقا والحسنة شمالا بشرق ؛ بما يجعل لعقدة المواصلات هذه قيمة تكتيكية كبيرة تتيح لمن يسيطر على المرتفعات المجاورة لها التحكم فى تلك المدقات بصورة كاملة .

وتحف بممر متلا مرتفعات جبل أم خشيب فى الشمال ، وجبل الراحة فى الجنوب بطول عشرين كيلو متراً من مدخلة الشرقى عند تبة النصب التذكارى التى تشبة القمع ، وحتى مدخله الغربى عند بداية الطريق الإسفلتى الواصل إلى الشط.

ويشكّل مضيق متلا عنق الزجاجة على كامل امتداده بما لا يسمح بالانتشار خارج المدق ، الذى تكثر به المنحنيات الحادة ويترتب على تحرك الحملة الميكانيكية على أرضه الجيرية إثارة الغبار الكثيف الذى يعلق فى الجو ، لعدة دقائق ، تحجب الرؤية تمامًا ، وتكشف تلك التحركات من مسافات بعيدة .

وعلى مسافات متباعدة داخل الممر ، تتلاقى بعض الوديان التى تشكّل مساحات متسعة نوعا تشبة الصحن فى ثلاثة مواقع على مسافة ٦ و١٥ و٢٠ كيلو متراً من تبة النصب التذكارى.

ثم تختلف طبيعة الأرض غرب المدخل الغربى للممر ، حتى قناة السويس ؛ إذ تخلو تمامًا من المرتفعات والمضايق ،وتغطيها الرمال الناعمة التى يخترقها طريق مرصوف يصل بين مدخل الممر وقرية الشط بطول نحو ٣٠كيلومتراً .

وإلى الجنوب من ممر متلا ، يبدأ مضيق وادى سدر ومرتفعات جبل الراحة مارا برأس الجندى التى أقام السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبى فوقها مسجداً وقلعة عام ١١٨٧ ميلادية ؛ بغرض القضاء على قراصنة الصليبين فى البحر الأحمر ، بعد أن استولى ريجينالد دى شاتيون أمير الكرك بشرق الأردن على خليج العقبة ، وميناء عيذاب المصرية المقابلة لميناء جدة ؛ ليهاجم المدينة المنورة ومسجد الرسول ﷺ ، وبعد أن قضى حسام الدين لؤلؤ حاجب صلاح الدين على أساطيل القراصنة الصليبيين ، أنشأ السلطان قلعتى الجندى وجزيرة فرعون لتأمين خليجى السويس والعقبة من خطر هؤلاء القراصنة .

تأثير طبيعة الارض على المعركة

بينما كانت الأرض الجبلية تجربة جديدة لأغلب الجنود المصريين ، الذين جاءوا من أراضى الدلتا المنبسطة . . فقد كان الجنود المظليون متمرسون على القتال فيها ، ويتقنون تكتيكاتها وفنونها المختلفة . أما عناصر الآلاى الثانى استطلاع فكانت تلك الأرض الجبلية الضيقة هى آخر أنواع الأراضى التى تناسبها .

وبالإضافة إلى ما سبق . . فقد كان اللواء ٢٠٢ المظلى يملك كتيبة كاملة ، تحتل منطقة صدر الحيطان منذ مغرب يوم ٢٩ ، وقد درست الأرض بعناية ، وألمت بكل خصائصها وظواهرها الطبوغرافية ، وهو ما كانت تفتقر إليه بغاية الشدة مجموعة اللواء ٢ المشاه والآلاى الثانى استطلاع .

أمّا عن ضيق الممر الجبلى الذى يحفه جبلان مرتفعان . . فإنه لم يكن يسمح بالمناورة أو الحركة خارج المدق الوعر الذى يخترقه من الغرب للشرق ، بينما يجعل القوات التى تدخل فيه فريسة سهلة للهجمات الجوية التى سوف يزيد من شدتها طبيعة الأرض الصخرية ، وما سوف تضيفه شظاياها من دمار ، وتريقه من دماء .

ونظراً لكثرة التعاريج ، فإن فتح واستخدام المدفعية داخل الممر يصبح أمراً متعذراً إن لم يكن مستحيلاً مثلما هو الحال مع نيران الأسلحة الصغيرة ؛ نظراً لقصر زمن تعرض الأهداف قبل أن تختفى فى الانحناءة التالية ، علاوة على كثرة الأراضى الميتة نتيجة الثنايا الأرضية واختلاف التضاريس .

ثم إن انتشار الصخور يجعل التجهيزات الهندسية وأعمال الحفر بالغة الصعوبة ، بينما يترتب على إقامة المتاريس من الأحجار والصخور انتشار الشظايا الحادة التى تسبب الكثير من الخسائر . وإلى جانب ذلك . . فإن استمرار إمداد القوات الموجودة داخل الممر بمطالبها من الذخيرة ومواد الإعاشة ، وكذا إخلاء جرحاها وعتادها العاطل يعتبر مهمة شاقة وبالغة التعقيد .

وما تثيره المعركة المحتدمة داخل المضيق من أتربة ودخان ، يظل عالقاً فى الهواء الساكن مدداً طويلة نسبياً ، سوف يعطى المهاجم فرصة الحركة والهجوم فى خفية من

المدافعين . ويكشف كل ماسبق كيف أن الدفاع داخل الممرات الجبلية يحتاج إلى قوات متمرسة عليه ، وهو ما لم يكن متوفراً لمجموعة اللواء الثانى المشاه بأى قدر .

خطة الشربينى للدفاع عن الممر [٢٨]

وصل العقيد الشربينى إلى مقر قيادة الفرقة الثانيه المشاه بالشلوفة عصر يوم ٣٠ أكتوبر ، حيث ابلغ قائدها اللواء أركان الحرب محمود محمد السرساوى بما تتعرض له مجموعة اللواء الثانى المشاه من مشاق بسبب وعورة أرض الممر وشدّة غارات العدو . وطلب توفير حماية جوية فعالة لقواته ، مع تزويدها بمدفعية مضاد للطائرات ، ووسائل اتصال لاسلكى لتعويض ما دمرته طائرات إسرائيل .

وبعودة العقيد الشربينى إلى متلا ، انتهز فترة الهدوء التى أعقبت غارات الطائرات المصرية على مواقع العدو بصدر الحيطان ، فجمع ضباطه قبيل المغرب ليصدر اليهم أوامره ، إلا أن طائرات العدو قطعت عليه مؤتمره وأمطرت قواته بنيرانها من الشرق للغرب ، فدمرت تروب الهاون الثقيل ١٢٠ ملليمتر ، ثم استمر نشاط الطائرات المعادية فوق القوات المصرية حتى حل الظلام .

وكانت مجموعة الكتيبة ٥ المشاه بقيادة المقدم طلعت الألفى ، المكونة من سريتين مشاه ، وفصيلة وتروب هاون ، قد وصلت وقتئذ الى المدخل الشرقى للمر ، واحتلته بسرية مشاة حول تبة النصب التذكارى ، وسرية وفصيلة أخرى على المرتفعات الواقعة شماله . أما مجموعة الكتيبة السادسة المشاه . . فلم يكن قد وصل منها بعد إلا سرية واحدة ، احتلت موقعها غرب الكتيبه الخامسة مباشرة ، وعلى امتداد السفح الجنوبى لمرتفعات أم خشيب ، أما السرايا الثلاث الباقية فكانت اثنتان منها قد دخلتا الممر فى طريقهما إلى مخرجه الشرقى ، بينما ينتظر جنود السرية الباقية - عند المدخل الغربى - وصول الحملة التى سوف تنقلهم إلى الشرق .

وخلال ساعات المساء ، بدأت مجموعة اللواء فى التحول للدفاع بعد أن فقدت معظم عربات الذخيرة واللاسلكى والهاونات والتعيينات بفعل الغارات الجوية الكثيفة ، التى دمرت النقطة الطبية لمجموعة اللواء أيضًا ، رغم علامة الهلال الأحمر الكبيرة التى ترتفع فوقها .

وقام العقيد الشربيني بتعديل مواقعه وتنظيمها على جانبي الممر بعمق ثلاثة كيلو مترات ، فاحتلت مجموعة الكتيبة الخامسة المشاه موقعها الدفاعي بسريتين في نسق واحد على كلا جانبي مدخل الممر ، خلف النصب التذكاري بحوالي ٥٠٠ متر ، الذي كانت قد اضطرت إلى الانسحاب منه لوجوده في منطقة مكشوفة شديدة التعرض للغارات الجوية . وقد أدى هذا الانسحاب إلى فقد الاتصال المباشر بالعدو ، أما الكتيبة الأخرى ، وهي السادسة المشاه ، فقد انتشرت ثلاث سرايا منها في مواقع دفاعية في عمق الممر ، بينما استمرت السرية الرابعة تنتظر العربات التي لم تأت أبدًا .

ولما لم تكن طبيعة الممر الحجرية تسمح بحفر خنادق أو أوكار أسلحة ، فقد عمد الجنود إلى إقامة المتاريس فوق قمم التلال وعلى سفوحها ، مع الاستفاده من الثنيات والكسور والفوالق الطبيعية على أفضل الوجوه .

ودفع العقيد الشربيني فصيلة استطلاع أمام مواقعه الدفاعية ؛ حتى يعيد الاتصال المباشر بالعدو ، ولترصد أوجه نشاطه وتداوم على إخطاره عنها .

المحاولة الأولى لاقتحام الممر:[٢٩] (انظر الخريطة رقم ٨)

ساعدت حالة الطريق من نخل إلى صدر الحيطان على وصول قوات اللواء ٢٠٢ المظلي في تشكيل مسير منتظم دون إرهاق زائد . وبمجرد انضمامها الى الكتيبة ٨٩٠ مظلات قبيل منتصف الليل ، تحوّل الموقف فجأة لصالح العدو .

وللتو ، عقد شارون مؤتمرًا استهله المقدم روفائيل إيتان قائد الكتيبة ٨٩٠ مظلات بالزعم بأن القوات المصرية الموجودة بالممر قد أبيدت عن بكرة أبيها بالغارات الجوية العنيفة ، وبناءً على تلك المعلومات الخاطئة قرر شارون الهجوم فورًا إلاَّ أن إجراءات تنظيم المعركة إلى جانب انتشار القوات وإجهادها ، استدعت تأجيله حتى الساعة الرابعة فجر يوم ٣١ أكتوبر .

وفي الساعة الثالثة والربع فجراً ، تلقى شارون إمدادات جويّة من طائرات النقل الفرنسية كانت تشتمل على ذخائر ووقود ومياه وطعام . وبمجرد توزيعها على القوات ، بدأت في التقدم نحو تبة النصب التذكاري ، إلاَّ انه لم يمر ربع ساعة حتى وصل أمر الأركان العامة الإسرائيلية بوقف الهجوم والعودة إلى المواقع الدفاعية في الخلف .

وبانتشار ضوء الصباح يوم ٣١ أكتوبر ، قامت الطائرات المصرية بشن غارة على العدو بصدر الحيطان ، إلا أنها ما كادت تستدير للعودة إلى مطاراتها حتى فاجأتها طائرات الميتور والمستير فتمكنت من إسقاط طارئتين من الطائرات الفامبير الأربع .

وبمجرد انتهاء هذه المعركة الجوية قام العقيد شارون باستطلاع منطقة صدر الحيطان فى ضوء النهار ، فاتضح له أن مواقعه لا تصلح للدفاع لوجودها فى أرض منخفضة عما يجاورها ، لاسيما وأن مرتفعات المدخل الشرقى الذى تحتله سرايا الكتيبه الخامسة المصرية ، كانت تشرف عليها وتتحكم فيها بالنظر والنيران .

المحاولة الثانية :[٣٠]

وبينما كان العقيد شارون يقلّب النظر فى أفضل الحلول للخروج من هذا الموقف السىء ، وصلته معلومات من الاستطلاع الجوى عن وجود حشد مدرع فى وادى المليز على بعد ٥٠ كيلومتراً من صدر الحيطان لا يقل عدده عن ٨٠ دبابة . وكان وقع هذا الحيز شديداً على شارون الذى أسقط فى يده ، وتوقع أن تتعرض قواته للإبادة وهى متمركزه فى منطقة مفتوحة .

ولم يجد شارون من حلٍّ إلاّ دخول الممر للتحصّن فيه من خطر الدبابات المصرية ، التى لن تستطيع القتال فى تلك المنطقة الصخرية الضيقة . وبعد أن اقتنع بأنه لا يملك حلاً غيره ، طلب من العميد سمحونى - قائد المنطقة العسكرية الجنوبية - أن يصدق له على دخول الممر ، إلا أن الأركان العامه الإسرائيلية رفضت ذلك ؛ حيث كان عدم قيام القوات الجوية الأنجلوفرنسية بالضربة الجوية الشاملة ضد الغطاء الجوى المصرى صباح يوم ٣١ طبقاً لاتفاقيات التواطؤ قد أثار قلق الحكومة الإسرائيلية بما دفعها إلى إصدار أمرها بوقف الأعمال القتالية والاستعداد لسحب كافة القوات الى داخل إسرائيل .

إلا أن خطر التعرض للإبادة كان أقوى فى موازين شارون من خطر نكوص الحلفاء عن تحقيق وعودهم ، فظل يصر على التصديق له بدخول الممر ، حتى أرسل له العميد سمحونى رئيس أركانه لدراسة الموقف على الطبيعة ، والذى وصل فى الساعة الحادية عشرة صباحًا فى طائرة مواصلات صغيرة ، هبطت بعد ربع ساعة من انتهاء غارة جوية عنيفة . وبعد مناقشة الموقف ودراسة الأرض ، تقرر السماح لشارون بدفع دورية استطلاع مسلحّ للتأكد من خلو الممر من القوات المصرية ، على ألا تتورّط فى قتال رئيسى داخله[٣١] .

وفى نفس هذا الوقت تقريبًا وكانت طلائع الالاى الثانى استطلاع مدرع المكونة من تروب ناقلات مدرعة تقترب من منطقة صدر الحيطان من جهة الشمال ، إلا أن هذه القوة الصغيرة غير المدعمة بأسلحة ثقيلة أو دبابات لم تفعل شيئا أمام عدو ، يتفوّق عليها فى العدد والنيران تفوقًا كبيرًا · وظل قائد الآلاى يراقب العدو لأكثر من ساعتين حتى شاهد رتلاً من الدبابات الإسرائيلية طراز أ٠م إكس - ١٣ تقترب وتبدأ فى الفتح الذى لم تكد تتمه ، حتى عادت إلى التجمع فى رتل مسير ، وانسحبت غربًا فى اتجاه صدر الحيطان ، دون أن تجرى أى اشتباك مع طلائع الآلاى الثانى استطلاع مدرع ·

وعند الظهر تحركت قوات شارون فى رتل مسير من حرس أمامى ، قوامه سرية ميكانيكية فى عربات نصف جنزير ، ومعها عنصر استطلاع وفصيلة دبابات ، وجاءت على أثره القوة الأساسية المكونة من كتيبة مظليين عدا سرية ، وبطارية هاون ثقيلة ١٢٠ملليمترا · كما استعد باقى اللواء ٢٠٢ المظلى للتقدم بمجرد النجاح فى اقتحام مدخل الممر ؛ ليستثمر قوة الاندفاع ، وكان تصرف العقيد شارون على هذا النحو خروجًا كاملاً على تعليمات العميد سمحونى واللواء موشيه ديّان رئيس الأركان العامة ، الذى انتقد هذا العمل من شارون فى كتابه يوميات معركة سيناء ، ووصفه بالخروج المتعمد عن الأوامر الصريحة ·

الهجوم الأول على الممر (فيما بين الواحدة والثانية والنصف من بعد ظهر ٣١ أكتوبر) :[٣٣]

انتظمت قوة الهجوم سالفة الذكر حوالى الساعة الواحدة إلا ربعًا ، ثم بدأت فى التقدم فمرت بالنصب التذكارى فى الساعة الواحدة · وعندما اقتربت من مدخل الممر ، فتحت عليها نيران الجحيم التى دمرت ثلاث عربات نصف جنزير ، منها عربة قائد سرية الحرس الأمامى الذى قتل للتو واللحظة ، بينما اندفعت عربة قائد المقدمة الرائد مردخاى جور نحو منحدر جانبى ؛ حيث استقرت فى إحدى الحفر وسرعان ما غادرها جور ليبحث لنفسه عن ساتر يقيه تلك النيران الحامية ·

وقد كانت نيران الكتيبة ٥ المصرية عنيفة بقدر ما كانت مفاجئة ، فلم تترك للعدو مفراً من مواصلة الاندفاع للأمام بكل سرعة ، حيث لم تكن هناك أية مجالات للتوقف أو العودة نظرًا لزاوية الصعود الحادة وهكذا توالى عبور الدبابات لمنطقة القتل المغمورة بالنيران المحكمة

التصويب دون أن يمسسها سوء ، أما عربات الجيب والنصف جنزير فقد تحملت الكثير من الخسائر والتدمير .

وعندما حاولت القوة الأساسية للواء المظليين لنجدة سرية الحرس الأمامى ، كانت العناصر الأمامية لقوات الكتيبة ٥ المصرية قد اقامت سدًا نيرانيًا كثيفًا عند مدخل الممر الشرقى أوقع بتلك القوة الاساسية بعض الخسائر ، وأجبرها على التوقّف وهى عاجزة عن الحركة ، وقد شاعت الفوضى بين صفوفها .

وهكذا فقد الرائد جور سيطرته تماماً وظل قابعا فى حفرة على جانب الطريق ، حجبت عنه رؤية المحنة التى يتعرّض لها جنوده داخل الممر ، وكأنما كانت نيران الكتيبة ٥ المصرية سياطا تلهب ظهور هؤلاء الجنود ، ليزيدوا من سرعة اندفاعهم غربًا .

عندما وصل المظليون إلى مسافة ٣ كيلو مترات من مدخل الممر ، شعروا بأنهم أصبحوا معزولين عن إخوانهم ، كما أدركو أن قائد سريتهم غير موجود بينهم ، فتوقف رتلهم عن الحركة ، وتحوّل إلى صيد سهل للنيران التى غمرتهم من كل حدب وصوب . وأسرع المظليون بالقفز خارج العربات للالتجاء الى السواتر والسفوح ، بينما أستمرت دبابتان فى إطلاق مدفعيهما عشوائياً .

وفى الساعة الثانية عصراً كانت القوات الإسرائيلية المهاجمة قد انشطرت الى قسمين منفصلين ، قد تبعثر كل واحد منهما عند طرفى الموقع الدفاعى للكتيبة الخامسة المصرية وأصبحا عاجزين عن الحركة أو التصرف .

وحوالى الساعه الثانية والربع ، وصل مندوب من المقدم إيتان الى العقيد شارون ليشرح له الموقف السىء الذى توجد فيه كتيبته ، وأنها لم تعد تستطيع التقدم أو الانسحاب ، وقد تتعرض للإبادة ما لم تدركها النجدة العاجلة .

وأصدر شارون أوامره بفتح كل مصادر النيران المتيسرة على المواقع المصرية ، إلا أنها لم تصوب ضد أهداف محدده فكانت عبثاً لاطائل من ورائه ، دفع شارون إلى إيقاف القتال فى الساعة الثانية والنصف .

وهكذا منى الهجوم الأول على الممر بالفشل ، وكمحاوله لإنقاذ قواته اتخذ شارون قراراً خاطئاً لتعزيز هذا الفشل ، وكأنما غاب عنه أنه دخل الممر ليحتمى به من احتمال خطر

الدبابـات المصرية الموجودة علـى مسافة ٥٠ كيلو متـراً منه ، فإذا به يورط تلـك القوات فى موقف خطير ، تحف به أخطار الإبادة من كل جهة ٠

الهجوم الثانى على الممر (فيما بين الثالثة والرابعة من بعد الظهر)[٣٤]

تلخّصت خطـة العقيد شارون هذه المرّة فى تـركيز أكبر حشد من النـيران ، فوق تباب مدخل الممر مع إشراك المدافع المضاده للدبابات عيار ١٠٦ ملليمتراً فى الضرب المباشر على سفوح التلال ، قبل مهاجمتها بقوات جديـده من جهة الشمال للاستيلاء على القمم أولاً ، قبل النـزول إلى السفوح مع تطـهيرها أولاً بأول ، ولما تـأخرت الطائرات الإسرائيـلية عن موعدها فى قصف المواقع المصرية ، قرر شارون أن يبدأ الهجوم الساعة الثالثة ؛ حتى يستفيد بما بقى من ضوء النهار٠

وتحت ستر نـيران المدافع والدبابـات والرشاشات ، تقدمـت سرية استطلاع الـلواء مع سرية مظليـين ، فى محاوله لارتقاء سفح التبة الـشمالية لمدخل الممر ، حيث كـانت تحتلها السرية الرابعـة من الكتيبة الخامسة ، ولم تكـد القوات الإسرائيلية تصل إلى منـتصف التبة حتى اضطرتها النيران المحكمه من السفح الجنوبى للممر إلى الارتداد بغير نظام٠

وفى الوقت نـفسه كانت كتيـبة مظليين أخرى من ثـلاث سرايا تلتف حول المـرتفعات الشمالية للممر لـترتقى قممها التى كانت تحتلها أربع سرايا مصـرية وبينما ارتد الجزء الأكبر من المظليين ليحتمـوا بالسفح الخلفى للمرتفعات ، واصل قسم صغيـر منهم الهبوط ومحاولة البحث عن مخرج فـى الجدار الحجرى شبه القائم ، إلا أن النيران المحكمـة التصويب ظلت تلاحقهم حتى أبادتهم تماماً .

ثم جاءت أربع طائرات متيور ، تحرسها أربع طائرات ميج ، فانقضت على امتداد الممر من غربه حتـى شرقه ، حيث راحت تقصف المظـليين من ارتفاع منخفض ، ثـم انثنت إلى القوة الإسرائـيلية المتورطة عنـد المدخل الشرقى ، فألـقت عليها قنـابلها وصواريخها لـتنشر الفوضى والدمار فى صفوفها .

وفى تلك اللحظات الحاسمة ، وصلت بعـض الطائرات الأوراجان الإسرائيلية التى كان العقيد شارون قد ألح فى طلبها ، إلا إنها عندما شاهدت الطائرات المصرية ولت هاربة٠

ونتيجة ذلك الفـشل المتلاحق والخسائر المتزايدة ومع إقتـراب الظلام ، لـم يجد شارون

مفراً من أن يأمر جميع جنوده داخل الممر بالانسحاب ، بمجرد أن تغرب الشمس . أما القوة المنعزلة داخل الممر فقد تركت عرباتها ومعداتها ، وحاولت أن تشق طريقها بأسلحتها الشخصية على جانب الممر ، فلما تعرضت لنيران الدفاعات تبعثر أفرادها على سفوح الجبال ، وصار كل واحد منهم ونفسه .

وهكذا انتهى الهجوم الثانى بالفشل الذريع الذى تحدث عنه الجنرال موشيه ديان فى كتابيه يوميات معركة سيناء ، وقصة حياتى ، فكال للمظليين الانتقادات العنيفة لخروجهم عن أوامره أولاً ، ثم فشلهم فى اقتحام الممر مرتين متتاليتين ، وما وقع خلالهما من خسائر لم يكن لها داعٍ .

الهجوم الثالث والأخير[٣٥] (فيما بين الساعة الخامسة وأربعين دقيقة والساعة الثامنة مساءً)

التقط المظليون أنفاسهم فيما بين الساعة الرابعة والخامسة والربع ، وأعادوا تنظيم قوتهم بينما الظلام يزحف على المنطقة . وعلى الجانب المقابل ، كانت معنويات جنود مجموعة اللواء الثانى المشاه قد بلغت عنان السماء نتيجة النجاح المتوالى فى صد العدو ودحره ، إلا أن موقف الذخيرة والمياه كان قد بلغ درجة الحرج لاستحالة الإمداد بهما داخل الممر ، الذى تنتشر به فلول العدو . وتقصفه طائراته بعنف شديد بين الفينة والفينة ، فلا تترك فرصة لهدف متحرك أن يتم مسيرته .

وجمع شارون مساعديه ليضع خطة جديدة لاقتحام الممر . كان ابرز مشتملاتها الآتى :

دفع قوة هجوم من أربع سرايا معززة فى مجموعتين ، كل من سريتين ؛ لمهاجمة الموقع الشمالى عند مدخل الممر ، بينما تقوم سرية واحدة بصعود المرتفعات من جهتها الشمالية ؛ لتنقض على الموقع المصرى من جهة الغرب ، بينما تهاجمه باقى القوات من الجنوب .

واعتمدت الخطة بالدرجة الأولى على حسن استغلال الظلام الذى سوف يحرم المصريين من إحكام نيرانهم ، فضلاً عن استحالة تحقيق التعاون الوثيق بين قواتهم المتمركزة على جانبى الممر ، وهو الأمر الذى كان السبب الرئيسى فى فشل الهجمتين السابقتين ، وما نزل بهما من خسائر كبيرة .

وفى الساعة الخامسة وأربعين دقيقة استأنف المظليون الهجوم طبقًا للخطة التى رسمها شارون ، فانقضوا على المواقع الدفاعية من عدة اتجاهات فى وقت واحد . وكان أغلب هؤلاء الجنود قد سبق تدريبهم على القتال الليلى الذى لم تتح الفرصة للمصريين ، لممارسته من قبل فوفّر لهم ذلك ميزة كبيرة أحسن المظليون استغلالها لأقصى حد .

ورغم ذلك فقد صمد الجنود المصريون واستماتوا فى التشبّث بمواقعهم ، فتحولت المعركة إلى قتال متلاحم إستخدمت فيه الأسلحة الصغيرة والسونكيات والقنابل اليدوية ، وأسرف المظليون فى استخدام النابالم ، ثم اشتبك الجميع بالأيدى من حفرة إلى حفرة ، قبل أن تضعف كثافة النيران ويقل ضجيج المعركة ، حتى هدأت تماماً فى الساعة الثامنة ، عندما خيم السكون على الممر بأكمله .

وتحت ستر الظلام راح المظليون يسحبون قتلاهم وجرحاهم من فوق السفوح وخلف كتل الأحجار ، ثم جاءتهم أربع طائرات داكوتا أمدتهم بالذخيرة والوقود والمياه ، ثم أخلت ما يزيد على المائة جريح .

كوابيس المعركة :

وبينما كان العقيد شارون يعيد تنظيم لوائه ، يحكم عليه سيطرته ، كان العقيد الشربينى قد رجع الى موقع الشط بعد أن تحطمت أجهزته اللاسلكية ، حيث راح ينقل لقيادته صورة سوداء لا علاقة لها بما كان يحدث فعلاً فى أرض المعركة ، ثم ختم تخيلاته بأن مجموعة اللواء قد أبيدت عن بكرة أبيها .[٣٦] وبعد أن نفدت الذخيرة وتحطم أغلب الأسلحة والمعدات ، ونال منهم الجوع والعطش لم يجد الجنود سبيلاً إلا الانسحاب من الممر والعودة إلى منطقة الشط سيراً على الأقدام ، الأمر الذى استغرق منهم كل ما بقى من ليلة ٣١ أكتوبر / ١ نوفمبر ونهار الغد .

أما مجموعات السرايا المكلفة بقفل المدخل الغربى لممر متلا .. فقد ظلت فى مواقعها ، وهى أشد تصميماً على أداء واجبها بكل شرف وتضحية

شارون يواجه خطراً جديداً :[٣٧]

منذ الساعة العاشرة والنصف ليلاً لم تنقطع بلاغات قيادة المنطقة الجنوبية عن احتمال وصول الدبابات المصرية إلى منطقة صدر الحيطان ، لسيشم ولم ... شارون وقواته التى لم

يعد فى استطاعتها أن تخوض معركة أخرى . إلا أن الذى وصلها فعلاً كان عدة دبابات أ٠م٠إكس قادمة من نخل بعد إصلاحها ؛ مما رفع من معنويات الجنود الذين أسعدهم قبلها سماع الأخبار ببدء الطائرات الأنجلوفرنسية ضرب مصر منذ آخر ضوء

أما حقيقة أمر تلك البلاغات القادمة من قيادة المنطقة الجنوبية .. فكانت على عكس ذلك على خط مستقيم . فعناصر الآلاى الثانى استطلاع مدرع كانت قد عادت إلى منطقة الجفجافة حوالى الساعة الحادية عشرة مساء ، كما وصلتها قبل ذلك بقليل المجموعة الثانية المدرعة بقيادة العميد إبراهيم كامل الموجى ؛ حيث تلقى أمراً بالعودة إلى الإسماعيلية قبل أول ضوء ١ نوفمبر.

وعلى الرغم من زوال احتمالات الخطر .. فقد جمع شارون ضباطه قبل أول ضوء ١ نوفمبر ، ووقف فيهم خطيباً ينذر باحتمال التعرض للفناء الأكيد ، إذا ما تقاعس أحد منهم عن تنظيم دفاعه وتنفيذ أعمال الحفر والإخفاء ،والتمويه وضبط أقواس النيران على افضل الصور الممكنة .

وقد امكن تنظيم دفاعات مجموعة اللواء ٢٠٢ المظلى خلال نهار ١ نوفمبر على الشكل التالى :[٣٨]

مجموعة سريتين مدعمتين تحتل المدخل الشرقى للممر ، عند تبة النصب التذكارى لمواجهة أى تهديد يأتى من ناحية الممر .

مجموعة سريتين أخريين مدعمتين ببعض الدبابات والأسلحة المضادة للدبابات ، تحتل موقعاً شمال تبة تقاطع الطرق ؛ لمواجهة أى تهديد يأتى من ناحية الجفجافة .

مجموعة من سريتين فى عربات نصف جنزير مدعمتين ببعض الدبابات ، تتمركز فى أحد الوديان العميقة جنوب شرق تبة التقاطع ؛ لتعمل كاحتياطى عام لمجموعة اللواء بمهمة الهجوم المضاد ، فى أى من الاتجاهين سالفى الذكر .

هل كانت المعركة ضرورية ؟

وهكذا انتهى القتال على المحور الجنوبى ، وتوقفت نيران معركة متلا التى حكم التاريخ أن الجانبين المتحاربين لم يكونا فى حاجة إليها واقعياً :

١ - فإسقاط المظليين عند المخرج الشرقى للممر لم يكن المطلوب منه سوى خلق الذريعة لإصدار الإنذار الأنجلوفرنسى بالتدخل لحماية الملاحة بالقناة ، وقد أدى الإسقاط الغرض منه وصدر الإنذار فى الساعة السادسة مساءً ٣٠ أكتوبر ؛ فلم يعد من مبرر بعده لخوض قتال ما فى المنطقة .

٢ - ورغبة القيادة المصرية فى إبعاد أى خطر عن القناة ، كانت سوف تتحقق بدرجة كافية فيما لو اكتفت بقفل المدخل الغربى للممر ، لا سيما وأنه يبعد نحو ٣٠ كيلومتراً عن القناة ، وهى مسافة كافية تماماً لحمايتها من اخطار أية أعمال قتالية قد تعرض الملاحة فيها للتوقف ، هذا علاوة على أن القيادة الإسرائيلية لم يكن من أهدافها فعلاً التعرض للملاحة فى القناة ، أو الوصول واقعياً إلى ضفتها الشرقية .

تداعيات موقف الشربينى :[٣٩]

كان من احرج المواقف التى تعرضت لها مجموعه اللواء الثانى المشاة أثناء القتال تصرفات قائدها وبلاغاته المثيره والمغايرة للحقيقة ؛ اذ سببت ارتباكاً شديداً للقيادة الشرقية . فإلى جانب فشله فى فرض السيطرة على وحداته المرؤسة ، بعد أن فقد وسائل الاتصال اللاسلكى بها نتيجة غارات العدو ، فقد ترك قواته وهى فى معمعان المعركه المحتدمة ، بمجرد ان شاهد بعض عربات العدو تمرق فى المضيق فأسرع إلى نقطة الشط ؛ حيث أبلغ القيادة المتقدمة للفرقة الثانية المشاه بالشلوفة أن العدو قد اكتسح الممر بدباباته .

والواقع أن القائد لا يحق له ابتداءً أن يترك مكانه من المعركة لمثل هذه الأمور ، التى يكفى إيفاد ضابط اتصال لتوصيل المعلومات التى يرغب فى إبلاغها للمختصين . كما أن القائد ينبغى أن يكون أكثر ضبطاً لأعصابه فى المواقف المعاكسة فلا يسرع باليأس ، وتخيل ان الكارثة قد حلت به ، فكثيراً ما يكون عدوه فى موقف أشد حرجاً من موقفه ، ولقد سبق لأسلافنا العرب الأبطال أن قالوا مأثورتهم الشهيرة ... " الشجاعة صبر ساعة " .

وترتيباً على هذا البلاغ الخاطىء ، أمر اللواء السرساوى قائد الفرقة فى الساعة الثانية وخمسة واربعين دقيقة عصراً بدفع سريتى مشاه - وقد كانتا القوة الوحيدة الباقية بمنطقة السويس - لقفل المدخل الغربى للممر ، على أن يتم ذلك قبل آخر ضوء .

وبمجرد أن تلقى اللواء على عامر قائد القيادة الشرقية نفس البلاغ من العقيد الشربينى ، أمر بدفع الكتيبة السابعة المشاه - الاحتياطى الوحيد بمنطقة الإسماعيلية لقفل الممر ، على أن يتولى قائد اللواء السابع المشاه بنفسه قيادة هذه الكتيبة نظراً للأهمية الفائقة للواجب المنوط بها .

ثم عاد العقيد الشربينى ، فأكَّد لقائد الفرقة الثانية المشاه من أحد التليفونات بالشلوفة أن مجموعة اللواء الثانى المشاه قد أبيدت . . . وكان هذا البلاغ هو أغرب ما حدث فى حرب العدوان الثلاثى ، وأبعده عن الواقع .

وبناءً على هذا البلاغ المفاجيء والخطير ، واصرار قائد مجموعة اللواء الثاني المشاه على صحته ، أصدرت القيادة الشرقية - بعد مراجعة القيادة العامة - أمرها حوالى الساعة السادسة والنصف يوم ٣١ اكتوبر بدفع اللواء السابع المشاة بأكملة ، وكذا الآلاى الخامس المدرع ، والآلاى الثانى مدفعية الميدان لقفل المدخل الغربى لمر متلا ، ومنع العدو من اجتيازه ، أو الاقتراب من القناة ، على أن يفتح كوبرى الفردان لعبور هذه القوات بأسبقية أولى من الساعة الثامنة إلى العاشرة والنصف ، لتحتل مواقعها فى المدخل الغربى للممر ، قبل أول ضوء ١ نوفمبر .

وبينما القوات تسرع بالاستعداد للتحرك الفورى ، والقيادات تلهب ظهورها لبذل أقصى الجهود لتدارك الخطر الذى فغر فاه عند متلا ؛ إذ بأحد ضباط مجموعة اللواء الثانى المشاة يصل إلى الإسماعيلية فى الساعة السابعة مساءً قادما من الممر ؛ ليقدم تقريراً كاملاً عن الموقف كان ملخصه كالآتى :

١- إن مجموعة اللواء ما زالت سليمة ومتماسكة ومستمرة فى قتال العدو عند المدخل الشرقى للممر ، رغم أن قائدها قد ترك جنوده وعاد إلى الشلوفة .

٢ - إن العدو لم يتمكن حتى هذه اللحظة من التغلب على الدفاعات المصرية ، وإن كانت بعض دباباته وعرباته المدرعه قد تسربت داخل الممر ؛ حيث اصبحت فى موقف لا تحسد عليه .

٣ - إن القوات الجوية الإسرائيلية تركز قصفها بغاية العنف على المدخل الغربى للممر ؛ لتمنع أية إمدادات وتحرم القوات المصرية الموجودة قرب المدخل الشرقى من الغذاء والمياه لتنهك قواها .

٤ - إن المظليين الإسرئيليين يسرفون فى استخدام النابالم فى مهاجمة المواقع المصرية .

وقبل أن ينهى الضابط تقريره الذى جعل القيادة الشرقية تعيد النظر فيما سبق أن أصدرته من أوامر بخصوص معركة متلا ، بدأت الضربة الجوية الأنجلوفرنسية ؛ فانقلب الموقف السياسى الاستراتيجى فى مسرح الحرب رأساً على عقب .

التعليق :

لم يكن إسقاط الكتيبة ٨٩٠ مظلات فوق صدر الحيطان عملاً عسكرياً ، بقدر ما كان إجراءً تظاهرياً يفتعل موقفاً قتالياً غير حقيقى ؛ لاتخاذه ذريعة للتدخل الأنجلوفرنسى فى الأحداث .

ويتضح من النظرة الأولى للخطة الإسرائيلية على الاتجاه الجنوبى أنها كانت مسرفة فى الطموح ، بعيدة عن الحرص الذى تتسم به الخطط الإسرائيلية عادة . إلا أن اعتمادها على بدء التدخل الأنجلوفرنسى - اعتباراً من صباح ٣١ أكتوبر ، طبقاً لاتفاق بروتوكول سيفر - شجع الأركان العامة على أن تلقى بتلك الكتيبة على مسافة ١٨٠ كليو متراً داخل عمق سيناء ، ثقة منها بأن الأحداث الرئيسية التالية سوف تشغل القيادة المصرية عن متابعة الاهتمام بهذا الاتجاه الثانوى ، فضلاً عن تركيز المجهود الجوى الإسرائيلى طيلة يومى ٢٩ ، ٣٠ اكتوبر لحماية تلك الكتيبه ومساعدتها بالنيران .

ولضمان سرعة اندفاع القوات اللاحقة للانضمام براً على هذه الكتيبة ، وقع اختيار الجنرال ديان على اللواء ٢٠٢ المظلى لكونه اكفأ وحدات الجيش الإسرائيلى وأكثرها خبرة وتدريبًا ، فضلاً عن ان العلاقات الشخصية التى تربط جنود الكتيبة المسقطة بباقى كتائب اللواء سوف تكون حافزاً اضافياً لسرعة الوصول إليها .

ورغم أن الاركان العامة حرصت على تلوين الصورة على أنها مجرد إغارة عميقة داخل سيناء للقضاء على اوكار الفدائيين فإن القيادة المصريه لم تنخدع ، بل أدركت حقيقة أمرها منذ الوهلة الأولى . إلا أن هذه القياده غالت فى اتخاذ التدابير المضادة لتلك الأعمال الثانوية ، فلم تكتف بقفل الممر من غربه ؛ حيث يبعد اكثر من ٣٠ كيلو متراً عن القناة ، وهى مسافة كافية لكشف زيف الادعاء الأنجلوفرنسى بتعرضها للخطر ، بل أمرت بسرعة

القضاء على القوات المسقطة شرق الممر ، فكان فى عملها هذا تحقيقًا لهدف التواطؤ من استدراج أكبر قدر من القوات المصرية داخل فخ سيناء ، قبل أن يطبق الغزو البحرى الأنجلوالفرنسى على مؤخرتها ، على امتداد قناة السويس ؛ ليعزلها عن قواعدها بالدلتا والصعيد .

وكان العامل المعاكس الذى اعترض نجاح خطة اللواء ٢ المشاه هو عملية عبور قناة السويس فى منطقة الشط ؛ إذ استمرت لأكثر من ١٦ ساعة للحرص على إعطاء الأسبقية الأولى لقوافل السفن . ورغم هذا التأخير الكبير فقد كان فى الامكان تنفيذ الهجوم فيما لو تم التحرك ليلاً ؛ حتى يتجنب تركيز العدو غاراته الجوية على قوات اللواء الثانى المشاه منذ الساعة ١١ صباح ٣٠ مع زيادة كثافتها وشدتها . وبمجرد أن دخلت تلك القوات الممر تحطم الكثير من أسلحتها وعتادها وقتلت وجرحت العشرات من الجنود الأمر الذى لم يكن ليحدث بتلك الشدة فيما لو استغلت مجموعة اللواء ٢ المشاه ظلام ليلة ٢٩ / ٣٠ أكتوبر لتتم التحرك مع إعطائها أسبقية العبور فى القناة .

ويظهر مما سبق أن تتابع الاحداث على المحور الجنوبى يوم ٣٠ اكتوبر ، قد تحكم فيه عاملان أساسيان هما :

١ - عجز وسيلة العبور البدائية (المعدية) عن تلبية مطالب مجموعة اللواء ٢ المشاه فى سرعة الانتقال إلى الضفة الشرقية للقناة .

٢ - دفع مجموعة اللواء داخل مضيق جبلى طويل ، خلال ساعات النهار ، دون توفير دفاع جوى مناسب له .

وليس من شك فى أن فكرة استخدام الآلاى الثانى استطلاع مدرع ، أو قوة دبابات من المحور الاوسط للالتفاف على قوة المظلات المتمركزة فى صدر الحيطان ، كانت توفر حلاً مثالياً تحت الظروف السائدة وقتها . ولو عكست القيادة الشرقية خطتها فجعلت هجومها من الجفجافة هو الرئيسى ، وهجومها عبر الممر هو الثانوى ، لتعرضت قوات شارون لخطر الإبادة الفعلية .

وفيما يتعلق بطبيعة الأرض فقد كان لوجود اللواء ٢٠٢ المظلى فى أرض مفتوحة باعث

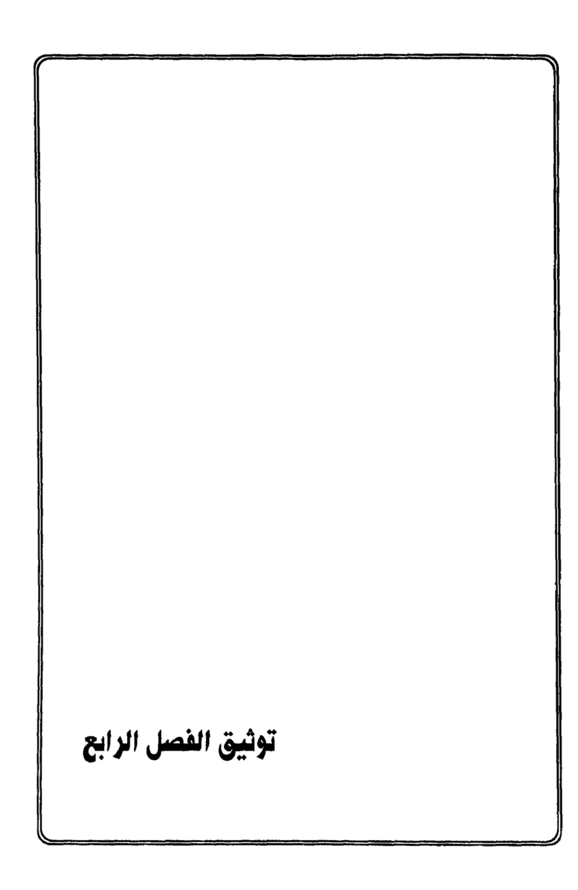
للقلـق الشديد لقائـدها . وقد تعاظم هـذا القلق ، عندمـا علم بوجود حشـد من المدرعات المصريـة على جانبه الأيمـن بمنطقة الجفـجافة ، بما دفعـه إلى محاولة اقتـحام الممر ليحـتمى بالأرض الضيقة داخله ، رغم رفض قيادته التصديق على ذلك .

وأخيراً ، فـقـد اثبـت الـقتال فـى ممـر متلا ان اجتيـاح الممرات الجبليـة عملية بـالغة الصعوبـة ، تتطلب تحضـيراً دقيقا وخطـطا محكمة ، مـع تحقيق التفـوق الجوى فوق أرض المعركة ، وطرد طائرات العدو بعيداً عنها .

ولا يصح نهو الحديث عن معركة ممر متلا ، دون ذكـر أبطالها الذين كانت شجاعتهم مضرب الأمثال ، وعلـى رأسهم الرائد محمود حسن فـهمى قائد السرية الأولى من الـكتيبة الخامسة المشـاه ، الذى دأب على مناداة جنوده بأعـلى صوت أن قاتلوا لآخر طلقـة ؛ لتحيا مصر ، ولم يتوقف عن القتال حـتى استشهد .

كما كان الملازم ثان عادل أحمد نصر قائد فصيلـة استطلاع تلك الكتيبة ، مثلاً يحتذى للبطولة ، وعندما سقط مضرجاً بدمائه كانت آخر كلماته صيحة الله أكبر .

وظل الشاويـش عبد المجيد عسكـر يضرب مدفعه الـرشاش الآلفا ، حتى دمرتـه طلقة هاون مباشـرة ، كما استشهد زمـيله الشاويش إدريس سـليمان ، وهو رابض خلـف مدفعه يصلى العدو نيراناً محكمة التصويب ، جندلت عدداً غير قليل من جنوده .



توثيق الفصل الرابع

(١) المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ٨٧ .

(٢) دار المحفوظات المركزية العسكرية (الملف ٢٨٣/ ٢ ، المسلسل ٥٢ ، كود ٣٧) أقوال الجندى الإسرائيلى الذى لجأ لمصر من جيش الدفاع الإسرائيلى ، واسمه دراشكوفيتش زدرانكر .

وأيضاً الملف رقم ٤٥٤ الجزء الأول ، أقوال البكباشى أركان الحرب / محمد طلعت الألفى - قائد الكتيبة الخامسة المشاة .

وأيضاً المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ١٠١ - ١٠٢ .

(٣) المصدر السابق : مذكرات آرييل شارون ، ص ١٨٥ - ١٨٦ .

(٤) المصدر السابق : الملف ٤٥٤ الجزء الأول ، أقوال البكباشى أركان الحرب / محمد طلعت الألفى - قائد الكتيبة الخامسة المشاة .

(٥) Op.Cit.: The Twice Fought War, p. 488.

(٦) المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ٨٦ - ٨٨ .

(٧) Op.Cit.: Full Circle, p. 532.

(٨) المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ٨٧ - ٨٨ ، ص ١٠٠ - ١٠١ .

(٩) المصدر نفسه : ص ٨٧ .

(١٠) المصدر نفسه : ص ٦٩ - ٨١ .

(١١) ايتان ، رفائيل : مذكرات الجنرال ايتان (عمان : دار الجليل للنشر ، ١٩٨٦) ، ص ٢٧ - ٢٨ .

وأيضًا هرتزوج ، حاييم : (الحرب العربية الإسرائيلية ١٩٤٨ - ١٩٨٢ : القاهرة ، الطبعة الأولى ، سيناء للنشر ، ترجمة بدر الرفاعى) ص ١٤٠ - ١٤١ .

(١٢) المصدر نفسه ، ص ١٤٠ - ١٤٢ . وأيضاً :

Chief Education Officer, I.D.F., The Sinai Campaign, (Tel–Aviv, 1967).

(١٣) المصدر السابق : مذكرات آرييل شارون ، ص ١٨٥ - ١٨٦ .

وأيضًا : Op.Cit.: Elusive Victory, p. 153.

وأيضًا : Op.Cit.: The Twice Fought War, p. 501.

(١٤) O'Ballance, Edgar : The Sinai Campaign (London, Faber & Faber, 1959), pp. 86-89.

وأيضًا : Op.Cit.: The Twice Fought War, p. 501.

(١٥) المصدر السابق : مذكرات آرييل شارون ، ص ١٨٤ .

وأيضًا المصدر السابق : الحروب العربية الاسرائيلية ١٩٤٨-١٩٨٢ ، ص ١٤٠ .

(١٦) المصدر السابق : مذكرات الجنرال روفائيل ايتان ، ص ٢٨-٢٩ .

وأيضًا المصدر السابق : الحروب العربية الإسرائيلية ١٩٤٨ ، ص ١٣٩ - ١٤٠ .

(١٧) دار المحفوظات العسكرية ، المصدر السابق ، الملف رقم ٦/٣٣٦ ، المسلسل ١١٣ ، كود ٣٧ .

(١٨) المصدر نفسه .

وأيضًا : Maarckhet Sinai (The Sinai Campaign), Tel Aviv.

(١٩) المصدر نفسه ، نفس الصفحات .

(٢٠) المصدر السابق ، مذكرات آرييل شارون ، ص ١٤٠ - ١٤٣ .

وأيضًا : Op.Cit.: The Twice Fought War, pp. 508-510.

(٢١) المصدر نفسه ، نفس الصفحات .

(٢٢) Op.Cit.: Elusive Victory, p. 170.

(٢٣) Op.Cit.: The Twice Fought War, p. 510.

(٢٤) المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ١٠٦ - ١٠٧ .

(٢٥) دار المحفوظات المركزية العسكرية ، المصدر السابق ، الملف رقم ٦/٣٣٦ ، المسلسل ١١٣ ، كود ٣٧ .

وأيضًا المصدر السابق : مذكرات الجنرال ايتان ، ص ٢٩ - ٣٠ .

(٢٦) دار المحفوظات العسكرية ، الملف رقم ٤٥٤ ، الجزء الأول .

(٢٧) هيئة البحوث العسكرية (حرب العدوان على مصر : الجزء الأول ، القاهرة ، الباب الثانى ، طبوغرافية مسرح العمليات) ، ص ٦٥ - ٧١ .

(٢٨) دار المحفوظات العسكرية المركزية ، المصدر السابق ، الملف رقم ٦/٣٣٦ ، المسلسل ١١٣ ، كود ٣٧ .

(٢٩) المصدر السابق : مذكرات الجنرال ايتان ، ص ٣٠ .

(٣٠) المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ١٢٢ - ١٢٤ .

(٣١) المصدر نفسه : نفس الصفحات .

والمصدر السابق : Maarekhet Sinai, (Sinai Campaign) pp. 125–127.

(٣٢) Op.Cit.: The Twice Fought War, pp. 516–517.

(٣٣) المصدر نفسه : نفس الصفحات .

وأيضاً مجلة بمحانية الإسرائيلية ، العدد ١٣ ، أكتوبر ١٩٦٥ .

(٣٤) المصدر السابق : الحروب العربية الإسرائيلية ١٩٤٨-١٩٨٢ ، ص١٤٢-١٤٥ .

(٣٥) Op.Cit.: The Twice Fought War, p. 516.

وأيضًا موشيه روز : مجلة القوات البحرية الأمريكية ، المجلد ٤١ ، سبتمبر ١٩٧٥ .

(٣٦) دار المحفوظات المركزية : المصدر السابق ، الملف رقم ٤٥٤ ، الجزء الأول .

(٣٧) Op.Cit.: The Twice Fought War, p. 516.

(٣٨) دار المحفوظات المركزية العسكرية : المصدر السابق ، الملف رقم ٤٥٤ ، الجزء الأول .

(٣٩) Green, Stephen : Taking Sides (New York : William Morrow, 1984), p. 146.

Op.Cit.: The Sinai Campaign, pp. 86–89.

الفصل الخامس

معـــركة أم قطف

مقدمة - هيكـــــــل الدفاع عن أم قطف - خـطة الهجوم -الـتشكيل للقتــال -ملخص المعركة -القتال فى نــــطاق الأمن -المناوشة التعطـيلية الاولى - المناوشة التعطيلية الثانية - المناوشة التعطيلية الثالثة والأخيرة - التقدم الى أم مطامر -وقفة تكتيكية حتى الصباح -جرعة حرب نفسية -بن آرى يعـبر المضيق -القتال حـول التقاطع -إحكام الطوق حـول عنق الزجاجة - النجدة تحتاج إلى نجدة - معركة سد الروافعة - الموقعة الرئيسيةعلى الاتجـاه الأوسـط - لقاء فوق التل العريض -تعديل اوضاع الدفاع- وانفجر الموقف عند الفجر -لحظة فخار-الخروج من الحصار -عراك الأصدقاء - حسانين يقع فى الأسر مرتين - التعليق .

مقدمة :

لخّص الجنرال موشيه ديّان مستـوى الكفاءة القتالية للطرفين المتحاربـين فـى معَركـة أم قطف بقـولـه " إنهـــا المكان الـذى قاتــل فيه المصريون عــلى أفضل وجه ، بينـما قاتل الإسرائيليون على أسوأ صورة[1] ، و على عكـس موقف قائد مجـموعة اللواء الثـانى المشاه المتخاذل فى معركة مم متلا . . فإن قادة وجنود وحـدات أم قطف كانوا على مستوى المسؤلية فقد أبدى كل من المقدم مصطفى حسن الجمل قائد الآى المدفعية ، والمقدمان على عبد الخبير ومـنير عبدالرحيم قائدا كتـيبتى المشاه ١٧ ، ١٨ مستوى رفيعاً من الكفاءة والـشجاعة ورباطة الجأش ، تجلت فى صمود الدفاعات ضد الهجمات الكثيرة المتفوقة ،كما تجلت أيضاً فى ذلك

الهجوم المضاد الناجح الذى تمكن من طرد القوات الإسرائيلية ، بعد أن نجحت فى التسرب داخل الدفاعات واحتلال جزء منها .

وتشكل منطقة أبوعويقلية -من وجهة النظر الطبوغرافية / قلب الأرض الحيوية التى يتوقف عليها الاستقرار والاتزان التعبوى للقوات المكلفة بالدفاع عن سيناء الشمالية ،ولهذا كانت منطقة تركيز الجهد الرئيسى للدفاع عن المحور الأوسط الذى يصل بين العوجة والإسماعيلية شرق .

وتتحكم منطقة أم قطف فى طريق العوجة -أبوعويقلية ،وفى طريق القصيمة -أبوعويقلية ،وكذا المدق التركى الذى يصل العوجة بالمغضبة .كما تشكل أم قطف عنق زجاجة يتحكم فى الطريق الرئيسى الى قلب سيناء ، إذ ترتكز على مانعين طبيعيين يصعب اجتيازهما ، هما : جبل ضلفة فى الجنوب ورمال مكسر الفناجيل الناعمة فى الشمال ، وإن كان تطور معدات النقل وخفة حركتها وقدرتها على اجتياز مختلف انواع الأراضى ، قد حد من قيمة هذا المانع الذى استخدمته القوات الإسرائيلية بعدئذ ، خلال جولة صيف ١٩٦٧لمباغتة دفاعات أم قطف من حيث لم تكن تحتسب .

هيكل الدفاع عن أم قطف :

خصص العميد أركان الحرب أنور عبد الوهاب القاضى ، قائد الفرقة الثالثة المشاه ، مجموعة اللواء السادس المشاه للدفاع عن منطقة أم قطف ، وكانت هذه المجموعة تتكون من رئاسة اللواء والكتيبتين ١٧، ١٨ المشاه ، والكتيبة ٢٨٩ المشاه الاحتياط عدا سريتين ، والألاى الثالث مدفعية الميدان ، والبطاريتان ٧٨ و٩٤ المضاده للدبابات ذاتية الحركة ، والأورطة الثانية الخفيفة ، والبطارية الأولى الخفيفة المضادة للطائرات ، وكتيبة الحرس الوطنى من اللواء ٢٣جيش التحرير الوطنى ، والتى لم تكن ذات قيمة قتالية تذكر.

وقد كلف العميد القاضى ، العقيد سامى يس بولس قائد مجموعة اللواء ، بالتشبث بالدفاع عن منطقة أم قطف ومنع اختراق العدو لها ،والقضاء على أية قوات معادية تسقط جواً أو تتسلل براً عبر وادى الجميل أو وادى الحريضين ، مع القيام بأعمال القتال التعطيلى فى منطقة القصيّمة على الجانب الجنوبى لأم قطف ، بواسطة الأورطة الثانية الخفيفة والأورطة الثالثة سيارات حدود وعناصر الحرس الوطنى، وكذا الاحتفاظ باحتياطى خفيف الحركة فى

منطقة سد الروافعة فى مؤخرة أم قطف ، لسرعة القضاء على أى قوات معادية تتقدم عبر وادى الجميل أو وادى الحريضين ، علاوة على تدمير القوات التى تهبط من الجو داخل المنطقة الدفاعية .

ونظراً لقلة القوات وضخامة مساحة المنطقة الدفاعية وكثرة طرق الاقتراب إليها . . فقد شكل العقيد بولس قواته فى نسق واحد ، واحتياطى ، وقوة ساترة ؛ فوضع الكتيبة١٨ المشاه وسرية من الكتيبة ١٧ فى يسار الموقع الدفاعى كمجهود رئيسى لمجموعة اللواء ، بينما وضع الكتيبة ٢٨٩ المشاه الاحتياط عدا سريتين فى يمين الموقع ، وتمركزت الكتيبة ١٧ المشاه عدا سرية فى سد الروافعة للعمل كاحتياطى عام لمجموعة اللواء[٢] .

ودفع العقيد بولس الأورطة الثانية الخفيفة ، ومعها الأورطة الثالثة سيارات حدود عدا تروب ، وكتيبة الحرس الوطنى للعمل كمفرزة متقدمة بمنطقة القصيمة .وقد أرسلت كتيبة الحرس الوطنى إلى عين الجديرات لتنظيم المراقبة والإنذار عن مدخل القصيمة من اتجاه جبال الريشة وطوال العين وجبل القصيّمة ، فضلاً عن قفل مداخل القصيمة الجنوبية والغربية[٣] .

خطة الهجوم:

تبلورت خطة (الألوف مشنيه) العقيد يهودا والاش ، قائد مجموعة العمليات ٣٨ ، المكونة من اللواء ٧ المدرع ، واللواء ٣٧ الميكانيكى ، واللوائين ٤ ، ١٠ المشاة ، فى شن الهجوم على دفاعات أم قطف على ثلاث مراحل كالآتى :[٤]

المرحلة الأولى:

ويتم فيها الاستيلاء على نقط الإنذار فى القصيّمة وطارة أم بسيس لتهيئة أفضل الأوضاع التكتيكية لفتح القوة الرئيسية للهجوم على قلب دفاعات أم قطف .

المرحله الثانية :

ويتم فيها اجتياح دفاعات أم قطف من عدة اتجاهات ؛ للوصول إلى الأرض المفتوحة فى مؤخرتها ؛ بهدف الاستيلاء على تقاطع الطرق الحيوى فى « أبو عويقيلة » .

المرحلة الثالثه :

ويتم فيها استغلال نجاح المرحلتين السابقتين بالانطلاق صوب العريش والإسماعيلية ؛

بهدف حجز القوات المصرية الموجودة فى سيناء الشرقية ، توطئة للقضاء المبرم عليها بالتعاون مع القوات الأنجلوفرنسية .

وخصص العميد عساف سمحونى قائد المنطقة العسكرية الجنوبية اللواء ١٠ المشاة كاحتياطى قريب للمجموعة ٣٨ ، واللواءات ٨ ، ١٦ ، ١٧ المشاة كاحتياطى عام للمنطقة الجنوبية .

التشكيل للقتال :

قرر العميد سمحونى تشكيل مجموعته فى مرحلتين .. شكل الأولى منهما فى نسقين ، وذلك قبل التمهيد الجوى الأنجلوفرنسى الذى سبق الاتفاق ، على أن يبدأ فى أول ضوء ٣١ أكتوبر ، إلا أن المارشال الجوى دنيس بارنيت فضل أن يؤخره ، إلى آخر ضوء حيث لاتملك مصر مقاتلات ليلية لاعتراضه .

أما التشكيل للمرحلة الثانية فكان بعد وقوع هذا التمهيد الجوى ؛ حيث يشن سمحونى هجومه الرئيسى بأكبر قدر من المجموعة فى نسق واحد واحتياطى ؛ ليضمن تفوقها العددى الكاسح على قوة الدفاع .

وكان على مجموعة اللواء الرابع المشاه (كرياتى) قيادة الألوف مشنيه (عقيد) يوسف هاريز بعد أن تتجمع فى منطقة عبدات - جبل القمر شرق القصيمة أن تتقدم ليلة ٢٩ / ٣٠ أكتوبر لتستولى على التباب العالية شرق القصيمة (مجموعة جبل الفالج) كمهمة مباشرة ؛ لتؤمن الطريق إلى نخل إذا ما استدعى الموقف بصدر الحيطان لنجدة المظليين فيها .

كما كان على المجموعة أن تشترك فى المرحلة الثانية للهجوم على الدفاعات المصرية بأم قطف ، ضمن قوات النسق الأول للعميد سمحونى .

وبعد أن تجمعت مجموعة اللواء ٧ المدرع (شيفع) قيادة الوف مشنيه أورى بن آرى حول منطقة نخل روث - وقد تضمنت كتيبتى دبابات خفيفة أ . م . إكس - ١٣ ، وكتيبة دبابات شيرمان معدلة ، وكتيبة ميكانيكية ، وكتيبة مشاة راكبة ، وثلاث كتائب ناحال ، وكتيبة مدفعية ميدان ، وسرية استطلاع - تقدمت خلال ليلة ٢٩ / ٣٠ أكتوبر إلى

بير حفير ، وهى على أهبة الاستعداد لاستغلال نجاح مجموعة اللواء ٤ المشاة بتنفيذ إحدى المهام الثلاث التالية : (٥)

المهمة الأولى :

اجتياح دفاعات أم قطف من الجنوب عن طريق القصيمة ، وبعد الاستيلاء على تقاطع طرق « أبو عويقيلة » تقوم بالاتصال بمجموعة العمليات ٧٧ - المكلفه بالهجوم على رفح بقيادة العميد حاييم لاسكوف ، وذلك عند العريش .

المهمة الثانية :

تطويق دفاعات أم قطف من الجنوب والالتفاف حول جانبها الأيمن ؛ بهدف سرعة الاندفاع غرباً فى اتجاه الإسماعيلية من أقصر الطرق .

المهمة الثالثة :

الانطلاق من القصيّمة فى اتجاه الحسنة - صدر الحيطان إذا ما تطلب الموقف القتالى للواء ٢٠٢ المظلات نجدته هناك .

ويبقى من مجموعة العمليات ٣٧ مجموعتا اللوائين ١٠ المشاة قيادة العقيد شمويل جودير ، و ٣٧ الميكانيكى قيادة العقيد شيمويل جولندا ، وقد كان عليهما بعد التجمّع حول العوجة التقدم الى طارة أم بسيس لطرد نقطة المراقبة المصرية منها ، قبل الهجوم على دفاعات أم قطف بالمواجهة ، وبعد تركيز نيرانى شديد من الطائرات ومدفعية الميدان . وبمجرد إجتياح تلك الدفاعات يتم استغلال النجاح نحو العريش أو الإسماعيلية طبقاً لما يتطلبه الموقف وقتذاك .

ملخّص المعركة(٦)

(٨٤ ساعة فيما بين منتصف ليلة ٢٩ / ٣٠ أكتوبر ، وظهر يوم ٢ نوفمبر ١٩٥٦ م) تعددت صور أعمال القتال خلال هذه المعركة ، التى شهدت أعنف درجات الصراع المسلح فى حرب العدوان الثلاثى ؛ حيث بدأت المناوشات عند نطاق الامن ، التى تلتها محاولة الهجوم بالمدرعات من الحركة على الطرف الجنوبى للدفاعات الرئيسية فى أم قطف ، فى خروج سافر على تعليمات الجنرال موشيه ديّان ، الذى كان قد أكد على العميد سمحونى ألا

يبدأ قتـالاً حقيقياً بالمدرعـات قبل وقوع الضربة الجـوية الأنجلوفرنسية ، حـيث إن ما سوف يسهل إنجازه بعدها لاتدعو الحاجة إلى القيام به قبلها ، حتى لا تتعرّض القوات لخسائر كثيرة بلا داع .[٧] هذا فضلاً عن حرص الأركان العامة على أن تضـفى على كل أعمالها قبل تلك الضربة الجوية صورة العملية الانتقامية ، وليس الحرب السافرة .

ويـقول الجنرال ديّان إنه اصطدم بشـدة صباح يوم ٣٠ أكـتوبر مع العميد سـمحونى ، الذى دفع مجموعة اللواء ٧ المدرّع قبل الموعد المحـدد على نقيض أوامر الأركان العامة ، التى قضت بألا تبدأ المدرعـات الهجوم قبل يوم ٣١ . وبالرغم من توضيـح ديّان ذلك لسمحونى بجلاء . . فـقد أصر الأخير علـى عدم إضاعة أى لحظة يمـكن استغلالـها للانتفاع بمـفاجأة دفاعات أم قطف ، قبل أن تدرك حقيقة ما سوف يقع لها[٨] وبمجرد أن صادف الجنرال ديّان العميد سمحونى نهار ٣٠ أكتوبر ، قـرب رأس مطامر الواقعة غرب القصيمة بنحو ٢٠ كيلو متراً ، استوضحه عن الأسباب التى دفعته إلى الخروج على أوامره ، قبل أن يصب علية جام غضبه ويفرغ كل ما كان فى قلبة من سخائم لعدم احترام سمحونى توجيهاته .

وتتطلّب دراسة معركـة أم قطف تقسيمهـا إلى ثـلاث مـراحل على النحو التالى :

١ - مرحلة المناوشات فى نطاق الأمن بالقصيّمة .

٢ - مرحلة محاولة تطويق دفاعات قطف من جهة الجنوب (المؤخرة) .

٣ - مرحلـة محاولـة الهجـوم على دفاعات أم قطف من الشرق والجنوب والمؤخرة .

وقد حدث خلال تلـك المرحلة الثالثة أن صدر أمـر القيادة العامة المصريـة بالانسحاب العام من سـيناء وقطاع غزة إلـى الضفة الغربـية للقناة ، بـعد أن تأكد لها أن هـدف الغزو البحرى الأنجلوفرنسـى هو قطع مؤخرتها على امتداد قناة السـريس ، الأمر الذى حول اهتمام قـائد مجموعـة اللواء ٦ المشاة من التـمسك بالدفـاعات إلى سرعة الـتخلص من المـعركة ، والانضمام إلى القوات المصرية الرئيسية غرب قناة السويس .

القتال فى نطاق الأمن بالقصيمة[٩]

توالت بلاغات نقط الانـذار المصرية قرب العوجة وأمام القصيمة عـن نشاط التحركات الإسرائيلية بين بير السبع ومستعمرة جـفعات راحيل - وقد كانت هذه هى تحركات مجموعة

اللواء ٧ المدرع – وكذا بين بيرين صوب القصيمة – وقد كانت تحركات مجموعة اللواء ٤ المشاة – ولهذا رفعت درجة استعداد القوات المصرية فى الساعة الخامسة عصر ٢٩ أكتوبر للتأهب ؛ لتنفيذ خطة القتال التعطيلى فى نطاق الأمن ، فقامت الأورطة الثانية الخفيفة بدفع داوريات إضافية للأمام والأجناب .

وبمجرد أن علم العقيد سامى بولس الذى كان يحل محل العميد القاضى الموجود بإجازة ميدانية بإسقاط المظليين فوق صدر الحيطان ، اعتبر ذلك بداية للعدوان فأعلن حالة الاستعداد القصوى ، وفى الساعة العاشرة والنصف ليلاً أمر الأورطة الثانية استطلاع أن تدفع ترويا إلى الصبحة لمتابعة تحركات العدو التى قدرها ذلك التروب ، عندما وصل هناك بنحو لواء مشاة ، كما دفعت ترويا ثانيا فى وادى سيرام ، وثالثاً فى وادى الأبيض .

وتبع ذلك تكليف كتيبة الحرس الوطنى باحتلال نقط إنذار عند المدخل الجنوبى للقصيمه والمدينة الأثرية وعين الجديرات ، فاكتملت بذلك ستارة الإنذار على القوس الجنوبى الشرقى لدفاعات مجموعة اللواء ٦ المشاة .

المناوشة التعطيلية الاولى(١٠)

وعندما حل موعد بدء مجموعة اللواء ٤ المشاة مناوشة القصيمة ، وجد الألوف مشنيه يوسف هاريز أن إحدى كتائبه لم تنجح بعد فى الوصول إلى الخط المحدد لبدء المناوشات غرب جبل الفالج ، كما لم تبدأ المدفعية الميدانية نيران التمهيد كإشارة لبدء المناوشات ، وذلك لعدم انتهائها من التحضيرات الفنيّة ، كما لم تكن الكتيبة المكلفة بمناوشة جبل الصبحه قد أتمت استعداداتها بعد . وبناء على ذلك قرر الألوف مشنيه هاريز أن يؤجل ساعة س من الحادية عشرة ليلا إلى الواحدة بعد منتصف ليلة ٢٩ / ٣٠ أكتوبر .

إلا أنه عندما حل الموعد الجديد لم تكن كتيبة جبل الفالج قد وصلت إلى خط البداية بعد ، فدفع هاريز كتيبة النسق الثانى ؛ لتقوم بمهمتها خشية أن يتعطل العمل لأكثر من ذلك وينبلج ضوء الصباح .

وأخيراً فتحت كتيبة النسق الثانى نيرانها فى الساعة الثانية والنصف على الموقع المصرى بجبل الفالج ، الذى كان جنوده قد أخلوه منذ آخر ضوء ، وانتقلوا إلى الموقع التبادلى بخور الريشة ؛ حيث ظلوا يحبسون نيرانهم إلى أن دخلت الكتيبة فى المدى المؤثر ، فانهالت

عليهـا النيران الكثيفـة المحكمة التصـويب ، فأوقعت بها خسـائر كثيرة ، واجبرتـها على التوقف ، ثـم التقهقر بلا نظام .

ولم يكد جنـود هذا الموقع التبادلى ينجـزون تلك المهمة ، حتى أسرعوا بـالانتقال إلى موقع ثالث عـلى يسار الموقع الأول ، كما دفـعوا داورية داخل وادى سيرام لمتابـعة الحصول على المعلـومات ، ولمفاجأة العدو إذا ما حاول التـقدم مرة أخرى صوب القصيمـة بالاشتباك معه من اتجاه لايتوقعه .

المناوشة التعطيلية الثانية[11]

أيقن الألوف مـشنيه هاربز أن المهـمة أصعب مما كان يـتوقع بكثير ، فـلم تزل إحدى كتائبه تائهة بين تلال الصـبحة ، وقد فقد الاتصال بـها ، كما أن كتيبـة أخرى قد ضلّت طريقهـا مما دفعه إلى طلـب المساعدة من قائـد مجموعة العـمليات ٣٨ لإنقاذ المـوقف وحتى يـستطيع الاستيلاء على القصيمة قبل أول ضوء ٣٠ أكتوبر ، لتأمين الأعمال الرئيسية التالية علـى الاتجاه الأوسط . إلا أن الألـــوف مشنيه يهـــودا والاش أمره بمعـاودة الهجوم فـوراً بما لديه من قوات .

وبعد تمهيـد نيرانى بالهاونات ، دفـع هاربز كتيبة مشـاة تعاونها سرية استـطلاع اللواء لمهاجـمة موقع جـبل الفالـج مرة أخرى ، وحاول تـعمية المـدافعين بفـتح الأنوار الكـاشفة لحاملات الأفراد المدرّعة ، إلا أنه لم يدرك لثانى مرة أنه يهاجم موقعاً خالياً من الجنود بينما يعرض جانبة لتروب الإستطلاع الذى يحتل موقع خـور الريشة ، فلما انصبت عليه النيران المفاجئة من الجنب ، أوقف الهجوم وأمر قواته بالانسحاب الفورى للخلف .

وصادف ذلك تحرك التروب الأول استطلاع على مدق الصبحة ، فما أن لاحظ انسحاب الإسرائيليين حتى أمطرهم بأسلحته الآلية التى كانت من الكثافة بما أقنع هاربز أن قوة مصرية كبيرة تكاد تحـكم حوله حلقة الحصار ، فغـير اتجاه تقهقره نحو وادى الفـالج حيث اصطدم بالتروب الثالث استطلاع المتمركز بهذا الوادى . ونتيجة تكرار تلك المفاجآت بدأت معنويات الألوف مشنـيه هاربز تهتز ، كمـا فقد السيطرة عـلى قواته ، وأصبح على يـقين ان القوات المصرية التى تواجهه كبيرة الحجم بما لاقبل له بها .

وبعد العدوان الثلاثى بعدة أعوام ، ظل هاربز يـعتقد أن ما صادفه جنوب القصيّمة كان

قوة رئيسية ضخمـة ؛ إذ ذكر للمؤرخ العسكرى الأمريكى البريـجادير جنرال مارشال أن قوة وادى الفالج لم تكن تقل عن سريه ونصف ، عـلى حين أنها كانت مجرد جزء من التروب الثالث استطلاع ، لايعدو العشرة جنود[١٢] .

المناوشة التعطيلية الثالثة والأخيرة[١٣] (انظر الخريطة رقم ٩)

تسرَّب الشك إلى صدر سـمحونى ووالاش بعدم قدرة مجموعة اللـواء الرابع المشاة على التغلب على مـقاومات القصيّمة العنيدة ، فاتـفقا على أن أفضل الحلول لاجتياز تـلك العقبة الكؤود هو دفع مجموعة اللواء ٧ المدرع ، على أن تسبقه مجموعة قتال بحجم مناسب لتتقدم على مدق وادى سيرام ، على أن تـتشكل من سريتى دبابات متوسطة وسـرية دبابات خفيفة وسرية مشاة ميكانيكية ، بينما تهاجم مجموعة اللواء ٤ المشاة جبال الفالج وتحتلها .

وباقتراب ضوء النهار توالت البلاغات على العميد القاضى ، الذى كان قد عاد لتوه من الإجازة الميدانية بظهـور دبابات كثيرة مع حاملات الأفراد جنوب وأمام القـصيمة ، فقرر فى الساعة الخامسة والنصف صباحاً البدء فى تخـليص الأورطة الثانية الخفيفة بالارتداد إلى موقع خلفى ، عند مضيق أم مطامر على الجناح الجنوبى لموقع أم قطف الدفاعى .

وفى الساعة السابعة صباحاً حاولت كتيبة من اللواء ٤ المشاة تطويق عناصر تروب وادى الفالج ، الذى سارع بقطع الاتصال بالـعدو والارتداد الى مضيق أم مطامر ، دون أن يصاب بخسائر تذكر .

ثم واصلت القوات الإسرائيلية التقدم على مدق القصيّمة ، حيث هاجمت المواقع الخالية فى جبال الفالج تحـت ستر نيران مركزه من الدبابات ، وقد أستغـرق هذا الهجوم نحو ٥٠ دقيقة ليجد المواقع بلا جندى مصرى واحد ..

وعندما استأنـفت القوات الإسرائيلية التـقدم نحو القصيمة ، اصطـدمت إحدى عربات القيادة بلغم فى حقـل الغام مبعثرة ، استغرق فتح ممر فيه نحو ساعـة أخرى ، بينما النيران التعطيلية تنصب على المهندسين القائمين بفتح الممر .

وعندما وصلت قوات هاربز أمام بلده القصيّمة آخر المطاف ، ألقت عليها القوات المدافعة عنها وابـلاً من نيران الدبابـات ومدافع الماكينة ، قـبل أن تقتحمهـا مجموعة القـتال المدرعة

وتحتلهـا ، ثم تخطـر قيادة المجـمـوعة ٣٨ عمليات عن تمـام الاستيلاء على القصـيّمة قبيل الظهر ، غيــر أن نيــران القناصــة ظلت تنطلق من أزقة البلدة ردحاً من الزمن [١٤] .

التقدم إلى أم مطامر:

لما كانت الكتيبة ٤٣ المشاة هى أقل كتائب مجموعة اللواء ٤ المشاة فى الخسائر ؛ نظراً لانها ظلت تائهة أغلـب ساعت الليل ، فلم تشترك فى القتال ، فقـد أمرها الألوف مشنيه هاربز بتنـظيم الدفاع عن قرية القصـيمة ، مع إرسال ثلاث دوريات استطلاع تجـاه الكونتلا ونخل ومضيق أم مطامر . وعندما عادت الداوريتان الأولـيان أبلغتا عن خلو المدقات ، بينما أكدت الداورية الثـالثة وجود مدرعات مصرية فـى مضيق أم مطامر ، الذى لـم يكن به فى الواقع سوى قوات الأورطة الثانيـة الخفيفة ، التى أتمت انسحابها من القصـيّمة بنجاح ومعها سرية المشاة .

ونتيجة هذا البلاغ الخاطىء ورغم تأكيد الجـنرال ديان بعدم استخدام المدرعات فى القتال قبل وقوع الضربه الجويّة الأنجلوفرنسية حتى تصبح القوات الإسرائيلية ، مثل راكب الدّراجة الذى يصعد الـتل ممسكا بعربة تصعـد أمامه ، فقد خرج الألوف سمحـونى عن هذه الأوامر للمره الثانـية فأصدر أمره إلى الألوف مشنيه أورى بن آرى بدفـع مجموعة اللواء ٧ المدرع ؛ لاقتحام مضيق أم مطامر والاتصال بالدفاعات الرئيسية فى أم قطف [١٥] .

ودفــع بن آرى مجمـوعة قتال مـدرعة من أورطتـى دبابات خفـيفة ، وأورطة دبـابات متوسطة ، وسرية مشاة راكـبة ، على الطريق الأسفلتى القصيّمة – أم مطـامر وأمامها فصيلة دبابات شيرمان كنقطة أمامية . وباقتراب هذا الرتل من الكوبرى المنسوف على وادى الأبيض جنوب أم مطامر حـوالى الظهر ، أطلقت عليه الأورطة الـثانية الخفيفة نيرانهـا بمعدل كثيف فأصيب جنزير إحدى دباباته ، وتوقفت باقى الدبـابات خلفها لتفتح نيرانها من ذلك المدى البعيد على قوات المضيق .

وفى نفس الوقت شاهد الرائد كمال الدسوقــى قائد الأورطة الثانية الخفيفة ، رتلاً آخر يتقدم فى اتجاه المدينة الأثرية على مدق القصـيّمة -الحسنة ؛ مما يعرض قواته لخطر التطويق . وبـادر قائد اللواء ٦ المشاه بمجرد إخطاره بذلـك إلى إصدارالأمر بنسف مضـيق أم مطامر ، وارتداد قوات الدسوقى داخل الدفاعات الرئيسية بأم قطف .

وظل الدسوقى يطلق نيرانه على العدو الذى يطارده ، بعد أن نسف المضيق حتى اجتمع

شمـل قواته حول تقاطع طرق ابوعويقيلة عصر يوم ٣٠ أكتوبر ، بينما انضمت السرية المشاه على الكتيبة ١٧ المشاه عند سد الروافعة .

ولم تستأنف مجموعة القتال المدرعة التقدم عـبر مضيق أم مطامر إلا بعد الظهر ، بينما تعثّرت مجموعة اللواء ٤ المشاه وتوقفت فى الـقصيّمة ، حيث تحول الجنود إلى أعمال النهب السلب التى وصـفها الجنرال ديان ، عندما وقع نظـره على بقاياها بأنها كانـت صورة مهينة ومثيرة للأعصاب[١٦] .

وقفة تكتيكية حتى الصباح[١٧]

لقـد شنّت المجمـوعـة ٣٨ قـيادة الألوف سمحـونى عدة هجمـات متتالية مـن اتجاهات مـختلفة ؛ بهـدف الاستيلاء علـى دفاعات مجموعـة اللواء ٦ المشاه بأم قطف. ورغـم تنوع أسلوب الهجوم ما بين الهجوم النهارى والليـلى ،والهجوم من الحركة ومن العمق ،والهجوم بعد تحضيـر قصير والصامت ، والهجوم بـالمواجهة والمناورة من الجنب والمؤخـرة،فقد صمد الجنود المصريون فى دفاعاتهم ، وحطموا تـلك الهجمات الواحدة تلو الأخرى ، بل ونجحوا فى شن الهجوم المضاد لطرد القوات المعادية التى تمكنت فى إحدى مراحل القتال من اختراق الدفاعات ، فكان ذلك هو الهجوم المضاد النـاجح الوحيد خلال حرب العدوان الثلاثى ،وقد قاده المقدم اركان الحرب على عبد الخبير قائد الكتيبة ١٨ المشاه بنفسه.

وبعد أن فشلـت مجموعة اللواء ١٠ المشاه فى اقتحام أم قطف بالمواجـهة ، ثم مجموعة اللواء ٧ المدرع من الجنب الأيمـن . تحت جنح ظلام لـيلة ٣٠ / ٣١ أكتوبر ، وصـل رئيس الأركان العـامة الجنرال ديان لدراسـة الموقف مع الألوف سمـحونى والالوف مشنـيه بن أرى الذى انتهى بـقرار من ديان باتخاذ وقفـة تكتيكية إلى أن تـبدأ الضربة الجوية الأنجلـوفرنسية صباح ٣١ أكتوبر طبقـاً لبروتوكول سيفر .



... ووصل الجنرال ديان
إلى مركز قيادة الألوف سمحونى
ليلة ٣٠/ ٣١ أكتوبر

جرعة حرب نفسية[١٨]

فى الساعة الثانية عشرة والنصف من ليلة ٣٠ / ٣١ أكتوبر حلقت طائرة إسرائيلية فوق أم قطف ، وراحت تذيع بالعربية الدارجة نداء من الميكروفون ، تحض به الجنود على التسليم بعد أن تم حصارهم بالمدرعات من الخلف ، وبالمشاه من الأمام والجنب الأيمن ، وقد رد الجنود بإطلاق نيرانهم على الطائرة التى لاذت بالفرار قبل أن تنهى النداء.

وبعد ذلك بساعة وصلت إلى العقيد بولس رسالة شخصية من اللواء محمد عبد الحكيم عامر القائد العام ، يؤكد عليه بضرورة التمسّك بدفاعات أم قطف ، التى يتوقف عليها اتزان دفاعات سيناء كلها ، فكان لوقع تلك الرسالة صدى جميل فى نفوس الجميع .

ثم عادت الطائرة الإسرائيلية مرّة أخرى حوالى الساعة الرابعة فجراً ، لتذيع النداء السابق الذى زادت عليه بإلقاء منشورات بنفس المعنى ، فتبارى الجنود فى إطلاق نيرانهم على الطائرة ، بينما عمد البعض منهم الى جمع تلك المنشورات وإحراقها[١٩] .

وطوال تلك الليلة لم تنقطع نيران المدفعية والهاونات عن قصف دفاعات أم قطف بمعدل بطىء ، بهدف إنهاك الجنود وحرمانهم من الراحة. وقد حاول المقدم مصطفى الجمل قائد الألاى الثالث مدفعية الميدان قصف مرابض العدو التى أمكن رصدها اعتماداً على سابق دراسته لطبوغرافية الأرض بدقة ، كما وجه جزء من نيرانه ضد أرتال العدو المتقدمة من العوجة بعد أن تمكن من تمييز انوارها الخافتة.

بن آرى يعبر المضيق[٢٠]

وبعد أول ضوء ٣١ أكتوبر ، اصطدمت عناصر الأورطة الثالثة سيارات حدود مع مقدمة مجموعة اللواء ٧ المدرع قرب المخرج الشمالى لمضيق الضيقة ، فتأكد العقيد بولس أن العدو يحاول قطع مؤخرته فأصدر أمره إلى قائد الكتيبة ١٢ المشاه بتعديل أوضاعه ؛ لمنع احتلال العدو تقاطع طرق « أبو عويقيلة » وتأمين محور الإمداد الرئيسى لمجموعة اللواء السادس المشاه .

وفى الساعة السادسة صباحاً وصلت الأورطة الثانية الخفيفة إلى منطقة الحسنة ؛ حيث قابلت الألاى الثانى سيارات حدود قادماً من نخل ،ولما أبلغت الموقف لقائد الفرقة الثالثة

المشاه بالعريش ، أمرها بتنظيم الدفاع عن الحسنه انتظاراً لوصول المجموعة الأولى المدرعة إليها .

وقد أبدى قائد الألاى روحاً عالية فى تقبّل آراء قائد الأورطة الأحدث منه فى الرتبه وبادر بتنفيذها بكل جدية بما أسهم فى تحقيق المهمة ، التى أمر بها العميد القاضى على أفضل وجه ممكن .

وخلال ذلك ظلّت مجموعة اللواء ٧ المدرع تلاقى مشاقاً كثيرة طيلة ليلة ٣١/٣ أكتوبر ، وهى تعبر المضيق رغم الجهد الكبير الذى بذله المهندسون العسكريون لإزالة أعمال النسف المصرية. وقد اضطر بن آرى إلى ترك الكثير من عرباته ذات العجل ، بينما نجحت ناقلات الجند المدرعة والدبابات فى العبور بعد تأخير كبير .

وقام بن آرى بتجزئة المجموعة إلى قسمين ، نجح القسم الثانى بعد لأى فى الوصول إلى الأرض المفتوحة شمال المضيق مع أول ضوء ، حيث اصطدم بعناصر من الأورطة الثالثة سيارات حدود التى بادرت بالانسحاب لعدم تكافؤ القوى ، ولجأت إلى المعسكر المجاور لتقاطع طرق « أبو عويقيلة » .

ثم تابع القسم الثانى التقدم على الطريق الأسفلتى حتى التقى بعناصر السرية ١٣٥ استطلاع جنوب تقاطع طريق الضيّقة ، مع الطريق الأوسط بحوالى كيلومترين ، حيث حصل منها على بعض المعلومات عن موقف وأماكن تمركز القوات المصرية المجاورة .

وقرّر قائد القسم مطاردة عناصر سيارات الحدود المرتدة ، وسرعة الاستيلاء على تقاطع طرق « أبو عويقيلة » وفى نفس الوقت ، كان القسم الأول المدرّع قد أتم عبور مضيق الضيقة بدوره ، وتمركز ومعه السرية ١٣٥ استطلاع وسرية دبابات متوسطة قرب الطريق الأوسط ؛ حيث تأهب لمهاجمة الموقع الدفاعى للكتيبة ١٧ المشاه بسد الروافعة .

القتال حول التقاطع [٢١]

وصلت قوات بن آرى إلى التقاطع فى الصباح ، بينما كانت القوات التى أرسلتها قيادة الفرقة ٣ المشاه للدفاع عنه مازالت فى الطريق إليه تتقدمها السرية الأولى من الكتيبة ١٢ المشاه ، وتعقبها السرية الثانية ، فقيادة الكتيبة .

وبهذا توفّرت الظروف لاشتعال معركة تصادمية بين مدرعات بن آرى والمشاه المصرية ، لم يكن هـناك شك فى نتيجتـها مما دفع المقدم مصـطفى الجمل الذى شاهد هـذا الموقف من موقعه إلى إطلاق نيـران مدافعه ؛ لإنقاذ المشاه المصرية من الخطر المحـدق بها فصبَّ قذائفه بالتنشين المـباشر على أرتال بن آرى ، بينما عـززتها نيران سريتا المشاه من مـدافعها المضادة للدبابات وقواذفها الصاروخية « البلاند سيد » من مسافه ٢٠٠ - ٣٠٠ متر .

ولم يكن لكـل تلك النيران تأثير يـذكر على دبابات بن آرى ، التـى واصلت الزحف حتى اقتحمـت معسكر التقاطع حيـث حمى وطيس القتال من خنـدق إلى الآخر حتى اتمت الاستيلاء على تقاطــع « أبو عويقيلة » وراحـت القوات المصـرية ترتد شمالاً فى اتجاه أولاد على .

إحكام الطوق حول عنق الزجاجة[٢٢]

وقبل الساعة التـاسعة من صباح ٣١ أكتوبر ، كان الطوق قـد التف حول أم قطف من الشرق بمجموعة اللـواء ١٠ المشاه ، ومن الجنوب الشرقى بمجموعة اللـواء ٣٧ الميكانيكى ، والجنوب الغربى بمـجموعة اللواء ٤ المشاه ، والغرب بمجمـوعة اللواء ٧ المدرع ، إلا أن هذا الحصار بدلاً من أن يفت فى عضد القوات المدافعة فإنه زادها تصميماً على التشبّث بالدفاعات وتحطيم هجمات العدو مهما بلغت من العـنف والتكرار . وكان العقيد بولس قد أصيب فى صدره إصابة سطحية إلا أنها حطمت قلم الحـبر الأحمر ، الذى سال على ردائه فجعله يظن أن إصابته قاتله تستـدعى الإخلاء ، وبادر العميد القاضى بإرسال العقيـد محمد سعد الدين متولى ليحل محله .

وفى التاسعة تماماً بدأت مجموعة اللـواء ١٠ المشاه الهجوم على أم قطف من الشرق من محل التشكيل للـهجوم خلف تباب أم طرفه ففتح عليها الألاى الثالـث مدفعية الميدان نيران التمهيد المضاد ، التـى كانت ذات تأثير شديد بفضل سابق تسجيل المـنطقة ودقة التوقيت ؛ مما أجبر القوات المهاجمة على إلغاء الهجوم والانسحاب للخلف .

وفى نفس الوقت تقـدم قسم القتال الثانى المدرع من لواء بن آرى مسـتتراً بكثبان وادى العريش ليهاجم موقع سد الروافعة فلم يكن حظه بأفضل من مجموعة اللواء العاشر المشاه ؛ إذ تمكنت البطـارية الثانية مدفعية الميـدان والمدافع المضادة للدبابات أن تدمّر الـدبابات القائدة للهجوم وتجبر العدو على الانسحاب إلى التقاطع .

واقتصر نـشاط العدو بعدئذ عـلى قصف مواقع ومـعسكرات أم شيخان وسـد الروافعة بنيران المدفعية والهاونات ، ثم زاد كثافتها باشتراك المدفعية المتوسطة ، إلا أن تأثيرها المادى ظل ضعيفاً نـظراً لعدم دقة التصويب ، ولأن التجهـيز الهندسى للمواقع الدفـاعية كان جيداً والخنادق عميقة .

وحوالى الـساعة ١١ صباحاً وصـل الجنرال ديان إلى مـركز قيادة الألوف سمـحونى ؛ حيث احتدم بينهما الجدل حول قرار بن جوريون رئيس الوزراء بسحب القوات الإسرائيلية من سيناء لعدم تنفيذ القيادة الأنجلوفرنسـية وعودها بشن الضربة الجوية المركزة ضد مصر فى أول ضوء هذا اليوم . ولاحظ ديـان أنه رغم إحكام الطوق حول عنق الزجـاجة بأم قطف ، فإن موقف قوات مجموعة العمليات ٣٨ كان سيئـاً بالقدر الذى يستدعى سرعة اجتياح أم قطف ؛ لتحقيق الاتصال المباشر بين قوات المجموعة الموجودة شرقها مع قواتها فى الغرب .

إلا أن سمحونى أوضح له استحالة تنفيذ أى هجوم نهارى ناجح على أم قطف ، فقبل ديّان تأجيل الهجوم ليتم ليلاً شريطة أن تشترك فيه كل قوات المجموعة .

النجده تحتاج الى نجدة !(٢٣)

وبينما كان ديان مجتمعاً بسمحونـى ، كان الألاى الثالث المدرّع والكتيبة العاشرة المشاه يتحركان بأمر الـعميد القاضى من العريش نحـو « أبو عويقيلية » لنجـدة قـوات مجموعـة اللواء ٦ المشاه ، بعد أن أحكم العدو طوق الحصار حولها .

إلا أن هذه النجدة صادفت ظـروفاً غاية فى الصعوبة ؛ إذ ركزت عليـها طائرات العدو نيرانها وهى تـتقدم على طريق تحف به من جـانبيه أرض لا تسمح بالانتشـار ؛ مما هبط من معدل السير إلى مجرد ٦ - ٧ كيلو مترات فى الـساعه ، فصار الرتل صيداً سهلاً للطائرات المغيرة التى أوقعت به خسائر فادحه جداً .

ونتيجة لذلك ، لـم تبدأ مقدمة الرتل فى الوصول إلى منطـقة أولاد على إلا بعد ست ساعات مـن التحرك ، وحتى الـساعة الثانيـة عصراً كان كل مـا امكنه الوصول هـو نصف الكتيبة العاشرة المشاه فقط وهو فى حـالة إنهاك شديد . ثم وصل الألاى الثالث المدرع بعد ذلك بنحو الساعة دون حـملته الإدارية التى حطمتها الطائرات الإسرائـيلية ، فلم يعد الألاى

يملك إلا ما تحمله الدبابات الشيرمان فى جوفها من ذخائر ووقود ، لا يكفى خوض معركة نشطة .

وبينما كانت تلك القوات تصلح من شأنها وتضمد جراحها ، إذ بها تتعرّض لهجوم شديد فى الساعة الرابعة عصراً من القسم المدرّع الثانى لمجموعه اللواء ٧ المدرع بصحبة عناصر من المشاه الميكانيكية حاولت اجتياح منطقه اولاد على من الجنوب على امتداد طريق العريش الإسفلتى ، إلا أن سوء تحضير هذا الهجوم وشدة إرهاق جنوده ، بالإضافة إلى نجاح القوات المدافعة فى تحطيم بعض المركبات القائدة أو وقف الهجوم ورده على أعقابه ٠ ولما قاربت ذخيرة الألاى الثالث المدرع على النفاد ، مع استحالة إمداده بكمية جديدة منها نظراً بسيطرة قوات العدو على الطريق ، وتدمير أى عربات تتحرك عليه قرر قائدا الألاى والكتيبة عند حلول الظلام أن يرتد بما بقى من قواتهما إلى العريش ، وفى الساعة الخامسة والنصف بدأ هذا الارتداد الذى لم يحاول القسم الثانى المدرع التدخل فيه ؛ نظرًا لما كان عليه من إرهاق فوصلت القوات المرتدة إلى العريش فى نحو العاشرة مساء ؛ ليقابلها العميد القاضى بثورة من الغضب لتخاذلها عن الاستمرار فى تنفيذ المهمة ، التى كانت قوات أم قطف فى أمس الحاجة إليها ٠

معركة سد الروافعة[٢٤]

لم يكد القسم المدرّع الثانى من مجموعة اللواء ٧ المدرع ينتهى من مشاكله فى منطقة أولاد على ، حتى جاءته أوامر الألوف مشنيه بن أرى بالاستعداد لمهاجمة موقع سد الروافعة بعد تعزيزه بعناصر من المدرعات والمشاه الميكانيكية ، بما يرفع حجمه إلى أكثر من الاى مدرع وكتيبة ميكانيكية ٠

وظلت القوات المدافعة عن سد الروافعة - والمكونة من السرية الثالثة من الكتيبة ١٢ المشاه ، وعناصر من سرية معاونة هذه الكتيبة ، وسرية من اللواء ٩٩ المشاه الاحتياطى ، والبطارية الثانية من الألاى الأول مدفعية الميدان ، وقيادة البطارية ٩٤ المضادة للدبابات ذاتية الحركة ، والعناصر الإدارية للكتيبة ١٧ المشاة -تقوم بإعادة تنظيم دفاعاتها على التباب المشرفة على سد الروافعة ، كما اهتم قائد بطارية مدفعية الميدان وبطارية المدفعية المضادة للدبابات باختيار مرابض النيران بحيث تواجه وتسيطر على تقاطع طرق « أبو عويقيلية » ،

مع حسن استغلال تضاريس الأرض لإخفاء المدافع وسترها عن المراقبة الأرضية والجوية ، فلم يحل الظلام حتى كانت تلك القوات قد أتمت تنظيم دفاعاتها على الوجه الأكمل ، واستعدت لمواجهة أى هجمات من جهة الغرب .

ولم يطل انتظارها إذ انقضت عليها طائرات العدو فى الساعة الخامسة مساء ، ثم أعقبها تمهيد المدفعية الإسرائيلية للهجوم الذى استمر ٢٠ دقيقة على المعسكر والمخازن والخيام ومرابض نيران البطارية الثانية مدفعية الميدان .

وتحت ستر تلك النيران الكثيفة ، تقدم القسم الثانى المدرّع المعزز بالمشاة الميكانيكية ؛ لاحتلال قاعدة نيران بدأ منها الاشتباك ضد موقع سد الروافعة بالضرب المباشر .

وفى تشكيل منتشر زحفت القوّة المهاجمة على الموقع ، إلا أنها فقدت الاتجاه الصحيح بسبب الظلام فهاجمته بالمواجهة بدلا من الجنب حسبما كانت تقضى الخطّة ، فوقعت بذلك تحت تأثير قاعدة نيرانها مما أجبر قائدها على سرعة سحبها للخلف .

وانتهز المدافعون فرصة الارتباك وتوقف قاعدة نيران القوات المهاجمة عن إطلاق مقذوفاتها حتى لا تصيب قواتها الصديقة ، فزادوا من كثافة نيرانهم الدفاعية من جميع المدافع والأعيرة حتى انقلبت منطقة سد الروافعة إلى شعلة من النيران زادها توهجا اشتعال المخازن والعربات والخيام ومكدسات الوقود فانقلب الليل نهارا ، وارتفعت السنة اللهب إلى عنان السماء .

وأوشكت ذخيرة المدافعين على النفاد . كما دمر أغلب مدافعهم ، وانقطع اتصالهم بقيادة مجموعة اللواء ٦ المشاه بأم قطف ، وتمكّنت عناصر العدو من الوصول إلى قلب المعسكر المشتعل فارتدت القوات المدافعة عنه عبر الأسفلت والتجأت إلى مكسر الفناجيل لتصل منه إلى أم قطف ، التى ما كادت تقترب منها حتى وقعت تحت نيران دفاعتها لعدم معرفتها بكلمة سر الليل . وبقيت هذه القوات المنسحبة من سد الروافعة فى مكانها بمكسر الفناجيل حتى الفجر ، عندما نجح قسم منها فى الدخول إلى منطقة أم قطف بينما اتجه القسم الأخر شمالاً نحو العريش .

ولم تهدأ قوى الدفاع عن سد الروافعة عن مواصلة إطلاق نيرانها طيلة ليلة ٣١ أكتوبر / ١ نوفمبر ، الأمر الذى أزعج قائد القسم الثانى المدرّع ، الذى أصيبت أغلب

دباباته ونفدت ذخيرتـه فأصدر أمره بالعودة إلى تقاطع طرق « أبو عويقيـلة » لإعادة التنظيم هناك . إلا أنه اصـطدم بمدفعين ذاتيـى الحركة من التروب الـثانى من البطـارية ٩٤ المضادة للدبابات ، نجحا فى إصابة الدبابة القائدة بالطلقة الأولى ، مما أربك قائد القسم المدرع ودفعه إلى سرعة التخلص من سد الروافعة والعودة بقواته إلى تقاطع « أبو عويقيلة » .

وبانتهاء معركة سد الروافعة على هذه الصورة ، التى أثبتت مرة أخرى أن النصر ساعة من الـصبر تمت حـلقة الحصـار حول منطـقة أم قطف ، وتـهيأت المجمـوعة ٣٨ عملـيات لاحتياجها من كافة الاتجاهات .

الموقعة الرئيسية على الاتجاه الأوسط[٢٥]

كانت أوامر الجنرال ديان أن يتم الاستيلاء علـى أم قطف قبل ظهر أول نوفمبر ، حتى ولو تطلب ذلك التضحية بالكثير من الخسائر . وتلخصت خطة الألوف سمحونى فى توجيه عدة ضربات متـلاقية ضدها من المواجهة والأجـناب والمؤخرة فى ستة محاور اقـتحام ، تبدأ كلها فى وقت واحد عند أول ضوء ١نوفمبر ، مع تركيز الجهد الرئيسى للهجوم على الجانب الجنوبى للمنطقة الدفاعية .

وقد حدد خطة الهجوم كالاتى :

تهاجم مـجموعة اللواء ١٠ المـشاه قيادة الالوف مشنـيه شمويل جوديـر ، أم قطف من ثلاثة اتجاهات بـقوة كتيبة مشاه فى كل اتجـاه ، مع تأمين أنسب الظروف لاشتـراك مجموعة اللواء ٣٧ الميكانيكى فى الهجوم ، والتعاون معها فى الاستيلاء على دفاعات أم قطف كمهمة مباشرة ، ثم دفاعات أم شيحان كمهمة تالية .

وتهـاجم مجموعـة اللواء٣٧ الميكانيـكى قيادة الألوف مـشنيه شمويـل جوليندا الـتباب الأمامية بأم قـطف بالمواجهة فيمـا بين طريق العوجة الإسفـلتى والمدق التركى ، مع تـنسيق هجومها ليبدأ مع هجوم اللواء ١٠ المشاه ؛ بهدف الاستيلاء على تلك التباب الأمامية كمهمة مباشرة، ثم منطقة أم شيحان كمهمة تالية .

وتستـمر مجموعـة اللواء ٤ المشاه قيادة الالـوف مشنيه يوسـف هاريز فى الضغـط على الجانب الجنوبى لمنطقة أم قطف وتثبيت القوات المواجهة لها بالنيران .

وتتشكل مجموعة اللواء ٧ المدرع قيادة الالوف مشنيه أورى بن آرى فى قسمين :

١ - مجموعة القتال الثانية المدرّعة المدعمـة بعناصر من لواء هاريز ، والتى تشن هجوماً من الخلف على امتداد طريق « أبو عويقـيلة » - العوجة بهدف الإستيلاء ،على أم شيخان بالتعاون مع قوات جودير وجولندا التى تزحف عليها من الأمام .

٢ - مجموعة القتال الرابعة المدرّعة وتهاجم تـبتى النزاع من ناحية الجنوب الشرقى على امتداد طريق القصيمة الأسفلتى ، وبعد سـقوط أم قطف تتحول للعمل كاحتياطى للمجموعة ٣٨ عمليات .

لقاء فوق التل العريض :

ظلّت الأفكار تتتابع على مخيلة العقـيد متولى ، بعد أن وصل إلى مركز قيادة اللواء ٦ المشاه قرب السفح الشمالى لجـــبل ضلفة ، وعندما زاد ارتجاج الأرض تحت أقدامه صعد إلى سطح المركز ؛ ليتحقق من الأمر بعد أن انقطع الاتصال بينه وبين سد الروافعة ، فهاله منظر الحرائق والانفجارات المدوية التى أحالت الأفق الغربـى الى كتلة من اللهب ، اللذى تتصاعد ألسنته إلى عنان الـسماء ، ولم يخرجه من مشاغله إلاّ وصول المقـدم الجمل قادماً من موقع الأى الميدان الرابض إلى الغرب ، قرب مركز قيادة متولى .

ورغبة فى كـسر حدّة الموقف ، بدأ الجـمل حديثه بنـوع من المداعبة فربـط بين وصول العقيد متولـى إلى أم قطف وبين اشتعال المعركة إلى الذروة . وارتاح مـتولى لوصول الجمل الذى تربطه به صـداقة وثقة كبيرة فصارحه بما يـشغل باله ، خاصة أن معلوماتـه عن طبيعة الأرض وموقف الـقوات المتضادة وديـنامية القتـال لا زالت كلها أمـور غامضة ، لعـدم توفر الوقت منـذ وصوله لاستيعـاب الحقائق ، إلا أن أشد ما يزعـجه هـذه اللـحظة هـــو مـــا يحدث فـى سد الروافعـة ، فهـل مـن سبيـل إلـى مـدّ يَد المساعـدة إليهـا ؟

وسارع الجمل إلى طمأنته بأن كل المواقع الدفاعية أصبحت فـى الهم سواء ، وعلى كل واحد منها أن يـتشبّث بأرضه حتى النفس الأخـير ، لا سيما وأن الجميع قد ارتـضوا البقاء داخـل الحصار ، وقـد صـدق منهم العزم على ألا يبرحوا خنـادقهم وفى صدورهم نفس يتردد .

ثم أنهى الجمل حديثه بأن نصح العقيد متولى بعقد مؤتمر من قادة وحدات اللواء لإعادة النظر فى هيكل الدفاع ، وتعديل اوضاعه لمواجهة حلقة الحصار التى احكمتها قوات سمحونى حولهم من كل ناحية .

تعديل اوضاع الدفاع :[٢٨]

وانعقد المؤتمر فى الهزيع الأخيرمن تلك الليلة ، تحت أضواء المشاعل التى أفرط العدو فى إطلاقها لتحديد الأهداف وضبط النيران ، ولم ينفض المؤتمرون إلا الساعة الرابعة والنصف فجراً عندما كانت تلك المشاعل والنيران قد بلغت الحد الأقصى من الكثافة والضوضاء .

وتلخّصت التعديلات التى أتفق عليها المؤتمر فى تغيير قوس نيران نسق ثانى الكتيبة ١٨ المشاه ، والتروب الخلفى من البطارية ٧٨ المضادة للدبابات ؛ ليصبح فى مواجهة سد الروافعة ، مع تعزيزه بالتروب الثالث من البطارية ٩٤ المضادة للدبابات وتكليف النقيب محمد ضياء الدين زهدى قائد التروب الخلفى من البطارية ٧٨ ، والذى أبدى كفاءة وشجاعة كبيرة فى الاشتباكات السابقة بتولى قيادة التروبين .

أما أوضاع نسق أول الكتيبة ١٨ المشاه ، وكذا الكتيبة ٢٨٩ المشاه الاحتياط المتمركزة جنوبها ، فلم يدخل عليها أى تعديل ؛ إذ ظلت تواجه التهديد المحتمل من إتجاهى العوجة والقصيمة . كما استمرت نقطة القتال الخارجية فى أم بياض فى موقعها الذى تسيطر منه على المدق التركى .

وانفجر الموقف قرب الفجر :[٢٩]

ظلت المشاعل ومقذوفات المدافع تنهال بكثافة زائدة على دفاعات أم قطف ، حتى الساعة الخامسة والربع من فجر يوم ١ نوفمبر ، عندما بدأت مجموعة اللواء ٣٧ الميكانيكى شن الهجوم الرئيسى جنوب طريق العوجة وأم قطف مباشرة وصوب التبة ١٨٣ بكتيبتين ميكانيكيتين ، وكذا صوب التبة ١٨٦ بالكتيبة الثالثة الميكانيكية ، وكتيبة مشاه راكبة من اللواء ١٠ المشاه ، وقد أضاء الجميع أنوار المركبات المبهرة .

وكان تقدير الألوف سمحونى أن تمهيد مدفعيته قد حقق درجة إسكات ساحقة لن تصادف قواته بعدها مقاومة تذكر ، فضلاً عما أوقعته فى معنويات المصريين من دمار يكفى

معه اقتـراب حاملات الأفراد المدرعة من سلـسلة التباب الأمامـية ، التى تقع عليـها دفاعات النسق الأول المصرية ؛ ليهجر الجنود خنادقهم فارين للخلف .

وحدث عكس ذلـك على خط مستقيـم ؛ إذ بمجرد أن دخلت الحاملات المـرمى المؤثر انفجر الموقـف فى أم قطف من أدناه إلى أقصاه ، وراحـت المعدات الإسرائيلية تشـتعل مثل علب الكبـريت : البعض بالإصابة المباشـرة بقذائف المدافع ، والبعض الأخـر بالمرور على الألغام ، كمـا قتل الألوف مشنـيه شمويل جولـندا قائد مجمـوعة اللواء ٣٧ الميكـانيكى ، وبعض مرافقيه من هيئة أركانه الذين كانوا معه فى حاملة أفراد واحدة .

إلا أنه حدث خلال انتقال أحد المدافع المضادة للدبابات ذاتية الحركة إلى موقع تبادلى ، أن مرقت بعض حاملات الأفراد المدرعة فى اتجاه التبة ١٨٣ ، ونجحت فى الدخول إلى قلب الموقع الدفاعى ، فـترجل طاقم المدفع وأباد أفراد تلـك الحاملة ، قبل أن يتابع السـير بمدفعه إلى الموقع الجديد .

وحدث نفس الشـئ داخل أحد مواقع التبة ١٨٦ ، الذى دخلته فصيلة ميكـانيكية كاملة واقتحمت نقطة ملاحظـة مدفعية على جانبها الشمالى حيث استـشهد ضابط الملاحظة وترك بعض الجنود مـوقعهم وارتدوا نحو قيادة الكتيبة ١٨ المشاه . إلا أن رباطة جأش قائد السرية أنقذت الموقف بهجوم مضاد عاجل أباد معظم الأفراد المتسللين ، وحطم حاملاتهم المدرعة .

ويرجع السبب فى فـشل هذا الهجوم المعادى عـلى التبة ١٨٦ إلى سرعـة تصرف قائد السريـة المشاه ، واستمـرار بعض أفراد نقـطة ملاحظـة المدفعية فـى توجيه النـيران ، رغم استشـهاد ضابطهـم وارتداد بعض زملائـهم ، ولمجاحهم فـى إحكام نيران الآلاى الـثالث مدفعية الميـدان على الميول الأمامية للتبة الـتى أوقعت فى القوة الإسرائيليـة بعض الخسائر ، وأصابت قائد الكتـيبة الميكانيكية التى تـسللت إحدى فصائلها داخل الموقـع ، فارتد الجميع ناحية الشرق من حيث جاءوا وقد حملوا معهـم ذلك القائد الذى أصيب بكسر مضاعف فى ذراعه [٣٠] .

ولم تكد الشـمس ترتفع فوق قمم جبـال العمرو حتى جاءت المقاتـلات القاذفة ، وقد انفردت بالسـماء بعد أن حطمت الضربة الجـوية الأنجلوفرنسية الغطـاء الجوى المصرى خلال الليلة السابقة ، وراحـت تقصف خنادق الموقع الدفاعى واستحكاماته الـهندسية من ارتفاعات منخفضة تضمن لها إحكام التصويب .

وفى نفس الوقـت بدأت مجموعة القتـال الرابعة المدرعة من لواء بـن آرى الزحف على امتداد طريق القـصيمة - أم قطف ؛ طبقاً للخـطة الموضوعة لمهاجمة تبتـى النزاع والاستيلاء عليهمـا ، إلا أنها فوجئت بنيـران مدفعية الميدان والمواقـع والأسلحة المضادة للدبـابات التى أجبرتها على تغيـير اتجاه هجومها نحو الشمال ؛ لاستغلال الثغـرة الموجودة بين تبتى النزاع والتبة ١٨٦ شمالهـا . ولم يدرك قائد هـذه المجموعـــة أنه ورط جنوده بذلك داخل أرض قتل ، سـبق للبطارية ٨٧ المضادة للدبابات أن أعدتها لإبادة العـدو الذى يسوقه سوء الحظ إليها[٣١] .

ولم يعد أمام القوة المهاجمة أدنى فرصة للنجاة ، حيث أصيبت أغلب الدبابات الأمامية فى اللحظات الأولى ، بينما راحت نيران النجدة تـلاحق من حاول منها مهاجمة تبتى النزاع من الجنب ، وتجبره على التوقف والارتداد .

إلا أنه حـدث فى نفس الوقت أن ترك بعـض جنود الاحتياط من الكـتيبة ٢٨٩ المشاه خنادقهم دون إذن ، وارتدوا نحو قيادة الكتيبة وقد تضعضعت معنوياتهم[٣٢] .

لحظة فخار :[٣٢]

عند هذه المرحلة من القتال ، كانت المعركة قد أتمت الصورة المثالية للصراع المسلح الذى يدور سجالاً بين خصمـين ، قد عقدوا العزم على بلوغ الغاية القـصوى منه ، وقد أحرز كل منهما قدراً من الانتصارات مثلما تحمل بعض الهزائم ، وأصبحت الغلبة للأقدر على مواصلة الجهد رغم ما أصابه من خسارة وإنهاك ؛ وذلك لأن الشجاعة صبر ساعة .

وعلى الرغـم من فشل المجموعة الرابـعة المدرعة وارتدادها أمام تبـتى النزاع . . إلا أن كثرة اتجاهات الهجوم ، وزيادة معـدلات الغارات الجوية ، وارتداد بعض جنود الاحتياط دون أوامر ، وانقطاع المواصلات بين السرايا الأمامية ، ومع قوات سد الروافعة ، وضياع كل أمل فى وصول نجدة من أى مـكان ، دفع العقيد متولـى إلى بذل جهد خارق لتصـحيح الوضع وإعادة السيطرة على الموقف ورفع المعنويات .

وكان أول ما قرره أن يستعيد التبة ١٨٦ ؛ فصدق للمـقدم على عبد الخبير قائد الكتيبة ١٨ المشاه أن يشن عليها هـجوماً مضاداً محلياً بما يتيسر لديه مـن قوات . وشكل عبد الخبير تلك القوة من رئاسة الـكتيبة ، وبعض أفراد السرية الرابعة المـشاه ، وعدد من المرتدين من

الدفاعات الأمامية ، مع بذل غاية الحرص لعدم إضعـاف دفاعات التباب الخلفية التى تتعرض للتهديد من اتجاه سد الروافعة ، وكان مثار الإعجـاب أن صمم عبد الخبير على قيادة الهجوم المضاد بنفسه .

وعجل عبد الخبير بالاندفاع أمام تلك القوة التى أعاد تشكيلها فى ثلاث فصائل ، فدفع إحداهـا نحو التبة ١٨٣ بينما تصدر هجوم الفـصيلتين الأخيرتين فوصل إلـى الميول الأمامية للتبة ١٨٦ تحت ستر نـيران المدفعـية وهاونات الـكتيبـتين ١٧ و ١٨ المـشاه ، مع حمـاية الرشاشات المتوسطة للكتيبة ١٧ المشاه لجنب الهجوم .

ونجـح الهجوم المضاد فى استعادة التبة ، فبادر قـائد مجموعة اللواء ٦ المشاه إلى تنظيم توازن المواقع الدفاعية ، فلم يحل الظهر حـتى كان قد سيطر على الموقف ، وتمكن من إعادة الاتصال بالعمـيد القاضى قائد الفرقة الثـالثة المشاه بالعريش ، الذى هـنأه على ذلك الإنجاز العظيم ، ووعده بالإمدادات العاجلة عبر مكسر الفناجيل .

الخروج من الحصار (٣٣)

لم يكد العقـيد متولى يزف بشرى قرب وصول الإمدادات إلى مـرؤوسيه ، حتى أعاد العميد القاضى الاتصال بـه لينقل إليه توجيهات القائد العام بالقـاهرة بضرورة انسحاب كافة القوات المصرية من سيناء ؛ لاتخاذ مواقع دفاعيـة جديدة غرب قناة السويس ، انتظاراً للغزو البحرى الأنجلـوفرنسى الذى لم يعد هناك شـك فيه بعد تلك الضربة الجـوية المركّزة ، التى شنتها طائرات مارشال الجو دنيس بارنيت ليلة أمس .

وأوضح القاضى لمتولى أهمية خروجه مـن الحصار المضروب حوله ، عن طريق مكسر الفناجيل وسرعة الانضـمام إلى العريش قبل أن تتركها مؤخرة الفرقة الثـالثة المشاه ، تنفيذاً لتلك التوجيهات .

وقبل أن يلقى متولى بـأسئلته انقطع الاتصال فجأة مع القاضى ، فـقرّر متولى الانتظار حتى يعود الاتصال ، ويتأكد من تلك التوجيهات مرة أخرى .

فلما جـاءه صوت القاضى للمـرة الثانية حوالـى الساعة الواحدة ظهـراً ، يؤكد ضرورة الخروج من الحصار بعد إتلاف المعدات الثقيلة والاكتـفاء باصطحاب الأسلحة الشخصية فقط مع انتهاز فرصة أن منطقة بير لحفن لازالت مؤمنة بما يضمن انسحاب مجموعة اللواء ٦ المشاه

إلى العريش بنجاح عقد متولى مؤتمراً من مرؤوسيه ، ناقش خلاله الموقف التكتيكى والإدارى ، ثم قرر أن يبدأ التخلص من الحصار بعد آخر ضوء يوم ١ نوفمبر ، مع عدم إجراء أية أعمال نسف أو حرائق حتى لا يجذب انتباه العدو ، وأن تنزع بعض الأجزاء الرئيسية من الأسلحة والمعدات وتدفن فى أماكن متفرقة حتى لا يستفيد منها العدو .

ثم راح يصدر أوامره تباعاً بتخفيف المواقع تدريجياً ، مع استمرار تمثيل الحياة بها لآخر وقت ممكن . وتبلورت الخطة فى التسلل من مكسر الفناجيل فى آخر ضوء نحو الشمال الغربى ، بهدف الوصول إلى العريش ، قبل أن تبزغ شمس ٢ نوفمبر ، مع تنظيم التحرك فى أربع مجموعات كل بحجم كتيبة مشاه تقريباً ، وبفاصل زمنى بين كل مجموعة والأخرى مقداره نصف ساعة .

وتشكلت تلك المجموعات كالآتى :[1]

المجموعة الأولى : (المقدمة)

الكتيبة ١٧ المشاه عدا سريتين ، والكتيبة ٢٨٩ المشاه الاحتياط ، وتبدأ التحرك الساعة السادسة مساء ١ نوفمبر .

المجموعة الثانية :

باقى الكتيبة ١٧ المشاه ، وسريتين من الكتسبة ١٨ المشاه ، ورئاسة مجموعة اللواء ٦ المشاة ، وتبدأ التحرك الساعة السادسة والنصف مساءً .

المجموعة الثالثة :

سرية من الكتسبة ١٨ المشاه ، ووحدات المدفعية ، وتبدأ التحرك الساعة السابعة مساءً.

المجموعة الرابعة (المؤخرة)

باقى الكتيبة ١٨ المشاه ، وباقى الوحدات الأخرى ، وتبدأ التحرك الساعة السابعة والنصف مساءً .

وأبدى الجميع تفهماً للمسئولية ودقة الموقف ، فسارت الاستعدادات على قدم وساق فى هدوء وضبط نفس ، ولما اكتشفوا نقطة ملاحظة للعدو فوق جبل ضلفة تستطيع كشف

ما يحدث بالموقع ، دفعت الكتيبة ١٧ المشاة داورية قتـال للتخلص منها ، فاتمت تنفيذ المهمة في الساعة الثالثة عصراً.

وقبل أن يـحل الظلام كان قـد تم تعطيل الأسـلحة والمعـدات الثقيلـة وإتلاف المخازن والأجهزة ، ودفن الـكثير من الذخـائر والأجزاء الرئيسيـة من الاسلحة والمعـدات فى اماكن متفرقة ، داخل حفر عمـيقة أحسن إخفاؤها . ولستر عملية الانسـحاب ، ظل عدد قليل من المدافع والرشاشات يطلق نيرانة المتقطعة بين الفينة والفينة حتى لاح ضوء الفجر [٣٦] .

وكان الجرحى غير الـقادرين على السير الطويـل هم مشكلة المشاكل فتـقرر تركهم هم والجرحـى الإسرائيليين غير الـقادرين على السير ، داخـل نقطة اسعاف الكـتيبة ١٨ المشاة ، ومعهم كمية كافيه من المياه والطعام وبعض مواد الترفيه .

ورغم مـا كانت تـعانيه الـقوات من اجـهاد شديـد ، عبرت المجمـوعة الأولى مـكسّر الفناجيل الشديد الوعورة برمالة المتهايلة الساعة السادسة ، فلم تصل بير لحفن إلا فى الساعة السادسة مساء ٢ نوفمبر ، بعد أن قطعت ٦٠ كيلو متراً لتجده خاليا من أية قوات مصرية . ولما واصلت السير إلى الـعريش وقعت فى أسر قوة إسرائيلية ، كانت رابـضة على مشارفها الجنوبية .

ولاحظت المجموعات التالية الحرائق المشتعـلة ببلدة العريش ، فتأكدت من أن العدو قد اجتاحها مما دفـعها إلى الانحراف بالسير نـحو الغرب فى اتجاه القنطرة ، حـيث نجح أغلب الأفراد فى بلوغها فى منتصف نوفمبر بفضل ما قدمه بدو شمال سيناء من مساعدات كثيرة ، وما أبدوه من نخوة ومروءة .

عراك الأصدقاء[٣٥]

نجحت مجموعة اللواء السادس المشاة فـى إخلاء الدفاعات ، دون أن يشعر بها العدو ، وكان الجنرال ديان قد تملـكته سورة الغضب لتكرار فـشل المجموعة ٣٨ عمليـات فى اجتياح قاعدة أم قطف ، فاعتمد أمر سمحونى بعزل الألوف مشنيه شمويل جودير ، وتولى السجان ألوف إسرائيل طال القيادة مكانه[٣٦] ، وبعد أن أغلظ القول للألوف سمحونى أمره بمعاودة الهجوم قبل ظهر يوم ٢ نوفمبر .

وبدأ سمحونى هجومه الساعة ١٢ ظهراً بعد تمهيد نيرانى مركز من الطائرات والمدفعية ، أعقبه اندفاع سرية دبابات مجموعة اللواء ٣٧ الميكانيكى من الشرق ، وسرية دبابات أخرى من اللواء ٧ المدرع من الغرب . ولسوء التنسيق واهتزاز الأعصاب ، اشتبكت القوات ببعضهما بمجرد تقابلهما داخل المواقع الخالية قرب أم شيحان ، وظل مستمراً حتى تحطمت ٨ دبابات ويمكن اعتبار هذا الاشتباك أنة المعركة المدرعة الوحيدة التى جرت بين دبابة ودبابة فوق رمال سيناء فى خريف عام ١٩٥٦ (٣٧) .

حسانين يقع فى الاسر مرتين(٣٨)

ومن طريف ما حدث فى وسط تلك المحنة أن السجان ألوف أبرهام آدان قائد كتيبة الدبابات الموجودة بتقاطع « أبوعويقيلة » كلف العريف حسانين الذى وقع فى أسره هناك أن يسلّم رسالة لقائد موقع أم شيحان ، ينصحه فيها بالتسليم بعد أن أحيط به من كل الجهات ، وبعد أن زوّد آدان حسانين بمنديله الأبيض ليستأمن به نيران أم شيحان ، أمر بنقله داخل عربة نصف جنزير إلى أقرب مكان من الموقع .ولما استبطأ آدان عودة حسانين دفع سريته المدرعه لاقتحام الموقع الخالى الذى ظن أنه يرفض الاستسلام ، فحدث ما سبق ذكره من اصطدامها بسرية الدبابات القادمة من جهة الشرق ، حيث دار عراك الاصدقاء الذى حطم ثمان دبابات .

وبمجرد أن أدرك القائدان خطأهما وأوقفا الاشتباك شاهد آدان العريف حسانين يجول فى قلب الموقع ، وقد رفع المنديل الأبيض فوق رأسه ، وإلى جواره جريح يستند إليه ، وهو لا يكاد يقوى على السير وقد تخضبت ملابسه بالدماء .

وأرسل آدان عربة لإحضارهما ، فلما مثلا أمامه بادره حسانين القول بأنه لم يصادف بالموقع غير هذا الجريح الذى استلم منه الرسالة . وعندئذ آدان منديله ، ثم أمر بإعادة القبض على حسانين الذى ضرب رقمًا قياسيًا بالوقوع فى الأسر مرتين فى بحر ساعة زمن واحدة .

التعليق

لم يجافى الجنرال ديّان الحقيقة ، عندما وجه النقد الشديد لمجموعة العمليات ٣٨ فى كتاب يوميات معركة سيناء حيث قال . . (كان بقيادة الجنوب القوات الكافية لتحقيق

المهمة ، سواء من المشاه أو المدرعات أو المدفعية ، إلا أن الهجوم لم ينجح ؛ إذ كانت الخطة غير سليمة ، كما إن طاقة القتال لم تستغل على الوجه الأكمل)[٣٩] .

ثم لم يكتف ديّان بهذا القدر من الانتقاد اللاذع ، بل زاد عليه القول بأن أم قطف كانت المكان الذى حارب فية الإسرائيليون على أسوأ صورة ، بينما حارب المصريون على أفضل وجه ، وقد كان ديـــان صادقا فى كلا القولين[٤٠] .

فبفضل التخطيط الجيد لدفاعات أم قطف على المستوى التكتيكى ، وحسن تجهيز الموقع والاستحكامات وحقول الألغام ، مع عزم الجنود على الدفاع حتى اخر طلقة ،أمكنهم دحر الهجمات العديدة التى شنها عليهم الألوف مشنية يهودا والاش بلواءاته الأربعة من الشرق والجنوب والغرب ، واستمرار التشبث بالأرض فى مواجهة قوات تتمتع بالتفوق العددى الكبير ، وبالسيطرة الجوية الكاملة .

وأضافت شجاعة الرجال وقوة احتمالهم المزيد من الصلابة للدفاعات ، التى تجلت فيما قامت به المدفعية الميدانية والمضادة للدبابات مـن مهام بطولية ، وماحققه قائد الكتيبة ١٨ المشاه من هجوم مضاد كان مثالاً للجسارة والإقدام .

وجاء إسدال الستار على معركة أم قطف بطرفتين حربيتين ، انفرد بهما ذلك الصراع الذى احتدم ٦٥ ساعة متواصلة ، تمثلت أولاهما فى نجاح المدافعين فى التسلل خارج حلقة الحصار التى أحكمتها المجموعة ٣٨ عمليات حولهم ، دون أن يشعر أحد منها بخلو المواقع وتعطيل الأسلحة والمعدات وإخفاء الذخائر والمواد ، أما الثانية فكانت معركة الدبابة ضد الدبابة التى خاضتها مدرعات الألوف مشنيه بن آرى حول أم شيحان ، والتى لم تتوقف حتى قضت كل سرية منهما على بعض دبابات الأخرى .

ولا يعنى ما سبق أن كل الخطأ اقتصر على الجانب الإسرائيلى ؛ إذ إن ما حدث من بعض عناصر الكتيبة ٢٨٩ المشاه الاحتياط فوق تبنى النزاع صباح يوم ١ نوفمبر ، لم يكن هناك ما يبرره فـى موازين الشرف العسكرى .

كما أن أعمال النسف التى قام بها المهندسون فى مضيق الضيقة ، دون أن تخصص لها قوة مناسبة لمراقبتها وغمرها بالنيران قلل من أهميتها ، وأتاح لمدرعات بن آرى أن تجتازها بشئ من العناء ، لتصل إلى مؤخرة الدفاعات المصرية من الغرب ، وتحكم حلقة الحصار حولها .

وبالمقابل ، فعلى الـرغم من الحشود الضخمة التى اهتم الجنرال ديـان بتوفيرها للألوف سمحونى أمام أم قطف ، والتى بلغت نسبة تفوقها العدى على القوات المصرية ٤,٥ : ١ فى المشاه ، و ١٨ : ١ فى المدفـعية ، علاوة على اللواء المـدرع واللواء الميكانيكـى ، اللذين لم يكن تحت إمرة قـائد مجموعة اللواء ٦ المشاه نظير لهما ، فإن القوات الإسرائـيلية فشلت فى تحقيق مهامها ، وبدلاً من أن تتم الاستيلاء على دفاعات أم قطف خلال ١٢ ساعة على نحو ما قدرت القيادة الإسـرائيلية ، استغرق هجومـها المتكرر ٦٥ ساعة ، ولم ينجـح فى اجتياح الدفاعات إلا بعد أن تسرب منها المدافعون وأصبحت خالية تماماً .

تبقى كلـمة تتطلب أن نستبق الـزمن لنقارن بين معركة أم قـطف فى خريف ١٩٥٦ ، والمعركة التى دارت فى نفس المكان فى صيف عام ١٩٦٧ ؛ حيث كان حجم القوات المدافعة قد زاد إلى الـضعف وعززته نحو ٨٠ دبابة لم تتوفر واحدة منهـا فى المعركة الأولى ، وكان حجم الـعدو المهاجم عام ١٩٦٧ نـصف حجمه عام ١٩٥٦ ، بينما كـان الموقف الجوى مماثلاً فى المعركتين حيث تـسيدت الطائرات الإسرائيلية سماء المعـركة ، إلا أن مصدر العجب أن تصمد دفـاعات أم قطف فى خريف ١٩٥٦ فى وجه الهجمات المتكررة والمـتفوقة ، على حين سقطت أمام الـهجمة الأولى فى صيف ١٩٦٧ ، وليس ثمـة شـك فى أن تلـك المفـارقـة تستحق مـن دارسـى التـاريخ العسكـرى الكثير مـن إمعان النظر .



توثيق الفصل الخامس

(١) المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ١٤٦ .

(٢) وزارة الحربية : حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، الجزء الثانى ، ص ٢٠٦-٢٠٧ .

(٣) المصدر نفسه : ص ٢٠٧-٢١١ .

(٤) المصدر السابق : الحروب العربية الإسرائيلية ١٩٤٨-١٩٨٢ ، ص ١٤٦-١٥٢ .

(٥) Neff, Donald : Warriors At Suez (Vermont, 1988, Amana Books), pp. 381–382.

(٦) المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ١٣٥-١٤٠ .

وأيضاً الحروب العربية الإسرائيلية ١٩٤٨-١٩٨٢ ، ص١٤٥-١٥٢ .

وأيضاً حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، الجزء الثانى ، ص٢٢٥- ٢٤٠ .

Op.Cit.: Elusive Victory, pp. 182–184.

Op.Cit.: The Twice Fought War, pp. 535–545.

(٧) المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ١١٣-١١٤ .

(٨) المصدر نفسه ، ص ١١٣ .

(٩) المصدر نفسه ، ص ١٠٨-١١٠ .

(١٠) المصدر نفسه : الصفحات نفسها .

وأيضاً : Op.Cit.: The Twice Fought War, pp. 538.

وأيضاً : حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، الجزء الثانى ، ص ٢٤٣-٢٥٣ .

وأيضاً المذكرات الشخصية للألوف مشينه عساف سمحونى ، الذى سقطت طائرته فوق جبال العجلون بالأردن يوم ٧ نوفمبر ١٩٥٦ ، وعثر عليها بين حطام الطائرة .

(١١) المصدر نفسه - الصفحات نفسها .

(١٢) Marshall, S.L.A.: Sinai Victory (New York : W. Monrow, 1958), p. 216.

(١٣) المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، ص ٢٥٤ - ٢٥٧ .

(١٤) المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ١٠٨ - ١١٠ .

(١٥) المصدر نفسه ، ص ١١٦ - ١١٧ .

(١٦) المصدر نفسه ، ص ١١٤ .

(١٧) المصدر نفسه ، ص ١١٧ - ١١٨ .

(١٨) المصدر السابق ، حرب العدوان الثلاثى على مصر ، الجزء الثانى ، المجلّد الأول ، ص ٢٧٤ .

(١٩) المصدر نفسه ، نفس الصفحة .

(٢٠) المصدر نفسه ، ص ٢٧٦ - ٢٧٧ .

(٢١) Op. Cit.: Elusive Victory., pp. 165 - 166

(٢٢) Op. Cit. The Twice Fought War, pp. 543 - 544

(٢٣) المصدر السابق ، حرب العدوان الثلاثى على مصر ، الجزء الثانى ، المجلد الأول ، ص ٢٧٩ - ٢٨٠ .

(٢٤) المصدر نفسه ، ص ٢٨٦ - ٢٩٠

(٢٥) المصدر السابق ، يوميات معركة سيناء ، ص ١٢٥ - ١٢٦

وأيضاً : Tevet, Shabtai : I.D.F. Campaign in Sinai (Jerusalem, Schocken, 1957), pp. 183–187.

وأيضـاً : Yorman, Pinhas : Operation Kadesh (I.D.F. Campaigns), pp. 205–209.

(٢٦) المصدر نفسه – الصفحات نفسها .

(٢٧) مقابلـة شخصية مع الـلواء أ.ح / مصطفى الجـمل ، بمجرد عودته مـن أم قطف ، فى نهاية شهر نوفمبر ١٩٥٦ ، منسحباً . مع جماعة من مرؤوسيه على الأقدام .

(٢٨) المصدر السابـق : حرب العدوان الثلاثى على مـصر فى خريف ١٩٥٦ ، ص٢٩٢ – ٢٩٣ .

(٢٩) المصدر نفسه ، ص ٢٩٣ – ٢٩٨ .

وأيضاً : Op.Cit.: I.D.F. Campaign in Sinai, pp. 188–193.

(٣٠) Op.Cit.: The Twice Fought War, p. 541–544.

(٣١) وكان رئيس أركان سمحونى هو المقدم إسحق حوفى . Ibid.

(٣٢) المصدر السابـق : حرب العدوان الثلاثى على مـصر فى خريف ١٩٥٦ ، ص ٢٩٦ – ٢٩٧ .

(٣٣) المصدر نفسه : ص ٢٩٩ – ٣٠١ .

(٣٤) المصدر نفسه ، ص ٢٩٩ – ٣٠٠ .

(٣٥) المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ١٤٥ .

وأيضاً : Elusive Victory, p. 183.

(٣٦) المصدر نفسه – ص ١٤٨ .

(٣٧) المصدر نفسه – الصفحات نفسها .

(٣٨) المصدر نفسه – الصفحات نفسها .

وأيضاً : Op. Cit., Ilusive Victory, pp. 183 - 184.

كما قـام صف ضابط إسرائيـلى بقطع جزء حـساس للأسيريـن ، ثم أطلقهمـا نحو الدفاعات المصرية ليـفت منظرهما الدامى فى عضد المدافعين المـصريين ، وقد استشهد الضحيتان بعد برهة وجيزة .

انظر أيضاً : Op.Cit.: The Twice Fought War, pp. 541.

(٣٩) المصدر نفسه ، ص ١٤٦ .

(٤٠) المصدر نفسه – الصفحة نفسها .

الفصل السادس

تسلسل الأحداث على المحور الشمالى وقطاع غزة
معركة رفح

مقدمة - تأثير طبيعة الأرض - خطة الدفاع - قوات العدو المكلفة بالهجوم - الخطة التفصيلية للهجوم - ملخص المعركة - الضربة الرئيسية - اجتياح الدفاعات من الشرق والجنوب - موقف قوات المجموعة ٧٧ عمليات صباح ١ نوفمبر - انسحاب قوات مجموعة اللواء ٥ المشاه من رفح - التعليق.

مقدمة :

منطقة رفح هى مفتاح الموقف بالنسبة للمحور الشمالى وقطاع غزة بمحاذاة ساحل البحر المتوسط ، فهى تصل بين القطاع وسيناء وتعتبر خط الدفاع الأول عن العريش التى يترتب على وصول العدو إليها فقد آخر معاقل الدفاع على الاتجاه الشمالى .

وتحيط بالمنطقة أرض صحراوية مفتوحة تقل بها المزروعات وتكثر الكثبان الرملية التى تعوق التحركات ؛ خاصة فى المنطقة المتاخمة لساحل البحر حتى خان يونس شمالاً والشيخ زويد غرباً ، وكثبان العجرة جنوباً والتى تقع على مسافة ١٥ كيلومتراً من رفح .

وتنتشر فى منطقة رفح مجموعة من التضاريس الأرضية قليلة الارتفاع ، التى تمتد فى شكل قوس يلتف حول شمال رفح الشرقى حتى جنوبها ويشرف على الأرض المجاورة له . ويمر برفح خط السكة الحديدية الذى يصل مدينة غزة بالقنطرة شرق ، كما تلتقى بها مجموعة من الطرق والمدقات الهامة ، التى تتفرع إلى غزة شمالاً والعوجة جنوباً والعريش غرباً .

وتشكل التضاريس الأرضية سالفة الذكر خطين طبيعين للدفاع عن رفح ، يمر الأول منهما بتباب خبرة العدس (النقطة ٨١) ، والبيوكى (النقطة ٨٣) ، وزارع (النقطة ٨٢) ، ولطفى (النقطة ١٠٣) ، والقبة (النقطة ١٠٤) ، وجوز أبو رعد (النقطة ٨٧) ، وكرم إبن مصلح (النقطة ٩٦) ، وجوز أبو عودة (النقطة ١٠٥) وكانت جميعها موضع قتال ضارٍ فى الجولة الأولى فى ختام سنة ١٩٤٨ ومطلع ١٩٤٩ .

أما الخط الثانى فيمر بتبة الأسرى (النقطة ٩٦) ، وتبة الماكينة ، وتبة ضرب النار (النقطة ٨١) ، وتبة هاشم (النقطة ٩٢) وتبة الماسورة ثم تبة المجرونتين .

ولهتين التبتين الأخيرتين ذكر فى صفحات التاريخ ؛ إذ كان خط أنابيب المياه الذى مدته القوات البريطانية عبر شمال سيناء فى الحرب العالمية الأولى قبل غزو فلسطين ، ينتهى عند تلك التبة . أما المجرونتين - وهما الشجرتان المقرونتان ببعضهما - فيتوارث الأحفاد عن الأسلاف أنهما كانا المكان الذى تلقى فيه الصحابى الجليل عمرو بن العاص رسالة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، يأمره بأن يرجع إن لم يكن قد دخل أرض مصر بعد ، وأن يمضى على بركة الله إن كان قد دخلها . فلما أكد له الصحابة أنهم قد أصبحوا داخل أرض مصر استأنف عمرو المسيرة على بركة الله ليفتحها عام ٦٤١ ميلادية .

تأثير طبيعة الأرض :

نظراً لاهمية منطقة رفح فقد أولتها القيادة الشرقية الأسبقية الثانية بعد منطقة أم قطف ، ولأن التشبث بهما كان يستدعى توفير عمق كافٍ للدفاع عنها ، وهو ما لم يكن حجم القوات المتيسرة يسمح به .

وقد أرغمت قلة قوات مجموعة اللواء الخامس المشاه العقيد جعفر العبد أن يقصر مواجهته على سلسلة تباب الخط الأول سالفة الذكر ، فيما بين البيوكى شرقاً والماسورة غرباً بطول ١٥ كيلومتراً ؛ مما أجبره على اتخاذ أسلوب الدفاع على مواجهة واسعة ، وتحويل التباب إلى جزر دفاعية ذات كفاية قتالية وإدارية ذاتية ، مع الاستعانة بحقول الألغام الوقائية لسد الثغرات بين تلك الجزر ، إلى جانب إقامة حقل ألغام تكتيكى لتغطية تلك المواجهة الواسعة ، ومنع العدو من تطويق الدفاعات من الجنوب ، غير أن قيمة هذا الحقل كانت ترتبط بقوة الحراسة التى تخصص لمراقبته ، وتوفر الاحتياطى المحلى القادر على التدخل

الفورى ضد العدو ، الذى يحاول اختراقه ، ولم يكن العقيد العبد يملك من القوات ما يستطيع به أن يوفر للحقل شيئًا من ذلك .

ولم يكن يغيب عن ذهن العقيد العبد أن الهيئات الأرضية المنتشرة شرق وجنوب منطقته الدفاعية توفر للعدو أماكن حشد واقتراب مستورة لمباغتة دفاعاته تحت جنح الظلام ، ولذلك فقد اهتم بتجهيز نيران مدفعيته الميدانية لتصلى العدو المقترب ناراً حامية أثناء فتحه للهجوم ، إما أماكن الحشد التى تقع خارج المدى . . فقد كان يأمل أن تتولى القوات الجوية أمرها .

ولم يدخر قادة الوحدات الفرعية جهداً فى تجهيز الدفاعات ، وتعميق الحفر والخنادق ، والاهتمام بالإخفاء والتمويه ، وإعداد المواقع التبادلية والهيكلية ، إلا أن وجود تلك الدفاعات على اتصال مباشر بالعدو ، جعل من المتعذر توفير الأمن والاستتار الكافى لها فضلاً عن استحالة إقامة نطاق أمن أمام الدفاعات ، يستطيع ستر الأنشطة التى تجرى فى المنطقة الدفاعية ، وإجبار العدو عندما يبدأ الهجوم على الفتح المبكر ، لتحديد اتجاه مجهوده الرئيسى توطئة لتركيز أكبر قدر من النيران الدفاعية عليه .

وكان العقيد العبد يميل إلى استبعاد قيام العدو بتطويق دفاعاته من الجنوب لطول المسافة ووعورة الأرض وقوة الدفاع على هذا الجانب ، ولهذا فقد ركز الأنظار على احتمال محاولة العدو قطع طريق رفح العريش ، الذى يعتبر شريان المواصلات الوحيد ، مع قيادة الفرقة الثالثة المتمركزة بالعريش .

خطة الدفاع : [1]

كان العقيد جعفر العبد على دراية واسعة بطبيعة المنطقة المكلّف بالدفاع عنها ، وبفضل كفاءته العالية . . إهتدى إلى أفضل الحلول بما هو متيسر له من قوات قليلة ، فى أن يركز جهوده فى جنوب وشرق رفح ، مع الاحتفاظ باحتياطى مناسب فى موقع المجرونتين فى الخلف .

كما اهتم بإقامة نظام محكم للمراقبة والإنذار على طول المواجهة ، ودفع نقط ملاحظة ثابتة نهاراً وداوريات استطلاع متحركة وكمائن ليلاً لتفتيش الأرض ، ومراقبة مستعمرات العدو ومحاور اقترابه المحتملة .

وتشكَّل العـقيـد العبـد للقتـال فـى نسـق واحـد ، واحتـيـاطى محلـى وقوة ساترة كـالآتـى : [٢]

النسق الأول :

ويضم مجموعة الكتيبة ١٤ المشاه قيادة المقدم عبد العزيز كامل ، وسرية من الكتيبة ١٥ المشاه فى المجهود الرئيسى على يسار الدفاعات ، بينما تحتل الكتيبة ٤٣ حرس حدود فلسطين عدا سرية الجانب الأيمن .

الاحتياطى :

ويـضم الكتيبة ١٥ المشاه ، عدا سرية قيادة المقدم أحمد عبـد السلام توفيق ، والأورطة الأولى المدرعة .

القوة الساترة :

وتضم سرية من الكتيبة ٤٣ حرس حدود فلسطين والأورطة الأولى سيارات الحدود .

ثم نظم العقيد العبد منطقته الدفاعـية فى موقع دفاعى من ثلاثة خنادق ، ومنطقة تمركز للاحتياطى المحلى فى المجرونتين - طويل الأمير ، كالآتى :

١ - اتخذ الموقع الدفاعى شكل النقط القوية بـالفصائل ، مع سيطرة قائد السرية على كل ثلاث فصائل متجاورة منها .

٢ - مر الحد الأمامى لـلدفاعات بالميول الأماميـة لتباب البيوكى وزراع ولطـفى والقبة وجوز أبوعودة وكرم إبن مصلح والماسورة .

٣ - وارتكز الخندق الثانى على النقط القوية بالفصائل الخلفية من السرايا الأمامية فيما بين تباب الجـنينه والأسرى وفتحى ، إلا أن هـذا الخندق لم يشكل خطـاً متصلاً يكفل العمق للخندق الأول ؛ نظراً لطبيعة الأرض التى لم تكن تسمح بذلك .

٤ - ومر الخندق الثـالث بمواقع السرايا الخلفـية فى خبرة العدس وأم عمـد والماكينة والصفيح والقشلاق والفنطاس .

٥ - وتمركز الاحتياطى المحلى بين المجرونتين وطوال الأمير .

واحتل الآلاى الخامس مدفعية الميدان قيادة المقدم حسين عوض على ، مرابضه فى معسكرات رفح لتغطية حقل الألغام التكتيكى بتجمعات نيران لمنع العدو من اختراقه ، ومعاونة نقط الإنذار والقتال التعطيلى جنوب رفح . كما كلف أيضاً بضرب تجمعات نيران على مناطق الفتح المحتملة للعدو ، وصد هجومه على الحد الأمامى بالغلالات الثابتة ؛ فإذا ما نجح العدو فى الاختراق كان على الآلاى معاونة الهجوم المضاد بكل إمكانياته النيرانية .

ونسقت البطارية ٩٥ المضادة للدبابات ذاتية الحركة نيرانها ؛ بهدف تدمير مدرعات العدو على طرق الاقتراب وخلال هجومها على الحد الأمامى ، مع الاستعداد لمعاونة الهجوم المضاد على مستوى الكتائب أو اللواء .

وقامت البطارية ١٧ المضادة للطائرات بتنسيق الدفاع عن الأهداف الحيوية بالمنطقة ، وقد خصت مرابض نيران المدفعية الميدانية بالأسبقية الاولى هى ، ومنطقة تمركز الاحتياطى المحلى ، ومركز قيادة مجموعة اللواء ٥ المشاه . كما تأهبت لتدمير العدو البرى إذا لم تكن هناك أهداف جوية تشغلها .

أما القوة الساترة فقد كلفت بمنع الاقتراب المفاجئ لقوات العدو من جهة الجنوب ، وتوفير الإنذار المبكر والقتال التعطيلى ضد أى قوة تتقدم على محور العجرة - رفح بالأسلوب الآتى :

١ - سرية المشاة من الكتيبة ٤٣ حرس حدود فلسطين ، وعليها حراسة حقل الألغام التكتيكى بوضع نقط إنذار داخلة وعلى حافته الخلفية ، مع تأمين موقع جوز « أبو رعد » كخط فتح لقوة الهجوم المضاد المحلى ، إذا ما دفعت للعمل على هذا الاتجاه .

٢ - الأورطة الأولى سيارات حدود وعليها تأمين نقطة تلاقى طريق العوجة - رفح مع خط الحدود الدولية بتروب سيارات ؛ لتوفير الإنذار المبكر عن تحركات العدو على الطريق ، مع تعطيل تقدمه بينما تقوم باقى الأورطة بتأمين حقل الألغام الخلفى مرتكزة على منطقة جوز « أبو رعد » ، وذلك بإنشاء ست نقط إنذار داخل وخارج ذلك الحقل .

وأكد العقيد العبد على قادة الكتائب المشاه ضرورة الاهتمام بالدوريات والكمائن ، مع استمرار تغيير مواقعها وتكليفها بتغطية الثغرات بين المنطقة الدفاعية للواء ٥ المشاه ، ودفاعات

الفرقة الثامنة الفلسطينية بقطاع غزة ، وكذا الثغرة الواقعة بين الكتيبة ١٤ ، والكتيبة ٤٣ حرس حدود فلسطين .

قوات العدو المكلفة بالهجوم(٣)

استعدت المجموعة ٧٧ عمليات قيادة الألوف حاييم لاسكوف ؛ للهجوم على محور رفح العريش ، وقد تضمنت مجموعة اللواء الأول الجولانى قيادة الألوف مشنيه بنيامين جيبلى ، ومجموعة اللواء ١١ المشاة قيادة الألوف مشنيه أهارون دورون ، ومجموعة اللواء ٢٧ المدرع قيادة الألوف مشنيه حاييم بارليف .

كما وضع تحت قيادة لاسكوف أيضًا مجموعة اللواء ١٢ المشاة ، المكلفة بالهجوم على قطاع غزة بقيادة الألوف مشنيه دافيد اليعازر.

وزودت مجموعة لاسكوف بست كتائب مدفعية ميدان ، وكتيبتى مدفعية متوسطة ، وكتيبة مهندسى اقتحام ، كما خصص لها مجهود جوى كبير خلال المراحل التالية للهجوم التى سوف تتم فى ضوء النهار .

وشكل لاسكوف مجموعته فى نسقين واحتياطى عام كالاتى :

١ - النسق الاول وقد ضم مجموعة اللواء الأول المشاة (الجولانى) ، وكتيبة ميكانيكية من مجموعة اللواء ٢٧ المدرع ، وسريتى دبابات ، وكتيبة مهندسى اقتحام .

٢ - النسق الثانى ، وقد ضم باقى مجموعة اللواء ٢٧ المدرع وسرية مهندسى اقتحام.

٣ - أما الاحتياطى العام فقد تشكل من مجموعة اللواء ١١ المشاة 0

الخطة التفصيلية للهجوم(٤)

رسم لاسكوف خطته للهجوم على رفح من ثلاثة اتجاهات متلاقية ؛ بحيث يلتف الاتجاه الأول حول الجانب الجنوبى للدفاعات فى المرحلة الأولى ، على أن تعقبها المرحلة الثانية التى تزحف خلالها القوات على الوسط والجناح الشمالى للمنطقة الدفاعية ؛ طبقًا للتوزيع التالى :

١ - الهجمة الجنوبية ، وتقوم بها كتبة مشاة محمولة من مجموعة اللواء الأول المشاة ، ومعها كتيبة مشاة ميكانيكية من نفس اللواء وسرية دبابات خفيفة أ . م إكس من مجموعة اللواء ٢٧ المدرع ، وسريتى مهندسى اقتحام .

٢ - الهجمة الوسطى ، وتقوم بها كتيبتا مشاة من مجموعة اللواء الأول المشاة ، وبعض العناصر من مهندسى الاقتحام وأسلحة الدعم .

٣ - الهجمة الشمالية وتقوم بها كتيبة مشاة ميكانيكية من اللواء ٢٧ المدرع ، وبعض العناصر من مهندسى الاقتحام وأسلحة الدعم .

وقسمت خطة الهجوم فى مرحلتين متتاليتين ، تبدأ الأولى بالهجوم فى الساعة الثامنة مساء ٣١ أكتوبر عقب انتهاء الضربة الجوية الأنجلوفرنسية مباشرة ؛ بهدف الاستيلاء على تقاطع الطرق المجاور للماسورة قبل انبلاج الفجر ، وتبدأ المرحلة الثانية فى الساعة الثانية ليلاً بعد تمهيد نيرانى من المدفعية الميدانية الإسرائيلية ومدافع الأسطول الفرنسى بهدف الاستيلاء على الأهداف الحيوية فى الشرق والجنوب ، ثم الالتقاء بقوات المرحلة الأولى عند الماسورة قبل أن ينبلج الفجر أيضًا .

ثم يستغل النجاح فى اتجاه العريش ، اعتبارًا من الساعة الخامسة والنصف فجر نوفمبر ١٩٥٦ .

ملخص المعركة : (١٥ ساعة فيما بين آخر ضوء يوم ٣١ اكتوبر ، وضحى يوم ١ نوفمبر) [٥] (انظر الخريطة رقم ١٠)

دارت معركة رفح تحت ظروف مضطربة لكثرة العوامل السياسية والعسكرية ، التى تدخلت فى مجرياتها ، والدرس القاسى الذى شغل أذهان ديان وسمحون ولاسكوف نتيجة فشل هجوم جولندا على « أبو عويقيلة » طيلة اليوم السابق ، والذى لم يكن قد لاحت أية بادرة لنجاحه حتى ذلك الوقت .

من أحكام القدر أنه بينما كانت قوات لاسكوف تستعد للهجوم الليلى على رفح ، كانت القيادة العامة المصرية تستعد لإصدار توجيهاتها بإيقاف القتال فى شبه جزيرة سيناء استعداداً لسحب كافة قواتها إلى غرب القناة ؛ لمواجهة خطر الغزو البحرى الأنجلوفرنسى ، الذى تحول بعد الضربة الجوية الأنجلوفرنسية من مجرد احتمال إلى شبة يقين

وبمجرد أن غربت الشمس ، بدأت قوات الهجمة الجنوبية تحركها الى خط الابتداء ، تتقدمها سريتا مهندسى الاقتحام اللتان وصلتا فى الساعة السابعة إلى حقل الألغام التكتيكى وبدأتا فى فتح الممرات الثلاثة المقررة ، فيما بين نقطتى المدفونة وإتلة الطايرة ، وخلال ذلك كانت الستارة المصرية قد اكتشفت هذه التحركات الإسرئيلية ، ووجهت ضدها نيران الرشاشات المتوسطة التى راحت توقع بها الخسائر .

ورغم اكتشاف الهجوم . . فقد ظلت القوات الإسرائيلية لاترد على النيران المصرية ؛ حتى لاتكشف عن مواقعها بدقة وهى متورطة داخل حقل الألغام ، الذى كان العقيد العبد يوليه عنايته الفائقة وقتذاك .

إلا أن التصنت على شبكات العدو اللاسلكية حدد أماكن العدو داخل حقل الألغام ، وتابع تحركاته داخل الممر الوحيد الذى نجح مهندسو الاقتحام فى شقه . وعلم العقيد العبد من الإشارات الملتقطة أن ثلاث سرايا قد دفعت خلال هذا الممر ؛ لتهاجم الاولى منها نقطة المدفونة ، والثانية إتلة الطايرة ، بينما كان على الثالثة -وهى المحمولة فى عربات نصف جنزير -أن تحمى الجانب البعيد للحقل وتؤمنه .



وكان على السرية الثالثة المحمولة
فى عربات نصف جنزير
أن تحمى الجانب البعيد لحقل الألغام

ووقع الهجوم الاول على إتلة الطايرة التى سقطت سريعًا ، بينما ظلت نقطة المدفونة تتمسك بمواقعها وتوجه نيران رشاشاتها ضد السرية المهاجمة حتى أجبرتها على التوقف . وبالغ قائد السرية فى وصف صعوبة المهمة ، وماتتعرض له قواته من نيران إلا أن قائد الكتيبة عنفه وشدد عليه الأمر بضرورة إنجاز مهمته ، واحتلال الهدف المحدد ، مهما صادف من صعوبات . ولم يجد قائد السرية الذى كان قد تخاذل وفقد أعصابه تماماً إلا أن يعمد إلى الكذب ، فراح يصف لقائد الكتيبة معركة وهمية ، ختمها بسقوط نقطة المدفونة بينما كان يرقد هو وجنوده داخل حقل الألغام إلى أن كشف ضوء الصباح الباكر حقيقة أمره .[٦] وما إن علم ديان بذلك حتى أمر بطرده من الخدمة العسكرية .

وفى العاشرة مساءً ، بدأت الهجمة الوسطى بتحرك كتيبة المشاه فى اتجاه تقاطع الطرق ؛ حيث دخلت حقل الألغام بعد مسيرة ساعة كاملة ، وراحت تسبر غوره بحذر شديد . ورغم الحيطة الزائدة فقد مرت عربة نقل جند فوق لغم مزقها شر ممزق ، ثم أعقبتها دبابة تحطم جنزيرها ، وسدت الممر الوحيد الذى طهره المهندسون فتوقفت الكتيبة عن التقدم ، بينما المدفعية المصرية تصلى حقل الألغام بنيرانها الحامية ، التى أصابت عدداً قليلاً من المركبات ساعدت النيران التى اندلعت فيها فى كشف المكان الدقيق للقوات الإسرائيلية فانصبت عليها حمم الجحيم من المواقع الدفاعية القريبة ....

وترك الجنود الإسرائيليون مركباتهم ليحتموا بالتضاريس الأرضية والشجيرات الصغيرة ، وفقد قائد الكتيبة الأمل فى عبور الحقل ، رغم أن الألوف مشنيه جيبلى قائد لواء الجولانى لم يقبل منه أى مبررات ، وأصر على مواصلة الزحف ، مهما كان الثمن للوصول إلى موقع الماسورة قبل أول ضوء[٧] .

وفى الوقت نفسه ، أصدر لاسكوف تعليماته للقوة المدرعة الموجودة بالخلف ، بأن تعاون فى اقتحام الدفاعات للوصول إلى تقاطع الطرق عند الماسورة ؛ فقامت بتخصيص عنصر مدرع لمعاونة الهجمتين الجنوبية والوسطى ، بينما إحتفظت بعنصر ثالث على استعداد لاستغلال النجاح حيثما يتحقق .

وتكرر الفشل فى فتح ثغرة جديدة بدلاً من الثغرة التى سدتها الدبابة العاطلة ، وراحت الخسائر تتكدس داخل الممر بينما العربات والناقلات السليمة ترتد وهى خالية من الجنود

الذين تبعثروا خلف التبات الأرضية والشجيرات وكتل الحشائش والكلأ هرباً من النيران المصرية[8] .

ولما عاود قائد الكتيبة الاقتراح بالانسحاب من الحقل صوناً للدماء التى تراق بلا طائل ، رفض جيبلى وبادر بالتوجه إلى مكان هذا القائد ؛ ليدرس موقفه على الطبيعة . ولما تبين له مدى تورط الكتيبة وسوء موقفها ، وافق على أن توقف هجومها مؤقتاً ، وتنتظر حتى نبدأ الهجمة الشمالية ؛ أملاً فى أن تخف نيران المدفعية على الممر المسدود فى حقل الألغام ، بما يتيح للهجمة الوسطى أن تستأنف هجومها نحو الماسورة .

الضربة الرئيسية [10]

عندما التقى عقربا الساعة عند الثانية عشرة من ليلة ٣١ أكتوبر / ١ نوفمبر ، كسرت المدفعية الإسرائيلية عملية الهجوم الصامت فجأة ، وراحت تمطر بنيرانها دفاعات رفح الشرقية والجنوبية فى البيوكى والشوكة والقبة بتركيز شديد . ثم انضم الطراد الفرنسى جورج ليجوس إلى نيران التمهيد ؛ فأطلقت مدافعه ذات العيار الكبير نيرانها فى الساعة الثانية صباحاً على معسكر رفح والدفاعات المجاورة له ، واستمرت تقصفها مدة نصف ساعة ، أطلقت خلالها ٤٠٠ قذيفة عيار ١٥٥ ملليمتراً . ورغماً عن المفاجأة التى حققها هذا الضرب .. فإن تأثيره الفعلى على الدفاعات كان ضئيلاً .

ولم تكد القذيفة الأخيرة تستقر وسط المعسكر دون أن تنفجر ، حتى بدأت أعداد كبيرة من المقاتلات القاذفة الغارة على الدفاعات ، تحت ضوء المشاعل التى ألقتها الطائرات القائدة فى نفس الوقت ، الذى توقفت فيه قوات الألوف لاسكوف أمام الدفاعات ، فى انتظار الأمر ببدء الضربة الرئيسية .

وحدث خطأ فظيع عندما انقضت تلك المقاتلات القاذفة على هذه القوات الصديقة المتوقفة داخل حقل الألغام فامطرتها بقنابلها . وإكتشف لاسكوف الخطأ ، فطلب وقف التمهيد الجوى فوراً ، وأعيدت الطائرات للشرق ؛ لتبدأ التمهيد مرة أخرى ضد الأهداف الصحيحة ، إلا أن هذا الارتباك تسبب فى تأخير ساعة "س" إلى الثالثة والنصف يوم ١ نوفمبر ، فضلاً عما أوقعه فى معنويات الجند الذين تعرضوا لتلك النيران الصديقة من اهتزاز .

اجتياح الدفاعات من الشرق والجنوب [١٠]

بدأ لاسكوف ضربته الرئيسية فى الساعة الثالثة والنصف فجراً ، واحتدم القتال الشديد بين الجانبين المتحاربين مدة أربع ساعات متصلة ، توالى فيها اجتياح المواقع الدفاعية الواحد تلو الآخر ، بعد مقاومة عنيفة ، سقط خلالها معظم أفراد أحد تلك المواقع شهداء ، بعد أن نفدت ذخيرتهم تماماً .

ودارت خلال هذه الساعات الأربع ثلاثة اشتباكات رئيسية على النحو التالى :

الاشتباك الأول فى موقع المحرمة - جوز « أبو عودة »[١١]

١ - تصدت سرية مشاه وفصيلة على مواجهة ١٢٠٠ متراً فى نسق واحد ، وبلا عمق دفاعى لهجوم كتيبة مشاه معززة بسرية ناحال ، بما ناهز الخمس سرايا ، تعاونها عناصر من مجموعة قتال مدرعة ، اجتازت خط الابتداء ساعة "س" تحت ستر نيران التمهيد من الطائرات والمدافع ، التى استمرت بتركيز شديد على التبتين لمدة عشر دقائق . وفى الثالثة والأربعين دقيقة انقضت القوة الإسرائيلية على تبة المحرمة من الشرق والجنوب ، فلما أصبحت داخل المرمى المؤثر فتحت عليها القوات المدافعة نيران الرشاشات والهاونات والأسلحة الصغيرة .

٢ - وفشلت القوات الإسرائيلية فى فتح ثغرة فى حقل الألغام الوقائى ، حول التبة بطوربيد البنجالور بينما نجح مهندسو الاقتحام فى قطع ممر فى الأسلاك الشائكة التى تحيط بالتبة ، فأمطرتها القوات المدافعة بنيرانها الغزيرة التى أجبرت المهاجمين على اتخاذ السواتر ، وقد عزم البعض منهم على النكوص خوفاً من الإبادة [١٢] .

٣ - وأخيراً نجح مهندسو الاقتحام فى الساعة الرابعة النصف فى تطهير ممر فى حقل الألغام الوقائى زحفت خلاله قوة الكتيبة ، وارتقت التبة ؛ حيث دار قتال متلاحم استمر نحو الساعة ، توقفت بعدها المقاومة ، بينما كان قرص الشمس يبزغ من جهة الشرق على فجر يوم ١ نوفمبر[١٣] .

٤ - وانضم من بقى حياً من جنود التبة المحرمة إلى إخوانهم ، بجوز « أبو عودة » ودبابات العدو تلاحقهم بنيرانها ، التى سرعان ما ركزتها على الهدف الجديد .

وبعد أن أعادت الكتيبة المشاة المهاجمة التنظيم ، تقدمت نحو جوز « أبو عودة » مستفيدة من خنادق المواصلات ، التى تربط الموقعين فوصلت إلى مؤخرة التبة لتهاجمها من الخلف [١٤] .

٥ - وحول المدافعون نيرانهم إلى الاتجاه الجديد ، إلا أن الكثرة غلبت الشجاعة ؛ فتوقفت المقاومة فى جوز « أبو عودة » حوالى الساعة السادسة صباحاً ، إلا أن قيادة اللواء الخامس المشاه لم تعلم الخبر حتى السابعة ؛ نظراً لاستشهاد معظم أفراد الموقع وانقطاع جميع أسلاك الهاتف .

الإشتباك الثانى فى موقع لطفى - الأسرى [١٥]

١ - تشابه هيكل الدفاع فى هذا الموقع بدفاعات المحرمة - جوز « أبو عودة » من حيث طول المواجهة ، التى ناهزت أيضاً ١٢٠٠ متراً ، وقلة القوات التى أجبرت قائد الموقع على تنظيمها فى نسق واحد واحتياطى .

٢ - ووقع الموقع تحت قوة هجوم تزيد على الكتيبة المشاه ، التى تعززها عناصر مدرعة ومهندسو الاقتحام السابق تخصيصهم للعمل مع قوات الهجمة الأولى فى العاشرة مساء . وكانت الخطة هذه المرة مشابهة أيضاً لخطة الهجوم على المحرمة - جوز « أبو عودة » من حيث البدء بتمهيد الطائرات والمدافع ؛ لستر عملية فتح الثغرات فى حقول الألغام الوقائية ؛ ليندفع منها الجنود وحاملات الأفراد المدرعة ؛ لتطويق الموقع من الجانبين ، ثم مواصلة الزحف إلى تبة الأسرى ؛ لاقتحامها من الخلف والأجناب ، بينما تقوم الدبابات بالضرب المباشر على أوكار النيران بالتبتين .

٣ - وفى الساعة الثالثة والنصف ، اجتازت الكتيبة المهاجمة خط الابتداء ؛ أى فى نفس الوقت الذى بدأت فيه كتيبة الأشتباك الأول هجومها . إلا أن بعد خط الابتداء مسافة كيلومترين عن تبة لطفى ، التى تبعد عن خط الهدنة بنحو كيلومتر استغرق من الكتيبة المهاجمة وقتاً طويلاً ، وتسبب فى أن تفقد الاتجاه الصحيح ، وتتبعثر عناصرها فى عدة اتجاهات ، وتشرد منها السرية الميكانيكية [١٦] .

٤ - وخلال هذا الارتباك ، ظل الجنود فوق تبة لطفى ، يتابعون العدو فى انتظار لحظة دخوله المرمى المؤثر . وبمجرد أن نجح قائد الكتيبة المهاجمة فى إعادة جمع قواته

ودفعها فى الأتجاه الصحيح ، انطلقت النيران المصرية من كافة الأسلحة والأعيرة فأوقعت فى المهاجمين عدة خسائر ، دفعت البعض إلى الارتداد للخلف .

٥ - إلا أن تلك النيران حددت للعدو تفصيلات الموقع ، فلما عاود قائد الكتيبة الهجوم ، وهو على ثقة كاملة من أهدافه ، ساعده ضوء الفجر على تحديد أجناب الدفاعات التى هاجمها بعد تحضير قصير .

٦ - ومع أول ضوء ١ نوفمبر وصلت المقاتلات القاذفة لتلقى النابالم ، بينما تكتسح الدبابات التبة بنيرانها ، والرشاشات تغطى أجنابها . وتحت ستر هذه النيران وحرائق النابالم ، تمكنت عناصر مهندس الاقتحام من تطهير ممر عند الطرف الشمالى للتبة ، نفذت منه المشاه المدعمة بالدبابات ؛ لتسيطر على الموقع بعد أن إستشهد أغلب أفراده [١٧] .

٧ - ولم يستطع قائد الكتيبة ١٤ المشاه الذى كان يتابع القتال من مركز قياته فوق تبة لطفى ، أن يصبر لأكثر من ذلك ؛ فأرسل فصيلة مشاه على حاملات أفراد مدرعة لتنجد الموقع الذى بدأ ينهار . وأندفعت الفصيلة من تبة الماكينة نحو تبة لطفى إلا أن دبابات العدو كانت لها بالمرصاد فأجبرتها على العودة من حيث أتت ، بعد أن دمرت ثلاث حمالات بما فيها من جنود . وكانت الساعة وقتئذ السابعة صباحًا ، عندما بدأ قائد الكتيبة التعزيز على تبة لطفى ، قبل أن يبدأ التعامل مع تبة الأسرى ، التى كانت محاطة بالعدو من كل اتجاه ، وقد أصبح يتمتع بحرية الحركة فى عمق الدفاعات دون عائق[١٨] .

٨ - واعتمادا على تلك المزايا ، قرر قائد الكتيبة الهجوم على تبة الأسرى بالدبابات وحاملات الأفراد المدرعة من الجانبين والمؤخرة . وبقى الجنود المدافعون فى أماكنهم يحاولون عبثًا وقف الموجات المتلاحقة التى تجتاح موقعهم ، إلا أن العدو أتم احتلال تبة الأسرى حوالى الساعة الثامنة صباحا ؛ فانفتح أمامه الطريق إلى خان يونس ومنطقة معسكر رفح[١٩] .

الاشتباك الثالث والأخير فى موقع البيوكى - زراع[٢٠]

١ - احتل بعض عناصر الحرس الوطنى الموقع الأمامى فى تبة البيوكى فى أقصى

الشرق ، بينما ركزت سرية مشاه دفاعاتها فى موقعى زارع والجنينة ، فاحتلت السرية عدا فصيلة زارع كنسق أول، بينما احتلت فصيلة المشاه الجنينة كنسق ثانٍ .

٢ - وفى مقابل تلك القوات القليلة والمواجهات المتسعة ، خصص الألوف مشنيه حاييم بارليف كتيبة مشاه ميكانيكية من مجموعة اللواء ٢٧ المدرع ، ودعمها بمجموعة قتال مدرعة لاستغلال النجاح نحو الماسورة ، بمجرد اختراق الموقع الدفاعى من المواجهة والجانب الجنوبى ؛ حيث تتولى كتيبة المشاه الميكانيكى تأمينه من اتجاه قطاع غزة .

٣ - وفى الساعة الثالثة وخمس وأربعين دقيقة ، اجتازت كتيبة المشاه الميكانيكية خط الأبتداء ، وبعد مسيرة ربع ساعة وهى على مسافة كيلومترين من البيوكى ، تمكنت نقطة ملاحظة المدفعية من اكتشافها ، وصوبت عليها النيران التى أنزلت بها بعض الخسائر .

٤ - وتوقفت الكتيبة وراحت المركبات تنتشر هنا وهناك ، بينما يحاول القائد إعادة تنظيمها ، وحصر خسائر التى أزعجه فقد قائد سرية وثلاثة من قادة الفصائل . وحوالى الخامسة فجرا ، أنهى القائد إعادة التنظيم فى مجموعتى مشاه ميكانيكى داخل حاملات أفراد مدرعه نصف جنزير ، وعززها بعدد من الدبابات ، ثم دفعها نحو موقع البيوكى ؛ حيث استعدت لاقتحامه من مسافة ٤٠٠ متر .

٥ - وقبل أن تبدأ الاقتحام ، أنصبت عليها نيران المدافع المضادة للدبابات ؛ فأصابت ثلاث دبابات وحاملة نصف جنزير إصابات مباشرة ، كما قتل قائد الكتيبة فتأخر الهجوم للمرة الثانية حتى الخامسة والنصف ، بينما تسكت المدافع عيار ١٠٦ ملليمتر المضادة للدبابات تبة زارع بقذائفها ، فتمكنت القوات المهاجمة من اكتساح الموقع وسقطت تبة البيوكى حوالى الساعة السادسة والنصف صباحًا [٢١] .

٦ - وبمجرد سقوط التبة اتخذها العدو قاعدة نيران لاقتحام تبة زارع ، التى ركز عليها قذائف المدفعية ونيران الرشاشات ، بينما راحت الطائرات تنقض عليها وتمطرها بالقنابل والنابالم ، حتى أحالتها إلى شعلة من النيران ، وصلت تحت سترها إلى السفح الشرقى لزارع توطئة لاجتياحها .

٧ - وكانت أنظار العقيد العبد تتابع القتال حول زارع ، الذى أقتنع أنه لم يعد أمامه فرصة للتشبث بالدفاعات تحت هذه الظروف القاسية، فأمر قائد التبة بالانسحاب. غير أن هذا القائد الباسل صمم على مواصلة القتال ، فدفع إليه العبد فصيلة مشاه . ولما شارفت ذخيرة المدافعين على النفاد ، نصح قائد فصيلة التعزيز قائد الموقع بالانسحاب ، الذى سرعان ما جاء تصديق العقيد العبد عليه ، مع عظيم تقديره لبطولة التى أبداها الموقع . وهكذا انتهى الاشتباك الثالث والأخير ، وتوقفت النيران حوالى الساعة الثامنة والنصف صباح ١ نوفمبر ١٩٥٦ .

٨ - ولما أبلغ العقيد العبد هذا الموقف للعميد القاضى بالعريش ، أمره بإخلاء الدفاعات الأمامية الباقية شرق رفح ، وإعادة تنظيم قواته على الخط العام المجرونتين - الماسورة - القبة - الجميزة ، فأصدر العبد أمره الإنذارى إلى مرؤوسيه للاستعداد لتنفيذ الخطة الجديدة [٢٢] .

لقاء فوق تبة المجرونتين [٢٣]

واستدعى العقيد العبد قائد الكتيبة ١٥ المشاه ، والآلاى الخامس مدفعية الميدان لعقد دراسة سريعة للموقف ، الذى وجدوه يتلخص فى الآتى :

١ - صعوبة إعادة التنظيم على الخط الجديد ، تحت سيطرة العدو الكاملة على سماء المعركة .

٢ - التفوق الساحق لقوات العدو ، مع انقطاع الأمل فى نجدة مجموعة اللواء الخامس بأى قوات إضافية .

٣ - نفاد الذخيرة وكثرة الخسائر فى الأفراد والأسلحة والمعدات ، وإسراف العدو فى استخدام النابالم .

٣ - تعرض خط الماسورة المجرونتين للاختراق ؛ لعدم توفر الوقت لتجهيزه هندسياً ، علاوة على إنهاك القوات المتيسرة للدفاع عنه .

٤ - ولما نقل العقيد العبد ملخص تلك الدراسة إلى العميد القاضى ، صادف ذلك قبولا منه نظرا لسابق استلامه توجيهات القيادة العامة ، بضرورة إخلاء سيناء ، وسرعة عودة قواتها إلى الضفة الغربية للقناة .

موقف قوات المجموعة ٧٧ عمليات فى صباح ١ نوفمبر(٢٤)

رغم إن خطة الألوف لاسكوف كانت تقضى باستغلال النجاح ، وانطلاق مجموعة لواء بارليف المدرعه نحو العريش ، بمجرد تأمين تقاطع طرق الماسورة ، إلا أن حالة الإنهاك التى كان عليها جنوده الذى قاتلوا طول الليل فى معارك ضارية ، وتحملوا خسائر كبيرة ، وقفت حائلاً دون ذلك .

وبناء على ذلك ، اكتفى بارليف بإعداد الكتيبة المدرعة الثالثة ، التى لم تشترك فى القتال لوجودها فى احتياطى اللواء ، وتجهيزها لاستغلال النجاح على امتداد الطريق المحاذى للضلع الشمالى لمعسكر رفح .

وفى الوقت نفسه ، صدرت الأوامر لمجموعة الكتيبة الثانيه المشاة ، وما بقى من سرية الدبابات التى تعزرها أن تبدأ تحركها شمالاً ، بعد أن استولت على جور « أبو رعد » على طريق العوجه - رفح ، لتحتل موقع الماسورة وتؤمنه (٢٥) .

وانتظمت تلك المجموعة وفى مقدمتها سرية إستطلاع مجموعة لواء الالوف مئيه جيبلى فى عرباتها الجيب ، وخلفها باقى الرتل الذى انتشر على جانبى الطريق الأسفلت ، وفى منتصفه سرية الدبابات ، تحمل فوق ظهورها سرية مشاه كاملة ، وإلى الخلف منها سرية المشاه الميكانيكية ، بينما انتظمت السريتان الميكانيكيتان الأخريان على الجانب الآخر للطريق .

وفى الساعة السابعة والنصف صباح الخميس ١ نوفمبر ، كانت أوضاع مجموعة عمليات لاسكوف فى منطقة رفح على النحو التالى : (٢٦)

١ - مجموعة قتال مدرعة وكتيبة مشاه ميكانيكية من مجموعة اللواء ٢٧ المدرع ، تقوم بتأمين منطقة زارع - خبرة العدس ، وطريق رفح - خان يونس من اتجاه قطاع غزة .

٢ - مجموعة كتيبتى مشاه من مجموعة اللواء الأول المشاه الجولانى ، ومعها مجموعة قتال مدرعة من مجموعة اللواء ٢٧ المدرع ، تحاول تعميق الاختراق فى مواجهة مواقع أم عمد ، وتبة ضرب النار ، وموقع البستان .

٣ – مجموعة قتال من مجموعة اللواء ٢٧ المدرع ، تنتظر قرب طريق خان يونس – رفح ، وهى على أهبة الاستعداد للتقدم إلى تقاطع الماسورة بموازاة الضلع الشمالى لمعسكر رفح ·

٤ – مجموعة كتيبة مشاه ميكانيكية من مجموعة اللواء الأول المشاه ، معززة بسرية دبابات ، تقترب من المواقع الدفاعية حول الماسورة ·

٥ – كتيبة المشاه الرابعة من مجموعة اللواء الأول المشاه ، تؤمن حقل الألغام التكتيكى ·

٦– مجموعة اللواء ١١ المشاه قيادة الألوف مشنيه اهارون دورون فى منطقة التجمع شرق رفح فى الاحتياطى العام لقوات لاسكوف ·

٧ – مجموعة اللواء ١٢ المشاه قيادة الألوف مشنيه دافيد اليعازر ، تستعد للزحف على قطاع غزة ·

انسحاب قوات مجموعة اللواء ٥ المشاه من رفح :(٢٧)

فى ضحى ١ نوفمبر ، كانت الكتيبة ٤٣ حرس حدود فلسطين لا تزال تتمسك بموقعها الدفاعى حول تقاطع الماسورة ، بينما تتقاطر باقى قوات مجموعة اللواء ٥ المشاه على المجرونتين استعداداً للانسحاب إلى العريش .

وبعد تبليغ كافة الوحدات المرؤوسة بقرار ودواعى الانسحاب ، قام العقيد العبد ومساعدوه بتنظيمه على الوجه التالى :

١ – تظل الكتيبة ٤٣ حرس حدود فلسطين متمسكة بدفاعاتها فى الماسورة ، وحتى موقع الفنطاس لستر انسحاب القوة الرئيسية لمجموعة اللواء إلى العريش ·

٢ – يتم الانسحاب على طريق الدرب السلطانى بحذاء ساحل البحر ، لاحتمال تعرض الطريق الأسفلتى إلى العريش لأعمال العدو البرية والجوية الكثيفة ·

٣ – يبدأ الانسحاب بالآلاى الخامس مدفعية الميدان ، ثم قيادة اللواء فالكتيبة ١٥ المشاه ، ثم الكتيبة ١٤ المشاه كمؤخرة · وقد أتمت القوات إخلاء رفح ، بينما العدو يشتبك بنيرانه الحامية ضد موقع الكتيبة ٤٣ حرس حدود فلسطين ، التى

كان لصمودها الفضل فى تعطيل العدو وإلحاق الخسائر به ، وتأخير استيلائه على التقاطع والمجرونتين ، حتى تم الانسحاب وفقًا للخطة الموضوعية .

٤ - وقبيل الظهر ظهرت طلائع الآى الميدان عند محطة الأبطال ، شرق بلدة العريش ، تعقبها باقى قوات مجموعة اللواء الذى تلقى قائدة أمرًا من قائد الفرقة بالتجميع فى المساعيد غرب العريش ، واحتلال منطقة دفاعية بها بالتعاون مع الكتيبة ٢٤٧ حرس حدود فلسطين ؛ لتأمين المستودعات الإدارية بتلك المنطقة .

٥ - ثم وصل أفراد الكتيبة ٤٣ حرس حدود فلسطين ، بعد أن أدوا المهمة الملقاة على عاتقهم على أفضل صورة [٢٨] .

التعليق

وقفت طبيعة الأرض المفتوحة وقلة القوات المتيسرة حائلاً بين العقيد جعفر العبد ، وتحقيق دفاع قوى عن منطقة رفح ، فيما بين العجرة جنوبًا والبحر المتوسط شمالاً ، والحدود السياسية وخط الهدنه شرقًا ، والشيخ زويد غربًا .

ومع أن المنطقة الصالحة للدفاع ترتكز على مجموعة الهيئات الأرضية المحيطة بمعسكر رفح . . فإنها كانت تشكل قوساً حول المنطقة ، يفتقر إلى العمق الذى يكفل للدفاع الاستقرار والإتزان . ونتيجة لذلك ، فقدت دفاعات رفح عنصراً مهمًا من عناصر الدفاع ، وهو العمق وتوفير المساحة الأرضية الضرورية للمناورة .

وبالنسبة لطول المحيط الخارجى للدفاعات ، لم تكن القوات المتيسرة للعقيد العبد تكفى لتحقيق الكثافات اللازمة ؛ حيث إنها لم تزد على ١/٥ كتيبة ، و٤ مدافع ميدان وهاون ، و٢ مدفع مضاد للدبابات فى كل كيلو متر من المواجهة ، إلى جانب افتقار القوات إلى خفة الحركة التى تعتبر حجر الزاوية فى الدفاع فى الأراضى الصحراوية ، وبالنسبة لاتساع الأراضى شرق رفح . . فقد كان الواجب تزويد العقيد العبد بمدفعية بعيدة المدى ؛ حتى يتمكن من السيطرة بالنيران على مناطق تجمع العدو فى كرم ابن سالم ، ومستعمرة نير أسحق ، وكذلك على نطاق الأمن وحقل الألغام التكتيكى .

وكان من المقرر تزويد العقيد جعفرالعبد ببطارية عيار ١٢٢ ملليمتراً ، إلا أنها لم تصله

حتى بدأ القتال ؛ مما وضع حملاً ثقيلاً على الآلاى الخامس مدفعية الميدان ، الذى أدار معركة النيران الرئيسية بكل جدارة واقتدار .

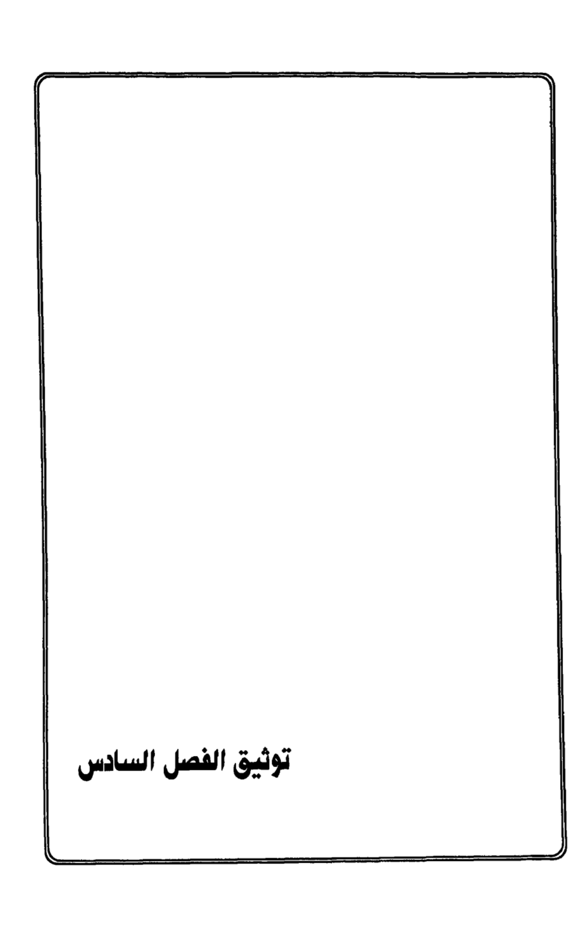
ورغم اتساع المنطقة الدفاعية وصلاحيتها لقتال المدرعات . . فإنه لم يتوفر للعقيد العبد سوى بطارية واحدة مضادة للدبابات ذاتية الحركة وأورطة دبابات واحدة .لم تكن كافية لمواجهة قوات لاسكوف المتفوقة فى العدد والنوع ، فضلاً عن تمتعها بالسيطرة الجوية التى تحولت نهار يوم ١ نوفمبر إلى سيادة جوية مطلقة .

وقد حرص الألوف لاسكوف على الحصول على النجاح بأقل جهد وخسائر ، وهى عقيدة ثابتة فى جيش إسرائيل ، ولهذا اهتم بحشد نيران كثيفة فى مرحلة التمهيد للهجوم ، مع صب أكبر قدر منها على المواقع المصرية ، قبل اقتحامها فى منتصف ليلة ٣١ أكتوبر / ١ نوفمبر ، وقد أضافت الغارات الجوية إلى هذا التمهيد كثافة نيران عالية ، مع الإفراط فى استخدام النابالم بهدف الفت فى معنويات المدافعين وتفتيت الدفاعات .

كما اهتم الألوف لاسكوف أيضاً بالمناورة بقواته ؛ لعزل وتطويق الدفاعات وهز اتزانها بالوصول إلى مؤخرتها ؛ حيث يقبض على تقاطعات الطرق الحيوية . وبفضل تلك المناورات المتكررة ، نجحت قواته فى اختراق دفاعات رفح من الشرق والجنوب الشرقى ، بعد دفاع مجيد من جنودها ، أوقع بالعدو خسائر كثيرة فى الأفراد والمعدات ، وكاد يدفعه إلى اليأس من جدوى مواصلة الهجوم .

ولم تكن كتيبة المشاه عدا سرية معززة بأورطة الدبابات ، تكفى للنهوض بمهام احتياطى المنطقة الدفاعية ، علاوة على افتقار المشاه إلى الحملة الميكانيكية أو ناقلات الجند المدرعة ؛ لتواجه اتساع المواجهة وتباعد الجزر الدفاعية عن بعضها البعض .

وبسقوط دفاعات رفح ضحى الأول من نوفمبر ١٩٥٦ ، تقرر مصير قطاع غزة الذى انعزل تماماً وأصبح جاهزاً للسقوط مثل الثمرة الناضجة .



توثيق الفصل السادس

(١) دار المحفوظات المركزية العسكرية : مجموعة وثائق حرب ١٩٥٦ ، الملف رقم ٣٧ ، رئاسة الفرقة ٣ المشاة ، العمليات / قيد / ٤/ ٣/ ٢/ ٥٦/ ١ .
وأيضًا : المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثي على مصر في خريف ١٩٥٦ ، الجزء الثاني ، الباب الثالث عشر ، ص ٣٢١-٣٢٣ .

(٢) المصدر نفسه : الملف رقم ٣٧ .
وأيضاً : المصدر نفسه : ص ٣٢٦-٣٢٣ .

(٣) المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ٢٢٣-٣٢٧ .
وأيضًا الحروب العربية الإسرائيلية ١٩٤٨-١٩٨٢ ، ص ١٥٣-١٥٥ .
وأيضًا : Op.Cit.: Elusive Victory, pp. 184.

(٤) Ibid, pp. 184–186.
وأيضًا : Op.Cit.: I.D.F. Campaigns, pp. 212–213.

(٥) المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثي على مصر في خريف ١٩٥٦ ، الجزء الثاني ، الباب الثالث عشر ، ص ٣٤١-٣٤٧ .
وأيضًا : Gabi, Hayim : I.D.F. In Three Campaigns (Tel Aviv, Sifre Gvurah, 1967), pp. 311–314.

(٦) دار المحفوظات المركزية العسكرية : سجل عمليات حرب ١٩٥٦ ، رقم القيد ١٠٣٦/ ٦٦٣ يومية الحرب الشرقية ، المدة من ٢٩/ ١٠ إلى ١٨/ ١١/ ١٩٥٦ ، المرفقات ١١٣ ورقة .
وأيضًا : Op.Cit.: Elusive Victory, pp. 187–188.
وأيضًا : المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ١٥٤-١٥٦ .

(٧) المصدر نفسه : ص ١٥٥ .
وأيضًا : Op.Cit.: Elusive Victory, pp. 187–188.
وأيضًا : Op.Cit.: The Twice Fought War, pp. 549–550.

(٨) المصدر السابق : سجل عمليات ١٩٥٦ ، يومية الحرب عن القيادة الشرقية .
وأيضًا : Gabi, Hayim : I.D.F. In Three Campaigns (Tel Aviv, Sifre Gvurah, 1967), pp. 317–331.

(٩) سخر الجنرال ديان من جدوى القصف البحرى ضد رفح بالأسطول الفرنسى قائلاً : « لقد تمخض الجبل فولد فأراً ، ولقد كانت نصف بطارية مدفعية إسرائيلية تستطيع أن تحقق نتائج أفضل منه بكثير » .
Op.Cit.: The Twice Fought War, pp. 548–554.
كما ذكر فى كتاب معركة سيناء فى الصفحة ١٥٤ أن هذا القصف البحرى كان خيبة أمل كبيرة .
وأيضًا : المصدر السابق : سجل عمليات حرب ١٩٥٦ ، يومية الحرب عن القيادة الشرقية .
وأيضًا : Op.Cit.: I.D.F. Campaigns, pp. 223–224.

(١٠) Op.Cit.: The Twice Fought War, pp. 548–549.
دار المحفوظات المركزية العسكرية : مجموعة وثائق حرب ١٩٥٦ ، عمليات الفرقة ٣ المشاة ، فى المدة من ٢٩ أكتوبر إلى ٢ نوفمبر ١٩٥٦ الملف رقم ٣٧ ، قيد ع/٣/٢/٥٦/١ .

(١١) Ibid, Same, Pages.
وأيضاً : المصدر نفسه – الصفحات نفسها .

(١٢) Ibid, Same, Pages.
وأيضاً : المصدر نفسه – الصفحات نفسها .
وأيضًا : Op.Cit.: Elusive Victory, pp. 186–188.

(١٣) دار المحفوظات المركزية العسكرية : الملف رقم ٣٧ ، قيدع/ ٣/ ٢/ ٥٦/ ١ .

(١٤) المصدر نفسه .

(١٥) Op.Cit.: Elusive Victory, pp. 186–188.

وأيضًا : المصدر السابق : الحروب العربية الإسرائيلية ١٩٤٨-١٩٨٢ ، ص ١٥٣-١٥٦ .

(١٦) المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ١٥٧-١٥٨ .

(١٧) دار المحفوظات المركزية العسكرية : الملف رقم ٣٧ ، قيد ع/ ٣/ ٢/ ١/٥٦ . وأيضًا :
De–Hadar, Mose Ofer, Yehuda : Israel Air Force, (Tel Aviv, Ministry of Defence Publications, 1971), pp. 127–128.

(١٨) دار المحفوظات المركزية العسكرية : الملف رقم ٣٧ ، قيد ع/ ٣/ ٢/ ١/٥٦ .

(١٩) المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، الجزء الثانى ، الباب الثالث عشر ، ص ٣٤٩-٣٦٨ .

(٢٠) المصدر نفسه - الصفحات نفسها .

(٢١) المصدر نفسه - الصفحات نفسها .

(٢٢) المصدر نفسه - الصفحات نفسها .

(٢٣) المصدر نفسه - الصفحات نفسها .

(٢٤) المصدر نفسه - الصفحات نفسها .

(٢٥) Op.Cit.: The Twice Fought War, pp. 549–551.

(٢٦) Op.Cit.: I.D.F. Campaigns, pp. 213–214.

وأيضًا : p.Cit.: Elusive Victory, pp. 187–188.

(٢٧) Op.Cit.: Elusive Victory, pp. 188–191.

وأيضًا : المصدر السابق : دار المحفوظات المركزية العسكرية : الملف رقم ٣٧ ، قيد ع/ ٣/ ٢/ ١/٥٦ .

(٢٨) المصدر نفسه .

وأيضاً : المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، الجزء الثانى ، الباب الثالث عشر ، ص ٣٦٦-٣٦٨ .

الباب الرابع

ظهرت الكانبرا ... فانكشف المستور

الفصل السابع : الضربة التى وحّدت الجبهة

الفصل الثامن : وسقط القطاع كالثمرة الناضجة

الفصل التاسع : الجحيم فى الجفجافة

الفصل العاشر : مدق المهالك ومعركة الشرم

الفصل السابع

الضربة التى وحـــدت الجبهة

مقدمــة - الــــضربـة الجويـة - اكــتشاف المؤامرة - توحيد الجبهة غرب القناة - إعــادة تنظيم الأوضـاع لتحقيق الاتـزان الاستراتيـجى للدفـاع - التعليق ٠

مقدمة :

فى السابعة مساء ٣١ أكتوبر ، وبعد انقضاء ٢٥ ساعة على صدور الإنذار الأنجلوفرنسى بوقف كافة الأعمـال القتالية وانسحاب القوات المـصرية والإسرائيلية إلى مسـافة عشرة أميال غرب وشرق الـقناة ، وبعـد أن مرّت ١٣ ساعة عـلى انتهـاء الزمن ، الذى حـدده الإنذار للانصياع لـه ، بدأت الطائرات الأنجلوفرنسيـة ضربتها الجوية المركزة ضد مـطارات وعناصر الدفاع الجوى المصرية[١] .

وكان الاتفاق طبقاً لبروتوكول سيفر ، يقضى بأن تتم هذه الضربة الجوية فى الصباح ، إلا ان مارشال الجو دنيس بارنيت استصوب تأجيلـها للمساء ، حيث لا تملك مصر طائرات مقاتله لـيلية تستطيع اعـتراض الطائرات الأنجلوفرنـسية ٠ وقد صدق الجنرال تشارلـز كيتلى القائد العام لقوات الغزو على هذا التأجيل ، الذى ملأ صدر بن جوريون بالشك بأن حليفيه قد نكصا عن أداء دورهما المتفق عليه فى بروتوكول سيفر طبقاً لعهود التواطؤ ، فاصدر أمره إلـى الجـنرال ديّان فى صباح ٣١ اكتوبر بوقف عمـلية قادش لغزو سيناء ، وسـحب جميع القوات الإسرائيلية داخل الحدود[٢] .

إلا ان ديآن كان اكثر ثقه من رئـيسه فى صدق عزيمة الحليفتين على الـقيام بدورهما فى

العدوان الثلاثى لما لهما من مصالح ذاتيه فيه ، ولهذا راح يماطل ويؤجل حتى وقعت الضربة الجوية الأنجلوفرنسية ، فاطلق العنان بعدها لقوات إسرائيل لتواصل الزحف ، ثم راح يستحث الألوف سمحونى ومرؤوسيه على مداومة الهجوم بكل شدّة ، وعلى جميع المحاور لدحر القوات المصرية ، ولسرعة الاستيلاء على شبه الجزيرة حتى مشارف قناة السويس غرباً ورأس محمد جنوباً [٣] .

ولقد ترتب على هذة الضربة الجوية الأنجلوفرنسية أن بدأت مرحلة جديدة من حرب العدوان الثلاثى على مصر ، تحول فيها اهتمام الزعامة السياسية والقيادة العسكرية المصرية من التركيز على الأعمال القتالية فى سيناء إلى الاستعداد لمواجهة الغزو البحرى الأنجلوفرنسى الذى لم يعد الرئيس عبدالناصر يشك فى قرب وقوعه[٤] .

وقد اختلف تأثير الضربة الجوية الأنجلوفرنسية على تصرفات وردود افعال العالم عامة ، والعرب ودول الحياد الإيجابى وعدم الانحيار على وجه الخصوص ؛ إذ ثار الضمير العالمى على تلك الدولتين الكبيرتين اللتين هبطتا إلى مستوى الاعتداء على دولة صغيرة لم ترتكب ما يبرر العدوان عليها ، عندما استعادت قناتها من يد الإمبريالية التى استغلتها لصالحها طيلة قرن من الزمان وحرمت مالكها الأصلى من ثمراتها وحقوق ملكيتها ؛ حتى صارت الشركة الفرنسيه التى تديرها دولة داخل الدولة . أما أستراليا ونيوزلنده وجنوب أفريقيا فكانت تصرفاتها فى الأمم المتحدة تكشف عن موافقتها على ذلك العدوان[٥] .

كما اختلفت الآراء أيضًا إزاء الإجراء الأمثل لمواجهة العدوان الأنجلوفرنسى ، بعد أن كشف عن أنيابه ، فكانت الغالبية العظمى من المصريين وراء الرئيس عبدالناصر الذى أعلن عزمه على الصمود والقتال حتى النهاية ، على نحو ما ظهر جلياً فى خطابه يوم الجمعة ٢ نوفمبر ١٩٥٦ من فوق منبر الجامع الأزهر الشريف ، عندما ردد وراءه شعب مصر عن بكرة أبيه القول : " لسوف نحارب وننتصر ونبنى بلداً وتاريخاً ومستقبلاً ، ولن نستسلم أبداً وفى صدورنا نفس يتردد "[٦] .

إلا أن القلّة الضئيلة كان لها رأى مخالف ؛ إذ اجتمع وفد من قدامى الساسة برئاسة وزير الداخلية السابق سليمان حافظ بحديقة مجلس الوزراء ؛ لينصحوا الرئيس عبدالناصر بالتسليم فرفض الاجتماع بهم وأنذرهم بالقبض عليهم إن لم يسارعوا بالانصراف فوراً[٧] .

وكان مثيراً للدهشة والأسى أن يتردد نفس الصدى بين فردين من مجلس قيادة الثورة المنحل ، بعد أن هرع أعضاؤه إلى مبنى القيادة العامة للقوات المسلحة ، عقب وقوع الضربة الجوية الأنجلوفرنسية ؛ حيث نصح الرائد صلاح سالم بأن يقوم الحاضرون بتسليم أنفسهم لسفير المملكة المتحدة بمصر ، السير همفرى تريفليان ، وأيّده اللواء محمد عبد الحكيم على عامر ؛ خشية أن يتعرض الشعب للأهوال والكوارث ، التى سوف يأتى بها الغزو البحرى الأنجلوفرنسى المتوقع ، إلا أن باقى الموجودين أعربوا عن اعتراضهم الشديد على تلك الروح الانهزامية التى لا مبرر لها ، وأكدوا أنه من الأشرف للجميع أن يبذلوا أرواحهم فى مقاومة المعتدين ، عن أن يلقوا سلاحهم ساعة الخطر ؛ فيجلبوا لأنفسهم الخزى والعار الذى يبقى أبد الدهر [٨] .

الضربة الجوية :

وجاءت غالبية الطائرات المغيرة من السلاح الجوى البريطانى ، تصحبها بعض الطائرات الفرنسية بما بلغ جملته ١٩ سرباً ، فركزت القاذفات القادمة من مطارات مالطه وقبرص موجتها الأولى على مطارات غرب القاهرة وأنشاص و « أبوصوير » وكبريت . وقبل أن ينتصف الليل كان الماريشال بارنيت قد أتم دفع ثلاث موجات من القاذفات ، ألقت قنابلها من الأنواع الطرقية والتأخير الزمنى التى ظلت تتفجّر تباعاً طول الليل [١٠] .

وقد استعانت طائرات الفاليانت ذات المحركات الأربعة القادمة من مالطة ، والكانبرا ذات المحركين القادمة من قبرص بالمشاعل المزودة بالمظلات التى ألقتها طائرات تحديد الممرات الجوية ؛ لتهيئ لتلك القاذفات فرصاً أفضل لإحكام تصويب قنابلها على أهدافها المنتخبة .

وعندما انبلج ضوء الصباح ، أقلعت الطائرات من فوق سطح الحاملات آلبيون وبولوارك ، وآرك رويال ، تصحبها المقاتلات القادمة من مطارات قبرص لحراستها ، وبمجرد أن وصلت فوق المطارات المصرية راحت تقذف الطائرات الموجودة حول الممرات بصواريخها ومدافعها وقنابلها ، والتى لم يكن قائد القوات الجوية والدفاع الجوى قد بذل الجهد الضرورى لوقايتها أو نشرها [١٢] .

ثم استمرت موجات الضربة الجوية تغير على الأهداف المصرية طيلة يومى ٢ ، ٣ نوفمبر ، بينما تعرضت قوات سيناء وهى ترتد نحو القناة لغارات جوية من الطائرات

الفرنسية المقاتلة القاذفة المتمركزة فى إسرائيل ، علاوة على المقاتلات القاذفة الإسرائيلية ، التى راحت تتعقب الأرتال المتحركة على طرق ومحاور سيناء ، وتمطرها بالقنابل وبخزانات النابالم التى أوقعت بها خسائر شديدة جداً (١٣) .

ونجحت إحدى الغارات فى تدمير هوائيات الإرسال الرئيسية بأبى زعبل ، قبل أن يلقى الرئيس عبدالناصر خطبته من فوق منبر الجامع الأزهر بساعة واحدة ظهر يوم الجمعة ٢ نوفمبر ، فتوقفت الإذاعة المصرية عن الإرسال ، لتنطلق إذاعة دمشق على الفور بالنداء " هنا القاهرة " على نحو ما سبق ذكره ٠

وبانتهاء يوم ٣ نوفمبر ، كتب الجنرال كيتلى فى سجل الحرب يقول إن مهمة شلّ وتدمير القوات الجوية المصرية قد تمت بنجاح ٠ وقد صدرت التوجيهات للمارشال الجوى بارنيت بتحويل غالبية المجهود الجوى الأنجلوفرنسى من ضرب المطارات وعناصر الدفاع الجوى المصرى إلى الأهداف العسكرية الأخرى (١٤) .

وكان اللواء محمد صدقى محمود قائد القوات الجوية قد أخطر القائد العام - فى الساعة السادسة صباح ١ نوفمبر - أن قواته لم تعد قادرة على مواصلة القتال ضد القوات الإسرائيلية فى سيناء ؛ نظراً لتدمير المطارات خلال الضربة الجوية الأنجلوفرنسية ، فضلاً عن وجود عدد كبير من القنابل الزمنية التى تعوق جماعات الاصلاح والنجدة عن العمل (١٥) .

وفى ضوء هذا الموقف ، أصدر القائد العام أمره فى السادسة وخمس وأربعين دقيقة صباحاً بوقف نشاط القوات الجوية المصرية ، وسرعة إخلاء المطارات ، ونقل ما بها من طائرات سليمة خارج الجمهورية ، مع إعطاء الأسبقية لإخلاء قاذفات القنابل الاليوشن - ٢٨ ومطارات منطقة القناة(١٦) .

وقد أرسلت الاليوشن إلى مطار الأقصر ، والميج إلى عدة مطارات خلفية ٠ ولم تكن نتائج الضرب الليلى حاسمه وإن نجح فى تعطيل العمل بأكثر المطارات ، إلاّ أن نسبة إصابة الطائرات حتى بزوغ الشمس كانت ضئيلة (١٧) .

ولكن المقاتلات القاذفة الأنجلوفرنسية سرعان ما جاءت لتضرب مطارات الماظه و«ابوصوير» وكبريت وفايد وغرب القاهرة وأنشاص ، وبلبيس المخصص للكلية الجوية ، ثم استمرت الطائرات تغير على تلك الأهداف طول النهار ، وبفواصل زمنية قصيرة ،

وقد تعرّض بعض تلك المطارات لأكثر من ٥٠ غارة فى ذلك النهار ، أصابت غالبية الطائرات الرابضة فيه [١٨] .

وفى نفس هذا اليوم ، هاجمت المقاتلات القاذفة الفرنسية بعض قطع الأسطول المصرى خارج ميناء الإسكندرية ، وفشلت فى إصابتها رغم استمرار قصفها لأكثر من ثلاث ساعات متواصلة [١٩] .

كما قامت بمهاجمة ناقلة الجند عكا داخل البحيرات المرة ، وفشلت فى اصابتها أيضًا[٢٠] .

وخلال ليلة ١ / ٢ نوفمبر عادت الكانبرا والفاليانت لمهاجمة القواعد الجوية والمطارات مرّة اخرى ؛ فقصفت مطار الأقصر ، دون أن تنجح فى إصابة القاذفات الاليوشن – ٢٨ الموجودة به [٢١] .

إلاّ أن غارات الصباح التالى أوقعت خسائر كبيرة فى تلك الطائرات ، وجعلت القواعد الجوية والمطارات غير صالحة للعمل لفترة طويلة من الزمن[٢٢] .

وحتى تلك اللحظة لم يكن العدو قد اهتدى بعد إلى مكان القاذفات الاليوشن التى كانت تستعد للإقلاع من مطار الأقصر للخارج ٠ ولكن ضعف الخدمة الأرضية ونقص الطيارين عطّل إقلاعها حتى صباح يوم ٣ نوفمبر ، عندما اكتشفتها الطائرات المعادية أخيراً فضربت القسم الأخير منها ، بينما كان ينتظر عودة الطيارين الذين أقلعوا بالقسم الأول إلى مطارات المملكة العربية السعودية فحطمت ١٨ طائرة اليوشن ، كانت تقف قرب الممر على أهبة الاستعداد للإقلاع [٢٣] .

ثم تحول المجهود الجوى الأنجلوفرنسى إلى ضرب أهداف جديده ، فركز الضرب اعتباراً من ظهر يوم ٣ نوفمبر على معسكرات القوات المسلحة فى الهاكستب والعباسية والماظه وغرب القاهرة ، رغم أنها كانت خالية من الوحدات المحاربة[٢٤] .

وقرب العصر قصفت الطائرات عقدة المواصلات الحديدية فى قرية نفيشه غرب الإسماعيلية لتشل حركة السكة الحديد فى منطقة القناة ٠ وخلال نفس اليوم ، نشطت طائرات الاستطلاع البريطانية فى التقاط الصور الجوية لرأس شاطئ الغزو المنتخب فى

بورسعيد ، كما بدأت منذ الصباح الباكر تركيز الغارات فوق المدينة ومرابض المدفعية الساحلية والمضادة للطائرات التى تدافع عنها[٢٥] .

وبانتهاء مرحلة التمهيد الجوى للغزو البحرى الأنجلوفرنسى مساء ٣ نوفمبر ، كتب الجنرال كيتلى فى سجل الحرب " إن مهمة شل وتدمير القوات الجويه المصريه قد تمت بنجاح ، ثم أصدر أوامره لمارشال الجو بارنيت لتحويل مجهوده الجوى من ضرب المطارات وعناصر الدفاع الجوى إلى الأهداف العسكرية الأخرى "[٢٦] .

وظل الماريشال بارنيت يطلق قاذفاته لضرب عقد المواصلات الحديدية والطرق البرية ، وأرتال المدرعات والمركبات ، ومرابض نيران المدفعيه ، والمعسكرات حول القاهرة ، ومنطقة القناة . وعندما أصدرت رئاسة الوزارة البريطانية أمرها بالاقتصار على القنابل زنة ٢٥٠ رطلاً فقط لتجنّب ايقاع الضرر الشديد بالمدنيين المصريين ، انصاع بارنيت على مضض ، بينما اعترض الجنرال هيوستوكويل القائد العام لقوات الغزو البرى ، قائلاً ... " انه ليس هناك مجال لمثل تلك العواطف ، عندما تكون رقبة المرء معرضة للقطع . "[٢٧] .

وكانت الموجة الأخيرة التى أطلقها بارنيت فى نهاية الضربة الجوية الأنجلوفرنسية ضد الإسكندرية لأغراض الخداع وجذب أنظار القيادة المصرية بعيداً عن شاطئ الغزو المنتخب ببورسعيد إلى منطقة الإسكندرية التى هاجمتها الطائرات الأنجلوفرنسية بشدة ليلة ٣ نوفمبر ؛ لتحقيق ذلك الغرض الخداعى المحض [٢٨] .

وقد زعم ماريشال الجو بارنيت أنه دمر ٢٦٠ طائرة مصرية وهى جاثمة على أرض المطار ، وهو عدد يزيد عما كانت تملكه مصر فعلاً ، علاوة على هو معروف من لجاح ما لايقل عن ٤٠ طائره فى الوصول سالمة إلى بعض مطارات الدول العربية الصديقة[٢٩] .

اكتشاف المؤامرة[٣٠]

صرح الرئيس عبدالناصر بعد العدوان الثلاثى بشهر أن الإنذار الأنجلوفرنسى ، وإن كان قد أثار دهشته وقلقه الشديد ، إلا أن بدء الضربة الجوية هى التى أقنعته بالتواطؤ الإسرائيلى الأنجلوفرنسى ؛ للقضاء على جيش مصر داخل الفخ الذى نصبوه له فى أعماق سيناء توطئة لإعادة احتلال البلاد ، بعد أن تكون قد فقدت الدرع الذى يحميها[٣١] .

ولهذا فقد عجّل بالتوجّه إلى مبنى القيادة العامة الذى وصله فى الساعة الثامنة مساء ٣١

أكتوبر ؛ ليجد القادة مجتمعين فى مؤتمر مشحون بالانفعالات ، وشرح لهم الرئيس عبدالناصر وجهة نظره ، التى كانت من الوضوح بما أقنع الجميع ؛ خاصة وقد كانت أصوات الانفجارات تدوى فى الآذان ، وضجيج الطائرات النفاثة يهز حوائط المبنى[٣٢] .

وتلخّص رأى الرئيس عبدالناصر الذى ذكره لأعضاء المؤتمر فى الآتى :[٣٣]

١ - إن ثمة أموراً عسكرية غير عادية تجرى فى مسرح الحرب ، منذ صباح ٣٠ أكتوبر ، ترجِّح الظن بأن إسرائيل ليست وحدها فى هذا العدوان .

٢ - إن أروقة مجلس الأمن والمجالس التشريعية بالمملكة المتحده وفرنسا ، تشهد أنشطة دبلوماسية غريبة تثير شكوك المتتبعين لها بشدة .

٣ - إن بعض القطع البحرية للأسطولين البريطانى والفرنسى قد اتخذت أوضاعاً على مشارف المياه الإقليمية لمصر ، تفصح عن قرب فرض حصار بحرى على سواحلها .

٤ - إن الإنذار الأنجلوفرنسى الذى صدر مساء الأمس يجافى أبسط قواعد المنطق السليم ، بدعوته إسرائيل المعتدية إلى التقدم نيف ومائتى كيلومتراً نحو القناه ، تحت زعم مفضوح بالرغبة فى حماية القناة من أخطار الصراع المسلح الدائر على مشارفها . ثم يزداد الإنذار عربدة بالتهديد بضرب مصر - المعتدى عليها - واحتلال جزء من أرضها - منطقة قناة السويس - حتى ولو قبلت ذلك الإنذار الجائر على حقوقها وكرامتها .

٥ - إن الأجهزة الأنجلوفرنسية جنَّدت جهدها لعرقلة أعمال مجلس الأمن ، الذى اجتمع بناءً على طلب مصر ؛ للنظر فى أمر العدوان الإسرائيلى عليها . وقد أظهرت تلك الأجهزة انحيازاً كاملاً بجانب إسرائيل ، وصل إلى حد استخدام حق الفيتو مرتين متتاليتين ؛ لشل المساعى الحميدة لمجلس الأمن لوقف الاعتداء الإسرائيلى السافر على مصر .

٦ - إن قيام المدمرة الفرنسية كيرسان باعتراض الفرقاطه إبراهيم الأول فجر اليوم فى عرض البحر والضرب عليها بالنيران ، دون أى استفزاز من جانب الفرقاطة ، يكشف عن وجود نوايا خبيثة فى جعبة فرنسا ضد مصر .

٧ - إن الحملات الدعائية الظالمة التى تطلقها أجهزة الإعلام الأنجلوفرنسية ضد مصر قد تجاوزت الحدود .

٨ - إن أجهزة المخابرات المصرية ومصادر المعلومات الدبلوماسية بالخارج ، ترجِّح اشتراك المملكة المتحدة وفرنسا فى عمل عدوانى تبدأه إسرائيل ضد مصر كذريعة للتدخُّل الأنجلوفرنسى .

وأجمعت الآراء على أن الموقف لم يعد يجيز استمرار دفع القوات المسلحة داخل اعماق سيناء ؛ حتى لا يحدث فراغ استراتيجى فى قلب الدولة ، كما وجدوا أيضًا أن الوضع العسكرى فى مسرح الحرب أصبح يستلزم سرعة إجراء تغيير حاسم لاستعادة الاتزان الإستراتيجى ، وتأمين منطقة قناة السويس ضد احتمالات الغزو ، لاسيما وأن تلك المنطقة لا تملك من القوات ما يكفى لمقابلة عملية حربية معادية كبرى .

وكان الحل العاجل هو نقل الجهد الرئيسى للقوات المسلحة إلى غرب القناة ؛ لتوحيد الجبهة المصرية هناك (٣٤) .

وكان ذلك هو نفس ما انتهى إليه تقدير الموقف الذى قام به أحد أفضل المفكرين العسكريين ، وهو العميد أركان حرب محمد حافظ إسماعيل ، رئيس أركان القيادة العربية المشتركة ، ومدير مكتب القائد العام للقوات المسلحة ، والذى ختمه بالخلاصة التالية(٣٥)

١ - إن الضربة الجوية الأنجلوفرنسية تهدف إلى انتزاع السيادة الجوية على سماء مصر .

٢ - إن العدوان الإسرائيلى يستهدف استدراج القوات المصرية الرئيسية داخل أعماق سيناء .

٣ - إن غزواً بحرياً أنجلوفرنسياً سوف ينزل على شاطئ بورسعيد ، ليجتاح ضفتى قناة السويس ، ويقطع جيش مصر فى سيناء عن قواعده بالوادى .

٤ - إن الموقف أصبح يتطلب إجراء سريعاً لنقل الجهد الرئيسى للقوات المسلحة إلى جبهة القناة .

توحيد الجبهة غرب القناة(٣٦)

وفى الساعة العاشرة مساء ٣١ أكتوبر انتهى اجتماع الرئيس عبد الناصر بالقادة العسكريين ، وأصدرت القيادة العامة توجيهات عمليات ، تلخصت فى الآتى :

١ - نقل المجهود الرئيسى للقوات المسلحة إلى غرب قناة السويس ، بهدف التمسك بمنطقة بورسعيد - الإسماعيلية - السويس ، على أن يتم ذلك قبل اول ضوء ٢ نوفمبر .

٢ - تخلى القوات المسلحة شبة جزيرة سيناء إخلاءً تاماً ، وتعود إلى الضفة الغربية للقناه ، كما تتخذ الإجراءات الفورية لسحب القوات التى تدافع عن قطاع غزه ورفح والعريش وشرم الشيخ والقوات المدرعة ، واحتياطيات القيادة الشرقية .

٣ - تنتقل الفرقة ٤ المدرعة والمجموعة الثانية المدرعة إلى غرب القناة ؛ لتوضع فى الاحتياطى الاستراتيجى للقوات المسلحة .

٤ - تقتصر أعمال الدفاع الجوى على المدفعية المضادة للطائرات وتدابير الدفاع الجوى السلبى .

٥ - تنقل الطائرات إلى المطارات الجنوبية ؛ توطئة لإخلائها إلى قواعد جوية صديقة خارج الجمهورية .

٦ - تقتصر أعمال القوات البحرية على تنظيم الدفاع الساحلى فى البحر المتوسط وخليج السويس ، مع القيام بدوريات استطلاع بحرى داخل المياه الإقليمية .

٧ - تنظِّم قوى النضال الشعبى المسلَّح تحت إشراف الجبهات والمناطق العسكرية ، وتركِّز جهودها للدفاع عن المدن والقرى لآخر طلقة .

وقد بدأ تنفيذ تلك التعليمات ، حيث راحت قوات سيناء تتخلَّص من القتال تحت أشد الظروف المعاكسة ، وترتد على طريقين معرضين تماماً لغارات العدو ، لاتتعدى سعة كل منها الرتل أو الرتلين على الأكثر ، وتحف بهما الكثبان والرمال الناعمة التى لا تصلح للسير عبرها ، وتكثر بالطريق المضايق وأعناق الزجاجة التى تعتبر أرض قتل مثالية لطائرات العدو ، فإذا ما نجحت فى الوصول إلى القناة فلن تجد سوى كوبرى واحد وبعض المعديات القليلة ؛ لتعبر إلى الضفة الغربية ، وهى شديدة التعرض للغرق داخل القناة بفعل قنابل العدو .

وكانت أبرز نقاط الضعف فى عملية إخلاء شبه جزيرة سيناء من القوات المسلحة الآتى : [٣٧]

١ - عدم توفر جماعات النسف المدربة على تدمير المستودعات الرئيسية فى مناطق الميدان والبردويل ووادى غـزال ؛ مما تركها لقـمة سـائغـة للعدو بما فيها من مخزونات كثيرة ٠

٢ - ضعـف ضبط وربط التـحركات على طـريقى الانسحـاب وخاصة عند المـضايق والمعابر ؛ مما كان له تـأثير شديد على تدفق التحركات غـرباً ، وتسبب فى وقوع خسائر كثيرة فى الأفراد والأسلحة والمعدات دون داعٍ ٠

٣ - إهمال بعض القادة تنظيم انسحاب قواتهم ؛ طبقاً للأسلوب المعتمد ، وترك القليل منهم وحداته ، وانطلق نحو الإسماعيلـية أو القاهرة منفرداً ، أو مع بطانته الأثيرة لديه ؛ مما ترك الجنود فى حالة ارتباك وشعور بالضياع ٠

٤ - عدم استغلال ساعات الـظلام على الوجه الاكمل فى تنفيـذ تحركات الإنسحاب ؛ بهدف الحد من الخسائر المترتبة على الغارات الجوية إلى أقل قدر ممكن ، وكان كل ذلك بمثابـة الجرثومة التى ظـل يستفحل ضـررها ، حتى صارت وباءً فـى جولة صيف ١٩٦٧ ، قضى على الأخضر واليابس ٠

أمَّا حاميـات قطاع غزة ، ومنـطقة خليـج العقبة ، فقـد حالت الاعتبـارت السياسيـة والطبوغرافيـة دون سحبهـا ؛ فظلت فى أماكنهـا حتى وقـع أغلبهـا فـى الأسـر ٠

إعادة تنظيم الأوضاع لتحقيق الاتزان الاستراتيجى للدفاع[٣٨]

استعداداً لانتقال قوات سـيناء إلى غرب القناة ، أعيد تقسيم القـطاعات الدفاعية داخل المثلث الحيوى بورسعيد - السويس - العبـاسة ، وجهِّزت الخطط لاحتلال الدفاعات لمقابلة الغزو البحرى المنتظر ، والتحمت قوى النـضال الوطنى بقوات الجيش ، وأخذت منطقة قناة السويس تتطور بسرعة كبيرة ، بهدف تحقيق الاتزان الإستراتيجى للدفاع عنها ٠

وفى الساعة السادسـة من صباح يوم ٤ نوفمـبر ، استقرت أوضاع الجبهـة الجديدة على امتداد قناة السويس ، على الوضع التالى :

١ - تركيز الـدفاع عن المدن والهيئـات الحيوية وليس فـى العراء ، مع توفير الـكفايه الذاتية القتـالية والإدارية لكل مدينة أو هيـئة حيوية ؛ لتصبح جزيـره دفاعية قادرة على المقاومـة لمدة طويلة ، مع تزويدها بعـناصر هجومية ، تستطـيع شن الأعمال الهجومية المفاجئة ليلاً لشغل العدو، وإيقاع أكبر قدر من الخسائر بقواته ومعداته ٠

٢ - وقد قسمت جبهة القناة إلى قطاعين رئيسيين ، اشتمل الشمالى منهما على المنطقة الممتدة من بورسعيد حتى قرية فايد (داخل) ، بينما اشتمل القطاع الجنوبى على المنطقة من فايد (خارج) حتى بير عديب (داخل) .

٣ - كما جهِّز قطاع فرعى فى منطقة العباسة بمؤخرة الجبهة ؛ لمنع العدو من التقدم نحو القاهرة ، والعمل كقاعدة للدوريات بعيدة المدى فى اتجاه الإسماعيلية أو المطرية حسبما تسنح الفرصة .

٤ - واحتشدت حول القاهرة الفرقة الرابعة المدرعة ، والفرقتان الثانية والثالثة المشاه ، ووحدات من جيش التحرير الوطنى ، وقوات النضال الشعبى .

٥ - وانتقلت القيادة الشرقية من الإسماعيلية إلى الزقازيق خلف خط الدفاع الثانى ، كما أخليت القاعدة البريطانية بالتل الكبير من الأسلحة والمعدات ، ليتسلح بها جنود القوات المسلحة وقوى النضال الشعبى؛ لمقابلة العدوان ودحره بأسلحته [٣٩].

التعليق :

وقع فى ليلة الأحداث الجسيمة هذه حدثان كبيران ، هما الضربة الجوية الأنجلوفرنسية وقرار توحيد الجبهة المصرية غرب القناة ، وإذا كان الحدث الأول قد تأخر كثيراً عن موعده المعتاد الذى يستهل به المهاجم هجومه ، قبل أن يدفع قواته البرية إلى المعركة ، وذلك بسبب إصرار الزعامة السياسية الأنجلوفرنسية على إخفاء التواطؤ والامتناع عن المشاركة السافرة فى العدوان ؛ حتى تخلق القيادة الإسرائيلية له الذريعة . . فإن الحدث الثانى - توحيد الجبهة - جاء فى وقته تماماً بفضل نجاح الزعامة المصرية فى كشف التواطؤ بمجرد سقوط القذيفة الأولى من الطائرات الأنجلوفرنسية على المطارات ، ومبادرتها إلى الاجتماع الفورى بالقيادة العسكرية لإصدار القرارات الصحيحة لمواجهة الموقف .

والواقع أن قرار توحيد الجبهة غرب القناة أنقذ قوات سيناء من موقف بالغ الخطر ، فيما لو استمرت فى مواقعها حتى نزول قوات الغزو الأنجلوفرنسى ، وقطعها خط الرجعة على تلك القوات على امتداد قناة السويس ؛ الأمر الذى لو تحقق كما كانت تأمل خطة العدوان لأصبحت عاصمة الدولة مفتوحة أمام قوات الغزو لتحتلها وقتما تشاء ، فضلاً عما كان سوف يترتب على انقطاع قوات سيناء عن قواعدها بالدلتا من أخطار جسيمة .

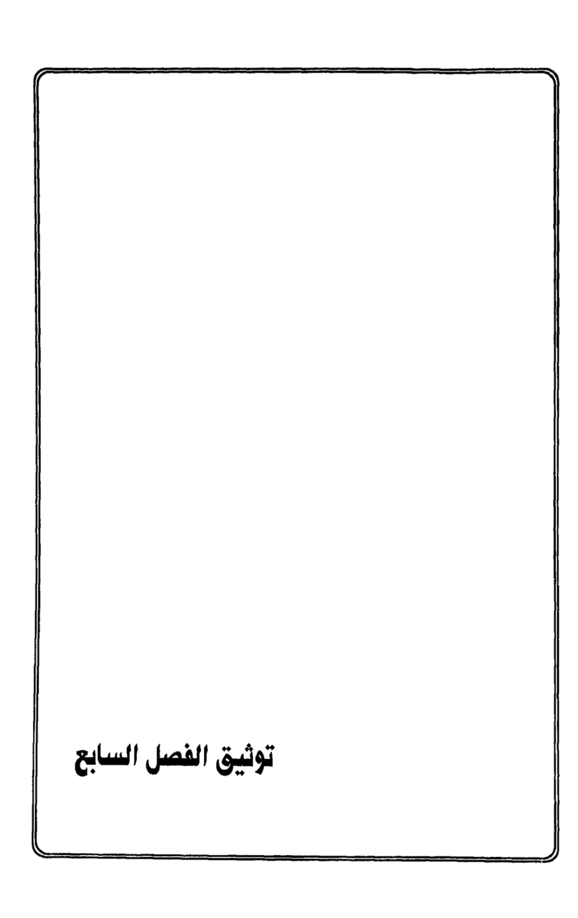
إلا أن سحب قوات سيناء وقطاع غزة لم يكن قراراً هيناً على الزعامة الساسية أو القيادة العسكرية ، رغم ضرورته وظروفه الملحة :

١ - ففى المحيط الدولى وعلى الصعيد العربى ، كان قراراً شاقاً على رئيس الدولة أن يتخلى عن قطعة من أرض الوطن ، ويترك قطاعاً عزيزاً على قلب كل عربى من تراب فلسطين .

٢ - وفى الإطار العسكرى لم يكن الانسحاب سهلاً من سيناء ، والقوات فى تلاحم مباشر مع العدو الذى يملك السيادة الجوية الخالصة فى سماء المسرح ؛ حيث تضطر القوات المنسحبة إلى الالتزام بالطرق القليلة وعبور المضايق الكثيرة ، التى تعتبر أرض قتل مثالية ، تستطيع قوات العدو أن تنزل بها أفدح الخسائر .

وزاد من خطورة مشكلة الإنسحاب ما عمدت إليه قلة من قادة الوحدات بترك جنودهم والتعجيل بالعودة إلى الإسماعيلية والقاهرة ، على خلاف ما يقضى به العرف العسكرى بأن يلتصق القادة والضباط بجنودهم وقت الشدائد ، وأن يكونوا المثل الطيب لهم فى ضبط النفس ، ومواجهة الخطر بقلب مؤمن .

ولا تكتمل الصورة دون إلقاء الضوء على منطقة بورسعيد ؛ حيث توقع الجميع حدوث الغزو البحرى الذى عندما وقع فعلاً كشف عن أن قوات الحامية التى حشدت لمواجهته كانت صغيرة الحجم قليلة الكفاءة القتالية ، فضلاً عن أن التجهيزات الهندسية والموانع الشاطئية كادت أن تكون معدومة ، كما لم تجهَّز المدينة لاستمرار الصمود إذا ما نجح العدو فى احتلال مرافقها الحيوية ، رغم أنها كانت بالغة التعرُّض للاقتحام الجوى الرأسى أو التدمير بسفن أساطيل الغزو وطائراته ، على نحو ما كشفت عنه الأحداث .



توثيق الفصل السابع

(١) Op.Cit.: The Suez Expedition 1956, pp. 95–96.

. وأيضًا : Op.Cit.: Elusive Victory, pp. 180.

(٢) المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ١١٧ .

وأيضًا : Op.Cit.: Elusive Victory, pp. 180.

وأيضًا : Op.Cit.: Warriors At Suez, p. 382.

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٢١ وأيضاً ١٣٦ ، ١٣٧ .

وأيضًا : Ibid, p. 179.

(٤) المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، ص ٢٢ - ٢٨ .

(٥) فوزى ، الدكتور محمود : حرب السويس ١٩٥٦ ، (القاهرة : دار الشروق ، ١٩٨٧) ، ص ١٠٤-١٠٧ .

وأيضًا : المصدر السابق : ملفات السويس ، ص ٥٤٦-٥٤٧ .

وأيضًا : Op.Cit.: The Twice Fought War, pp. 564.

وأيضًا : Op.Cit.: The Story of Suez, pp. 131–134.

(٦) جريدة الأهرام القاهرية ، عدد يوم السبت ٣ نوفمبر ١٩٥٦ ، خطبة الرئيس عبد الناصر بالأزهر الشريف .

وأيضًا : مجموعة خطب الرئيس عبد الناصر ، خطاب يوم ٢ نوفمبر ١٩٥٦ .

(٧) المصدر السابق : ملفات السويس ، ص ٥٤٥ .

وأيضًا : المصدر السابق : مذكرات البغدادى (الجزء الأول) ، ص ٣٤٥-٣٤٧ .

وأيضًا : حمروش ، أحمد : مصر والعسكريون - المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت ، الجزء الثانى ١٩٧٥) ، ص ١٠٦ .

(٨) المصدر السابق : مذكرات البغدادى ، ص ٣٤٤-٣٤٥ .

(٩) المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، الجزء الثانى ، المجلد الثانى ، ١١١-١١٣ .

وأيضًا : Op.Cit.: The Twice Fought War, pp. 525–527.

(١٠) المصدر نفسه – الصفحات نفسها .

Ibid, Same, Pages.

وأيضًا : Op.Cit.: Warriors At Suez, p. 393.

(١١) المصدر نفسه – الصفحات نفسها .

Ibid, Same, Pages.

Ibid, Same, Pages.

(١٢) المصدر السابق : محفوظات إدارة القضاء العسكرى ، قضية الطيران ، مسلسل ١٢ ، الملف الفرعى ٢٥١/١/٤٩/٦٨ .

(١٣) المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، الجزء الثانى ، المجلد الثانى ، ١١١ .

وأيضًا : Op.Cit.: The Twice Fought War, pp. 527–530.

وأيضًا : Op.Cit.: Elusive Victory, pp. 180.

(١٤) Op.Cit.: The Twice Fought War, pp. 530.

(١٥) المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، الجزء الثانى ، المجلد الثانى ، ١١١ .

(١٦) المصدر نفسه – ص ١١١-١١٢ .

(١٧) المصدر نفسه – ص ١١٢ .

(١٨) المصدر نفسه – الصفحات نفسها .

وأيضًا : Op.Cit.: The Twice Fought War, pp. 528–530.

(١٩) المصدر نفسه – ص ١١٢ .

(٢٠) المصدر نفسه – الصفحات نفسها .

وأيضًا : Op.Cit.: The Twice Fought War, pp. 528.

(٢١) المصدر نفسه - الصفحات نفسها .

(٢٢) المصدر نفسه - الصفحات نفسها .

وأيضًا : Op.Cit.: The Twice Fought War, pp. 528.

(٢٣) المصدر نفسه - ص ١١٣ .

(٢٤) المصدر نفسه - الصفحات نفسها .

(٢٥) المصدر نفسه - الصفحات نفسها .

(٢٦) Op.Cit.: The Twice Fought War, pp. 528.

(٢٧) Ibid, p. 530.

(٢٨) Ibid, p. 530.

(٢٩) المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، الجزء الثانى ، المجلد الثانى ، ١١٣ .

(٣٠) المصدر السابق : ملفات السويس ، ص ٥٣٣ .

(٣١) Op.Cit.: The Twice Fought War, pp. 531.

(٣٢) المصدر السابق : ملفات السويس ، ص ٥٣٤ .

وأيضًا : Op.Cit.: The Twice Fought War, pp. 531.

(٣٣) نفس المصدر : ص ٥٣٤-٥٣٥ .

Ibid, Same, Pages.

(٣٤) المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثى علـى مصر فى خريف ١٩٥٦ ، توحيد الجبهة المصـرية غرب الـقناة ، الجزء الـثانى ، المجـلد الأول ، ص ٢٨-٢٩ (نص الـقرار موجود فى مجموعة الملاحق) .

(٣٥) المصدر الـسابق ، دار المحفوظـات المركزية العسـكرية ، الملف رقـم ٢١١٢/١ الموقف العسكرى فى شرق البحر المتوسط ، أميرالاى محمد حافظ إسماعيل .

(٣٦) نص هذه التوجيهات موجود فى مجموعة الملاحق .
وأيضًا : المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، الجزء الثانى ، المجلد الأول ، ص ٢٨-٢٩ .

(٣٧) المصدر نفسه ، ص ٣١ .

(٣٨) المصدر نفسه ، ص ٣١-٣٢ .

(٣٩) المصدر نفسه ، ص ٣٢ .

الفصل الثامن

وسقط القطاع كالثمرة الناضجة

مقدمة - معارك قطاع غزة - طبوغرافيــة الارض - اوضاع القوات بالقطاع - خطة الهجوم الإسرائيلية - ملخص معركة غزة - ملخص معركة خان يونس - التعليق .

مقدمة :

لم يكن فى مسرح الحرب ليلة ٣١ أكتوبر / ١ نوفمبر من هو أسعد من الجنرال موشيه ديّان ؛ إذ تحققت كل أمانيــه على أكمل صورة . فالقوات الأنجلوفرنــسية قد بدأت الحرب ، وقد صرف دافيد بن جوريــون النظر عن الأمر الذى أصدره فى الصباح بــوقف القتال وعودة القوات إلى إسرائيل ، وقد تحطمت الطائرات المصرية أو رحلت خارج المسرح ، والأساطيل تقتــرب حثيثاً من شــاطىء الغزو ، وقد أجــبرت القوات المصــرية فى المحور الجنوبــى على الانسحاب مــن الكونتلا والتمد ونخل ، بينــما الألوف مشنيه شارون يستعد لاجتياح مضيق متلا .

وإلى جانب تــلك الصورة المشرقة .. فقد كانت المجموعة ٣٨ عمليات فى طريقها إلى إحكــام حلقة الحصار حول دفاعات أم قطف ، والمجموعة ٧٧ عمليات تهاجم بنجاح دفاعات رفح تحت ستر نيران الطراد جورج ليجوس الصديق ، وباقى جبهات الطوق العربى فى هدوء تام ، يفتح له المجال لتركيز الفكر والجهد كله على القتال الدائر فى سيناء .

وعاد إلى ذهنه ماسبق أن ضربه مثلا لمرؤوســيه ، عندما كشف لهم عن خطة "قادش" الهجوميــة ، خــلال اجتماعه بقــسم العمليات بالأركــان العامة الساعة الثانــية عصر يوم ٢٥ أكتوبر ، فشــبهّ دور جيش إسرائيل فى العــدوان القادم " براكب الدرجة الذى يــصعد التل

ممسكاً بالعربة التى تصعد أمامه ، ولذلك فإن كل ما يمكن عمله بعد الهجوم الجوى الأنجلوفرنسى ينبغى ألاّ نتعجل القيام به قبل ذلك[1] .

ولما كانت تلك الضربة الجوية قد وقعت الليلة ، فلم يعد ما يمنع راكب الدراجة من أن ينطلق بها حيثما يشاء طبقاً للخطة المرسومة .

معارك قطاع غزة

طبوغرافية الأرض (٢)

١ - كأنما اصطبغ ثرى فلسطين باللون الأحمر لكثرة ما أريق عليه من دماء الجيوش ، التى اصطرعت فوقه فى معارك دامية منذ فجر التاريخ ففيما بين حملة تحوتمس الثالث فى مطلع القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، وحملة الجنرال اللنبى فى مطلع القرن العشرين ، لم تهنأ فلسطين بفترة سلام تزيد على النصف قرن . ثم إنها كانت البلد الوحيد الذى توالى ظهور واختفاء القبائل والهجرات فيه بأعداد ضخمة . ويؤكد السيرفلاندرر باترى شيخ علماء الآثار أن من يحفر بئراً فى فلسطين سوف يصطدم حتماً بثلاث عشرة حضارة غابرة .

٢ - وقطاع غزة الذى تبلغ مساحته ٣٨٠ كيلومتراً مربعاً ، عبارة عن شريط ساحلى ضيّق يحدّه من الشمال والشرق خط الهدنة ، ومن الجنوب الحدود المصرية ، ومن الغرب البحر المتوسط ويتراوح عرضة بين ٥ , ١٠ كيلو مترات ، وتنتشر به الكثبان الرملية قرب ساحل البحر ، تليها أرض منبسطة غنية بحدائق البرتقال والفاكهة التى تحيط بها أسوار التين الشوكى الكثيفة ، وتدور حولها المدقات والدروب المتعرجة الضيقه بما يجعلها أشبه بأرض البوكيج فى إقليم الفلاندرز .

٣ - ويخترق القطاع من الشرق إلى الغرب عدد من الوديان الصغيرة والعميقة التى تتدفق فيها السيول فجأة فى الشتاء ، كما تنتشر القرى فى السهل الممتد على أجناب الطريق الإسفلتى ، الذى يخترق القطاع من الجنوب حتى الشمال .

أوضاع القوات بالقطاع [3]

١ - لم تكن اتفاقية رودس عام ١٩٤٩ تسمح بغير الهاونات والأسلحة الخفيفة فى

القطاع[٤] . ولهذا فـقد شكلت الفـرقة الثامنة حـرس حدود فلسطين فـى إبريل ١٩٥٦ ، تحت قيـادة اللـواء يوسف عبـدالله العجـرودى من اللوائين ٨٦ قيـادة العقيد عـلـى البورينى ، و ٨٧ حرس حدود فلسطين قيادة العـقيد حسن حمدى ، واللواء ٢٦ حـرس وطنى قيادة المـقدم جمال الديـن على ، وعدة بطـاريات هاون ومدافع خفيفة مضادة للطائرات ، وبعض المدافع الساحلية ، وعناصر الهجانة .

٢ - وقسم القطاع إلى منطقتين دفاعيتين على النحو التالى :[٥]

(أ) منطقة غزة - دير البـلح فى الشمال ، حيث تمـركز اللواء ٢٦ حـرس وطنى فى جزيرتى غزة ودير البلح الدفاعيتين ، وفتح مركز قيادته داخل مدينة غزة .

(ب) منطقة خان يونس الدفاعية ، حـيث تمركز اللواء ٨٦ حـرس حدود فلسطين ، وفتح مركز قيادته بين الدرب السلطانى والسكة الحديد شمال بلدة خان يونس .

خطة الهجوم الإسرائيلية

١ - انقطعت السبـل بقطاع غزة بعد استيلاء الألوف لاسكـوف على دفاعات رفح بما جعل هجوم الألوف مشنـيه أهرون دورون عليه بمجمـوعة اللواء ١١ المـشاه أسهل مهمة قتالية فى معارك العدوان الثلاثى قاطبة .

٢ - فالقطاع الذى يناهز طوله من الـشمال للجنوب ٤٥ كيلومـتراً ومتوسط عرضه ٧ كيلو مترات يجعل اختراقه وتقسيـمه إلى شرائح عملاً سهلاً ، خاصة وأنه محروم من الأسلحة الثقيلة والمدرعات بحكم اتفاقية رودس سالفة الذكر

٣ - فإذا أضفنا إلى ما سـبق التأثير النفسى لما كان يحدث فـى محاور سيناء الأخرى وقتئذ ، ومـا ترتّب على الضربـة الجوية الانجلوفرنسـيه من تدمير الـغطاء الجوى المصرى ، لأدركنا حقيـقة المستوى المعنوى لهؤلاء الجنود ، الذيـن التفت حولهم قوات الأعداء من كل اتجاه بما فـيه البحر ؛ حيث ربضت السفن الحربـية الفرنسية تضرب رفـح بمدافعها الثـقيله تحت بصـرهم وتأسر الـسـفينة إبراهيـم الأول على مشارف المياه الإقليمية.

٤ - وقد اشتملت خطة دوررون الهجومية على ثلاث مراحل كالآتى :[٦]

(أ) المرحلة التمهيدية يومى ٣١ أكتوبر و١ نوفمبر ، ويتم خلالها عزل قطاع غزة من جهة الجنوب ؛ لمنع التجاء قوات مجموعة اللواء ٥ المشاة اليه .

(ب) المرحلة الأولى يوم ٢ نوفمبر ، ويتم خلالها الاستيلاء على مدينة غزة بالهجوم عليها بحركة تطويق من الجنوب والشمال بمجموعة اللواء ١١ المشاة المعّزز بالدبابات ، بينما تقوم مجموعة اللواء الأول المشاة الجولانى بتثبيت دفاعات خان يونس من جهة الجنوب .

(جـ) المرحلة الثانية والأخيرة يوم ٣ نوفمبر ، ويتم خلالها استغلال النجاح بالزحف من غزة نحو الجنوب ، واجتياح خان يونس بالتعاون مع هجوم ثانوى بقوات رفح من الجنوب .

ملخص معركة غزة (١٢,٥ ساعة فيما بين الساعة الواحدة بعد منتصف ليلة ١ / ٢ نوفمبر . والساعة الواحدة والنصف من بعد ظهر يوم ٢ نوفمبر)[٧]

بدأ العدو نشاطه الجوى فوق قطاع غزة صباح يوم ١ نوفمبر ؛ حيث راحت طائرات الموستانج تقصفه بعنف ، وتلقى عليه منشورات تدعو أهله إلى التسليم ؛ حتى لايتعرضوا للقتل وتدمير الممتلكات ، كما أشتعلت عدة نيران بالبلدة ، وقد تمكنت المدفعية المضادة للطائرات من إسقاط طائرتين وإسر احد طياريها [٨] .

وفى نفس الوقت ، كانت مجموعة اللواء ٥ المشاة قد أخلت دفاعات رفح ، وارتدت إلى العريش فتم عزل قطاع غزة ومحاصرته .

وبغروب الشمس وجهت مدفعية مجموعة اللواء ١١ المشاه نيرانها على مواقع غزة ، واستمرت تقصفها حتى الواحدة من صباح ٢ نوفمبر ، بينما كان الألوف مشنيه دوررون بفتح قواته للهجوم [٩] .

ومع أول ضوء ، ابلغ الرائد حسين مهدى قائد بطارية المدفعية الساحلية بساحل غزة عن وجود ١١ سفينة حربية أمام القطاع ، منها ٣ سفن بريطانية ، ومثلها فرنسية ، ومثلها إسرائيلية وسفينتين أمريكيتين ، طلبتا إجلاء الأجانب بالقطاع ، عن طريق مكتب هدنة

غزة ، ثم جاءت طائرات إسرائيل لتبدأ مع مدفعية الميدان ضرب النيران التمهيدية للهجوم ، التى استمرت بكثافة شديدة حتى السادسة صباحاً ، تقدمت على إثرها مجموعة قتال مدرعة للالتفاف حول موقع شاكر لمهاجمته من الجنب . ولما فتح الموقع نيرانه ، تحولت مجموعة القتال المدرع نحو موقع على المنطار ؛ بهدف الوصول إلى طريق غزة رفح وقطعه (١٠) .

إلاّ إنها اصطدمت بموقع أبو فريح الذى تحتله سرية حرس وطنى من ٦٥ فرد وقاذفين مضادين للدبابات ، وقد نجح هذا الموقع فى تدمير دبابتين وعربة نصف جنزير ، فضلاً عن إيقاف الهجوم .

وفى نفس اللحظة تقدمت مجموعة الكتيبة الأولى المشاة من اللواء ١١ فى عربات مدنية ؛ لتستغل نجاح مجموعة القتال المدرعة ، إلا أنها ظلت تنتظر ذلك لمدة ساعتين ، عندما تمكنت الدبابات من اقتحام موقع « أبو فريح » حوالى الساعة الثامنة صباحاً ، بعد أن استشهد كل أفراده عدا ستة من الجرحى الأحياء (١١) .

وتقدمت المشاه فى عرباتها المدنية ؛ حيث ترجلت عند هذه المنطقة ، لتهاجم موقع شاكر من الخلف تحت ستر نيران الدبابات . وواصلت الدبابات الزحف ؛ لتهاجم موقع حامد المحتل بسرية حرس وطنى من ٦٠ فرداً ، فنجحت فى اقتحامه من الحركة ، ووصلت إلى محطة سكة حديد غزة حوالى التاسعة صباحاً .

واستمرت مجموعة الكتيبة الأولى المشاة تهاجم موقع شاكر من الخلف ، بينما المدفعية تصب عليه نيرانها الكثيفة ؛ حتى تمكنت من اقتحامه والتقدم نحو على المنطار مباشرة(١٢) .

وبوصول دبابات مجموعة القتال المدرعة إلى مدخل غزة ، أمر قائد الدفاع عن المدينة بالاستعداد للقتال من منزل إلى منزل ، مع تكثيف الدفاع فى شارع عمر المختار ودار الحكومة(١٣) .

وحاول العدو دفع داورية مدرعة داخل المدينة ، فلما اقتربت من مقر الحاكم العام ، أصيبت دبابتين واضطرت الداورية للرجوع من حيث أتت .

وفى الساعة الثامنة والنصف ، بدأت مجموعة الكتيبة الثانيه المشاه الزحف بحذاء مستعمرة دمرة لمهاجمة موقعى همام والكاشف . وتمكنت من تدمير مدافع الهاون الموجودة فى موقع الكاشف بنيرانها ، ثم الاندفاع بين الموقعين للانضمام إلى القوة المتجهة نحو محطة

السكة الحديد . وفى طريقها إلى المحطة اقتحمت مقر قيادة الدفاع عن مدينة غزة فى موقع المزّينى ، وفتحت الطريق الرئيسى إلى داخل المدينة [١٤] .

فى الساعة العاشرة صباحاً ، توجه المقدم بايارد كبير مراقبى الهدنة لمقابلة الألوف مشنيه دورون لوقف قصف المدينة حفاظاً على أرواح الأهالى المدنيين ، وعاد بايارد لينقل تهديد دورون إلى الحاكم الإدارى العام اللواء محمد فؤاد الدجوى بأن القوات الإسرائيلية والأسطول الفرنسى سوف يدكان المدينة بالقذائف حتى لا يتركا فيها حجر ، على حجر مالم يبادر الحاكم العام بتسليم المدينة عن طريق مراقبى الهدنة[١٥] .



اللواء محمد فؤاد الدجوى
الحاكم الإدارى العام لقطاع غزة

وباستشارة قائد الدفاع عن المدينة رفض تسليمها ، دون أمر من اللواء العجرودى قائد الفرقة الثامنة حرس حدود فلسطين . وبعد عدة محاولات ، أمكن الاتصال بالعجرودى الذى وافق على تسليم المدينة ، التى دخلتها قوات دورون فى الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر ؛ حيث احتلت مقر الحاكم الإدارى العام ودور الحكومة ، وأعلنت حظر التجول والأحكام العرفية .

ملخص معركة خان يونس[١٦] (١٠,٥ ساعة فيما بين الساعة الحادية عشرة ليلة ٢ / ٣ نوفمبر والساعة التاسعة صباح يوم ٣)

أصبحت خان يونس بعد سقوط غزة بعد ظهر يوم ٢ نوفمبر ، محاصرة من جميع الاتجاهات ، وكان العدو قد قصف مركز قيادة الفرقة الثامنة حرس حدود فلسطين بالبلدة ، التى لم يكن بها مدفع واحد مضاد للطائرات ؛ مما جعل طائرات العدو توالى قصفها من ارتفاع منخفض فتشتعل بها الحرائق وتهدم المبانى . وكان اللواء يوسف عبد الله العجرودى قائد الفرقة ٨ حرس حدود فلسطين ، قد عقد مؤتمراً فى الساعة السابعة والنصف من صباح ٢ نوفمبر فى مركز قيادته بخان يونس ، شرح فيه الموقف الحقيقى لمرؤوسيه ، ثم أعلن عن عزمه على الدفاع والصمود حتى آخر طلقة ، وقد وافقه جميع مرؤوسيه على ذلك ، وتواعدوا على القتال حتى النهاية[١٧] .

وقبل منتصف ليلة ٢ / ٣ نوفمبر بنحو ساعة ، أطبقت دبابات العدو على البلدة من جهة الشمال فاشتبكت معها المواقع الدفاعية ، وتمكنت من تدمير دبابة واحدة وعربتين نصف جنزير . وبفضل الألغام المبعثرة التى زرعها المدافعون عن البلدة على الطريق الأسفلتى ، لم يستطع العدو مواصلة الزحف فحول اتجاهه نحو التبة ٨٦ ذات الشهرة الكبيرة فى معارك حرب فلسطين ؛ حيث أبدى اللواء محمد نجيب و الرائد أحمد فتحى عبد الغنى بطل هذه المعركة من ضروب الشجاعة ما استحقا به الثناء العظيم .

غير أنه لم يكن هناك على التبة هذه المرة من يصمد فى وجه الهجوم مثلما صمد نجيب وعبد الغنى ، إذ سرعان ما احتلها العدو حوالى منتصف الليل ؛ ليتخذها قاعدة الهجوم على بلدة خان يونس ، التى راح يمطرها بمدافعه وهاوناته .

وفى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ، استطاع العدو أن يفتح ثغرة فى دفاعات البلدة الأمامية ، وتمكن من اجتياح موقع كافور ، وثم أعقبه بفتح ثغرة ثانية من إتجاه رفح .

وفى الساعة الرابعة صباحاً ، انطلق العدو داخل دفاعات البلدة عن طريق الدرب السلطانى والشارع الرئيسى ؛ حيث أمكنه التغلب على نقطة قوية من فصيلة مدعمة بمدفع واحد مضاد للدبابات عيار ٦ رطل ، سرعان ما أزاحها عن طريقة ، واندفع نحو قيادة الفرقة الثامنة فوصلها فى الرابعة والنصف فجراً .

ولم يكن بهذه القيادة سوى اللواء العجرودى وبعض ضباطه وجنوده ، الذين ظلوا يقاومون عدة ساعات ؛ حتى وقعوا جميعاً فى الأسر فى الساعة التاسعة والنصف من صباح ٣ نوفمبر (١٨) .

وباستيلاء قوات دوورن على مركز قيادة العجرودى ، تتابع انهيار الدفاعات ، وإن ظل الأهالى يقاومون ببسالة داخل البلدة ، وفى حواجز التين الشوكى فلم يتمكن دوورن من إحكام قبضته عليها حتى صباح ٧ نوفمبر .

وكانت هذه المقاومة الباسلة سبباً فى قيام العدو بالانتقام من الأهالى ، وقتل بعض الجنود والمدنيين الأسرى بطريقة وحشية (١٩) .

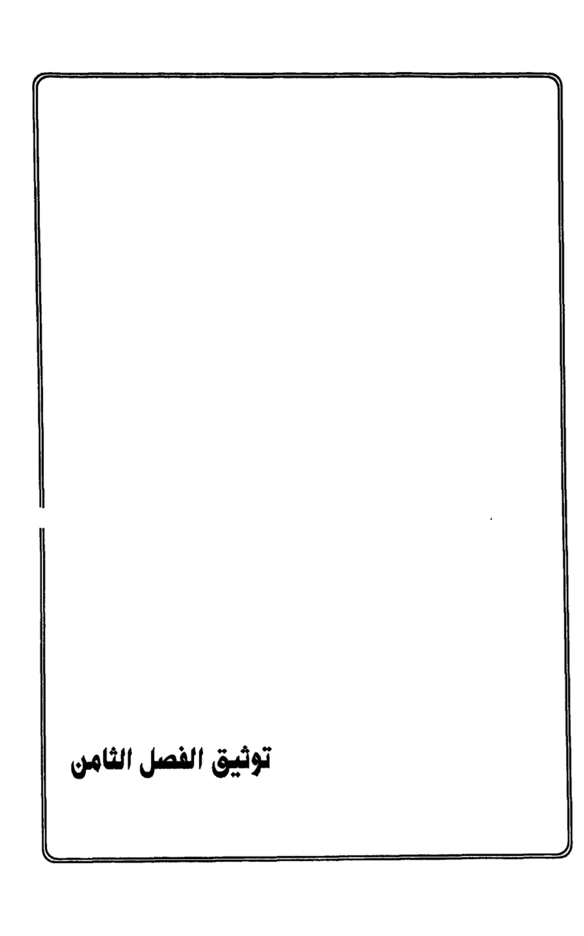
التعليق :

إلى جانب الطبيعة الطبوغرافية للقطاع التى لاتساعد على إحكام الدفاع عنه أو توفير العمق للقيام بالهجمات المضاده بالقوات والنيران ، فقد كانت القوات المكلفة بالدفاع عنه قليله العدد ضعيفة التدريب ، تفتقر إلى العنصر المدرع والأسلحة الثقيلة ، نزولاً على أحكام اتفاقية رودس .

وزاد موقف القطاع حرجاً سقوط دفاعات رفح وتدمير طائرات مصر ؛ مما وفر للعدو سماءً لا يشاركه فيها أحد . فإذا أضفنا إلى كل ما سبق طول مواجهات المواقع الدفاعية ، التى تجاوزت ٢٠ كيلومتراً بالنسبة للواء ٨٦ حرس حدود فلسطين ؛ المسؤول عن تأمين جزيرة خان يونس الدفاعية ، ومنع العدو من اختراقها أو التسلل بين مواقعها الدفاعية ، وكذا مواجهة اللواء ٢٦ حرس وطنى التى لا تقل عنها ، وقد كان مسئولا عن تأمين جزيرة غزة - ودير البلح الدفاعية ؛ لأدركنا الوضع البالغ الحرج الذى وجد اللواء العجرودى نفسه مسؤلا عنه ، دون أن تتوفر له بارقة أمل فى الصمود .

إلاَّ أنه ربما كان من الأوفق الاعتماد على الكمائن والأعمال الفدائية ومناورات الضرب والهرب بدرجة أكبر ؛ لإلحاق خسائر أشد بالعدو وإطالة أمد الدفاع عن القطاع الذى كان سقوطة فى نهاية المطاف مثل الثمرة الناضجة على الشجرة أمر لا يختلف فيه اثنان .

ورغم ذلك ، فلم يعدم القطاع من المدافعين من أبلى بلاءً حسناً وأبدى شجاعة وشهامه كانت محل التقدير والإعجاب ، وعلى رأسهم قائد الفرقة الثامنة ، وذلك الموقع الذى سقط أغلب أفراده شـهداء على مشارف مديـنة غزة ، قبل أن يتمكـن العدو بحكم تفـوقه العددى والنوعى الساحق أن يجتاحه وكذلك أهالى بلدة خان يونس الشجعان .



توثيق الفصل الثامن

(١) المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ٨٨ .

(٢) المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، ص ٣٩١ .

وأيضًا : Op.Cit.: Elusive Victory, pp. 191.

وأيضاً : Op.Cit.: The Twice Fought War, p. 552.

حيث يذكر المؤلف أن مرجع التاريخ الرسمى الإسرائيلى عن معارك سيناء ، فى خريف ١٩٥٦ ، وصف قطاع غزة بأنه الأرض التى يصعب الدفاع عنها ؛ حيث تخلو من الهيئات الحيوية التى تحقق استقرار واتزان الدفاع .

(٣) دار المحفوظات المركزية العسكرية ، وثائق حرب ١٩٥٦ ، الملف رقم ٣٠ ، خريطة أوضاع قوات الفرقة ٨ ، حرس حدود فلسطين .

(٤) جامعة الدول العربية ، الإدارة العامة لشئون فلسطين : الوثائق الرئيسية فى قضية فلسطين ، المجموعة الثانية ، ١٩٤٧-١٩٤٩ ، الوثيقة رقم ٣٦ ، اتفاق الهدنة العامة بين مصر وإسرائيل بتاريخ ٢٤ فبراير ١٩٤٩ ، باللغتين العربية والانجليزية ، الملحق رقم ٣ ص ٥٠٨ .

(٥) المصدر السابق : دار المحفوظات المركزية العسكرية ، وثائق حرب ١٩٥٦ ، الملف رقم ٣٠ ، خريطة أوضاع قوات الفرقة ٨ ، حرس حدود فلسطين .

(٦) المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ١٧٦ .

أيضًا المصدر السابق : الحروب العربية الإسرائيلية ١٩٤٨-١٩٨٢ ، ص ١٥٣-١٥٥ .

وأيضًا : Op.Cit.: Elusive Victory, pp. 191–192.

وأيضاً : Op.Cit.: The Twice Fought War, p. 551–552.

(٧) المصدر السابق : دار المحفوظات المركزية العسكرية ، وثائق حرب ١٩٥٦ ، ملخص الحوادث عن عمليات القطاع المصرى بفلسطين ، الملف رقم ٣٠ .

(٨) Op.Cit.: The Twice Fought War, p. 551.

وأيضًا المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، الجزء الثانى ، ص ٣٩٧ ،.وقد ذكر فى هذا المرجع أنه أسقطت طائرتان وليست طائرة واحدة ، وذلك خلال يوم واحد نوفمبر .

(٩) المصدر السابق : دار المحفوظات المركزية العسكرية ، وثائق حرب ١٩٥٦ ، ملخص الحوادث عن عمليات القطاع المصرى بفلسطين ، الملف رقم ٣٠ .

وأيضًا : Op.Cit.: Elusive Victory, pp. 191.

(١٠) المصدر نفسه .

وأيضاً : Op.Cit.: The Twice Fought War, p. 551–552.

(١١) المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، ص ٣٩٧ – ٤٠٠ .

(١٢) يزعم الجنرال دايان فى كتابه يوميات معركة سيناء بالصفحة ١٧٦ أن تل على المنطار حسب النصوص المقدسة ، هو الجبل الذى رفع شمشون إليه أبواب المدينة ، وإن كان الغالب تاريخياً أن شمشون كان يقطن بلدة شكيم المعروفة حالياً بنابلس ، والتى أخذت اسمها من الإمبراطور الرومانى نيرون وهو المقطع الأول من اسم المدينة ، أما بوليس فتعنى باللغة الرومانية البلدة .

(١٣) المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، ص ٣٩٧ – ٤٠٠ .

المصدر السابق : دار المحفوظات المركزية العسكرية ، وثائق حرب ١٩٥٦ ، ملخص الحوادث عن عمليات القطاع المصرى بفلسطين ، الملف رقم ٣٠ .

وأيضاً : Op.Cit.: The Twice Fought War, p. 552.

(١٤) المصدر نفسه : نفس الصفحات .

Ibid, Same page.

المصدر السابق : دار المحفوظات المركزية العسكرية ، وثائق حرب ١٩٥٦ ، ملخص الحوادث عن عمليات القطاع المصرى بفلسطين ، الملف رقم ٣٠ .

(١٥) Burns, E.L.M., Lietenant General : Between Arab and Israel, (Beirut, The Institute for Palestinian Studies, 1969), pp. 183–184.

وقد ذكر كينيت لوف فى كتابه The Twice Fought War بالصفحة ٥٥٢ أن الإسرائيليين عاملوا الدجوى بكثير من الفظاظة ؛ انتقاماً للأحكام القاسية التى أصدرها بصفته رئيس المحكمة العسكرية ، التى حاكمت جواسيس قضية لافون الشهيرة عام ١٩٥٤ .

(١٦) المصدر السابق : دار المحفوظات المركزية العسكرية ، وثائق حرب ١٩٥٦ ، ملخص الحوادث عن عمليات القطاع المصرى بفلسطين ، الملف رقم ٣٠ .

وأيضاً : Op.Cit.: The Twice Fought War, p. 552.

وأيضًا : Op.Cit.: Elusive Victory, pp. 192.

أيضًا المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، ص ٤٠٠ - ٤٠٢ .

(١٧) المصدر السابق : دار المحفوظات المركزية العسكرية ، وثائق حرب ١٩٥٦ ، ملخص الحوادث عن عمليات القطاع المصرى بفلسطين ، الملف رقم ٣٠ .

(١٨) المصدر نفسه .

(١٩) منهم ١١١ شهيدًا فلسطينيًا قتلهم جنود إسرائيل يوم ١٢ نوفمبر داخل معسكر رفح ؛ مما دفع الجنرال بيرنز رئيس مكتب الهدنة إلى التنويه بأن الإسرائيليين يقتلون العرب ، الذين يعتزمون اغتصاب أراضيهم ، مثلما سبق أن فعلوه بدير يس عام ١٩٤٨ .

وقد قدّر المستر هنرى لابويس الأمريكى ، مدير مكتب إغاثة اللاجئين الفلسطينيين أن قتلى العرب على يد جنود إسرائيل بلغ ٢٧٥ شهيداً . وكما شهد الكولونيل

ماكارتى عـضو مكتب الهدنة بـغزة ، ومعه المقدم حســن البدرى رئيس عمليـات هيئة الاتصالات بقوات الـطوارئ الدولية قبراً جماعـيًا فى منطقة بير لحـفن ، دفن به عدد كبير من الجنود المصريين المكتوفين الأيـدى ، وكان واضحاً أنهم قتلوا بالرصاص قبل أن يهال عليهم التـراب بالبلدوزر ، ص ٥٧١-٥٧٢ من كتاب The Twice Fought War .

الفصل التاسع

الجحيم فى الجفجافة

مقدمة - الاستعداد للمطاردة - التدابير المصرية المضادة -الأوضاع الدفاعية النهائية قبل وقوع العدوان

مقدمة

بعد أن اعتمد اللواء محمد عبد الحكيم عامر قرار توحيد الجبهة فى الساعة العاشرة من ليلة ٣١ أكتوبر / ١ نوفمبر ١٩٥٦ ، تحول ميزان النجاح من درجة التشبّث بدفاعات سيناء إلى سرعة الجلاء عنها ، قبل أن يعزل الغزو البحرى ، القوات عن قواعدها الرئيسية بوادى النيل ·

والمعروف أن الإنسحاب أشق أوجه المعركة الحديثة للأسلحة المشتركة ، لأنه يتطلب كفاءة قتالية عالية ، وانضباطًا رفيع المستوى ، بالإضافة إلى القدرة على سرعة التصرف المرتبطة برباطة الجأش والروح التعرضية الوثابة · ولهذا كان تعليق الرئيس عبدالناصر بمجرد أن وقع اللواء عامر القرار ، أن نوه بأنه أخطر وثيقة فى مواجهة العدوان .

وفى صباح الخميس ١ نوفمبر ، كانت مصر تقف وحيدة بين ثلاثة أعداء ، تعاهدوا على تدميرها · ولم يكن أمام الرئيس عبد الناصر غير الاتحاد السوفيتى أو الولايات المتحدة ليطلب من أحدهما العون ، إلا أن الكرملين كان لديه مايكيفه من المشاكل فى بولنده والمجر ، فضلا عن أن وصول أى قوات منه إلى مصر سوف يتطلب اجتياز أراضٍ محايدة أو ممالئة للغرب ، ثم إن تدخل السوفيت كان أكثر احتمالا لاثارة حرب عالمية ثالثة .

وخشية من هذا الاحتمال الخطير ، تحوَّل عبد الناصر إلى البيت الأبيض فسلم السفير الأمريكى بالقاهرة المستر رايموند هير رسالة إلى الرئيس أيزنهاور ، يطلب منه المساعدة فى

هذه الظروف البالغة الخطر . فلما سأله السفير هل تعتزم أن تتخذ رفض أيزنهاور مساعدتك مبرراً لطلب تدخل السوفيت ، أكد عبد الناصر أن ذلك لم يخطر له على بال[1] .

وجاء رد الرئيس أيزنهاور صباح الغد ، مؤكداً أن الولايات المتحدة سوف تبذل كل وسعها لحل المشكله فى الأمم المتحدة ، وأنها لاتستطيع الدخول فى حرب ضد حلفائها سواء الأنجلوفرنسيين أو الإسرائيليين .

وبهذا أصبحت سرعة سحب قوات مصر من سيناء ، هى الإجراء الملح لدرء الخطر وحماية نظام الحكم من الانهيار [2] .

الاستعداد للمطاردة

وكان الألوف مشنيه بن آرى قد استلم قرب منتصف ليلة ٣١ أكتوبر / ١ نوفمبر رسالة مباشرة من الجنرال ديان بأن يبدأ المطاردة فى اتجاه الجفجافة بمجرد أن ينبلج ضوء الفجر ، وفى الساعة السادسة صباحاً كانت كتيبتا بن آرى المدرعتان تجتازان بير الحمة فى الطريق إلى بير روض سالم ؛ حيث توجد القاعدة الإدارية الرئيسية لقوات سيناء[3] .

وبمجرد اقتراب دبابات المقدمة من القاعدة ، وقعت تحت قذائف مؤخرة الفرقة الرابعة المدرعة التى كانت تستر ارتداد القوات من بير الجفجافة ، فحدثت عدة خسائر فى دبابات الطرفين ، قبل أن تتوقف المؤخرة عن الاشتباك ، وتبدأ الانسحاب للخلف بعد أن اتمت مهمتها فى تعطيل العدو[4] .

ودخلت قوات بن آرى القاعدة الإدارية حوالى الساعة السابعة ؛ لتغنم كميات كبيرة من الذخائر والملبوسات والأطعمة والوقود ، بينما استمرت مفرزة من تسع دبابات الضغط على المؤخرة المنسحبة ومطاردتها صوب الجفجافة [5] .

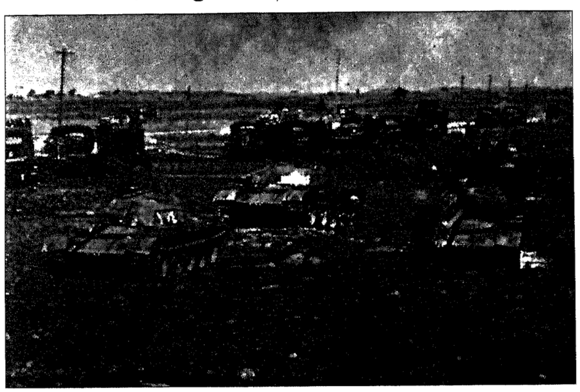
وعندما وصلت الى مسافة ثمانية كيلومترات غرب بير روض سالم ، وقعت قوة المطاردة للمرة الثانية تحت النيران المصرية ، التى استمرت عدة ساعات وحطمت دبابتين ، فقطع آرى الاشتباك لقرب نفاد الوقود ، وعاد بعد المغرب الى الخلف ليخلى جرحاه ويتزود بالوقود .

وشعر بن آرى من عنف النيران المصرية الأخيرة ان القوة المتمركزة لستر الانسحاب لن يزحزحها من مواقعها إلا ضربة مدرعة قوية جيدة التنسيق ؛ ولذا عكف فيما بقى من ساعات

الليـل على رسم خطته ليبدأ التحـرك مع أول ضـوء ٢ نوفمبر ، عازماً على اجـتياح بير الجفجافة [٦] .

وقبل أن يصل إلى مضيق الجفجافة بنحو ساعة ، كانت المقاتلات القاذفة الإسرائيلية قد بدأت قصفه بالـقنابل الشديدة الانفجار والنـابالم حتى أحالته إلى كتلـة من الجحيم ، الذى زادت نيران دبابـات بن آرى ألسنته اشتعـالاً قبل أن تقتحمـه لتجدة خالياً من قـوات الفرقة الرابعة المدرعة ، التى كانت قد عبرت قناة السـويس تحت جنح الظلام ؛ لتفتح فى محلاتها الجديدة على الضفه الغربية[٧] .

ولم تكن نيران النابـالم قد انطفأت بعد عندما استأنف بـن آرى المطاردة نحو الغرب ، وقد أصبحت الـشمس فى أعين قادة الدبابات الذيـن فتحوا أغطية السطح ووقـفوا يشاهدون الطبيعة الصخريـة الوعرة للأرض حول المضيق ، وتقع أعينهم بين الفينـة والفينة على عربة مدمرة ، أو مدفع ملقى على جانبه وقد انفجرت ذخيرتـه فقتلـت طاقمه . ولـم يغب عنهـم ان كـل هـذا الدمـار إنمـا فعلتـة طائراتهـم فـى الصبـاح البـاكـر [٨] .



لقد فعلت طائراتهم كل هذا الدمار فى الصباح الباكر

وقبل مخرج المضيــق ، اصطدم بن آرى بحرس مؤخرة المجموعة الاولى المــدرّعة بينما الشمس تميل على خط الأفق فى الغرب . ودارت معركة قصيرة فى حساب الزمن شديدة فى كثافة النيران ؛ حيث أبــلت فصيلــة مــن الـدبـابـات طــراز ت - ٣٤ ومدافــع الاقتحام طراز ١س / يو . ١٠٠ بـلاءً حسناً قبل ان تستأنف الانسحاب نحـو القناة ليلة ٢/ ٣ نوفمبر ، تتبعهــا دبـابــات بـن أرى حتى مسافة ١٠ كيلومـترًا شرق القناة ؛ حيث توقـفت طبقاً لاتفاقية التـواطؤ التى قضت بألاّ يقترب الإسرائـيليون لأقل من عشرة أميال مـن القناة حتى يتركوا الشريحة الأرضية الكافية على امتدادها القناة للغزو البحرى الأنجلوفرنسى الوشيك(٩) .



التدابير المصرية المضادة

تتابع انسحاب عناصر الفرقة الثالثة المـشاه على المحور الشمالى ، والفرقة الرابعة المدرّعة على المحور الأوسط ، ومجموعة اللواء الثانى المشــاه على المحور الجنوبى ، وعبور القناة عند القـنـطرة ، وكوبرى الفردان شـمال الإسماعيلـية ، والشط على الـترتيب . وقبيـل فجر ٣ نوفمبر ، كــانت تلك القوات قد بدأت فـى تنظيم الدفاعات وإقــامة التحصينات فـى الضفة الغربية لـقناة السويس ، بينما تولّت مجموعة اللوء ٩٧ المشاة الاحتياطية ، وأربع كتائب من جيش التحرير الوطنى ، وسرية مهندسين عسكريين مسؤولية الدفاع عن بورسعيد (١٠) .

وفى الوقت نفسه ، تابعت الفرقة الثالثة المشــاه تحركها إلى القاهرة للدفاع عنها ، بينما عادت مجموعة اللواء الثــانى المشاه إلى منطقتها الدفاعية فـى الشـلوفة ، ومعهـا اللواء ٤٢٦ من جيش التحـــرير الوطنى (١١) .

واستأنفت الـفرقة الرابعة المدرّعة ، ومعها الكتيبة ٢٠ المشاه العمل فى الاحتياطى العام للقيادة الشرقية ، بعد أن نظمت قوتها فى مجموعات تكتيكية ، انتشرت حول الحافة الشرقية للدلتا ، مستتـرة بالأرض المزروعة ، وهى على أهبة الاستعداد للانقـضاض على قوات العدو من عدة محاور متعامدة على قناة السويس ·

إلاّ أن القيادة العامة عـادت وقررت سحب الفرقة الرابعة المدرعة إلى الـقاهرة ؛ لتعمل فى الاحتيـاطى العام · وقد ترتَّب على سـحبها من احتيـاطى القيادة الشرقيـة أن أصبحت مؤخرة منطقـة القناة خالية من أى احتياطيـات خفيفة الحركة ، كما أصبحـت مشارف الدلتا مفتوحة أمام الأعداء إذا ما نجحوا فى اختراق دفاعات القناة[١٢] .

ولعلاج هذا الوضع ، قامت القيادة الشرقية بإعادة النظر فى الخطة الدفاعية عن القناة ، على أساس المبادئ التالية: [١٣]

١ - تركيز الدفـاع داخل جزر دفاعية ، ذات كفايـة ذاتية قتالية وإدارية ، عـد استحالة الاعتماد على القتال المتحرِّك لعدم توفر عناصره الخفيفة الحركة ·

٢ - تعزيز جـزيرة بورسعيد الـدفاعية ، وإعدادها لمـواصلة الصمود كـمنطقة مبـنية ، تستطيع القتال من منزل إلى منزل لتكبيد العدو أكبر خسائر ممكنة ·

٣ - إنشاء خط دفاع ثانٍ عن منطقة القناة عند العباسة ·

٤ - انتقال القيادة الشرقـية من معسكر الجلاء بالإسماعيلية الى الـزقازيق ؛ حيث تفتح مركز قيادة ميدانيًا هناك ·

الأوضاع الدفاعيـة النهائية قبل وقوع الغزو الأنجلوفرنسى [١٤]

كان تصمـيم اللواء على على عـامر ينصب على ضـرورة تامين مدن القناة الرئـيسية - بورسعيد والإسماعيلية والسويس - وتقسيم هيكل الدفاع عن المنطقة إلى ثلاثة قطاعات دفاعية على النحو التالى :

القطاع الشمالى

ويشمل منطقة قناة السويس من بورسعيد شمالاً إلى فايد جنوباً ، وقد خصصت للدفاع عنه وحدات حامية بورسعيد العسكرية، ووحدات حامية الإسماعيلية وفايد العسكرية كالآتى:

١ - وحدات حامية بورسعيد العسكرية ، وتشمل اللواء ٩٧ المشاه الاحتياطى ، والكتيبة الرابعة المشاه ، وكتيبتى حرس وطنى ، وبطاريتين مدفعية ساحلية ، وعناصر ساحلية ، وعناصر مدفعية ميدان ، ومدفعية خفيفة مضادة للطائرات .

٢ - وحدات حامية الإسماعيلية وفايد العسكرية ، وتشمل رئاسة الفرقة الثانية المشاه ، ومجموعة اللواء السابع المشاه ، وكتيبة من مجموعة اللواء الثالث المشاه ، واللواء ٩٩ المشاه الاحتياطى ، وعشر كتائب من جيش التحرير الوطنى ، والآى مدفعية ميدانية ، والآى آخر مضاد للدبابات ، وثالث خفيف مضاد للطائرات ، ورابع من المهندسين العسكريين ، وثلاث محطات اتصال جوى .

القطاع الجنوبى

ويشمل منطقة السويس من بير عديب جنوباً حتى فايد (خارج) شمالاً . وقد خصصت له مجموعة اللواء الثانى المشاه ، وكتيبة من مجموعة اللواء السابع المشاه ، واربع كتائب احتياطية وأمن وحراسة وجيش التحرير الوطنى ، وبطارية مدفعية ميدانية ، وبطاريتين هاون ثقيل ، وبطاريتين مدفعية ساحلية ، وعناصر خفيفة ومتوسطة مضادة للطائرات ، ومحطة اتصال جوى .

القطاع الغربى

وقد ركَّز مجهودة الرئيسى للدفاع عن منطقة العباسة ، وقفل محور تقدم العدو صوب القاهرة ، مع إنشاء قاعدة داوريات مقاتلة بعيدة المدى ؛ للإغارة على خطوط مواصلاته بالتعاون مع قوات القطاعين الشمالى والجنوبى سالفى الذكر ، بالإضافة إلى العمل كاحتياطى عام القيادة الشرقية لتنفيد ما سوف تكلفه من مهام . وقد اشتمل القطاع الغربى على مجموعة اللواء الثالث المشاه وأورطة دبابات خفيفة أ م٠إكس ، وتروب مدفعية ميدانية وآخر مضاد للطائرات .

التعليق

لقد قيَّم الرئيس عبدالناصر عملية انسحاب القوات من شبة جزيرة سيناء ، بعد أن وضعت الحرب أوزارها فقال ... " لم يكن فى استطاعتنا أن نتم سحب القوات من سيناء

فى مدة أقصر ؛ فالواقع أن اتمام الانسحاب فى هذا الزمن الوجيز يعتبر معجزة ، فقد كانت القوات تسابق الزمن بالدقائق والساعات ، وليس بالأيام والأسابيع . ولو تأخر الانسحاب عن موعده أربع وعشرين ساعة أخرى لوقعت الكارثة (١٥) .

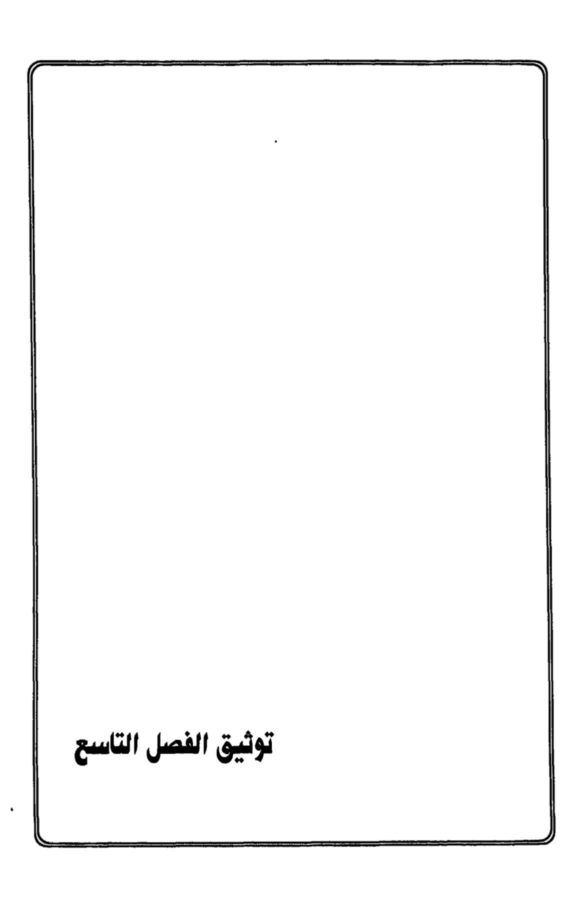
ومن الجدير بالذكر أنه حتى بعد وقوع الضربة الجوية الأنجلوفرنسية ، وانكشاف التواطؤ الثلاثى بما لا يترك مجالاً للشك ، أخذ اللواء عامر قائد عام القوات المسلحة - يصر على استمرار التشبّث بدفاعات سيناء ، حتى أقنعه الرئيس عبدالناصر أن سيناء أصبحت أسبقية ثانوية بمقارنتها بمنطقة قناة السويس ، التى سوف تقع عليها الضربة الرئيسية بالقوات الأنجلوفرنسية ؛ لإعادة احتلال مصر ، وإسقاط نظام الحكم الثورى بالقاهرة .

وبالمثل ، فقد أبدى العقيد جعفر العبد نفس الرغبة فى أن يستمر بمجموعة لوائه فى التشبث بدفاعات رفح ، وراح يؤكد للواء عامر قدرة قواته على تحقيق ذلك ، حتى قام اللواء عامر بما سبق أن قام به الرئيس عبدالناصر معه منذ لحظات ، فأقنع العبد أن المسألة لم تعد سيناء بل مصر نفسها .

وقد ذكر الرئيس عبد الناصر فى تحليله لعمليات سيناء " إن الجيش وإن كان قد فقد نحو ٣٠ دبابة ت - ٣٤ خلال الانسحاب ، فإن الحساب الصحيح يقتضى بأن نعتبر أننا كسبنا ١٧٠ دبابة من المائتين ، اللتين كانتا على المحور الأوسط عندما صدر أمر الانسحاب العام ، لأننا لو تأخرنا بضع ساعات لضاعت دباباتنا ومعها ٢٥٠ عربة مدرعة ، كانت تعمل على المحور الأوسط .

أما خسائرنا فى اللوارى والعربات الميكانيكية . . فقد استعضنا أضعافها من المستودعات البريطانية فى منطقة القناة ، التى اعتبرناها من غنائم الحرب .

ومع ذلك . . فإن هذا الانسحاب العام لم يتم على الوجه الذى تقضى به الأساليب المعتمدة فى مدارس الحرب ، ومع وضع دقة الموقف وسيطرة طائرات العدو والقلق الذى أثاره افتضاح التواطؤ الأنجلوفرنسى ، واشتراكه فى العدوان على مصر موضع الاعتبار . . فإن تنظيم أعمال الانسحاب شابها كثير من المثالب ، التى زادت من الخسائر ، وغرست عدة مفاهيم خاطئة ، ظهرت آثارها السيئه بعد ذلك بعشر سنين ، عندما انسحبت القوات المصرية من شبه جزيرة سيناء فى فوضى شاملة ، فقدت خلالها أغلب عتادها وعدة آلاف من أعز شبابها أسرى وجرحى وشهداء .



توثيق الفصل التاسع

(١) Op.Cit., The Twice Fought War, p. 557–558.

وأيضًا : المصدر السابق ، ملفات السويس ، ص ٥٦٦ .

(٢) Ibid, p. 96.

(٣) المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ١٢٥ - ١٢٨ .

(٤) Op.Cit., Elusive Victory, pp. 193.

(٥) Ibid.

(٦) Ibid.

(٧) المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ .

وأيضًا : Ibid, p. 177–178.

(٨) المصدر السابق : دار المحفوظات المركزية العسكرية ، تقارير القوات المحاربة عام ١٩٥٦ ، الملف رقم ٦/٢١٥١ .

(٩) Op.Cit., Elusive Victory, pp. 194.

(١٠) المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، الجزء الثانى ، المجلد الثانى ، ص ٦٧ - ٧٠ .

(١١) المصدر نفسه : ص ٧٢ .

وأيضًا : المصدر السابق ، سجل عمليات ١٩٥٦ ، رقم القيد ١٠٣٦ / ٦٦٣ ، يومية الحرب عن القيادة الشرقية المدة من ٢٩/ ١٠ إلى ٨/ ١١/١٩٥٦ .

(١٢) المصدر نفسه : ص ٦٨ .

وأيضًا : المصدر نفسه .

(١٣) المصدر نفسه : ص ٦٨ - ٦٩ .

وأيضًا : المصدر نفسه .

(١٤) المصدر نفسه : ص ٧٠ - ٧٣ .

وأيضًا : المصدر نفسه .

الفصل العاشر

مدق المهالك ومعركة الشرم

مقدمة - طبيعة الأرض - طبوغرافية مدق المهالك - أهمية منطقة شرم الشيخ - هيكل الدفاعات المصرية - استعدادات وخطط طارئة - سير الاقتراب -مجموعة بوفيه - مجموعة إيتان - معركة شرم الشيخ - تصرفات اللحظات الأخيرة - الخطة الدفاعية الجديدة - ثم بدأ القتال - إعادة التنظيم - صد الهجوم الليلى الأول - وصد الهجوم الليلى الثانى - الجنرال ديان يلقى بثقله - وعند الضحى سقط الشرم - التعليق - تذييل.

مقدمة :

لم يشق على حكومة إسرائيل اختلاق المبررات لشن عدوانها على مصر عام ١٩٥٦ ، إلا أن ما شجر من خلاف بين حلفاء التواطؤ كشف عن زيف أغلبها ، قبل أن تتوقف النيران فى المسرح ، بينما تولى عدد من القادة الإسرائيليين الكشف عن الباقى ، فيما نشروه بعد الجولة من مذكرات شخصية ويوميات حرب ، ومنهم الجنرال أرييل شارون الذى ذكر صراحة فى كتابة ، أنه لم يصادف وكراً واحداً للفدائيين خلال زحفه الطويل فى سيناء على نحوما أدعاه بيان حكومة إسرائيل الذى أذاعته فى الساعة التاسعة مساء ٢٩ أكتوبر ، من محطة « قُول إسرائيل » ؛ أى « صوت إسرائيل » لتعلن على العالم أن هدفها من الأعمال الحربية فى سيناء ، هو القضاء على أوكار الفدائيين[١] .

وبذلك يكون كل مازعمته إسرائيل من مبررات قد ظهر زيفه ، عدا تصميم إسرائيل على فتح خليج العقبة لسفنها وسفن الدول الأخرى ، التى تحمل البضائع إلى ميناء إيلات ، وكذا الرغبة فى توسيع رقعة إسرائيل التى عبر عنها الجنرال ديّان بطريقة مباشرة ، عندما راح

يهنئ بن جوريون فى نهاية العدوان بالإمبراطورية التي أصبحت تطل على بحرين ، بينما أعضاء الكنسيت وقوف يترنمون بنشيد هاتيكفا - الأمل - ثم يعتمدون ضم سيناء إلى إسرائيل، وقيام الإمبراطورية التى سرعان ما أيقظهم من فرحتها الغامرة ، قرار مجلس الأمن بالانسحاب من كل الأرض التى احتلت بالعدوان[٢]

طبيعة الأرض

يشكل خليج العقبة جزءاً من أعمق الفوالق بالقشرة الأرضية ، الذى يبدأ من شمال قرن أفريقيا ، ويمر بالبحر الأحمر وخليج العقبة ووادى عربة ومنطقة الغور ونهر الأردن والبحر الميت وبحيرة طبرية وبحيرة حمص ونهر العاصى ، حتى مشارف جبال عمانوس على حدود هضبة الأناضول .

وقد ترتب على حدوث هذا الفالق العميق فى الأزمنة السحيقة ، أن برزت الصخور النارية على جانبى خليج العقبة ؛ لتشكل سلاسل بركانية وجلاميد صخرية ، تحف بساحله الغربى حتى تكاد تطبق على مياهه فى كثير من المواضع .

وتتميز تلك الجبال بجمال خلاب ، يشد إليه الأنظار نظراً لتعدد ألوانها التى تظل تتغير بكل درجات الطيف ؛ تبعاً لدرجة ميل الشمس ؛ حتى تصبح زرقاء ضبابية قرب الغروب . ويتخلل تلك السلاسل الوديان والشعاب الكثيرة ، التى تقطعها طولاً وعرضًا ؛ بما يجعل التحرك بمحاذاة ساحل الخليج أو عموديا عليه أمرا ممكنا بكثير من المشقة والجهد ، لاسيما بين رؤوس وأعناق الزجاجة التى لا تستطيع اختراقها سوى العربات المجنزرة ؛ نظرا لكثرة الكثبان الرملية وشرائح التربة الناعمة والخوانق الصاعدة والمنحدرات الهابطة بزاويا حادة ، يستند جانبها الغربى على حائط صخرى قائم الزاوية تقريبا ، بينما ينحدر الجانب الأخر فجأة إلى قاع الوادى السحيق الذى يحف بالخانق من جهة الشرق .

وليس ماسبق هو كل ما يصبغ ذلك المحور بالوعورة التى أكسبته صفة " مدق المهالك " ؛ فجلاميد الصخر الضخمة التى تنتشر فى أنحائه ، والمنحنيات الحادة التى تلفه يمنة ويسرة ، وكأنها أثر لشعبان هائج ، كل ذلك يجعل السير بقوة كبيرة عبر تلك المدقات ، ضربًا من العذاب الذى يشق على الجنود ، ويجهد المركبات ، ويستهلك الوقود والزيوت بمعدلات عالية، ويفسد الأجزاء المتحركة بتراكم ذرات الغبار الدقيق على أسطحها .

ولم تكن القيادات غافلة عن هذا المحور ، فقد سبق استطلاعه بواسطة مجموعة كبيرة من ضباط قيادة قوات سيناء ، برئاسة قائدها اللواء أحمد سالم ، ومعه رئيس عملياته المقدم حسن البدرى ، وكذا المقدمين محمد يسرى قانصوه من هيئة عمليات القوات المسلحة ، وأحمد على عطية من سلاح المدرعات ، والمهندس عبد الرحمن عوف من سلاح الصيانة ، وقدمت تقريرًا منفصلاً فى مطلع عام ١٩٥٥ ، نوهت فيه عن احتمال تقدم قوات العدو على هذا المحور ؛ لمهاجمة منطقة شرم الشيخ براً رغم شدة وعورة الأرض ، إلا أن زحمة الأحداث ، وقلة القوات المتيسرة حالت دون أن تنال تلك التوصية ما كانت تستحقه من الاهتمام .

وقد تحدث الألوف مشنيه إبراهام يوفيه ، الذى وقع عليه عبء قطع هذا الطريق للهجوم على شرم الشيخ ، فقال فى إحدى مقالاته بمجلة بماحنيه الإسرائيلية ، إنه عندما تهيأ لاجتياز قبر عطية ببداية الطريق ، أخذته مشاعر غامضة بما حدث لقوم موسى عليه السلام فى أرض جبال العجمه وأرض التيه منذ نحو ٣٥ قرناً ، وما نالهم من هلاك فيها نتيجة رفضهم دخول أرض الميعاد ما دام فيها القوم الجبارين ، فحدثته نفسه أن يقول لديان مثلما قالوا لنبيهم " اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون " ثم يمضى يوفيه فى وصف ما صادفه من أهوال داخل مدق الهلاك ، حتى خرج منه قرب قرية نبق ، ولم يبق لديه شك فى أنه السبب فى هلاك القوم ![٣]

طبوغرافية مدق المهالك

يمر محور تقدم اللواء ٩ الميكانيكى من رأس النقب إلى شرم الشيخ بخمس مراحل من الأراضى ذات الطبيعة المختلفة والتضاريس المتباينة ، على النحو التالى :

١ - المرحلة الأولى من رأس النقب إلى عين الفرطاجة لمسافة ١٠٠ كيلو مترا تقريبا فى أرض رملية ، تسمح بالتحرك بسرعة ١٠ - ١٥ كيلو متراً فى الساعة ، ثم ينحدر المدق بعد عين الفرطاجة الغزيرة التى تتدفق مياهها بجوار المدق ؛ لتروى مساحات متناثرة من الحقول والبساتين الصغيرة الشديدة الخصوبة الوافرة المحصول .

٢ - المرحلة الثانية من عين الفرطاجة إلى نقب الشهيرة لمسافة ١٥ كيلو مترًا ، يظل المدق يصعد خلالها التلال بزاوية حادة ؛ حتى يبلغ الذروة عند نقب الشهيرة الواقع على الطرف الشمالى لوادى الغايب . وتتميز الأرض فى هذه المرحلة بالوعورة البالغة الشدة ، والرمال الشديدة النعومة ، وجلاميد الصخرالضخمة بما يهبط بمعدل التقدم إلى أقل من ٥ كيلو مترات فى الساعة ، ويحصره فى المجنزرات والعربات ٦ × ٦ والجيب ، ويجعل السير فيها نوعًا من العذاب .

٣ - المرحلة الثالثة من نقب الشهيرة إلى دهب لمسافة ٥٠ كيلو متراً ، يظل المدق يهبط خلالها بزاوية أقل حدة نحو الجنوب الشرقى ، وتتحسن التربة فتسمح بسرعة تتراوح بين ١٠و ١٥ كيلو مترًا فى الساعة ، وتتباعد سلاسل الجبال عن ساحل الخليج عند قرية دهب ، بعد أن كادت تلامس مياهه شمالا ، لتترك سهلاً ساحلياً ضيقاً ، تنتشر فيه أشجار النخيل وبعض المزروعات .

٤ - المرحلة الرابعة من دهب إلى نبق لمسافة ٧٠ كيلو متراً فوق وديان دهب وكيد ؛ حيث يدخل المدق فى مضيق كثير المنحنيات الحادة ، وجلاميد الصخر الضخمة والرمال الناعمة التى تنتشر على حافتيه.

اهمية منطقة شرم الشيخ

طرأت أهمية منطقة شرم الشيخ بالنسبة للسياسة الإستراتيجية العربية عامة ، والمصرية على وجه الخصوص ، بمجرد أن وصلت قوات إسرائيل فى الجولة الأولى إلى أم الرشرش على قمة خليج العقبة ؛ لتنشئ عندها ميناء إيلات كمخرج للدولة إلى البحر الأحمر ، وشرق افريقيا ، وجنوب شرق آسيا ؛ حيث اعتزمت تنشيط التبادل التجارى وفتح الأسواق للمنتجات المحلية الإسرائيلية .

ثم زادت المنطقة فى الأهمية بإنشاء مكاتب مقاطعة إسرائيل ، والبدء فى إحكام حلقات التعاون العربى لغرض الحصار الاقتصادى على إسرائيل ، التى كانت منطقة شرم الشيخ من أهم حلقاتها ؛ نظراً لسيطرتها الكاملة على مدخل خليج العقبة .

اضف إلى ما سبق ، وجود جونة طبيعية بالشرم ، تصلح لرسو السفن المتوسطة الحمولة ، وأرض هبوط يمكن تجهيزها لتعمل مطارًا حربيًا لابأس به .

إلا أن أغلب العبء وقع على مصر التى قامت باستئجار جزيرتى تيران وصنافير من المملكة العربية السعودية ، مقابل إيجار اسمى حتى تصبح مياه مدخل الخليج مصرية خالصة يحق لها السيطرة البحرية عليها . وبمجرد أن اكتسبت مصر هذا الحق القانونى ، قامت بقفل الخليج فى وجه الملاحة الإسرائيلية ، كما فرضت التفتيش البحرى على كافة السفن التى تطلب المرور فى المضيق ، فاكتسبت منطقة شرم الشيخ تبعًا لذلك أهمية سياسية وعسكرية كبيرة ، واستمرت الدبلوماسية المصرية تعلن أنه على المعترض أن يحتكم إلى محكمة العدل الدولية بلاهاى .

هيكل الدفاعات المصرية (٤)

ظلت منطقة شرم الشيخ تخضع للقيادة الشرقية ؛ حتى أممت مصر شركة قناة السويس ؛ فانتقلت بعدها إلى القيادة العامة بالقاهرة ، التى خصصت للمنطقة القوات التالية :

القوات البرية

الكتيبة ٢١ المشاه وكتيبة حرس وطنى من ٢٠٠ فرد ، وبطارية مدفعية ساحلية من مدفعين عيار ٦ بوصات بطئ التعمير ، وتروب خفيف مضاد للطائرات ، وفصيلة حدود .

القوات البحرية

الفرقاطة رشيد ومحطة أرصاد وإرشاد بحرى ، وكان الطراد البريطانى نيوفوندلاند قد أغرق الفرقاطة الأخرى دمياط ليلة ٣١ أكتوبر ، قرب المدخل الجنوبى لخليج السويس ، بعد اشتباك قصير بينهما بالنيران .

وتبلورت فكرة العقيد رؤوف محفوظ زكى قائد منطقة شرم الشيخ فى استمرار الاعتماد على مرابض نيران المدفعية الساحلية ، فى رأس نصرانى ، بقفل مدخل الخليج وتجهيز منطقة شرم الشيخ ؛ لتكون قاعدة إدارية وميناءً بحرياً ومهبطاً للطائرات ، مع الدفاع عنها بالقوات البرية المتيسرة ، وتكوين قوة خفيفة الحركة غزيرة النيران للتعامل مع جنود المظلات حيثما يسقطهم العدو .

أما الفرقاطة رشيد فكان عليها القيام بأعمال التفتيش البحرى ، وإيقاف السفن التى تحاول المرور عنوة داخل الخليج .

كما خصصت القيادة العامة مجهوداً جوياً لقوات شرم الشيخ ، وقامت بتطوير مطار الطور ؛ لتستخدمه المقاتلات والمقاتلات القاذفة ، التى تعمل فى معاونة قوات شرم الشيخ وقت الحاجة .

وكلف العقيد محفوظ مجموعة سرية من الكتيبة ٢١ المشاه ، ومعها كتيبة الحرس الوطنى ، وثلاثة مدافع خفيفة مضادة للطائرات بالدفاع عن مطار شرم الشيخ والقاعدة البحرية المجاورة له ضد أى هجوم برى أو بحرى أو جوى يقع عليها ، ولم يكن حجم الأسلحة المتيسرة يسمح بأكثر من ذلك .

كما دفع العقيد محفوظ بفصيلة حدود إلى كل من جزيرتى تيران وصنافير ، وزود كل منها بمدفعين عيار ٢٠ ملليمتر بمهمة تدمير قوات الاقتحام الجوى ، التى يحاول العدو إسقاطها على الجزيرتين ، علاوة على المعاونة فى السيطرة على الممر الثانوى المسمى جرافتون خلال بحر العاشق

ووضع العقيد محفوظ سرية مظلات فى الاحتياطى العام للمنطقة ، التى زودها باكتفاء ذاتى مناسب .

واهتم العقيد محفوظ بفتح نظام للإنذار والمراقبة بالترتيب التالى :

١ - تروب حدود تم توزيعه على نقط إنذار فى طابا، وجزيرة فرعون ، وواسط ، ودهب ، ومرسى أم مريخة ، وصنافير ، وقد زود كل نقطة بالأسلحة الخفيفة والرشاشات ، وطلقات الإشارة ، ووسائل المواصلات السلكية واللاسلكية ، التى كانت على درجة سيئة لكثرة انقطاع الأسلاك ، والشوشرة الإلكترونية الناتجة عن صدى الجبال .

٢ - الكتيبة ٢١ المشاه ، وقد دفعت نقط إنذار فى كل من نبق ، ووادى أساويرة ، ورويسات النمر ، وصفرة العاط ، وجبل تريز ، والرجلات ، وجبل عايدة ، ونقطة الارتفاع ١٠٥ ، وزودتها بالأسلحة الخفيفة والمواصلات السلكية واللاسلكية .

٣ - على امتداد الساحل السعودى .

وقد عقد الاتفاق مع الحكومة السعودية على فتح نقط إنذار فى كل من الشيخ حميد ، ورأس قصبة ، والقصبة مع فتح جهاز لاسلكى سعودى فى شرم الشيخ على نفس تردد نقط الإنذار السعودى ؛ لتلقى بلاغاتها عن الموقف أولا بأول .

استعدادات وخطط طارئة

ذكر الجنرال موشيه ديَّان فى كتابه « قصة حياتى » أن أكثر مهام « قادش » الهجومية طموحًا كانت عملية مجموعة اللواء التاسع الميكانيكى بقيادة الألوف مشنيه إبراهام يوفيه ضد شرم الشيخ ، فرغم أنها جاءت آخر العمليات من حيث الترتيب الزمنى ، إلا أنها كانت أخطرها من حيث العواقب ، التى يمكن أن تترتب على فشل احتلال الدفاعات ، بينما احتمال عودة يوفيه من حيث جاء يقارب الصفر . ثم أكد الجنرال ديَّان بأن فتح خليج العقبة للملاحة الإسرائيلية كان الشغل الشاغل للحكومة والهدف الأهم لعملية « قادش » ، بحيث أن عدم تحقيقه كان يعنى ضمنًا فشل العملية كلها [٥] .

وبمجرد تعبئة اللواء فى منطقة حيفا شمال إسرائيل ، تحرك به يوفيه يوم ٢٨ أكتوبر صوب الجنوب إلى جوار حدود الأردن ؛ ليبتعد عن أنظار المصريين . وفى العاشرة من مساء ٣١ أكتوبر ، وصل الرتل شرق الكونتلا فى طريقه إلى رأس النقب ، التى كانت مجموعة من مهندسى الاقتحام وحامية إيلات قد أمنتها لمبيت مجموعة اللواء ٩ الميكانيكى ، عندما وصلها مساء يوم ١ نوفمبر ؛ ليجد أمر ديان قد سبقه هناك؛ ليبدأ التقدم نحو شرم الشيخ .

وأعاد يوفيه تشكيل قواته فى رتل مسير ، تم تنظيمه فى مقدمة وقوة أساسية ومؤخرة كل من كتيبة ميكانيكية ، كما دفع سرية الاستطلاع أمام القوة بنحو ٣٠ كيلومترًا ، بينما سارت كتيبة مدفعية الميدان وبطارية الهاون الثقيل والتروب الخفيف المضاد للطائرات وعناصر الشئون الإدارية والفنية فى وسط الرتل ، الذى اشتمل على ١٠٤ عربة ٦ × ٦ ، و٣٢ عربة نصف جنزير ، ونحو ٦٠ عربة ٤ × ٤ ، وكان إجمالى القوة التى غادرت رأس النقب مساء ١ نوفمبر لاتزيد عن ١٨٠٠ فرد و٢٠٠ عربة من مختلف الأنواع ، وذلك لحرص يوفيه على التخلص من كل ما لا يلزمه فى مهمته من الأفراد والأسلحة والمهمات .

وحمل يوفيه معه كفايته من الذخيرة والطعام ، ومياه تكفى خمسة أيام بواقع ٥ لترات لكل فرد و١٠ للعربة ، ووقود وزيوت لمسيرة ٦٠٠ كيلو متر .

ولم يكن يغيب على بوفيه استحالة إمداده بأية تعـزيزات مقاتلة أو دعم إدارى ، خلال مسيرتـه الطويلة إلى شـرم الشيخ ، التى كـان عليه أن يعتـمد على كفايـته الذاتية القـتالية والإدارية ؛ حتى ينجح فى إحتلالهـا وإعداد الميناء والمطار الموجـودين بها لاستقبـال السفن والطائرات ، التى سوف تحمل إليه المطالب ذات الأسبقية الحرجة .

ويطنب الجنرال ديّان فـى قصة حياته فى الحديث عن أهميـة الوقت ، وضرورة احتلال شرم الشيخ بغاية السرعة ، قبل أن يصدر قرار الجمعية العمومية للأمم المتحدة بوقف العدوان أو فرض العقوبـات على الدول الثلاث المعتـدية ، وهو ما دفعه إلى إطلاق سـهم جديد من جعبته بدفـع وحدة مظلات من مجمـوعة اللواء ٢٠٢ بمرمـتلا ؛ للهبوط فى مـطار الطور واحتلاله ريثما تدركها براً كتيبة من اللواء ١٢ المشاه ليتولى السجن ألوف روفائيل إيتان قيادة كل هذه القوات للهجوم على شرم الشيخ من جـهة الغرب ، بينما تهاجمها قوات إبراهام . من جهة الشمال .

سير الاقتراب (انظر الخريطة رقم ١١)

مجموعة بوفيه[٦]

تركنا الألوف مشنيه بوفيه ولواءه التاسع الميكانيى فى مـنطقة المبيت حول رأس النقب التى وصلها مساء ١ نوفمبر ، حيث أمره الجـنرال ديّان بشد الرحال إلى شرم الشيخ بأقصى سرعة ممكنة .

وفى السـاعة الخامسة من صباح ٢ نوفمبر ، بدأ بوفيه المرحلة الأولى من المـسيرة حيث كانت الأرض رحـيمة به ، فتـمكن من التـقدم بسرعة لابـأس بها إلى أن وصل إلـى نقب الشهيرة حوالى الواحدة بعد الظهر ؛ ليبدأ أشق المـراحل بالتحرك فوق مرتفع رملى يستحيل على غير العربات المجنزرة أن تجتازه [٧] .

وسـرعان ما توقف الـرتل بعد أن غاصت عـجلات المدافع الميـدان عيار ٢٥ رطل إلى محاورها . وبذل الجنود جهوداً خارقة للعادة لمعاودة التحرك ، بعد أن افرغوا بعض الهواء من الإطارات لتخفيف الضغط لأقل قدر ممكن . وبالـدفع والجذب والقطر أمكن استئناف الحركة بسرعة لاتتجاوز ٣ كيلو مترات فى الساعة .

ولم يصـل الرتل إلى قمة المـدق ، رغم هذا الجهد المضـنى إلا عند مغرب الـشمس ؛

حيث ألقى الجنود أجسامهم على الأرض ، وقد بلغ بهم التعب منتهاه ، فتركهم يوفيه مضطراً حتى الساعة الثانية بعد منتصف الليل ، عندما استأنف السير على المدق الهابط إلى الوادى بعد أن ترك ثمان عربات ، تعذر إخراجها من الرمال التى غاصت فيها حتى الرفارف ٠

ولم تكن العشرة كيلومترات التالية بنفس الوعورة ، لا سيما وأن زاوية انحدار المدق كانت لطيفة ، إلا أن التربة الهشة حدّت من سرعة الرتل الذى استغرق خمس ساعات كاملة ؛ ليصل إلى قرية دهب على ساحل الخليج ، حيث توجد أكبر واحة خضراء فى المنطقة ، تنفس عندها الجنود الصعداء (٨) .

وحدث عند مخرج الوادى غرب دهب ، أول صدام بين رتل يوفيه ونقطة مراقبة الهجانة التى يشغلها عشرة جنود من سلاح الحدود وجهاز لاسلكى ٠ وبعد تبادل بعض الأعيرة التى قتلت عدةً جنود إسرائيليين ، تملك البعض سورة الغضب الجامح فقتل جنود الهجانة العشرة الذين وقعوا فى الأسر رغم صيحات الاعتراض من زملائهم ٠

وتوقف يوفيه فى دهب للمرة الثانية ؛ حتى يتيح لجنوده فترة راحة طويلة تحت ظلال الأشجار والنخيل وينابيع المياه الغزيرة ،وليقوم السائقون بصيانة وإصلاح العربات التى كانت فى مسيس الحاجة إلى أعمال الضبط والتربيط ، وإعادة التزوّد بالوقود والزيوت ، التى زاد معدل استهلاكها بسبب طبيعة الأرض الوعرة (٩) .

ووصل إلى يوفيه وهو لايزال فى دهب سفينتا إبرار بحرى ، تحملان إليه الوقود الذى جاء فى موعده ليسد نقصًا كبيرًا ، لم يكن رئيس الشئون الإدارية يتوقعه ، عندما وضع تقديراته عن الاستهلاك المحتمل ٠

فى السادسة مساءً ، أصدر يوفيه أمره باستئناف التحرك ، فقطع المرحلة الثالثة من المسيرة فى ثمان ساعات ، ووصل إلى وادى كيد فى الثانية بعد منتصف ليلة ٣ / ٤ نوفمبر ؛ حيث تحوّل المدق إلى مضيق لا يزيد عرضة على المترين ، ويصعد بزاوية حادة إلى قمة بالغة الضيق لايمكن للعربات اجتيازها (١٠) .

وأطلق يوفيه مهندسية وجنوده ليفجروا الصخور ، ويزيحوا جلاميد الصخر حتى يسمح المضيق بمرور العربات ٠ ولما فرغوا من هذه المهمة الشاقة ، استأنف الرتل السير حتى تورط فى حقل ألغام كان العقيد محفوظ قد أمر بزرعه ، ثم انهارت طلقات مدافع الماكينة والبازوكا

والقنابل اليدوية من نقطة الإنذار على مدخل الوادى ، فأجبرت القوات المتقدمة على التوقف والارتداد للخلف للاحتماء وراء انحناءة الطريق . وبمجرد أن لاح الفجر ، دفع يوفيه جماعة استطلاع لتفتيش المنطقة ، وبعد أن نجحت فى اجتياز حقل الألغام دون أن تلحق بها خسائر تذكر وصلت إلى موقع نقطة الإنذار المصرية ؛ لتجدها خالية من جنودها ، الذين انسحبوا قبل أول ضوء ، وملأوا مخرج الوادى بالألغام المبعثرة ، ثم اندفع الرتل خارج الوادى فوصل قرية نبق حوالى التاسعة صباحًا ؛ حيث تركهم يوفيه يستريحون للمرة الثالثة عند ساحل الخليج حتى الظهر[11] .

ولم يعد يفصل يوفيه وجنوده عندئذ عن هدفهم بشرم الشيخ ، سوى أربعين كيلو متراً من الأرض الصالحة للتحركات ، بعد أن قطعوا ٢٥٠ كيلو مترًا فى مدق المهالك خلال ثلاثة أيام وليلتين . وكان وقع وصول مجموعة اللواء التاسع الميكانيكى إلى مشارف دفاعات شرم الشيخ من جهة الشمال ، مفاجأة شديدة للعقيد محفوظ ومرؤوسيه .

إلا أنه مثلما فاجأ يوفيه محفوظاً بوصوله من جهة الشمال ، فقد فاجأ محفوظ يوفيه بسابق إخلاء بمنطقة رأس نصرانى عندما وصلها ، وبتدمير المدفعين الساحليين الموجودين بها على قواعد خرسانية ثابتة يستحيل نزعهما منها .

مجموعة إيتان[12]

نجح السهم الذى أطلقه الجنرال ديان من جعبته ليستبق به الزمن فى احتلال منطقة شرم الشيخ ، من إتجاه الشمال والغرب فى وقت واحد .

فبينما كانت مجموعة يوفيه تستعد ضحى الرابع من نوفمبر لقطع المسافة الباقية بينها وبين شرم الشيخ من الشمال ، كانت مجموعة إيتان تستعد فى نفس الوقت لقطع ما بقى بينها وبين شرم الشيخ من الغرب .

وكان لوصول مجموعة إيتان إلى مشارف شرم الشيخ ، قصة لا تقل إثارة عن مجموعة يوفيه .

وقد كان ديّان قد أمر يوم ١ نوفمبر بإسقاط سريتين من الكتيبة الثالثة المظلات فى مطار الطور ، بينما يستعد ألوف روفائيل إيتان للتقدم بسريتين أخريين من الكتيبة الأولى المظلات ؛ لينضم براً على المظليين الذين يتم إسقاطهم هناك .

وفى الساعة الثانية من بعد ظهر ٢ نوفمبر ، كان المظليون قد استولوا على المطار ، الذى سرعان ما أعدوه لهبوط ٢٥ طائرة نقل تحمل كتيبة مشاه من اللواء ١٢ المشاه ، وبعض الإمدادات من الذخيرة والأسلحة .

وفى فجر ٣ نوفمبر ، تقدم إيتان بسريتى المظلات براً عبر وادى سدر ؛ حيث استولى على معسكر حقول البترول ، ثم واصل التقدم نحو بلدة الطور فبلغها عند الظهر ؛ ليبادر بضم كافة القوات الإسرائيلية الموجودة بالمنطقة فى مجموعة رتل واحد ، تقدم بها نحو شرم الشيخ فى نفس الوقت الذى كانت قوات يوفيه تغادر منطقة دهب فى طريقها إلى قرية نبق ، بينما الجنرال ديان يحلق بطائرته فوق رتل يوفيه ، يكاد يلهب ظهره لبذل المزيد من السرعة لحسم المعركة فى صباح الغد .

وفى وقت متأخر من عصر ٣ نوفمبر ، وصلت مجموعة إيتان إلى المدخل الغربى لمنطقة شرم الشيخ ، وفى أعقابها عربة الجنرال ديان الذى وقف على تل مجاور للمدخل ينظر إلى الجبال بألوانها التى تخطف البصر ، يحف بها البحر بألوانه الزمردية ، وكأنما مئذنة الجامع البيضاء تخرج من لجته لتصعد إلى السماء .. ويقول ديان فى قصة حياته أنه لولا الحرائق وأعمدة الدخان التى كانت تلف المنطقة بسحاب كثيف لاعتبر هذا المنظر أجمل ما وقع عليه نظره (١٣) .

معركة شرم الشيخ :

بدأت الغارات الجوية على منطقة شرم الشيخ فى الساعة التاسعة من صباح ٢ نوفمبر ، ثم راحت تشتد عنفاً وكثافة ، واستمرت تطلق القنابل والصواريخ والنابالم ونيران الرشاشات على المواقع الدفاعية ، على امتداد الثلاثة أيام التالية (١٤) .

وقبل أن تغادر الطائرات المنطقة ، نجحت المدافع الخفيفة المضادة للطائرات فى إسقاط طائرتين من طراز المستير أمكن أسر أحد طياريها ، وإرساله على الفور فى مركب شراعى إلى القاهرة ضمن مجموعة من الجرحى والمرضى المصريين(١٥) .

ومع حلول الظلام ، جاءت طائرة الحرب النفسية المعتادة لتكرر ما سبق أن فعلته فى أم قطف ؛ إذ راحت تهدد الجنود بسوء المصير إن لم يبادروا بالاستسلام "بشرف" !

وفى صباح ٣ نوفمبر ، عادت المقاتلات القاذفة إلى المنطقة حيث نجحت فى تدمير

مدفعين من المدافع الأربعة المضادة للطائرات عيار ٣ بوصات برأس نصرانى ، كما حطمت الورشة الفنية ومحطة تحلية المياه ، وكل خزانات المياه العذبة[١٦] .

وقبل آخر ضوء ، شاهد جنود شرم الشيخ أربع طائرات مستير ، وهى تنقض على المدمرة البريطانية كرين قرب مدخل خليج العقبة حيث كانت تقوم بمهام الداورية البحرية مع الطراد نيوفوندلاند ، وراحت كل الطائرات تقصف المدمرة المذهولة بثمانية وثلاثين صاروخًا اشتعلت فيها النيران . وأرسل العقيد محفوظ برقية إلى قائد القوات الجوية بالقاهرة يهنئه بهذا الإنجاز العظيم الذى كان يظن أن الطائرات المصرية هى التى قامت به . ولم تنس الحكومة الإسرائيلية الاعتذار لحليفة التواطؤ عن هذا الخطأ غير المقصود ، الذى أودى بحياة الكثير من البحارة البريطانيين ، مثلما سوف يودى بعد ذلك بحياة العشرات من بحارة سفينة التجسس ليبرتى فى جولة صيف ١٩٦٧ [١٧]

ومنذ الساعة الحادية عشرة من صباح ٣ نوفمبر ، كان العقيد محفوظ قد تأكد من واقع برقية القيادة العامة التى وصلته للتو ، ومما سبق أن أدلى به الطيار الأسير ، أن هجوما رئيسيا يتجمع حول نبق ؛ ليبدأ الزحف جنوبا تحت مظلة جوية كبيرة ، وأن مجموعة قتال اخرى فى طريقها إليه من جهة الطور ، فأرسل الفرقاطة رشيد التى لم تعد تلزمه إلى الساحل الشرقى للبحر الأحمر ؛ لتلجأ إلى إحدى موانيه بعد أن حشد على سطحها الجرحى والمرضى والمدنيين وغير المقاتلين ؛ ثم تأكدت أخبار تقدم العدو مرة اخرى من البلاغ اللاسلكى لنقطة مراقبة دهب ، التى أفادت فى الساعة الثانية عشر والنصف ظهراً أن العدو احتل القرية .

تصرفات اللحظات الأخيرة[١٨]

عقد العقيد محفوظ مؤتمرا لضباطه ؛ لدراسة الموقف الجديد ، وإتخاذ الإجراءات اللازمة حياله . واتفق الحاضرون على أن أبرز العوامل المؤثرة على موقفهم بشرم الشيخ أصبحت تتلخص فى الآتى :

١ . إن تقدم العدو من الشمال والغرب نحو شرم الشيخ ، مع وجود قطع الأسطول البريطانى قرب مدخل الخليج يعنى أن حصاراً كاملاً ، قد التف برا وبحرا حول المنطقة ، بينما طائرات العدو تملك السيادة الجوية فى سمائها .

٢ - إن استمرار توزيع قوات الدفاع على ثلاثة مواقع دفاعية منعزلة ، عن بعضها البعض فى رأس نصرانى وجبل عايدة وشرم الشيخ ، يعنى أن الدفاع سوف يكون ضعيفًا فى كل مكان .

٣ - إن قوة جبل عايدة المكلفة أساساً بالعمل ضد جنود الجو ، لم يعد هناك احتمال لإبرازهم فى المنطقة ، بعد أن إقتربت القوات البرية المتفوقة من الشمال والغرب .

٤ - إن تعرض المنطقة للحصار يجعل الميناء والمطار عديمى الفائدة ، إذ لن تتمكن أى سفينة أو طائرة مصرية من الوصول إليهما ، طالما ظل الموقف البحرى والجوى على ما هو عليه الآن .

٥ - إن الحل الأمثل لمواجهة هذا الموقف ، هو تجميع كافة القوات المقاتلة فى منطقة شرم الشيخ ؛ حيث تدار المعركة لآخر طلقة .

الخطة الدفاعية الجديدة[١٩]

وبمجرد أن انفض المؤتمر ، كان العقيد محفوظ قد رسم خطتة الجديدة على أساس قبوله الحصار فى منطقة شرم الشيخ ، وإعادة تنظيم هيكل الدفاع على النحو التالى :

١ - موقع شرم الشيخ ، وتحتله الكتيبة ٢١ المشاه عدا سرية ، مع دفع فصيلة مشاه إلى المطار لتأمينه ، وفتح نقط ساترة كل بجماعة مشاه فى النقطة ١٠٥ ورأس نصرانى .

٢ - الاحتياطى العام وقد احتفظ العقيد محفوظ بسرية مشاه ؛ للقيام بالهجوم المضاد فى اتجاه رأس نصرانى أو الطور طبقًا لتطور القتال .

ثم بدأ القتال[٢٠] (٢٤ ساعة فيما بين العاشرة من صباح ٤ نوفمبر والعاشرة من صباح ٥ نوفمبر ١٩٥٦)

بلغ التمهيد النيرانى بالمدفعية والطائرات ذروته فى الساعة العاشرة صباح ٤ نوفمبر ، عندما اقتحمت مجموعة اللواء ٩ الميكانيكى دفاعات رأس نصرانى لتجدها خالية من الجنود .

وكانت المفاجأة شديدة الوقع على يوفيه الذى أضاع وقتًا ومجهودًا نيرانيًا كبيرًا ضد موقع ليس به أحد ، فبادر إلى إعادة تجميع قواته لمواصلة التقدم نحو شرم الشيخ .

ووصلت مقدمة يوفيه فى الساعة ١٢ ظهرا أمام النقطة ١٠٥ ؛ لتجدها محتلة بجماعة مشاه مدعمة بالرشاشات المتوسطة ، التى فتحت عليها نيرانها ؛ فأوقعت بالموجة الأمامية عدة خسائر .

وتوقف الهجوم لتأتى الطائرات ، وتقصف النقطة بنيرانها الكثيفة التى أوقعت بالجنود خسائر شديدة . ولما حاول المقدم حنا لحبيب قائد الكتيبة أن يعزز النقطة بفصيلة مشاه ومدفعى ماكينة ، قصفت الطائرات أغلب جنودها ؛ كما دمرت المدفعين .

ثم استأنف يوفيه هجومه فاكتسح النقطة ١٠٥ حوالى الساعة الثانية عصرًا ليجد كل جنودها شهداء أوجرحى ، بعد أن عطلوا هجومه لأكثر من ساعتين . وبسقوط النقطة ١٠٥ تهيأ للعدو مركز ملاحظة جيد لمراقبة الدفاعات المصرية بشرم الشيخ ؛ نظرا لارتفاع النقطة عن مستوى تلك الدفاعات .

وتابع يوفيه هجومه فى الثالثة عصرا ؛ ليقابل بنيران شدية محكمة التصويب من السفوح الغربية للتلال ؛ فأضطر إلى التوقف ريثما تقوم الطائرات بالمهمة المعهودة . وتوالت الغارات بالقنابل والصواريخ والنابالم ؛ فدمرت المخازن ومستشفى الميدان ، رغم علامة الهلال الأحمر المميزة على سطحه ، كما أشعلت النيران فى مخازن الوقود . واستمر الضرب الجوى حتى آخر ضوء ٤ نوفمبر ، الذى أوقع بالدفاعات دمارًا كبيرًا وخسائر بشرية شديدة للغاية .

إعادة التنظيم[٢١] (انظر الخريطة رقم ١٢)

حل الظلام فراحت القوات المدافعة تصلح من شأنها ، وتعيد المواصلات الخطية التى مزقتها قنابل الطائرات ، بينما العقيد محفوظ يعيد النظر فى موقفه ، ويقرر تعديل الحد الأمامى للجانب الشرقى لدفاعاته حول طريق شرم الشيخ - رأس نصرانى ، بعد أن صار يشكل بروزاً يتيح للعدو فرصة تطويقه تحت جنح الظلام ، فقام بإعادة السرية التى تحتله نحو نصف كيلومتراً للخلف ، دون ان يشعر العدو بذلك .

وحتى لا تفقد القوات كل الذخائر الموجودة بالمخازن بالضرب الجوى ، اصدر محفوظ

تعليماته بتوزيع ما بقى منها سليماً على الأفراد ومرابض النيران ، فظلت حملات اليونيفرسال تؤدى تلك المهمة بكل إخلاص حتى بزغ ضوء الفجر .

وفى نفس الوقت ، كان الألوف مشنيه يوفيه يعيد تنظيم قواته ؛ ليشن بها هجوماً ليلياً على الدفاعات المصرية ، قبل أن تتاح لها فرصة تحسين أوضاعها ، أو الإفاقة من قصف واشتباكات النهار السابق ، لاسيما وأن معظم جنود اللواء التاسع الميكانيكى كانوا من المهرة فى القتال الليلى ، على عكس القوات المصرية التى تجيده نهاراً .

صد الهجوم الليلى الأول :[٢١]

بعد أن أعاد يوفيه تنظيم قواته دفع مجموعة كتيبة ميكانيكية فى الساعة الثامنة والنصف مساءً ؛ للزحف على امتداد طريق رأس نصرانى شرم الشيخ ؛ بهدف اقتحام دفاعات السرية التى كان العقيد محفوظ قد أعادها نصف كيلومتر للخلف . فلما وصلت إليها الكتيبة المهاجمة ولم تجد بها أحداً ظن يوفيه أن الدفاعات انهارت،وتركها جنودها ، فأمر بالتقدم العام نحو شرم الشيخ .

إلا أنها ما إن دخلت فى المرمى المؤثر ، حتى فوجئت بنيران الدفاعات تنصب عليها من كل ناحية ، فأوقعت بها خسائر كثيرة اضطرتها للتوقف ، وراح الجنود يبحثون عن سواتر يحتمون خلفها من شدة النيران . وبعد مجهود شاق ، نجح يوفيه فى سحب الكتيبة للخلف ، ثم راح يعيد تنظيم قواته للمرة الثانية تمهيداً لهجوم جديد .

ولما أخطر العقيد محفوظ القيادة العامة بالقاهرة عن هذا الهجوم الليلى الأول تلقى برقية تهنئة حارة ختمها القائد العام بالتصريح له بتدمير الأسلحة الثقيلة والمخزونات ، والتخلص من المعركة ، قبل أول ضوء ، إلا أن محفوظاً احتفظ بتلك البرقية التى حرص على آلا يُطلع عليها أحداً من مرؤوسيه ؛ حتى لا تؤثر على إصرارهم على مواصلة القتال[٢٢]

وكان مما يلفت النظر أنه بدلاً من أن تحثه القيادة العامة على الاستمرار فى التشبث بالدفاعات خاصة – وقد كانت المعركة السياسية فى الأمم المتحدة ، قد قاربت أن تؤتى ثمرتها وتجبر القوات المعتدية على وقف العدوان – إذ بالقائد العام يثبط همته ، بل ويحضه على التراخى والتخلص من المعركة ، التى لم يعد أمامه سبيل واحد للتخلص منها !

صد الهجوم الليلى الثانى[٢٣]

قرر يوفيه أن يشن هذه المرة هجوماً ليلياً مدبراً ؛ ليحتل المنطقة الواقعة بين طريقى شرم الشيخ ورأس نصرانى ، وشرم الشيخ والطور . وبعد منتصف الليل ، دفع كتيبة ميكانيكية تحت ستر نيران المدفعية والهاونات ؛ لتقتحم تلك المنطقة ، ولكنها سرعان ما تورطت فى حقول الألغام ، قبل أن تصل إلى مشارفها ، ثم انهالت عليها نيران الأسلحة الصغيرة بكثافة شديدة ، ومن عدة إتجاهات .

ونظراً لأن الأرض فى تلك المنطقة كانت مفتوحة ومنبسطة وخالية تماماً من السواتر . . فقد تكبدت الكتيبة الميكانيكية المهاجمة خسائر شديدة ، وقتل قائدها وستة من قادة جماعاتها ،[٢٤] كما أصبحت غير قادرة على استمرار التقدم للأمام أو النكوص على الأعقاب .

وعندما بلغ الخطر مداه ، أصدر لها يوفيه الأمر بالانسحاب حوالى الساعة الرابعة والنصف فجر يوم ٥ نوفمبر ، كما أمر مدفعيته وهاوناته بمساعدتها بالنيران ، لتتخلص من وضعها الحرج ، كما دفع قوة من الحاملات المدرعة للمساعدة

الجنرال ديان يلقى بثقله[٢٥]

اقترب الفجر ، وأصبح أمر إيقاف النيران أو فرض العقوبات على وشك الصدور من الأمم المتحدة بين لحظة وأخرى ، وأصر الجنرال ديان على احتلال مدخل الخليج قبل ظهر ٥ نوفمبر ، مهما كانت العراقيل . وكانت بلاغات يوفيه تثير قلقه بما تحمله من معلومات متناقضة تزف حيناً بشرى بدء إنهيار المواقع الدفاعية ، ثم تعود لتؤكد تماسكها ، بل ونجاحها فى صد وتحطيم الهجمات الإسرائيلية المتتالية .

وللتغلب على ذلك ، قرر الجنرال ديّان الآتى :

١ - تركيز مجهود جوى بالغ الشدّة فوق دفاعات شرم الشيخ ، بمجرد أن يبزغ فجر ٥ نوفمبر .

٢ - تنسيق الهجوم على تلك الدفاعات من ناحية الشمال والغرب فى حركة كماشة قوية .

٣ - أن يسيطر رئيس الأركان العامة بنفسه على المعركة ، وخاصة معركة المظليين٠

وفى أول ضوء ، كانت الطائرة تقل الجنرال ديان إلى الطور ، حيث امتطى إحدى العربات ، وتوجه بها إلى شرم الشيخ ؛ ليلحق بمجموعة قتال إيتان ، ويشرف على دفعها للقتال . ويذكر ديان أنه صادف بعض الجنود المنسحبين من شرم الشيخ وهو فى طريقه إليها ويقول إنهم لو فتحوا النيران على عربته العزلاء ، لجعلوا جسمه مثل المنخل [٢٦] .



الجنرال ديان وإلى جانبه الألوف سمحونى والوف مشنيه (العقيد) ابرهام يوفيه أثناء قراءة أمر بن جوريون للجنود الإسرائيليين بشرم الشيخ

وعند الضحى ٠٠٠٠٠ سقط الشرم[٢٧]

جاءت المقاتلات القاذفة مع ضوء الصباح ؛ لتلقى حمولتها على المواقع الدفاعية ، التى لم يحظ جنودها بلحظة من الراحة أو الهدوء طيلة الليلة الماضية . وكانت الغارات هذه المرة من الشدّة والإحكام بما دفع الجنرال ديّان أن ينوه فى يومياته «بأن العنصر الحاسم فى سقوط الشرم كان السلاح الجوى الإسرائيلى »[٢٨]

وصاحب تلك الغارات تمهيد مدفعى ، أحكمت نيرانه نقطة الملاحظة فوق التل ١٠٥ ، علاوة على نقطة ملاحظة أخرى جوية ، ولم يكن العقيد محفوظ يملك ولو مدفع ميدانى واحد ؛ ليرد به على تلك النيران، التى استمرت تمزق دفاعاته حتى الساعة الثامنة صباحاً ٠

وكان الألوف مشنيه يوفيه قد أرسل فى الساعة السادسة طائرة بايبركب ؛ ليطلب من إيتان أن ينسّق معه الهجوم على الدفاعات ، بمجرد انتهاء فترة التمهيد النيرانى ٠

وفى الثامنة وخمس دقائق ، تقدمت مجموعة اللواء التاسع الميكانيكى نحو الجانب الشمالى للموقع الدفاعى ، والتفت حوله ؛ لتتجنب حقل الألغام الوقائى الذى يحميه ، ثم هاجمت الموقع الغربى بوادى خشبى من الخلف ؛ فتمكنت من الاستيلاء على المرتفعات الموجودة فى منتصفه ومؤخرته (٢٩) .

ثم وصلت مقدمة مجموعة قتال إيتان إلى نفس الموقع فى الساعة الثامنة والنصف ؛ حيث راحت تهاجمه من جهة الغرب ، فوقع الموقع بذلك بين فكى كماشة ، بقوة اللواء التاسع الميكانيكى من الشمال وقوة المظليين من الغرب ، وكلها داخل حاملات مدرعة نصف جنزير ٠

واستمر الموقع يبذل غاية جهده فى صد الهجوم حتى الساعة التاسعة صباحاً ؛ عندما تمكن الأعداء أخيراً من اجتياحه ، فانفتح الطريق على مصراعيه إلى قلب منطقة شرم الشيخ ، التى قام العدو بالاستيلاء عليها فى ضحى نفس اليوم ، بينما كان الجنود المصريون يصعدون الجبال المرتفعة ، وهم يطلقون بنادقهم على العدو ، وقد استمرت تلك النيران بصورة متقطعة حتى الظهر (٣٠) .

ووقع العقيد محفوظ ، وأركان حربه الرائد عبد القادر عيد ، والمقدم حنا لجيب قائد الكتيبة ٢١ المشاه ، ونحو ثلاثمائة من الرتب الأخرى فى الأسر ؛ حيث عاملهم الإسرائيليون بغاية الصلف والغلظة على خلاف ما تقضى به الأعراف العسكرية المرعية ؛ فكانت فترة الأسر فى شرم الشيخ قبل نقلهم إلى معسكر الأسرى فى إسرائيل ٠٠ مشحونة بالتحرشات والعنف الذى ليس له مبرر ٠

وبعث بن جوريون برسالة تهنئة لجنوده قرأها عليهم الجنرال موشيه فى ناحية من أرض مطار شرم الشيخ ؛ حيث عقد الاحتفال بانتهاء القتال ، جاء فيها ما يلى: (٣١)

« لقد اتممتم أيها الجنود الشجعان أكبر عملية عسكرية فى تاريخ شعبنا وأكثرها فخاراً ، فبنجاح جيش الدفاع الإسرائيلى فى اجتياح دفاعات العدو ، استرجعتم لنا مملكة سليمان التى سوف تعود إيلات لتصبح ميناؤها الرئيسية فى الجنوب ، وتسترد تيران إسمها القديم « يونفات » ، التى كانت تعرف به منذ ١٥٠٠ عام ، وتنضم إلى وطنها الأم ٠٠ « إمبراطورية إسرائيل الثالثة » (٣٢) .

وبعد أن هتف الحفل ثلاثـاً للإمبراطورية الجديدة ، استقل سمحونـى الطائرة عائداً إلى تل أبيب ؛ حـيث اعتزم أن يفرغ كل ما فـى صدره من مشاعر ضد رئـيس الأركان ، الذى دأب على التدخل فى شئونه ، وتوجيه الألفاظ الخشنه لــه ولمرؤسيه ، إلا أن القدر شاء أن يكون سمحونى ومساعده المقدم أشير دروم هما آخر ضحايا العــدوان الثلاثى ، إذ أسقطت المدفعية الأردنـية المضادة طائرته فوق بـتلال عجلون[٣٣] ، وعثر بـين حطامها عـلى اوراقه الشخصية التى سجل فيها ملاحظاته ومشاعره .

وإذا كانت كلمه بين جوريون التى وجهها للجنود قد عبرت عن فرحة إسرائيل بنصرها العسكرى .. فإن صدمة الهـزيمة السياسية التى جاءت بعدها ؛ لتجبـر إسرائيل على النزوح عن كل الأراضى المحتـلة بالعدوان ؛ جعلت تلك الإمـبراطورية الثالثة اقصـر الإمبراطوريات عمراً فى التاريخ .

التعليق :

أبدت الأركان العامة الإسـرائيلية تفهماً كاملاً لـلعوامل السياسية ، المؤثرة عـلى عملية الاستيلاء على مدخل خليج العقبة ، قـبل أن يصدر قرار الأمم المتحدة بوقف إطلاق النار فى المسرح ، أو قبـل فرض العقوبات عـلـى مـن يمـتنع مـن حـكومات العدوان الثـلاثى من الرضوخ له .

وعلى النـقيض من ذلك تصرّف القـائد العام المصرى ؛ إذ راح يحض الـعقيد رؤوف محفوظ على تـدمير الأسلحة والمخزونات ، والتخـلّص من المعركة التى لم يكن يـتوفر لها منفذ واحد للتخلص منها ، إلا قبول الاستسلام والوقوع فى الأسر . وما من شك أن رسالة تحمل عـكس ما حمـلته الرسـالة الأولى ، كانـت أوفق وأكثر مـلاءمة للمـوقف السيـاسى والعسكـرى الراهن ، ولو نجح محـفوظ فى التمسـك بدفاعاته حتـى المساء ؛ لتغيـر مسار الأحداث وانقلبت الدائرة على العدو ، ولفاز جنود شرم الشيخ بالثناء والنصر العظيم .

ويبدو أن الصعوبات التى توقعتها القيادة المصرية لهجوم ، يأتى إلى منطقة شرم الشيخ من جهة الشمال ، جعلها تركن إلى استبعاده ، وهو ما دفع نفس الأركان العامة الإسرائيلية إلى القيام به رغم تأكدها من أن محور التـقدم بالغ الوعورة ، وبدلاً من أن يدفعها ذلك الى صرف النظر عن التورط فيه ، فقد حثها على دفع مجموعة اللواء ٩ الميكانيكى ؛ لاجتيازه لما

سوف يحققه من مفاجأة الدفاعات المصريـــــة مـــن اتجاه ، لم تكن تتوقعه اعتماداً على أن تحقيق المفاجأة يضمن نصف النصر .

وكانت الأركان العامة الإسرائيلية مطمئـنة إلى نجاح الهجوم على شرم الشيخ ، بعد أن تم حصارها مـن كل اتجاه ، وامتلكت طـائرات إسرائيل السـيادة الجوية فى سماء المـنطقة ، ولهذا فقد أسرفت فى دك الدفاعات بقنابلهـا ، ونشر الدمار والنيران فى كافة أرجائها ، قبل أن يبدأ الجنود اقتحام الدفاعات ، التى يكـون القصف الجوى والبرى قد أنهك قواها وحطم معنوياتها وتجهيزاتها الدفاعية .

والوقع أن سلاح الطيران الإسرائيلى قام بـالعبء الأكبر على نحو ما أكّده الجنرال ديّان فى يوميـاته ، وسبقت الإشارة إليـه ؛ فلولا نجاحه فى الـسيطره الجوية ، لما أمـكن إسقاط المظلـيين لتجهيـز مطار الطور لاستـقبال كتيـبة مشاه كاملـة بطريق الجو ، ولما أمـكن أيضًا لمجموعة اللـواء ٩ الميكانيكى أن تجتاز مـدق المهالك ، الا بخسائر فـادحه ووقت أطول كان يكفى لإضاعة الفرصة على الأركان العامة لإنهاء المعركة قبل صدور قرار وقف النيران

ولا جدال فى أن هـدف عملية " قادش " الأول والأهـم ، كان الاستيلاء علـى مدخل خليج العقبة ؛ لفتحه للملاحة الإسرائيلية وللسفن الأخرى ، التى تحمل البضائع إلى إيلات أو تنقلـها من تلك الميـناء إلى شرق أفريقـيا وجنوب شرق آسيـا . ولا جدال أيضًا فى أن عامل الزمن كان حاسمًا وحيويًا ؛ إذ لم تكن الحكومة الإسـرائيلية تستطيع مواصلة القتال ، بعد أن صدر قرار الجمـعية العمومية للأمم المتـحدة بوقفه يوم ٦ نوفمبر ؛ فـلو تمكنت قوات العقيد رؤوف محفوظ من الصمود حتى ذلك الوقت ، لدخلت التاريخ من أوسع أبوابه .



بن جوريون
يستعرض القوات الإسرائيلية فى سيناء

إلاّ أن واقع الأمر أن محفوظًا ومرؤسيه لم يكونوا عـلى علم بتطورات الموقف السياسى بالأمم المتحدة ، كمـا أن برقيات القائد العام التـى كانت تصلهم من القاهـرة لم تكن تحث على مواصلة الـصمود بل التخلص من المعركـة . ومن هنا يظهر الضرر الكـبير الذى ترتب على ذلك ، والذى كـان أحرى بالقائد العام أن يـسلك عكسه تماماً ؛ لاسـيما وأن الموقف القتالى لم يكن يترك لقوات رؤوف محفوظ فرجـه فى الحصار المحكم حولها ، يمكن التسلل منها خارج حلقة الحصار .

ومهما كان عـزم محفوظ على استمرار التـشبّث بدفاعه ، فليس ثمة شـك فى أن برقيه القائد العام سالفة الذكر ، قد تركت ندبة فى وجدانه ، خشية أن تكون الخسائر المترتبة على الصمود أفدح من الفوائد التى يجنيها منه ، وهو ما يؤكد أن تلك البرقيه خانها التوفيق .

وعلى الـرغـم مـن أننا سبـق أن اقررنا بـأن المعارك والعـمليات لا تـكسبهـا الآمال والأمنيات ، إلا أن مـعركة سبقت فى أقـصى شمال المسرح إبان الجـولة الأولى عام ١٩٤٨ كانت ظروفها الجـوية والبرية شديدة الشبه بمـعركتنا هذه فى أقصى الجنـوب ، بما يبرر عقد المقارنة بينهمـا ، حيث نجح أبطال الفالوجا على امتداد ١٢٥ يـوماً من الحصار ، الذى كانوا يفتقـرون فيه إلى الذخـائـر والأغذية والأدوية الطبـية والأدوات الهندسية ، فـى أن يصمدوا لهجمات بـرية متفوقة ، وتحت سيـطرة جوية كاملة . وفى يـوم ٢٤ فبراير ١٩٤٩ ، خرج أبطـال الفالوجـا وهم يحمـلون أعلامهـم فـوق الـرؤوس ، وأسلحتـهم على الأكـتاف ، لتستقـبلهم أمة العرب بالحفـاوة والتقدير والامتنان ، ويسـجل التاريخ بسالتهـم على أنصع الصفحات ، عـلى حين خرج جنود شرم الشيـخ إلى الأسر ، والمعاملة الفـظة ، والتحرش الذى ليس له سبب ، وشتان بين الموقفين .

تـذييـل

خمسون شيكل مع إيقاف التنفيذ
يششخار شدمي يبطش با' هالى كفر قاسم

مقدمة

لقد اتصف القتال على الجانب الإسرائيـلى بالتجاوز فى الوحشية ، والخروج على آداب الحرب ، والانزلاق فى هـذا الطريق إلى درك الإبادة الجمـاعية للأسرى المصـريين والأهالى المدنيين .

وقد سجل الجنرال إيدسون بيرنز - رئيس لجنة الهدنة المصرية الإسرائيلية المشتركة - كثيرًا من تلك الجرائم الدموية فى كتابه « بين العرب وإسرائيل » ، ومنها مذبحة كفر قاسم التى جاء ذكرها فى الصفحتين ١٩١ ، ١٩٢، ثم فى الصفحات ٣٠٣ - ٣٠٧ من كتابه سالف الذكر ٠

وفيما يلى موجز لأحداث تلك المذبحة على سبيل المثال لا الحصر ٠

ساعة الصفر

تتابع تحليق طائرات الداكوتا فى الجو ، وارتفعت عجلات الطائرة السادسة عشرة والأخيرة عن ممر قاعدة حاتسور الجوية ، بينما تتجه مقدمة هذا التشكيل الجوى نحو الجنوب الشرقى ؛ تعمية للأنظار عن المكان الحقيقى التى تقصده لإسقاط الكتيبة ٨٩٠ مظلات ، فوق المدخل الشرقى لممر متلا ؛ لتخلق الذريعة لحرب العدوان الثلاثى على مصر ، بافتعال حالة صراع مسلح على مشارف قناة السويس ، تعرض استمرار الملاحة فيها لخطر التوقف ٠

هكذا حدد الجنرال موشيه ديّان ساعة الصفر لحملة قادش -- الساعة الخامسة عصر الاثنين ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ ، إلا أن القدر أراد لها أن تقع فى ساعة أخرى ومكان آخر ٠

فبينما طائرات الداكوتا تسبح فى الجو ، كانت قرية كفر قاسم تسبح فى دماء ٤٩ شهيداً عربياً من أهلها فى مذبحة دموية ، تقع مسؤوليتها على عاتق مجموعة من ضباط إسرائيل بزعامة العميد يشسخار شيدمى ، وتشكل وصمة عار لا تمحوها الأيام من سجل جرائم إسرائيل ٠

وبمجرد أن علمت الأركان العامة بمدى الجرم الذى ارتكبه أفرادها فى كفر قاسم ، فرضت رقابة صارمة على المذبحة ، إلى أن نشرت جريدة داقار فى السابع من ديسمبر ١٩٥٦ قصيدة للشاعر ناتان أولترمان ، أفصح فيها عن بعض الحقيقة حيث أنشد ٠٠٠٠

بعد أن تكشفت لك رويداً رويداً ٠٠٠

تفاصيل تلك المذبحة الرهيبة ٠٠٠

بعد أن انتصب دافعها عارياً أمام عينيك ٠٠٠

هل رأيت تلك الهوة الرهيبة التى تفصل بين الحقيقة والأكاذيب ٠٠٠

بعد أن علمت بهذا العمل الوحشى اللاأخلاقى . . .

وتفاصيله التى يأبى القلم أن يكتبها . . .

ليس بسبب الرقابة الصارمة المفروضة فحسب . . .

أيقنت أننى لا ينبغى أن أكتب عن شئ غير هذا العمل الوضيع . . .

فلا يمكن أن يقوم مجتمع إنسانى تحدث فيه مثل تلك الوحشية . . .

دون أن يثور وجدانه وتسرى فى كيانه رعشة الغضب والخزى . . .

لاغتيال النساء والأطفال والعجائز بلا مبرر . . .

إن من ارتكب تلك المجزرة لم يكن يخضع لعرف مساء منع التجوال . . .

ومنذ تلك الليلة السوداء والجريمة لا تزال قيد التحقيق . . .

بينما دم أبرياء كفر قاسم يضيع فى شقوق الأرض الموحلة

وهكذا يصبح شعب إسرائيل شريكاً فى الجريمة . . .

صحيح إنها وقعت عشية الحرب وعلى حافة مسرحها

ولكنها وقعت على الطرف الآخر من جبل المناجاة . . . جبل الوصايا العشر التى أمرنا الله فيها ألا نقتل . . . فقتلنا . . .

تفاصيل الجريمة

بأبيات تلك القصيدة ، بدأت خيوط المذبحة تتسرَّب إلى الصحف العالمية ، وتلفت نظر الضمير الإنسانى إلى ما حدث فى القرية العربية المنكودة . لقد بدأ الألوف يشدخار شادمى يضع تعليمات الألوف زفى تسور قائد المنطقة العسكرية الوسطى ، موضع التنفيذ لتأمين عدوان إسرائيل على مصر ، والمحافظة على هدوء القرى العربية بقلب إسرائيل .

وطلب شادمى من تسور أن يطلق يده لفرض منع التجول ؛ فأعطاه كل الصلاحيات ليفعل ما يراه مناسبًا . وعند الظهر دعى شادمى الرائد ملينكى إلى مقر قيادته ، وشدد عليه بضرورة فرض منع التجول ، وبقاء السكان العرب داخل منازلهم اعتبارًا من الساعة الخامسة مساء حتى السادسة صباحًا .

ثم أكد عليه أن يكون منع التجول حازمًا ، وألا يتردد فى قتل أى عربى ، يخالف هذا الأمر ... ثم أضاف مبتسماً ... "ولا تنس أن قتلهم أفضل من الزج بهم فى معسكر الاعتقال وما يترتب عليه من أعباء " .

وسأل ملينكى ... وماذا عمن يعود منهم إلى قريته ولا يعلم بمنع التجول ... فرد شادمى ... " فلتتخطفه الشياطين ... فليس للعواطف الإنسانية مكان لذلك . "

الموت خير دواء

وعاد ملينكى – وترجمة اسمه " الصغير الوديع " – إلى موقعه ؛ حيث جمع مرؤوسيه وأصدر لهم أوامره ، التى نصت على إطلاق النار على كل عربى ، يوجد خارج منزله بعد الخامسة عصراً ... وألا تجرى اعتقالات اقتصادًا فى التكاليف .

وأعلن ملينكى أن مخاتير القرى سوف يُعلَنون بحظر التجول فى الرابعة والنصف ، فتساءل مرؤوسوه ... " وماذا نفعل بالمصابين ؟ " فأجابه " لا تهتم بهم فالموت خير دواء لهم . "

ثم تساءل آخر ... " وماذا نفعل بالنساء والأطفال ؟ " فأجابه ملينكى ... " فليرحمهم الله . "

ووقع ملينكى أمر العمليات بمداد أحمر ، ثم خرج المرؤوسون إلى القرى المجاورة ليخطروا مخاتيرها بحظر التجول ... وكانت الساعة وقتذاك قد تجاوزت الرابعة والنصف من عصر ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ .

وبمجرد أن وصل الملازم دهان كفر قاسم ، حاصرها بجنوده ، وشدد عليهم الأمر بإطلاق النار على كل عربى يخالف منع التجول رجلاً كان أو امرأة أو طفلاً . ثم قسم مجموعته إلى عدة أقسام من ٣ - ٤ جنود ، وزودهم بالمدافع الرشاشة والقنابل اليدوية والبازوكا والبنادق ، وتمركز كل قسم فوق ربوة ، تسيطر على مداخل القرية .



... ووضع الملازم دهّان
كل قسم فوق ربوة تسيطر على كفر قاسم
...

وربض الرقيب شالوم عوفر وجنديان معه عند المدخل الغربى للقرية فوق مرتفع ، يسيطر على الطريق القادم من الغرب ، بينما ربض العريف جبرائيل عوليال ، وثلاثة جنود عند المدخل الشرقى ، ومعهم قاذف بازوكا .

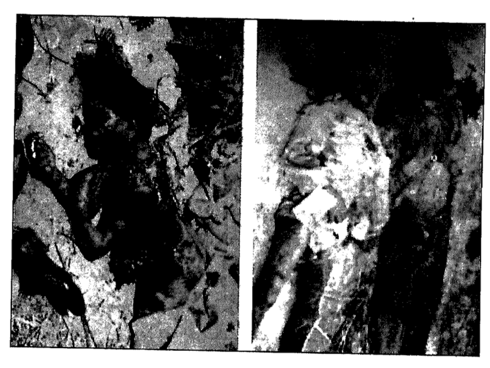
أما الملازم دهان وجماعته المسلحة بالرشاشات العوزى والبنادق والقنابل اليدوية والخناجر ، فقد شكلوا دورية سيارة تطوف حول القرية . وجاء رجل من أقصى القرية يجرى نحو دهان ... وعندما اقترب منه ظهر أنه مختار كفر قاسم ، وديع أحمد صرصور ... وراح يخاطبه وهو يلهث ... أيها الملازم إن لنا ٤٠٠ من أبنائنا يعملون فى الحقول والمصانع فى بتاح تكفا وعوسفية ويافا وغيرها ... والساعة الآن الخامسة إلا الثلث ، ولا سبيل لإعلامهم بمنع التجول ... فدعهم يمرون بسلام ليدخلوا بيتوهم .

قتل جماعى

واتسعت الابتسامة الصفراء على شفتى دهان ، وهو يعد المختار صرصور بأنه سيتركهم يمرون ... ثم تمتم بصوت خفيض ... " قطعاً ... سوف يمرون ولكن إلى الدار الآخرة . "

وانصرف صرصور إلى بيته ، والشك يكاد يقتله . وعندما أشارت عقارب الساعة إلى الخامسة بدأت طلائع الفلاحين والعمال تظهر عند مشارف القرية ... ولم يكن يشغل ذهن أى منهم ساعتها سوى دفء البيت وطيب الطعام بعد عمل يوم شاق ... فلم ينتبهوا إلا وصوت الرصاص يحصد جموعهم .

وفيما بين الخامسة والسادسة مساء ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ ، اغتال الملازم دهّان وعصابته ٤٩ عربياً أعزل من السلاح بأعصاب باردة وقسوة بالغة .



وكان ممن اغتالهم دهّان وعصابته سبعة أولاد وتسعة صبايا ...

وكـان من بين الشهداء ٤٣ اغتالهم دهّان وعصابتـه عند المدخل الغربى للقرية ، سبعة أولاد وتسعة صبايا فى عمر الزهور ، وأربعة عشر كـهلاً تجاوز خمسة منهم السادسة والستين ... كانت جـريمتهم أن خـرجوا فى الصـباح الباكر لـطلب الرزق ؛ فـحصدتهـم بنادق ورشاشات شادمى وجنوده عند المساء ؛ ليضمنوا السرية لخطة قادش ...

وعلـى الطرف الآخر من المسـرح ، قرب جبل المناجـاة الذى نزل عليه أول الـوصايا العشر ، تأمـر موسـى علـيه السلام وقومه بألا يقـتلوا النفس التى حـرم الله إلا بالحق - كانت الحوامـات الست عشرة تسقط ٣٩٥ جندياً فوق صدر الحيطان لـيبدأ العدوان الثلاثى على مصر .

وخيم ستار كثيف على المجزرة ، حتى ظهرت قصيدة ناتان اولترمان فى جريدة داڤار فى ١٧ ديسمبر ١٩٥٦ تقول :

إن دم أبرياء كفر قاسم يشق الوادى ويضيع فى شقوق الأرض الموحلة ...

دم الشهيد فتحى عثمان ذى الاثنى عشر ربيعاً ، ودم الشهيد رياض حمدان ذى الثمانى سنوات ، ودم الأختين رشيقة ولطيفة اللتين سقطتا ، وهما تحتضنان بعضهما ، وبنتى العم فاطمة وزهرية وعمر الأربع لا يتجاوز ١٤ سنة ، ودم العجوز حلوة محمد بدير - ٦٠ سنة ، والشيخ سليم أحمد بشير - ٦٩ سنة - الذى صرخ فيه ملينكى قائلاً ... " انتصب حتى لا تضيع فيك رصاصاتى هباء " ، ودم الأرملة هنية التى أطارت رصاصات الملازم دهان جزءاً من جمجمتها ، فلما وقعت صريعة تتخبط فى دمائها ، ركعت جنبها طفلتها اليتيمة صباح ، وهى تحاول عبثاً أن توقف نزيف الدم الذى ينفجر من قمة رأس أمها ... ودم شهداء كفر قاسم الذكى الذى تسرب تلك الليلة ، وضاع فى شقوق الأرض الموحلة .



« إن دم شهداء كفر قاسم
ضاع فى شقوق الارض الموحلة »
الشاعر الإسرائيلى ناتان أولترمان

خمسون شيكل مع إيقاف التنفيذ

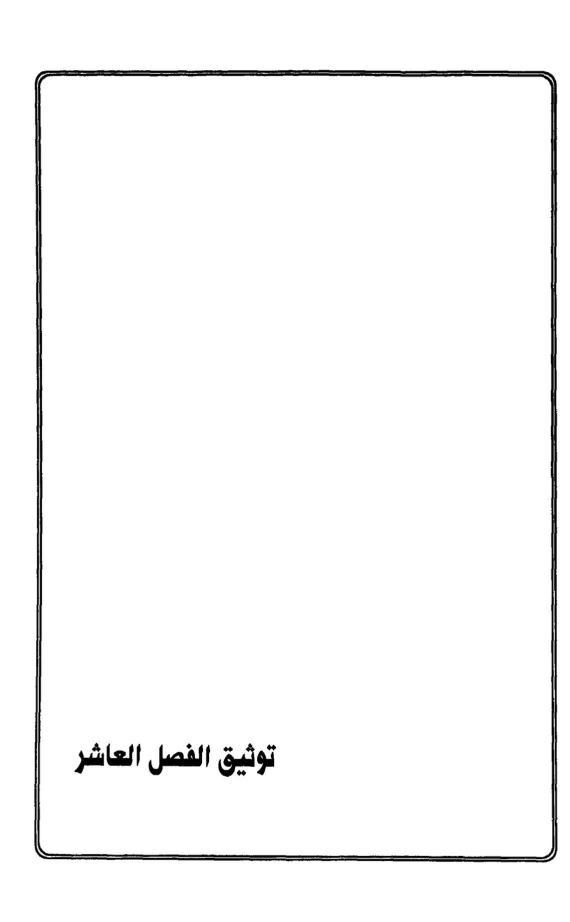
وثار الرأى العام العالمى يطالب بالقصاص ··· وتحت إلحاحه ، اضطرت الأركان العامة أن تقدم المجرمين للمحاكمة ··· ولكن على مضض · وخذل شادمى ملينكى ودهان ليفلت بجلده ، فاقسم أنه لم يرخص لهم إطلاق الرصاص لقتل الأهالى العرب ··· وصرخ دهان فى وجهه ···" الآن تلبس جلد الأرنب المذعور ، وكنت عصر ذلك اليوم تختال كالأسد الهصور ؟ " واستمر عرض القضية عامين كاملين ، حتى صدر الحكم بسجن ملينكى ١٧ عاماً ، ودهان ١٥ عاماً ، وبراءة باقى القتلة والسفاح الأكبر شادمى· إلا أن محكمة الاستئناف وجدت فى ذلك الحكم قسوة ينبغى تخفيفها إلى ١٤ سنة لمليكنى ، و١٠ سنوات لدهان ، ثم جاء دور موشيه ديّان ليصدق على الحكم فخفضه بدوره إلى ١٠ و ٨ سنوات ·

وأدلى رئيس الدولة بدلوه فى مسابقة التخفيف ؛ فجعل السجن ٥ سنوات لكل من القاتلين ··· أفلم يسبق له أن أعلن فى خطابه يوم إقامة دولة إسرائيل فى ١٥ مايو ١٩٤٨ .. «بأن العالم سوف يحكم على إسرائيل بمقدار تمسكها بالعدالة وموازين القيم الإنسانية».

ولم تقف المهزلة عند هذا الحد ، إذ وجدت لجنة مراجعة الأحكام الصادرة بالسجن تعسفاً يجب رفعه ، فعدلت الحكم على ملينكى ودهّان ليصبح غرامة ··· خمسين شيكل - أى بواقع شيكل واحد لكل قتيل تقريباً - وخشية أن يكون فى هذا الحكم إجحافاً بالرجلين فقد أمرت بوقف تنفيذ الغرامة ··· فضاع دم شهداء كفر قاسم فى شقوق الأرض الموحلة ، وأرسل الجنرال بيرنز إلى الدكتور همر شولد سكرتير عام الأمم المتحدة يقول له ··· « لقد أثقلت إسرائيل ميزانها بدماء الضحايا العرب » .



.. لقد أثقلت إسرائيل ميزانها
بدماء الضحايا العرب...
الجنرال الكندى إدسون بيرنز



توثيق الفصل العاشر

(١) المصدر السابق : مذكرات آرييل شارون ، ص ١٨٥ .

(٢) Op.Cit. : The Twice Fought War, p. 637–641.

(٣) مجلة بمحانية ، عدد ١٣ أكتوبر ١٩٥٧ .

(٤) المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ١٢ - ١٥ .
المصدر السابق ، دار المحفوظات المركزية العسكرية : الملف رقم ٤/٣٥٤ ، خطة الدفاع عن خليج العقبة عام ١٩٥٦ .

(٥) Op.Cit. : Story of Life, p. 213.

(٦) وأيضاً : المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ٥٠٢ .
وأيضاً : المصدر السابق : الحروب العربية الإسرائيلية : ١٩٤٨-١٩٨٢ ، ص ١٥٩ - ١٦٢ .

(٧) Op.Cit. : The Twice Fought War, p. 592.
وأيضاً : Op.Cit. : Elusive Victory, pp. 194–195.
وأيضاً : المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ١٨٢ - ١٨٣ .

(٨) Op.Cit. : Elusive Victory, pp. 194–195.
وأيضاً : المصدر السابق : الحروب العربية الإسرائيلية ١٩٤٨-١٩٨٢ ، ص ١٥٩ - ١٦٢ .

(٩) Ibid.
وأيضاً : المصدر نفسه ، الصفحات نفسها .

(١٠) Ibid.
وأيضاً : المصدر نفسه ، الصفحات نفسها .

(١١) Ibid.
وأيضًا : المصدر نفسه ، الصفحات نفسها .
وأيضًا : المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، الجزء الثانى ، المجلد الثانى ، ص ٤٥-٤٧ .

(١٢) Op.Cit. : Story of Life, pp. 211–211.

وأيضًا : المصدر نفسه ، ص ٥٣-٥٤ .

(١٣) Ibid.

وأيضًا : المصدر نفسه ، الصفحات نفسها .

(١٤) المصدر السابق : دار المحفوظات المركزية العسكرية ، تقارير القوات المحاربة عام ١٩٥٦ ، الملف رقم ٦/ ٢١٥١ .

وأيضاً : الإشارة اللاسلكية بتاريخ الساعة الحادية عشرة و ٤٥ دقيقة صباح ٤/ ١١/ ١٩٥٦ ، المرسلة من القائمقام رؤوف محفوظ زكى إلى القيادة العامة بالقاهرة .

وأيضاً : Op.Cit. : Elusive Victory, pp. 198–200.

وأيضاً : Op.Cit. : The Twice Fought War, 5. 594–595.

وأيضاً : المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، الجزء الثانى ، المجلد الثانى ، ص ٥١-٥٥ .

وأيضاً : المصدر السابق : الحروب العربية الإسرائيلية ١٩٤٨-١٩٨٢ ، ص ١٦١ - ١٦٢ .

(١٥) المصدر السابق : دار المحفوظات المركزية العسكرية : الملف رقم ٣٥٤/ ٤ ، خطة الدفاع عن خليج العقبة عام ١٩٥٦ .

المصدر السابق : دار المحفوظات المركزية العسكرية ، تقارير القوات المحاربة عام ١٩٥٦ ، الملف رقم ٦/ ٢١٥١ .

وأيضاً : المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، الجزء الثانى ، المجلد الثانى ، ص ٤١ .

وأيضاً : المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ١٩٥-١٩٦ . وقد ذكر الجنرال دايّان أن الطائرة التى أسقطت كانت من طراز المستير ، وأن الأخرى نجحت رغم إصابتها فى العودة إلى قاعدتها .

(١٦) المصدر نفسه .
وأيضاً : المصدر نفسه .
وأيضاً : المصدر نفسه ، ص ٤١ .

(١٧) الإشارة اللاسلكية بتاريخ الساعة التاسعة مساء يوم ١٩٥٦/١١/٣ ، المرسلة من القائمقام رؤوف محفوظ زكى إلى القيادة العامة بالقاهرة ، ونصها كالآتى : « طائراتنا ضربت مدمرة بريطانية أمام رأس محمد قبل آخر ضوء اليوم ، قوات العقبة تشكركم تحيا مصر » بالملف رقم ٣٧/٥٧ ، تقارير القوات المحاربة عام ١٩٥٦ .
وأيضاً : Op.Cit. : The Twice Fought War, p. 594.

(١٨) المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، الجزء الثانى ، المجلد الثانى ، ص ٤٢ - ٤٥ .

(١٩) المصدر نفسه ، الصفحات نفسها .

(٢٠) المصدر السابق : دار المحفوظات المركزية العسكرية ، تقارير القوات المحاربة عام ١٩٥٦ ، الملف رقم ٢١٥١/٦ .
وأيضاً : المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، الجزء الثانى ، المجلد الثانى ، ص ٤٧-٥١ .
وأيضاً : Op.Cit. : The Twice Fought War, p. 594–595.

(٢١) المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، الجزء الثانى ، المجلد الثانى ، ص ٥١ - ٥٢ .

(٢٢) كان نص إشارة القائد العام القائمقام رؤوف محفوظ زكى كالآتى : « أقدر منك ومن جنودك البطولة والإقدام ، إذا لم تستطع الاستمرار حتى أول ضوء ، فإنى آمرك أن تسلم . تحياتى » . وقد استلمها القائمقام رؤوف فى الساعة العاشرة والربع مساء ٤ نوفمبر ١٩٥٦ ، المصدر السابق ، الملف رقم ٢١٥١/٦ .

(٢٣) المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، الجزء الثانى ، المجلد الثانى ، ص ٥٢ - ٥٣ .

(٢٤) Op.Cit. : Elusive Victory, pp. 1991.

(٢٥) المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ٢٠٣ - ٢١٢ .

(٢٦) المصدر نفسه ، ص ٢٠٤ ، حيث يقول الجنرال دايان فى الفقرة الثانية من تلك الصفحة : « لو فتح علينا الجنود المصريون المنسحبون من شرم الشيخ نيرانهم لجعلتنا طلقاتهم كالمنخل » .

(٢٧) المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، الجزء الثانى ، المجلد الثانى ، ص ٥٥ .

وأيضًا المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ٢١٢ ، حيث يذكر الجنرال دايان فى السطر الأخير أن دفاعات شرم الشيخ سقطت فى الساعة التاسعة والنصف صباحاً ، بينما يذكر كتاب حرب العدوان الثلاثى أنها سقطت فى التاسعة صباحاً .

(٢٨) المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ٢١٣ .

(٢٩) المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، الجزء الثانى ، المجلد الثانى ، ص ٥٤ .

وأيضًا : المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ٢١٢ .

(٣٠) المصدر نفسه ، ص ٥٥

(٣١) المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ٢١٣ .

وأيضاً : Op.Cit. : The Twice Fought War, p. 639.

(٣٢) Op.Cit. : The Twice Fought War, p. 589.

(٣٣) جريدة ها أرتس ، عدد ٩ نوفمبر ١٩٥٦ ، وقد ذكرت ضمن النعى أن عمره عند وفاته كان ٣٣ سنة .

الباب الخامس

الغزو البحرى الأنجلوفرنسى لمصر

الفصل الحادى عشر : اللطمات العشر والضربة القاضية

الفصل الثانى عشر : سفر طويل وقتال قصير

الفصل الثالث عشر : اليوم المشهود والغزو الموعود

الفصل الرابع عشر : ضباب حول قرية الكاب

الفصل الحادى عشر

اللطمـات العشـر... والضربة القاضية

مقدمة - اللطمات العشر - والضربة القاضية

مقدمـــة:

تداخلت أمور السياسة فى الحرب قبيل وأثناء الـغزو البحرى الأنجلوفرنسى لمصر بالقدر الذى لا تكتمل معه صورة الأحداث إلا بالجمع بينهـما فى ملحمة سياسية عسكرية واحدة ، تربط الحدث الدبلوماسى والسياسى فى مختلـف عواصم العالم بالموقف العسكرى فى مسرح الحرب برباط متين .

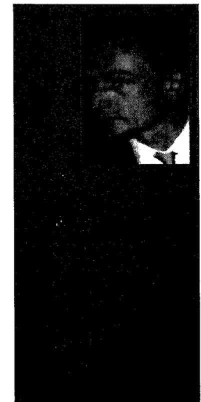
وعلـــى خـــلاف نجـــاح الاستعـمـــار البريطانى فى احتلال مصر فى خريف ١٨٨٢ ، وما تبعه من دخول الجنرال ولسلى القاهرة ؛ ليـقوض كيان الثورة العرابية ويحمى الخديوى توفيق ، فقد فشل فى خريف ١٩٥٦ فى أن يعيد إحـتلالها مرة أخرى ليدخل الجنرال كيتلى القاهـرة ، ويقوض أركان الحكـم الثورى القائـم فيها ، ويـحمى المصالـح الإمبرياليـة التى تعرضت للـخطر ، بفعل قرارات التـمصير التى كان أولهـا وأشدها وقعاً تأميم شـركة قناة السويس .

فلم يكن هناك من يقوم هذه المرة بدور دى لـسبس المخاتل ، فيبذل وعوده المخادعة بألا تستخدم القناة فى غزو مصر ، كما لم يكن هناك عرابى آخر ليقبل تلك الوعود الكاذبة ، أو سلطان فى القـسطنطينية يدمغ عرابـى بالخيانة والمروق عن طاعة ولى الأمـر ؛ لتخذله الأمة وتنصرف عن مؤازرته . ولـذلك بادر الرئيس عبد الناصر بإصـدار أمره صباح الخميس أول نوفمبر بغلق المجرى المائى للقناة ، وسرعان مـا تم إغراق السفينة عكا المحملة بالأسمنت فى

أضيق مكان بالمجرى جنوب بحيرة التمساح مباشرة· ثم تتابع إغراق السفن فى الأجزاء الأخرى من القناة حتى تجاوز عددها الخمسين (١) .

ثم أعلن راديو القاهرة فى الساعة الثانية والنصف عصراً أن الملاحة قد توقفت فى القناة ، ورغم أن هذا البلاغ أفقد العدوان الأنجلو فرنسى ذريعة التدخل لحماية استمرار الملاحة فى القناة . . فإن الأسطول الأنجلو فرنسى استمر فى تحركه نحو شاطئ الغزو ببورسعيد ، إذ لم تكن حقيقة هدفه حماية الملاحة فى القناة بل إعادة احتلال مصر ، إلا أن الفشل كان نصيبه هذه المرة ·

وقد ترتب على هذا الفشل أن انحسر كابوس الاستعمار الغربى عن الشرق الأوسط ، وغربت شمس الإمبراطورية التى لم تكن تغيب عنها الشمس . وخلال كل ذلك لم تنقطع برقيات التهديد ، وخطب الاستهجان ومظاهرات الاعتراض ، ومقالات الاتهام بانتهاج شريعة الغاب ، التى راحت تنهال على أنتونى إيدن رئيس وزراء المملكة المتحدة ، خلال الأسبوع الذى تلى ضرب مصر بقنابل الطائرات الأنجلوفرنسية مساء ٣١ أكتوبر ١٩٥٦ ، حتى فاقت فى العدد والتأثير عدد القنابل ، التى ألقتها الطائرات على مصر وتأثيرها ، وانتهت بانهياره وسقوط حكومته (٢) .



اللطمات العشر :

فبينما كانت الطائرات تلقى بأولى قذائفها على مصر مساء ٣١ أكتوبر ، كان أنتونى إيدن يتلقى اللطمة الأولى من سلسلة اللطمات المؤلمة ، التى راحت تنهال عليه من كل حدب وصوب حتى سببت له الانهيار التام الذى ألزمه الفراش يوم ١٨ نوفمبر(٣) .

ففى نفس ذلك المساء أعرب أنتونى ناتنج - أقرب وزرائه إلى قلبه - عن رغبته فى الاستقالة لشعوره بأنه لم يعد يستطيع الدفاع عن سياسة حكومة المملكة المتحدة ، سواء بمجلس العموم أو فى أروقة الأمم المتحدة . ولحرص ناتنج على ألا يحرج إيدن فقد وعده بألا يذيع نبأ

استقالته ، وأن يعزو سبب تخلفه عن جلسات مجلسى الوزراء والبرلمان إلى وعكة طارئة . إلا أن الصحافة سرعان ما نجحت فى كشف الحقيقة ، فاضطر إيدن إلى إعلانها فى منتصف ليلة ٣ نوفمبر ؛ لتتبعها استقالة كل من بيل كلارك سكرتير إيدن الصحفى ، ثم السير إدوارد بويل مستشاره الاقتصادى ، كما بدأ هارولد ماكميلان وزير الخزانة يتحول عن معسكر الصقور إلى معسكر الحمائم ؛ مما دفع ريتشارد بتلر زعيم مجلس العموم إلى وصفه بأنه صاحب أطول الأدوار فى دراما العدوان ، إذ كان أول من حضّ عليه وآخر من تنكر له .

وفى نفس هذا المساء ؛ تلقى إيدن اللطمة الثانية من الأمم المتحدة عندما لوح داج همرشولد سكرتيرها العام بعزمة على الاستقالة احتجاجاً على الإنذار الأنجلوفرنسى لمصر ، وما عمدت إليه هاتين الحكومتين من استخدام حق الفيتو فى مجلس الأمن ؛ لعرقلة قراراته بوقف العدوان الإسرائيلى على مصر . واكد همرشولد أنه لا يستطيع مواصلة عمله ، إذا لم يلتزم كافة الأعضاء باحترام ميثاق الامم المتحدة وعدم الخروج عليه(٤) .

ثم جاءت اللطمة الثالثة من القائد العام للأسطول البريطانى اللورد لويس مونتباتن ، الذى أعرب له فى رسالة شخصية عن قلقه وشدة خوفه ؛ مما سوف يترتب على غزو مصر من إضرار بسمعة المملكة المتحدة ومصالح الغرب . وبعد أن ابدى اعتذاره لاضطراره الى التدخل فى مسائل سياسية لا يحق له كرجل عسكرى الخوض فيها ، أكد لإيدن أن غزو مصر لن يحل المشكلة ، بل سوف يزيدها تعقيدا . ثم مضى يقول إنه وإن لم يدخر جهداً فى إعداد أسطول الغزو تنفيذاً لأوامر الحكومة إلا أنه لم يعد يستطيع - والأسطول يقترب من أهدافه - إلا أن يلتمس من رئيس الحكومة قبول قرار عدم معارضة قرار مجلس الأمن وقف كافه الأعمال الحربية ، وإعادة السفن قبل أن تضيع الفرصة التى سوف يعقبها الندم الأكبر .

وبمجرد أن قرأ إيدن الرسالة ، اتصل هاتفياً بمونتباتن ليعرب عن شكره على نصائحه ؛ ما دفع مونتباتن إلى أن يستأذنه فى إعادة قافلة الغزو، بعد أن ظن أنه قبل نصيحته ، إلا أنه صدم برد إيدن الذى قال له إن قراءة رسالته لا تعنى بالضرورة الأخذ بنصائحه !(٥)

ولم يكد ايدن ينفض تأثير تلك اللطمات الثلاث السابقة عن ذهنه ، حتى جاءتة اللطمة الرابعة من هيوجيتسكيل زعيم حزب العمال ، الذى اتهمه علنا عصر يوم ٣ نوفمبر داخل

مجلس العمــوم ، بأنه ذاهب إلى بورسعيد ليـمارس شريعه الغاب ، فيقتـل صاحب البيت ليحمــى اللصوص . ثم صاح بـأعلى صوته إن الشـرف البريطانى لـم يعد ينقذه مــن تلك الفضيحة ، إلا إسقاط حكومة ايدن على الفور (٦) .

ثم أعقبه جيمس جريفيث ، نائب زعيم المعارضة بمجلس العموم ، فطالب بطرح الثقة بالحكـومة التى تستـخدم السلاح فى تحد سـافرٍ لميثاق الأمم المتحدة ، وضد رغبة قـطاعات عريضة من الـشعب البريطانى ، وحكـومات دول الكومنولث ، بما اصاب حـلف الأطلسى بالحرج ، وهز أركان النظام العالمى (٧) .

ولم يُجد ايدن نفعاً محاولة تلطيف تلك الاتـهامات بإذاعة بيان على الشعب مساء نفس اليوم ، يؤكـد فيه أنه من أنصار الـسلام الذى عمل له طول حـياته ، إذ ما كاد ينهـى بيانه حتى صـك سمعه ، وهـو جـالس مع سلويـن لويد وزير خارجـيته بالمقر رقـم ١٠ بشارع داوننج ، هدير المـظاهرات الصاخبة بميدان الـطرف الأغر وهـى تطـالبـه بالاستقـالـة ، وبالكف فـوراً عــن العـدوان على مصر (٨) .



ثم كال له الرئيس أيزنهاور اللطمة الخامسة ؛ حتى لاتفلت منه فرصة أن تحل الولايات المتحدة محل بريطانيا وفرنسا فى الشرق الأوسط ، قبل أن يسبقها الدب الروسى إلى تلك المنطقة الحيوية بنفطها الغزير ، ومياهها الدافئة ، وموقعها الفريد ، وأسواقها الضخمة .

ولذلك ركز جهوده على سرعة نقل القضية من مجلس الأمن إلى الجمعية العمومية ؛ حيث لا يحق لاى عضو فيها أن يستخدم الفيتو ، ثم راح يستحث كابوت لودج مندوبه هناك على الإسراع بإصدار قرار إدانة العدوان ووقفه ، مع التهديد بفرض العقوبات على الحكومات التى ترفض الانصياع له . وفى الساعة الثانية بعد منتصف ليلة ٢/٣ نوفمبر ، صدر القرار بأغلبية ٦٥ صوتاً ضد ٥ ، وهز وجدان إيدن ألا يقف معه خلاف طرفى العدوان إلا أستراليا ونيوزيلندا فقط ، دون باقى دول الكومنولث وأوروبا الغربيه [٩] .

ثم اتبع الرئيس أيزنهاور تلك اللطمة الخامسة بالسادسة ، التى كانت أشد ايلاماً لإيدن وحكومته برفض مساعدته مالياً ، ما لم يوقف العدوان ، وينصاع لقرارات الجمعية العمومية للأمم المتحدة [١٠] .

وجاءت اللطمة السابعة من زميلى التواطؤ ، اللذين اجتمعا بـ « ليبل » من وراء ظهر إيدن ليشنا عدواناً فوريا أطلقا عليه الاسم الرمزى " خطة الزى " ؛ حيث كان على القوات الإسرائيلية المشتركة فيه أن ترتدى الزى الفرنسى ، زيادة فى التعمية ، ثم أرسلا برقية عاجلة إلى باريس فى الساعة الخامسة والنصف عصر يوم ٤ نوفمبر ؛ لسحب قوات المظلات الفرنسية من تحت إمرة الجنرال كيتلى ؛ لاستخدامها صباح الغد فى الاستيلاء على بور فؤاد بعملية اقتحام جوى رأسى ، بينما تتقدم القوات الإسرائيلية على المحور الساحلى الشمالى ؛ لتستولى على القنطرة شرق .

وامتلأ وجه إيدن بالأسى بمجرد أن علم بما يقوم به زميلا التواطؤ فى الخفاء ، لاسيما وأن ذلك سوف يكون الضربة القاضية لمخطط العدوان الثلاثى بصفة عامة ، ولحكومة المملكة المتحدة على وجه الخصوص .

وسارع إيدن بإصدار أمره إلى كيتلى لمعالجة الموقف ، وإقناع الفرنسيين بالأضرار الأكيدة التى سوف تترتب عليه . وقد استنفد ذلك من كيتلى وقتاً وجهداً كبيرين ، حتى نجح فى الساعة الواحدة من بعد منتصف الليل فى إقناع القادة الفرنسيين بصرف النظر عن تلك الخطة الثنائية [١١] .

ووجه سانت لوران رئيس وزراء كندا اللطمة الثامنة لإيدن ، عندما أذاع فى التلفار الكندى يوم ٤ نوفمبر " إن ما تفعله الحكومة البريطانية حاليا أضر بالعلاقات التى تربط بين دول الكومنولث ، كما أساء إلى حلف شمال الأطلسى بصورة ليس لها مثيل منذ الحرب العالمية الثانية " (١٢) .

أما اللطمة التاسعة ، فقد جاءته هذه المرة من طرف بن جوريون ، فكانت أشدها إحراجًا ، عندما قبل وقف إطلاق النار صباح يوم ٥ نوفمبر ، دون أن يخطر حليفيه مسبقاً، وبينما قواتهما تقتحم بور سعيد من الجو ، فأبطل بذلك ذريعه تدخلهما لوقف القتال الدائر بين مصر وإسرائيل ، بعد أن توقف فعلاً .

وعقب رجاء حار من موليه بأن يحفظ بن جوريون لفرنسا والمملكة المتحدة ماء وجههما ، قبل رئيس وزراء إسرائيل على مضض أن يضيف إلى البلاغ ، الذى أصدره بقبول وقف إطلاق النيران ، فقرات أخرى جديده منها فقرة تشترط وقف أعمال الفدائيين أولا (١٣) .

ولم تقتصر اللطمة العاشرة التى كالها الدب السوفييتى لإيدن على إثارة أشد درجات الذعر لشعوب العدوان ، بل أنذرت بحرب نووية لا تبقى ولا تذر ، مما زاد من هياج الضمير العالمى الذى ملأت أصوات احتجاجه أرجاء المعمورة ، وتبارت أجهزة الإعلام فى المطالبة بالقصاص من المعتدين ؛ ففى مساء يوم ٥ نوفمبر أرسل نيكولاى بولجانين إنذاراً إلى كل من إيدن وموليه وبن جوريون ، كان نصيب إيدن من كلماته اللاذعة ما يلى :

" إن مشكلة قناة السويس لم تكن إلا ذريعة للعدوان المبيت على العرب ؛ لتصفية إستقلالهم الوطنى . فكيف تجد بريطانيا نفسها ، إذا ما قامت دولة أقوى منها تملك كافة أنواع الأسلحة الحديثة للدمار بالاعتداء عليها ؟ "

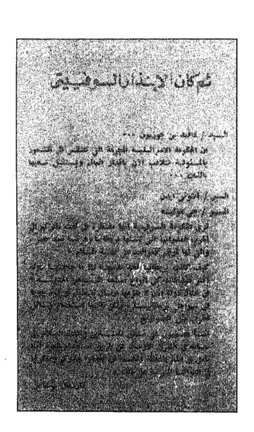
إن مثل هذه الدولة القوية لن تحتاج إلى إرسال أساطيل إلى سواحل الجزيرة البريطانية ؛ فلديها من الوسائل الأخرى كالصواريخ ما سوف يتكفل بذلك . فإذا ما استخدمت تلك الصواريخ ضد بريطانيا وفرنسا ، فهل سوف تعتبر حكومتهما أن ذلك عملاً بربرياً غير مسؤول ؟ (١٤)

ثم زاد بولجانين فى إنذاره موليه بسؤاله كيف تستطيع التوفيق بين مبادىء الاشتراكية وحروب العدوان الاستعمارية ؟ (١٥)

أما بن جوريــون فكانت رسالته تشــتمل على الفقرة الــتالية " إن الحكومة الإسرائــيلية المجرمة تتلاعب اليوم بالسلام العالمى وبمصــير شعبها ، وهى تزرع الحقد فى صدور الشعوب الشرقية ضد إسرائيل بما يعرض استمرارها كدولة للخطر " (١٦) .

والضربة القاضية (١٧)

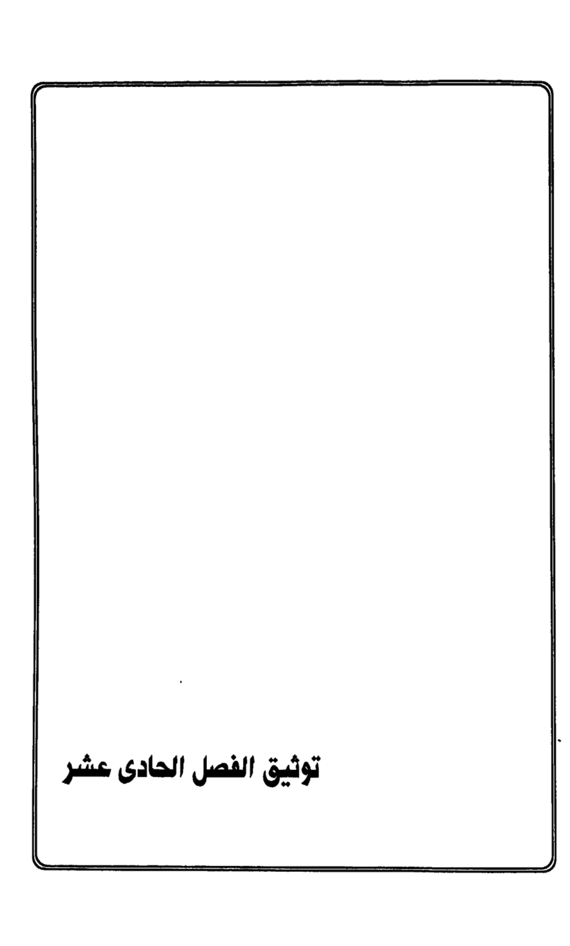
فــى صــباح الثلاثاء ٦ نــوفمبر ، تلــقــى إيدن الضــربة القاضيــة خلال اجتماع مــجلس الوزراء ، وبيــنما قوات كيتــلى تقتحــم ساحل بور سعيــد ، إذ فاجأه هارولد ماكــميلان وزير الخزانة بأن احتياطى المملكة من أرصدة الذهب قد هــبط بنــحو مائــة مليــون جنيــه ، خلال الأســبوع المــنصــرم ؛ بما يــعرض الاقــتصــاد للانــهيــار القريــب ، لا سيمــا وقد رفــضت الحكومة الأمريــكية السماح بسحــب أيه مبالغ من رصيد بريــطانيا بصندوق النــقد الدولى ، بصفة كونها أكبر المساهمين ، وصاحبة الكلمة الأخيرة فى التصديق على القروض والمعاملات المالية ، التى يقدمها البنك لعملائه .



ثم كان الإنذار السوفيتى

وأوضح ما كميلان لــلوزراء الحاضرين ، أنه ما لــم يوقف إطلاق الــنار على الــفور . . فإنه لن يكون مسؤولا عما سوف يصيب البلاد من كوارث وأزمات مــالية . ولاحظ المجتمــعون أن إيدن تملكتــه على الفور نوبــة من اليأس المشوب بالإحباط الشديد ، فقناة السويس قد أغلقت ، والنفط قد توقف ضخه ، والحلفاء قد تخلوا عنه ، والدب الروسى يهدده بالويل والثبور ، والاقتصاد الوطنى ينهار ، والرأى العام العالمى يطالــب برقبته ، ومجلس العموم يتــأهب لسحب الثقة منه ، والرئيــس عبد الناصر صار أسطورة فى الوطن العربى والعالم الثالث .

وفى تلك اللحظة انهار إيدن تماماً ، ووافق على إيقاف إطلاق النار ، اعتباراً من الساعة الثانية بعد منتصف ليلة ٦ / ٧ نوفمبر ١٩٥٦ ، أى قبل أن تمر ١٨ ساعة على نزول القـوة الرئيسيـة لـلغزو البحرى علـى ساحـل بـور سعيد ،[١٨] ولم تكـن قد بلغـت بلدة القنطرة بعد .



توثيق الفصل الحادى عشر

(١) Op.Cit. : The Twice Fought War, p. 528.
وأيضاً : Op.Cit. : Warriors At Suez, pp. 393–394.

(٢) Op.Cit. : Full Circle, pp. 545–546.
وأيضاً : Op.Cit. : The Story of Suez, pp. 119–121, and pp. 123–124.
وأيضاً : Op.Cit. : The Twice Fought War, p. 560–561, and 568–569.

(٣) المصدر السابق ، حرب السويس ١٩٥٦ ، ص ١١٠ .
وأيضاً : Op.Cit. : The Story of Suez, pp. 122–123.
وأيضاً : Op.Cit. : Suez 1956, A Personal Account, p. 204.

(٤) Urquhart, Brian : Hammarsrold (London, The Bodley Head, 1972), p. 174.

(٥) Op.Cit. : Warriors At Suez, pp. 399–400.

(٦) Shuckburgh, Evelyn : Descent To Suez Diaries (London Weiden fild and Nicolson, 1986), p. 363.
وأيضاً : Op.Cit. : The Story of Suez, pp. 128 and p. 131.
وأيضاً : Johnson, Paul, The Suez War, pp. 96–98.

(٧) Op.Cit. : The Twice Fought War, p. 561.

(٨) Op.Cit. : The Suez War, p. 101.

(٩) المصدر السابق : حرب السويس ١٩٥٦ ، ص ١٠٦ - ١٠٧ .
وأيضاً : Eban, Abba : An Auto–Biography (London, Weiden fild and Nicolson, 1977), p. 225.

(١٠) Op.Cit. : The Twice Fought War, p. 623–625.
وأيضاً : Op.Cit. : Warriors At Suez, p. 410.

(١١) Ibid, pp. 576–577.
وأيضاً : Ibid, pp. 402.

(١٢) Ibid, p. 564.

(١٣) المصدر السابق : ملفات السويس ، ص ٥٦٠ .

وأيضاً : Op.Cit. : Elusive Victory, pp. 197.

(١٤) Op.Cit. : Warriors At Suez, pp. 403–404.

(١٥) Ibid, pp. 404.

(١٦) Ibid, pp. 404.

(١٧) Op.Cit. : Full Circle, pp. 556–557.

وأيضاً : Ibid, pp. 409–410.

وأيضاً : Op.Cit. : The Story of Suez, pp. 145–146.

(١٨) Ibid, pp. 410.

وأيضاً : Op.Cit. : Descent To Suez Diaries, p. 365.

الفصل الثانى عشر

سفر طويل ... وقتال قصير

مقدمة - خطة الغزو - الفكره العامة - مراحل الخطة - قوات الغزو - التشكيل للمعركة - مهام القتال - سفر طويل - التمهيد الجوى المركز - التعديلات الاخيرة - خطة الدفاع عن بور سعيد - قتال قصير : اول التحام راسى فى التاريخ - القتال فى الجميل - وفى مدينة بور فؤاد - حرائق بلا نقطة ماء - الغد المجهول .

مقدمة :

كان قد مرَّ على ضرب الإسكندرية بأسطول الادميرال سيمور نيّف و ٨٨٨ شهراً عندما عاد أحد أحفاده - الأدميرال روبين دانفورد سلاتر - ليكرر نفس العدوان ، ويضرب الثغر الآخر الواقع على الطرف الشرقى من الدلتا ببور سعيد .

ورغم أن ضمير الأدميرال لويس مونتباتن دفعه إلى إقناع إيدن ألا يستخدم عياراً اكبر من ٤,٥ بوصة من مدفعية الأسطول ، و١٠ دقائق من قصف الطائرات . . فإن ضرب الأسطول الأنجلوفرنسى لبورسعيد هدم أحياءً بأكملها فوق رؤوس قاطنيها ، دون أن يفرق بين رضيع وعجوز أو ذكر و أنثى . وقد وصف الطبيبساندى كافاناه - الذى نزل مع المظليين فى الموجه الأولى - تلك المجزرة الدموية التى شاهدها رأى العين ، فقال " لقد كان المنظر شديد البشاعة مشيراً للأسى ؛ إذ كان عدد القتلى من المدنيين مفزعاً ، وظلت اللوارى وعربات الكارو تنقل جثث الرجال والنساء والأطفال فى حمولات تلو حمولات ، إلى حيث كان يتم دفنهم فى مقابر جماعية [1] .

ولأن الزمن كان غير زمن سيمور أو ولسلى ، فقد ترتَّب علــى قصف بور سعيد بتلك الوحشية الدامــية أن ثارت موجـة عـارمة مـــن الاحتجاج ، شملت جماهيـر العالم أجمع ، فيما عـدا شـعـب إسرائيل. وقـد تميز الغزو الـبحرى الأنجلوفرنسى بسمات خـاصة، نجملها فيما يلى:

١ - التخبـط الشديد الذى واكب مـرحلة إعداده وتخطيـطه ، وكثرة التعـديلات التى أدخلت على الخطة حتى زادت على العشرة .

٢ - طول مدة السفر ، التى استغرقتها الرحلة لقوات الغزو بين موانى التجمع وساحل الابرار .

٣- كثرة المـشاحنات بين أطـراف التواطؤ قبـيل وأثناء القـتال ، بما استدعـى إيقاف العمليات ، ثم استئنافها عدة مرات .

٤ قصر مدة القتال الذى لم يتجاوز ١٨ ساعة فقط .

٥ - وقف النيران قبل أن يتحقق الهدف من تلك العملية الضخمة والبالغة التعقيد .

خطه الغزو:

تميَّزت خطة الغزو التى وضعتها القيادة الأنجلوفرنسية المشتركة بناء على التخطيط المبدئى الذى رسمه الجنـرال أندريه بوفر ، عندما اختلـى فى منزل أحد أصدقائه بباريـس فى مطلع شهر اغسـطس ١٩٥٦ ، بكثرة التـعديلات التى أدخلـت عليها ، بسـبب تعرضها لـعوامل وضغوط سياسية وعسكرية مختلفة ، فضلا عما أحاط بها من أجواء التواطؤ التى بذلت قوى العدوان جهداً كبيراً لإخفائه [٢] .

ومن العوامل العسكرية التى أثَّرت على خـطة الغزو ، ضرورة انتخاب منطقة الإبرار بما يتمشى مع ذريعة التدخل لحماية القناة ، ويخدم الأهداف السياسية ، ويتناسب مع الإمكانات العسكـرية . ولهـذا فإن مـنطقة الإسكندريـة كانت بعيدة عن الـقناة بما لا يتفـق مع ذريعة العدوان ، رغم أنها كانت الأسهل للوصول إلى القاهرة ، هدف الغزو النهائى . ولهذا فقد تحول التخطيط إلى بور سعيد ، حيث توجد قناة السويس التى زعم الإنذار الأنجلوفرنسى أنه سوف يعمل على تأمينها ، واستمرار الملاحة فيها لجميع سفن العالم .



الجنرال الفرنسى أندريه بوفر إلى اليمين والجنرال البريطانى هيو ستوكويل إلى اليسار
بينهما ماريشال الجو البريطانى دنيس بارنيت

وزاد من تعقيد الأمور ، إصرار السياسيين على إخفاء التواطؤ ؛ حتى لا يترتب على استخدام إسرائيل كمخلب قط ، دمغ حكومتى المملكة المتحدة وفرنسا بوصمة عار فى سجلات التاريخ .

وكان من أبرز العوامل العسكرية التى آثرت على رسم خطة الغزو الآتى :

١ - ضرورة خداع القيادة المصرية عن الاتجاه الحقيقى للغزو ، بجذب أنظارها إلى منطقة الإسكندرية عن طريق استمرار نشاط الفرقة ١٠ المدرّعة البريطانية المتمركزة بإقليم برقه الليبى ، رغم أنها كانت قد استبعدت من قوات الغزو .

٢ - إظهار نشاط خداعى لأسطول الغزو على مشارف الإسكندرية ، مع نشاط آخر حول مدخل خليج السويس ؛ بهدف جذب الانتباه بعيداً عن الاتجاه الحقيقى ، وهو غزو بورسعيد .

وقد اقتربت بعض السفن حتى ١٨ ميلاً من الإسكندرية خلال ليلة ٣/ ٤ نوفمبر ، عندما قامت طائرات الكانبرا بقصف المدافع الساحلية بمنطقه العجمى ، خلال نفس الليلة .

٣ - نقص الموانى البحرية والقواعد والمطارات الجوية ، وبعدها عن ساحل الغزو بما استدعى سفراً طويلاً ، استمر ستة أيام ، كان من الضرورى تغطيته بالتمهيد الجوى ؛ للتخلص مما تملكه مصر من طائرات ، وللمساعدة فى انهيار مقاومة الشعب .

٤ - سرعة احتلال منطقة رأس الشاطىء ببور سعيد ، رغم ضحالته وقلّة اتساعه ، علاوة على أن الخروج منه يتطلب التحرّك داخل مضيق يمتد جنوباً لمسافة ٤٠ كيلو متراً ، وصفه الجنرال كيتلى بأنه أشبه بالزجاجة ذات العنق الطويل الضيق ، الذى يتحتم الانحشار داخله ، قبل الوصول إلى الرحيق الموجود ببطن تلك الزجاجة[٣] .

الفكرة العامة :[٤]

بنيت خطه الغزو على الأسس التالية :

١ - توجيه ضربة جوية مركزة ومفاجئة لتدمير القوات الجوية المصرية ، وعناصر الدفاع الجوى ، بينما يستمر اقتراب الرحلة البحرية من ساحل الغزو .

٢ - متابعة الضربة الجوية بفترة قصف جوى طويلة لتدمير القوات البرية المصرية ؛ وخاصة المدرعات ، وكذا القوات البحرية فى قواعدها ، وشل اقتصاد مصر وتحطيم معنويات الشعب ، مع استخدام أساليب الحرب النفسية .

٣ - اقتحام رأس شاطىء بورسعيد لإنشاء رؤوس جسور مناسبة به ، توطئة لإبرار القوات الرئيسية اللاحقة .

٤ - انطلاق القوات الرئيسيه من رأس الشاطىء ؛ للوصول بأقصى سرعة ممكنة إلى الإسماعيلية وأبو صوير .

٥ - استكمال احتلال منطقة القناة حتى جنوب السويس ، ثم استغلال النجاح باحتلال القاهرة بحركة كماشة من اتجاهى الإسماعيلية والسويس .

مراحل الخطة :[4]

انقســـمـــت خطـة الغـزو إلى مرحلتين ، تضمّنت كـــل منهمـــا فترات متعدده كالآتى :

المرحلة التمهيدية :[6]

وتستغـــرق ستة أيام بدءًا بيوم ٣١ أكتوبر حتى ٥ نوفمبر ، وتشمل الآتى :

(١) فترة التمهيد الجوى المركز بغرض تدمير القوات الجوية المصرية كأسبقية أولى ، ثم باقى القوات المسلحة كأسبقية ثانية .

(٢) فترة الحرب النفسية لتحطيم معنويات الشعب ، وقدرته على مواصلة الصمود .

ويتم تنفيذ الرحلة البحرية لقوات الغزو البحرى من قواعدها حتى شاطىء بور سعيد ، خلال تلك المرحلة .

المرحلة الرئيسية:[7]

وتستغرق ستة أيام أيضا من يوم ٦ إلى ١١ نوفمبر ، وتشمل الآتى :

(١) فتره اقتحام رأس الشاطىء بمنطقة بور سعـيد ، وتوسيعه باستخدام الاقتحام الجوى الرأسى ، الـذى استخدم فـى هذه العملـية لأول مرّة فى الـتاريخ ، ثم تـوسعت الولايات المتحدة فى استخدامه بعدئذ فى مسرح فيتنام .

(٢) فترة انـدفاع القوات الـرئيسية مـن شاطىء الغـزو نحو الإسماعـيلية وأبـو صوير للاستيلاء عليهما ، ثم استئناف التقدم جنوباً إلى السويس .

(٣) فتره الاستـيلاء على القاهـرة من اتجاهى الإسماعيـلية والسويس ؛ لإسـقاط الحكم الوطنى القائم فيها ، وإعادة الهيمنة الإمبريالية إلى الشرق الأوسط .

توزيع المهام[8]

اهتمّت خطّة الغزو بتقسيم منطقة العمليات إلى قسمين شرق وغرب قناة السويس ، مع توزيع مهام القتال بين القوات البريطانية والفرنسية على النحو التالى :

القوات البريطانية . وتعمل اساساً غرب القناة كالآتى :

(١) الاشتراك فى عملية الاقتحام الجوى الرأسى ؛ لاحتلال منطقة مطار الجميل ، بالتعاون مع القوات الفرنسية .

(٢) اقتحام شاطىء بور سعيد واحتلال المدينة والميناء ، مع تأمين الضفة الغربية لقناة السويس حتى القنطرة .

(٣) التقدم جنوباً للاستيلاء على منطقة «أبو صوير»، وسرعة إعداد المطار للاستخدام .

(٤) التقدم صوب القاهرة على محور الإسماعيلية لاحتلالها .

القوات الفرنسية . وتعمل اساساً شرق القناه كالآتى :

(١) اقتحام شاطىء بور فؤاد واحتلال المدينة لتأمين الضفة الشرقية للقناة .

(٢) التقدم جنوباً نحو السويس لاحتلال وتأمين مدخل السويس من جهة الجنوب .

(٤) التقدم صوب القاهرة على محور السويس للمساعدة فى احتلالها .

قوات الغزو [٩]

القوات البريطانية :

(١) القوات البرية - الفرقة الثالثة المشاه ، ومجموعة اللواء ١٦ المظلات ، والآلاى السادس المدرَّع ، واللواء الثالث مشاه الأسطول (الفدائيين البحريين)

(٢) القوات البحرية - ٥ حاملات طائرات و ٥ طرادات ، و ١٢ مدمرة ، و٧ فرقاطات ، و١٤ كاسحة الغام ، و١١ سفينة نقل جند ، و١١ سفينة انزال دبابات ، وعدة سفن أخرى مساعدة .

(٣) القوات الجوية -١٨ سرب قاذفات (كانبرا وفاليانت) ، وسرب مقاتلات (هنتر وفينوم ومتيور) ، و١٣ سرب مقاتلات قاذفة (سى هوك ، وسى فينوم ، وإيفرن) ، و ٣,٥ سرب استطلاع ، و سرب نقل ، و٢ سرب حوّامات .

القوات الفرنسية :

(١) القوات البرية – الفرقة العاشرة المنقولة جواً ، والفرقة السابعة الميكانيكية ، والفرقة الثانية الأجنبية !!

(٢) القوات البحرية – ٢ حاملة طائرات ، وبارجة واحدة ، وثلاثة طرادات ، وأربع مدمرات ، وثمان فرقاطات ، وثمان سفن نقل جند ، وعدة قوارب إنزال .

(٣) القوات الجوية – تسعة أسراب مقاتلات طراز ف – ٨٤ ومستير ٤ أ ، وثلاثة أسراب مقاتلات قاذفه كورسير وآفنجر ، وثلاثة أسراب استطلاع ، وتسعة أسراب نقل .

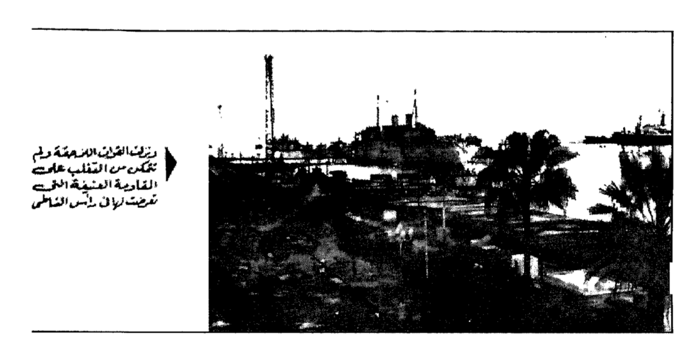
أسماء القادة ونوابهم :

الجنرال السير تشارلز كيتلى	القائد العام لقوات الغزو المتحالفة
الأدميرال بيير بارجو	نائب القائد العام
اللفتنانت جنرال السير هيوستوكويل	القائد العام للقوات البرية
اللفتنانت جنرال اندريه بوفر	نائب القائد العام
إيرمارشال دينيس بارنيت	القائد العام للقوات الجوية
الجنرال ر . هـ . بروهان	نائب القائد العام
الأدميرال روبين دورنفورت سلاتر	القائد العام للقوات البحرية
الأدميرال ب . ج لانسلوت	نائب القائد العام
الماجور جنرال ج . تشيرتشر	قائد الفرقة ٣ المشاه
البريجادير ميرفن بتلر	قائد اللواء ١٦ المظلى
البريجادير ر – مادوك	قائد اللواء ٣ الفدائيين البحريين الملكى
الجنرال جاك ماسو	قائد فرقة المظليين العاشرة
الكولونيل بيير شاتو – جوبير	قائد الكتيبة ١ من الفرقة الأجنبية
الكومودور ر – بروك	قائد قوّة الاقتحام
الكابتن ج . هاملتون	قائد القوة البحرية بالبحر الأحمر

التشكيل للمعركة(١٠)

تشكّلت القوات سالفة الذكر فى قوة اقتحام رأس الشاطيء ، والقوات اللاحقة ، والاحتياطى العام على النحو التالى :

١ - قوة اقتحام رأس الشاطيء وتضّمنت ، من القوات البريطانية ، مجموعة اللواء ١٦ المظلى ، واللواء الثالث فدائيين بحريين ، والألاى السادس المدّرع (دبابات سنتوريان) ، ومن القوات الفرنسية الفرقة ١٠ المنقولة جواً عدا الآى ، وثلاث كتائب فدائيين بحريين من الفرقة الأجنبية .



ونزلت القوات المهاجمة ولم تتمكن من التغلب على المقاومة العنيفة التى تعرضت لها فى رأس الشاطئ

٢ - القوات اللاحقة (النسق الثانى) . وتضمنت ، من القوات البريطانية ، مجموعة اللواء ٥٠ المشاه المستقل ، ومجموعة اللواء ٥١ المشاه المستقل ، وكليهما من الفرقة ٣ المشاه ، ومن القوات الفرنسية الفرقة ٧ الميكانيكية ، والفرقة الثانية الأجنبية عدا ثلاث كتائب فدائيين بحريين .

٣ - الاحتياط العام : وتتضّمن كتيبة مشاة من الفرقه ٣ البريطانية ، وألاى من الفرقة ١٠ الفرنسية .

مهام القتال [11]

توزعت مهام القتال على قوات الغزو البحرى الأنجلوفرنسى ؛ طبقاً لمراحل القتال سالفة الذكر ، على النحو التالى :

القوات البرية :

(١) إنشاء رأس شاطيء فى منطقتى بورسعيد وبور فؤاد بالاقتحام الجوى الرأسى والإبرار البحرى ، على مواجهة ١٠ كيلومترات ، ثم توسعته بالقوات اللاحقة حتى عمق ٣٠ كيلو متراً، وإلى بلدة القنطره جنوبًا كمهمة مباشرة للقوات البرِّية.

(٢) الاندفاع جنوباً بتطوير الهجوم حتى الإسماعيليه للاستيلاء على المدينة وقرية « أبو صوير » ومطارها كمهمة أساسية للقوات البرية .

(٣) استغلال النجاح صوب الجنوب ، والاستيلاء على ميناء ومدينة السويس ، وفرض السيطرة الكاملة على قناة السويس من الضفتين .

(٤) الاستيلاء على القاهرة بهجوم ذى شعبتين من اتجاهى الإسماعيلية والسويس ، كمهمة نهائية للقوات البرية .

القوات الجوية :

(١) استطلاع مسرح الحرب ، مع تركيز المجهود الرئيسى فوق منطقة رأس الشاطىء ببور سعيد ، وعلى امتداد قناة السويس .

(٢) انتزاع السيطرة الجوية فوق منطقة العمليات بتدمير الغطاء الجوى المصرى ؛ توطئة لفرض السيادة الجوية المطلقة على سماء المسرح .

(٣) التمهيد الجوى لمرحلة الاقتحام الجوى، والإبرار الجوى فى رأس الشاطيء وتأمينه .

(٤) عزل ميدان المعركة فى منطقة القناة ومنع التحركات داخلها وخارجها ، مع استمرار تقديم المعاونة الجوية لقوات الغزو البحرى .

(٥) حماية سماء إسرائيل ، وتوفير مساعدات النقل والإمداد الجوى لقواتها المحاربة فى شبه جزيرة سيناء .

(٦) توفير مجهود نقل جوى لعمليـات اقتحام جوى ، بإسقاط ونقل المطالب الإدارية ، وإخلاء الخسائر والأعطال جواً ؛ خاصة للحالات الحرجة .

القوات البحرية :

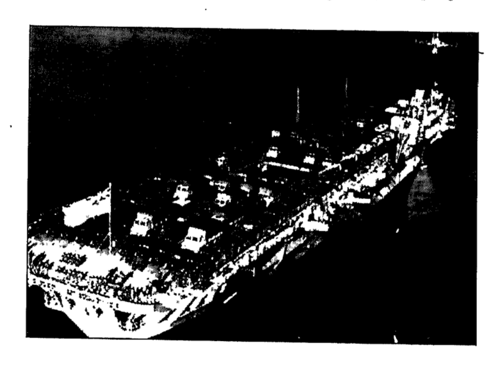
(١) الحصول على السيطرة البحرية فى جنوب شرق البحر المتوسط ، وشمال البحر الأحمر ، وفرض الحصار البحرى على جميع الموانى المصرية الواقعة عليهما .

(٢) حراسة قوافل سفن الغزو البحرى ، أثناء الرحلة البحرية من جزيرتى مالطة وقبرص إلى شاطيء الغزو ببور سعيد .

(٣) التمهيد البحرى بنيران مدفعية الأسطول فى مرحلة الاقتحام البحرى والإبرار البحرى بمنطقة رأس الشاطيء ببور سعيد وبور فؤاد .

(٤) تقديم المعاونة التكتيكية بالنيران من مدافع الأسطو ،ل التى لا تزيد عن عيار ٤,٥ بوصة .

(٥) توفيـر مجهـود النقـل والإمـداد البحرى لقـوات الغزو .



« ثم تدفقت المعدات والأسلحة الثقيلة لدعم قوات الاقتحام . . »

سفر طويل

الرحلة البحرية :[١٢]

للقوات القادمة من الجزائر :

تقلع السفن من موانى الجزائر ليلة ٢٨/٢٧ أكتوبر ؛ لتصل إلى نقطة التجمع أمام شاطيء الغزو ليلة ٦/٥ نوفمبر ، فتتم الرحلة بذلك فى ١٠ أيام .

للقوات القادمة من جزيرة مالطا :

تقلع السفن من موانى جزيرة مالطا ليلة ٣١/٣٠ اكتوبر ؛ لتصل إلى نقطة التجمع أمام شاطيء الغزو ليلة ٦/٥ نوفمبر ، فتتم الرحلة بذلك فى ستة ايام .

للقوات القادمة من جزيرة قبرص :

تقلع السفن من موانى جزيرة قبرص ليلة ٤/٣ نوفمبر ؛ لتصل إلى نقطة التجمع أمام شاطيء الغزو ليلة ٦/٥ نوفمبر ، فتتم الرحلة بذلك فى يومين .

اقتحام راس الشاطيء وتأمينه لمده ٢٤ ساعة :

تقوم قوات الاقتحام الرأسى وقوات المظليين والفدائيين البحريين بالاستيلاء على رأس الشاطيء فجر يوم ٦ نوفمبر ، وتستمر فى التمسّك به وتأمينه ٢٤ ساعة ، لحين وصول قوات الغزو البحرى الرئيسية (القوات اللاحقة) فجر يوم ٧ نوفمبر ١٩٥٦ .

اتمام المهمة الأساسية للقوات البرية بالاستيلاء على المنطقه الممتدة من بور سعيد حتى الإسماعيلية و « أبو صوير » فيما بين يومى ٩/٧ نوفمبر ١٩٥٦ .

استغلال النجاح صوب الجنوب ، والاستيلاء على ميناء ومدينة السويس ؛ لفرض السيطرة الكاملة على قناة السويس من الضفتين قبل أول ضوء ١٢ نوفمبر .

الاستعداد للاندفاع نحو القاهرة ؛ للاستيلاء عليها طبقا لتطورات الموقف السياسى والعسكرى وقتها .

التمهيد الجوى المركز[١٣]

يبدأ التمهيد الجوى المركّز لعملية الغزو يوم ٣١ أكتوبر ، وينتهى يوم ٥ نوفمبر ، وينقسم إلى ثلاث مراحل كالآتى :

١ - مرحلة تدمير القوات الجوية المصرية والدفاع الجوى ، وتستغرق ٤٨ ساعة فيما بين صباح ٣١ أكتوبر وصباح ٢ نوفمبر .

٢ - مرحلة ضرب الأهداف الحيوية العسكرية والمدنية ، وتستغرق ٤٨ ساعة أيضاً فيما بين صباح ٢ نوفمبر وصباح ٤ نوفمبر ؛ لتدمير القوات المسلحة ومناطق الحشد والأرتال المتحركة على الطريق والمعسكرات ، والمكدسات العسكرية ، وأماكن الإيواء ، وتدمير الأهداف المدنية مثل عقد المواصلات البرية ، ومراكز الإرسال اللاسلكى ، وتحطيم معنويات الشعب المصرى .

٣ - المرحلة الثالثة ، وتشمل التمهيد الجوى ضد منطقة رأس الشاطىء فى بور سعيد وبور فؤاد ، وتستغرق ٤٨ ساعة أيضاً فيما بين صباح ٤ نوفمبر ، وصباح ٦ نوفمبر ؛ لتدمير كافة الأهداف العسكرية بالمنطقة ، وإرهاب أهالى بور سعيد ، وضرب الأرتال العسكرية والطرق المؤدية إلى شاطىء الغزو ، وعزل ميدان المعركة عن باقى أرجاء الدولة .

التعديلات الأخيرة (١٤)

ذكرنا آنفا فى الفصل التاسع أن الأمور السياسية اختلطت بأمور الحرب ، قبيل وأثناء الغزو البحرى الأنجلوفرنسى لمصر ، وأن عامل الوقت استدعى إدخال كثير من التعديلات على خطة الغزو الاصلية التى كانت تدعى موسكتير ، فصارت موسكتير المعدلة ، ثم موسكتير المعدلة النهائية ، ثم « أومليت » ، فتلسكوب ، التى أعدها الجنرال الفرنسى أندريه بوفر ، وكان من العوامل الاخرى التى استدعت تلك التعديلات المتتالية ما يلى :

١ - الصراع الحاد بين القادة البريطانيين والفرنسيين ، الذين دأبوا على الإلحاح على سرعة بدء الغزو ؛ خاصة بعد توحيد الجبهة المصرية بقرار القيادة العامة ، الذى صدر ليله ٣١ اكتوبر ، وما ترتب عليه من ضرورة العمل السريع لقطع خط الرجعة على قوات سيناء ، قبل أن تفلت من الفخ الذى نصب لها داخل أعماق سيناء ، وتنجح فى تقوية الدفاعات فى شاطىء الغزو ، وعلى امتداد قناة السويس ، مما سوف يزيد من الخسائر الأنجلوفرنسية ويطيل أمد القتال .

٢ - ضعف الثقة بين الجانبين المتحالفين ، واعتقاد كل منهما أن الآخر يحاول خديعته وسبقه ليفوز بالنصيب الأكبر من المغانم . وقد ظل هذا الاعتقاد يتفاقم امره حتى عمد الجانب الفرنسى إلى التواطؤ مع الإسرائيليين ؛ لتنفيذ خطة الزى التى سبق التنويه عنها ، خفية عن الحليف البريطانى .

٣ - الحرص على الحصول على موطىء قدم فى منطقة قناة السويس ، قبل أن يصدر إجراء دولى ، يجبر قوات العدوان على وقفه .

ولما بلغ الشجار مداه بين القادة الفرنسيين والبريطانيين ، عقد الجنرال كيتلى مؤتمراً مشتركاً فى الساعة الحادية عشرة مساء ٣ نوفمبر ، حضره عدد كبير من الطرفين ؛ حيث تقدم الفرنسيون بمقترحاتهم لتعديل خطة الغزو وتقديم موعدها ، وعارضهم الجنرال ستوكويل باقتراح مضاد ، ثم انفض المؤتمر فى الساعة الثانية عشرة والنصف ، دون أن يُتفق على رأى واحد .

وأحست حكومة المملكة المتحدة بما يحدث بمقر القائد العام فى ابيسكوبى بقبرص ، كما علمت بالتواطؤ الجارى بين الفرنسيين والإسرائيليين (خطة الزى) ، فأرسلت أنتونى هيد وزير الحربية إلى قبرص ليجتمع بالقادة ، ويصل إلى حل للمشكلة . وبمجرد وصول هيد ، اجتمع بكيتلى والقادة الأنجلوفرنسيين بعد منتصف ليلة ٣/ ٤ نوفمبر ؛ حيث توصلوا فى نهاية الاجتماع إلى خطة نهائية ، أطلقوا عليها الاسم " تلسكوب " ، تلخصت فى الآتى :

١ - احتلال المحيط الخارجى لرأس شاطىء بور سعيد ، باقتحام جوى رأسى فى الساعة السابعة والربع من فجر يوم ٥ نوفمبر ، فتحتل كتيبة مظلات بريطانية منطقة ومطار الجميل على مسافة ١٠ كيلو مترات غرب بور سعيد ، كما يستولى الآى مظلات فرنسى عدا سريتين على منطقة الرسوة جنوب بور سعيد ، بعد الإسقاط البريطانى على الجميل بمدة ١٥ دقيقه؛ أى فى السابعة والنصف صباحاً .

٢ - يحتل باقى الآى المظلات الفرنسى مدينة بورفؤاد ، الساعة الثالثة والربع ، بعد ظهر ٥ نوفمبر .

٣ - يبدأ الغزو البحرى الأنجلوفرنسى باقتحام شاطئ بورسعيد ، الساعة السادسة والربع صباح يوم ٦ نوفمبر؛ طبقاً للخطة الأصلية "موسكتير المعدلة النهائية " .

٤ - تستمر القوات الجوية فى تدمير دفاعات بورسعيد والأرتال المتحركة إليها أو خارجة منها ، مع القضاء على أوكار المقاومة بالمدينة وضواحيها ٠

خطة الدفاع عن بورسعيد[١٥]

مقدمة :

كانت القوات الموجودة ببورسعيد - عندما صدر الإنذار الأنجلوفرنسى يوم ٣٠ أكتوبر - عن سرية مشاه من الكتيبة الرابعة المشاه ، وكتيبتين من جيش التحرير الوطنى ، ـتى مدفعيه ساحلية ، وبطارية ثقيلة مضادة للطائرات ، وتروب خفيف مضاد ـات ، بإجمالى لايزيد على ألف فرد من مختلف الأسلحة والإدارات .

وفى يوم ١ نوفمبر ، كان اللواء ٩٧ المشاه الاحتياطى مكلفاً بحراسة مطار غرب ـاهرة ؛ حين صدرت إليه الأوامر بالتحرك - عدا كتيبة - إلى بور سعيد ليتولى الدفاع عنها .

ووصل اللواء يوم ٣ نوفمبر ، بعد تحرك طويل تحت الضرب الجوى العنيف أحدث به خسائر كبيرة . ورغم أن القوات التى وجدها العقيد عبد الرحيم قدرى قائد هذا اللواء فى بور سعيد ؛ لم تكن تكفى للتصدى لغزو بحرى ، جاء بأسلحته وطائراته وجنوده فى عمارة بحرية كبيرة لإعادة احتلال مصر ، فإنه انكب على الاستعداد للمعركة غير المتكافئة بكل جدية ، وشرع فى رسم خطة الدفاع ، وتخصيص المهام للقوات المتيسرة على قدر ما سمحت به الموارد . وكان النقص شديداً فى المعدات الهندسية ؛ لزرع حقول الألغام ، والموانع داخل الماء ، وعلى الساحل الذى ترك تقريباً بغير تجهيزات هندسية أو موانع صناعية .

خطة اللواء ٩٧ المشاة الإحتياطى

قام العقيد اركان الحرب عبد الرحيم قدرى قائد اللواء باستطلاع المنطقة ودراسة الأرض ومحاور الاقتراب المحتملة ، قبل أن يضع خطة الدفاع عنها بتقسيمها إلى ثلاثة قطاعات رئيسية فى بور فؤاد قطاع اليمين ، وبور سعيد - قطاع اليسار ، والرسوة - القطاع الخلفى ٠

قطاع بور فؤاد

تقوم الكتيبة ٢٧٥ المشاه الاحتياطى (عدا سرية) ، وسرية من جيش التحرير الوطنى ، وبطارية المدفعية الساحلية بالدفاع عن قطاع بور فؤاد ، بمواجهة ٣ كيلو مترات ومقاومة الإبرار الجوى أو البحرى وتدميره ، مع تركيز المجهود الرئيسى للدفاع فى منطقة ورش هيئة القناة ومحطة الرادار .

قطاع بور سعيد

تقوم الكتيبة ٢٩١ المشاة الاحتياطى ، وسرية من الكتيبة ٢٧٥ المشاه الاحتياطى ، وكتيبة من جيش التحرير الوطنى ، وبطارية المدفعية الساحلية ، وتروب مدفعية مضادة للدبابات ذاتى الحركة عيار ١٠٠ ملليمتر ، بالدفاع عن قطاع بورسعيد من مطار الجميل الواقع غرب المدينة بنحو ١٠ كيلومترات حتى الميناء (داخل) ، ومقاومة الإبرار الجوى أو البحرى وتدميره ، مع تركيز المجهود الرئيسى للدفاع عن منطقة الجميل - الجبانات ، وتجهيز كوبرى الجميل للنسف ·

قطاع الرسوة :

تقوم سرية من جيش التحرير بتأمين مدخل بورسعيد من الجنوب ، وكوبرى الرسوة للسكة الحديد ، وكوبرى الرسوة العائم ، مع تجهيز الكوبرى العائم للنسف ·

وبوصول الكتيبة ٤ المشاه إلى بورسعيد يوم ٣ نوفمبر عائدة من سيناء ، وضعت تحت قيادة اللواء ٩٧ المشاه الاحتياطى ، وأوكلت إليها المهام التالية :

١ - احتلال منطقة الجبانات ، على الطرف الغربى للمدينة بسرية مشاه فى موقع دفاعى ·

٢ - احتلال تقاطع الطرق شرق الجبانات ، والمؤدى إلى قلب المدينة مباشرة بسرية مشاه ثانية فى موقع دفاعى ·

٣ - احتلال موقع دفاعى ثالث بسرية مشاه جنوب معسكر الجولف ، وشمال كوبرى السكة الحديد ، ويوضع الموقع تحت قيادة قائد قطاع الرسوة سالف الذكر ·

٤ - تبقى سرية المشاه الرابعة فى الاحتياطى العام ، حول نادى الشرطة القريب من نادى الجولف ، وهى على استعداد لتنفيذ المهام التى تصدر إليها طبقاً لتطور القتال .

وكانت الكتيبة الرابعة قد اصطدمت بقوات الألوف مشنيه أورى بن آرى المدرعة على المحور الأوسط فى سيناء عصر يوم ٢ نوفمبر ؛ حيث قامت بستر انسحاب مجموعة اللواء ٣ المشاه ، وتكبّدت خسائر كبيرة أثّرت على كفاءتها القتالية ، عندما وصلت منهكة تمامًا ؛ لتنضم إلى القوات المدافعة عن بورسعيد وقد فقدت معظم حملتها وأسلحتها الثقيلة وثلث أفرادها .

ولم يكن اللواء ٩٧ المشاة الاحتياطى بأوفر حظاً منها ، فبعد استدعائه وتلقيه مرحلة تدريب انفرادى مختصرة على الأسلحة الصغيرة ، دفع به إلى أهم مناطق الدفاع عن الجمهورية ، وهو غير مدرب على خوض معركة حديثة للأسلحة المشتركة ، ولا خبرة له على الإطلاق بالقتال فى المدن والمناطق المبنية ، بل كانت كل خبرته تقتصر على أعمال الحراسة فى قاعدة غرب القاهرة الجوية ، الأمر الذى يجعل تكليفه بالدفاع عن شاطئ الغزو ببورسعيد محل دهشة شديدة ، فرغم ما كان يعانيه من نقص كبير فى الأسلحة المضادة للدبابات والمضادة للطائرات ، فقد كانت كتائبه ينقصها نصف المرتب من الأفراد ، وكفاءته القتالية ضعيفة للغاية .

مهام ضخمة وقوات ضئيلة :

وتجدر ملاحظة أنه عندما بدأ القتال فى بورسعيد ، كانت القوات المتيسرة للأميرالاى الموجى لاتتناسب إطلاقاً مع ضخامة المهام المطلوب إنجازها . وفضلاً عن ضآلة الحجم « فقد كانت غير مدربة على القتال فى المدن . كما أنها جاءت من أماكن بعيدة وتعرضت لضرب جوى شديد ، ووصلت بورسعيد قبل أن يبدأ القتال بمده وجيزة ، لم تتح لها التعرف على المدينة أو إحكام خطط الدفاع عنها ، الأمر الذى جعل بعض القوات البريطانية التى رحلت عن المدينة منذ أشهر قليلة ، أكثر معرفة بها من الوات المصرية التى تدافع عنها .

وفى فجر يوم ٤ نوفمبر ، كانت قوات الدفاع عن بورسعيد ، تتكون من العناصر التالية :(١٦)

١ - الكتيبة ٤ المشاه بقيادة البكباشى سعدى نجيب على ، التى وصلت من بير روض سالم الليلة الماضية ، وقد تعرضت لقصف جوى شديد أثناء هذا التحرك ، أوقع بها خسائر كثيره ، وأنهك جنودها الذين لم يحصلوا على أى قسط من الراحة منذ أيام كثيرة مضت ، على نحو ما سبق ذكره ·

٢ - اللواء ٩٧ المشاة الاحتياطى قيادة القائمقام أركان الحرب عبد الرحيم قدرى · وقد وصلت بورسعيد عصر يوم ٣ نوفمبر فى حافلات أبو رجيلة قادمة من القاهرة ، وقد تعرّض داخل مضيق القنطرة-بورسعيد لضرب جوى مركز ، أوقع به خسائر شديدة ، وكان هذا اللواء يتكون من الكتيبة ٢٧٥ احتياط عدا سريتين بقيادة البكباشى حسين توفيق اسماعيل ، والكتيبه ٢٩١ احتياط بقيادة البكباشى صالح صالح صالح ، وقد تمركزت الكتيبة ٢٧٥ ببورفؤاد بواجب الدفاع عنها ، بينما تمركزت الكتيبة ٢٩١ بمطار الجميل ومنطقة الكباين ومبانى شركة القناة ·

٣ - وكانت هناك أيضاً ٣ كتائب حرس وطنى بمطار الجميل ، وبطارية مدافع صاروخية بمنطقة المناخ ، والبطارية ٩ مدفعية ساحلية ببورفؤاد من ٢ مدفع ٦ بوصة ، والبطارية ١١ مدفعيه ساحلية على حاجز الأمواج برصيف دى دلسبس من ٢ مدفع ٦ أرطال ، و٢ مدفع عيار ٣,٧ بوصة مضاد للطائرات ومضاد للسفن فى ميناء الصيد ببورسعيد ·

٤ - وبصورة إجمالية ، كانت أغلب القوات سالفة الذكر غير مدربة على القتال فى المدن أو مواجهة غزو بحرى من دولتين كبريين · كما كانت تفتقر إلى الأسلحة والمعدات الميدانية والأدوات الهندسية لإقامة الموانع على الساحل المعرض للغزو ، وما يلزمها من تحصينات وحقول ألغام بحرية وبرية ·

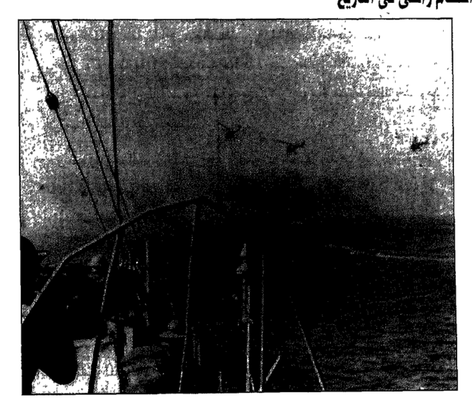
ويثير هذا الاستعداد الضعيف الذى تم فى اللحظات الأخيرة الدهشه من موقف القيادة الشرقية والقيادة العامة ، اللتين لم تزودا منطقة بورسعيد بقوة ، تستطيع إبداء مقاومة حقيقية فى مواجهة قوات غزو ، تتمتع بالتفوق الجوى والبحرى والعددى والنوعى ، فتكتفيان بدفع تلك القوات القليلة للدفاع عن ساحل الغزو ، وفى آخر لحظة قبل نزول القوات الأنجلوفرنسية فيه !

وكان لوجود الأهالى المدنيين من الأطفال والعجائز ، وعدم ترحيلهم مبكرا عن المدينة أثره البالغ على عمل القوات المدافعة عنها ؛ إذ عقد الموقف وزاد من أعباء الإعاشة والخدمات الطبية ؛ خاصة عندما بدأت السفن الحربية ، والطائرات فى ضرب المدينة بالقنابل والصواريخ .

وخلال نهار الأحد ٤ نوفمبر ، دفعت القيادة الشرقية ببعض التعزيزات التى شعرت أن المدينة فى أشد الحاجة إليها ، إلا أنها كانت مجرد قطرة فى محيط ، فلم تزد عن تروب مضاد للدبابات ذاتى الحركة ، وتروب مدفعية صاروخية ، وتروب خفيف مضاد للطائرات ، وقوة من الفدائيين دخلت المدينة ليلاً ، وقامت فيما تلى من أيام بأعمال كثيرة اتصفت الشجاعة والإقدام .

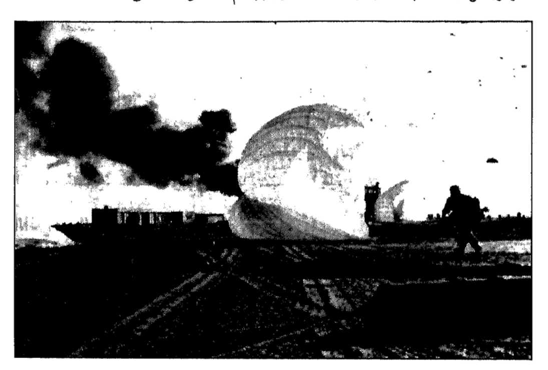
قصير :

اقتحام راسى فى التاريخ (١٧)



الحوامات البريطانية تقترب من ساحل بورسعيد بينما الأسطول الأنجلوفرنسى يقصف المدينة بنيرانه

كان قدر بورسعيد أن تكون أرض المعركة لأول اقتحام جوى فى التاريخ عندما انقضت الحوامات البريطانية صباح يوم ٥ نوفمبر على خزانات المياه الرئيسية جنوب المدينة ، وكبارى الرسوة القريبة منها لتحتلها ، بينما كانت الموجات الأولى من طائرات النقل التى أقلعت بنحو ٦٠٠ جندى بريطانى من نيقوسيا ، و٥٠٠ فرنسى من تايمبو تطير فوق السفن التى غادرت ليماسول فى طريقها إلى شاطئ الغزو ، تحمل على ظهرها الجنرال ستوكويل وكتائب المظليين ، المكلفين بمهام النسق الثانى .



المظليون البريطانيون ينزلون من الجو فى مطار الجميل فى الساعات الأولى من صباح ٥ نوفمبر ١٩٥٦

وبعد أن ألقت الطائرات المكلفة بتحديد مواقع الإبرار الجوى بمشاعلها ذات الألوان المختلفة للتعارف على الأهداف المحددة ، انحرفت الطائرات البريطانية نحو الغرب ، وبمجرد أن ظهر الضوء الأخضر بجوار باب الخروج ، قفز المظليون الستمائة ليهبطوا فى مطار الجميل نحو الساعة الثامنة والثالث ، بينما كانت الطائرات الفرنسية التى انحرفت ناحية الشرق تلقى بالخمسمائة مظلى جنوب كبارى الرسوة .

وكان الفرنسيون من جنود المظلات أكثر كفاءة من البريطانيين ، بفضل تدريباتهم الطويلة السابقة ، ومرونة اسلحتهم وأساليبهم ، فضلاً عن أن طائرات النورد أطلس التى

قفزوا منها ذات بابين ، يوفران للجماعات القافزة نصف الوقت ، الذى يتطلبه القفز من الطائرات البريطانية ، ذات الباب الواحد .

كما تميز المظليون الفرنسيون بصفة أخرى هى الوحشية التى تحدث عنها المظلى بييرلالويت فى كتابه " القديس ميخائيل والتنين " ، فساق حادثة النقيب المظلى الفرنسى الذى أمر ضابطاً مصرياً أسيراً أن يكنس الأرض ، فلما رفض بأباء وشمم ، أفرغ فى جسده طلقات مدفعه الرشاش ، وهو يبتسم ضاحكاً ، ثم أمر جنوده بسرعة دفنه ، كما ساق لالويت قصصاً أشد فظاعة ، شاهدها رأى العين .

ووصف لالويت أيضاً كيف هب المدافعون المصريون من خنادقهم ؛ ليقاتلوا المظليين ،ين ظنوا أنهم يهبطون عليهم من السماء ، بينما كانوا فى حقيقتهم شواخص هيكلية تودعات معدنية تحتوى ذخيرة الهاونات ومدافع الماكينة . ولما كانت الشمس فى أعين ء المدافعين الشجعان فقد ظنوا أنها جنود حقيقيين ، إلا أن خروجهم من الخنادق بمنطقة وة جعلهم صيداً سهلاً فى العراء ، فاستشهدوا إلا عدداً قليلاً .

ال فى الجميل(١٨)

كان بمطار الجميل ساعة أن نزل عليه المظليون البريطانيون صباح ٥ نوفمبر ، سرية من جنود الاحتياط كانت قد أعيد تشكيلها يوم ١ نوفمبر من سريتين تعرضتا لقصف جوى فتك بهما ، وهما يتقدمان داخل عنق الزجاجة إلى بورسعيد . كما كانت هناك أيضاً كتيبة من الحرس الوطنى متواضعة الكفاءة القتالية ، وأربع دشم خرسانية فى أركان المطار ، تضم كل واحدة منها وكر مدفع رشاش .

وكان المدافعون قد نشروا على أرض المطار عدداً كبيراً من البراميل الفارغة لمنع طائرات العدو من الهبوط فيه ، إلا أن تلك البراميل نفسها وفرت سواتر جيدة للمظليين البريطانيين ؛ ليختبئوا خلفها ، ويتخذوا منها مساند لإحكام ضرب النيران .

وراح البريجادير بتلر والمقدم بول كروك قائد كتيبة المظليين ، يستحثان الجنود الذين هبطوا معهما على سرعة السيطرة على المطار ، بينما البريجادير جنرال جين جايلز قائد المظليين الفرنسيين يراقب القتال الجوى من حوامته، التى كان يحلق بها مطمئناً فوق المدينة ، بعد أن تحققت للمهاجمين السيادة الجوية بتدمير الغطاء الجوى المصرى منذ عدة أيام .

وعندما حلت الساعة التاسعة صباحاً ، كان البريطانيون قد استولوا على مطار الجميل ، كما احتل الفرنسيين كبارى الرسوة، ومستودعات المياه المجاورة ، وقطعوا المياه عن المدينة ٠

وكتب الجنرال كيتلى فى يومية الحرب يصف المقاومة المصرية ، صباح ذلك اليوم بالشدة ، وخاصة مدافع الاقتحام الأربعة ذاتية الحركة طراز إس - يو - ١٠٠ ، التى سببت لجنوده كثيرًا من المشاكل ، كما ذكر أنها أتقنت الانتقال من مربض نيران إلى الآخر ، بما دفع بعض ضباطه إلى الظن بأن القوة المدافعة تملك ٣٠ أو ٤٠ مدفعاً ، وليس مجرد أربعة(١٩) .

وفى مدينة بورفؤاد(٢٠)

قفزت كتيبة من المظليين الفرنسيين بقيادة الكولونيل فوسى فرانسوا فى منطقة الجلاء جنوب بورفؤاد - والمقابلة لمنطقة الرسوة - وذلك فى الثالثة والربع من بعد الظهر ؛ حيث قابلتها مقاومة عنيفة للغاية ، قبل أن ينجح الفرنسيون فى الاستيلاء على المدينة خلال ساعات الليل ، وفى ذلك الوقت كانت الطائرات البريطانية تحمل ١٠٠ آخرين من المظليين ؛ لتعزيز مطار الجميل ، وتزويده بالذخائر والمطالب الإدارية الأخرى ٠

وكانت القوات المدافعة عن بورفؤاد قد خفِّضت إلى حد كبير ، بعد سحب جزء منها ، للقيام بالهجوم المضاد فى منطقة الرسوة ٠ وقد ظلّت قوات بورفؤاد - وعلى رأسها قائد الكتيبة ٢٧٥ الاحتياط - تتشبّث بمواقعها بعناد حتى استشهد قائدها البكباشى حسين توفيق إسماعيل ومعظم أفرادها ، بعد ان ابلى جميعهم بلاءً حسنا ، وصمدوا فى مواقعهم بكل شجاعة وتصميم ٠

حرائق بلا نقطة ماء :(٢١)

كان العميد أركان الحرب صلاح الدين صادق الموجى ، رئيس أركان القيادة الشرقية ، قد تطوّع مساء٤ نوفمبر بتفقّد وتنظيم دفاعات بورسعيد ، عندما لم يجد اللواء علىٍ على عامر قائد القيادة الشرقية ضابطاً كبيراً آخر ليتولى المهمة ٠ وبادر بالذهاب إلى المدينة التى وصلها ؛ مساءً ليبدأ المرور على دفاعاتها ، ويعدل من أوضاعها نظراً لكفاءته القتالية العالية ، ولأنه كان على دراية تامة بأساليب القادة البريطانيين فى القتال ، لملازمته إياهم نحو خمس سنوات فى دراسات عليا بالكليات البريطانية والمناورات الميدانية ٠

وعندما بدأت الغارات الجوية فجر ٥ نوفمبر ؛ توطئة للاقتحام الجوى الرأسى الأنجلوفرنسى ، ظل الموجى يدير المعركة بأعصاب ثابتة حتى العصر عندما بلغت الشدّة بالأهالى منتهاها لقطع الكولونيل بيير شاتوجوبير المياه عن المدينة ، كما كانت ألسنة الحرائق تتصاعد فى كل مكان ، وجثث القتلى قد بدأت تتحلل فى الطرقات بما ينذر بانتشار الأوبئة .



المظليون الفرنسيون فى طريقهم إلى احتلال محطة المياه حيث قام الكولونيل شاتو جوبير بعدها بقطع المياه عن بورسعيد

وأفضى المحافظ محمود رياض بأشجانه للموجى ، مؤكدا له أن أهالى بورسعيد صاروا هم الذين يتحملون العبء الإكبر بما يحتم سرعة إعادة المياه للمدينة ، ودفن القتلى ، وبذل كل جهد لإطفاء الحرائق ، وأنه لما كان بين القتلى بعض الجنود الأنجلوفرنسيين ؛ فليس من ضرر فى الاتصال بقيادتهم ؛ لعقد اتفاق وقف إطلاق النار مؤقت ، على نحو ما يعمد إليه ألد الأعداء فى الحروب ، ولا يؤثر على الموقف القتالى للمتحاربين .

وفى الساعة الواحدة ، والنصف اتصل محسن حافظ – الموظف بهيئة قناة السويس

الـذى اعتقلـه الفرنسيون داخـل محطـة ميـاه الـرسوة منذ الصباح - بالقائم مقام حسن رشدى رئيس المباحـث العامة بالمدينة وأخطره بأن الـكولونيل شاتوجوبير يـريد حقن الدماء وحضور أحد المسؤولين للتفاوض معه ٠

وعلـى الفور ، أبلغ رشدى المحـافظ الذى اتصل بالمـوجى ، وأبلغه تلـك الرسالة ، فاتصل الموجى من البـيت الحديدى بالقائم مقام رشدى ، وطلب منه الاتـصال بشاتو جوبير للاتفاق على موعد ومـكان المقابلة . وكانت الساعة وقتئذ قد بـلغت الرابعة عصراً ، إلا أن رشدى لم ينجح فـى الاتصال بشاتو جوبير إلا فى الخـامسة ؛ حيث اتفق معه علـى المقابلة بمحطة مياه الرسوة ، وسـوف يقدم ضابط فرنسى برفقة الموظف الأسير مـحسن حافظ بسيارة أجرة ؛ لمقابلة الوفد المصرى شمال كوبرى الـسكة الحديد بالرسوة ، وعلى الوفد المصرى أن يرفع علماً أبيضاً حتى لا يطلق عليه الـفرنسيون النيران ، وأنه من جانبه سوف يصدر الأمر بوقف النيران ، اعتباراً من الخامسة عصراً لتأمين سلامة المصريين ٠

وبعد مداولة قصيرة بالبيت الحديدى بين المحـافظ وحكمدار المدينة والموجى والقائم مقام إبراهيم أنور حسين والبكباشى البحرى مظهر الشربـينى قائد البحرية ببورسعيد والقائم مقام حسن رشدى والصاغ الغريب الحسينى قائد الحـرس الوطنى ، اتفق الجميع على ذهاب اللواء حسن البنا حكمدار البوليس مع الأميرالاى الموجى والقائم مقام إبراهيم أنور حسين ؛ لمقابلة شاتو جوبير ليشرح له البنا حالة الأهـالى ، ثم طلب المحافظ من حسن رشدى أن يصحب البنا ليترجم من الفرنسية للعربية ٠

وعندمـا دخل الوفد المصرى إلـى مبنى محطـة المياه ، تركه الـفرنسيون واقفـاً فى أحد الدهاليز مدة فاعترض المـوجى وهدد بالانسحاب مما جعل الفرنسيـون يسارعون بإدخال الوفد إلى قاعة وجـدوا بها البريجـادير بتلر والكولـونيل شاتو جوبـير وبعض مراسلـى الصحف الأجانب ٠

وبعـد أن جلس الجميـع حول المنضدة ، قال بتلر إنه مـن الأفضل وقـف النيران حقناً للدماء ، ثم أشار إلـى صاغ بريطانى ليبدأ التـلاوة من ورقة مكتوبة بشروط التـسليم ، مع تجميع أفراد الجيش المصرى دون سلاح قرب كـوبرى الرسوة ، وأن بتلر سوف يصدر الأمر بحظر التجول ليلاً فى المدينة ٠

ثــم سلــم بتلــر المــوجى تلك الورقـــة التــى مـــا إن قـــرأ عنـوانهـــا « شروط التسليـم » ، حتى ردها إليه على الفور قـائلاً إن هذا العنوان لا يليق بـكرامة الجيش ، ولا يمكن لجندى شريف أن يقبله ٠

ووافق بتلـر على تعديل العـنوان ليصبح « شروط إيقـاف النار » فاحتج الموجـى للمرة الثانية ، فعدله بتلر للمرة الثالثة إلى « شروط الإيقاف المؤقت للنيران »

ثم خاطب الحكمدار بتـلر ، ولفت نظره إلى اعتداء جنوده على الأهالـى بوحشية وقتل النسـاء والشيوخ والأطفال ، وضـرب سيارات الإسعاف التـى تحمل علامة الهـلال الأحمر بوضوح على سـطحها وأجنابها ، كما أن انـقطاع المياه عن المدينة يمنـع فرق الإنقاذ من اداء واجبها فرد شاتوجوبير بأنه سوف يعمل على إعادة ضخ المياه للمدينة ، فأخطره الحكمدار أن عمال المياه بالمحافظة أقدر على القيام بهذه المهمة من غيرهم فلم يعترض أحد ٠

وإنتهى اللقاء باتفـاق الموجى وبتلر على وقف النيران مؤقتاً لمدة ٤ ساعات ، تنتهى فى التاسعة والنـصف مساءً ، ثم عاد بتلر وطلب مـدها الى العاشرة والنصف ؛ حتـى يستطيع إخلاء جرحاه بالحـوامات .و مع أن ذلك كان يخدم الموجى ، ويـتيح له فرصـــة إعـــادة تنظيـم دفاعاتـه وحل مشكـلات الأهالى ، فإنـه تظـاهـر بقـبول طلب بتلر على مضض ٠

ولم تكن هناك وسيلة للاتصال بالقاهـرة ، سوى عن طريق خط تليفون وحيد بمكتب رشدى ، الـذى ظـل يـنقل لزكريـا محيى الـدين وزير الداخلـيه صورة ما يـجرى داخل بورسعيد ٠ ونظراً لما ســاد الموقف من غموض . . فقد ظنت القاهرة أن المـوجى فقد الرغبة فى مواصلة الصمود ، بينما الواقع كان خلاف ذلك ٠

الغد المجهول[٢٢]

بمجرد عودة الموجى إلى مركـز قيادة المقاومة الشعبية ، ركّز على إطفـاء الحرائق بالمدينة ودفـن جثث الـقتلى أولا ، ثم راح ينظم المقاومة الشـعبية ويعدهـــا للقـتال من منزل الى منزل ، ومن شارع الـى شارع ، وحتى آخر طلقة ، كـما أخرج عربات الإذاعة لتعـلن على الأهالى بمكبرات الصوت عن عزم الجيش والمواطنين على الاستماته فى الدفاع .

وكان بتلر قد أخطر الجنرال جايلز ، وهو يطير فـى حوامته فوق المدينة بنتائج لقائه مع

الموجى ، الذى سرعان ما نقلها الى كيتلى بقبرص . الذى نقلها بدوره إلى أنتونى هيد وزير الحربيه ، الذى بشر بها إيدن وهو فى مجلس العموم ، تكاد المعارضة أن تأخذ بتلابيبه .

ونظراً لغموض البلاغات وتكرار نقلها من شخص إلى آخر ، فقد ظن إيدن أن محافظ المدينة وقائدها العسكرى قد استسلما ، فهب واقفًا ليصفع المعارضه بهذا النصر العظيم[٢٣] الذى لم يدم إلاّ ساعات قليلة ، قبل أن تقوم محطه الإذاعة بأسيوط بتكذيبه جملة وتفصيلا ، وتؤكد أن المدينة الباسلة عازمة على القتال حتى آخر نفس ، يتردد فى صدور مواطنيها وجنودها الشجعان .

واضطر إيدن تحت ضغط الحقيقة إلى أن يعود للمجلس ؛ لينفى ما زعمه آنفاً عن استسلام المدينة[٢٤] ، فهب معظم الأعضاء يوجهون إليه الشتائم والإهانات ، ويطالبونه بالاستقالة الفورية ، فشهدت القاعة من رخيص الكلام ما لم يتردد بين جدرانها ، منذ جلسة الحكم على الملك شارل الأول بالإعدام شنقاً فى منتصف القرن السابع عشر .

وبينما إيدن يعانى من تلك المحنة ، كان اللواء محمد عبد الحكيم عامر يتصل هاتفيًا بالعميد الموجى ؛ حيث دار بينهما الحديث التالى فى الساعة الثانية بعد منتصف ليلة ٦/٥ نوفمبر[٢٥] :

عامر : ماذا فعلت مع بتلر يا موجى ؟

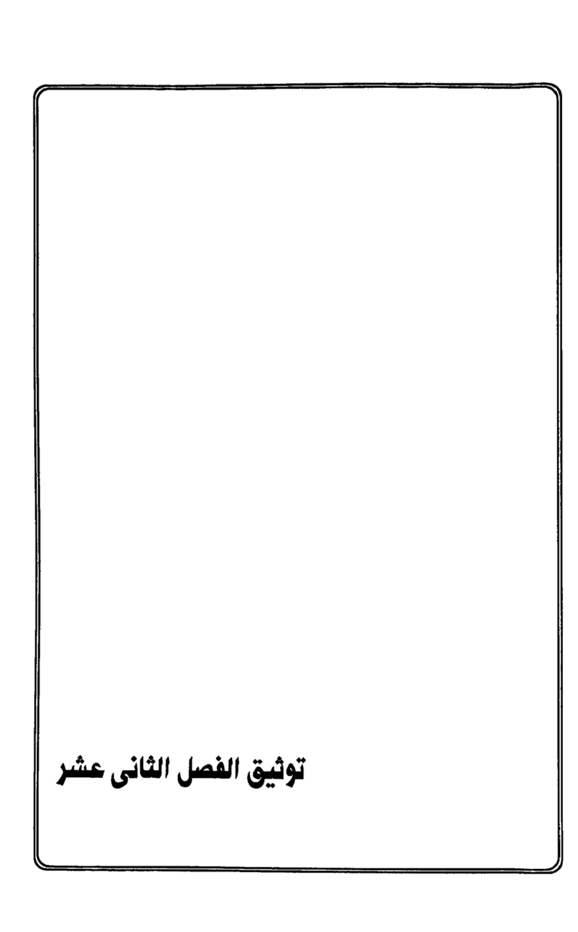
الموجى : لقد فعلت ما أملاه على واجبى وضميرى ....

عامر : حسناً ... ولكن هل سمعت عن الإنذار السوفييتى ؟

الموجى : لم أسمع شيئا فليس عندى جهاز راديو هنا .

عامر : لقد أصدر بولجانين إنذاراً شديداً للحكومات المعتدية ، هذا نصه ... ولهذا فإننى اطلب منك الاستمرار فى الصمود ٢٤ ساعة أخرى ، وقد أرسلت لك ٢٠٠٠ جندى من الحرس الوطنى لمعاونتك ، وهم فى الطريق إليك ، وسوف يصلون فى بحر نصف ساعة .

وتملّكت الموجى الدهشة لوعد القائد العام أن يمده بالفين من جنود الحرس الوطنى ليواجه بهم عشرين الفاً يهاجمون المدينة تحت سيطرة جوية كاملة ... ثم تحولت الدهشة إلى كمد ، عندما طال إنتظاره دون ان يصل منهم أحد ... ولم يغمض للمدينة جفن طيلة تلك الليلة المشحونة بالمآسى والوعود فى انتظار الغد المجهول ، الذى ما إن لاح فجره حتى بدأ اليوم المشهود ... والغزو الموعود .



توثيق الفصل الثانى عشر

(١) Cavenagh, Sandy : Airborne To Suez, William Kimber, London, 1965.

وأيضًا : Op.Cit.: The Twice Fought War, p. 620.

(٢) Op.Cit.: The Suez Expedition, p. 31 and, p. 136.

وأيضًا : Op.Cit.: Elusive Victory, p. 203.

(٣) Stockwell, General Sir Hugh : Suez From The Inside (Sunday Telegraph, London, 30/10 – 6/11/1966 and 13/11/1966).

وأيضًا : Op.Cit.: The Twice Fought War, p. 620.

وأيضًا : Keightley, General Sir Charles : Operations In Egypt (Her Majesty's Stationary Office, London, 12/9/1957).

(٤) Ibid.

وأيضًا : Op.Cit.: The Suez Expedition, pp.51,58,71,79,81,87,85–86.

وأيضًا : Ibid.

(٥) Ibid.

وأيضًا : Ibid.

وأيضًا : Ibid.

(٦) Ibid.

وأيضًا : المصـدر السابق : حرب الـعدوان الثلاثـى على مصر فـى خريف ١٩٥٦ ، الجزء الثانى ، المجلد الثانى ، ص ٧٩ .

وأيضًا : Op.Cit.: The Twice Fought War, p.

(٧) Ibid.

وأيضًا : المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(٨) Ibid.

وأيضًا : المصدر نفسه : ص ٨٢-٨٣ .

(٩) Ibid.

وأيضًا : المصدر نفسه : ص ٧٩-٨٢ .

(١٠) Ibid.

وأيضًا : المصدر نفسه : ص ٨٨-٩٠ .

(١١) Ibid.

(١٢) Op.Cit.: The Suez Expedition, pp. 85–86.

وأيضًا : المصـدر السابق : حرب الـعدوان الثلاثـى على مصر فـى خريف ١٩٥٦ ، الجزء الثانى ، المجلد الثانى ، ص ١١٣-١١٤ .

(١٣) Ibid, p. 137.

وأيضًا : المصـدر السابق : حرب الـعدوان الثلاثـى على مصر فـى خريف ١٩٥٦ ، الجزء الثانى ، المجلد الثانى ، ص ١١١-١١٣ .

(١٤) Ibid, p. 136.

(١٥) المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، الجزء الثانى ، المجلد الثانى ، ص ١٠٦-١١٠ .

(١٦) المصدر السـابق ، دار المحفوظات المركزية الـعسكرية ، الملف رقم ٢٤/٥/ ، مسلسل ١١١ ، كود ٣٧ .

(١٧) المصدر نفسه : وأيضًا .

Leulliette, Pierre, St. Michael and the Dragon : Houghton Mifflin, Boston, 1964.

وأيضًا : Op.Cit.: Operation In Egypt.

وأيضًا : Op.Cit.: Egypt From The Inside.

وأيضًا : Op.Cit.: The Suez Expedition.

وأيضًا : المصـدر السابق : حرب الـعدوان الثلاثـى على مصر فـى خريف ١٩٥٦ ، الجزء الثانى ، المجلد الثانى ، ص ١٠٦-١١٠ .

(١٨) المصدر السابق ، دار المحفوظات المركزية العسكرية : مذكرة عن معركة بورسعيد ، الملف رقم ١١١ كود ٣٧ ، رقم القيد ع/ ١/١٢/١٧٨٢ بتاريخ ١٥/ ١١/ ١٩٥٦ .

وأيضًا تقرير عن معركة بورسعيد ، الملف رقم ١٥٣/٣ ، مسلسل ٧٣ كود ٣٧ .

وأيضًا : Op.Cit.: The Suez Expedition, pp. 101–107.

(١٩) Op.Cit.: Operation In Egypt, p. 47.

وأيضًا : Op.Cit.: The Twice Fought War, p. 602.

(٢٠) المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، الجزء الثانى ، المجلد الثانى ، ص ١٢١ .

وأيضًا : Op.Cit.: The Suez Expedition, pp. 104.

(٢١) المصدر السابق ، دار المحفوظات المركزية العسكرية : الملف رقم ٤٦٤/٦ ، مسلسل ١٢٢ ، كود ٣٧ ، تقرير عن معارك بورسعيد ، بقلم الصاغ الغريب محمد الحسينى، قائد قوات الحرس الوطنى بمنطقة بورسعيد ، بتاريخ ٨/ ١١/ ١٩٥٦ .

وأيضاً : تقرير القائمقام حسن رشدى ، مفتش المباحث العامة فرع القناة .

وأيضًا : الملف رقم ١٥٣ ، مسلسل ٧٣ ، كود ٣٧ .

وأيضًا : تقرير الأميرالاى صلاح الدين صادق الموجى ، قائد الدفاع عن بورسعيد .

وأيضًا : Op.Cit.: The Twice Fought War, pp. 603–605.

(٢٢) المصدر نفسه .

المصدر نفسه .

المصدر نفسه .

(٢٣) Op.Cit.: Full Circle, pp. 552–553.

وأيضًا : Op.Cit.: The Twice Fought War, pp. 605–606.

(٢٤) Ibid, p. 553.

(٢٥) Op.Cit.: The Twice Fought War, p. 612.

الفصل الثالث عشر

اليوم المشهود •••• والغزو الموعود

مقدمة - الساعة الرابعة والربع فجراً- الساعة الخامسة والربع فجراً- الساعة السادسة والربع صباحاً - البلدة الخالية - الساعة السابعة صباحاً- الساعة التاسعة والنصف صباحاً- الساعة الحادية عشرة صباحاً - ستوكويل يرغب فى حفل كبير - الساعة الثانية عشرة ظهراً- القتال فى غرب المدينة - التحام الجيش بالشعب - القتال فى الجمرك - القشة التى قصمت ظهر إيدن - حشو الجراح بالملح - صدمة العمر •

مقدمة :



قصفت المدافع الأنجلوفرنسية بورسعيد بمليون كيلو جرام من المفرقعات فى صباح ٦ نوفمبر

لم يهتد رجلا السلام - إيدن وموليه - إلى وسيلة للفصل بين المتحاربين ؛ صوناً لسلامة قناة السويس ، حسب التبرير المزعوم فى إنذارهما المشترك مساء الثلاثاء ٣٠ أكتوبر ، إلا أن يقصفا بلدة بورسعيد الوادعة صباح يوم ٦ نوفمبر بنحو مليون كيلوجرام من المفرقعات شديده الانفجار على امتداد ٤٥ دقيقة ، ثم يطلقا ٢٠ ألف جندى لاجتياح البلدة ، وهدمها فوق رؤس من بقى من أهلها أحياء[١] .

وكان مما أزعج ضمير العالم أنهما ارتكبا كل هذا العدوان الوحشى ، دون أن يصطبغ وجه أحدهما بحمرة الخجل !

ولقد سبق لهتلر وموسولينى أن ارتكبا اعتداءات مشابهة على بلاد أخرى وادعة ، إلا أنهما كانا أكثر حذقاً وأشد إقناعاً من إيدن وموليه فى اختلاق الذرائع ؛ لتبرير تلك الاعتداءات الوحشية ، كما كانا أكثر حنكة فى إدارتها لأزمنة أطول ، فلم تتحطم أعصاب إحدهما ، وهو مازال فى مستهل القتال . . .

الساعة الرابعة والربع فجرا[٢]

انتظمت مائتان وسبعون سفينة من مختلف الأنواع فى تشكيل المعركة على مسافة ٣٥٠٠ متر من شاطىء بور سعيد[٣] . وبعد أن اتخذت أوضاع الاشتباك تخطتها سفن الإنزال التى كانت تقف خلفها ، ثم انقسمت إلى مجموعتين ، اتجهت أولاهما نحو شرق شاطىء بور سعيد ، تحمل اللواء ٣ فدائيين بحريين من ثلاث كتائب ، بينما اتجهت الثانيه نحو غرب الشاطئ ، تحمل اللواء ١٩ فدائيين بحريين من كتيبتين ، وراحت كل مجموعة منهما تنزل حاملات الجنود البرمائية وعائمات الدبابات من جوفها وفوق سطحها . وتم كل ذلك بينما ٥٠ سفينة من الأسطول السادس الأمريكى ، ترقب العملية من مكان قريب داخل البحر .

الساعة الخامسة والربع فجرا[٤]

اكتسحت الطائرات الأنجلوفرنسية شاطىء بور سعيد على امتداد ٤٥٠٠ متر ، وأمطرته بالقنابل والصواريخ ومدافع الماكينة لمدة ١٠ دقائق ، فأشعلت النيران فى أكشاك الاستحمام والمنشآت القريبة .

ولم تكد الطائرات ترحل فى الساعة الخامسة وخمس وعشرين دقيقة ، حتى فتحت ١٢ مدمرة و ١٥ فرقاطة نيرانها على المدينة ؛ فدمرت معظم المبانى المطلة على البحر ، كما امتدت آثارها للداخل ، فاشتعلت الحرائق وقتلت كثيرين تحت أنقاض منازلهم .

واستمرت قذائف الأسطول تنهمر على المدينة لمده ٤٥ دقيقة ، وعندما توقفت فى الساعة السادسة وعشر دقائق ، كانت سحب الدخان الكثيفة تغطى الشاطىء ، وتنعقد فوق مدينة بور سعيد تتخللها ألسنة اللهب الصاعدة للسماء .

وأثناء هذا القصف البحرى العنيف ، كانت موجات الإبرار البحرى القائدة والمشكلة من الكتيبتين ٤٠ و ٤٢ الفدائيين البحريين ، وآورطة دبابات سنتوريان من ١٦ دبابة تقترب من الشاطىء .



جنود الموجة الأولى من الإبرار البحرى الأنجلوفرنسى تقترب من شاطئ بورسعيد صباح ٦ نوفمبر

وقبل وصولها إليه بخمس دقائق ، توقفت نيران الأسطول فجأة ، واستأنفت الطائرات القصف الجوى بالصواريخ لمدة ٣ دقائق ، ثم قفلت عائدة فى الساعة السادسة و ١٣ دقيقه .

الساعة السادسة والربع صباحا[٥]

وصلت المركبات البرمائية وعائمات الدبابات إلى شاطيء بور سعيد ؛ حيث انتشرت يمينا ويساراً لتقتحم الدفاعات المرابطة فيه ، والتى لم تكن تملك سوى مدفعين ضد الدبابات عيار ٥٧ ملليمتراً ، علاوة على مدفعى هاون ٨١ ملليمتراً لتقابل بهم الغزو البحرى .

وفتح المدفعان نيرانهما المصوبة ؛ فأصابا دبابتين ، قبل أن تدمرهما نيران الدبابات التالية ، ثم زحف الفدائيون حتى وصلوا إلى سلسلة المبانى الخرسانية على امتداد الشارع الموازى للبحر ، وهم يطلقون قذائف الباروكا ومدافع الدبابات والقنابل اليدوية فى كل اتجاه ، ويغمرون المنطقة بالرشاشات ونيران المدافع ١٠٦ ملليمترات .

البلدة الخالية[٦]

ولم يصادف عملية الغزو البحرى فى بور فؤاد مقاومة تذكر ؛ إذ كانت المقاومة قد توقفت فى البلدة فى الليلة الماضية ، وأصبحت خالية من المدافعين .

الساعة السابعة صباحا[٧]

بعد تأمين رأس الشاطيء فى بور سعيد حتى شارع ٢٦ يوليو ، راحت الإمدادات تتدفق بحراً وجواً على قوات الغزو ، ثم صدرت الأوامر فى الساعة السابعة بأن تستعد الكتيبة ٤٥ فدائيين بحريين ؛ لإقتحام الشاطىء بالحوامات من فوق حاملتى الطائرات الهجومية أوشن وتيسوس .

وحلق قائد تلك الكتيبة بحوامته فوق منطقة الاقتحام الرأسى ، إلا أن سحب الدخان الكثيفة جعلته يخطيء فى مكان النزول ، فيتجاوزه غرباً حيث حاول الهبوط فى ملعب البلدية ؛ الذى تدافع عنه سرية مشاه ، قابلته بنيران أسلحتها الصغيرة ؛ فلاذت الحوامات بالفرار ، بعد أن أصيب بعضها برصاصات المدافعين .

الساعة التاسعة والنصف صباحا[٨]

هبطت ٢٢ حـوامة من طراز هويرلـويند وسيكامور فـوق المنطقة المحددة لـها شرق بور سعيد ، وخلال ٩٠ دقيقة تم إنزال ٤١٥ جنديًا و ٢٣ طناً من المعدات الحربية .

الساعة الحادية عشرة صباحا[٩]

تحركت الكتيبة لاحتلال شرق المدينة ، بينمـا كانت بعض السفن الحربية تقتحم مدخل البوغاز ، وتحاول الوصول إلى أرصفة الميناء ، وهى تحمل جنود الألاى السادس المدرع ، عدا الأورطة التى اشتركت فى اقتحام الشاطيء فجراً .



وفى الساعة ١١ ظهرًا إقتحمت بعض السفن الحربية مدخل البوغاز

وجاء فى المـوجات التالـية باقى الـلواء الثالـث المظلات ، وهو عـلى أهبة الاسـتعداد لاستغلال الـنجاح والاندفاع جنوبـاً ، خلال عنق الزجاجـة ؛ للوصول إلى مخرجـها على مسافة ٤٠ كيلو متراً جنوب بور سعيد .

ستوكويل يرغب فى حفل كبير ![10]

ووقع الموجى حوالى الساعة العاشرة صباحاً فى أسر البريجادير مادوك قائد اللواء الثالث الفدائيين الملكى ، الذى كلّف الماجور دافيد جراهام أحد زملاء الموجى فى دورة مدفعية ساحلية بقلعة بليموث منذ بضع سنين بأن يقوم بحرا ستة .

وفى نفس هذا الوقت ، كان الجنرال ستوكويل والجنرال بوفر ومارشال الجو بارنت يستقلون لنشاً لمقابلة الكونت فينشتى ماريرى قنصل إيطاليا ببور سعيد ، الذى كان قد اقترح عليهم الحضور إلى دار القنصلية للبحث عن مخرج ؛ يجنِّب المدينة المزيد من الخراب ، وصادف اقتراحه هوى فى نفوسهم ، خاصة عندما أخبرهم أن محافظ المدينة والأميرالاى الموجى موجودان طرفه .

وباقتراب اللنش من مبنى هيئة قناه السويس بجوار أحواض السفن جنوب الميناء ، انهالت عليه طلقات المدافعين التى أصابت جسم اللنش برصاصات كثيرة ، بينما لم يتعرض ركابه لأية خسائر . واستدار اللنش بعيداً عن المنطقة ، وعندما وصل إلى ميناء الصيد عند الطرف الشمالى للقناة وجدها آمنة فأنزل ستوكويل وصاحبا ، واتجهوا مباشرة إلى مبنى القنصلية الإيطالية تسبقهم دبابة لتأمين الطريق .

وجلس ستوكويل يكتب شروط الاستسلام ، التى انتوى عرضها على المحافظ والقائد العسكرى المسئول ، وقد اهتم بأن يضمنها شرطاً بضرورة عمل حفل استسلام كبير ، يذاع على الملأ بمختلف وسائل الإعلام .

وعبثاً حاول ستوكويل أن يراود المحافظ أو الموجى على التوقيع ، فانفض الاجتماع قرب الظهر ، وعاد ستوكويل إلى مركز قيادته ؛ ليباشر إدارة المعركة التى كانت قد بلغت وقتها الذروة فى الشدة .

الساعة الثانية عشرة ظهراً[11]

أضحى إجمالى القوات الأنجلوفرنسية التى تم إبرارها حتى ذلك الوقت جواً وبحراً فى شاطىء الغزو لواء من المظليين ، ولواء من الفدائيين البحريين ، و٢ آلاى فرنسى من ٦ كتائب ، و٣ كتائب فدائيين بحريين فرنسيين وآلاى وأورطة دبابات خفيفة ، مقابل ثلاث كتائب مصرية قد فقدت أسلحتها الثقيلة ، وحرمت من المعاونة الجوية ، وتعرّضت للضرب الجوى العنيف طيلة الأسبوع المنصرم ، وسقط عديد من جنودها جرحى وشهداء .

القتال فى قلب المدينة[١٢]

بدأت الكتيبة ٤٢ فدائيين بحريين التقدم داخل المدينة ، وهى ممتطية حاملات الجنود البرمائية والمدعمة ببضع دبابات سنتوريان . وما إن تخطت منطقة الشاطىء حتى قوبلت بالتصفيق والهتاف من الجماهير ، ظناً منهم بأنها القوات السوفيتية التى وعدهم بها القائد العام بالأمس ، فلما تبين للمدافعين حقيقتها صبوا عليها نيراناً شديدة من حول مبنى المحافظة ؛ حيث كانت قوة من الجنود متحصنة هناك بالبنادق والرشاشات ، ومعها هاونين عيار ٨١ ملليمتراً .



وتقدمت دبابات السنتوريان داخل المدينة

ورغم قلة عدد المدافعين . . فقد نجحوا فى إيقاف الفدائيين البحريين ، الذين بادروا باستدعاء المقاتلات القاذفة لتنقض على الموقع ، وتدمر مبنى المحافظة وما حوله من المنازل . وبعد القضاء على جنود الموقع الذى أوقف زحف الفدائيين البحريين نحو ساعة ، استأنفت الكتيبة ٤٢ زحفها فى اتجاه شارع محمد على ؛ بهدف الاتصال بقوة المظليين الفرنسيين بالرسوة على جناح السرعة .

إلا انها بمجرد أن دخلت الشارع ، وقعت تحت وابل مــن النيران والقنابل اليدوية التى انهالت علـيها من النوافذ والشرفـات والسطوح ، بينما مـدافع الدبابات السنتوريـان تكتسح الشارع والأبنية على الجانبين بقذائفها وطلقات رشاشاتها .

واستغرقت الكتيبــه نحو ساعتين فى عبور الشارع ، الذى لا يزيد طوله عــلى الكيلومتر الواحد ، فلم تصل إلى موقع الفرنسيين لوجود سرية مصرية متحصنة فى المبانى شمال أرض الجولف مباشرة .



استغرق عبور شارع محمد على نحو ساعتين

وكانت مؤخرة الكتيبة لا زالت متعثرة داخل شــارع محمد على ؛ حيث عطلتها المقاومة العنيفة من الجيش وجماهير الشعب ، بما اضـطر الجنرال ستوكويل إلى أن يدفع الكتيبة ٤٥ فدائيين بحريين بمجرد هـبوطها بالحوامات لمعاونة هذه المؤخرة وتخليـصها من ورطتها ، وقد عززها بأورطة دبابات سنتوريان إضافية لهذه المهمة .

التحام الجيش بالشعب[١٣]

ظلت السيطرة على المعركة من جانب القيادة المصرية تتضاءل بعد أن وقع العميد الموجى

فى الأسر داخل مبنى الفنـار فى العاشرة صباحاً ، حتى اصبحت شبة منـعدمة بعد الظهر ، ويدأ القتـال يتخـذ شكل المقـاومة التلقائيـة من منزل لمنزل ، ومن شارع لـشارع ، واندمج الجنود فى الشعب ؛ فـسببوا متاعب جمّة للمعتدين ، دفعتهـم إلى زيادة العنف والإفراط فى تدمير المبانى وإحراقها بالعبوات الحارقـة .

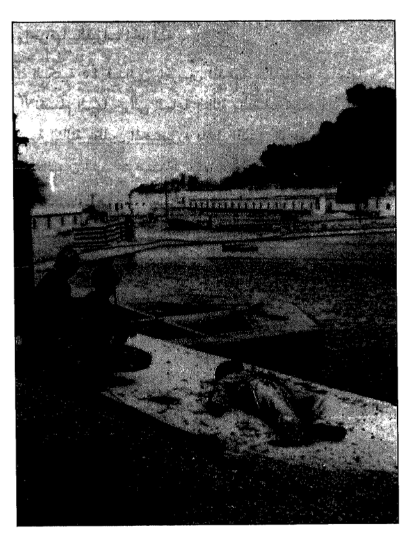
وواصلت الـكتيبة ٤٥ فـدائيين بحريـين المدعمة بـالدبابات مهـمتها ، بعـد أن لحِحت مؤخرتها فى الانضمام الـيها حوالى الساعة الثالثة والنصف عصـراً ، إلا أنها عندما حاولت الاتصال بالكتـيبة الثالثة مظليين المحـصوره داخل المضيق الواقع شرق الجمـيل ، فشلت فى اختراق أوكار المدافـعين التى اعترضت طريـقها ، وتحملت خسائـر كثيره جعلتهـا تلجأ إلى الحوامات لتنـقض بجماعاتها المسـلحـة فـوق سطوح المبـانى ؛ لإحكام السيطرة علـيها وعلى الشوارع والحارات الجانبية .

كما قـامت تلك القوات بـإحراق المبانى فى مـنطقة واسعة تـقع إلى الغرب من مـبنى المحافظة ، بـإلقاء عبوات حارقة داخـلها اشعلت الحرائـق الضخمة فى عشـرات المنازل ؛ مما أجبر سكانها على مغادرتها الى منطقة الشاطىء ؛ هرباً من ذلك الأتون الذى راح يلتهم كل شىء . وظلـت تلك الحرائق تضطـرم فى المدينة ، حتى ساق الـله سبحانه وتعـالى المطر الغزير قبـيل نهاية ذلك النهار المـشهـود ، فأطفـأ الحـرائق بينما الظلام يسـدل أستاره على المدينة الباسلة .

وظلت الكتيبة ٤٢ مظليون متوقفة أمام أرض الجولف ؛ نظراً لعنف المقاومة حتى عمدت إلى نفس أسلوب الكـتيبة ٤٥ السابق ذكره ، فاستدعت الحوامات لـتدك المنازل وتدمر اوكار الرشاشات . ولـم يكن عدد المدفعين فى تلك المنطـقه يزيد على مائة مدنى وعسكرى ، ظلوا يصدون هجمات العدو المـتفوقة ، حتى أخر ضوء ، عندما تمكن المظلـيون أخيراً من اجتياح مواقعهم ، وإتمام الاتصال بالـفرنسيين فى منطقة الرسوة ، الذين تنفـسوا الصعداء بإتمام هذا الاتصال .

وعلى الـرغم من أن الخطة كـانت تقضى عنـدئذ بدفع باقـى اللواء ١٦ المظلـى المدعم بدبـابات الالاى ٦ المدرع ، خـلال عنق الـزجاجة صـوب القـنطرة بمـجرد إتمام الاتـصال

بالفرنسيين فى الرسوة إلا أن الجنرال ستوكويل لم يكن قد اطمأن بعد على السيطرة على المدينة بدرجة كافية ، فقرر تأجيل دفع تلك القوات لموعد سوف يحدده فيما بعد .



« ... واضطرمت الحرائق فى المدينة ... »

القتال فى الجمرك (١٤)

بينما كانت تلك المعارك سالفة الذكر تدور بعنف شديد وسط وجنوب بور سعيد ، كانت الكتيبه ٤٠ فدائيين تعانى هى الأخرى من عنف المقاومة المصرية شرق المدينة ، وعلى امتداد المنطقة المجاورة للميناء ، وخاصة فى ذلك المستطيل المحصور بين شارعى التحرير والسلطان حسين .

وكانت مهمة هذه الكتيبة سرعة الاستيلاء على منطقة الجمرك ، وأحواض السفن الأربعة في القسم الجنوبي من الميناء ؛ حتى يمكن إبرار القوات الرئيسية اللاحقة من سفنها الى تلك الأرصفة مباشرة . كما كان الاستيلاء على هذه المنطقة يتيح للقوات اللاحقة أن تتفادى التورط داخل المدينة المشتعلة بالنيران ، والانطلاق من جانبها الشرقي نحو الجنوب مباشرة ، دون التعرض للمشكلات الكثيرة داخل المدينة سواء من عنف المقاومة ، أو انتشار الحرائق أو ضيق الشوارع والطرقات .

ولم تصادف الكتيبة ٤٠ فدائيين مقاومة تذكر ، وهى تندفع عبر شارع السلطان حسين الموازى لسور الميناء ؛ حيث أغلب السكان من الأجانب ، فتمكنت طلائعها من الوصول إلى مرسى معدية بور فؤاد ، عند الطرف الجنوبى للشارع فى زمن وجيز .

وأثناء تحرك باقى الكتيبة ، صدرت لها الأوامر بالانحراف يميناً لتأمين القنصلية البريطانية ؛ حيث بدأت متاعبها ؛ إذ تورطت فى قتال عنيف مع المقاومة التى أحاطت بها من كل جهة . وظلت مدافع دبابات السنتوريان عيار ٢٠ رطل تدك المبانى ، التى تصدر منها قذائف المقاومة التى أنزلت بجنود الكتيبة عدة خسائر ، قبل أن تتابع الزحف لاحتلال مبانى الجمرك وأرصفة الميناء حيث اصطدمت للمرة الثانية بمقاومة شديدة فقدت خلالها اثنان من الضباط ، قبل أن تنجح فى السيطرة على المنطقة .

ولم يتوقف القتال داخل منطقة الجمرك ، بل راحت المقاومة تزداد عنفاً وضراوة ، بعد أن تجمعت فى مبنى البحرية وتحصنت داخله ، ثم راحت تمطر المعتدين بنيرانها فتصيبهم الواحد تلو الآخر .

ووقفت الكتيبه طويلاً أمام تلك المقاومة الاخيره ، وراحت دباباتها ومدافعها تهدم جدران مبنى البحرية ، بينما الساعه تقترب من الرابعة ، وتنذر بقرب حلول الظلام . ورغبة فى المزيد من السرعة ، عمدت إلى تكرار نفس الأسلوب للمرة الثالثة ، فجاءت المقاتلات القاذفة لتصب نيرانها على مبنى البحرية وتهدمه على رؤوس من فيه . وبحلول الظلام كان المبنى قد تحول إلى انقاض ، وعندما دخله الجنود لم يجدوا فيه سوى الشهداء والركام .

القشة التى قصمت ظهر إيدن :

شعر المحيطون بإيدن أن أعصابه راحت تفلت منه منذ جلسة الصباح ، عندما تلقى

الضربة القاضية من وزير خزانته الذى فاجأه بقرب انهيار الاقتصاد البريطانى ، ما لم يوقف الحرب على الفور . وفى الساعة السادسة من مساء ٦ نوفمبر ، أبلغه ، ريتشارد بتلر زعيم مجلس العموم أن صديقه الأمريكى هيوبرت همفرى رفض رجاءه بالوساطة عند الرئيس ايزنهاور ؛ ليسمح للمملكة المتحدة بسحب القرض الذى طلبته من صندوق النقد الدولى ، وأن همفرى ختم المكالمة الهاتفية بخشونة قائلا « ليس امامكم سوى حل واحد ، هو أن توقفوا النيران فوراً وتنسحبوا من بور سعيد » [١٥] .

وجمع إيدن وزراءه ليتخذ القرار الذى لم يعد منه فكاك . ووافق الجميع على وقف إطلاق النار ابتداء من الساعة الثانية بعد منتصف ليلة ٦/٧ نوفمبر بتوقيت القاهرة ، وبهذا توقف الغزو البحرى ، قبل أن تمر ١٨ ساعة على بدايته [١٦] .

ويقى على إيدن أن يخطر زميل التواطؤ جى موليه بالنبأ ، وقد وصف بينو الذى انتدبه موليه للرد على مكالمة ايدن الهاتفية ؛ نظراً لاجتماعه وقتها بمستشار المانيا الغربية كونراد اديناور تفاصيل تلك المحادثة بأنه سمع صوتاً متحشرجاً يكاد ينكسر ، يقول : لم يعد فى الإمكان أن نستمر ، ولابد أن نوقف الحرب الآن ، فالإسترلينى يترنح والفزع فى كل مكان ![١٧]

وطلب بينو من إيدن أن يتمهل ولو ٤٨ ساعة أخرى ؛ ليعطى الجنرال كيتلى الفرصة لنهو المهمة ، فأجابه إيدن . . . إننى لا أستطيع الصمود ساعة أخرى . وعندما حاول بينو طمأنته بأن فرنسا تقف وراءه بكل ثقلها ، رد إيدن بأنه قد اعتمد أمر إيقاف النار فعلاً ، ولم يعد هناك ما يمكن النقاش فيه ويقول بينو إنه شعر عندئذ أنه يتحدث مع رجل ميت [١٨].

حشو الجراح بالملح :

قبل ان تنفض جلسة المساء بمجلس العموم ، دخل إيدن ليعلن على النواب أن حكومة صاحبه الجلالة أمرت بوقف النيران فى منتصف ليلة ٦/٧ نوفمبر بتوقيت جرينتش ، ما لم يهاجم جنودها أحد . وكأنه القى بقنبلة شديدة الانفجار ؛ إذ وقف الأعضاء المحافظون يهتفون له ، بينما العمال . والأحرار يصرخون فى وجهة بألفاظ نابية [١٩] .

واستطاع جيتسكيل بعد لأى أن يسمع صوته بين هذا الضجيج الهائل ؛ فخاطب الأعضاء مؤكدا أن القناة لم تكن معرضة لأية أخطار ، قبل أن يتدخل إيدن بشريعة الغاب، التى سوف تفتح شهية الدب الروسى لممارسة الكثير من العدوان بعده (٢٠) .

ثم خرجت صحف المعارضة صباح ٧ نوفمبر ، تحمل الكاريكاتير اللاذع والسخرية الشديدة بإيدن ، الذى ذهب بجيوشة إلى مصر ؛ ليدعم مصالح الغرب فى قناة السويس ، ويحطم مركز الرئيس عبد الناصر فى الشرق الأوسط فحطم القناة ، ودعم مركز الرئيس عبد الناصر كما ظهر بواحدة منها كاريكاتيراً تهكمياً لإيدن ومولية ، وهما يرقصان رقصة الفشل .



وكان الرئيس أيزنهاور قد حشى جراح إيدن بالملح فى تلك الليلة ، عندما حاول إيدن استغلال فارق الوقت بين لندن وواشنطن ؛ ليتصل هاتفياً بأيزنهاور فى الساعة الثامنة والثلث بتوقيت البيت الأبيض ، ويسترضيه بعد أن أوقف إطلاق النار بناءً على نصيحته ، وليقترح عقد قمة ثلاثية بينهما ومولية فى الصباح .

وأبدى أيزنهاور موافقته فى البداية ، إلا أن كبير موظفى البيت الأبيض شيرمان آدامز لفت نظرة إلى المناورة الخسيسة التى يخفيها هذا الاقتراح ، الذى يقصد إيدن منه أن يقنع العالم بأن الولايات المتحده عادت إلى دعم السياسات الأنجلوفرنسية فى الشرق الأوسط ، ولم يجد ايزنهاور بدا من أن يحشو جراح إيدن بالملح ، فيعتذر عن تلك المقابلة (٢١) .

صدمة العمر :

بعد ذلك الاجتماع الفاشل فى دار القنصلية الإيطالية ، خرج ستوكويل ونائبه بوفر إلى الساحل ؛ لتفقد قوات الغزو وحثها على الإسراع فى إنجاز مهام القتال . وفى الساعة الرابعة

عصراً ، عقد مؤتمراً لإصدار تعليماته لليوم التالى ؛ فأمر بتلر بالزحف بجنود المظليين جنوبًا للاستيلاء على أبو صوير ومطارها ، بينما يستولى الجنرال ماسو على الإسماعيلية . وكان على البريجادير مادوك ولواء الفدائيين أن يقضى خلال الغد على المقاومة النشطة فى بور سعيد (٢٢) .

وحان وقت عودة ستوكويل إلى سفينة القيادة تاين ؛ ليأخذ حظة من الراحة ، بعد هذا اليوم الشاق الطويل ، وما إن حطت به الحوامه فوق سطح السفينة ، بينما الشمس تختفى خلف خط الأفق حتى فاجأه ياوره بصدمة العمر ؛ إذ ناوله برقية عاجلة ، تأمره بوقف إطلاق النار اعتباراً من الساعة الثانية بعد منتصف الليل .

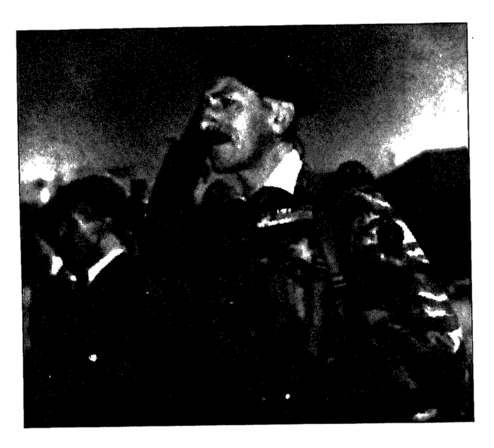
ويقول ستوكويل إنه بعد أن اجتاز تلك الصدمة ، حدثته نفسه أن يأمر بتلر بالإسراع باحتلال الإسماعيلية قبل منتصف الليل ، إلا أنه صرف النظر عن ذلك نظراً لضيق الوقت (٢٣) .

أما نائبه الجنرال الفرنسى اندريه بوفر ، فبعد أن غادر مبنى القنصلية الإيطالية توجه إلى مركز قيادة الكولونيل شاتو جوبير قرب وصلة القناة العرضية حيث عقد مؤتمرا حضره البريجادير بتلر والجنرال ماسو ، وبعض قادة التشكيلات المخصصة لعمليات الغد بالاندفاع نحو الجنوب (٢٤) .

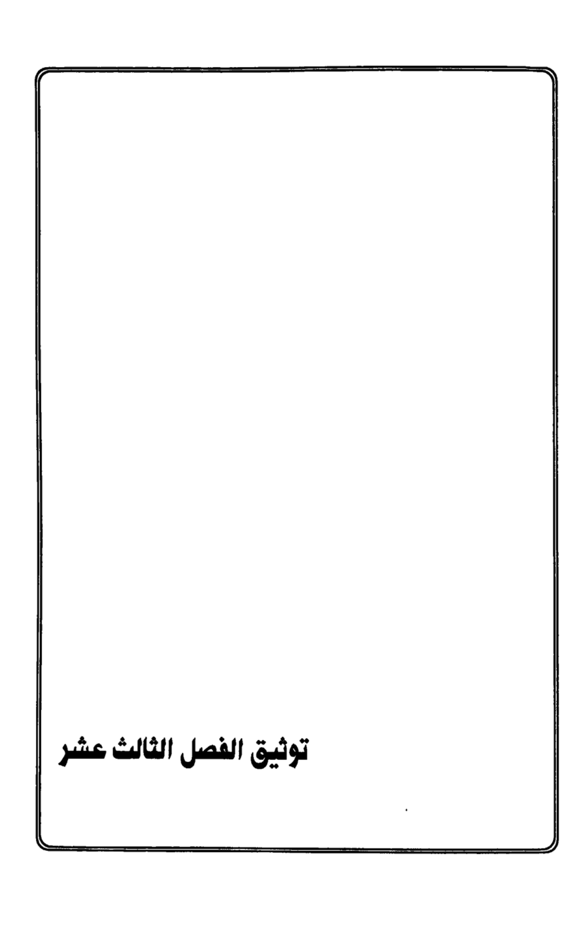
وتم الاتفاق على أن يتقدم بتلر بحرس أمامى نحو القنطرة ، خلال ساعات الظلام على أن يتبعه ماسو بالقوة الأساسية . وخلال تلك الليلة ، تستعد الكتيبة الثالثة مظليو المستعمرات الفرنسية بقيادة الكولونيل بيجار ؛ للإسقاط فوق القنطرة بين الساعة ٧ و ٨ من صباح ٧ نوفمبر . وإذا وجد الجنرال ماسو ، أن الهجوم يسير طبقا للخطة الموضوعة . . فإنه يستطع حينئذ أن يدفع الكتيبة الأولى المظلات الخفيفة قيادة الكولونيل ماير ؛ لاقتحام الإسماعيلية بعملية إبرار جوى فى الساعة الثالثة عصراً على الأكثر . (٢٥)

وبعد أن ودّع بوفر ماسو فى الساعة ٦ مساءً على وعد باللقاء فى القنطرة باكر صباحاً ، عاد إلى اللنش الذى نقله إلى سفينة القيادة الخاصة به « جوستاف ريديه » ، بعد مغامرة ليلية محفوفة بالخطر فى بحر مظلم هائج . وما إن جلس إلى طعامه الذى لم يتناول منه شيئاً منذ الصباح ، حتى جاءته إشارة من الأدميرال بارجو فى الساعة السادسة و ٤٢ دقيقة

تنذره بقرب صدور الأمر بإيقاف النيران فـى المسرح . وبمجرد أن أكمل عشاءه ، دخل عليه أحد مرؤوسيه فى الساعة الثـامنة ليخطره بأن محطة الإذاعة البريطانية أعـلنت للتو عن قبول حكومتا المـملكة المتحدة وفرنـسا وقف النيران فى منتـصف الليل - بتوقيـت جرينتش - أى الساعة الثانية بعد منتـصف الليل بتوقيت القاهرة (٢٦) ، ويصف بوفر ما أصابـه عندئذ بأنها كضربة قوية أصابت فُم معدته .



الجنرال ماسو يتلقى نبأ وقف القتال من الساعة العاشرة من مساء ٧ نوفمبر



توثيق الفصل الثالث عشر

(١) المصدر السابق ، دار المحفوظات المركزية العسكرية : الملف رقم ٢٤/٥ ، مسلسل ١١١ ، كود ٣٧ ، مذكرة عن معركة بورسعيد ، رقم القيد ع/١/١٢/١٧٨٢ بتاريخ ١٩٥٦/١١/١٥ .
وأيضاً : الملف رقم ١٥٣/٣ ، تقارير عن معركة بورسعيد ، يومى ٥ و ٦ نوفمبر ١٩٥٦ .

(٢) Op.Cit.: The Twice Fought War, p. 616.

(٣) المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، الجزء الثانى ، المجلد الثانى ، ص ١٢٥ .
وأيضًا : Op.Cit.: The Suez Expedition, pp. 108–110.

(٤) المصدر السابق ، دار المحفوظات المركزية العسكرية : الملف رقم ١٥٣/٣ ، مسلسل ٧٣ ، كود ٣٧ ، مذكرة عن معركة بورسعيد بقلم العميد أركان الحرب صلاح الدين صادق الموجى .
وأيضًا : Op.Cit.: Keighley, General Sir Charles, Suez From The Inside, p. 51.

(٥) المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، الجزء الثانى ، المجلد الثانى ، ص ١٢٥ .

(٦) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(٧) المصدر نفسه ، ص ١٢٦ .
وأيضاً : المصدر السابق : دار المحفوظات المركزية العسكرية : الملف رقم ١٥٣/٣ ، مسلسل ٧٣ ، كود ٣٧ ، مذكرة عن معركة بورسعيد ، بقلم العميد أركان الحرب صلاح الدين صادق الموجى .

(٨) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(٩) المصدر نفسه .

(١٠) Op.Cit.: The Elusive Victory, pp. 206.

وأيضًا : Op.Cit.: The Suez Expedition, pp. 109–111.

وأيضًا : المصدر السابق ، دار المحفوظات المركزية العسكرية : الملف رقم ٦/٤٦٤ ، مسلسل ١٢٢ ، كود ٣٧ ، ملف معلومات وتقارير عن بورسعيد ١٩٥٦ ، تقرير القائمقام حسن رشدى ، مفتش المباحث العامة فرع القناة .

(١١) المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، الجزء الثانى ، المجلد الثانى ، ص ١٢٧ .

(١٢) المصدر نفسه ، ص ١٢٧-١٢٨ .

(١٣) المصدر السابق ، دار المحفوظات المركزية العسكرية : الملف رقم ٥/٢٤ ، مسلسل ١١١ ، كود ٣٧ ، مذكرة عن معركة بورسعيد ، رقم القيد ع/١/١٢/١٧٨٢ بتاريخ ١٩٥٦/١١/١٥ .

وأيضًا : Op.Cit.: The Elusive Victory, pp. 207–208.

وأيضًا : Op.Cit.: The Suez Expedition, pp. 103–107.

(١٤) المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، الجزء الثانى ، المجلد الثانى ، ص ١٢٩-١٣٠ .

وأيضًا : المصدر السابق ، دار المحفوظات المركزية العسكرية : الملف رقم ٦/٤٦٤ ، مسلسل ١٢٢ ، كود ٣٧ .

وأيضًا : الملف رقم ٥/٢٤ ، مسلسل ١١١ ، كود ٣٧ .

وأيضًا : Op.Cit.: The Suez Expedition, pp. 103–107.

(١٥) Op.Cit.: Full Circle, pp. 556.

وأيضًا : Op.Cit.: The Suez 1956, pp. 209.

وأيضًا : Op.Cit.: The Story of Suez, pp. 146.

(١٦) Ibid.

وأيضًا : Ibid.

وأيضًا : Ibid.

(١٧) Op.Cit.: The Twice Fought War, p. 626.

(١٨) Ibid.

وأيضًا : Op.Cit.: Warriors At Suez, pp. 410–411.

(١٩) Ibid, p. 628.

وأيضًا : Ibid, p. 413.

(٢٠) Ibid, p. 628–629.

وأيضًا : Ibid, p. 413.

(٢١) Ibid, p. 629–630.

وأيضًا : Ibid, p. 414–415.

(٢٢) Op.Cit.: The Suez Expedition, pp. 114–117.

(٢٣) Op.Cit.: Stockwell, General Sir Hugh, Suez From The Inside, Sunday Telegraph, London, 30 Oct. – 6 Nov. and 13 Nov. 1966.

(٢٤) Op.Cit.: The Suez Expedition, pp. 123–124.

(٢٥) Ibid.

(٢٦) Ibid.

الفصل الرابع عشر

ضباب حول قرية الكاب

مقدمة - مداولات ساخنة فى باريس - محاولة إنقاذ ما لا يمكن إنقاذه -الموقف بعد وقف النيران - وكأنما انطفأت النيران لتشتعل المقاومة - التعليق " الحرب بالوكالة - الشرائع والقوانين الدولية - الذرائع الواهية- ورطة العنق الطويل - ووكسة الدفاع الهزيل - المعنويات والاحتياجات - الشؤون الإدارية - «زوبعة فى فنجان»*

مقدمة

فى نفس تلك الليلة التى انهار فيها إيدن ، وأوقف إطلاق النار فى المسرح ، وتلقى ستوكويل صدمة العمر وبوفر ضربة فم المعدة ، جلس وزيران بإحدى القاعات الجانبية بمجلس العموم ، يستعيدان أحداث الأيام العصيبة الماضية ، فلخص أحدهما للآخر - وكان ممن عملوا طويلاً مع إيدن - كيف جنح إلى الدكتاتورية فى معالجة مشكلة القناة بدرجة لم يبلغها تشرشل نفسه فى الأعوام الخمسة التى أدار خلالها الحرب العالمية الثانية ، ولقد عقد إيدن العزم على الحرب منذ أقال الملك حسين جلوب باشا بضغط أجهزة الإعلام المصرية ، فلما أمم الرئيس عبد الناصر شركة القناة ، كانت هى نقطة اللاعودة فى الحرب . ولقد دأب على الاجتماع سراً بالجنرال كيتلى من وراء ظهورنا جميعاً ، ودون أن يهتم بإخطارنا بما يرسمه فى الخفاء . وكان من الواضح للجميع أنه قد صمم على تحطيم الرئيس عبد الناصر كعدو شخصى ، وليس مجرد خصم سياسى ، وكان دافعه إلى ذلك تجربة ميونيخ عام ١٩٣٨ ، عندما تقاعس نيفيل تشامبرلين رئيس وزراء المملكة المتحدة عن إعلان الحرب على

هتلر ، وقبل شروطه باحتلال النمسا وضمها ، فـفتح بذلك شهيته لابتلاع العالم على نحو ما حدث خلال سنوات ١٩٣٩ ، ١٩٩٤٠ ، ١٩٤١ [١] .

ومضى كل منهما يبث الآخر همه ، وما سوف يتـرتب على تلك المغامرة الأنجلوفرنسية الطائشة من أضرار بليغة بسمعة المملكة الكتحدة ، وتردى هيبتها بين الحكومات والشعوب ، وزوال ملكها فى آسيا وإفريقيا ٠

مداولات ساخنة فى باريس :

بمجرد أن ودع موليه ضيفه أديناور ووزير خارجيته برينتانو، جمع مجلس وزرائه لمناقشة قرار إيدن بوقف النار فى السـاعة الثانية من منتصف الليـل . وعلى خلاف وحدة الرأى بين وزراء حكومة إيدن . . فإن وزراء موليـه بمجرد أن أستمعوا إلى النبأ ثار بيـنهم جدل عنيف جداً ، وانقسموا إلى فئات مؤيدة لوقف النـار ، وأخرى معارضة ، وثالثة تحث على مواصلة الهجوم مع الحلـيف الإسرائيلى ؛ حتى يتم احـتلال القاهرة وإسقاط الرئيس عـبد الناصر ، لاسيما وأن تقاعس إيدن عن الاستمرار فى القتال ، يحل إسرائيل من سابق وعدها ألا تعبر القناة بقواتها المسلحة التى تقف الأن عن كثب منها ، ولا تحتاج إلا لساعة أو ساعتين لتحكم قبضتها عليها[٢] .

ولفـت الوزير شـابان دالماس نـظر المجلـس إلى أن البـريطانـيين يقـفون الآن أمـــام الـوحدات الفرنسيــــة ، عند مدخـل عنق الزجاجة المؤدى إلى الإسماعـيلية « فهـل أنتم علـى استعداد للمــروق بينهــم حتـى ولــو استدعــى ذلك إطـلاق النـار ؟ »[٣] .

ثم أيده الـوزير بينو مذكــراً الجميع أن القـيادة الأنجلوفرنسية مشكلة مــن ضباط من الطرفين ، بصورة يستـحيل معها أن يعمل أى منهما من وراء ظـهر الآخر . وبعد أن اتهم خطة موسكتير المعدلة النهائية بالغباء لاختيارها بورسعيد كشاطئ غزو ، بدلاً من الأسكندرية التى تقود مباشـرة إلى القاهرة ، أكد لزملائه أنه وإن ظل يعــارض الحرب منذ البداية ، إلا أنه يعــارض الآن وقفهـــا ، قبـل أن تحقــق أهدافهـــا التــى باتت فى متناول اليد[٤] .

واستغرق إقنـاع بينو وبورجس مونورى نـحو السـاعة ؛ ليؤيدان وقـف النيران ، نزولاً على طلب إيدن ٠

محاولة إنقاذ ما لا يمكن إنقاذه :

كانت الساعة قد جاوزت العاشرة والنصف مساءً ، عندما تلقى البريجادير بتلر أمر ستوكويل بوقف إطلاق النيران ، اعتباراً من الساعة الثانية بعد منتصف الليل ، مقروناً بفقرة تشجيعية تحضه على ألا يتردد في الاستيلاء على كل ما يستطيع أن يستولى عليه ، خلال تلك المدة القصيرة (٥) .



وتلقى البريجادير بتلر تشجيعًا بألاّ يتردد فى الاستيلاء على كل ما يستطيع الاستيلاء عليه

ولم يأخذ بتلر وقتاً فى دفع الكتيبة الثانية المظليين وأورطة دبابات سنتوريان نحو الكاب الواقعة على مسافة ٣٧ كيلومتراً من بورسعيد . ولما حلت الساعة الثانية ، توقف بتلر بدبابته البرمائية التى كان يقود منها الرتل · وعندما انبلج ضباب الصباح ، وتجلت طبيعة الأرض لنظر بتلر وجنوده ، راعهم أنهم توقفوا فى مكان سئ من وجهة النظر التكتيكية إذ كانت الأرض المسيطرة على مسافة كيلومتر واحد جنوب الموقع المنخفض الذى توقفوا عنده ·

وبعد ٢٨ دقيقة من إيقاف النار ، أذاع صوت بريطانيا بالعربية أن المملكة المتحدة وفرنسا قد أنقذتا مصر من أن تحتلها إسرائيل ، فلولا الدرع الذى وضعتاه بينهما لاستولت إسرائيل على القناة ، بل وربما القطر المصرى كله ·



وهكذا انتهت الحرب التي خطط لها بن جوريون منذ مدة طويلة ، ليقيم الكومنولث الإسرائيلي الثالث ، وأراد موليه أن يسحق بها ثورة الجزائر بإسقاط الحكم القائم في القاهرة ، بينما عزم إيدن على أن يحطم الرئيس عبد الناصر حيث أن الدنيا لا تسع لهما معاً ، ولذلك فعلى عبد الناصر أن يذهب .



الموقف بعد وقف النيران :[1]

استمر ستوكويل في فرض سيطرته على بورسعيد وإعادة الحياة إلى مجراها الطبيعي والتودد إلى الأهالي ، إلا أن جماهير الشعب لم تبد أي استعداد لمهادنة المعتدين ، فمنذ اللحظة الأولى حرصوا – حتى قبل أن يتم توحيد الجهود داخل المدينة – على رفض التعامل مع قوات الاحتلال ، رغم الإغراءات السخية ، وشاركوا بجدية في أعمال المقاومة .

ثم راحت المقاومة تأخذ أشكالاً أشد ضرواة من مجرد توزيع المنشورات وكتابة الشعارات على الحوائط والسخرية بالمعتدين . وعندما تولت قوات الصاعقة - التى دخلت المدينة عن طريق بحيرة المنزلة - تنظيم المقاومة المسلحة تطورت الأمور ، حتى جعلت إستمرار العدو فى احتلال المدينة أمرًا باهظ التكلفة شديد الإرهاق للجنود .

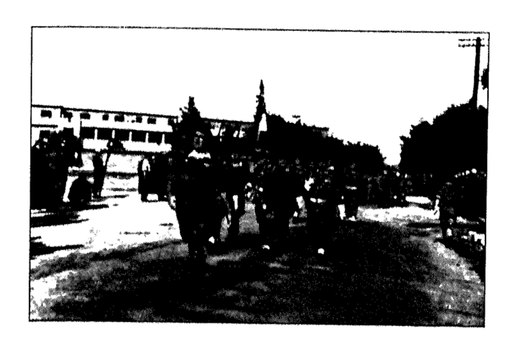
واتخذت هذه المقاومة صورة حرب العصابات ، والضربات السريعة المفاجئة ، وخطف الجنود ، وجمع أسلحتهم ، ثم ظلت تتسع مجالاً وتشتد عنفاً حتى انسحب آخر الأعداء من المدينة يوم ٢٢ ديسمبر ١٩٥٦ ، ليصبح غده عيداً وطنياً لها .



إنسحاب القوات البريطانية من بورسعيد

وكأنما انطفأت النيران لتشتعل المقاومة :

بدأت المرحلة الأولى من أعمال المقاومة المسلحة من بورسعيد باستطلاع أوضاع العدو ، ودخول المزيد من الفدائيين وقوات الصاعقة المصرية إلى المدينة ، ثم تتابعت الأحداث خلال تلك المرحلة على النحو التالى :



وانسحاب القوات الفرنسية

١ دخلت عناصر الصاعقة المدينة يوم ٦ نوفمبر عبر بحيرة المنزلة ، ووصلت إلى كوبرى الرسوة المكلفة بنسفه ، إلا أنها قبل أن تشعل المفجرات ، جاءها الأمر بإلغاء النسف واستطلاع المنطقة بغاية الدقة ، ثم العودة إلى قرية المنزلة جنوب البحيرة التى تحمل اسمها .

٢ وفى يوم ٨ نوفمبر ، صار توزيع عناصر الصاعقة فى مجموعات صغيرة ، يقود كل واحدة منها ضابط متمرس على الأعمال الفدائية . وأثناء عودة إحدى هذه الجماعات من مهمة استطلاع أوضاع العدو ، تصدت لها القوات البريطانية عند شاطئ المنزلة ، فسارع الضابط إلى إحدى المستشفيات ، حيث ربط ساقه بضمادات أخفى داخلها الوثائق التى يحملها ، ثم غادر بورسعيد بقطار الجرحى .

٣ وفى يوم ١٣ نوفمبر ، قامت داورية أخرى باستطلاع مواقع القوات الفرنسية فى بورفؤاد ، وحصلت على معلومات مدعمة بالصور الفوتوغرافية ، كما راقبت نظام الحراسة الذى فرضه البريطانيون على نقطة عبور بحيرة المنزلة فى منطقة القابوطى ، لتحديد الثغرات المحتملة التى يمكن استغلالها فيه .

٤ - وفى ١٨ نوفمبر ، استكملت داوريات الاستطلاع أعمالها عن طريق بورسعيد - الإسماعيلية ، ومناطق الرسوة والحيطان ، فحددت مواقع العدو وتجهيزاته الهندسية ، وما حولها من أسلاك شائكة وأبراج مراقبة وأنوار كاشفة .

ثم بدأت المرحلة الثانية بعد إتمام استطلاع مواقع العدو بالمدينة وضواحيها ، وتحديد نظام الحراسة والتأمين فى تلك المواقع ، ودخول أفراد الصاعقة الى بور سعيد عن طريق بحيرة المنزلة بأسلحتهم وذخائرهم ، التى صار إخفاؤها فى أماكن مختلفة ، ودون أن تشعر القوات الأنجلوفرنسية بذلك .

واستغلّت الصاعقة عدة محاور ووسائل لدخول المدينه المحاصرة ، وبمجرد أن أحكمت قيادتها السيطرة على أفرادها ، بدأت عملياتها التى أزعجت المحتلين ، وسببت لهم كثيراً من الخسائر فى المعدات والافراد ، التى نسوق منها على سبيل المثال لا الحصر ، الآتى بعد :

١ - فى يوم ١٥ ديسمبر ، أغار أفراد الصاعقة ليلاً على ملجأ للدبابات البريطانية قرب حى المناخ ، ودمروا خمس دبابات وعدة عربات . واستخدموا فى هذه الإغارة عدداً من القواذف الصاروخية المضادة للدبابات ، وكذا الرشاشات الخفيفة والقصيرة ، والقنابل اليدوية ، وصاحب تلك الإغارة عدة هجمات أخرى قامت بسبع عشرة عملية فى أماكن متفرقة ، فبلغت جملة خسائر العدو فى الأفراد ليلتها ٢٥ جندياً ، مقابل رقيب واحد من الصاعقة ، أحاطت به داورية معادية ؛ ففجر قنبلة يدوية قضت عليهم وعليه معاً .

٢ - ومنذ مطلع شهر ديسمبر ، كان بعض أفراد الصاعقة قد نجحوا فى اختطاف الملازم البريطانى أنتونى مور هاوس بينما كان يزيل صور الرئيس عبد الناصر من الحوائط ، ورغم ما بذلته قيادته من جهد خارق للعثور عليه ؛ فقد فشلت فى إنقاذه ، حتى قامت السلطات المصرية بتسليم جثته بعد أن إختنق فى الصندوق الذى وضع فيه قبل أن يتمكن آسروه من إخراجه منه ، بسبب نشاط الدوريات البريطانية حول المنزل الموجود به (٧) .

٣ - وإستمر تزايد نشاط الأعمال الفدائية التى تركزت ليلاً بعد تشكيل مجموعات مدربة عليها من المواطنين والصاعقة . وكان لتلك المجموعات أثر كبير ؛ إذ قامت

بإطلاق النار على دوريات العدو ونسف عرباته ، ولجحت فى إصابة ضابط المخابرات البريطانى فى بورسعيد بجرح بليغ تسبب فى بتر ساقه ، وأربكت وشتتت جهود العدو ٠

٤ – ثم إتفق أفراد الصاعقة والمواطنون على تقسيم العمل بينهما ، فكانت الصاعقة تهاجم ليلاً ، بينما المواطنون ينشطون نهاراً ؛ مما أجبر العدو على زيادة الحراسات والسير بعرباته فى الطرقات بسرعة عالية ، تجنباً للقنابل اليدوية التى تسقط عليه من شرفات المنازل ونوافذها ٠

٥ – ولم يتوقف نشاط المقاومة حتى تم انسحاب الأعداء من بورسعيد بعد ٤٧ يوماً من بدء الغزو البحرى ، تلك الأيام التى أطلق عليها بعض الجنود اسم « أيامنا السوداء فى بورسعيد » .

التعليق :

الحرب بالوكالة :

على خلاف ما عهدناه من حروب الوكالة أن تنهض الدولة العميلة بالجهد الرئيسى الذى دفعتها دولة الأصالة إليه ، مقابل دعمها سياسياً وإمدادها بالأسلحة والأموال والخبرات والمعلومات ، فإن العبء الأكبرفى حرب العدوان الثلاثى وقع على الدولتين الكبيرتين – المملكة المتحدة وفرنسا – بينما اقتصر دور إسرائيل على عمل ثانوى ، علاوة على مهمة خلق الذريعة للتدخل الأنجلوفرنسى بافتعال حالة صراع مسلح على مشارف قناة السويس ، تعرض الملاحة فيها للخطر ٠

الا أن هذا الدور الأنجلوفرنسى الرئيسى كشف عن جهل معيب بالمتغيرات الدولية ، التى دخلت على العلاقات بين الأمم فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، عندما راحت السياسة والإستراتيجية العليا لحكومتى المملكة المتحدة وفرنسا تمارسان دبلوماسية مدفع البارجة (Gun Boat Diplomacy) ، بعد أن ولى زمانها ، وأمست نشازاً فى عالم القطبية الثنائية ، وتطلع البلاد التى طال استعمارها إلى نسمات التحرر الوطنى ٠

الشرائع والقوانين الدولية :

تنقسم الحروب من وجهة نظر الشرائع السماوية والقوانين الوضعية ، إلى نوعين مختلفين تمام الاختلاف :

١ - فهى إما حروب مشروعة تخوضها الشعوب دفاعاً عن عقيدتها ودفعاً للظلم وحماية للأهل والأرض ، وحتى تظل كلمة الله هى العليا ·

٢ - وإما حروب ظالمة يشنها المعتدون لقتل النفس ، التى حرم الله إلا بالحق ، أو سلب الأرض وإستباحة ملك الغير ، والبغى ونشر الفساد فى الأرض

بهذه المعايير يعتبر الغزو البحرى الأنجلوفرنسى لمصر عام ١٩٥٦ وصمة عار ، لطخت جبين من أضرم ناره، ثم راح يدعمه بالذرائع الواهية التى كانت كلها أقبح من الذنب . وقد أدلى الفيلد مارشال مونتجمرى أحد مشاهير قادة الحرب العالمية الثانية برأيه فى هذا العدوان ، فكان مما قاله " ما كنت لأقبل أن أقوده ، ولم أكن لأصرف تسعين يوماً فى الإعداد له ، ثم أقبل وقف القتال ولم تمض تسعون ساعة على بدئه " ·



أدلى الماريشال مونتجمرى برأيه فى الغزو الأنجلوفرنسى فقال :
« ما كنت لأقبل أن أقوده . . . »

الذرائع الواهية :

تعجب العالم من سلسلة الذرائع المهترئة التى راحت حكومتا إيدن وموليه تختلقان الجديد منها كل صباح ؛ لستر افتضاح الذريعة السابقة بالأمس ، ثم زاد العجب لعجز

الدهاء الاستعمارى العتيد عن الاهتداء إلى مبرر مقنع ، يكون أكثر قدرة على الصمود على صخرة الحقيقة ، التى تحطمت عليها الذرائع السابقة ·

وعندما أحرجت حكومة إسرائيل حليفتيها بقبول وقف إطلاق النيران فى المسرح ، قبل أن يبدأ الغزو البحرى الأنجلوفرنسى الذى جاء ليوقف تلك النيران التى توقفت فعلاً ، تحولت تمثيلية الذرائع إلى مأساة كوميدية أثارت السخرية والتهكم من الصديق قبل العدو ، وأثبتت للعالم مرة أخرى أن الذرائع بضاعة سريعة العطب ·

ورطة العنق الطويل :

ذكرنا آنفا أن الجنرال تشارلز كيتلى القائد العام لقوات الغزو انتقد طبيعة المخرج من ساحل بورسعيد ، وشبهه "بعنق الزجاجة الطويل الذى يتعين على المرء أن يحشر فيه يده حتى الكوع ، قبل أن يصل إلى ما فى بطن الزجاجة من سوائل " ·

أما الجنرال هيو ستوكويل قائد عام القوات البرية ، فكان أكثر وضوحاً وأشد اقتضاباً فى نقده لشاطئ الغزو بقوله ... " إنه أسوأ مكان للغزو البحرى ، فلا هو يصلح للهجوم ، ولا هو يسمح بالانطلاق خارجه "

وكانت كلمة العسكريين الأنجلوفرنسيين قد اجتمعت على تفضيل الساحل غرب الإسكندرية لشن العملية ؛ نظرًا لأنه الأكثر مناسبة ، والأقرب للقاهرة ، فضلاً عن خلو المحور الصحراوى إليها من أعناق الزجاجة والمناطق المبنية ·

إلا أن نزول قوات الغزو فيه كان يسقط كل الذرائع ، التى تزعم الحرص على سلامة القناة ، ولهذا أصر السياسيون على النزول فى بورسعيد ليقع كيتلى وستوكويل فى ورطة القتال فى المناطق المبنية ، ثم ورطة الخروج من ذلك العنق الطويل الضيق ·

ووكسة الدفاع الهزيل

بدأ الغزو البحرى الأنجلوفرنسى لبورسعيد ، وليس بالمدينة سوى اللواء ٩٧ حرس وطنى ، ثم الكتيبة الرابعة المشاة التى وصلت لتوها من سيناء بعد حركة دائبة بين ٣٠ أكتوبر و ٤ نوفمبر لم يذق أفرادها [illegible] طعمًا [illegible] [illegible] غارات العدو [illegible] فى الأفراد والمعدات على نحو [illegible] ·

ورغمًا عن عـدم التكافؤ بين الـقوة لقائمة بـالدفاع عن بور سـعيد ، والقوات القـائمة بالغزوالبحرى من حيث مقارنة عدد الأفراد التـى تفوق فيها الأنجلوفرنسيون بأكثر من ١١:١ والمعدات التى زاد تفوقـهم فيها على ١:٥٠ ، والجو الذى امتلك العدو السـيادة غير المنازعة فى سماء المعركة فقد تقبل المدافعون خوض القتال الذى اندلع فجر ٥ نوفمبر بروح عالية ·

إلا أن قوة الضربة وشدة نـيران الطائرات ومدافع الأسطول أرهق المـدافعين ، وحدَّ من قدرتهم عـلى القتال يوم ٦ نوفمبر ، لاسيما وقـد غلبت كثرة المهاجمين شـجاعة المدافعين ، الذين لم يسمح الوقت الضيق ولا الجهل بتفاصيل المدينة التى لم يدخلوها ، إلا قبل اشتعال القتـال بيوم أو يومـين فقط أن يرسـموا خطة محـكمة للـدفاع أو ينشـئوا الاستحـكامات والتجهيزات الهندسية الضرورية للصمود ، فالـواقع أنهم كانوا غرباء عن المدينة التى يتطلب القتال فى المناطق المبينة حسن الإلمام بها . وخـلاصة القول أن القيادة الشرقية والقيادة العامة لم توفر لـلمدينة وشاطـئها القدر المنـاسب من القوت والأسلـحة والموانع والاستحـكامات لمواجهة عملية غزو بحرى ، تشنها دولتان كبريان بقوات ومعدات وإمكانات ضخمة ·

وزاد من خطورة هذه الأوضاع أن كثيرًا من الضباط والجـنود البريطانيين كانوا على دراية أفضـل بالمدينـة ، التى لم يـنزحوا عنـها إلا من أربعـة أشهر فقـط عندما تم جـلاء قوات الإحتلال البريطانى عنها يوم ١٨ يونيو ١٩٥٦ ·

وكانت الظاهرة المثيرة للقلق سيطرة العدو الجوية ، وشدة نيران مدافع الأسطول ، بينما الطرف الأخر يفتقر إلى المعاونة الجوية ، التى اختفت تماماً من سماء المدينة طيلة أيام الغزو البحرى لسـابق تدمير طائرات مصـر ليلة ٣١ أكتـوبر ونهار ١ نوفمبر . وعلاوة عـلى تلك الظاهرة القاسية ، فلم تكن الأسلحة كافـية ، ولا الضبط والربط محكماً ، ولا عدد الضباط مناسباً فى مقابل عـدد الجنود وأفراد المقاومة الشعبية ، مع ضخامة المـهام القتالية والإدارية ، والأعباء المدنية حيال أهالى بورسعيد وبورفؤاد ·

وقبل بدء الحرب ، تم تدريب عدد كبير من أفراد المقاومة الشعبية على استخدام السلاح الذى اقتصر على الـبندقية العتيقة لى انـفيلد عيار ٠,٣٠٣ من البوصة ، والـرشاش القصير الانكستر . ثم وصلت صباح ٥ نوفمبر شحنة من البنادق والرشاشات ، تكفى أفراد المقاومة الشعبية من أسـلحة الترسانة السوفيـتية عيار ٧,٦٢ ملليـمتراً ، لم يسبق التدريـب عليها . وصار توزيع تلك الأسلحة ولا يزال عليها شحم التخـزين الطويل ، بينما مظليو بتلر وشاتو

جوبير وفــوسى فرانســوا يهبطون على المدينة ، والغارات الجوية تكتسح شواطئها ومنازلها وطرقاتها . ورغم ذلك قاتــل أفراد المقاومة الشعبية بروح عالية وواجهــوا المتاعب الجمة التى صادفتهم وتحملوا الخسائر الكثيرة التى وقعــت فى جموعهم ؛ نظرًا لضعف مستوى خبرتهم بالقتال فـــى المناطق المبنية .

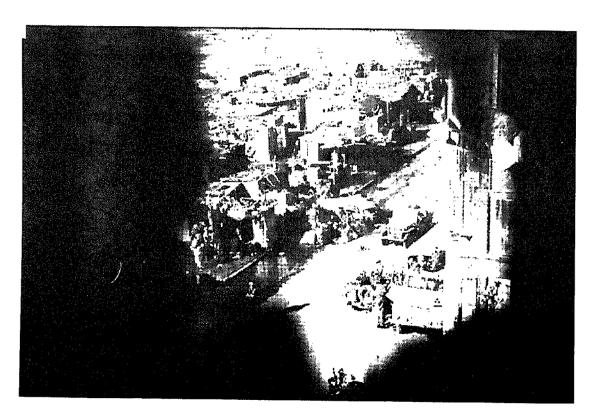


« واقتصر سلاح المقاومة الشعبية على البندقية العتيقة طراز لى أنفيلد . . . »

وكان لامتلاء المدينة بســكانها أثره البالغ فى نفوس المدافعين عنــها ، خاصة بعد اشتداد الغارات الجوية ونيران الأسطول ، وانتشار الــدمار والحرائق ، وانطلاق الأهالى فى الطرقات والميادين هرباً من النيران . ووقع أفرا د المقاومة الشعــبية وأغلبهم من سكان المدينة فى حيرة شديدة ، هل يســتمرون فى التصدى للأعداء ، أم ينــقذون أهلهم وأطفالهم مــن المحنة التى يتعرضون لها . وظهــر للجميع أن إخلاء المدينة من العجائــز والنساء والأطفال ، كان أمراً ضرورياً قبل أن يقع الغزو ، إلا أنه فات على السلطة المختصة أن تنجزه .

ولم تتمكن كتائب الجيش المصرى من الدفاع فى المناطق المبنية ؛ حيث كانت المنازل مكتظة بسكانها ، وبمن لجأ إليها ممن دمرت بيوتهم ، فاضطر الجنود إلى إقامة الدشم من شكاير الرمل على أرصفة الشوارع ونواصيها فى أماكن مكشوفة لدبابات العدو وحواماته المسلحة ، التى كانت تنزل فوق سطح المنازل لتحصد الأفراد المدافعين تحتهم فى الدشم وتهدمها عليهم .

واستحال قفل الشوارع و إقامة المتاريس والسدادات فى مواجهة دبابات السنتوريان التى كانت تقتحمها بسهولة ، بينما الحوامات توفر لها الوقاية من الجو . ثم زادت قبضة الأعداء على المدينة بالاستيلاء على الأماكن المسيطرة داخلها وخارجها ، علاوة على المرافق العامة ومواقع الخدمات الأخرى .



ثم زادت قبضة الأعداء على المدينة

المعنويات والاحتياجات :

سبقت الإشارة إلى العوامل الكثيرة ، التى أثرت على معنويات العسكريين والمدنيين بالمدينة بصفة عامة ، والتى ظلت عالية خلال يوم ٥ نوفمبر ، حتى عصر ٦ نوفمبر ، ثم أخذت تتدهور تدريجياً نتيجة للأسباب الآتية .

١ استمرار الغارات الجوية وقصف الأسطول ، وقد بلغ عدد الغارات ٥٠٠ طلعة طائرة ، ألقت نحو ٢٥٠ طناً من القنابل والصواريخ والمواد الحارقة على المدينة وضواحيها ، خلال يوم ٥ نوفمبر وحده .

٢ سقوط قذائف الأسطول فى كل مكان ، وما تبعها من تدمير المنازل الذى أوجد إحساسًا بعدم وجود مكان امن بالمدينة كلها ، بينما نجح المظليون فى محاصرتها وقطع المياه عنها عدة ساعات ؛ مما جعل الحرائق التى كانت تشتعل داخلها أكثر ضراوة والتهابا .

٣ كثرة الشهداء فى الشوارع وانتفاخ الجثث وعجز المستشفيات وعربات الإسعاف القليلة عن إخلاء الجرحى ، حتى اضطر الأهالى إلى استخدام عربات الكارو والناقلات اليدوية . ثم زاد الأمر سوءاً بضرب المستشفى الحكومى بقنابل الأسطول ، وإصابة أربعة مستشفيات أخرى على الساحل مما أوقف الخدمة الطبية عن العمل.

٤ وقد أظهرت بعض الجاليات الأجنبية شماتة وشعوراً معادياً ، وصل إلى حد قيام أفراد منها بإطلاق النيران من النوافذ على ظهور الجنود المصريين من الخلف فى أحرج أوقات القتال ؛ مما أجبر هؤلاء الجنود على محاربة العدو المهاجم وعملائه من الأجانب فى وقت واحد .

٥ وكانت الوعود التى يبذلها القائد العام بالقاهرة عن دفع القوات للمدينة للمساعدة فى الدفاع عنها ، ثم الزعم بقرب وصول القوات السوفيتية للاشتراك فى القتال سبب آخر فى خفض المعنويات عندما لم تصل تلك القوات فى المواعيد المزعومة ؛ بالإضافة إلى اهتزاز الثقة بكل ما يأتى من القيادة العامة من معلومات أو توجيهات بعدئذ ، وهو ما ينبغى عدم الوقوع فيه تحت أى مبرر أو دافع لذكر غير الحقيقة

المجردة . ويكفى ما حدث من مقابلة الاهالى للدبابات المعادية بالتصفيق والترحيب ظنًا بأنها الدبابات السوفيتية التى بشرهم بها القائد العام ، فلم يدركوا حقيقتها حتى فتحت عليهم النيران التى قتلت وأصابت كثيرين منهم غيلة ، وما من شك فى أن الدرس المستفاد من هذا الموقف ، ومن أشباهه خلال الجولات العربيه الإسرائيلية يؤكد بصفة قاطعه ضرورة الالتزام بالحقيقه وتوخى الصدق ، فيما يتداوله الرؤساء والمرؤوسين بينهم من تعليمات وبلاغات .

الشؤون الإدارية :

كانت الأوامر قد صدرت قبيل الغزو البحرى بتحويل المدينة إلى قلعة دفاعية ، ذات كفاية ذاتية بتكديس المؤن والذخائر والأدوات الطبية فى مختلف أرجائها ؛ لتكون قادرة على مواصلة الصمود ردحاً طويلاً من الزمن .

غير أن ضيق الوقت ، وتراخى الأجهزة الإدارية المسؤلة ، وتفوق العدو الجوى الساحق ، حال دون تحقيق هذا المطلب الهام ، فلم تكدس الأغذية أو الذخائر ، ولم تملأ مستودعات المياه والخزانات قبل بدء العدوان . وظل مستودع الاغذية بالطرف الجنوبى للمدينة يمدها بالطعام ؛ حتى دمرته طائرات العدو ، قبل أن يسقط فى يد جنود الأعداء فى نهاية اليوم الأول للمعركة .

زوبعة فى فنجان :

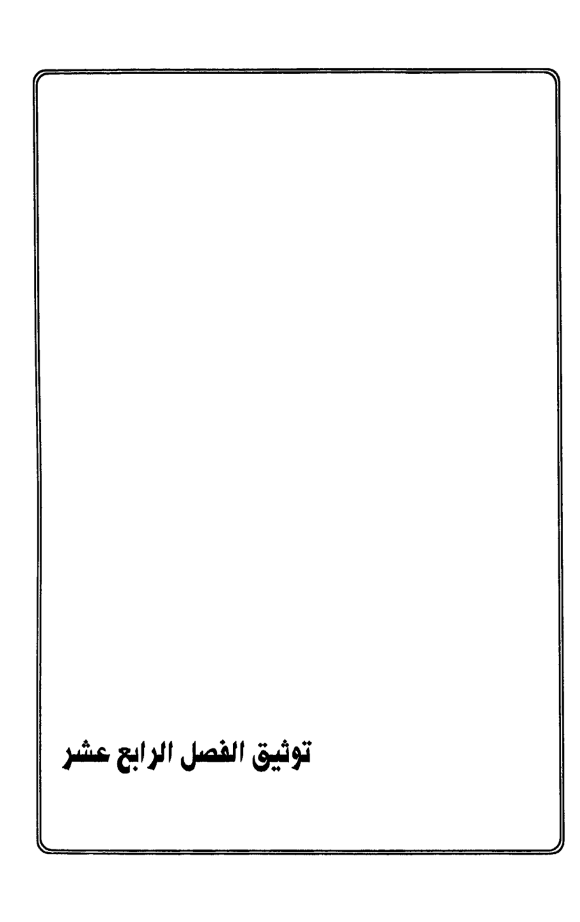
تبقى كلمة عن مسألة وقف النيران المؤقت ، الذى تم الاتفاق عليه بين العميد الموجى والبريجادير بتلر عصر ٥ نوفمبر ، والذى أثار زوبعة من الجدل أثناء وعقب الغزو ، رغم أن الموجى لجح خلال ذلك الاجتماع فى إقناع بتلر بإعادة ضخ المياه للمدينة ، وحبس النيران من الجانبين ؛ حتى يقوما بإخلاء جثث القتلى من الطرقات ، قبل أن تتحلل وتنشر الأوبئة والأمراض .

فمنذ الحروب الصليبية وهذا إجراء معتمد ، يعمد إليه ألد الأعداء ويطبقونه ، وكثيراً ما اتفق عليه قادة الحلفاء وقادة ألمانيا الهتلرية إبان الحرب العالمية الثانية ، كما إن اتفاقية جنيف تقره وتقننه وتنظم أسلوب الإتفاق عليه وتنفيذه ، ثم العودة إلى فتح النار عندما ينتهى الأجل المتفق عليه .

ولهذا . . فقد كان مثيراً للدهشة أن يعترض البعض عليه ، ويوعز إلى القيادة بالقاهرة أن القائد المسؤول عن الدفاع فى بورسعيد قد أخل بمسؤولياته ، عندما قبل الإتصال بالعدو ، وما ترتب على ذلك من إحالته و١٦ ضابطاً إلى التقاعد فى منتصف يناير ١٩٥٧ رغم أنه هو الذى تطوع لقيادة الدفاع عن بورسعيد عندما احجم الأخرون ، وأن تصرفاته واعتداده بشخصه فى مواجهة قادة الأعداء ، عندما اجتمع بهم ، ثم ما بذله من جهد لتنظيم الدفاعات رغم قصر المدة المتاحة ، كانت الدافع للجنرال ستوكويل ان يشهد له بالشجاعة والكفاءة وعزة النفس ، فيما رواه عنه للكاتب كينيث لوف بعد الحرب[٨] .



الأميرالاى أ.ح صلاح الدين الموجى وإلى يمينه اللواء على على عامر قائد القيادة الشرقية المصرية فى حرب السويس والعدوان الثلاثى



توثيق الفصل الرابع عشر

(١) Op.Cit. : The Twice Fought War, p. 623.

(٢) Ibid : p. 626

وأيضًا : Op.Cit. : Warriors At Suez, pp. 410–411.

وأيضًا : Op.Cit. : Suez 1956.

وأيضًا : Pineau, Christian : Le Monde (Paris), 4 Nov. 1966.

(٣) Ibid, Same Page.

(٤) Ibid, Same Page.

(٥) Ibid, p. 629.

(٦) المصدر السابق ، دار المحفوظات المركزية ، الملف رقم ٦/٤٦٤ ، مسلسل ١٢٢ ، كود ٣٧ ، معلومات وتقارير عن بورسعيد ١٩٥٦ ، تقرير القائمقام حسن رشدى ، مفتش المباحث العامة فرع القناة .

وأيضاً : الملف ٦/٤٦٤ ، المسلسل ١٢٢ ، كود ٣٧ ، رقم القيد ٧٠٦٩/ ١٢٠٩٠ بتاريخ ١٩٥٦/١١/١١ ، تقرير البكباشى عبد الفتاح عرفة ، قائد خفر السواحل ببورسعيد .

(٧) المصدر السابق ، دار المحفوظات العسكرية المركزية ، الملف رقم ٦/٤٦٤ ، مسلسل ١٢٢ ، كود ٣٧ ، إدارة المخابرات العامة ، المجموعة ٨٨ ، تقرير عن عملية اختطاف الضابط مور هاوس يوم ١٩٥٦/١٢/١١ ، الساعة السابعة والنصف صباحاً ، رقم القيد ٤٤٩ بتاريخ ١٩٥٦/٢/٢٦ .

(٨) Op.Cit. : The Twice Fought War, p. 604–605.

الباب السادس

موقف الدول من العدوان

الفصل الخامس عشر

موقف القوتين العظميين من العدوان

تمهيد - حقيقة موقف الولايات المتحدة - حشود وحقود - مزاجه متعكر - إنه يعلم ولكنه يتجاهل - بمجرد أن تفتح أبوابها - الفيتو ضد أمريكا وروسيا معاً - من أشعل النار سوف يكتوى بها - سياسات عفى عليها الزمن - وهل نخسر العالم العربى بأسره - حتى لا يسحب البساط من تحت أقدام واشنطن - لقد أصبح الجميع ضدى - القشة التى قصمت ظهر البعير - لقد وقعوا فى فخ السويس - فلنجمع الشظايا المتبقية من الشرق الأوسط - سياسة ملء الفراغ - موقف الاتحاد السوفيتى - التعليق •

إن النظرة السريعة للظروف المختلفة التى ذكرت فى الفصول السابقة ، توضح عدة أمور تتلخص فى الآتى :

أولاً : إن مركز القوة العالمى ، أو المحورين الرئيسيين لهذه القوة العالمية - الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى - لايقفان بجانب هذا العدوان ومعارضتهما له ليست محل شكوك ، إلا أن هناك تحفظات على الموقف الأمريكى سوف نشير إليها عند الحديث عنه ، ولم تكن السياسة المصرية تجهل أن طبيعة الأمور وتوازن القوى فى العالم يسمح لكل من هاتين القوتين بوزن وتأثير فى مجريات الحوادث الدولية لايمكن إنكار آثاره . وكذلك كانت السياسة المصرية طوال الأزمة تتحرك على ضوء المؤثرات السياسية لكل من الدولتين فى الصراع الدائر .

ثانياً : إن الولايات المتحدة - وحدها - وبصفتها زعيمة المعسكر الغربى ، أوضحت رأيها لحليفين لم يكونا يملكان من أمرهما الشىء الكثير ،

فاقتصادهما ومصالحهما تجعلانهما تحت رحمة الحليفة الكبرى ، وفى معارضتها احتمال لمخاطر ، أبعد مما يحتملة كيانهما المزعزع وقتئذ وخاصة الاقتصاد البريطانى .

ثالثاً : نجم عن سياسة التآمر والمخادعة ، رد فعل شديد من جانب الولايات المتحدة ، تمثل فى تصميم عنيف على معارضة استخدام القوة .

رابعاً : لم تكن المملكة المتحدة أو فرنسا فى ذلك الوضع ، الذى يسمح لهما بالتحرك العسكرى من مركز قوة لتحقيق وضع مستقل ، كما كان التحالف مع إسرائيل تحالفاً مريضًا لا يقوى على الصمود لفترة طويلة ، ولا يستطيع أن يصل بالشوط إلى مداه .

خامساً : إن فترة الثلاثة شهور مابين التأميم والعدوان ، وما تخللها من مناورات سياسية وتكتّل من جانب المجموعة العالمية الجديدة فى باندونج ، والتفاعل السياسى الذى ظهر بين شعوب العالم فى تلك الفترة ، أثمر عن خلق جبهة من الرأى العام العالمى ترفض منطق القوة ، بل وتقاومه فى إصرار .



خلق التفاعل السياسى بين شعوب العالم فى تلك الفترة جبهة رفض قوية للعدوان الثلاثى على مصر

إذن لم تكن القوة بمصادرهــا المختلفة متوفّره لدى المعتدين الثلاثــة ، كما لم يكن هناك الرأى العام العــالمى الذى يقبل هذا العــدوان . والفارق كبير لو أن هذا الــعدوان كان محل رضاء وتأييد الولايات المتحده الأمريكية ، وبــين الظروف التى عاشتها وقت أن وجه ضربته الأولى لمصر ، كما أن الفــارق كبير أيضاً لو أن هذا العدوان كان محــل رضاء وتأييد الرأى العام العالمى ، وبين الجو العالمى المضاد الذى واجهه وقت أن بدأ فى ٢٩ أكتوبر .

ولقد كانت انعكاسات هــذه المواقف ، متمثلة فى تلك المرحله التى انــتقلت فيها الأزمة إلى الأمم المتحدة . ففى المنــظمة الدولية ، تتضح الصورة على الدوام لمعايــير القوة ولمقاييس التجاوب العالمى فى قضية معينة . ولم يــكن موقف الاتحاد السوفيتى من إدانة العدوان محلاً لشك ، كما تحولت كل الــتكهنات حول الموقف الأمريكى حيال استــخدام القوة إلى حقائق متمثلة فى مواقف ، ترفض العدوان بصراحة ووضوح .

وإذا كان موقف أقوى دولتين فى العالم قد تبلور على هذا النحو . . فإن الضمير العالمى بمعناه الواســع يكون قد تحرر من الضغــوط التى تكبله ، أو القيـــــود التــى تــفرض عليه ، فيعبر عن نفسه فى حرية كاملة تتمشى مع الحق والعدل .

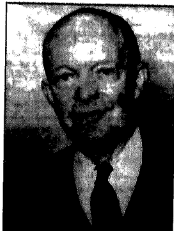
حقيقة موقف الولايات المتحدة :

عندما نتــناول الموقف الامريكى من العدوان الإســرائيلى ثم الأنجلوفرنســى ، ينبغى أن يطرح السؤال هــل كانت الولايات المتحده شريكــاً فى هذه اللعبة ؟ أم أنها كانــت تعلم عن طريق الشركاء فيــها ؟ أم أنها كانت تحس فقط بما يدور ؟

لقد حفلت الأيام الاخيره من اكتوبر ١٩٥٦ بسيــل من الأحداث الجسام بالنسبة للرئيس أيزنهــاور ، ووزير خارجيــته جون فوســتر دالاس ؛ إذ كانت المجــر على وشك الــتمرد ، وأخذت إسرائيــل تعبىء قواها ، وواصل البــريطانيون والفرنــسيون حشد قواتهم فــى البحر المتوسط ، وتوقفت الاتصالات تماماً بين هذه البلدان وواشنطن .

ثم انتزعت المجر أهتــمام واشنطن فجأة بعيداً عن الشرق الأوســط . . ففى يوم الجمعة ٢٦ أكتوبر ، عقد مجلــس الأمن القومى الامريكى اجتماعه برئاسة الرئــيس أيزنهاور لبحث موضوع المجر . . وبعــد الانتهاء من قضية المجر ، انــتقل إيزنهاور لمناقشــة موضوع الشرق الأوسط . وقد أطلع جون فوستر دالاس مجلس الأمن الــقومى على الأحداث المزعجة للغاية

التى تجرى فى الأردن ، بما فى ذلك الإشاعة التى تتحدث عن اغتيال الملك حسين ، والتى كان وراء ترويجها المخابرات الفرنسية ؛ لمساعدة إسرائيل فى مخططها الرامى إلى تضليل واشنطن والقاهرة ، ودفعهما إلى الاعتقاد بأن الاستعدادات العسكرية الإسرائيلية تستهدف الأردن وليس مصر[1] .



فى يوم ٢٦/١٠/١٩٥٦
عقد مجلس الأمن القومى الأمريكى
اجتماعه برئاسة أيزنهاور

وحضر مدير وكالة المخابرات المركزيه الامريكية المستر الآن دالاس اجتماعاً آخر فى نفس يوم الجمعة ٢٦ أكتوبر ، وهو اجتماع اللجنه الخاصه التابعة للمخابرات المركزية الأمريكية، والتى تم تعيينها لفك طلاسم الأحداث الغامضة التى تجرى فى الشرق الأوسط.

فقد بدأت تتراكم مفاتيح الالغاز ، لكنها كانت غامضة ومنذرة بالخطر فى آن واحد . إذ بدا واضحاً أن فرنسا وإسرائيل على وشك القيام بشىء ما وهو ماينطبق أيضاً على المملكة المتحدة وفرنسا . فهل تعمل الدول الثلاث معاً ؟ ومن تل أبيب بعث عملاء الآن دالاس بتقاريرهم التى أكدت على أن ديّان يقوم بمهمة سرية خارج البلاد. ومن باريس أشارت التقارير الى إختفاء كبار أعضاء مجلس الوزراء ، ومن لندن انقطعت تماماً عمليات تبادل المعلومات بين جهازى المخابرات فى البلدين ، وهو الأمر الذى كان يجرى بصورة دائمة ؛ بل إن رئيس مكتب اتصال المخابرات المركزية الأمريكية مع المخابرات البريطانية تشستر كوبر بعث إلى واشطن بتقرير ، ذكر فيه أن الاستقبال الحار الذى كان يحظى به فى كل اجتماع للجنه المخابرات المشتركة ، تحول الآن إلى برود تام .

ويقول كوبر فى تقريره .. « ويبدو ان هناك بروداً مفاجئاً واضحاً فى العلاقات » . أما مفتاح اللغز الآخر المنذر بالخطر .. فقد كان رصد كمية كبيرة من الاتصالات اللاسلكية بين تل أبيب وباريس ، وهى مقدمة منطقية لأى حرب حديثة[2] .

وأضاف الآن دالاس إلى هذه النذر القائمة تقريراً آخر جاءه من السفير الامريكى فى باريس ، المستر ديلون ، أثناء عطلة نهاية الأسبوع بأن فرنسا والمملكة المتحدة وإسرائيل تستعد للهجوم على مصر ، لكن ليس قبل الانتخابات الأمريكية . وتعود أهمية هذه المعلومات إلى أن مصدرها هو جاك شابان دلماس وزير الدولة الفرنسى ، وصديق السفير الأمريكى فى باريس[٣] .

حشود وحقود:

التقطت طائرات الاستطلاع الأمريكية من طراز يو ٢ من ارتفاعات شاهقة صوراً للحشود البريطانية فى مالطا وقبرص . كما التقطت أيضاً صوراً للإمدادات العسكرية الفرنسية أثناء شحنها على السفن من مينائى مرسيليا وطولون . وعلّق الرجل الذى قام بطبع صور الاستطلاع ، والذى طور برنامج هذه الطائرات ، المستر ريتشارد بيزل ، على الصور تعليقًا حكيماً بقوله : « لايبدو أن الحلفاء يحشدون سفنهم فى البحر المتوسط للاشتراك فى سباق للقوارب »[٤] .

وأشار نائب مدير المخابرات المركزية الأمريكية روبرت أمورى ، إلى أن حقد إيدن على الرئيس عبد الناصر ، وصل الى درجة جعلته يقرر على الأرجح الانضمام إلى أى مشروع يرمى إلى الإطاحة به . وفضلاً عن الإشاعات التى ترددت فى المملكة المتحدة حول التحرك الوشيك ، تلقى روبرت آمروى تقارير من تل أبيب ، تؤكد أن إسرائيل تجرى عملية تعبئة واسعة النطاق ؛ مما دفعه إلى الاعتقاد بأن الحرب باتت وشيكة الوقوع [٥] .

إلا أن جيمس إنجلتون الخبير بشئون إسرائيل فى وكالة المخابرات المركزية - والذى كان يفخر بعلاقته بالموساد - لم يوافق على استنتاجات روبرت آمورى ؛ إذ قال إننى أمضيت ليلة البارحة مع أصدقائى حتى الساعات الاولى من الصباح ، ويمكننى التأكيد على أن كل ما يجرى هو جزء من مناورة لإرهاب الأردنيين . ولا يعنى على الإطلاق القيام بهجوم جاد .. إنه لاينطوى على شىء ، ولا أعتقد أن الإسرائيليين سيشنون أى هجوم »[٦] .

ورد روبرت آمورى معلقاً على ما قالة إنجلتون وموجهاً حديثه لرئيسه الان دالاس : « الآن عليك أن تختار بينى ومجموعتى وبين صنيعة الإسرائيليين هذا »[٧] .

وفى صباح ٢٧ أكتوبر حضر روبرت آمورى اجتماعاً فى وزارة الخارجية الأمريكية ، ضم أكثر من عشرة من كبار المسئولين بما فى ذلك الآن دالاس . وكان من المقرر أن يقدم فوستر دالاس فى ذلك اليوم مساهمته الوحيدة فى الحملة الانتخابية فى مدينة دالاس ، فى صورة خطاب سياسى يستعرض فيه الوضع العالمى .. ووجد المشاركون فى الاجتماع صورة من خطابه أمام كل منهم ،اخذ دالاس يتلوها ببطء . وعندما وصل إلى الجزء المتعلق بالشرق الأوسط ، أشار إلى أن الولايات المتحدة « لايمكن أن تضمن مخرجاً سلمياً للأزمة » .

واعرب معظم المسئولين عن موافقتهم ، لكن روبرت آمورى اعترض على الصيغة ، وقال لفوستر دالاس : إذا قلت هذا واندلعت الحرب بعد أربع وعشرين ساعة ، ستبدو أمام العالم أجمع وكأنك متحيز للعدوان الإسرائيلى - وأنا شخصياً أعتقد أن الاسرئيليين سيهاجمون سيناء بعد منتصف ليلة الغد [٨] .

ورد عليه الآن دالاس منفعلاً : «هذا أكثر دقة مما توصلت إليه اللجنة الخاصة أمس» .. وأجابه روبرت آمورى قائلاً :« حسناً إذن أنا أجازف برأسى .. فأنا مجرد فرد بوكالة المخابرات المركزية ، لكننى على استعداد أن أخسر وظيفتى إذا لم تندلع الحرب غدا أو بعد غد » .. وعلى الفور قرر فوستر دالاس إلغاء هذه الفقرة من خطابه [٩] .

وفى حديث تليفونى جرى بين أيزنهاور ودالاس يوم ٢٧ أكتوبر ، أشار الرئيس إلى أن التقارير الأخيرة تجمع على وجود عملية تعبئة واسعة للجيش فى إسرائيل « . واقترح دالاس أن يتصل الرئيس مباشرة بالحكومة الإسرائيلية فبعث برسالة إلى بن جوريون جاء فيها : على حد علمى لم تتحرك أى قوات عراقية إلى الأردن ، وأجد لزاماً علىّ أن أعبر عن قلقى العميق إزاء التعبئة الواسعة التى تقومون بها من جانبكم .. إننى أناشدكم مجددا عدم قيام حكومتكم بأى بادرة عنف ، الأمر الذى سيهدد السلام والصداقة بين بلدينا »[١٠] .

ثم قام دالاس بمحاولة أخيرة لإماطة اللثام عن هدف التحركات المحمومة للمملكة المتحدة وفرنسا وإسرائيل ، فطلب من السفير الامريكى فى لندن مقابلة وزير الخارجية سلوين لويد ، لكى يسأله مباشرة عن نوايا المملكة المتحدة . ثم التقى بالسفير الإسرائيلى آبا إيبان الذى دعى على عجل إلى إجتماع طارئ . وقد صارحه دالاس قائلاً : ما الذى يقلقكم ؟ مصر نعيش فى خوف دائم من هجوم الجهلوفرنسى والأردن ضعيف . وقد بات واضحا الآن أن العراق لن يدخل الأردن [١١] .

مزاجه متعكر :

ويقول إيبان فى مذكراته « كان مزاج وزير الخارجية متعكراً للغاية . فقد أجمعت كل التقارير الواردة من سفراء أمريكا فى الشرق الأوسط ، بما فى ذلك السفير لوسون فى إسرائيل ، على وجود حشود إسرائيلية ضخمة ، تصل فى مستواها إلى التعبئة العامة الفعلية . وقد أبدى دالاس شكه الصريح فى ادعائى أن إسرائيل تواجه رغم كل شىء خطراً داهماً »(١٢) .

كانت واشنطن حتى هذه اللحظة تجهل تماماً أى معلومات عن لقاء سيفر ، ولكن فى وقت متأخر من مساء ذلك اليوم ، ٢٨ أكتوبر تجمعت أمام اللجنة الاستشارية للمخابرات دلائل كافية جعلتها تجزم بأن هدف التحركات الإسرائيلية هو مصر ، فصار إخطار أيزنهاور ، وكل هيئات الأركان الأمريكية المشتركة بأن إسرائيل ستهاجم مصر» فى وقت قريب للغاية » . وقد كان هذا هو أول اعتراف رسمى بأن هدف إسرائيل هو مصر وليس الأردن ، ولم يبق على الحرب سوى أقل من ٢٤ ساعة (١٣) .

كان من المستحيل من الناحية السياسية إطلاع الولايات المتحدة على نوايا المملكة المتحدة وفرنسا ، ولكن القادة الفرنسيين على الأقل كانوا مؤمنين بأن واشنطن تعلم الكثير ، فإن استعداد الولايات المتحدة للاستجابة للطلبات التى كانت تقدم بالطرق الدبلوماسية للحصول على إمدادات عسكرية ، إنما كان يعبر عن موافقة غير رسمية على مخطط معين .(١٤)
ويقول روبرت مورفى : « ليس هناك أساس لهذا الاعتقاد . . فإن واشنطن لم تحط علماً بما كان يعمله الإنجليز أو الفرنسيون . ولم نكن نعرف إنهم ينوون السير بعيداً الى هذا الحد . كما لم تسمع واشنطن - ابتداء من رئيس الجمهورية إلى أصغر موظف بوزارة الخارجية - عن أنباء الإنذار إلا من وكالات الانباء » .

وبعد فترة قصيرة ، توجه السفير الفرنسى والقائم بالأعمال البريطانى لمقابلة دالاس ، وقدما إليه خطابات من حكومتيهما تفسر ان فيهما رسمياً أسباب عدم الاستشارة السابقة أو التحذير . وعندما وصلت أنباء عن أول عمليات ضرب مصر بالقنابل إلى البيت الأبيض صاح أيزنهاور : « قنابل ، يا إلهى . ماذا يظن إيدن أنه يفعل ؟ ولماذا يفعل ذلك معى ؟ ، ثم قال لدالاس . . علينا أن نوقفهم - سريعاً » .

وبذلت الحكومة الامريكية جهداً كبيراً منذ بداية العدوان الذى لم تكن تعلم عنه شيئاً ، وبلغ الأمـــر بأيزنهاور أن أعلن أنـه لم يحـط علماً بـنبأ الهجوم ، إلا عن طريـق برقيات الصحافـة . واكد جون فوستر دالاس قـائلاً : لم تصلنا أيـة معلومات سابـقة من أى نوع بالنسبة لهذه المسـألة . وقال شرمان آدمز مساعد الرئيس أيزنهاور : لم تـخبرنا بذلك فرنسا أو المملكة المتحـــدة أو أحد مندوبينا فـى أوروبا أو فى البلاد المتاخمة للبحر المتوسط ، وقد كرر روبرت مورفى هذه التـصريحات الصادرة عن الحكومة الامريكيـة . وتظاهرت واشنطن بأنها تـتمسك بظواهـــر الأمـــور ، وتكـتفى بشرح أيدن الـواهـــى الذى يقول إنـه مضطر للتدخل » [١٥] .

إنه يعلم ولكن يتجاهل :

ومع ذلك فإن واشنطن كـانت تعلم بكل ما حدث . وعلى أضعـف الاحتمالات فإنها كانت تشعر بما يدور خلف الكواليس . فـقد أرسل أيزنهاور يوم ٢٧ أكـتوبر رسالة إلى بن جوريون ، يطلب فـيها أن يتحاشى تعكير صـفو الســلام فـــى الـشــرق الأوسط .. ثم اتبعهـــــا رسالــة أخرى فـى اليوم التالى (٢٨ اكتوبر) تحمل نفـس المعنى . وقد صرح روبرت مورفى بأن الملحق العسكرى الأمريكى فى إسرائيل أرسل معلومات مفصلة عن التعبئة الإسرائيلية ، وعن وجود وحدات فرنسية فى إسرائيل . و قد أعطى آلان دالاس الإيضاحات لحكومته عن نوايا إسرائيل والمملكة المتـحدة وفرنسا ، كما أكد ان المخابرات الأمريكية كانت على علم تام بالعملية كلها .. وأنه لن يكون هناك أى هجوم إسرائيلى ضد الأردن .. بل هجــوم مـــن الدول الثلاث على مصر . وفى لـيلة الغزو نفسها قال إن الـغزو أصبح أمراً حتمياً .

وواقع الأمر أن واشنطن كانت تعلم ، ولكنهـا تتجاهل . ومن الممكن أو من المحتمل أن الأمريكيين لـــم يقدموا فى أى وقت من الأوقات وعـوداً إيجابية إلى إيدن ، ولكـنهم لم يفعلوا شيئاً جاداً لمنعه [١٦] .

وإذا كان أيزنهاور والإدارة الأمـريكية تعلم بما كـان يدور خلف الكواليس وتـتجاهله ، فلأنها كانت تريد الاحتفاظ بهيبتها من التورط فى هذا المستنقع بإعلانها بأنها ملتزمة باتفاقية عام ١٩٥٠ الثلاثية فـــى تأييد ضحـية العدوان فى الشرق الأوسط ، وذكر أيزنهاور : « أن السبيل المشـرف الوحيد كان فى تنفيذ هــذا التعهد ، وقد صرح بعزم الولايـات المتحدة على ذلك »[١٧] .

وفى الساعة الثانية مـن بعد ظهر ٢٩ أكتوبـر بتوقيت واشنطن ، وصلت أنـباء الهجوم الإسرائيلـى ، وعقدت عدة اجتماعـات مع الرئيس أيزنهـاور · وفى الساعة الثامـنة مساء ، أعلن متـحدث باسم البيـت الأبيض أن الولايات المتحـدة ستلتزم بتـعهدها مساعـدة ضحية الاعتداء فى الشرق الأوسط ، وأن الحكومة الأمريكية ستطلب انعقاد مجلس الأمن(١٨) .

كان الموقف فى واشـنطن يعبر عن سخط وحنـق على إسرائيل وشك فى نوايـا المملكة المتحدة وفرنسا ، والاستـفسار من لندن وباريس ، مع تحذيرهما من القـيام بعمل عسكرى ، والتأكيد بأن الولايات المتحدة ستقف ضده (١٩) .

بمجرد أن تفتح أبوابها :

وأثـناء الاجتمـاع الذى عقده أيـزنهاور فى الـبيت الأبيـض مساء ٢٩ أكتوبر ، قـــرر الاتصال بالمستر كولسون القائم بالأعمال البريطانى أثناء غياب السفير ، وطلب حضوره إلى البيت الأبيض ، وأطلعـه على ما سوف يتخذه · وفى نهاية هذا الاجتـماع ، عقد أيزنهاور اجتماعـاً آخر مع كولسون ودالاس والـكولونيل جود بـاستر ؛ حيث ذكر : « إن المـملكة المتحدة متورطة فى مشكلة الشرق الأوسط ، وأشعر بأن علـينا أن ننفذ تعهداتنا بتأييد ضحية العدوان ، ولـقد رفضنا فـى الربيع الماضى بـيع السلاح إلى مـصر وإسرائيل ، وقلـنا بأن تعهدنـا هذا كان كافياً » · وفى رايـى أنه يجب على الولايـات المتحدة والمملكـة المتحدة أن تلتزما بقولهما ، ونـظراً للمعلومات التى وصلتنا بخصوص طائـرات الميستير وعدد الرسائل بين باريس وإسرائيل فى الأيام القليلة الماضـية . . فإننى لا أفهم ما يريده الفرنسيون · ورد كولسون قائلاً : لا أعلم شيئاً عن تلك الرسائل ·

واستطرد أيزنهاور قائلاً : إن دعت الحاجة لدعوة انعقاد الكونجرس ؛ لكى ننجز وعدنا سأفعل ذلك · إننا سوف نـتقيد بتعهداتنا · فسال كولسـون · · ألـيس الأفضل أن تذهب الولايات المتحدة إلى الأمم المتحدة أولاً ؟ فرد أيزنهاور : إننا سنذهب إلى الأمم المتحدة أول شيء فى الصباح ، بمجرد أن تفتح أبوابها ، وقبل أن يسبقنا الاتحاد السوفيتى (٢٠) .

ومع بزوغ فجر الثلاثاء ٣٠ اكتوبر ، سيطر شـعور عام بعدم التصديق · ولـم تبدد آخر أضواء شهـر اكتوبر سـحب الصدمـة والشك التـى خيمت عـلى واشنطـن بسبب الـهجوم الإسرائيلى والصمت المريب للملكة المتـحدة وفرنسا · ومما لاشك فيه أن واشنطن قد أماطت اللثام عن بـعض جوانب المؤامرة ، ومع هذا ظلـت أبعادها والأطراف المشاركة فـيها فى طى

الكتمان ، فبأى معيار عاقل كان من المستحيل على المملكة المتحدة أن تشارك فى مؤامرة فى الشرق الأوسط تكون إسرائيل احد أطرافها . لكن الأدلة التى تجمعت فى واشنطن أثبتت مشاركتها المباشرة ، وهو ما أصاب أيزنهاور بالذهول والدهشة [٢١] .

وفى الصباح الباكر من يوم ٣٠ أكتوبر ١٩٥٦ ، عقد الرئيس أيزنهاور اجتماعاً مع دالاس وهربرت هوفر لدراسة الوضع فى السويس ، وبالأخص الدور البريطانى ؛ حيث ظل التشويش مسيطراً على تقييم المؤسسات والأجهزة الأمريكية لدور المملكة المتحدة فى الهجوم الإسرائيلى ، وقال دالاس " لا زلنا نامل فى أن ينضم البريطانيون إلينا " فى تقديم مشروع قرار إلى الأمم المتحدة ضد إسرائيل .

وسأله الرئيس أيزنهاور " هل عرضتم على الفرنسيين اقتراحاً للانضمام إلينا ؟ " .. فرد دالاس " لقد عرضنا عليهم ، ولكنهم لم يظهروا لا الأمس ولا هذا الصباح أى بادرة تثبت رغبتهم فى التحرك بسرعة فيما يتعلق بهذة القضية " .

واثناء الاجتماع ، اطلع ايزنهاور على آخر تقارير وكالات الانباء ، التى تحدثت خطأ عن إن عمليات الإنزال الانجلوفرنسية باتت وشيكة .. وعلق ايزنهاور على ذلك بقوله " إننى متعجب هل يد تشرشل وراء هذا العمل ؟ إن أسلوب التحرك اشبه بأساليب العصر الفيكتورى الوسيط . وفى رأيى ان البريطانيين والفرنسيين لا يملكون اسباباً كافية لخوض الحرب ؛ فتأميم مصر للقناة لا يكفى لتبريرها " .



« واشار دالاس إلى ان المسألة ليست مسالة السويس ... »

واشار دالاس إلى ان البريطانيين كانوا متفقين عمليًا مع مصر فى الاجتماع لمجلس الامن ، لكنهم يماطلون منذ ذلك الوقت حتى لا يتم التوصل إلى قرار .. إن المسألة ليست مسالة السويس .. فبالنسبة للفرنسيين هى مسالة الجزائر ، وبالنسبة للملكة المتحدة هى مسالة مركزها فى الخليج الفارسى [٢٢] .

الفيتو ضد امريكا وروسيا معاً:

وبالفعل انعقد مجلس الأمن فى صباح ٣٠ اكتوبر ١٩٥٦ ، بناء على طلب الولايات المتحدة الأمريكية ؛ لبحث مشكلة فلسطين تحت عنوان " الخطوات الكفيلة بوقف الأعمال الإسرائيلية العدائية فى مصر فوراً .وفاجأت الأمم المتحدة العالم فى هذا اليوم بمشهد لم يسبق له مثيل ؛ إذ استخدمت المملكة المتحدة وفرنسا معاً حق الفيتو ضد قرار اقترحته حليفتهما التقليدية ؛ أى الولايات المتحدة . وكان القرار يدعو إلى إنسحاب القوات الإسرائيلية . وقدم الاتحاد السوفيتى قراراً مماثلاً اعترضت عليه المملكة المتحدة وفرنسا ثانية ، وكانت تلك هى المرة الأولى فى التاريخ التى يستخدم فيها الفيتو ضد الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة معا[٢٣] .

وكان أيزنهاور قد كتب فى الصباح الباكر من يوم ٣٠ أكتوبر رسالة شخصية إلى إيدن ؛ اذ كان يراوده الأمل فى أن الفرصة لم تفلت بعد لمنع البريطانيين من الانزلاق إلى الكارثة ... فقد ذكر أيزنهاور فى رسالته " أود أن أطلب منكم مساعدتى فى تصحيح فهمى لما يجرى بالضبط بيننا وبين حلفائنا الغربيين - خاصتاً بيننا وبين الفرنسيين وبينكم " .. وأشار أيزنهاور إلى مبيعات الأسلحة والطائرات الفرنسية إلى إسرائيل التى " تعد انتهاكاً لإتفاقيات قائمة بيننا " ، وإلى زيادة الاتصالات اللاسلكية بين باريس وتل أبيب ، وإلى سلوك المندوب البريطانى ديكسون " غير الودى " فى الليلة السابقة ، وزعمه أن الإعلان الثلاثى لم يعد قائماً .. وأكد أيزنهاور على أن الإعلان على حد علمه ما يزال قائماً [٢٤] .

وذكر أيزنهاور فى رسالته كذلك إن هذه التطورات ، واحتمال مشاركتكم مع الفرنسيين فى حرب شاملة ستضع حكومتكم وحكومتنا فى وضع حرج للغاية . صحيح أن مصر لم تطلب رسمياً مساعدة السوفييت ، لكن إدانة الأمم المتحدة للعدوان الإسرائيلى ستتيح لمصر أن تطلب رسمياً مساعدة السوفيت.

لكن إدانة الأمم المتحدة للعدوان الإسرائيلى ستتيح لمصر أن تطلب رسميا مساعدة السوفيت ، وهو ما يضع مصير الشرق الأوسط فى مهب الريح . وقد لا نجد أنفسنا فقط على طرفى نقيض فيما يتعلق بما سيتعين علينا أن نفعله ، بل سنواجه أمراً واقعاً ينطوى على مصاعب ، تهون بجانبها مصاعبنا الحالية[٢٥] .

وفى نفس الوقت الذى بعث فيه أيزنهاور رسالته ، وصلته رسالة من انتونى أيدن يذكر فيها أن المملكة المتحدة لا تشعر أنها ملزمة بمساعدة مصر وفقاً للإعلان الثلاثى ، وأن أى تحرك من جانب الأمم المتحدة لن يكون سريعاً وفعالاً ، وأكد أنه يتعين القيام بتحرك حاسم فوراً لإيقاف العمليات العسكرية (٢٦) .

وبات واضحاً لأيزنهاور ومساعدوه أن أيدن يناور ولن يطلع واشنطن على خططه الحقيقية . لقد كانت هناك أموراً مريبة تجرى . ولذلك عقد أيزنهاور اجتماعاً مع كبار مساعديه ؛ لدراسة الموقف ، ولكن الاجتماع انفض ، والقلق العميق يسيطر على الجميع . وما هى إلا دقائق ، واتصل دالاس بأيزنهاور هاتفياً ليخبره أن أيدن أعلن فى تلك اللحظة فى مجلس العموم عن إنزال القوات الأنجلوفرنسية فى منطقة القناة .ولكنه كان تقريراً خاطئاً آخر . فقد كان إيدن يعلن وقتها الإنذار ، الذى اتفق فى سيفر على توجيهه لمصر وإسرائيل ، لكى تسحبا قواتهما من منطقة القناة ، وقد ارتكب أيدن حماقة كبرى بعدم اطلاع واشنطن أولاً على إنذار بتلك الأهمية (٢٧) .

واستشاط ايزنهاور غضباً ، وقال لدالاس : " اعتقد أنه يتعين أن نعلن للرأى العام أننا لم ولن نرتبط بالفرنسيين والبريطانيين فى تحركاتهم " . وأصدر السكرتير الصحفى للبيت الأبيض جيم هاجرتى بياناً صحفياً ، أشار فيه صراحة إلى أن الرئيس أيزنهاور لم يعرف بالإنذار إلا من خلال " وسائل الإعلام "

وبعث أيزنهاور إلى أيدن وموليه برسالتين ، كتبهما بصيغة واحدة حادة اللهجة ، أعرب من خلالها عن " قلقه العميق إزاء ما قد يقود إليه هذا العمل الخطير .. إننى أؤمن تماماً بأن الحلول السلمية يمكن بل وينبغى أن تسود " (٢٨) .

وذكر دالاس للرئيس أيزنهاور - حيث كان دالاس يصيغ الرسالتين بنفسه - أنه يعتقد أن الإنذار الأنجلوفرنسى " بلغ حداً من الوقاحة والصلافة لم يسبق له مثيل " .. ووافقة أيزنهاور على رأيه قائلاً " أنه وقح للغاية " .. واضاف دالاس " إنه إنذار يستحيل قبوله "(٢٩) .

وأثار الغموض الذى لف الأحداث المريبة المتلاحقة حنق الرئيس أيزنهاور ، فقال: " إن الشيء الوحيد الذى أراه مناسباً ، هو أن نرفع أيدينا عن هذا الموضوع ... ورغم كل

شيء لن نتصارع مع المملكة المتحدة وفرنسا فهم حلفاؤنا وأصدقاؤنا ، ولكنهم وضعوا أنفسهم فجأة في حفرة ، ويريدون أن ننقذهم "[٣٠] .

وبعد الإنذار الأنجلوفرنسي ، لمصر قام أيدن بإرسال برقية لأيزنهاور يخطره فيها رسمياً بالإنذار ، وبالأسباب المزعومة لإصداره ·· ثم أعرب عن أمله قائلاً : " عندما يهدأ الغبار ستتهيأ الفرصة لنعمل معاً عملاً بناء "[٣١] وفي الساعة الخامسة مساء يوم ٣٠ أكتوبر ، بعث أيزنهاور ببرقية لأيدن ومولية ، يحذرهم فيها من مغبة عملهم ، وينوه بأنه علم من الصحف بإنذارهم مصر بالتدخل العسكري[٣٢] .

من اشعل النار سوف يكتوى بها :

ثم عقد أيزنهاور اجتماعاً آخر مع آرثر فليمنج رئيس ادارة التعبئة بوزارة الدفاع ؛ حيث ناقش معة الآثار المحتملة على إمدادات البترول العالمية اذا هاجمت المملكة المتحدة وفرنسا مصر · وقال أيزنهاور إنني أميل إلى الاعتقاد بأن الذين بدأوا هذه العملية ، ينبغي أن يتركوا لكي يتدبروا بأنفسهم حل مشاكلهم البترولية - لكي يكتووا بالنار التي أشعلوها · إنهم سيحتاجون إلى البترول ، وإلى الدولارات لتمويل عملياتهم العسكرية وسيطلبون المساعدة ·· ربما ينوون وضعنا أمام الأمر الواقع ، وبالتالي يتوقعون ان ندفع فواتيرهم ·· إنني غاضب إلى أقصى حد من أسلوبهم هذا ·

وقال فليمنج " أعتقد أنه يتعين علينا ألا نساعد البريطانيين والفرنسيين في ظل هذه الظروف ، إلا إذا اضطروا إلى ترشيد استهلاكهم للبترول ·· وتشير دراساتنا إلى أننا لن نواجه أية مشكلات في تدبير احتياجاتنا "

فرد أيزنهاور قائلاً " في هذه الحالة لا أرى داعياً لترشيد استهلاكنا " ·· ثم طلب من فليمنج أن يبحث إمكانية استخدام ناقلات بترول تابعة للأسطول ؛ لمساعدة المملكة المتحدة في حل مشكلة نقل بترولها ، في حالة موافقتنا على ذلك[٣٣] .

وبعد انتهاء اجتماع ايزنهاور بآرثر فليمنج ، قال للمستر ايميت هيور - كاتب خطابات الرئيس -إنه لم يكن متفائلاً على الإطلاق ·· بل انني خائف من أن يخرج البريطانيون من هذة الأزمة ، وقد فقدوا المزيد من ماء وجههم ·· هل يعرفون ما هم مقدمون عليه - هل سيحاربون العالم الإسلامي بأسره ؟ إنني لم اسمع في حياتي عن قوة عظمى تقع في مثل تلك الفوضى الكاملة ، وترتكب هذة الأشياء الخرقاء[٣٤] .

ومع شروق شمس الأربعاء ٣١ اكتوبر ١٩٥٦ ، خف غضب الرئيس أيزنهاور من حلفائه الأنجلوفرنسيين ، وحل محله موقف أكثر هدوءاً ، وإن شابه بعض الإحباط . فعندما اتصل به السيناتور نولاند من كاليفورنيا ، نصحه أيزنهاور : " ينبغى ألا نفرط فى قسوتنا عليهم إذ من الصعب علينا أن نقف موقفهم . اعتقد أنهم ارتكبوا خطأ فادحاً حتى من وجهة نظرهم . بل إنه أكبر خطأ فى عصرنا ، إذا استثنينا فقداننا للصين . إننى أشعر بالخوف من عواقب ما يفعلونه . لكن لا تفرط فى قسوتك عند إدانتك لهم " [٣٥] .

سياسات عفى عليها الزمن

وكان نائب الرئيس المستر ريتشارد نيكسون من أكثر المتشددين لإدانة المملكة المتحدة وفرنسا فى أزمة السويس ؛ إذ راح يؤكد أن الإدارة الأمريكية لن تخسر إلا بعض الأصوات الإسرائيلية فى انتخابات الرئاسة الأمريكية . . وعلق دالاس قائلاً أن درس السويس هو نهاية " التفكير فى إمكانية جرنا إلى السياسات الأنجلوفرنسية التى عفى عليها الزمن . أنه إعلان استقلال ، فلأول مرة لا يمكنكم الاعتماد على توريطنا فى سياسات من هذا النوع " [٣٦] .

وبعد ذلك اتصل دالاس بالمستر لودج ؛ لتنسيق استراتيجية الولايات المتحدة فى الأمم المتحدة . وأصدر له تعليماته بالتصويت إلى جانب أى قرار يدين المملكة المتحدة وفرنسا إذا قدمته يوغوسلافيا . وساله دالاس هل سيهاجموننا ؟ " أى المملكة المتحدة " بعنف فى حالة تأييدنا للقرار ، فأجابه لودج بان المستر ديكسون قد اخبرة أنهم سيهاجموننا إذا كان هناك قرار يدينهم . ومع ذلك أمر دالاس لودج بالتصويت ضد حلفاء أمريكا [٣٧] .

وقرر أيزنهاور فى تلك اللحظة توجيه خطاب إلى الأمة عبر شاشات التليفزيون ، أى فى مساء الأربعاء ٣١ أكتوبر ١٩٥٦ ، فقال إنه لم يتم التشاور معه بأى أسلوب فى أى مرحلة من مراحل الهجوم الأنجلوفرنسى والإسرائيلى على مصر ، ويعتقد أن هذا الهجوم خطأ . . لكنه أردف قائلاً . . " ولا يعنى ما أقوله أننا نقلل من شان صداقتنا مع هذه الدول ، ولا عن عزمنا على الحفاظ على تلك الصداقة . . إننا ندرك جيداً مدى قلق إسرائيل والمملكة المتحدة وفرنسا . . ونعرف أنهم تعرضوا لاستفزازات شديدة ومتكررة ، ومع هذا فإن الأمم المتحدة تمثل أفضل الأمال من أجل السلام العالمى [٣٨] .

وفى نفس الليلة ٣١ أكتوبر/ ١ نوفمبر اجتمع أيزنهاور ودالاس بمجلس الأمن

القومى فى واشـنطن .. وكانت المسألة الاكـثر إلحاحاً وإزعاجاً هى الموقـف ، الذى يتعين اتخاذه فى الأمم المتحدة حيال مسألة قـناة السويس وأزمة الشرق الأوسط .. وكان على إدارة أيزنهاور أن تختار بين حـليفين ارتكبا جريمة ضد بلد حديث العهـد بالتحرر ، يؤيده الاتحاد السوفيتى . وقد قال دالاس " إذا لم نكن مستعدين الآن لإثبات جدارتنا بالقيادة ، فسنذهب بالتأكيد إلـى الاتحاد السوفيتى . لكن إثبات جدارتـنا بالقيادة سيوقعنا فـى عدد من المشاكل الأساسية . فلسنوات عديـدة سارت الولايات المتحدة كالبهلوان على حبل يـفصل بين سعيها للحفاظ على علاقتنا القديمة والثمينة مع حلفائنا البريطانيين والفرنسيين ، وبين سعيها لكسب ود وتفهم البلدان الحديثة الاستقلال التى تحررت من الاستعمار . وإذا لم نثبت الآن جدارتنا بهـذه القيادة .. فـستتركـنا كل هذه الـبلدان الحديـثة الاستقـلال ، وتتوجه صـوب الاتحاد السوفيتـى .. وستعتبرنا إلى الأبـد مرتبطين بالسـياسـات الإستعماريـة للمملكة المتـحـدة وفرنسا .. إنه أمر مأسـاوى أن يحدث هذا فى لحظة ، كنا فيها على وشـك تحقيق انتصار كبير على الاستعمار السوفيتى فى شرق أوروبـا ، وبالتالى فنحن مضطرين إلى الاختيار بين الانجرار وراء الاستعمار الأنجلوفرنسى فى آسيا وأفريقيا ، أن يأخذ كل منا طريقه [٣٩] .

كان لعـبارات دالاس وقع الصاعـقة على الاجتـماع ؛ فجرت مـناقشة حامـية حول أى الخياريـن يتعين علـى الولايات المتحدة أن تـختاره . وتساءل الـرئيس أيزنهـاور : هل من الضرورى أن تقدم الولايات بنـفسها مشروع القرار ، فمن الممكن أن يقدمـه السكرتير العام؟ وردّ دالاس علـيه بلهـجة حاسمـة : " لن يقـدم القرار سوى الـولايات المتحـدة أو الاتحاد السوفيتى " .. وأضاف منفعلاً إن المملكـة المتحدة وفرنسا قد استخدمتا بالفعل حق الفيتو ، ضد قرار وقف إطلاق الـنار ، ولم تفعلا شيئاً سوى انـتهاج سياسات استعماريـة فجة عفى عليها الزمن [٤٠] .

وكان المساعد الخاص للرئيس أيزنهاور المستر هارولد ستاسن ، يعتقد أن مستقبل المملكة المتحدة وفرنسا هو الاعتبار الأهم بالنسبة لـلولايات المتحدة . وسينقسم الرأى العام الأمريكى فى حالة اسـتمرارنا فى خطتنـا ضدهما وضد إسرائيـل . وقال موجهاً حديثه إلـى الرئيس أيزنهاور .. قد لا تنجح فى الحصول على موافقة الكونجرس على سياساتك البعيدة المدى ، إذا أشاع التحرك الأمريكى فى هذه الأزمة الانقسام فى صفوف شعبنا . علينا أن نحافظ على وحدة الشعب الأمريكى ، ولن ننجح بالتأكيد فى هـذا إذا انفصلنا عن المملكة المتحدة وفرنسا وتحركنا مفترضين - وهو افتراض خاطئ فى رأيى - إن هاتين القوتين فى مرحلة أفول[٤١] .

وهل نخسر العالم العربى بأسره ؟

لكن الرئيس أيزنهاور لم يوافق على تصور سناسن ، وأكد أنه يؤمن بأن هاتين ، القوتين فى أفول طالما تنتهجان هذه السياسات .. ثم قال .. كيف لنا أن ندعم المملكة المتحدة وفرنسا ونخسر العالم العربى بأسره ؟ . ثم أنهى أيزنهاور الاجتماع ، قائلاً : " علينا أن ننفض الآن ، ونبحث فيما يمكننا عمله فى هذه المسألة . ورأيى أن نفعل ما هو صحيح ومناسب ولكن حذار من الإفراط فى لهجة الإدانة .. إن دالاس محق تماماً فى أننا إذا لم نفعل شيئاً ملموساً وحازماً لإثبات جدارتنا بالقيادة فسينتزعها السوفيت منا "(٤٢) .

وبعد مداولات مضنية ، وافقت الجمعية العمومية فى الساعة الرابعة والنصف من صباح يوم الخميس الأول من نوفمبر ١٩٥٦ ، بأغلبية ٦٤ صوتاً ضد خمسة أصوات على مشروع القرار الأمريكى الذى دعا إلى وقف إطلاق النار ، وانسحاب القوات المتحاربة إلى خطوط الهدنة ، والأهم من هذا وذاك إيقاف تحرك أى قوات إلى المنطقة .

وفى ذلك الوقت وقعت أحداث المجر .. وبالنسبة للرئيس أيزنهاور كانت السويس أكثر تهديداً للولايات المتحدة .. فأقدم وأقوى حليفين للأمة الأمريكية كانا يمارسان هناك سياسة ، تتناقض مع سياسة واشنطن ، وتعرض وحدة الغرب للخطر . وأصبح الخطر محدقاً بالحلفاء الأطلسيين ، بل وبحلف شمال الأطلسى ذاته . وبالتالى تعين على الرئيس أيزنهاور أن يوقف قوة الغزو الأنجلوفرنسية ، وأن يرأب الصدع مع حلفاء أمريكا . وقد وجه كل جهوده نحو هذه القضية (٤٣) .

وفى الخامس من نوفمبر ، وجه الماريشال بولجانين رسائل إلى موليه وإيدن وبن جوريون بلهجة ، تختلف من رسالة إلى أخرى ، وإن كان المعنى واحداً ، كما أرسل أيضًا رسالة إلى الرئيس أيزنهاور ، زميل الحرب القديم للجنرال زوكوف ، رسالة أكثر ودا ، وإن كانت لا تقل عجرفة عن الرسائل الأخرى ؛ إذ إقترح بولجانين على أيزنهاور أن يتخذ بالتعاون مع الاتحاد السوفيتى إجراءات سريعة وحاسمة ، من شأنها أن تضع حداً للعدوان ، وتمنع الحرب ، وإذا لم تتخذ مثل هذه الإجراءات فستفقد الأمم المتحدة هيبتها فى نظر الإنسانية ، بل أنها ستنهار وكان بولجانين قد نوه فى رسالته أن الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأمريكية دولتان عظميان ، ولديهما جميع أنواع الأسلحة الحديثة بما فيها الأسلحة النووية والهيدروجينية(٤٤) .

وهكذا وجدت واشنطن نفسها أمام رسالة مزعجة من بولجانين ، ومعها صورة من برقيات التهديد التى أرسلها بولجانين إلى باريس ولندن وتل أبيب ، وأمامها ايضاً طلب أنجلوفرنسى بتأكيد ضمان الحماية الأطلسية ، وبهذا اكتملت كافة عناصر الموقف المتفجر ، وقد طلب أيزنهاور من مستشاريه أن يعدوا له على الفور تقريراً عن الموقف . فاجتمع أعضاء هيئة المخابرات الأمريكية ، وهى تضم أهم رؤساء جهاز المخابرات المركزية ، علاوة على رؤساء مختلف أجهزة الاستعلامات التابعين لوزارة الشرطة الفيدرالية (٤٥) .

حتى لا يسحب البساط من تحت أقدام واشنطن :

وبحث جهاز المخابرات الموقف العام وموقف الولايات المتحدة خاصة ، وقدر عملية توازن القوى القائمة ، ومدى المخاطر ثم أبلغ النتائج التى إنتهى إليها .. وقد حسب هؤلاء المسئولون حسابهم ، وبناء على تقريرهم وبعد أن اجتمع مجلس الأمن القومى الأمريكى ، اتخذ الرئيس أيزنهاور قراره الذى تلخص فى حتمية إيقاف إطلاق النار ، وانسحاب القوات الغازية فوراً من السويس ، وإلا فإن البساط سوف يُسحَب من تحت أقدام واشنطن(٤٦) .

وفى ذلك الوقت ، وصلت إلى واشنطن رسالة من تشارلز بوهلن السفير الأمريكى فى موسكو يطلب فيها " إتخاذ الحذر فالروس مصممون "، وأكدت هذه الرسالة ضرورة إيقاف إطلاق النار ، والانسحاب فوراً السفير الأمريكى فى موسكو وبعد الإنذار السوفيتى للدول الثلاث ورسالة بعث الرئيس أيزنهاور بخطاب إلى بن جوريون فى مساء الخامس من نوفمبر ذكر فيه " إن الأولوية العليا يجب أن تعطى لانسحاب القوات الأجنبية ، وبعدها تتخذ خطوات جديدة ونشطة داخل إطار الأمم المتحدة لحل المشكلات الأساسية التى أدت إلى الصعوبات الحالية .. ثم حذر إسرائيل فى حالة عدم الامتثال لإيقاف إطلاق النار والانسحاب بأنها لن تحصل على حماية الولايات المتحدة(٤٧) .

وفى صباح ٦ نوفمبر ، سلم المستر ديلون السفير الأمريكى فى باريس رسالة من الرئيس أيزنهاور إلى جى موليه ، ذكر فيها " إذا استمررتم فى عملكم الخاطئ فلا تعتمدوا على الولايات المتحدة . إن الإجراء الصحيح هو الذى يتم من خلال الأمم المتحدة ... ولابد أن توقفوا تدخلكم فى السويس ، فإذا لم تفعلوا فلا يمكنكم الاعتماد على تأييدنا "

وكان لهذه الرسالة وقع الصدمة على موليه وأعضاء حكومته . ومع هذا فإن الولايات

المتحدة أعطت فيما بعد تأكيدات متكررة لفرنسا والمملكة المتحدة ، بأنها ستحترم التزاماتها تجاه حلف الأطلسى إذا شن الاتحاد السوفيتى هجوماً عليهما [٤٨] .

وفى الصباح الباكر من يوم ٦ نوفمبر ، طلب أيزنهاور ، أنتونى أيدن تليفونيًا ؛ حيث قال له : " إننى أطلب منك أن تعطى أمراً بوقف إطلاق النار فوراً ، إذا أردت أن تحافظ على التضامن البريطانى الأمريكى وعلى السلام . إننى لا أستطيع أن انتظر أكثر من ذلك ." لقد كانت للمكالمة طبيعة الإنذار ، وكان آخر موعد هو منتصف ٦ نوفمبر [٤٩] .

لقد اصبح الجميع ضدى :

وطلب إيدن موليه فى باريس ، وأبلغه بضرورة وقف إطلاق النار بعد أن تحقق تقريباً ما ذهبا من أجله ، فلا يمكن للرئيس عبد الناصر أن يستمر طويلاً الآن . ورجا موليه إيدن والدموع فى عينيه أن يصبر لساعات قليلة أخرى ؛ حتى تتمكن القوات من الوصول إلى السويس : إننا على وشك النجاح ولا نريد للحملة أن تكون بلا فائدة . كيف نتخلى عن الإسرائيليين ؟ ولكن إيدن أجابه : إننى محاصر فى ركن ، ولن أستطيع أن أستمر .. لقد تخلى عنى الجميع ، لقد استقال زميلى المخلص ناتنج وزير الدولة . ولا أستطيع حتى أن اعتمد على الإجماع بين المحافظين . أن أسقف كانتربرى والكنيسة ورجال أعمال النفط وكل الناس أصبحوا ضدى ، والكومنولث مهدد بالتفكك . ثم إننى أريدك أن تفهم جيداً أن أيزنهاور اتصل بى هاتفياً ، ولا أستطيع أن أسير فى الأمر وحدى دون الولايات المتحدة .

وأخطر إيدن موليه بوقف إطلاق النار ، اعتباراً من الساعة السابعة مساءً بتوقيت لندن ، إلا أن موليه أقنع إيدن بضرورة أن يستمر حتى الساعة الحادية عشرة والدقيقة ٥٩ مساءً نفس اليوم ٦ نوفمبر ، فأكّد عليه إيدن بألا يزيد القتال دقيقة واحدة بعد ذلك[٥٠] .

وعلق المستر ديلون على الأسباب التى أدت إلى وقف إطلاق النار ، وقبول المملكة المتحدة وفرنسا ، بأنه يعتقد أنه لا الإقناع الأدبى ولا الضغط يمنع إمدادات النفط ولا الدبلوماسية الأمريكية هى التى أحدثت وقف إطلاق النار ، ولكن هى التهديدات السوفيتية التى صيغت بلهجة عنيفة جداً . وقد اضطر السفير ديلون إلى تعديل ملاحظاته ، بناءً على إصرار دالاس ، ومع هذا فإن الحقيقة تبقى إن دالاس نفسه شعر بالفزع من التهديد السوفيتى [٥١] .

القشة التى قصمت ظهر البعير :

عندما علم أيـزنهاور بتدهور قيمة الجنيـه الإسترلينى وانخفاض احتيـاطى الذهب بمقدار ١٠٠ مليون جنيـه إسترلينى فى الأسواق العالميـة ، عمد إلى خنق المملكة المتـحدة مالياً كى يجبرها على قبول وقف إطلاق النار وسحب قواتـها من مصر . وكانت المملكة المتحدة تملك وديعة كبيرة بالإسترلينى فى صندوق النـقد الدولى ، لكن واشنطن كان من حقها الاعتراض على أى عمليـات سحب بوصفها أكبر المسـاهمين ، وتعين على البلاد أن تواجـه أزمة مالية حادة حتى يتراجع إيدن ، وكانت تلك هى القشة التى قصمت ظهر البعير (٥٢) .

وقد اتصل ماكميلان وزير الخزانة البريطانى بصديقه ونظيره الأمريكى هيوبرت هيمفرى يناشـده - بـصفة شخصية - أن يتوسط لدى أيـزنهاور بتقديم قرض عاجل ، قيـمته مليار دولار ؛ لإنقاذ الجنيه الإسترلينى ٠إلا أن همفرى اشتـرط أن توافق المملكة المتحدة أولاً على وقف إطلاق النار والانسـحاب فوراً ٠٠٠ وكان فى هذا الرد فصـل الخـطاب ، إذا أرغـمـت وزارة إيدن على قبوله(٥٣) .

واستسلم إيـدن ومجلس وزرائه ، وأعلنوا وقف إطـلاق النار فى منتصف الـليـل (فى الساعـة الـثانية من صباح الأربعاء بتوقيت القاهرة الموافق ٧ نوفمبر) ٠٠ بعد مكالمة تلفونية أجراها معه الرئيس أيزنهاور ، ذكر خلالها أنـه لا يستطيع الانتظار بعد الآن ، كما لو كان أيزنهاور واقـعاً تحت تهديد أو إنـذار نهائى . وحين طلـب منه إيدن مهلـة أخرى ، أجاب أيزنهاور أنه لا يمكن تأجيل وقف إطلاق النار بعد يوم ٦ نوفمبر (٥٤) .

وتعـين على إيدن أن يقوم بنفسه بإخطار شركائه الفرنسيين فى المؤامرة ، فاتصل هاتفياً بموليه ، الـذى « كان مجتمعاً هـو وبينو مع المستـشار الألمانى كونراد أدينـاور ٠٠ ورد بينو علـى إيـدن الـذى وصـــف ماحـــدث بقوله : " سمعت صوتـاً كسيراً، صوت رجل فقد كل قدرته على المقاومة ويـستعد للسقوط . وقال لى مباشرة يستحـيل الاستمرار ٠٠٠ ينبغى أن نتوقف ٠٠ فقد هبط سـعر الجنيه الإسترلينى من جديد ، ونحـن على وشك الإنهيار ، ولما طلب منه بينو أن يتمهل ولو ليومين فقط ٠٠ رد إيدن " لن نتحمل يومين" وصاح بينو " حاول ونحن معك " فقال إيدن " لقد قبلت القـرار بالفعل ولكن ماذا عنكم ، ستوافقون أليس كـذلك ؟ ٠٠ وعندها تـناول موليه سـماعة الهاتـف وحاول أن يساوم إيدن لـبعض الوقـت ٠ وأخيرا أبلغه أنه يتعين عليه أولا التشاور مع مجلس الوزراء (٥٥) .

وسادت فترة من الصمت ، بعد أن أغلق موليه الهاتف ، وقطع أديناور حبل الصمت بلهجة لطيفة .. ونصح موليه بقبول وقف إطلاق النار . وبعد ذلك بساعات قليلة ، أعلن مجلس الوزراء الفرنسى موافقته على وقف إطلاق النار رغم المعارضة المريرة من المتشددين ، وانتهى الغزو الأنجلوفرنسى الكبير قبل أن يبدأ فعلا (٥٦) .

وقبل انتهاء يوم ٦ نوفمبر ، اتصل إيدن تليفونيا بموليه ؛ ليبلغه أنه سيعلن وقف إطلاق النار أمام مجلس العموم ، ولما سأله عما إذا كان يستطيع أن يعلن ذلك باسم الحكومتين ، وافق موليه فأعلن إيدن قرار حكومتى المملكة المتحدة وفرنسا بوقف إطلاق النار (٥٧) .

لقد وقعوا فى فخ السويس :

والحقيقة أنه لم تكن أمام أيزنهاور فرصة للاختيار ، فقد انكشف الموقف العسكرى فى أوروبا بسبب انسحاب الجيوش الأنجلوفرنسية التى هجرت مراكزها على الجبهة الأمامية - وهى الجبهة الألمانية - للسعى وراء خيالات وأوهام فى الشرق ، ووقعت فى (فخ السويس).

فإذا لم يقم أيزنهاور بالضغط على حلفائه فسيقع التدخل السوفيتى فى الشرق ، وسيتم بدون ألم ، وبضمان قرارات الأمم المتحدة المتعددة ، التى صدرت بناء على طلب الولايات المتحدة الأمريكية ، وسيكون التدخل السوفيتى فى الشرق ، هو الاقتحام العظيم الذى حلم به كثير من القياصرة ، كما أنه سيؤدى - وفى ليلة واحدة - إلى انهيار إمبراطورية البترول الأمريكية فى الشرق الأوسط ؛ لأن السوفيت إذا انتصروا فإنهم لن يقدموا هدايا .

ولم تتوقف المناورات السياسية رغم توقف القتال فى القناة . واستماتت إيدن من أجل الخروج بشىء من حطام سياساته .. فاتصل بأيزنهاور فى نهاية يوم ٦ نوفمبر ، بعد إيقاف إطلاق النار ؛ ليحدد مقابلة مع الرئيس أيزنهاور فى واشنطن ، يشاركه فيها زميله الفرنسى جى موليه ، ووافق الرئيس ايزنهاور أولاً ، ثم عاد ورفض المقابلة بعد أن نصحه شيرمان آدمز رئيس موظفى البيت الأبيض بذلك (٥٨) .

وشرح السفير ديلون لموليه سبب الرفض بأن الرئيس لا يستطيع أن يقابله هو أو إيدن فى الوت الحالى وإلا كان معنى ذلك ان الولايات المتحدة شريكة فى مغامرة الهجوم على مصر ، بينما هى فى الواقع لا شأن لها بالموضوع كله ، فقد رتب من وراء ظهرها ،

واخفيت تفاصيله عنها عمداً ، وليس يحق لأطرافه أن يلقوا عليها الآن بالعواقب المترتبة عليه [٥٩] .

فلنجمع الشظايا المتبقية من الشرق الأوسط :

وفى صباح يوم ٩ نوفمبر ١٩٥٦ ، دعا الرئيس أيزنهاور مجلس الأمن القومى الأمريكى إلى الاجتماع فى البيت الأبيض ؛ لبحث آخر التطورات فى الشرق الأوسط . وفى بداية الأجتماع أفصح أيزنهاور عن الهدف الأساسى للاجتماع ، فقال : " والآن أيها السادة علينا أن نلم القطع والشظايا المتبقبة من الشرق الأوسط " والواقع إن أيزنهاور كان يسعى فى ذلك الوقت إلى تشكيل شرق أوسط جديد تضعه القوة الأمريكية بكامله فى نطاق نفوذها الإمبراطورى الجديد ، بعد أفول شمس الإمبراطورية الأنجلوفرنسية عنه[٦٠] .

وفى هذا الاجتماع ، شرح الرئيس أيزنهاور نظريته الخاصة فى الخلاص من " الرئيس عبد الناصر " ، ولخصها فى ضرورة أن لا نتركه يدير القناة وحده ، وأن لا نسمح لمصر بالعودة إلى قطاع غزة والأنسب تدويله ، وإقامة نوع من وصاية الأمم المتحدة عليه ، وحتمية مرور إسرائيل فى قناة السويس وخليج العقبة ، ثم ختم أيزنهاور عرضه بالإشارة إلى أن " الرئيس عبد ناصر " وبرغم كل المظاهر فى موقف ضعيف ، وإذا دفعنا قليلا فسوف ينكفئ على وجهه .

هكذا كان الشرق الأوسط أمام الرئيس أيزنهاور عبارة عن قطع وأجزاء مهشمة ومتناثرة ، وليس هناك من يستطيع أن يجمعه ويعيد ترتيبه ، كما يشاء ، إلا الولايات المتحدة الأمريكية ، وكان باديا له أن المملكة المتحدة وفرنسا فقدتا ما كان باقيًا لهما فى الشرق الأوسط ، ولم يبق لهما نفوذ أو نفط وفيما يتعلق بالمملكة المتحدة فلن تعود قادرة فى مستقبل الأيام على استرداد ما ضاع منها ، عندما انكشف تواطؤها مع إسرائيل ، وحتى إذا غفر لها أصدقاؤها من الحكام العرب التقليديين . . فإن شعوبهم لن تسمح لهم بأى نوع من أنواع التعبير عن الصفح او النسيان . .

وكذلك كان تقدير أيزنهاور أن الاتحاد السوفيتى لم يكسب كثيراً من الأزمة ، وإذا كان الإنذار السوفيتى للمعتدين قد رفع من هيبته ، ولكنه - أى إيزنهاور - تصرف على نحو ترك الأطراف جميعًا تحت انطباع أن الولايات المتحدة هى التى وجهت الضربة القاضية إلى مخطط العدوان .

وهكذا دخلت الولايات المتحدة بكل ثقلها إلى منطقة الشرق الأوسط .. وأرادت ألا يكون لها شريك فيها ينازعها الهيمنة .. فعندما توجه سلوين لويد إلى واشنطن فى منتصف نوفمبر ١٩٥٦ ، مكلفا من قبل إيدن بأن يشرح للأمريكيين أن وجود بور سعيد فى أيدى القوات الأنجلوفرنسية وسيناء فى أيدى الإسرائيليين كضمانة لقبول مصر التفاوض وأن يلفت نظر الأمريكيين إلى أطماع السوفيت بشأن التغلغل فى الشرق الأوسط (٦٤) .

لم يحصل لويد إلا على ردود تنطوى على استنكار ما قامت به المملكة المتحدة وفرنسا فى مصر ، والتأكيد بأن أية محاولة للتفاهم مستحيلة قبل انسحابهما ، كما رفض المسئولون الأمريكيون التعاون مع المملكة المتحدة وفرنسا فى أى مجال من المجالات (٦٢) .

بل ذهب الأمريكيون إلى أبعد من ذلك ، فعقب تلك المحادثات التى جرت فى نيويورك ، رفضوا إستقبال لويد رسميا فى واشنطن كوزير للخارجية .. كما أجل الرئيس أيزنهاور لأجل غير مسمى اجتماعه بأيدن وموليه .. ورفضت واشنطن أيضا أن تستقبل وزيراً رسميًا ، يحمل رسالة من رئيس وزراء إستراليا ، كما رفضت بكل تصميم أن تمد فرنسا والمملكة المتحدة بالبترول قبل الجلاء عن مصر (٦٣) .

وذكر مورى سبندر مساعد السكرتير الصحفى فى البيت الأبيض يوم ١٣ نوفمبر ١٩٥٦ : " إن البيت الأبيض يؤكد مرة أخرى أنه ليس هناك تفكير فى الوقت الحاضر لعقد اجتماع بين الرئيس أيزنهاور ، وإيدن رئيس وزراء المملكة المتحدة ، وجى موليه رئيس وزراء فرنسا" كما ذكر الرئيس ايزنهاور فى مؤتمره الصحفى يوم ١٤ نوفمبر ١٩٥٦ أنه لا يحبذ عقد اجتماع الآن للأقطاب ؛ فالولايات المتحدة تعمل فى الوقت الحاضر عن طريق الأمم المتحدة لإيجاد حل للمشاكل العاجلة فى الشرق الأوسط (٦٤) .

سياسة ملء الفراغ :

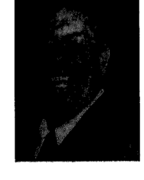
وعندما التقى جون فوستر دالاس ، بأبا ايبان سفير إسرائيل فى وشنطن يوم ٢٠ ديسمبر ١٩٥٦ ، طلب السفير من دالاس بناءً على تعليمات من بن جوريون ضرورة الحصول من الولايات المتحده على تعهد مكتوب بفتح قناة السويس للملاحة الإسرائيلية ، وإنهاء السيطرة المصرية على خليج العقبة ، وعدم عودة مصر إلى قطاع غزة ، ورد " دالاس " بأن الولايات المتحدة لا تتصرف فى هذا الموقف بوحى لحظة عابرة ، وإنما هى تتصرف وفق

سياسة جديدة رسمتها للمنطقة ، وهى مصممة على تنفيذها . . . وقد حان الوقت لكى تقيم الولايات المتحدة نظاماً جديدا فى المنطقة ، تتحمل فيه المسئولية وحدها ومباشرة . . . إننا لم نعد فى حاجة إلى التوارى وراء أصدقائنا القدامى فقد لعبوا أوراقهم بحماقة ، وخسروا وتركوا ورائهم فى الشرق الأوسط فراغاً يتحتم على الولايات المتحده أن تملأه . لقد رسم الرئيس أيزنهاور خطة كاملة لمستقبل الشرق الأوسط ، تتضمن ترتيبات سياسية وعسكرية ومساعدات اقتصادية واسعة . وسوف ترى وتسمع عنها فى الأسابيع القليلة القادمة ، فنحن ننوى أن نتحرك بسرعة(٦٥) .

وكان الرئيس أيزنهاور فى تلك الأيام الأخيرة من سنة ٥٦ يستعد لكى يتقدم إلى الكونجرس بمشروعه لإعادة تنظيم الشرق الأوسط بأسره ، فيما عرف بعد ذلك باسم " مبدأ أيزنهاور " أو " مشروع أيزنهاور لملء الفراغ " الذى قدمه يوم ٥ يناير ١٩٥٧ . . وقد طمأن هذا المشروع إسرائيل بل إن الولايات المتحدة الأمريكية سلمت إسرائيل فى ذلك الوقت مذكره ، تؤكد فيها حقها فى المرور البرىء فى مضايق العقبة(٦٦) .

موقف الاتحاد السوفيتى :

حدد الاتحاد السوفيتى موقفه من العدوان على مصر فى عدة مواقف متعاقبة ، منذ أعلنت مصر التأميم . . فالزعماء السوفييت أيدوا حق مصر فى التأميم ، وأجهزه الإعلام السوفيتية لم تتوان عن تأييد وتأكيد مشروعية التأميم والتحذير من استخدام القوة . وفى مؤتمر لندن الأول ، حذر وزير الخارجية السوفيتى شبيلوف من استخدام القوة ، وبعد المؤتمر أكد شبيلوف فى مؤتمر صحفى هذا الموقف ، ثم بعث بولجانين رسائل إلى إيدن وموليه ؛ للتحذير من عمل عسكرى ضد مصر . وفى مجلس الأمن لم يكن موقف السوفيت يحتمل أى شكوك حول عدم قبول استخدام القوة، وفى أنهم لن يقفوا مكتوفى الأيدى أمام عدوان على مصر .



« وحذر شبيلوف وزير خارجية الاتحاد السوفيتى من استخدام القوة . . »

وفى الاتصالات التى تلت قرار مجلس الأمن ، أوضح شبيلوف وجهة النظر السوفييتية للمسئولين الفرنسيين فى الاجتماع ، الذى عقد بينه وبين كريستيان بينو بباريس يوم ١٩ أكتوبر ١٩٥٦ . وقد وصل الى القاهرة تقرير من سفير مصر بباريس عن نتائج هذا الاجتماع ، حيث وضح أنه تناول مسألة قناة السويس . . وعرض السوفيت وجهة نظرهم ، وأوضح شيبلوف لبينو أن خير السبل هو أن تجلس فرنسا والمملكة المتحدة ومصر حول مائدة مستديرة لوضع المبادىء الستة موضع التنفيذ . . وأكد على ضروره الثقة فى حسن نوايا مصر ، ورغبتها فى ضمان حريه المرور فى القناه وحسن إدارتها (٦٧) .

وكان الانطباع بعد أن انتهت هذه المباحثات أنها اتسمت بروح المودة والهدوء ، وليس هناك تفكير فى أى عدوان . هذه هى الصورة التى تجمعت لدى الاتحاد السوفيتى وخلاصتها أنه لا حرب ، وأن الأمل كبير فى الوصول إلى حل سلمى ، بعد النجاح الذى تحقق فى نيويورك ، وأن خطر الحرب قد ابتعد ، وأصبحت احتمالات السلام أقرب إلى التحقيق . ومع ذلك كان الاتحاد السوفيتى يتابع عن قرب التحركات العسكريه الأنجلوفرنسية ، ويواصل تحذيراته .

وحتى يوم ٢٧ اكتوبر ١٩٥٦ ، لم يكن يبدو ان الاتحاد السوفييتى قد تمكن من كشف التآمر وخطة العدوان الثلاثى ، بل إن ما نشرته البرافدا فى ٢ اكتوبر عن اجتماع سرى بين لويد وبينو دليل على أن دور إسرائيل كان مجهولاً للاتحاد السوفيتى وإلا لكشف عنه . وقد ارتبط موقف الولايات المتحده بالموقف السوفيتى ، وبمدى حديثه فى معارضة استخدام القوة ؛ فلم تكن الولايات المتحدة تتخذ هذا الموقف العنيف ضد حلفائها ، إلا بناء على تقديرات عسكرية لها وزنها .

وعندما بدأ العدوان الإسرائيلى ، تحرك الاتحاد السوفيتى فى مجلس الأمن على الفور ، وأيد المشروع الأمريكى ضد إسرائيل ، فلما فشل هذا المشروع بدوره ، تقدم بمشروع القرار الذى فشل أيضًا بسبب الفيتو الأنجلوفرنسى .

لاتعتمد على هؤلاء السوفييت

وعندما سافر الرئيس شكرى القوتلى إلى موسكو ، فى أول نوفمبر ١٩٥٦ ، التقى بخروشوف وبولجانين والماريشال زوكوف ، وحثهم على تقديم العون المادى لمصر ، والتدخل إذا استدعى الأمر لوقف العدوان . . وقد رد الزعماء السوفيت بأن الاتحاد السوفيتى

سيقدم أقصى معونة ممكنة لمصر بما فى ذلك الأسلحة والفنيين ، إلا أنهم غير مستعدين لإرسال قوات عسكرية خوفاً من أن يؤدى ذلك إلى قيام حرب عالمية نووية . وقد أبلغ الرئيس القوتلى السفير المصرى فى دمشق " محمود رياض " بتفاصيل محادثاته التى أجراها مع القادة السوفيت ، وطلب إبلاغ الرئيس جمال عبد الناصر بذلك(٦٨) .

وعندما قرأ عبد الناصر برقية القوتلى إحتفظ بما فيها سراً سيبقى عالقاً فى الأذهان استعداد الإتحاد السوفيتى للتدخل العسكرى ، خاصة بعد أن صدر الإنذار السوفيتى لدول العدوان(٦٩) .

وقد ذكر محمد حسنين هيكل فى كتابه « ملفات السويس » . . أن الرئيس شكرى القوتلى بعد أن خرج من اجتماعه مع القادة السوفيت ، استدعى السفير المصرى محمد عوض وطلب منه إبلاغ الرئيس عبد الناصر فى القاهرة فوراً " " بأن لا يعتمد فى خطته ، على مساعدة عملية من السوفيت ! (٧٠) .

وفى يوم ٤ نوفمبر أتيح للسفير " القونى " فرصة لحديث مع خروشوف بأن مصر فى هذه الساعات العصيبة ، تعتمد على أصدقائها ، وردّ عليه خروشوف هامساً فى إذنه " لا تعتمدوا على غير أنفسكم ، ونحن واثقون أنكم قادرون على تحقيق النصر (٧١) .

لقد رد السوفيت على الهجوم الأنجلوفرنسى بمجموعة من الرسائل والإنذارات . . فأرسل رئيس الوزراء السوفيتى رسالة إلى رئيس مجلس الأمن ثم رسالة إلى الرئيس الأمريكى أيزنهاور ، ثم أرسل ثلاث رسائل فى صورة إنذارات شديدة اللهجة إلى إيدن وموليه وبن جوريون فالرسالة التى أرسلت إلى جى موليه تحمل بعض التهديد ، والتى أرسلت إلى إيدن تزداد عنها قوة ، والتى أرسلت إلى بن جوريون تتضمن تحقيراً صريحاً وعنيفاً ليس له مثيل فى التاريخ الدبلوماسى .

ومع بزوغ فجر الخامس من نوفمبر ١٩٥٦ ، سحقت قبضة السوفيت الحديدية العاصمة المجرية بودابست ، ثم أرسل بولجانين برقية إلى رئيس مجلس الأمن ؛ لعقد اجتماع فورى لمناقشة العدوان الجديد على مصر ، وعدم تنفيذ إسرائيل والمملكة المتحدة وفرنسا لقرار الجمعية العمومية . كما أنها عرضت مشروع قرار ، يدعو إلى وقف إطلاق النار فى مصر ، خلال مهلة قدرها اثنتا عشرة ساعة تلى قرار الموافقة ، وهو نفس الوقت الذى حدده الإنذار الانجليزى الفرنسى ، وانسحاب كل القوات الأجنبية من مصر خلال ثلاثة أيام . وذكرت

البرقية أنه إذا رفضت الأطراف المعنيه التنفـيذ ، فعلى جميع أعضاء مجلس الامن ، وخاصة الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى - كعضوين فى مجلس الأمن ، ولها قوات جوية وبحرية قوية إمداد جمهورية مصر بقوات كانت بحريـة وجوية ووحدات عسكرية ومتطوعين ومعلمين عسكـريين ، وغير ذلك مـن أشكال المساعدة ، وذلـك اذا رفضت المملـكة المتحدة وفـرنسا وإسرائيل تنفيذ هذا القرار خلال المدة المحددة .(٧٢) .

يدافعون عن الحرية فى مصر ويدوسونها فى المجر

وفى الأمم المتحدة ، سـلم المندوب السوفيتى سـوبوليف - مساء الخامس مـن نوفمبر - خطاباً من شبيلوف وزير خارجية الاتحاد السوفيتى ، يـقترح فيه القيام بعمل أمريكى سوفيتى مشتـرك ، وقد أبدى المندوب الأمـريكى كابوت لـودج قدراً من السـخط ، وانتقد الـوقاحة السوفيتية التى تدعى الدفاع عن الحرية فى مصر فى حين تدوسها فى المجر . . . وهذه كلمات خطابية إنشائية يلقيها كابوت لودج لأنه يريد أن يتجنب الظهور بمظهر من يوافق على اقتراح شبيلوف ، فى حين أنه لا يـستطيع رفضه . ثم ألقى المندوب السوفيتـى نظرة على ساعته ، ونهض ، وهو يلقى تحذيراً إلى كابوت لودج ، قـائلاً : يجب على أعضاء المجلس ، الذين رفضوا إدراج الـطلب السوفيـتى فى جدول الأعمال ، أن يـقدروا المسئولـية الملقاة علـيهم ، وستقع عليهم مسئولية احتمال اتساع النزاع وزيادة خطورة الموقف فى هذه المنطقه من العالم ! وقد بدت هذه الجملة غامضة حتى اللحظة التى فتح فيها سوبوليف حقيبته ، ووزع البيان على مندوبى الدول ، متضمناً نسخة من الرسائل التى وجهها بولجانيين فى تلك اللحظة .

إلى كل من بـاريس ولندن وتل أبيـب وواشنطن .(٧٣) وقد أخطر بها قـبـل إرسالها الـرئيس عبد الناصـر ، عـن طريق ، سفيره فى موسكو ، محمد عوض القونى (٧٤) .

وقد أبـرز بولجانـين لجى موليـه أن الحرب الـتى أثارتهـا المملـكة المتـحدة وفرنـسا ، واستخدمتا فيها إسرائيل ضد الدولة المصرية الصـغيرة ستترتب عليها نتائج غاية فى الخطورة بالنسبة للسلام الـعالمى . واستطرد بولجانين يقول " إنى اعتبر من واجـبى أن أحيطكم علمًا بأن الحكومة الـسوفيتية مصممـة تصميماً تاماً علـى استخدام القوة لسحق المـعتدين ، وإعادة السلام إلى الشرق الأوسط . . ولا يزال الوقت سانحاً لتحكيم العقل والتوقف وعدم السماح للنزعة الحربية بالاندلاع فى طريق محفوف بالمخاطر " (٧٥) .

وكانت الرســالة الموجهة إلى إيــدن مشابهة تقريبــاً للرسالة ، التى وجــهت إلى جى موليــه ، مع بعض الاخـتلافات الطفـيفة . فقــد قال فى رسالتــه لإيدن : " ماذا ستـفعل بريطانيا إذا وجدت نفسها تتعرض لهجوم دول أقوى تملك كل أنواع أسلحة الدمار الحديثة ؟ وفى الواقـــع إن هــذه البـلدان يمكنها بــدلاً من إرسال أساطيلـها وطائراتها إلـى شواطىء بريطانيا ، أن تستخدم وسائل اخرى مثل الصواريخ على سبيل المثال " (٧٦) .

أما الرسالــة الموجهة الى بن جــوريون فقد كانت جافــة جداً ، اتهم بوجانــين إسرائيل بأنها " تعمل كأداة فى يـد القوى الإمبريـالية الخارجية " ، وحذر من أن " إسرائيل تعبث بمصير السلام وبمصير شعبها ذاته على نــحو إجرامى غير مسئول " .. وأضاف " إننا نتوقع أن تعود حكومة إسرائيل إلى رشدها قبل أن يفــوت الأوان ، وأن توقف عملياتها العسكرية ضد مصر " (٧٧) .

وأرسل بولجانين أيضاً رسالة إلى الرئيس أيزنهاور لا تقل شدة عن الرسائل الأخرى ، اقترح فيها على أيزنــهاور أن تستخدم الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الـسوفيتى معًا القوة ضد المملكة المتحدة وفرنسا وإسرائيــل . وحذر بولجانين من أنه " إذا لم تتوقف هذه الحرب المحفوفة بالمخاطر ، فقد تتسع لتصبح حرباً عالمية ثالثة " .

" وطالب بأن يـقوم الاتحاد السوفيتـى والولايات المتحدة بـسحق المعتدين ، لأن الـبلدين يملكان كــل أنواع الأسلحة الحديثــة بما فى ذلك الأسلحة الذريــة والهيدروجينيــة ، ويحملان بشكل خاص مسئوليه إيقاف الحرب "(٧٨) .

لقد وجدت واشنطن نفسها أمام رسالة مزعجة ، وبرفقتها صور من برقيات التهديد التى أرسلها بــولجانين إلى باريس ولندن وتــل ابيب ، وأمامها أيضــاً طلب الجلوفرنسى بــتأكيد ضمان الحماية الأطلسية . وهكذا أثمرت الإنذارات السوفـيتية فى تحقيق نتيجة فى غاية الأمية وهى قبول الدول المعتدية ، وقف إطلاق النار إزاء الــشعور بجدية الانذارات من ناحية ، ثم عدم الاطمئنــان إلى موقف الولايات المتحدة فى حــالة تدخل سوفيتى ، ولو غيــر مباشر فى الحرب الدائرة من ناحية أخرى .

وفى ١١ نوفمبر ، صدر فــى موسكو إعلان باستعداد الاتحاد السوفيــتى إرسال متطوعين لإنهاء الاحتلال . ويلاحظ أن تأييد الاتحاد السوفيتى ، كان يتصاعد كلما تبين تصميم مصر على المقاومة والتأييد الجاد من الدول العربية(٧٩) .

وفى ١٥ نوفمبر ، بعث المارشال بولجانين برسالة إلى جى موليه ، كانت بمثابة ضغط جديد للجلاء عن مصر . وقد أوضح فى رسالته أن الحكومة السوفيتية تقبلت بالرضاء نبأ وقف إطلاق النار فى مصر ، ولكنها تصر على ضرورة انسحاب القوات الأنجلوفرنسية والإسرائيلية من الأراضى المصرية دون تأخير . وفى اليوم نفسه ، بعث الماريشال بولجانيين برسالة مماثلة إلى أنتونى إيدن ، واستمر الإتحاد السوفيتى فى ضغطه ، حتى تم إنسحاب القوات المعتدية من الأراضى المصرية(٨٠) .

وخلاصة القول فى موقف الإتحاد السوفيتى ، ومن تجربة حرب العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ ، أنه يوجد خط لا يمكن للإتحاد السوفيتى تجاوزه ، وهو الخط الذى يحمل خطر قيام حرب عالمية (٨١) .

التعليق :

وإذا كان وقف إطلاق النار قد أسكت الأسلحة فإنه لم يوقف المعركة ، إذ استؤنفت بعد قليل ، ولكن بشكل دبلوماسى فى أروقة الأمم المتحدة ، وقد أجابت فرنسا والمملكة المتحدة على الرسالة التى وجهها إليهما همر شولد السكرتير العام للأمم المتحدة بتاريخ ٥ نوفمبر ، والتى أخطرهما فيها بالقرار الذى أصدرته الجمعية العمومية بقولهما إنهما قررتا الإذعان لإرادة غالبية الأمم المتحدة ، وإنهما قد أصدرتا إلى قواتهما التى نزلت فى مصر أمراً بوقف إطلاق النار .

وكذلك بعث بن جوريون يوم ٧ نوفمبر ببرقية إلى الرئيس إيزنهاور ، جاء فيها " إننا لم نخطط أبداً لضم صحراء سيناء ، وإن إسرائيل ستنسحب بعد التوصل إلى توصيات مرضية مع الأمم المتحدة " . ويمكننا القول أن الولايات المتحدة الأمريكية - لاعتبارات معادية للاستعمار ، وكذلك لاعتبارات تتسم بالأنانية - كانت ترغب من ناحيتها استبعاد كل من فرنسا والمملكة المتحدة من منطقة الشرق الأوسط بأسرها ، وأن تخلفهما بطريقتها الخاصة .

وكان الاتحاد السوفيتى يريد أن يختفى الجميع من المنطقة ، بما يسمح له بالتسلل والنفوذ والنشاط فى المنطقة ، وأن تتحقق الرغبة السوفيتية القديمة فى الوصول جنوباً إلى المياه الدافئة فى البحر المتوسط .

وكـــان المـــوقف كلـــه مليئًا بالتيارات المضادة ... وقد وصل إلى منتهاه ... فمثلاً: كانت الولايات المتـحدة معادية للاستعمار ، بالرغـم من أنها حليفة للقوتين الاسـتعماريتين الكبـيرتين فرنســا والولايات المتحدة . . . ومـرة أخرى كانت الولايـات المتحدة ، ممثـله فى أيزنهاور ودالاس - تكره عبد الناصر ولا تثق فيه ، ومع هذا فقد عرضت مساعدة ضخمة فى قرض تقدمه بمشروع السد العالى ، بالرغم من سحبه فيما بعد .

ومرة أخرى فإن دالاس وحكومتـه كانا من أكبر المؤيدين لمؤتمر لنـدن وقراراته ، ومنها جمعية المنـتفعين بقناة السويس ، ودفع رسوم الـقناة لها ، وعدم دفعها للحـكومة المصرية . ومع هذا فإن كلا من دالاس وأيزنهاور قالا فيما بعد إن الولايات المتحدة لن تشق طريقها فى القناة عنوة ، إذا أصرت مصر على أن يتم الدفع لـهـا . وبهذه الطرق سمح لعبد الناصر أن يحكم قبضته على القناة ويحصـل على وقت كاف ، وهو نفس عبد الناصر الذى قال دالاس عنه : لابد من إجباره على أن يتقيأ القناة .

ولـم يكن موقـف الاتحاد السوفيتى وتصرفاتـه أقل تورطاً ، بل كان متناقـضاً فى بعض الأحيان ، إذ بدأ السوفيت فى مرحلة مبكرة بإبداء الكراهية تجاه عبد الناصر وعدم الثقة به ، وهاجمته الصحافة السوفيتية ووصفته بأنه رجعى ، ولكن موقفهم الطبيعى المعادى للاستعمار إزاء الدول الغربية أدى بهم إلى تأييد عبد الناصـر فى عدائه للاستعمار ، وتأييده فى امتلاك مصر للقناه بالكامل وإدارتها . لقد كانوا يـريدونه أن يكون قوياً بما يكفى لصد اى هجمات من الغرب على مواقعـه ، ولكن الاتحاد السوفيتى لم يكن يريده أن يصـبح قوياً جداً بحيث تصبح لـه سيطرة ونفوذ عـلى الشرق الأوسط والمنـاطق الأخـرى المجاورة ، وكـانوا بذلك يستطلعون الآفاق بالنسبة للمستقبل .

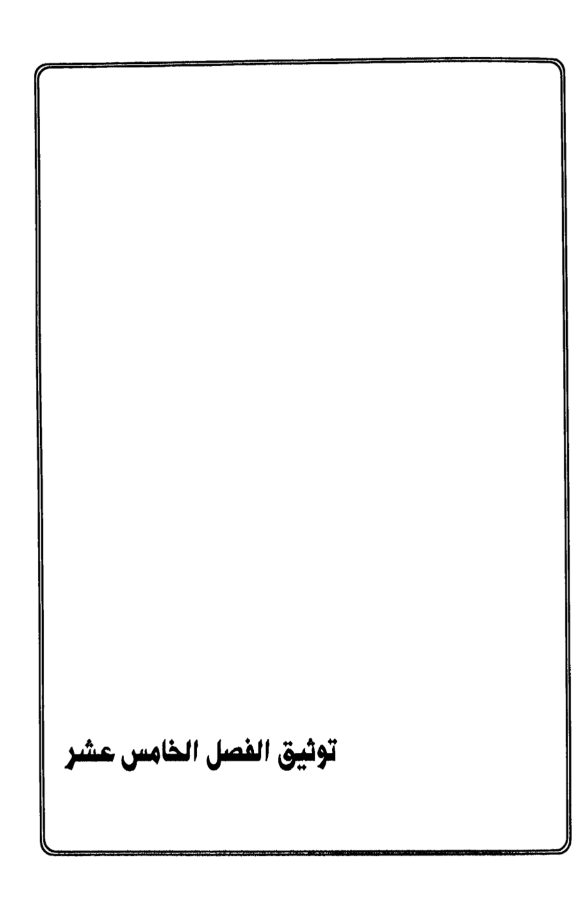
وخلال كل هذه المـواقف والأحداث ، شعرت معـظم دول العالم أن الولايـات المتحدة تعتبر نفسها - وإن لم يكن علنا - الوريث المنطقى والتاريخى الوحيد للفرنسيين والبريطانيين فى الشرق الأوسط .

ولذلك - وفى أعقاب انتـصار عبد الناصر فى السويس - ظهر مـا عرف بمبدأ أيزنهاور لملء الفراغ فى الشـرق الأوسط ، الذى كان من المفترض أن يردع العدوان الـشيوعى فيه ، ولكن فوستر دالاس اعتـرف فى مجالسة الخاصة أنه موجه ضد توسع عـبد الناصر فى الدول العربية ، أكثر منه ضد التعديات السوفيتيـة . لقد كانت السويس نقطة فاصلة فى التاريخ ،

فقد سجلت انـحسار الاستعمار الغربى ، ودخـول الولايات المتحدة الأمريكية بـوصفها القوة الغربية الرئيسية فى الشرق الأوسط .

ومنذ هذه اللحظة بدأت الـقوة الأمريكية تتزايد ، ولم تعد زعامتها لـلمعسكر الغربى ، بل وصايتها عليه محل كثير من النزاع فى أعقاب حملة السويس . فسياسة القوة التى اتبعتها الولايات المتحدة لمحاولة خـلق توازن للقوى فى العالم وضعها فى مـكان الصدارة ويسر لها القوة والغلبة ، وبالتالى سمح لمصالحها الاقتصاديه بالازدهار .

وقد تنبـهت إسرائيل إلى هذه الحـقيقة فى أعقـاب السويس مباشرة ، فـحولت مدار تحالفها بالـفعل من غرب أوروبا إلى الولايات المتـحده الأمريكية ، بأعتبار أنـها مركز القوة العالمية الأولى فى المستقبل .



توثيق الفصل الخامس عشر

(١) Eisenhower, Dwight David, Eisenhower Library University of Columbia, va. Box 2.

(٢) Ibid, Box 2.

(٣) Ibid, Box 2.

(٤) Ibid, Box 2.

Tokes, S. Ibid, Box 2, See Also : Neff, Donald : Warriors At Suez, Eisenhower, America Into Middle East, pp. 523–525.

(٥) Eisenhower, Library, Box 2, See Also : Neff, p. 526.

(٦) Dwight, Eisenhower Library : Box 2.

(٧) Private Papers of John, Foster Dulles, Princetion University, New Jersey, Box 5, pp. 120–127.

(٨) Ibid, Loc. Cit.

(٩) Ibid, Box 86–66, 85, 86.

(١٠) Ibid, Box 86, p. 142.

(١١) Eban, Abba. Abba Eban : An Autobiography, p. 88.

(١٢) نيف ، دونالد : حرب السويس كيف أدخل إيزنهاور أمريكا إلى الشرق الأوسط ، ص ٤٩٣ .

(١٣) Robertson, Terence – Crises : The Inside Story of the Suez Conspicy, pp. 48–49.

(١٤) نيف ، دونالد : حرب السويس كيف أدخل إيزنهاور أمريكا إلى الشرق الأوسط ، ص ٤٩٣ .

(١٥) المصدر السابق ، ص ٤٨ – ٥٠ .

وأيضًا : Murphy, Robert : Diplomat Among Warriors, p. 184.

(١٦) أرو ، هنرى : فخ السويس ، ص ٣٢٧-٣٢٨ .

(١٧) أرو ، هنرى : فخ السويس ، ص ٣١٦-٣٢٨ .
انظر أيضًا : مذكرات ايزنهاور ، ص ٤٨-٤٩ .

(١٨) أيزنهاور ، دوايت : مـذكرات ، ص ٥٠ ، وأيضاً دونالد نيف : حـرب السويس ، ترجمة أحمد خضر وعبد السلام ، ص ٥٠١ .

(١٩) The Suez Canal Problem, Volumes 2, A Document Arypublication The Department of State, pp. 251–254.

(٢٠) وثائق الخارجية المصرية : برقيات السفير الدكتور أحمد حسين إلى الرئيس جمال عبد الناصر ، خلال أيام ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ .

(٢١) Dwight, Eisenhower, Library : Box 1.
وأيضاً دونالد نيف : حرب السويس ، ص ٥٠٢ .

(٢٢) نيف ، دونالد : حرب السويس ، ص ٥١٦ ، وأيضاً :
Love Kennett – Suez : The Twice Fought War, p. 263.

(٢٣) Neff, Donald : Warriors at Suez, pp. 545–546.

(٢٤) Ibid, pp. 552–553.

(٢٥) Eisenhower, Dwight : The White House Years : Waging Peace 1956–1961, pp. 63–64.

(٢٦) Ibid, p. 64.

(٢٧) Eden, Anthon : Fully Circle, p. 164.

(٢٨) نيف ، دونالد : حرب السويس ، ص ٥١٠-٥١١ .

(٢٩) Eisenhower, Dwight : The White House Years, Manda For Change 1953–1965, pp. 350–351.

(٣٠) Finer, Herman, Dulles Over Suez, pp. 221–223.

(٣١) نيف ، دونالــد : حـــــرب السويس ، ترجمة أحمد خـضر وعبد السلام رضوان ، ص ٥١٣ .

(٣٢) Eden, Anthony, Full Circle : The Memories of Sir Anthony, pp. 273–275.

(٣٣) Dwight, Eisenhower : Library : Box 1, See Also.

(٣٤) نيف ، دونالد : حرب السويس ، ص ٥١٣-٥١٤ .

(٣٥) Hughes, Emmet – The Order of Power, p. 144.

(٣٦) نيف ، دونالد : المرجع السابق ، ص ٥٢٧ .

(٣٧) نيف ، دونالد : المرجع السابق ، ص ٥٢٨ .

(٣٨) Finer, Herman Dulles Over Suez, pp. 282–283.

(٣٩) Eisenhower, Dwight : The White House Years : Waging Peace 1956–1961, p. 73.

(٤٠) Dwight, Eisenhower Library, Box 1, See Also.

وايضاً نيف ، دونالد : المرجع السابق ، ص ٥٣٣-٥٣٤ .

(٤١) Dwight, Eisenhower, Ibid : Box 1.

(٤٢) Dwight, Eisenhower Library : Box 1, See Also.

وايضاً نيف ، دونالد : المرجع السابق ، ص ٥٣٥-٥٣٦ .

(٤٣) نيف ، دونالد : المرجع السابق ، ص ٥٣٦ .

وأيضًا : Ibid, Box 1.

(٤٤) نيف ، دونالد : المرجع السابق ، ص ٥٤٩ .

(٤٥) أرو ، هنرى : فخ السويس ، ص ٤١١-٤١٢ .
وأيضًا : Love Kennett – Suez : The Twice Fought War, p. 263.

(٤٦) أرو ، هنرى : فخ السويس ، ص ٤١٢ .

(٤٧) Foreign Relation of the United States, Volumes (1952–1956), pp. 451–452.

(٤٨) Dwight, Eisenhower : Library, Box 1.

(٤٩) Ibid, Box 1.

(٥٠) Ibid, Box 1, See Also : Private Papers of John Foster Dallas, Mahmoud Fawzi, The Suez War 1956, pp. 140–141.

(٥١) Dwight, Eisenhower : Library, Box 1.

(٥٢) Fawzi, Mahmoud : The Suez War 1956, pp. 137–138.

(٥٣) Ibid, p. 143.

(٥٤) ناتنج ، أنتونى – ناصر ، ص ٢١٩ . وأيضاً : ايدن ، أنتونى ، الجزء الثانى ، ص ٤١٧ . نيف ، دونالد : حرب السويس ، ص ٥٦١ . أرو ، هنرى : فخ السويس ، ص ٤٢٣ .

(٥٥) نيف ، دونالد : حرب السويس ، ص ٥٦١ . وأيضاً : أرو ، هنرى : فخ السويس ، ص ٤٢٣ . هيوز ، ايمرى ، ماكميلان : شخصية سياسية ، ترجمة حسين الحوت ، ص ٣٩-٤٠ .

(٥٦) Nutting, Anthony – No End of a Lesson the Story of Suez, pp. 163–165, See Also : Mahmoud, Fawzi – The Suez War 1956, p. 136.

(٥٧) نيف ، دونالد : حرب السويس ، ص ٥٦٢ .

(٥٨) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(٥٩) أرو ، هنرى : فخ السويس ، ص ٤٢٨ .

(٦٠) نيف ، دونالد : حرب السويس ، ص ٥٦٧ - ٥٦٨ ، وأيضاً : محمد حسنين هيكل : ملفات السويس ، ص ٥٥٦ .

(٦١) نيف ، دونالد : حرب السويس ، ٥٦٧ - ٥٦٩ .

(٦٢) Dwight, Eisenhower : Library, Box 1.

(٦٣) Ibid, Box 1.

(٦٤) أرو ، هنرى : فخ السويس ، ص ٤٢٨ .

(٦٥) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(٦٦) Foreign Relations of the United States, Volumes (1952, 1956), pp. 521, 529, See Also : Lloyed, Selwyn, Suez 1956, pp. 211, 215.

(٦٧) The Sues Canal Problem, Volumes 2, A Documentary Publication, The Department of State, pp. 342–352.

(٦٨) Private Papers of John Foster Dallas, Princeton University, New Jersey, Box 93, pp. 82–83, See Also Eban, Abba : Box 93, pp. 82–83. See Also : Eban, Abba : An Autobiography, pp. 53–55.

(٦٩) Private Papers of John Foster Dallas, Ibid Box 93, p. 88.

(٧٠) وثائق الخارجية المصرية : غير منشورة ، رسالة من سفير مصر فى باريس ، السفير كمال عبد النبى ، إلى وكيل أول وزارة الخارجية ، رقم ٤٩٥ بتاريخ ٢٠ أكتوبر ١٩٥٦ ، سرى جداً .

(٧١) أوراق محمود رياض : غير منشورة ، برقية مرسلة من السفير محمود رياض إلى الرئيس جمال عبد الناصر ، بتاريخ ٥ نوفمبر ١٩٥٦ ، رقم ٥٩/ ٦٠ .

(٧٢) مقابلة مع الوزير محمود رياض بمنزله ، بالزمالك يوم ٧ ديسمبر ١٩٩٠ .

(٧٣) محمد حسنين هيكل : ملفات السويس ، ص ٥٥٤ .

(٧٤) محمد حسنين هيكل : نفس المرجع ، الصفحة نفسها .

(٧٥) Mahmoud Fawzi : The Suez War 1950, p. 139.

(٧٦) أزو ، هنرى - فخ السويس ، ص ٤٠٥ - ٤٠٦ .

(٧٧) محمد حسنين هيكل - ملفات السويس ، ص ٥٥٥ .

(٧٨) أزو ، هنرى : فخ السويس ، ص ٤٠٦ .
أيضاً : وثائق الخارجية المصرية - نص رسالة بولجانين إلى رئيس الوزراء الفرنسى چى موليه .

(٧٩) نيف ، دونالد - حرب السويس ، ص ٥٥٢ ، وأيضاً وثائق الخارجية المصرية .
مجموعة وثائق أزمة السويس ، نص رسالة بولجانين إلى رئيس الوزراء البريطانى أنتونى ايدن .

(٨٠) Brecher Michael : Decision in Israel's Foreign Policy, p. 228.
أيضاً : نيف ، دونالد ، المرجع السابق ، ص ٥٥٢ و ٥٥٣ وثائق الخارجية المصرية نص رسالة بولجانين إلى بن جوريون .

(٨١) أزو ، هنرى : فخ السويس ، ص ٤١١ - ٤١٢ .
أيضاً نيف ، دونالد ، المرجع السابق ، ص ٥٥١-٥٥٢ .
أيضاً : وثائق الخارجية المصرية - مجموعة وثائق أزمة السويس ، غير منشورة ، نص رسالة الماريشال بولجانين إلى الرئيس أيزنهاور .

الفصل السادس عشر

مواقف الدول والكتل من العدوان

تمهيد - الموقف فى دول العدوان : الموقف فى إسرائيل - الموقف فى المملكة المتحدة - الموقف فى فرنسا - الموقف فى مصر - موقف دول المعسكر الغربى : المجموعة المؤيدة - المجموعة المترددة - المجموعة المعارضة - موقف الدول الإسكندنافية - موقف باقى الدول الغربية - موقف الدول التى ترتبط بالمعسكر الغربى وبالولايات المتحدة بأحلاف - موقف دول كتلة الحياد الإيجابى - موقف دول المعسكر الاشتراكى - موقف الدول العربية .

تمهيد

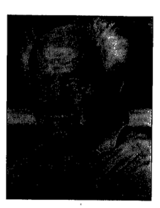
لم يكد المتحدث الرسمى المصرى يعلن عن وقوع العدوان الإسرائيلى على مصر فى مساء ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ ؛ حتى كانت أصداء هذا العدوان تهز العالم وتفاوتت ردود الفعل فى العواصم المختلفة على ضوء ظروف وسياسة كل دولة . وكذا تفاوتت مواقف هذه الدول . وعندما وجه الإنذار البريطانى الفرنسى إلى مصر اكتملت ثورة الغضب فى أبعاد جديدة لم يعرفها تاريخ التحالف الغربى من قبل .

ولكى تتضح الصورة ، يجب أن نتناول الموقف فى دول العدوان نفسها ٠٠ إسرائيل وبريطانيا وفرنسا ٠٠ وكذا الموقف فى القاهرة ٠٠ ثم نتناول موقف دول المعسكر الغربى ٠٠ وقد قسمناها إلى ثلاث مجموعات ٠٠ مجموعة مؤيدة تضم أستراليا ونوزيلندا وكندا وهولاندا والبرتغال ٠٠ ومجموعة مترددة فى التأييد نتيجة لمصالحها مع الغرب وكذا نتيجة لضغوط الغرب ، عليها وتضم هذة المجموعة ايطاليا والمانيا الغربية ٠٠ ومجموعة معارضة وتضم اليونان وأسبانيا ٠٠ ثم نتناول موقف الدول الاسكندنافية وتضم السويد ، النرويج والدانمارك ٠٠ ثم نتناول باقى الدول الغربية وهى سويسرا ، وهولندا والفاتيكان ٠٠ ثم نتناول مواقف الدول التى ترتبط بالمعسكر الغربى ، وبالولايات المتحدة بأحلاف ، وهى تركيا

وباكستان ، وإيران وأثيوبيا ٠٠ ثم نتناول مواقف دول كتلة الحياد الإيجابى ، وتضم الهند ،ويوغوسلافيا ، وأندونيسيا وسيلان ٠٠ثم نتناول موقف دول المعسكر الاشتراكى وتضم الصين الشعبية والصين الوطنية ، ورومانيا ، وتشيكوسلوفاكيا ، وبولندا ، وألمانيا الشرقية ، والبانيا وكوبا ٠٠٠ ثم نتناول موقف الدول العربية ٠

الموقف فى إسرائيل :

وكان الوضع فى إسرائيل مثل الوضع فى فرنسا ٠٠٠ فلم يصادف بن جورين أية معارضة للعدوان من ناحية المبدأ إلا من جانب الشيوعيين مثله مثل جى موليه . وأعلن بن جوريون بعد احتلال إسرائيل كل سيناء أن اتفاقية الهدنة مع مصرليست سارية كما أعلن أن خطوط الهدنة نفسها ليست سارية أيضًا بين مصر وإسرائيل ، بل إنها ماتت ودفنت ولن تعود مرة أخري[1] وعندما ناقش الكنيست الإسرائيلى موضوع الهجوم الإسرائيلى على مصر فى جلسة يوم ٥ نوفمبر ، كانت ردود فعل كل أحزاب المعارضة وغير المعارضة فيما عدا الحزب الشيوعى مع العدوان ٠ فقد أيد بيرييز نشتاين زعيم حزب الصهاينة العموميين البورجوازى ، الحكومة الإسرائيلية فى عدوانها على مصر يوم ٢٩ أكتوبر [٢] .



« أعلن بن أن اتفاقية الهدنة ماتت ودفنت . . . »

وذكر مائير يوى زعيم حزب المابام الصهيونى الذى يسمى نفسه حزبًا اشتراكيًا يساريًا : " لقد استطعنا أن نجعل ميزان المعركة يميل الى جانبنا بطريقة لا مثيل لها فى العالم ٠ اننا محقين فى أن نبتهج ونفرح لأننا أولا وقبل كل شىء بتحريرنا لغزة ، قد نزعنا شوكة مسمومة من جسم إسرائيل . والآن بينما قد نزعناها فنحن واثقون اننا فيما عدا مجموعة صغيرة من أعضاء البرلمان (يقصد الشيوعيين) لن نجد بيننا من يقول بأننا يجب أن نعيد هذه الشوكة المسمومة إلى مكانها بأيدينا [٣] .

لقد عارضت جميع الأحزاب الصهيونية بالإجماع فكرة جلاء القوات الإسرائيلية عن قطاع غزة . وأعلن بن جوريون يوم ٩ ديسمبر ١٩٥٦ : " إن إسرائيل لن توافق أبداً مهما كانت الظروف على عودة المصريين الى غزة " .

وعقدت اللجنة السياسية لحزب مابام جلسة خاصة ، كرستها لهذه المسألة ، وناقشت جريدة الحزب " عال همشمار " فى عددها الصادر يوم ٢١ ديسمبر ، مطلب المشتركين فى تلك الجلسة من " مواصلة الكفاح من أجل ضم قطاع غزة " [٤] .

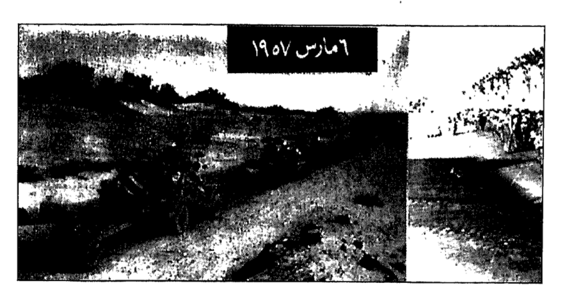
وكذلك عارض بيجال آلون زعيم أحدوت هاعفودا - حزب البرجوازية الصغيرة الذى انشق على المابام سنة ١٩٥٤ -انسحاب إسرائيل من قطاع غزة ، بل ومن سيناء بأكملها ، وطالب الكنيست بألا ينفذ قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة بضرورة انسحاب القوات الإسرائيلية من كل الأراضى التى احتلتها فى عدوان ١٩٥٦[٥] .

وقال مائير يورى (حزب مابام) : يجب على دولة إسرائيل الا تسمح بأن تصبح غزة مرة أخرى قاعدة انطلاق لعدوان الارهابيين على المواطنين المسالمين . ونحن كحزب عمالى نتجه من فوق منبر الكنيست أولاً وقبل كل شىء إلى جميع الحكومات الاشتراكية ؛ لكى نطلب أن تؤيد فى الحال وبصراحة وبشجاعة اقتراحنا بإجراء محادثات غير مشروطة ومباشرة بين الدول العربية وإسرائيل للصلح[٦] .

كانت المجموعة البرلمانية الشيوعية هى الوحيدة ، التى عارضت العدوان على مصر ، وكذلك طالب الشيوعيون فى جلسة الكنيست يوم ٣ يناير ١٩٥٧ ، بالجلاء الفورى غير المشروط عن الأراضى المحتلة[٧] .

وتحدث بن جوريون يوم ٢٥ فبراير ١٩٥٧ قائلا : " إذا كنا نريد أن ندافع عن وجودنا ، فيجب علينا ألا نسمح للمصريين بأى حال من الأحوال أن يعودوا إلى غزة "[٨] .

وعندما أجبرت الحكومة الإسرائيلية على تسليم قطاع غزة فى يوم ٥ مارس ١٩٥٧ ، احتجت الأحزاب اليسارية بكل عنف .



القوات الإسرائيلية تجلو عن قطاع غزّة

الموقف فى المملكة المتحدة :

ووقت أن وجه الإنذار البريطانى - الفرنسى إلى مصر وإسرائيل فى مساء ٣٠ اكتوبر ١٩٥٦ ، كان السير أنتونى إيدن يعلن فى نفس الوقت الإنذار فى مجلس العموم البريطانى . واستقبل المجلس إعلان إيدن بصمت مطبق . وفى ظل الارتباك الذى تلا كلمته ، بدا وكأن المحافظين كتلة واحدة متماسكة عازمة على خوض الحرب ، بينما تجمد العمال من الهلع إلى أن كسر هيوجتسكيل زعيم حزب العمال الصمت قائلاً : " أعتقد أنه ليس من الحكمة الخوض فى أى مناقشة عقيمة " . ولكنه لم يتمكن من السيطرة على أعصابه ؛ فقد أراد أن يعرف هل جرت أى مشاورات مع الولايات المتحدة أم لا ، وماذا عن الأمم المتحدة ؟ ولماذا لم يذكر إيدن الإعلان الثلاثى من قريب أو بعيد ؟ وقال جيتسكيل " أريده أن يخبرنا الآن ماهو موقف الحكومة من الإعلان " [٩] .



« واستقبل مجلس العموم البريطانى إعلان انطونى إيدن بالصمت . . . »

واقترع مجلس العموم بالثقة على سياسة إيدن ، إلا أنه كسب الاقتراع بالكاد . فقد صوت إلى جانبه جميع أعضاء البرلمان من المحافظين ، بينما صوت ضده جميع أعضاء حزب العمال . وكانت النتيجة ٢٧٠ ضد ٢١٨ ، وعندما علم الرئيس أيزنهاور بنتيجة التصويت قال : " لم أكن أحلم يومًا أن تصل هذه الأمة إلى هذا الانقسام . " (١٠) .

وفى الساعة السابعة مساء بتوقيت القاهرة يوم ٣١ أكتوبر ، بدأت قاذفات القنابل البريطانية والفرنسية صب حمولاتها على القواعد الجوية المصرية والمطارات ... وبينما الطائرات القاذفة تقوم بمهامها التدميرية فى مصر ، استمر جهل أعضاء حزب العمال فى لندن بخطة الغزو ، التى وضعها إيدن وبدأ فى تنفيذها . وكانت تساورهم شكوك عميقة بعد تلك التصريحات المتضاربة ، التى أطلقها إيدن حول الإعلان الثلاثى ، وبعد الأنباء المذهلة التى تحدثت عن الفيتو البريطانى الفرنسى المشترك ضد المشروع الأمريكى فى الأمم المتحدة . وهذا ما أضفى مزيدًا من التوتر على جلسة البرلمان يوم الأربعاء ٣١ اكتوبر ، حيث استخدم أعضاء البرلمان من حزب العمال لغة حادة جديدة فى تعليقاتهم . وفى ظل هذا الصخب علا صوت جيتسكيل قائلاً : " أننى اسأل رئيس الوزراء هل اتخذ بالفعل قرار غزو القوات البريطانية والفرنسية لمنطقة القناة أم لا " . .

ورفض أيدن تقديم إجابة صريحة ، وهو ما أقنع جيتسكيل أخيرًا بأن أيدن قد قرر الغزو .(١١) .

وكان جيتسكيل يرى أن رئيس الحكومة قد ارتكب عملاً "جنونيًا يؤدى إلى الخراب " ، وأنه لم يضع فى تقديره أهم أسس السياسة البريطانية الخارجية المتبعة فى هذه السنوات الأخيرة ، وهى المحافظة على الصداقة مع الولايات المتحدة ، والحصول على موافقة الكومنولث ، ومساندة الأمم المتحدة (١٢) .

ومع تحول الشكوك إلى قناعات ، أمطر أعضاء البرلمان عن حزب العمال أيدن ولويد بمزيد من الأسئلة . وكذب لويد على المجلس ، عندما سأله جيتسكيل بصورة مباشرة عما إذا كان هناك " تواطؤ " مسبق بين بريطانيا وفرنسا وإسرائيل أم لا ... فأجابه لويد " من الخطأ القول أن الحكومة قد حرضت إسرائيل على القيام بهذا العمل . ولم يكن هناك أى اتفاق مسبق بيننا " .

ثم ألقى لويد بقنبلة ؛ إذ أعلن رسميا قبل دقائق من انتهاء الجلسة فى الساعة العاشرة والنصف مساء ، بدء الغارات الجوية على مصر ، وانفضت الجلسة فى فوضى شاملة (١٣) .



« وتلقى إيدن صدمة استقالة صديقة انتونى ناتنج . . . »

كما تلقى أيدن فى ذلك اليوم - ٣١ اكتوبر - صدمة أخرى أعنف بكثير من هجوم أعضاء البرلمان عليه وعلى سياسته · · · فقد تلقى استقالة صديقه أنتونى ناتنج على سياسة الحكومة إزاء السويس · وقد استدعى ايدن ، ناتنج إلى مكتبه بعد بضع دقائق فقط من عرض خطاب الاستقالة عليه · وحاول ناتنج أن يشرح معارضته لتواطؤ بريطانيا مع إسرائيل ، والأخطار التى تحيق بعلاقات بريطانيا مع العالم العربى بسبب هذا التواطؤ · وحذره ناتنج قائلا إننا بهذا التواطؤ" سنقنع العالم العربى بأسره بأنه كان على حق - على طول الخط - عندما أعتقد أننا أنشأنا إسرائيل كرأس جسر ؛ لكى نعود من خلاله مرة أخرى لفرض هيمنتنا على الشرق الأوسط (١٤) .

وفى الأول من نوفمبر ١٩٥٦ ، عقد مجلس العموم جلسته التالية ؛ حيث سيطرت حالة من القلق على أعضاء البرلمان من حزب العمال ؛ نتيجة الغارات الجوية الشديدة على المدن المصرية · · وعندما دخل إيدن الى فاعة المجلس تعالت صيحات الاستنكار · ويصف اللورد كيلموير ماحدث داخل البرلمان ، فائلاً : " وصل الأمر الى أن الأعضاء كادوا أن يشتبكوا بالفعل مع بعضهم البعض ، فقد كانت انفعالات الجانبين بالغة الحدة " (١٥) .

كانت المناقشات فى هذه الجلسة شديدة للغاية · · فقد قدمت المعارضة سؤالاً لوزير الحربيه المستر أنتونى هيد تسأله · · · هل أعلنت الحرب فعلاً على مصر ؟ وقام الوزير بالاجابه بقوله : إن العمليات التى اتخذت إلى الآن ترمى إلى غرض واحد وهو اقناع الحكومة المصرية بالموافقه على الطلب الذى قدم إليها · وهذه العمليات مقتصرة تمامًا على

الأهداف العسكرية ، وقال إن الطلب الأصلى الذى قدم إلى الحكومة المصرية لايزال قائمًا . واتهم المتحدث الرسمى باسم حزب العمال المستمر جيمس جريفيش حكومة إيدن بالزج ببريطانيا فى حرب شريرة لامبرر لها . وقام إيدن بالرد على ذلك بقوله أننا لم نعلن الحرب ولسنا الآن فى حالة حرب مع مصر . وهكذا نجد أن رئيس وزراء بريطانيا يكذب على البرلمان . ولذلك سأل المستر هيوجيتسكيل ، زعيم المعارضة العمالية ، رئيس الوزراء إيدن بإصرار هل أعلنت الحرب على مصر ؟ وأجاب انتونى إيدن وسط المقاطعات الكثيرة على المعارضة بقوله : إن الإجراء الذى اتخذ كان بناء على البيان الذى اصدرناه ولم نعلن أية أشياء أخرى بعد ذلك . وأعلن جيتسكيل قبل انفضاض الاجتماع أن ملايين البريطانيين قد صدموا وخجلوا ؛ لأن إلقاء الطائرات البريطانية القنابل على مصر لم يكن فى حالة دفاع عن النفس ، أو من أجل دفاع مشترك ، بل كان تحديًا ونقضًا واضحًا لميثاق الأمم المتحدة . وطلب تأكيدًا بألا تتخذ عمليات عسكرية أخرى ، قبل ان تتخذ الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها [١٦] .



وقال الزعيم العمالى اليسارى أنورين بيفان ، ملقيًا بسهامه النافذة ، ومهاجمًا إيدن : " حينما كانت جميع دول العالم تقف فى الماضى ضدنا ، كنا - على الأقل - نحتفظ بالشرف ، ولكن ماذا نستطيع الآن أن نقوله للأمم المتحدة ونحن نلقى القنابل على شعب أعزل ؟ [١٧] وطالب جيتسكيل إيدن أن يعلن أن الحكومة البريطانية قد قبلت دون أى تحفظ من أى نوع ، قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الخاص بوقف إطلاق النار فوراً فى منطقة الشرق الأوسط [١٨] .

وكان لروح التوتر العصبى التى أصابت مجلس العموم صداها فى الشارع فقد أخذ ثلاثمئة طالب يصيحون حول مقر الحكومة « تسقط الحرب -يسقط إيدن » . وأرسل سبعون أستاذاً من أكسفورد إلى السير أنطونى إيدن برقية يستنكرون فيها الحرب . كما وقع ١١٨ من لندن بيانا أعلنوا فيه أنهم يشعرون ببشاعة الهجوم ، الذى قامت به الحكومة البريطانية على الشعب المصرى ، والأراضى

المصرية . حتى اللوردات تدخلو فى الأمر ، فضلا عن أن أسقف كانتربيرى أعلن قائلاً :
" يجب أن نعترف بان لدينا أسبابًا قوية ، تدعونا لـلقول بأن العمل الذى تقوم به بريطانيا يتنافى مع روح ميثاق الأمم المتحدة ونصه "(١٩) .

وكما واجه إيدن المعارضـة من الأحزاب المعارضة لسياسته ، فإنـه واجه أيضًا المعارضة من وزراء حكومته ؛ فقد استقال أنتونى ناتنج وزير الدولة للشئون الخارجية ، احتجاجًا على سياسة حكومته المحافظة تجاه مصر . وأعلن يوم ٣ نوفمبر فى لندن رسميًا استقالة ناتنج لأنه لا يوافق على سياسة إيدن بشأن مصر . وقد بعث ناتنج بخطاب إلى إيدن قال فيه : " أنه لايتفق مع سياسة الحكومة و أعمالها بشأن الحرب بين إسرائيل ومصر .. وأنه عارض بقوة قرارات الحكومة وأعمالها بشأن هذه الحرب . ولهـذه الأسباب أشعر مخلصًا أنى لا أستطيع الدفاع عن موقف الحكومة فى البرلمان أو فـى الأمم المتحدة ، ولا يسعنى إلا أن أطلب منكم قبول استقالتى "(٢٠) .

وبعد أيام ... وفى يوم الأحد الموافق ٤ نوفمبر ، خرجت مظاهرات عارمة وهائلة فى ميـــدان الطرف الأغر .. خطب فـيها أنورين بيـفان الزعيم العـمالى اليسارى بـين خطباء آخرين ... كـانت مظاهـرات ضخمة هـائلة ، كشفـت عن مدى عمـق المعارضة لـلغزو الانجلوفرنـسى ...وأعتقد أنه كـان لها بعض الأثر .. ولـست أدعى أنها كانـت العامل الوحيد فى وقف العدوان .. بالطبع لم تكن كذلك .. ولكنها كانت واحدًا من العوامل .
هذه المظاهرات التى عبرت بعنف عن المعارضـة فى بريطانيا لكل ماحدث .. كانت واحدة من العوامـل ، التى فى خلال فترة قـصيرة من الوقت، استـطاعت أن تضع حدًا للـحملة المشئومة .. وتنـهيها . ولكن لا نستطيع الـقول بأن المعارضة كانت السبـب الوحيد لوقف العدوان (٢١) .

وتصاعدت الـضغوط على إيدن ؛ لكى يـقبل قرار الأمم المتحدة بوقـف إطلاق النار . وازدادت حدة لهجة الـصحافة البريطانيـة . وأخذت كل الصحف البارزة ، الإيكـونوميست والأبزرفر والمانشستـر جارديان تطلق على حرب السويـس اسم " حرب إيدن " . ووصفت صحيفة النيوزكرونيكل الليبرالية قراره استـخدام القوة بأنه " حماقة منقطعة النظير ، ولايمكن الثقة مـرة أخرى فى رجل وصل ببلاده الى تـلك الحالة الخطيرة من الخـزى والتشوش " . وبعبارات مدوية ، قالت الديلى مبرور : " لاتوجد معاهدة أو سلطة دولية أو عقوبة معنوية تتناسـب مع هذه الفعلـة الحمقاء " . وتلقـى إيدن استقالتـين أخريين من المقربـين إليه ؛

احتجاجًا عـلى سياساته : الأولـى من سكرتيره الـصحفى ، بيل كـلارك ، والأخرى من ادوارد بويل الوكيـل الاقتصادى للخزانة . بـل وتحول هارولد ماكميلان ، الـذى كان دائما أحد أشرس الصقور فى الدائرة الضيقة لكبار المسئولين فى مجلس الوزراء إلى صفوف الحمائم فجأة [٢٢] .

وفى صباح السادس من نوفمبر ، تحدث إيدن فى مجلس العموم عن الرسالة التى بعث بها الماريـشال بولجانين رئيس وزراء الاتحاد الـسوفيتى ، وانذر فيـها بريطانيا وفرنـسا بوقف الحـــرب فى الشـــرق الأوسط .. فقـال أن الحكومة الـبريطانـية أرسلت ردًا الـى الاتحاد السوفـيتى ، قالت فـيه إنها تـلقت الرسالـة " بكثير مـن الأسف " .. وأن اللغـة التى استخدمها بولجانين جعـلته يفكر أولاً فى إصدار تعليماته إلى سفير بـريطانيا برد الرسالة ، واعتبارها غيرمقبولة .

وفجأة استسلم إيدن بعد أن انهارت سياسته ، وتوجه فى مساء يوم ٦نوفمبر ١٩٥٦ إلى مجلس العموم و وأعـلن أن " حكومة صاحبة الجلالة أمرت قواتهـا بوقف /رطلاق النار فى منتصف الليل بتوقيت جرينتش " .. وعلق زعيم حزب العمال قائلاً : لم يكن هناك أدنى دليل على تعرض القـناة لأى خطر إلى أن تدخلنا.. والحقيقة أننا عـدنا إلى شريعة الغاب بعد ما فعلته الحكومة البريطانية "[٢٣] .



وبدأت صحة إيدن تعانى إرهاقًا شديدًا ، وكان الدكتور إيفانز طبيب رئيس الوزراء مقتنعًا بذلك ٠٠ واتخذ إيدن قراره ، ولكن فى صعوبة ، وأبلغ مجلس وزرائه بأنه مضطر للتخلى عن مهامة مؤقتا٠ وبعث برسالة إلى جى موليه يوم ٢٤ نوفمبر ، لينبئه بذلك ، وتولى ريتشارد بتلر أعمال رئيس الوزراء نيابة عنه ٠ إلا أن حكومة المحافظين وجدت نفسها مضطرة لانتهاج سياسة مضادة لسياسة إيدن ٠٠ وبدأت تتخلى عن سياسة القوة ، وفكرة الاحتفاظ بالمكاسب التى حصلت عليها ، وذلك رضوخًا لأوامر الأمم المتحدة ٠ لقد كانت باختصار حكومة تصفية ٠(٢٤) .

وعندما عاد إيدن من جامايكا يوم ١٤ ديسمبر بعد ثلاثة أسابيع من الاستجمام ، قضاها هناك – وجد أن الموقف قد تغير ، أن لم يكن قد أصبح مناقضا لما كان عليه قبل سفره ٠٠ فحين حضر أمام مجلس العموم يوم ٢٠ ديسمبر ، استقبل بعاصفة من السخرية من جانب خصومة العمال ، وتحفظ ينم عن عدم الرضاء من جانب أصدقائه السياسيين ، من أعضاء حزب المحافظين ٠٠ ، ذلك عندما ناقش البرلمان موضوع التواطؤ مع إسرائيل ؛ حيث استمر المتحدثون باسم الحكومة فى إنكار التواطؤ ، بل إن إيدن نفسه كذب بصورة فاضحة أمام مجلس العموم فى ٢٠ ديسمبر ، حين قال " أود أن اوضح للجميع أننا لم نعرف مسبقًا أن إسرائيل ستهاجم مصر – لم نعرف هذا " ولم يتمكن إيدن من تبرير موقفه من التواطؤ مع إسرائيل ٠٠٠ولم يجد مفرًا من تقديم استقالته للملكة يوم ١٤ يناير ١٩٥٧ ، واعتزل الحياة السياسية (٢٥) .

الموقف فى فرنسا :

وإذا كان رئيس الوزراء البريطانى أنتونى إيدن قد اصطدم بمشكلات داخلية ، فلم يكن هذا هو الحال بالنسبة لجى موليه ، إذ لم يصادف أية معارضة من ناحية المبدأ ، إلا من جانب الشيوعيين وبعض المستقلين .(٢٦) فقد منحت الجمعية الوطنية ثقتها لموليه بأغلبية ساحقة ، ٣٦٨ ضد ١٨٢ صوتًا .(٢٧)

وفى الأول من نوفمبر ١٩٥٦ ، أصدرت وزارة الدفاع الفرنسية بلاغًا رسميًا تقول فيه إن العمليات البحرية والجوية ضد مصر ، هدفها تحقيق الاحتلال المؤقت لمنطقة قناة السويس ٠ وفى الثالث من نوفمبر أصدرت ، الحكومة الفرنسية بيانًا تؤكد فيه استمرارها فى العمل مع بريطانيا فى حفظ النظام بمنطقة قناة السويس ٠٠ وأنها تصر على وجهة نظرها بضرورة

استمرار الإجراءات البوليسية ؛ لمنع تجدد القتال كما طالب المسيو دانيل ماير زعيم الحزب اليسارى المعارض للحكومة بعقد مؤتمر بين الدول الأربع الكبرى ومصر وإسرائيل ؛ لوضع حد للقتال فى السويس [٢٨] .

وبعد الإنذار السوفيتى لفرنسا ٠٠ ازداد الضغط على جى موليه لإيقاف إطلاق النار فورا ٠٠ فقد تسلموا فى باريس الرد الأمريكى على طلب حماية شمال الاطلنطى ، والذى أكد أن الولايات المتحدة ستحترم الالتزامات المنبثقة عن الحلف ٠ ولكن إن كانت هذه الالتزامات تنطبق فى حالة الهجوم السوفيتى على أوروبا فهى لاتنطبق على مصر ؛ لأن فرنسا هى التى بدأت الحرب مع بريطانيا وإسرائيل ضد مصر ٠٠ واضافت واشنطن إلى هذه المذكرة الدبلوماسية رسالة من الرئيس أيزنهاور ، تشكل إنذارًا نهائيًا حقيقيًا ؛ حيث حدد مهلة من الزمن لوقف إطلاق النار فى مصر ، قدرت باثنتى عشرة ساعة (نهاية المهلة تكون الخامسة من مساء يوم ٦ نوفمبر) وكذلك تسلم جى موليه نداء من صديقه سباك - الذى كان يزور موسكو -يؤكد فيه أن السوفيت لايخادعون ولا يهوشون فى هذه المرة ٠٠كما قام المستشار اديناور - الذى كان يزور باريس - بالضغط على موليه ليقبل إيقاف إطلاق النار[٢٩] .

أما فى باريس فلم يكن أحد فى الحكومة الفرنسية يحبذ وقف إطلاق النار٠٠ فقد جمع جى موليه من حوله بينو وبورجى مونورى ، علاوة على رئيس هيئة أركان الحرب العامة الجنرال ايلى ، وأخذ الرجال الأربعة يقلبون أوجه المشكلة ٠ وكان بينو وبورجى مونورى يعارضان بشدة وقف القتال ، أما موليه فلم يكن يريد القيام بأى عمل دون بريطانيا العظمى ٠٠ وكان يرى أن فرنسا قد تتعرض لمخاطر كثيرة إذا عملت وحدها ٠٠وأخيرًا قرر موليه اتخاذ موقف بريطانيا وأوقف القتال [٣٠] .

وأصدرت الحكومة الفرنسية أوامرها إلى قواتها فى مصر ، بوقف إطلاق النار فى الساعة الثانية من صباح الأربعاء ٧ نوفمبر بتوقيت القاهرة [٣١] .



« ورد جى موليه على
رسالة بولجانين . . . »

وفى يوم ٢٤ نوفمبر ، رد رئيس وزراء فرنسا جى موليه على رسالة بولجانين ، بقوله إنه من الصعب الموافقة على الطلبات التى طلبها بولجانين ؛ خصوصًا بعد صدور قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة [٣٢] .

الموقف فى مصر

اجتمع مجلس الوزراء المصرى ظهر يوم ٣٠ اكتوبر ؛ لمناقشة الإنذار الأنجلوفرنسى ·· وتباحث الوزراء فى نصوص الإنذار النهائى ؛ فوجدوا إنهم لايستطيعون قبوله ؛ لأنه يعنى الاعتراف بأن الجيش الإسرائيلى قد تقدم لمسافة ١٨٠ كيلو مترا داخل الأراضى المصرية ، وأن القوات المصرية إنسحبت إلى مسافة تزيد عن مائتى كيلو متر داخل الحدود ؛ ولذلك رفضت مصر الإنذار [٣٣] .

وفى هذا الوقت ، ارتكب الرئيس عبدالناصرخطأ فى تقديره للموقف ؛ لقد تصور أن إيدن لايزال يخدعه ، وأن الإنذار النهائى خدعة حربية ، تهدف إلى منع مصر من إرسال إمدادات إلى سيناء ، ومن ثم قرر رفض المذكرة الفرنسية البريطانية ، وإرسال قوات جديدة الى جبهة سيناء ، إلا أن الرئيس عبدالناصر قد اتخذ إجراءً آخر ؛ حيث قرّب قواته الموجودة فى سيناء من القناة ؛ ليسهل سحبها عند اللزوم ·

وعندما بدأت الغارات الجوية على القاهرة ، أيقن الرئيس جمال عبدالناصر أن بريطانيا وفرنسا لاتناوران وأنهما فى طريقهما فعلاً إلى غزو مصر · وكان يعتقد حتى تلك اللحظة أن التهديدات وحشد القوات ماهى إلا محاولة لتخويفه · وبالتالى كان رد فعله الأول عندما هاجمت إسرائيل سيناء ، هو إعادة بعض القوات التى سحبها من قبل إلى الضفة الشرقية من القناة · بعد أن أصبح على وشك مواجهة غزو دولتين من أكبر الدول الأوروبية ، أمر الرئيس عبدالناصر بعودة كل القوات الموجودة فى سيناء ؛ للدفاع عن قلب الوطن · وعندما بدأت القنابل تنهال على القواعد الجوية فى القاهرة ، فى ساعة متأخرة من يوم ٣١ ، أكتوبر أصدر الرئيس عبد الناصر أوامره المشددة للقائد العام اللواء عبدالحكيم عامر ، بسحب القوات المصرية فوراً من سيناء فى تلك الليلة · وبدأت مصر عملية ، أشبة بعملية " دنكرك " لإنقاذ جيشها ؛ فقد توقع الرئيس جمال عبدالناصر ببصيرة ثاقبة أن أحد اهداف المهاجمين يكمن فى سحب الكتلة الرئيسية للجيش المصرى إلى سيناء ، واصطيادها هناك حيث يسهل على الإسرائيليين القضاء عليها [٣٤] .

وفى صباح الأول من نوفمبر ألقى عبد الناصر خطابًا بثته الإذاعة على الهواء مباشرة ، أشعل حماس الامة كلها بصورة لم يسبق لها مثيل ، وقال فيه " أيها الاخوة المواطنون ، اننا جميعًا سوف نقاتل ولن نستسلم ·· سنقاتل دفاعًا عن شرف مصر وحرية مصر ، وكرامة مصر · كل مواطن جندى الآن فى جيش التحرير الوطنى · لقد صدرت الأوامر بتوريع السلاح · ليكن شعارنا « سنقاتل ولن نستسلم ·· سنقاتل ، سنقاتل ولن نستسلم أبدًا »[٣٥] .



« وزادت صلابة شعب مصر »

وفى اللحظة التى توقعت بريطانيا وفرنسا فيها بداية انهيار الشعب المصرى ، تحت إرهاب القصف وانقلابه على قائده ، بدأ ناصر فى توزيع السلاح على الشعب . وكان تأثير القصف رغم الحرص على عدم إصابة الأهداف المدنية - يشبه نفس الأثر الذى تركته الغارات الجوية النازية على لندن ، أثناء الحرب العالمية الثانية .. إذ زاد من صلابة إرادة الشعب المصرى وروحه المعنوية . ومن الآن فصاعدا وحتى نهاية الأزمة ، سيلتف الشعب المصرى حول عبد الناصر ، فى كل مناسبة مردداً شعاراته (٣٦) .

عند ظهر الخميس الأول من نوفمبر ، سلم السفير عبدالفتاح حسن نائب وزير الخارجية المصرى - كلاً من سفير المملكة المتحدة ، والقائم بأعمال السفارة الفرنسية بالنيابة ، مذكرة بقطع العلاقات الدبلوماسية مع حكومتى الدولتين السابقتين ، على ان يسرى هذا القطع ابتداءً من اليوم . وكذلك اصدر الرئيس عبد الناصرأوامره بإغلاق القناة .. وفى الساعة الثانية والثلث بعد ظهر أول نوفمبر ، أعلنت إذاعة القاهرة إغراق السفينة عكا بعرض الممر جنوب بحيرة التمساح .. وتم إغراق عديد من السفن الأخرى أيضًا ، عند مواقع مختلفة ، وأصبحت القناة مغلقة تمامًا بحطام أكثر من خمسين سفينة ، ترقد فى قاع الممر المائى الضيق ، وبذلك تم تدمير الهدف المزعوم للغزو (٣٧) .

ثم قبلت مصر بعد ذلك طلب الجمعية العامة بوقف إطلاق النار ، وتركت البريطانيين والفرنسيين فى وضع محرج للغاية . كما وضعت واشنطن المتآمرين فى مأزق بالغ الحرج بإسراعها فى تبنى قرار وقف إطلاق النار (٣٨) .

رد فعل دول المعسكر الغربى

لم تكن الكتلة الغربية أو دول المعسكر الغربى على اتفاق بالنسبة للسياسة الواجب اتباعها ، وقد ظهر هذا الموقف على ضوء الاتصالات الدبلوماسية التى قامت بها مصر . واستكشاف مواقف الدول الغربية ، وتحديد مواقع القرب أو البعد بينها وبين موقف مصر .. كان أمرًا حيوياً حتى نستطيع المناورة بين هذه القوى إلى الحد ، الذى يسمح بتقويض التضامن القائم ، أو تدعيم أى خلاف بينهم . وما ساعد مصر على ذلك أيضاً ظهور مواقف هذه القوى . والدول قبل العدوان ، وبالأخص حيال قضية تأميم شركة قناة السويس .. فلما جاء العدوان ، كانت معظم مواقف هذه الدول معروفة بالنسبة لمصر .

وإذا استعرضنا مواقف دول الغرب ؛ لوجدنا أنها تتلخص فى ثلاث مجموعات : مجموعة مؤيدة للدول الثلاث بريطانيا وفرنسا وإسرائيل ، ومجموعة مترددة فى تأييد موقف الدول الثلاث ومجموعة معارضة ٠

المجموعة المؤيدة :

وتضم هذه المجموعة أستراليا ونيوزيلندا وكندا وهولندا والبرتغال ٠ ورغم هذا التأييد .. فإن بعض دول هذه المجموعة - ككندا - عارضت منذ البداية اتخاذ عمل عسكرى ضد مصر ٠ واتجهت بكل قواها إلى تحديد موقفها من هذه القضية ، بمجرد إحساسها بنوايا بريطانيا ، ولكنها لم تعلم عن هذا الموقف ، وإن صرح به المسئولون فى أوتاوا لسفيرنا هناك ، وأبلغوه أن كندا تلعب دورًا وراء الستار ، ولن تكشف عنه إلا بعد فترة ، كما أن كندا لم تعارض فى مشروعية التأميم ، ولكنها ترى فى الإجراء الذى تم به مايخل بضمانات المرور ... كل هذا ، وكندا لاتخفى لمصر أن اهتمامها غير مباشر بهذه القضية ، وأنها وقبل كل شىء - قضية أوروبية ٠

وسوف نتناول مواقف دول هذه المجموعة من العدوان الإسرائيلى ثم العدوان الأنجلوفرنسى

موقف استراليا

أيدت استراليا العدوان الأنجلوفرنسى ٠٠ وصرح روبرت متريس ، رئيس وزراء أستراليا : " إن بريطانيا لم تستشر دول الكومنولث الأخرى ، قبل أن تتخذ الإجراء المشترك مع فرنسا ٠ ولكن الحكومة البريطانية لم تخطىء فيما فعلت ؛ لأن الظروف كانت طارئة جدا ٠ وقال إنه من سوء الحظ أن يحدث خلاف الرأى بين بريطانيا وفرنسا من جهة والولايات المتحدة الأمريكية من جهة أخرى (٣٩) .



« وأيد روبرت منزيس العدوان الأنجلوفرنسى ... »

كما امتنعت حكومة أستراليا مع حكومة بلجيكا - عن التصويت على المشروع اليوجوسلافى المقدم للأمم المتحدة فى ٣٠ أكتوبر ١٩٥٦ ؛ لعقد دورة طارئة للجمعية العامة . ونلاحظ ان الامتناع عن التصويت هنا ، الهدف منه خدمة المصالح البريطانية عن طريق التقليل من عدد الدول ، التى ستوافق عليه ، مع الاحتفاظ لنفسها بعدم إظهار شعورها هذا للراى العام العربى خاصة ، والعالمى عامة [٤٠] .

إلا أن موقف المعارضة الاسترالية كان مضاداً لموقف حكومة متريس ، تجاه العدوان على مصر .. مما كان له بعض الأثر الإيجابى على موقف استراليا فيما بعد ولو ظاهريا ؛ فقد أعلن حزب العمال الأسترالى المعارض أنه سوف يقاوم أية محاولة ، قد تعمد اليها حكومة متريس ؛ لإشراك أستراليا فى الأعمال الحربية فى منطقة قناة السويس . وقد أصدر الحزب قراراً بذلك وأيدته لجنته التنفيذية . واستنكر القرار الإنذار البريطانى الفرنسى المشترك ، وقال إن الغرض الحقيقى هو احتلال منطقة القناة عسكرياً ، والاستيلاء عليها فعلياً ؛ لإرغام مصر على قبول الإشراف الحالى عليها [٤١] .

موقف نيوزيلندا :

وكان موقف نيوزيلندا مؤيداً أيضاً للسياسة البريطانية فى العدوان على مصر .. فقد صرح المستر " سيدنى هولند فى أنه يثق ثقة تامة فى نيات بريطانيا فى الشرق الأوسط ، وهذا أكبر دليل على التأييد النيوزيلندى لبريطانيا ، بالرغم من أنها لم تستشر نيوزيلندا ، قبل أن توجه هى وفرنسا إنذارهما إلى مصر وإسرائيل .

وذكر رئيس الوزراء النيوزيلندى أيضا ... أن حكومة بريطانيا صرحت بأن هدف عملياتها ، هو حماية قناة السويس ، ووقف القتال بين القوات المصرية والإسرائيلية ، وأن النية تتجه إلى أن تكون فترة هذه العملية البوليسية الطارئة محددة [٤٢] .

وكان موقف نيوزيلندا فى الأمم المتحدة ، هو التسويف من أجل تثبيت الأمر الواقع فى منطقة القناة .. فنجد مندوب نيوزيلندا فى الأمم المتحدة يعرض قرار انشاء قوة دولية ، تستطيع أن تحافظ على السلام . واشتراطاً لتحقيق جلاء القوات الأنجلوفرنسية .. يرى أن يتم إنشاء القوة الدولية وبدء عملها ، ولهذا فقد عارض المشروع المقدم من الدول الآسيوية التسعة . وبذلك نجد أن موقف نيوزيلاندا موقفا متسترا على العدوان الغاشم على مصر[٤٣] .

موقف كندا :

كـــان موقف كـندا فى جوهـره مطابقًا لمـوقف أستـراليا ونيـوزيلندا ، وأوضـح وزير خارجيتها ، المستر لستر بيرسون بأنــها لم تُستَشَرْ قبل توجيه الإنذار لمصر ، وطالب بوصل ما انقطع من روابط الاتصال بـين لندن وباريس وواشنطن (٤٤) . كما أنه طلب مـن السفير المصرى فى اوتاوا حـسين الخطيب أن يوقف النداءات المـوجهة لدعوة المتطوعـين الكنديين ، ومن المعروف ان ٢٠٠ كندى قـد قدمـــوا أنفسـهم كمتطوعين للسفير المصرى فى أوتاوا ؛ للقتال مع مصر ٠٠ وهذا فى حد ذاته أكبر دليل على تأييد كندا للموقف الأنجلوفرنسى تجاه مصر (٤٥) .

وبذلـت كنـدا محاولات كبيرة ؛ لمنع تصدع الـكومنولث بسبب العدوان الـثلاثى على مصر ، وطلبت من بريطانيا وفرنسا إيقاف قـتالهما ضد مصر ؛ من أجل المحافظة على بقاء الدول الآسيوية فيه وليس من أجل المحافظة على حرية وسيادة مصر (٤٦) .

وبمجرد أن عُرِفَ فى أوتاوا أن الأزمة انتقلت إلى الجمعية العامة ، توجه وزير الخارجية الكندى لـيستر بيرســون الى نيويورك ٠٠وكان بـيرسون قد احتفـظ لكندا بحريـة التصرف والحركة ؛ نـتيجة لانه لم يـنحاز لاى من الجانبـين بينما غـالبية الدول الاخرى كـانت قد ضحت بحرية المـناورة فى المناقشة ، عندما انـحازت إلى طرف من الأطراف(٤٧) . وكذلك رفض سان لوران رئـيس وزراء كندا النداء الذى وجهــه إليه أنتونى إيدن فـى ٣٠ اكتوبر ؛ لتقف كندا بجانب بريطانيا ، فيما تـنوى القيام به من أعمال عسكرية ٠ وكان تصرف إيدن على مايبدو من تطوير سير العلاقات بين كندا وبريطانيا خطأ آخر ، وقع فيه ، وحسابًا غير دقيق للعـوامل التى تحكم السيـاسة الخارجية لكندا ، سـواء فى حرصها على المحافـظة على كيانها القومى ، أو حساسية جوارها للولايات المتحدة ، أو عملها على تدعيم الكومنولث ، وإبعاد أسباب التصدع عنه ، وكانت كل هذه الـعوامل قائمة فى حساب رئيس وزراء كندا ، عندما رفض طلب إيدن(٤٨) .

كما يوضح الرئيس أيزنهاور دور كندا الإيجـابى فى الجمعية العامة ، فى المشروع الذى قدمتـه ؛ لإنشاء قوات الـطوارىء الدولية ٠٠ فـيذكر " إن رئيس وزراء كـندا تكلـم معى بالهاتـف٠٠ فقلت له : « أن الأمـــور مشجعة تماما ٠ لـم يسبق لى أن لقيـت عملاً من جـانب حكومـتكم أشـد إثارة مـن الطريقـة السريعة ، التى تحـــركتـم بها بمشروعكم ،

الذى يقضى بإنشاء قوة تابعة للأمم المتحدة بالذهاب إلى السويس٠٠ لقد أديتم عملاً رائعًا ونقدره "(٤٩).

لقد وجد ليستر بيرسون نفسه يواجه مهمة صعبة ، فمن بين أعضاء الأمم المتحدة البالغ عددهم ٧٦ دولة ، لايؤيد الاجراء البريطانى الفرنسى سوى اثنين : أستراليا ونيوزيلندا ٠ ويهم الرجل فى المقام الأول أن يمنع أى إدانة لبريطانيا وفرنسا بالعدوان ؛ حتى يمكن تذليل الأمور للوصول إلى تسوية سلمية ، وإنشاء قوة الطوارىء الدولية ، بالإضافة إلى حرص بيرسون على وحدة التحالف الغربى ، ورأب الصدع الذى حدث فى كيان حلف الأطلنطى ٠



واقترح ليستر بيرسون
إنشاء قوة طوارئ دولية

موقف هولندا

أيدت هولندا العدوان الإسرائيلى على مصر ، وكذا الهجوم الأنجلوفرنسى ٠٠ فقد أعلنت وزارة الخارجية الهولندية أن هولندا قد امتنعت عن التصويت فى الجمعية العامة ليلة الثلاثاء الموافق ٣ نوفمبر ١٩٥٦ ؛ لأنها لاتعتقد فى شرعية الدورة الاستثنائية للجمعية العامة للأمم المتحدة ، ولأنها ترى أن عمل إسرائيل هو من قبيل الدفاع عن النفس (٥٠) .

كما صرح الدكتور "دريس " رئيس وزراء هولندا ، أمام البرلمان الهولندى ، يوم ٨

نوفمبر ١٩٥٦ .. إن الإجراء الإسرائيلى فى صحراء سيناء يمكن أن يعتبر عملاً من أعمال الدفاع عن النفس " وأضاف أنه من المفهوم أن إسرائيل احست أنها ستخنق تدريجيا . كما رحبت الحكومة الهولندية بتكوين قوة مـن قوة الطوارىء الدولية ، وكانت مستعدة للاشتراك فيها إذا ما دعيت لذلك (٥١) .

وكذلك أيدت البرتغال العدوان الإسرائيلى ، ووقفت نفس موقف هولندا ، وكذا أيدت الهجوم الأنجلوفرنسى على مصر . وهكذا نجد أن موقف دول الكتلة البيضاء (كندا - استراليا - نيوزيلندا - هولندا - البرتغال) كان فى جوهره مناصراً ومؤيدا للعدوان ، فهذا كان من أجل المحافظة على سلامة الكومنولث البريطانى على مصر ، وإن كانت قد تظاهرت فى بعض الأحيان وبشجب العدوان . وأكبر دليل على ذلك تصريح وزير خارجية كندا فى مجلس العموم الكندى ، يوم ٢٦ نوفمبر ١٩٥٦ ، عندما قال : " وإنى موقن بأن هذا الإنهيار (يقصد انهيار الكومنولث) مؤقت ، ولكن يجب أن يكون أول واجب علينًا جميعاً أن نبادر إلى العمل ؛ لإصلاح ذلك التصدع ، وإعادة العلاقات إلى ماكانت عليه "

المجموعة المترددة

وأولها إيطاليا ثم ألمانيا الغربية ، ثم الدول الاسكندنافية .. السويد والنرويج والدانمارك .. وسوف نتناول موقف هذه الدول من العدوان .

موقف إيطاليا

لقد أعربت إيطاليا ، قبل مؤتمر لندن . الأول ، وبلغة صريحة أنها تسلم بمشروعية التأميم ، وبرفضها المساس بسيادة مصر عليها ، وأنها لاتوافق على مبدأ التدويل أو اتخاذ إية إجراءات عسكرية ضد مصر . ولئن كانت إيطاليا قد غيرت من الموقف الذى حددته لمصر قبل المؤتمر ، إلا أنه يجب أن نضع فى الاعتبار مدى الضغط ، الذى تعرضت له من جانب الولايات المتحدة (٥٢) .

أما عن العدوان الإسرائيلى . . فإن الحكومة الإيطالية أعلنت شجبها لهذا العدوان ، وصرح مارتينو وزير خارجية إيطاليا ، أمام مجلس النواب الإيطالى يوم ٧ نوفمبر ١٩٥٦ : " إن الحكومة الإيطالية لا توافق على الاعتداء العسكرى الإسرائيلى ؛ إذ إنها مقتنعة بأن المنظمات الدولية المسئولة عن المحافظة على إتفاقية الهدنة ، كان لازال لديها متسع من الوقت

لتتدخل تدخلاً فعالاً " ... إلا أن الحكومة الإيطالية أرجعت العدوان الأنجلوفرنسى على مصر إلى رفض مصر للإنذار ... وقد أوضحت الحكومة الإيطالية وجهة نظرها صراحة ، فأيدت التوصية التى وجهتها الأمم المتحدة إلى أطراف النزاع لوقف العمليات الحربية فورا[٥٣] .



مظاهرات الشعب الإيطالى

بجوار الكلوزيوم بروما

تشجب العدوان على مصر

موقف ألمانيا الغربية :

قبل العدوان لم تتردد ألمانيا فى إبلاغ مصر بمشروعية التأميم وعدم تأييدها لسياسة بريطانيا وفرنسا ... ولقد غيرت ألمانيا من موقفها ، خلال مؤتمر لندن الأول ، نتيجة لضغوط عديدة تعرضت لها . وبعد وقوع العدوان على مصر ، شجب المستشار الألمانى الدكتور "أديناور" العدوان أمام مجلس النواب الألمانى يوم ٨ نوفمبر ١٩٥٦ ، وقال :

" إننا وصلنا إلى حرب نأسف لها ، ولا نستطيع الموافقة عليها ؛ لأننا على يقين تام أن الأغراض السياسية المشروعة نفسها لاتتحقق بإستخدام القوة المسلحة . "(٥٤) .

المجموعة المعارضة :

ويأتى على رأسها إسبانيا و والتى حددت موقفها فى وضوح أكثر ، وأبلغت الحكومة المصرية مساندتها لها والوقوف بجانبها . وموقفها خلال مؤتمر لندن الأول ، يوضح إلى أى حد التزمت إسبانيا بما وعدت به . وبعد وقوع العدوان الإسرائيلى ، وقفت اسبانيا بجانب الحق المصرى ، ونادت بضرورة إيقاف العدوان ، وانسحاب القوات المعتدية مع شجب المعتدين ... وعندما قامت القوات الأنجلوفرنسية بضرب مصر ، أسرعت إسبانيا إلى الوقوف بجانب مصر ، وسوف نتناول دور إسبانيا خلال مناقشات الأمم المتحدة ، وإلى أى حدٍّ أيدت مصر .

ثم يأتى موقف اليونان .. فقد رفضت الدعوة لحضور مؤتمر لندن الأول بحكم علاقات الصداقة بينها وبين مصر ، ولقد كان موقف اليونان يدعو الى كثير من التقدير . وكما ذكر وزير خارجيتها لسفير مصر فى أثينا وقتئذ ، مشيرًا إلى دقة وحرج مركز اليونان بحكم ارتباطها بالغرب وأحلافه ، واعتمادها على المساعدات الأمريكية ، ولكنها فى الوقت نفسه " صديقة مخلصة لمصر ، ولن تفكر فى القيام بما يمس علاقاتها الطيبة بها " وأن اليونان أظهرت للغرب استعدادها لتلبية الدعوة لمؤتمر لندن ، وطلبت تأجيل المؤتمر ، وتغيير مكان انعقاده تمشيًا مع رغبة مصر ، فلما لم تستجب لها الدول الداعية للمؤتمر ، امتنعت عن قبول الدعوة تفاديًا للحرج إذا ماحضرت مؤتمر لندن الأول ، وامتنعت عن التصويت ، أو إبداء الرأى " . وبعد وقوع العدوان الإسرائيلى ، ثم الانجلوفرنسى على مصر .. أدانت اليونان العدوان ووقفت فى الأمم المتحدة بجانب مصر .. وسوف نتناول دور اليونان من خلال المشروعات ، التى قدمت للجمعية العامة ومجلس الأمن ، وإلى أى حد وقفت بجانب مصر حكومة وشعباً .

موقف الدول الإسكندنافية

يجيء بعد ذلك دور الدول الإسكندنافية وهى ثلاث : السويد والنرويج والدانمارك .. وللنرويج أهمية خاصة باعتبار أنها الدولة الثانية ، التى كانت تستخدم القناة فى ذلك

الوقت ، ولقد حدد وزير خارجية السويد موقف الدول الإسكندنافية بأن المهم هو حرية الملاحة فى القناة ، وأن التأميم حق مشروع لمصر ، ولكنه أيد مبدأ دولية القناة ٠

وكان موقف النرويج مؤيدًا للموقف الأمريكى ٠٠ ففى أوسلو صرح وزير الخارجية النرويجى هالفارد لانجه ، فى الاول من نوفمبر ١٩٥٦ ٠٠ بأن الحكومة النرويجية تؤيد نداء الرئيس ايزنهاور لبريطانيا وفرنسا باجتناب استخدام القوة ، بالإضافة إلى أنها وافقت على الاشتراك فى قوة الطوارىء الدولية [٥٧] .

وكذلك وقفت بلجيكا ضد العدوان ، فقد صرح رئيس وزراء بلجيكا ، " فان اكر " ، أمام مجلس النواب والشيوخ يوم ١٤ نوفمبر ١٩٥٦بقوله : « إن الحكومة البلجيكية لم تُستَشَرْ أو تبلغ بشىء قبل قيام الأزمة ، بالرغم من كونها عضوًا فى مجلس الأمن ، وعضواً فى منظمة حلف شمال الاطلنطى ، وعضواً فى اتحاد أوروبا الغربية ٠٠ إننا حلفاء شرفاء ، وعندما تطلب منا منظمة حلف شمال الاطلنطى ، أن نقوم بتضحيات فإننا نقدمها فى سبيل السلام ٠ لذلك فقد انتابنا ذهول شديد ، عندما نمى إلى علمنا التدخل ذو الأثر الخطير ، الذى وضع بلادنا أمام الأمر الواقع[٥٨] .

وإذا كانت حكومة السويد تحمل عبدالناصر مسئولية ماحدث لأنه أمَّم القناة ٠٠ فإنها لم تستطع أن تنكر أن من حق مصر تأميم القناة ، وأنه لايمكن اعتبارها معتدية ٠ وقد شاركت السويد فى مؤتمر لندن الأول تم فى لجنة متريس ٠٠٠ كما كان لها دور كبير – مع باقى الدول الإسكندنافية – فى إحالة المسألة على الأمم المتحدة ، وذلك لاعتقادها بأن هذا هو الإجراء الوحيد الصحيح ، بعد أن ثبت استحالة الوصول إلى اتفاق مع مصر ، وأن المحادثات التى دارت بمجلس الأمن أدت إلى اتخاذ قرار ، قبله الجميع ، وتضمن هذا القرار ست نقاط ، تتعلق بالمبادىء الواجب اتباعها ؛ للوصول الى حل لمشكلة السويس ، وكانت مصر على استعداد لقبولها ٠ وانضمت السويد لهيئة المنتفعين بالقناة بعد تأكدها من أن غرض الهيئة المذكورة لايتضمن الالتجاء إلى استعمال أى إجراءات عسكرية ٠٠ بل يجب حصر جهود الهيئة فى إيجاد حل للمشكلة بالطرق السلمية [٥٩] .

وشجبت حكومة السويد الاعتداء الإسرائيلى ، ووصفته بأنه عمل لايمكن تبريره إطلاقًا مهما أبدت من أسباب ٠٠ وكذلك أدانت العدوان الأنجلوفرنسى ، ووصفته بأنه يتعارض مع ميثاق الأمم المتحدة ، ووافقت الحكومة السويدية على الاشتراك فى قوة الطوارىء الدولية ٠٠٠ وبالمثل وافقت حكومة الدانمارك على الاشتراك فى قوة الطوارىء الدولية[٦٠] .

موقف باقى الدول الغربية :

أما عن موقف الحكومة السويسرية . . فإنه تلخص فى اقتراحها بعقد مؤتمر ؛ للمحافظة على السلام العالمى ، يشارك فيه رؤساء حكومات الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وبريطانيا وفرنسا ، والهند (كممثل لدول مؤتمر باندونج) . وأرسل المجلس الفيدرالى - وهو يمثل حكومة سويسرا المحايدة - برقية إلى رئيس جمهورية الولايات المتحدة ورؤساء حكومات فرنسا وبريطانيا والهند والاتحاد السوفيتى ، والأمين العام للأمم المتحدة ، جاء فيها : " إن خطر اندلاع حرب عالمية ثالثة وتجربة جديدة للقوة ، بما فيها من نتائج مفجعة يهدد البشرية الآن . . . ولذلك يجب المحافظة على السلام وعقد مؤتمر للمحافظة عليه دون إبطاء ، ويمكن عقد المؤتمر فى أراضى الاتحاد السوفيتى ، وأن المجلس الفيدرالى يعرض مساعيه الحميدة فى سبيل تنظيم هذا المؤتمر "(٦١) .

وكان موقف الحكومة الهولندية غريباً ؛ إذ أنها الدولة الأورربية الوحيدة التى اعتبرت العدوان الإسرائيلى على مصر واحتلالها " سيناء " ، عملاً من أعمال الدفاع عن النفس . لقد امتنعت الحكومة الهولندية عن التصويت فى الجمعية العامة على الدورة الاستثنائية ؛ لأنها لا تعتقد فى شرعية الاجتماع الاستثنائى للجمعية العامة ، ورحبت بتكوين قوة الطوارئ الدولية ومشاركتها فيها إذا ما دعيت لذلك (٦٢) .

أما موقف الفاتيكان . . . فكان مع السلام ، ونبذ حل المشاكل عن طريق القوة والسلاح ، ويجب تحكيم العقل والحكمة لحل المشاكل (٦٣) .

مواقف الدول التى ترتبط بالغرب بأحلاف :

وهذه الدول هى تركيا وباكستان وإيران وأثيوبيا ، وهذه المجموعة من الدول هى دول غير أوربية ، آسيوية وإفريقية اشتركت فى مؤتمر باندونج ، ولكنها ترتبط بالغرب بأحلاف ومساعدات مشروطة ، أولها مواقف خاصة معارضة لسياسة مصر التحررية . . . وثلاث من هذه الدول تشترك فى حلف بغداد ، وواحدة تشترك أيضاً فى حلف الأطلنطى وهى تركيا ، وأخرى تشترك فى حلف جنوب شرق آسيا وهى باكستان . والواقع أن الثلاث دول كانت فى موقف لا تحسد عليه ، فهى أولاً دول إسلامية ، وهى ثانية دول مرتبطة بدولة عربية هى العراق فى حلف بغداد . . . والدعاية الموجهة من مصر والدول المتحررة تهاجم هذا الحلف

الاستعمارى وتكشفه يوماً بعد يوم ، وبالتالى .. فإن الرأى العام فى دولة كباكستان أو إيران يتحول فى طريق المعارضة ضد سياسة حكوماته ، ويرفض أن تنحاز هذه الحكومات إلى السياسة الاستعمارية ضد دولة إسلامية شقيقة ٠

ولقد أعلنت باكستان ومظاهرات التأييد لمصر تعمها فى كل بقاعها إلى التأكيد ، بأنها تؤيد حق مصر فى تأميم شركة القناة ، وفى معارضتها القوية لإستخدام القوة ٠٠ وفى الأول من نوفمبر ، استدعى حسن شهيد سهروردى ، رئيس وزراء الباكستان سفراء بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة بكراتشى ، وأعرب لهم عن قلقه البالغ لتحرج الموقف بمصر ٠٠٠ وطلب إليهم الاتصال بحكوماتهم ، وإفادتها بالنيابة عن حكومة الباكستان وشعبها بوجوب وقف إطلاق النار بمصر فوراً ، وسحب جميع القوات الأجنبية من الأراضى المصرية ٠ وأضاف إلى ذلك قوله أن الباكستان تؤيد حل النزاع حول قناة السويس حلاً سلمياً بواسطة إجراء المفاوضات مع مصر ، تحت إشراف الأمم المتحدة ٠إن الباكستان لن تغفر - بأى حال من الأحوال - إلتجاء الدول الغربية إلى استخدام القوة فى معالجتها مشكلتها مع مصر ، وأن الهجوم الذى شنته إسرائيل على مصر ، إنما هو عمل من أعمال العدوان على مصر (٦٤) .

وفى يوم ٢ نوفمبر ١٩٥٦ ، أعلن رئيس وزراء باكستان أنه فى حالة رفض بريطانيا وفرنسا قبول قرارات الأمم المتحدة ، فإنه يكون من حق دول العالم أن تتضامن معاً ، وتستخدم القوة ضد المعتدين وأكد أن باكستان لن تتوانى عن تقديم كل مساعدة ممكنة لمصر ، كما ندد بالغزو البريطانى الفرنسى ، وأعرب عن آسفه أن يلجأ عضوان فى الأمم المتحدة إلى خرق مبادئها ، وأن باكستان ستؤيد دائماً الالتجاء للوسائل السلمية فى حل المنازعات الدولية ٠٠ وأن حكومات باكستان على استعداد لتقديم وحدة من قواتها المسلحة ؛ لتشترك فى قوات الطوارئ الدولية للأمم المتحدة .(٦٥)

أما إيران فهى فى ظروف مماثلة ، يضاف إليها الجوار مع حليفتها العراق فى حلف بغداد ٠٠٠ ولذلك اتخذت نفس موقف باكستان فى رفض العدوان الإسرائيلى ، وكذا الأنجلوفرنسى على مصر ٠ بل إن دول ميثاق بغداد عقدوا مؤتمراً فى طهران يوم ٨ نوفمبر لدراسة الحالة تجاه العدوان على مصر ٠٠ وصدر بيان رسمى ، عقب انتهاء اجتماعات رؤساء وزارات دول ميثاق بغداد الإسلامية الأربع (تركيا - العراق - إيران -

باكستان) ٠٠ جاء فيه استنكار العدوان الإسرائيلى على مصر ، والمطالبة بانسحاب القوات الإسرائيلية فوراً ، ومطالبة بريطانيا وفرنسا بوقف عملياتها الحربية فى مصر فوراً ، وانسحاب قواتهما منها ٠٠ كما أعربوا عن أملهم فى ألا يتأخر إرسال القوات الدولية فى مصر [٦٦] .

أما تركيا ، فكانت سياستها فى تلك المرحلة تتمثل فى صداقة إسرائيل والتحرش بسوريا على الحدود ، وفى مواقف لا تكشف عن رغبة فى صداقة العرب ، ولكنها تحت ضغط السياسة الغربية ودخولها حلف بغداد .. أضطرت إلى موقف المهادنة ؛ حفاظاً على أعوان الغرب فى المنطقة العربية ، سواء فى العراق أم لبنان (كميل شمعون) ؛ ولهذا أشارت تصريحات المسئولين الأتراك إلى صداقة تركيا للعرب ، وأنها ستبذل كل جهد يتمشى مع شعور العالم العربى ٠٠ وعندما وقع العدوان على مصر ، ظهر موقف تركيا من خلال خطاب رئيس الجمهورية « بايار » فى افتتاح دورة المجلس الوطنى فى الأول من نوفمبر ١٩٥٦ ؛ حيث ذكر " إن الموقف بالغ الخطورة فى الشرق الأوسط ، خلقه أولئك الذين استغلوا متاعب المنطقة لتحقيق مآربهم الشخصية ؛ لبسط سيطرتهم عليها ، وأن تركيا تؤثر إزاء هذا الموقف الغامض التزام الحيطة والحذر ؛ فتتجنب إصدار أحكام مطلقة لاستخلاص نتائج نهائية "[٦٧] .

كما صرح فطين رشدى روزلو ، وزير الخارجية التركى السابق ، يوم ١٠ نوفمبر ١٩٥٦ ٠٠ أن التدخل البريطانى الفرنسى فى مصر ٠ أفاد فى وقف القتال بين المصريين والإسرائيليين ، وأن سلامة دول منطقة الشرق الأوسط تتوقف على انضمامها إلى أحلاف كحلف بغداد وحلف الأطلنطى ٠ وأن تركيا ترتبط بالشعب المصرى بروابط تاريخية ومعنوية ودينية ؛ ولذلك حزنت لأن حلفائها استخدموا القوة ضد مصر ومهما كان الداعى لذلك . . فإن تركيا تعتبر هذا الموقف خرقا لمبادىء القانون الدولى[٦٨] . وهكذا كان موقف تركيا غريبًا إذ إنه فى حقيقة الأمر ، أيِّد الاعتداء البريطانى الفرنسى فإرجاء إيقاف القتال بين إسرائيل ومصر للتدخل الأنجلوفرنسى الظاهرى ، كان مخالفا لموقفها الحقيقى ٠

والواقع أننا يجب أن ننظر إلى موقف هذه الدول الثلاث ، إزاء الموقف العلنى ، الذى اضطرت حكومة نورى السعيد الى اتخاذه ، فبرغم أن الأخير هو الذى قال لإيدن فى مساء يوم ٢٦ يوليو ، خلال مأدبة العشاء تكريمًا له والملك فيصل : " اضرب ، واضرب بشدة " ، إلا أنه لم يستطع أن يتخذ موقفًا علنيًا أمام الشعب العراقى ، سوى التأييد

المطلق لمصـر ، ورفض العدوان عليها ، وإذا كـان هذا هو موقف العراق - العـضو العربى الوحيد فـى حلف بغداد - فهـل يمكن أن تتخذ الـدول الأخرى فى الحلف موقـفًا مغايراً أو معارضًا لحليفـتهم ، والحلف لم يتجاوز فى حـياته سنة واحدة ؟ لقد كانت حـساسية الرأى العام العراقـى على أشدها ولو اتخذت دول حلـف بغداد موقفا ضد مصـر ، لكان فى ذلك القضاء على الحلف فى مهده ، وفشل آخر للسياسة الغربية وعلى الأخص البريطانية ٠٠ إلا انه بعد العدوان على مصر ، خسرت بريطانيا كل أصدقائها فى المنطقة العربية ٠

تبقى أثيوبـيا ٠٠ وموقفها تحدده عدة عوامل ، تتـلخص فى رغبتها فى تصـفية الجو قبل زيارة الإمبراطور هيلاسلاسى لمصر٠٠ وخشية تدخل مصر فى الانتخابات الأرتيرية ورغبة فى مهادنتها بـالإضافة لخشية نفوذ مصر فى شـرق أفريقيا ؛ خاصة الصومال وأرتـيريا وسياسا أثيوبيا الأفريقية فـى تزعم الحزام الأفريقى الموالى للغرب ؛ لذلك أبلغ المـسئولون الأثيوبيو سفير مصر فى أديس أبابا ، أن دولتهم ستقف مـوقف التأييد لمصر فى مؤتمر لندن ، وأنه ستعارض استخدام القوة ٠ ولقد غيرت أثيـوبيا من موقفها الذى وعدت به ، وأيدت الغرب على طول الخط قبل العدوان على مصر ٠ أما بعـد العدوان . . فقد أعلن مندوب أثيوبيا فى الجمعية العامـة " ديلماديرسا " : " أن لمصر حقًا واضحًا فى أن تؤمم شـركة القناة ٠ وقا اكدت مصر مرارا اعترافهـا بالمصالح الدولية المتمثلة فى حرية المـرور فى القناة ٠ وطلب مر الجمعية العامة أن تطلب من بريطانيا وفرنسا وإسرائيل سحب قواتها من مصر فوراً" (٦٩) ـ.

مواقف دول كتلة الحياد الإيجابى

تضم الهند ويوغسلافيا وأندونيسيـا وسيلان ٠٠٠ وكل مايمكن قوله إن دبلوماسية هذ الدول وقفت مع مـصر ، منذ بداية الأزمة ، وأحاطتـها علمًا بالمناورات ، التـى تدبر ضده وبوجهات نظرها فى الأزمة ٠ فالهند تصدت للغرب منذ بداية الأزمة ، واتهم نهرو بريطان بالانتقال من خطيئة إلى أخرى بالغة الخطورة ٠ وقـامت الدبلوماسية الهندية بالاتصالات مـ لندن وباريس وواشنطن ، حددت فيها موقفها من رفض فكرة الإدارة الدولية للقناة ، وعنده قبلت الدعوة لمؤتمر لندن . . أعلنت هذه الدول أن هذا القبول تم من أجل العمل على تفاد الصـدام ، والوصول إلـى حل سلـمى قبـل فوات الـوقت ٠ ولقـد أثر موقـف الهنـد فـ الكومنولـث البريطانى ، وهزَّ من وحدته ، وأوجـد موقفًا جديدًا أمام بريطانيـا ، عليها أ تواجههً وسط الأزمة ٠

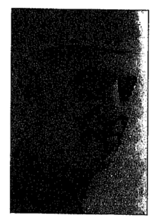


لا اذكر عدوانا صارخا يماثل فى فظاعته ما يحدث اليوم ضد مصر ·

بانديت جواهر لال نهرو

وبعد العدوان الإسرائيلى .. أصدرت الحكومة الهندية بيانًا أعلنت فيه أنها تعتبر العدوان الإسرائيلى ، والإنذار المشترك خرقًا صارخًا لميثاق الأمم المتحدة ، وقد يؤدى إلى حرب واسعة النطاق مالم يتداركة العقلاء · بل إن نهرو أبلغ الحكومة البريطانية أن الهند ستجد نفسها ، مضطرة الى الانسحاب من الكومنولث البريطانى ··· وانتقل هذا التهديد إلى حكومة كندا وأستراليا ونيوزيلندا بتفهيم رؤساء بعثاتهم ، أن الهند تجد نفسها مرغمة على الانسحاب من الكومنولث إذا ماتكونت جبهة " بيضاء " من حكوماتهم ؛ للوقوف بجانب بريطانيا فى الأمم المتحدة [٧٠] .

واتهم نهرو بريطانيا وفرنسا بأنهما تغزوان مصر ، بدلاً عن محاولة وقف العدوان الإسرائيلى · وقال إن القول بأن الغزو يراد به حماية قناة السويس وضمان حرية المرور فيها ، لايعتد به إذ كانت أول نتيجة للغزو ، وقف حركة المرور فيها [٧١] .

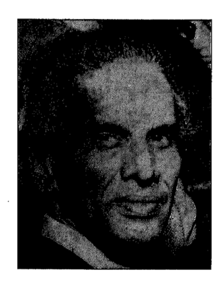


« واتهم نهرو بريطانيا وفرنسا بأنهما تغزوان مصر ... »

وكانت الـهند من أولى الدول الـتى طالبت بوقـف العدوان فورًا ، وانسحـاب القوات المعتديـة مـن الأراضـى المـصرية .(٧٢) وظهـر ذلك واضحًا فـى مشـروع القرار الآسـيوى الأفريقى ، الذى شاركت فيـه الهند فى الجمعية العامة ٠٠ ثم شاركـت ضمن جبهه الدول الآسيوية الإفريـقية بمشروع قرار فى الجمعيـة العامة يوم ٢٤ نوفمبر ١٩٥٦ ، بمـطالبة الدول المعتـدية بالموافقـة على قرارات ٢ ، ٧ نوفمـبر ، الخاصة بإيـقاف إطلاق النار والانـسحاب الفورى(٧٣) .

ثم شاركت الـهند ضمن أربع مـن حكومات كولومـبو الخمس ، هى : الهـند وبورما وسيـلان وأندونيـسيا ، فـى إصدار بيـان مشترك ، قـالوا فيـه انهم يـأسفون لان الـقوات الإسرائيلية لـم تنسحب من مصر ويستـنكرون الشروط التى وضعتهـا " الدول المعتدية " استنكارًا شديدًا ودعوا إلى انسحاب القوات الأجنبية من مصر فى الحال ، ورحبوا بإنشاء قوة تابعة لهيئة الأمم المتحدة فى مصر ، ولكن قالوا إنه يجب أن تكون القوة مؤقتة ، وأن تتقيد بالتوجيهات التى تصدرها الجمعية العامة (٧٤) .

وفى الأمم المتحدة ، وقف كـريشنا منون يعرض المشكـلة بكاملها ، ويعلن تـأييد الهند لمصر وانسحـاب القوات المعتدية فى الحـال إلى ماوراء خطوط الهدنة ٠ وقـال إن بلاده تقبل الاشتراك فى القوة الدولـية بالشروط ، التى أوضحتها ، وهى أن توضـع القوة على خطوط الهدنة ، وألا تكـون لها اختصاصات القـوات المحتلة ٠ وذكر أن حكومتـه تؤيد المشروع الذى تقدمت به سيلان باسم الدول الأفريقية الآسيوية (٧٥) .



« وأعلن كريشنامنون
تأييد الهند لمصر . . . »

وذكر هيرمان فينر ٠٠ وبين حين وحين ، كان السفير الهندى فى واشنطن ، يؤيد وجهة نظر مصر ، ويعلن تأييد الحكومة الهندية " للرئيس عبد الناصر" من زاوية المصالح الوطنية للهند (٧٦)

وكان موقف بوجوسلافيا منذ اللحظة الاولى مؤيدا ومساندا لمصر ٠٠ وكان للرئيس تيتو - أحد أقطاب باندونج - مواقفه المشرفة فى شجب العدوان الأنجلوفرنسى المؤيد لإسرائيل ٠ وطالب دول عدم الانحياز ودول العالم المحبة للسلام ، بتوجيه قوتهم نحو المحافظة على السلم ؛ لان غالبية الشعوب لاترغب الحرب (٧٧) .



« وكان للرئيس تيتو مواقف مشرفة فى شجب العدوان . . »

وعندما تقدمت الولايات المتحدة الأمريكية بمشروعها إلى مجلس الأمن ، يوم ٣٠ اكتوبر ١٩٥٦ أبدت بوغوسلافيا رجاءها بان تتم الموافقة عليه بأسرع وقت ، إلا أن انجلترا وفرنسا استخدمنا حق الفيتو ؛ مما ترتب عليه سقوط المشروع الأمريكى ، ولذلك اقترحت يوغوسلافيا فى الجلسة الثالثة لمجلس الأمن يوم ٣٠ أكتوبر ١٩٥٦ ، عقد دورة طارئة للجمعية العامة ؛ استناداً إلى قرار الجمعية العامة فى عام ١٩٥٠ الخاص " بالاتحاد فى سبيل السلم " ، الذى يقرر للجمعية العامة بحث حالات العدوان ، عندما يصطدم مجلس الامن باستخدام حق الفيتو ٠

وأجلت الجلسة الطارئة للجمعية العامة إلى صباح اليوم التالى ٣١ أكتوبر ، إلا أن مصر أبلغت مجلس الأمن فى الجلسة أن الهجوم الأنجلوفرنسى وقع عليها فى الساعة الخامسة والربع ، بعد ظهر ٣١ اكتوبر ٠٠ لذلك بحث المجلس مشروع القرار اليوغوسلافى ، وطلب مندوب بربطانيا تأجيل الاجتماع لدراسة المشروع المقدم ٠٠ ووافق المجلس على تأجيل الاجماع لمدة نصف ساعة .. وعاد المجلس إلى الانعقاد ٠٠ واعترض مندوب

بريطانـيا على القرار لأن المجلـس لم يعرض عليه مشـروع قرار ، يتضمن أن هنـاك تهديداً للسلام أو خرقاً له أو عملاً من أعمال العدوان (٧٨) .

وعندما طرح المشروع اليوغسلافى للتصويت ، وافقت عليه سبع دول ، واعترضت عليه بريطانـيا وفرنسا وامتـنعت بلجيكـا وأستراليا عن التـصويت · ولذلك وافق المجـلس على المشروع - باعتباره إجرائـيا - ولم يكن للاعتراض البريطانى الفرنـسى أى اثر فى عرقلته · وبذلك حققــت مصــر أكبر نصــر لها فــى الأمـــم المتحدة ، بفضل موقف يـوغوسلافيا المؤيد لمصر(٧٩) .



لقد اثبتت اسرائيل مرة اخرى انها مخلب القط الذى ينفذ اغراض الدول الكبيرة ، وهى بذلك تشكل خطرا على الســـلام العـالمى ·

مارشال جوزيف بروز تيتو .

وكان موقف أندونيسـيا واضحًا منذ اللحظة الأولى ، فقد أدانـت العدوان الإسرائيلى ، وكذا الغزو الأنجلـوفرنسى لمصر ، وطالبت بانـسحاب القوات المعتدية من مـصر فورًا · كما أرسل الرئيس أحمـد سوكارنو رئيس جمهورية أنـدونيسيا إلى الرئيس جمـال عبدالناصر ، خطابًا يؤكد فيه أن أندونيسيا ستعمل بـإصرار ، وبكل مافى وسعها من جهد بالاشتراك مع شقيقتها الدول الآسيوية والأفريقية ، وبالتعاون مع الدول الأخرى الصديقة ؛ للمحافظة على استقلال وسيادة مصر التى انتهكاها المعتدون (٨٠) .

كما طلــب منـــدوب أندونيسيا فى الجمعية العامة ، بضرورة انـسحاب القوات المعتدية فورًا ، وبدون شروط كما طلــب أن تقر الجمعية العامة مشروع الـقرار ، الذى قدمه مندوب سيلان باسم عدد من الدول الأعضاء (٨١) .

أما سيلان . . فقـد صرح رئيس وزرائها المستر سـلمون باندارانيك بأنه نـاشد الرئيس أيزنهاور ، وكذا إيـدن وجى موليه العمل علـى سحب القوات الأنجلوفرنسـية فى الحال من

الأراضى المصرية ٠٠ كما ذكر أنه لايرى أن هناك مبــرراً كافيًا لغزو إسرائيل لمصر ٠٠ كما عارض فكرة الإشراف الدولى على القناة (٨٢) .

موقف دول المعسكر الاشتراكى :

وكان موقف الدول الاشتراكية مؤيدا للقضية العربية ، ومساندًا لموقف مصر ضد العدوان عليها ٠ فقد جاء موقف الصين الشعبية مـؤيدًا لحق مصر فى التأميم ، وضد ما تعرضت له من تهديد ٠٠ فقد أصدرت حكومة بكين ، فــى الأول من نوفمبر ١٩٥٦، بياناً جاء فيه أن فرنسا وبريطانيا أقدمتا على العمل ، بعد أن حرضتا إسرائيل على القيام بهجوم مسلح واسع النطاق على مــصر ؛ لتستخدمه ذريعة لمحاولة الاسـتيلاء بالقوة على منطقـة قناة السويس ٠ وأعلن البيان أن الأعمــال العدوانية السافرة التى ترتكـبها الحكومتان البريطانيـة والفرنسية ، تكشــف بجلاء عن خـطتهما لـرفض المفاوضــات السلمـية ، بشأن مســألة قناة الـسويس ، وعزمهما منذ وقت طويل على استخدام القوة (٨٣) .

وفى ٨ نوفمــبر ، أصدرت حكومة الصــين الشعبية بيــاناً ، طلبت فيه ســحب القوات المعتدية مــــن مصر ؛ فتعهـــدت فى بيانهــا باتخاذها جميع التدابير الفعــالة ، ومنها تقديم المعونة المادية لمصر (٨٤) .



لقد سبقت الصين الشعبية كافة الدول الشيوعية فى توجيه إنذار للدول المعتدية على مصر

لقد سبقت الصين كافة الدول الشيوعية فى توجيه إنذار للمعتدين ، بوجوب الكف عن العدوان ٠٠٠ ففى لهجة حازمـة ، قالت الصين فى ٣١ أكتوبر أن مصــر لم تقاوم العدوان

وحدها ٠٠٠ ولكن ستقف معها كافة الشعوب المحبة للسلام فى إفريقيا وآسيا ٠ وفى ٤ نوفمبر ، أعلنت حكومة الصين فى إنذار جديد ، تحتج فيه على " العدوان الوقح " ، وتطالب بوقف جميع العمليات العسكرية ، وانسحاب المعتدين فى الحال (٨٥) .

وتتلخص موقف الصين الوطنية فيما أبدته فى مجلس الأمن ٠٠ ففى مجلس الأمن يوم ٣٠ أكتوبر ١٩٥٦ ، قال مندوب الصين : " يجب على مجلس الأمن أن يسعى إلى سرعة إيقاف القتال وانسحاب إسرائيل فوراً (كما أيدت الصين مشروع القوة الدولية ، وكذلك مشروع الدول الأسيوية الإفريقية (٨٦) .

كما أصدرت حكومة رومانيا بياناً تشجب فيه العدوان الأنجلوفرنسى على مصر ، وتصفه بأنه عدوان صارخ على الالتزامات الدولية المفروضة ، وخرق لميثاق الأمم المتحدة (٨٧) .

وأعلنت حكومة تشيكوسلوفاكيا أنها تعتبر الهجوم الإسرائيلى على مصر عملاً عدوانياً صريحاً ، وبهذا العمل تكون إسرائيل قد خرقت المبادئ الأساسية لميثاق الأمم المتحدة ، وكذلك التزاماتها الدولية وفق اتفاقية الهدنة (٨٨) .

وصرح الرئيس التشيكى " مسيو أنتونين زابوتوشسكى " إن الإعتداء الإجرامى الذى قامت به بريطانيا وفرنسا وإسرائيل على مصر خلال الأيام القليلة الماضية قد هدد السلام العالمى ٠ وقال إننا جميعاً نعطف على مصر ، ونقدر كفاحها فى سبيل التخلص من سيطرة الاستعمار البريطانى ، الذى استمر ٧١ عاماً (٨٩) .

كما أصدرت الحكومة البولندية بياناً ، استنكرت فيه العدوان الأنجلوفرنسى ، بالاشتراك مع إسرائيل ضد مصر (٩٠) .

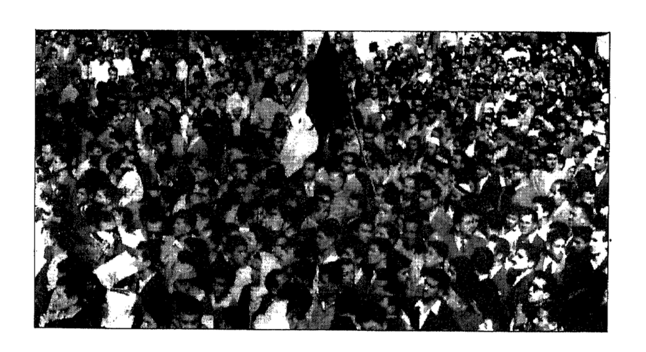
وأصدرت حكومة ألمانيا الشرقية بياناً تستنكر فيه أعمال بريطانيا فرنسا ، وتدعو ألمانيا الغربية إلى تأييد مصر فى كفاحها (٩١) .

كما وقفت حكومة ألبانيا الشعبية مع مصر فى كفاحها ، ضد العدوان الغاشم عليها (٩٢) . وطلب مندوب كوبا من مجلس الأمن إيقاف القتال ، وسحب القوات الإسرائيلية من الأراضى المصرية (٩٣) .

موقف الدول العربية :

لقد كان رد الفعل المؤيد لمصر بطبيعة الحال - وبحكم الواقع - من جانب الشعوب العربية ، حقيقةً . . لقد تفاوت موقف الحكومات ، ولكن موقف الشعوب كان واحدًا ، سواء فى بغداد أو عمان أو دمشق أو بيروت أو الخرطوم أو طرابلس ، فكل الشعوب العربية دون أن تشذ منها واحدة وقفت مع مصر ضد العدوان الإسرائيلى البريطانى الفرنسى . لقد وقفت الحكومات - مع تفاوت فى الصدق والحماس - مع اندفاع الجماهير العربية ، حتى بغداد اضطرت إلى إعلان تأييدها لمصر وشجبت العدوان .

لقد جاء رد فعل الدول العربية على العدوان الثلاثى على مصر ، ثورة من الغضب الشديد المتوقع - فحذت سوريا والمملكة العربية السعودية حذو مصر ، وقطعتا علاقاتهما بكل من بريطانيا وفرنسا، أما الأردن والعراق فقد قطعتا علاقاتهما بفرنسا وليس مع حماتهما البريطانيين .. ولما استمرت المظاهرات والإضرابات فى كل دولة عربية مستقلة احتجاجا على العدوان الأنجلو فرنسى قام حلفاء بريطانيا فى حلف بغداد ، بالإشارة إليها بأن تظل بعيدة عن اجتماعات الحلف المقبلة ، وإلا خاطرت بالتعرض لطردها من الحلف (٩٤) .



لقد خرج ألوف العرب يهتفون لنضال الشعب المصرى الشقيق

لقد خرجت الألوف تهتف للقومية العربية ، وتحيى نضال الشعب المصرى الشقيق ٠٠ ولم يكن هناك هتاف يسمع دويه فى أنحاء الأراضى العربية ، وإنما اختلط معه صوت الانفجارات وهى تحطم انابيب البترول الممتدة من العراق وعبر سوريا ٠٠ وفى لبنان ٠٠ خرجت المظاهرات الصاخبة ، والقيت المتفجرات على النوادى البريطانية ، وبدأت بريطانيا وفرنسا فى الاختناق بتروليا بالتدريج [٩٥] .

وفى السعودية ، صدر بيان رسمى فى يوم ٣٠ اكتوبر ، بإعلان التعبئة العامة ، وأبلغ الملك سعود فى رسالة وجهها إلى الرئيس جمال عبدالناصر استعداد السعودية لتنفيذ اتفاقية الدفاع المشترك ٠٠ ورد الرئيس عبد الناصر شاكرا ، وأعلن ناطق بلسان شركة أرامكو أنها أوقفت شحن البترول إلى انجلترا وفرنسا ؛ طبقًا لأوامر الحكومة السعودية [٩٦] .

أما فى العراق ٠٠ فقد كان شعبها الثائر فى جبهة ٠٠ ونورى السعيد والملك فيصل فى جبهه أخرى ٠٠ تلكأت حكومة نورى السعيد ، وهى شريكة فى الخيانة والإثم ، وكل ما قامت به هو إصدارها بياناً فى٣ نوفمبر ، أعلنت فيه إنها أصدرت الأمر إلى قواتها بدخول الأردن والانضمام إلى القوات الأردنية[٩٧] .

وأرسل الملك فيصل ملك العراق برقية ، يرد فيها على الملك سعود٠٠ ويقول فيها فيصل إن حكومته قد اتخذت ما يلزم لمواجهة العدوان الإسرائيلى ، ولكن ينسى فيصل ونورى السعيد تماما العدوان البريطانى والفرنسى ٠ وحتى فى برقية الاحتجاج التى أرسلها الأمير عبد الاله ولى العهد إلى إيدن يوم ٣ نوفمبر ٠٠ تكلم فقط عن العدوان الإسرائيلى ٠٠ ولم يتناول العدوان الأنجلوفرنسى على الأراضى المصرية ، ثم قطعت الحكومة العراقية علاقتها السياسية مع فرنسا فقط ، ولم تقطعها مع بريطانيا [٩٨] .

أما الشعب العراقى وعروبته وقوميته الأصيلة ٠٠ فقد انفجر ساخطًا ٠٠ أضربت الجامعة والمدارس .. طالب الشعب العراقى الأصيل بإخراج العراق من حلف بغداد ٠٠ واصطدم الشعب مع الشرطة ، وسقط الشهداء فى شوارع بغداد والنجف وكربلاء ٠٠ وأحاطت السفاره المصرية الآلاف تطلب التطوع ٠ ومع كل ذلك ، احتجت حكومة نورى السعيد على العدوان الإسرائيلى فقط ٠٠ ورفضت قطع العلاقات مع بريطانيا [٩٩] .

وفى سوريا ، عقَّب السيد صبرى العسلى ، رئيس وزراء سوريا ، فى ٣٠ أكتوبر

١٩٥٦ على الاعتداء الإسرائيلى بقوله إن إسرائيل تبيت عدوانًا غادرًا على الدول العربية ٠٠ وشجب العدوان علـى مصر ٠ وفى ٣١ أكتوبر ١٩٥٦ ، استـنكر صبرى العسلـى فى بيانه العدوان البـريطانى الفرنـسى قائلاً : إن الفرنـسيين والبريطـانيين عمدوا الى ضـرب المواقع المصرية الآمنة فـى البر والبحر ، وراحوا يهاجمـون السكان والمدن بأساطيلهـم وطائراتهم ، لايبغون من ذلك إلا تحطيم القومية العربية فى شخص أكبر شعوبها وأمنع دولها وفى الثانى من نوفمبر ، قطعت سوريا علاقاتها السياسية مع كل من حكومتى بريطانيا وفرنسا [١٠٠] .

وفى الرابع من نوفمبر ألقى الرئيس السورى شكرى القوتلى - بعد عودته من موسكو

كلمة فى الحشود الكبيرة التى استقـبلته فى المطار ، قال فيها : " سوف نحارب الأعداء فى الشوارع ، فى القرى وفى المدن وفى كل بيـت وفى كل مكان ٠٠ ودعا الشعب السورى إلى حمل السلاح والتطوع فى منظمات المقاومة الشعبية " [١٠١] .

وفى لبنان ، أعلن رئـيس الوزراء عبد الله اليافى يوم ٣٠ أكتـوبر ، أن « لبنان » على استعـداد لصد كل اعتداء إسـرائيلى ، وأن الجيش الـلبنانى اتخـذ عدته لجميع الاحـتمالات والطوارىء ، كما أكد أنَّ لبنـان مرتبط بميثاق الضمان الجماعى العربـى ، كما اتصل كميل شمـعون رئـيس الجمهورية اللبنـانية فى نفس اليوم ٣٠ أكتوبـر بسفيره بالقاهرة خـليل تقى الدين ، وطلب منه مقابلة المسئولين المـصريين ، وإبلاغهم أن « لبنان » - حكومة وشعبًا - يؤيد مصر فى أية خطوة تتخذها لرد الاعتداء الإسرائيلى [١٠٢] .

وفى ١٧ نوفمبر ، قدم عـبدالله اليافى رئيس وزراء لبنان ووزير خـارجيته صائب سلام استقالتهم بسبب خلافهم مع رئيس الجمهورية كميل شمعون ٠٠ حيث رأت الوزارة اللبنانية بعد وقوع الاعـتداء على مصر ، وضـرب بورسعيد أن مصلـحة « لبنان » تقـضى أن تكون متفقة بالفعـل لا بالقول مع الدول العربية الشقيقة ؛ الأمر الـذى يفرض أن يبادر « لبنان » بالقيام بأبسط معانـى التعبير عن استنكاره للعدوان ، وذلك بقطع الـعلاقات الدبلوماسية مع الدولتين المعتديتين وهما بريطانيا وفرنسا ٠٠ الأمر الذى رفضه كميل شمعون ، وبذلك كان السفير اللبنانى فى باريس ، هو السفير العربى الوحيد الموجود هناك [١٠٣] .

وفى السودان ٠٠ وفى اليمن ٠٠ وفى ليبيا ٠٠ وفى بقية الأمة العربية ، كانت الصورة متماثلة مع الصور التى تلاحقت فى الـدول العربية الاخرى ٠٠ الشعب ثائر ٠٠ والصرخة

واحدة .. والقومية العربية تظل شامخة قوية صامدة ، تواجه العدوان فى الصورة التى لم يرها ، أو تناساها عندما فكر فى غزو مصر (١٠٤) .

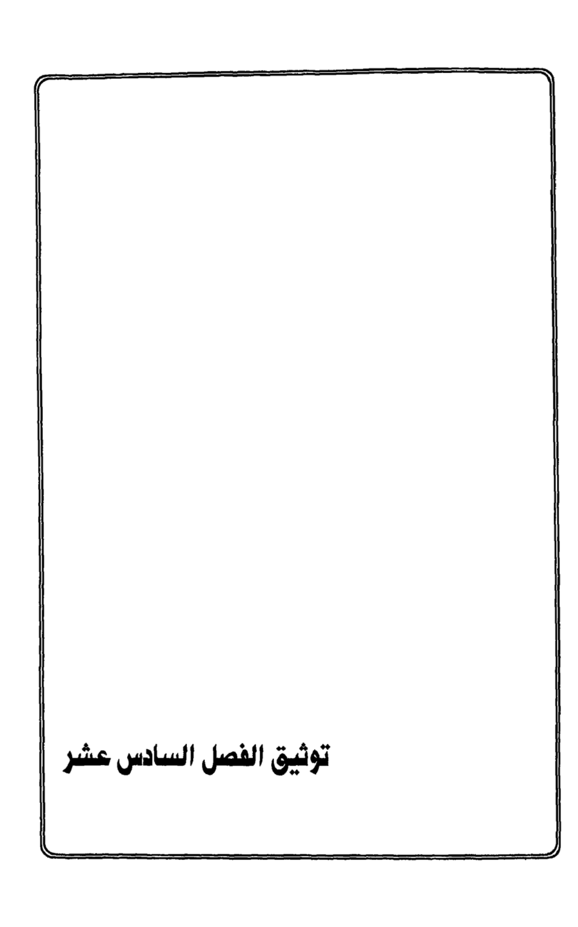
ويقول أنتونى ناتنج وزير الدولة البريطانى المستقيل .. وقد أشاد عبدالناصر بحماس هذه الاستجابة الفورية ، كما أعرب فى خطاب القاه فى ٩ نوفمبر ١٩٥٦ - من فوق منبر الأزهر - عن عرفانه بالجميل بحلفائه السوريين والسعوديين والأردنيين لعرضهم تقديم مساعدات فى الحرب التى انتهت لتوها ، كما أسرف فى الإشادة بما أبداه العالم العربى - ككل - من تضامن ، برهنت عليه الإضرابات والمظاهرات ، التى قام بها اتحاد نقابات العمال العرب، والتى امتدت من قطر والبحرين شرقا - حتى تونس والمغرب غربًا (١٠٥) .

ويومًا بعد يوم ، أعلنت الدول العربية والدول الأفريقية والآسيوية انحيازها "لناصر" ، وقد أعلنت هذه السياسة بحماسة شديدة ، إذ كانت هذه الدول تشبع رغبتها فى الانتقام للإساءات والمظالم ، التى تعرضت لها فى الماضى ، سواء أكانت هذه الإساءات حقيقية أم من نسج الخيال ، وهددت الاحزاب السياسية العربية واتحادات العمال العرب بنسف انابيب البترول الموصلة بين حقول البترول فى شبه جزيرة العرب إلى البحر المتوسط والخليج العربى ؛ أينما وجدت هذه الأنابيب فى حالة تعرض مصر لأى متاعب (١٠٦) .

لقد كانت معالجة جمال عبدالناصر لأزمة السويس فى منتهى الذكاء والحيطة ، واستطاع أن يكسب الرأى العام العالمى فى صفه .. ولذلك عندما وقع العدوان على مصر ، كان عبدالناصر فى أقوى موقف ، يمكنه معه أن يطلب من الرأى العام أن يهب لنجدته .

وباختصار .. كان اداء عبد الناصر ، أداء شخص محنك فى فن التعامل الدبلوماسى ، وهو مايدل على ألمعية وبراعة (١٠٧) . ولذلك وقفت معظم دول العالم مع مصر ، وضد العدوان الإسرائيلى البريطانى الفرنسى .

لقد أعلنت الأغلبية الساحقة من البلدان العربية وبلدان العالم الثالث تأييدها لناصر وإدانتها للمتآمرين . وفى مصر .. ارتفعت شعبية ناصر إلى عنان السماء ، وكانت الجماهير تستقبله بالهتاف أينما حل . وفشل الهدفان الرئيسيان للخطة الأنجلوفرنسية بالفعل فى ظرف خمسة أيام من بداية تنفيذ الخطة ، التى حيكت فى « سيفر » .. فقد أخذ البترول فى النضوب ، ولم يسقط عبد الناصر بل ازداد قوة وعنفوانا (١٠٨) .



توثيق الفصل السادس عشر

(١) ماكاى ، جورج : حروب إسرائيل الثلاثة ، ص ٢٠٢ .
وأيضًا : محمود رياض : مذكراته ، الجزء الثانى ، ص ١٦١ .

(٢) محاضر الكنيست الإسرائيلى ، جلسة يوم ٥ نوفمبر ١٩٥٦ ، كلمة بيريز بيرنشتاين.

(٣) محاضر الكنيست الإسرائيلى ، جلسة يوم ٥ نوفمبر ١٩٥٦ ، كلمة مائير يوى .

(٤) ماكاى ، جورج : المرجع السابق ، ص ٢٠٤ .

٥) المصدر نفسه : الصفحة نفسها .

(٦) المصدر نفسه : الصفحة نفسها .

(٧) المصدر السابق ، ص ٢٠٥ .

(٨) بن جوريون ، ديفيد : إسرائيل ، تاريخ شخصى ، ص ٦٢٥ .

(٩) نيف ، دونالد : حرب السويس ، ص ٥١٥ .

(١٠) المصدر نفسه ، ص ٥١٦ .

(١١) نيف ، دونالد : حرب السويس ، ص ٥٢٤ .

(١٢) أرو ، هنرى : فخ السويس ، ص ٣٤٧ .

(١٣) Lloyed, Selwyn : Suez 1956, pp. 214–216.
وأيضًا : نيف ، دونالد : المرجع السابق ، ص ٥٢٥ .

(١٤) Nutting, Anthony : No End of a Lesson : The Story of Suez, p. 156,
See Also : Neff, Donald : Warriors At Suez, pp. 544–546.

(١٥) أرو ، هنرى : فخ السويس ، ص ٣٥٩ - ٣٦٠ .

(١٦) وثائق الخارجية المصرية : وكالة الشئون السياسية ، إدارة غرب أوروبا - ملف وثائقى عن الاعتداء البريطانى الفرنسى الإسرائيلى ٢٩ أكتوبر - ٤ ديسمبر ١٩٥٦ ، الجزء الثانى ، ص ١٩٨-٢٠٠ (مناقشات مجلس العموم البريطانى يوم ١ نوفمبر ١٩٥٦) .

(١٧) أرو ، هنرى : فخ السويس ، ص ٣٥٩ - ٣٦٠ .

(١٨) وثائق الخارجية المصرية ·· ملف وثائقى عن الاعتداء البريطانى الفرنسى الإسرائيلى ، المصدر السابق ، ص ٢٠١ (كلمة جيتسيكل أمام مجلس العموم البريطانى ، يوم ١ نوفمبر ١٩٥٦) .

(١٩) أرو ، هنرى : فخ السويس ، ص ٣٦٠ .

(٢٠) وثائق الخارجية المصرية ملف وثائقى عن الاعتداء البريطانى الفرنسى الإسرائيلى ، المصدر السابق ، استقالة ناتنج ، ص ٢٠٢ ·٢٠٣ .

(٢١) اللجنة المصرية لتضامن الشعوب الافريقية الأسيوية ·· وثائق ندوة السويس الدولية (ثلاثون عاماً على معركة السويس) ، ص ١٤١ .

(٢٢) نيف ، دونالد : حرب السويس ، ص ٥٦٠ .

وايضاً : وثائق الخارجية المصرية ، تقارير قسم الصحافة ، خلال الفترة من ٣١ أكتوبر / ١٠ نوفمبر ١٩٥٦ .

(٢٣) نيف ، دونالد : حرب السويس ، ص ٥٦١ ٥٦٦ .

(٢٤) أرو ، هنرى : فخ السويس ، ص ٤٥١ .

(٢٥) المصدر السابق : ص ٤٨٤ ٤٨٥ .

وأيضًا : نيف ، دونالد : حرب السويس ، ص ٥٩٦ ·٥٩٧ .

(٢٦) أرو ، هنرى : فخ السويس ، ص ٣٦٠ .

(٢٧) نيف ، دونالد : حرب السويس ، ص ٥١٦ .

(٢٨) وثائق الخارجية المصرية ملف وثائقى عن الاعتداء البريطانى الفرنسى الإسرائيلى ، المصدر السابق ، ص ٢٥٥ ٢٥٦ .

(٢٩) أرو ، هنرى : فخ السويس ، ص ٤٢١-٤٢٣ .

(٣٠) المصدر السابق : ٤٢٧ ٤٢٨ .

(٣١) وثائق الخارجية المصرية – ملف وثائقى عن الاعتداء البريطانى الفرنسى الإسرائيلى ، المصدر السابق ، ص ٢٦٢ – مذكرة الحكومة الفرنسية إلى داج همر شولد .

(٣٢) المصدر السابق ، رد چى موليه على رسالة بولجانين ، ص ٢٥٨ .

(٣٣) وثائق الخارجية المصرية – ملف وثائقى عن الاعتداء البريطانى الفرنسى الإسرائيلى ، المصدر السابق ، بيان الحكومة المصرية بشأن الاعتداء الإسرائيلى ، الإنذار الأنجلوفرنسى لمصر ، رفض مصر للإنذار ، ص ٥٩-٦١ .

(٣٤) نيف ، دونالد : حرب السويس ، ص ٥٣٧-٥٣٩ .
وأيضًا : ناتنج ، انتونى : ناصر ، ص ٢٠٨-٢٠٩ .
وأيضًا : أرو ، هنرى : فخ السويس ، ص ٣٣٣-٣٣٤ ، ٣٤٥-٣٤٦ .

(٣٥) نيف ، دونالد : المرجع السابق ، ص ٥٣٨ .

(٣٦) نيف ، دونالد : حرب السويس ، ص ٥٣٨ .

(٣٧) وثائق الخارجية المصرية : نص المذكرة المصرية المسلمة للحكومتين الإنجليزية والفرنسية بقطع العلاقات ، وبيان إغلاق القناة .

(٣٨) نيف ، دونالد : حرب السويس ، ص ٥٤٢ .

(٣٩) وثائق الخارجية المصرية : وكالة الشئون السياسية – إدارة غرب أوروبا ، الاعتداء البريطانى الفرنسى الإسرائيلى – نشرة الوثائق (٢٩ اكتوبر – ٤ ديسمبر) الجزء الثانى ، تصريح المستر روبرت منزيس ، رئيس وزراء أستراليا فى البرلمان الأسترالى، يوم ١٩٥٦/١١/١ ، ص٥٩٤ .

(٤٠) المصدر السابق ، ص ٥٩٦ : جلسة مجلس الأمن الرابعة ، بتاريخ ٣١/ ١٩٥٦/١٠ ، التصويت على المشروع اليوغسلافى .

(٤١) المصدر السابق ، ص ٥٧٣ ، موقف المعارضة الأسترالية فى ١٩٥٦/١١/١ .

(٤٢) المصدر السابق، ص ٥٧٦ ، تصريح رئيس وزراء نيوزيلاندا ، فى يوم ١٩٥٦/١١/١ .

(٤٣) المصدر السابق ، ص ٥٧٧ ، . تصريح مندوب نيوزيلاندا فى الأمم المتحدة ، يوم ١٩٥٦/١١/٧ .

(٤٤) المصدر السابق ، ص ٥٠٧-٥٠٨ ، تصريح وزير خارجية كندا يوم ١٩٥٦/١١/٣ ، وكذا يوم ١٩٥٦/١١/١٥ .

(٤٥) المصدر السابق ، ص ٥٠٨-٥٠٩ ، تصريح وزير خارجية كندا بطلب وقف دعوة المتطوعين للقتال فى مصر ، يوم ١٩٥٦/١١/١٠ .

(٤٦) المصدر السابق ، ص ٥٠٩ ، تصريح وزير خارجية كندا فى مجلس العموم ، يوم ١٩٥٦/١١/٢٦ .

(٤٧) Roberston, Terence : Crisis, pp. 63–64.

(٤٨) صلاح بسيونى : مصر وأزمة السويس ، ص ٢٤٥ .

(٤٩) Eisenhower, Dwight : Waging Peace, pp. 72–73.

(٥٠) وثائق الخارجية المصرية - ملف وثائقى عن الاعتداء البريطانى الفرنسى الإسرائيلى ، المصدر السابق ، ص ٥٦٤ ، بيان وزير الخارجية الهولندية أمام البرلمان الهولندى ، يوم الثلاثاء ١٩٥٦/١١/٣ .

(٥١) المصدر السابق ، ص ٥٦٤ ، تصريح رئيس وزراء هولندا أمام البرلمان الهولندى ، يوم ١٩٥٦/١١/٨ .

(٥٢) صلاح بسيونى : مصر وأزمة السويس ، ص ٧٢-٧٣ .

(٥٣) وثائق الخارجية المصرية - ملف وثائقى عن الاعتداء البريطانى الفرنسى الإسرائيلى ، المصدر السابق ، ص ٥٣٧ .

(٥٤) المصدر السابق ، ص ٥٣٢-٥٣٣ ، خطاب المستشار الألمانى ، أمام مجلس النواب الألمانى ، يوم ٨ نوفمبر ١٩٥٦ .

(٥٥) صلاح بسيونى : مصر وأزمة السويس ، ص ٧٣ .

(٥٦) نفس المصدر ، الصفحة نفسها .

(٥٧) المصدر السابق ، ص ٥٤١-٥٤٤ ، تصريح وزير خارجية النرويج .

(٥٨) المصدر السابق ، ص ٥٤٧-٥٥٠ ، تصريح رئيس وزراء بلجيكا ، أمام مجلس النواب والشيوخ .

(٥٩) المصدر السابق ، ص ٥٤٧-٥٥٠ .

(٦٠) المصدر السابق ، ص ٥٢١-٥٢٥ ، ٥٢٦-٥٢٩ .

(٦١) المصدر السابق ، ص ٥٦٢ .

(٦٢) المصدر السابق ، ص ٥٦٤ .

(٦٣) المصدر السابق ، ص ٥٢٨-٥٢٩ . رسالة بابوية من الفاتيكان خاصة بالشرق الأوسط، وجهها البابا يوم ١٩٥٦/١١/١ .

(٦٤) وثائق الخارجية المصرية ، بلاغ رئيس وزراء باكستان لمندوبى بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة ، عن قلق باكستان ؛ لخطورة الحالة فى القناة يوم ١٩٥٦/١١/١ .

(٦٥) وثائق الخارجية المصرية ، المصدر السابق ، بيان رئيس وزراء باكستان أمام الطلبة فى كراتشى يوم ١٩٥٦/١١/٤ ، وأيضاً : موافقة الحكومة الباكستانية على الاشتراك فى قوة الطوارئ الدولية يوم ١٩٥٦/١١/٥ .

(٦٦) وثائق الخارجية المصرية ، قرارات دول ميثاق بغداد ، عقب انتهاء مؤتمر طهران ، يوم ١٩٥٦/١١/٨ .

(٦٧) وثائق الخارجية المصرية ، خطاب رئيس الجمهورية التركية فى افتتاح دورة المجلس الوطنى يوم ١٩٥٦/١١/١ .

(٦٨) وثائق الخارجية المصرية ، تصريح فطين رشدى رورلو من أقطاب الحزب الديموقراطى، ووزير الخارجية السابق يوم ١٩٥٦/١١/١٠ .

(٦٩) وثائق الخارجية المصرية ، كلمة مندوب الحبشة ، أمام الجمعية العامة ، يوم ١٩٥٦/١١/٢٩ .

(٧٠) Roberston, Terence : Crisis, pp. 68–69.

(٧١) وثائق الخارجية المصرية ، خطاب نهرو إلى همرشولد ، يوم ١/١١/١٩٥٦ .

(٧٢) وثائق الخارجية المصرية، تصريح نهرو بشأن وقف إطلاق النار، يوم ٧/١١/١٩٥٦، موافقة الهند على حضور مؤتمر جنيف يوم ٧/١١/١٩٥٦ ، رسالة نهرو إلى بولجانين رداً على رسالة الأخير يوم ٨/١١/١٩٥٦ .

(٧٣) وثائق الخارجية المصرية ، الجلسة الثانية للجمعية العامة يوم ٣/١١/١٩٥٦ ، الجلسة الرابعة للجمعية العامة ، مشروع قرار تقدمت به جبهة الدول الآسيوية الأفريقية للجمعية العامة .

(٧٤) وثائق الخارجية المصرية ، بيان دول حكومات كولومبو ، يوم ١٤/١١/١٩٥٦ .

(٧٥) وثائق الخارجية المصرية، تصريح كريشنا ميون فى الأمم المتحدة، يوم ٧/١١/١٩٥٦ .

(٧٦) Finer, Herman – Dallas, Over Suez, pp. 133–135.

(٧٧) وثائق الخارجية المصرية ، خطاب الرئيس تيتو فى مدينة بولا ، وتأييده لمصر يوم ١١/١١/١٩٥٦ .

(٧٨) وثائق الخارجية المصرية ، نص المشروع الأمريكى المقدم لمجلس الأمن ، يوم ٣٠ أكتوبر ١٩٥٦ ، وأيضاً: صلاح بسيونى : مصر وأزمة السويس ، ص ٢٣٢-٢٣٤ .
Robertson, Terence : Crisis, pp. 64–66.

(٧٩) صلاح بسيونى : مصر وأزمة السويس ، ص ٢٣٢-٢٣٤ ، وسوف نتناول المشروع الأمريكى فى الجزء الخاص بانتقال الأزمة إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة .

(٨٠) وثائق الخارجية المصرية ، رسالة الرئيس سوكارنو إلى الرئيس جمال عبد الناصر ، يوم ٣/١١/١٩٥٦ .

(٨١) وثائق الخارجية المصرية ، كلمة مندوب اندونيسيا أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة ، يوم ٧/١١/١٩٥٦ .

(٨٢) وثائق الخارجية المصرية ، تصريح رئيس وزراء سيلان ، يوم ١/١١/١٩٥٦ .

(٨٣) وثائق الخارجية المصرية ، بيان حكومة بكين يوم ١/١١/١٩٥٦ بشجب العدوان .

(٨٤) وثائق الخارجية المصرية ، بيان حكـومة الصين الشعبية يوم ٨/١١/١٩٥٦ ، بضرورة سحب القوات المعتدية من مصر .

(٨٥) صلاح بسيونى : مصر وأزمة السويس ، ص ٢١٨-٢١٩ .

(٨٦) وثائـق الخارجيـــة المصـريـــة ، بيان مـندوب الـصين أمـام مجـلس الأمـن ، يوم ١٩٥٦/١٠/٣٠ .

(٨٧) وثائق الخارجية المصرية ، بيان حكومة رومانيا يوم ٣/١١/١٩٥٦ .

(٨٨) وثائق الخارجية المصرية ، بيان حكومة تشيكوسلوفاكيا يوم ١/١١/١٩٥٦ .

(٨٩) وثائق الخارجية المصرية ، خطاب رئيس الجمهورية التشيكى يوم ٣/١١/١٩٥٦ .

(٩٠) وثائق الخارجية المصرية ، بيان الحكومة البولندية يوم ٣/١١/١٩٥٦ .

(٩١) وثائق الخارجية المصرية ، بيان حكومة ألمانيا الشرقية يوم ٣/١١/١٩٥٦ .

(٩٢) وثائق الخارجية المصرية ، بيان حكومة ألبانيا أمام مجلس الأمن يوم ١/١١/١٩٥٦ .

(٩٣) وثائـق الخارجـية المصـرية ، بـيان منـدوب كوبا فـى جلـسة مجـلس الأمـن ، يوم ١٩٥٦/١٠/٣٠ .

(٩٤) ناتنج ، انتونى : ناصر ، ص ٢١٢ .

(٩٥) صلاح بسيونى : مصر وأزمة السويس ، ص ٢٢٠ .
وأيضًا : نيف ، دونالد : حرب السويس ، ص ٥٤٥ .

(٩٦) وثائق الخارجية المصـرية ، بيان الحكومة السعودية يوم ٣٠ اكتـوبر ، رسالة من الملك سعود إلى الـرئيس جمال عبد النـاصر ، بتاريخ ٣٠ اكتوبر ١٩٥٦ ، شـركة أرامكو تقطع البترول (إذاعة مكة) .

(٩٧) وثائـق الخارجيـة المصريـة ، الحكومـة العـراقية تـأمر قواتـها بدخـول الأردن ، يوم ٣/١١/١٩٥٦ .
وأيضاً : صلاح بسيونى : مصر وأزمة السويس ، ص ٢٢٠ .

(٩٨) وثائق الخارجية المصرية ، برقية الملك فيصل يوم ١٩٥٦/١١/٣ ، وبرقية الأمير عبدالآله إلى إيدن يوم ١٩٥٦/١١/٣ .

(٩٩) صلاح بسيونى : مصر وأزمة السويس ، ص ٢٢١ .

(١٠٠) وثائق الخارجية المصرية ، تصريح صبرى العسلى يومى: ٣٠ ، ٣١ اكتوبر ١٩٥٦، بيان الحكومة السورية بقطع العلاقات مع بريطانيا وفرنسا يوم ١٩٥٦/١١/٢ .

(١٠١) وثائق الخارجية المصرية ، بيان الرئيس شكرى القوتلى ، يوم ١٩٥٦/١١/٤ .

(١٠٢) وثائق الخارجية المصرية ، تصريح رئيس وزراء لبنان عبد الله اليافى يوم ١٩٥٦/١٠/٣٠ ، عن استعداد الجيش اللبنانى ؛ لصد كل اعتداء إسرائيلى ، تبليغ كاميل شمعون لمصر عن تأييد لبنان لموقف مصر .

(١٠٣) وثائق الخارجية المصرية ، رئيس الوزراء اللبنانى ، ووزير الخارجية يقدمان استقالتهما احتجاجاً على عدم قطع العلاقات مع بريطانيا وفرنسا - اليافى وصائب سلاح يشرحان أسباب استقالة الوزارة .

(١٠٤) صلاح بسيونى : مصر وأزمة السويس ، ص ٢٢١ .

(١٠٥) ناتنج ، أنتونى : ناصر ، ص ٢٢٣ .

(١٠٦) Finer, Herman – Dallas, Over Suez, pp. 141–144.

(١٠٧) ناتنج ، أنتونى : ناصر ، ص ٢٣٢-٢٣٣ .

(١٠٨) نيف ، دونالد : حرب السويس ، ص ٥٤٥-٥٤٦ .

الباب السابع

العدوان والأمم المتحدة

الفصل السابع عشر : العدوان ومجلس الأمن والجمعية العمومية للأمم المتحدة

الفصل الثامن عشر : قوات طوارئ الأمم المتحدة

الفصل التاسع عشر : الانسحاب

الفصل العشـــرون : التطهير وتسوية مسألة قناة السويس

الفصل السابع عشر

العدوان ومجلس الأمن والجمعية العمومية للأمم المتحدة

مقدمة - انعقاد مجلس الأمن - المشروع الأمريكى المقدم لمجلس الأمن فى ٣٠ أكتوبر - استقالة همرشولد ثم عودته - مصر تبلغ مجلس الأمن بالهجوم الأنجلوفرنسى - الجمعية العمومية - القرار الأول للجمعية العمومية - القرار الثانى للجمعية العمومية - مشروع القرار الثالث المقدم من المجموعة الأفروأسيوية - القراران الرابع والخامس - تقرير السكرتير العام فى ١٢ نوفمبر - تقرير السكرتير العام الرابع - القرار الثامن للجمعية العمومية - التقرير السادس لسكرتير عام الأمم المتحدة - التقرير السابع - التقرير الثامن - التقرير التاسع - التقرير العاشر - التقرير الحادى عشر - التقرير الثامن عشر - التقرير الثالث عشر - التقرير الرابع عشر - مشروع القرار التاسع للجمعية العمومية - القرار العاشر للجمعية العمومية - القرار الحادى عشر للجمعية العمومية - القرار الثانى عشر للجمعية العمومية - مشروع القرار الخاص بإدانة إسرائيل - التعليق .

مقدمـــة :

كشفت الظروف والملابسات التى وقع خلالها العدوان ، وكذلك علاقات القـوى العظـمى والكبرى ونظرتها إليه ، عن عدة حقائق نوجزها فيما يلى :

إن مركز القوى العالمية أو المحورين الرئيسيين لهذه القوى العالمية ، وهما الولايات

المتحدة والاتحاد السوفيتى لايقفان بجانب هذا العدوان ، بل إن معارضتهما له ليست محل شك .

إن الولايات المتحدة - وهى زعيمة المعسكر الغربى أوضحت رأيها لحليفتها المملكة المتحدة وفرنسا اللتين لم يكونا يملكان من أمرهما الشيء الكثير ، فاقتصادهما ومشاكلهما وضعتهما تحت سلطان الحليفة الكبرى ، وفى معارضتها احتمال لمخاطر لاتستطيعان احتمالها وقتذاك .

لجم عن أسلوب التواطؤ والخديعة رد فعل شديد من جانب الولايات المتحدة ، تجسد فى المعارضة السافرة لاستخدام القوة ضد مصر .

وبذلك لم تكن المملكة المتحدة أو فرنسا فى مركز ، يسمح لهما بالتحرك العسكرى من مركز قوة لاستعادة وضعهما فى الشرق الأوسط ، ثم جاء تواطؤهما مع إسرائيل مثيراً لاستهجان الرأى العام ، وغضب القوتين العظميين ، وشجب دول عدم الانحياز فلم يكن باستطاعة مخطط التواطؤ -والحالة هذه - أن يصل إلى غايته .

ثم إن فترة الثلاثة الشهور - ما بين تأميم شركة قناة السويس ووقوع العدوان ، بما تخللها من مناورات سياسية وتكتل من جانب مجموعة عدم الانحياز منذ مؤتمر باندونج ، إضافة إلى التقارب السياسى الذى ظهر بين شعوب العالم الثالث فى تلك الفترة - أثمرت فى قيام جبهة من الرأى العام العالمى ، ترفض منطق القوة ، وتقاومه بكل إصرار .

إذن لم تكن القوة بمصادرها المختلفة إلى جانب المعتدين الثلاثة ، كما لم يستميلوا الرأى العام العالمى لقبول ما اعتزموه من عدوان على مصر .

وقد ظهرت بوادر ذلك فى انتقال أزمة تأميم شركة قناة السويس إلى قاعات الأمم المتحدة ؛ حيث تتضح داخل تلك المنظمة الدولية الصورة الحقيقية لمعايير القوة ، ودرجة التجاوب مع القضايا الساخنة .

فلم يكن موقف الاتحاد السوفيتى من إدانة العدوان محلاً لشك ، كما أصبحت كل التكهنات حول معارضة الولايات المتحدة لاستخدام القوة ، حقيقة سافرة فى موقف شديد الوضوح . وإذا كان موقف أقوى دولتين فى العالم قد تبلور على هذا النحو ، فإن الضمير العالمى بمعناه الواسع ، يكون قد تحرر من الضغوط التى تكبله ، أو القيود التى تفرض عليه ؛ فيعبر عن نفسه فى حرية كاملة تستند إلى الحق والعدل .

ولذلك لم يتطلب الأمر من واشنطن كثيراً من التفكير ؛ لتطلب يوم ٢٩ أكتوبر سرعة عقد مجلس الأمن ، لبحث توغل القوات المسلحة الإسرائيلية فى الأراضى المصرية ، وخرقها بذلك اتفاقية الهدنة المعقودة بين البلدين فى مارس ١٩٤٩ .

وبين ٢٩ و ٣٠ أكتوبر ، كانت المداولات والاتصالات بين العواصم المختلفة تأخذ أشكالا متباينة .. فأبا إيبان سفير إسرائيل فى واشنطن ، يحاول أن يقنع وليم راونترى ، مساعد وكيل الخارجية الأمريكية ، بأن الهدف هو تطهير سيناء وغزة من أوكار الفدائيين ... وراونترى يرد عليه .... إن الوضع سبق أن هدأ منذ بضعة أسابيع ، وأن الولايات المتحدة الأمريكية ترى أن إسرائيل مدانة فى هذه المرة بالعدوان الصارخ ، كما يزعجها الأسلوب الأنجلوفرنسى حيال هذا العدوان ، بما يدفع واشنطن إلى الوقوف فى جانب واحد مع الاتحاد السوفيتى .

وبعث السفير الدكتور احمد حسين من واشنطن إلى الدكتور محمود فوزى بالقاهرة يخطره بأن الولايات المتحدة توكد موقفها ضد العدوان ، وأنها تنوى شجبه ومعارضته فى مجلس الأمن [١] .

وفى القاهرة طلب السير همفرى تريفليان سفير المملكة المتحدة مقابلة الدكتور محمود فوزى وزير الخارجية المصرية ؛ حيث قام السفير بإبلاغة أسف حكومته إزاء هجوم إسرائيل " الذى لا مبرر له ، والذى ينذر بعواقب وخيمة . ثم أضاف السفير أرجو إخطارى إذا كنتم تقبلون وقف إطلاق النار" [٢] .

انعقاد مجلس الأمن :

عقد مجلس الأمن - بناء على طلب الولايات المتحدة - ثلاث جلسات فى ٣٠ أكتوبر ١٩٥٦ ، وانتهى بعد سقوط مشروع القرار الأمريكى بسبب الفيتو الأنجلوفرنسى إلى الموافقة بأغلبية الأصوات على المشروع اليوغوسلافى ، بدعوة الجمعية العمومية إلى دورة طارئة (غير عادية) ، عملاً بقرار الجمعية العمومية فى ٣ نوفمبر ١٩٥٠ ، الخاص بالاتحاد من أجل السلام .



وعقد المجلس مرة أخرى فى السادس من نوفمبر ١٩٥٦ ، بناء على طلب الاتحاد السوفيتى إرسال قوات سوفيتية وأمريكية ؛ لمساعدة مصر ، إذا امتنعت الدول الثلاث المعتدية عن تنفيذ القرار الذى يقضى بوقف إطلاق النار والانسحاب . وقد رفضت أغلبية المجلس إدراج هذا الطلب فى جدول الأعمال حيث اعترضت عليه كل من الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وأستراليا وبلجيكا وفرنسا ، بينما وافقت عليه يوغوسلافيا وإيران والاتحاد السوفيتى (٣) .

المشروع الأمريكى المقدم لمجلس الأمن فى ٣٠ اكتوبر ١٩٥٦ :

- طالب مصر وإسرائيل بوقف إطلاق النار ، وسحب القوات الإسرائيلية خلف خطوط الهدنة والحدود الدولية .
- ناشد أعضاء المجلس بأن تمتنع حكوماتهم عن تقديم المساعدة لإسرائيل ؛ سواء عسكريا أو اقتصاديا ، طالما أصرت على عدم تنفيذ هذا القرار .
- تكليف السكرتير العام بأن يتقدم بمقترحات وتوصيات ، تكفل تحقيق السلام والأمن . ولأول مرة فى تاريخ الأمم المتحدة ، يسقط اقتراح للولايات المتحدة بالفيتو من حليفتيها المملكة المتحدة وفرنسا .

والواقع أن المشروع الأمريكى تضمن فى لغة صريحة وعبارات شديدة - إدانة العدوان

الإسرائيلى ، وبعد أن أكد بأن إسرائيل خرقت اتفاقيات الهدنة ، طالبها بأن تسحب قواتها المسلحة على الفور إلى ما وراء خط الهدنة والحدود الدولية ، فإن امتنعت عن ذلك . . فسوف تتعرض لغرض العقوبات الاقتصادية عليها ، ويوضح هذا المشروع إلى أى مدى كانت الولايات المتحدة تقف ضد العدوان(٤) .

وبين انتهاء الجلسة الصباحية وانعقاد جلسة المساء ، دارت مناورات بين كواليس الأمم المتحدة . . حيث استمرت المملكة المتحدة وفرنسا ، تحاولان منع صدور أى قرار من مجلس الأمن ، حتى يستمر العدوان ، ويصبح للإنذار بعض القيمة التى تبرر تنفيذ خطتهما . ولما طلب ديكسون مندوب المملكة المتحدة من كابوت لودج مندوب الولايات المتحدة عدم الإصرار على التصويت على المشروع الأمريكى ، رفض لودج (٥) .

وفى جلسة المساء ، تكلم لودج ففضح المخطط الأنجلوفرنسى (وكان الإنذار قد وجه لمصر) وذكر أنه إذا وافق المجلس على مشروع القرار . . فإنه يتصدى بذلك للموقف الذى خلقه العدوان الإسرائيلى على مصر . . كما أن مبررات الإنذار الذى وجهته المملكة المتحدة وفرنسا لمصر تكون قد زالت . . ولذلك ينبغى الموافقة على المشروع دون تأخير ، ثم أعقبه سوبولوف المندوب السوفيتى ، وأعلن موافقته على المشروع الأمريكى . وحاول ديكسون أن يؤجل التصويت بالربط بين الموقف العسكرى والملاحة فى قناة السويس ، كما حاول تبرير الإنذار ، وكرر هو وكورنو مندوب فرنسا محاولة إقناع لودج بتأجيل أخذ الأصوات على المشروع ، إلا أنه تجاهلهما تماماً ، ولم يكن ذلك موقف لودج وحده ، بل شاركه جميع أعضاء مجلس الأمن - باستثناء مندوب أستراليا - الذين اتخذوا نفس المسلك مع المندوبين الدائمين للمملكة المتحدة وفرنسا ، حتى أصبحت عزلتهما داخل مبنى الأمم المتحدة صورة لواقع العزلة الدولية ، التى فرضتها عليهما دول العالم أجمع(٦) .

ثم قامت المملكة المتحدة وفرنسا بمناورة جديدة ؛ إذ طلبتا إدخال تعديل على المشروع " يطلب من مصر وإسرائيل وقف إطلاق النار " ، ولم يعترض أحد على هذا التعديل الشكلى ، كما لم ير السفير عمر لطفى ، مندوب مصر ، أن مثل هذا التعديل يستوجب عرقلة الوصول إلى قرار ، وأنه من الضرورى تفويت الغرض الذى يسعى إليه بيرسون وكورنو لتأجيل أو عرقلة التصويت .

ثم أثرى المندوب السوفيتى يطلب التصويت الفورى ، فبدأت العملية التى اعترضت عليها المملكة المتحدة وفرنسا ، بينما امتنعت أستراليا وبلجيكا عن التصويت ، ووافق بقية أعضاء المجلس ، ثم سقط المشروع بسبب الفيتو الأنجلوفرنسى ٠

وعندما أدخل مندوب الصين الوطنية تعديلاً على المشروع ، مماثلاً للتعديل الذى أدخل على المشروع الأمريكى بالنص على مطالبة " مصر وإسرائيل " ، باحترام وقف إطلاق النار ، طلب مندوب فرنسا تأجيل الجلسة ، ووافق المجلس على التأجيل حتى التاسعة مساء نفس اليوم ٠

وقبل انعقاد الجلسة ٠٠٠ أدخل المندوب السوفيتى تعديلاً آخر على المشروع ، يقضى بأن " تقبل كل الأطراف " وقف إطلاق النار ٠٠ وكان واضحا الهدف من هذا التعديل ، وأبقى النص " مصر واسرائيل " لتفويت الفرصة على أية محاولة جديدة ؛ لتأجيل التصويت على المشروع ٠

وقبل أن يتم التصويت ، تقدم مندوب مصر بطلب إلى المجلس لإدراج موضوع الإنذار الأنجلوفرنسى فى جدول الأعمال ، وطلب من المجلس اتخاذ إجراء إزاء هذا الموقف الجديد [٧] .

ولما أخذت الأصوات على المشروع السوفيتى ، وافقت عليه سبع دول ، وامتنعت بلجيكا والولايات المتحدة عن التصويت ، واعترضت المملكة المتحدة وفرنسا واستخدمتا حق الفيتو ، فسقط بذلك المشروع [٨] .

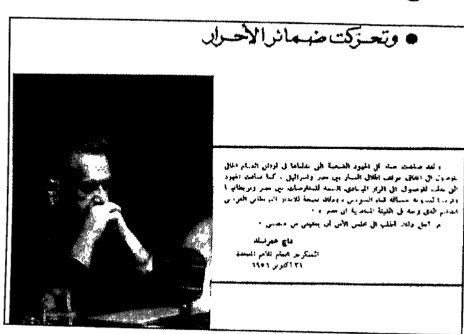
ودارت مداولات سريعة لمواجهة الموقف المترتب على الفيتو الأنجلوفرنسى ، وأصبح للزمن قيمته ، والمندوبان السوفيتى واليوغوسلافى ينبهان المجلس إلى أن المدة الباقية على تنفيذ الإنذار الانجلوفرنسى لم تعبر أو تتجاوز ثلاث أو أربع ساعات فقط[٩] .

وخلال المشاورات العاجلة التى قام بها همرشولد خارج قاعة الجلسة ، طرح على السفير عمر لطفى فكرة وإحالة القضية إلى الجمعية العمومية ؛ لتنعقد فى دورة طارئة تنفيذًا لقرارها رقم ٣٧٧ فى الدورة الخامسة " بالاتحاد فى سبيل السلام " ، ولما وافقه السفير عمر لطفى ، اتصل بمندوب يوغوسلافيا الذى أيد الفكرة على الفور ، كما اتصل عمر لطفى من جانبه بسوبولوف ، الذى كان يعد مشروعا شديد اللهجة ضد العدوان الأنجلوفرنسى ، وبعد أن تناقشا فى الموقف واحتمالاته ، وافق سوبولوف على إحالة القضية إلى الجمعية

العمومية ، بالرغم من معارضة الكرملين السابقه لقرار " الاتحاد من أجل السلام " الذى كان قد صدر أثناء الحرب الكورية[١٠] .

وقابل السفير عمر لطفى كابوت لودج ، فوعده بالحصول على موافقة واشنطن على هذه الفكرة . وبناء على ذلك وقبل أن تختتم الجلسة ، تقدم مندوب يوغوسلافيا باقتراح دعوة الجمعية العمومية فى دورة استثنائية من أجل السلام ، ثم أجلت الجلسة إلى صباح اليوم التالى ٣١ أكتوبر[١١] .

وفاجأ المستر همر شولد أعضاء مجلس الأمن ، عند نهاية جلسة مساء ٣٠ أكتوبر ، بالاستقالة احتجاجا على موقف المملكة المتحدة وفرنسا . وفى نفس المساء اتصلت كافة الوفود بهمرشولد لتقنعه بالعدول عن تلك الاستقالة ، التى قبل أخيرًا أن يسحبها على أن يدلى ببيان ، يوضح موقفه فى بداية جلسة مجلس الأمن صباح ٣١ أكتوبر .


● وتحركت ضمائر الأحرار

داج همرشولد
السكرتير العام للأمم المتحدة
٣١ أكتوبر ١٩٥٦

وبمجرد أن عدل همرشولد عن الاستقالة ، عاود الاتصال بأعضاء مجلس الأمن والسفير عمر لطفى ؛ ليضمن الحصول على الأصوات السبعة اللازمة ليصدر المجلس قراره ، ولم يكتف همرشولد بذلك ، بل عمل فى نفس الليلة على الإعداد لانعقاد الجمعية العمومية ، التى انبرت السكرتارية فى التحضير لأول جلسة لها ، فيما لا يتجاوز ٢٤ ساعة من صدور قرار مجلس الأمن ، وكما تقضى لائحة الإجراءات بذلك[١٢] .

وقبل انعقاد مجلس الأمن ، كانت مصر قد أبلغت المجلس بأنه فى الساعة الخامسة والربع من بعد ظهر يوم ٣١ أكتوبر ، بدأ الهجوم الأنجلوفرنسى على الأراضى المصرية . وعندما بدأت الجلسة طرح مشروع القرار اليوغوسلافى للتصويت ، وافقت عليه سبع دول ، هى : الصين ، وكوريا ، وإيران ، وبيرو ، والاتحاد السوفيتى ، والولايات المتحدة ، ويوغوسلافيا بينما اعترضت عليه المملكة المتحدة وفرنسا ، وامتنعت بلجيكا وأستراليا عن التصويت . وبذلك وافق المجلس على المشروع - باعتباره إجرائيًا - ولم يكن للاعتراض البريطانى - الفرنسى أى أثر فى عرقلته (١٣) .

وبمجرد صدور القرار أرسل السفير عمر لطفى برقية الى الرئيس عبد الناصر ، يخطره فيها بالنصر الكبير ، الذى أحرزته مصر ضد المملكة المتحدة وفرنسا فى مجلس الأمن (١٤) .

وبفضل جهود مندوب مصر الدائم لدى الأمم المتحدة ، فشل التكتيك الأنجلوفرنسى فى أن يبقى القضية ، تتوالى عليها الأيام فى مجلس الأمن ، دون أن يصدر شأنها أى قرار ، بينما الوقت يمر فى صالح المعتدى ، وضد مصلحة مصر الدولة المعتدى عليها .

بل لم يكن يدور فى مخيلة مندوب المملكة المتحدة أو فرنسا أن هذه الخطوة سوف تتخذ ؛ إذ كانت مفاجأة لهما . ثم إن مثل هذا القرار الذى اتحدت فيه إرادة الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، له وزنه وتأثيره فى تصور شكل الصراع ، والمعركة السياسية التى ستنشب مستقبلاً فى الجمعية العمومية فى دورتها الاستثنائية . كما أن الاتحاد السوفيتى بموافقته على القرار ، إنما اتخذ موقفًا يتعارض مع كل ما أعلنه من قبل من رفض مشروع "الاتحاد نحو السلام ، "واعتباره مناقضا لروح الميثاق ؛ مما جعل تلك الموافقة كسبًا كبيرًا لمصر .

ثم إن إحالة القضية إلى الجمعية العامة ، سوف تفتح الأبواب على مصاريعها لممارسة ضغط الرأى العام العالمى على المعتدين ، وينقل إلى الجمعية العمومية مسئولية اتخاذ إجراءات حفظ السلام والأمن الدوليين ، وبالتالى يعطى سكرتيرها العام صلاحيات واسعة ، تسمح له بدور كبير فى شحن أعضاء الأمم المتحدة ضد المعتدين .

وفضلاً عما تقدم . . فإن اتخاذ موقف دولى معارض للعدوان على مصر ، يعتبر - فى حد ذاته - هزيمة سياسية للقائمين به ، بما يؤثر حتمًا على خططهم العسكرية ، التى بدأت

فى نفس الوقت الذى اتخذ فيه مجلس الأمن قرار إحالة القضية الى الجمعية العمومية . وبعبارة أخرى .. لم يعد أمام المعتدين فترة تنفس ؛ لتحقيق أغراضهم العدوانية ، بل وقعوا منذ البداية تحت ضغط سياسى شديد ، لم يكونوا يتوقعوه .

وخلال الفترة من ٣١ أكتوبر الى أول نوفمبر ، نشطت المداولات ، واجتمع السفير عمر لطفى مع كل من مندوبى المجموعات اللاتينية والآسيوية والأفريقية والإسكندنافية لتحديد خطة العمل . وتلقى تأكيدات منهم بعزمعهم على إلقاء بيانات ، تؤيد قرار مجلس الأمن (١٥) .

وهكذا اطمأنت القاهرة الى فوزها بتأييد عام وشامل من مختلف الوفود ، فانكبت على معالجة العدوان فى مجالين كالآتى :

المجال الأول : تفويت الفرصة على دول العدوان ؛ لتحقيق أهدافهم ، أو العمل على كسب الوقت لتحقيق أهداف المعتدين ، والعمل على تفريغ قرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن من شروطها الملزمة بالتنفيذ الفورى

المجال الثانى : استغلال الظروف الدولية لأقصى حد ممكن ؛ لإدانة العدوان والعمل على سرعة انسحابه .

ولتحقيق ذلك ، اتخذ الرئيس عبد الناصر قراره الأول ليلة ٣١ أكتوبر ، بإنسحاب القوات من سيناء - برغم معارضة القائد العام اللواء محمد عبد الحكيم عامر - وتدعيم جبهة القناة لمواجهة العدوان المتوقع عليها وعلى المدن والأهداف المصرية .

أما قراره الثانى .. فكان التحرك السياسى والدعائى على المستوى العالمى لفضح العدوان ، وتأليب الرأى العام ضده وإثارته بالقدر ، الذى يجعله يضغط بكل قوة لانسحابه الفورى .

وفى أول نوفمبر ، عقد اجتماع بين دالاس وايدن فى مكتب رئيس الوزراء البريطانى ؛ حيث أبلغ دالاس أنه تلقى لتوه مكالمة تليفونية من القدس نصها " لقد أحرزنا نصراً كاملاً " وبدت على دالاس أمارات الدهشة والقلق ، وكان دالاس يعلم أن الخبر صحيح ، رغم زعم الرئيس عبد الناصر بأن قواته قد أبادت جيش إسرائيل وسلاحها الجوى فى ٣٠ أكتوبر . وسأل دالاس إيدن : ولكن هل تعتزمون البقاء فى شبه جزيرة سيناء ؟ أنت تعلم

أن هذا سيؤثر علـى علاقاتنا ، ولن نستطيع أن نـستمر فى تقديم المعونة الاقـتصادية لكم ، وكل أنواع المساعـدات الأخرى التى تحصلون علـيها . ورد عليه إيدن بأنـه وقع حدث أكثر أهمية نـتيجة هذا النصـر الكامل ؛ فتلك هـى المرة الأولى التى يتـم فيها مقاومة دكـتاتورية عدوانية ، وبفضل النصر الذى أحرزته إسرائيـل . . سوف يفقد عبد الناصر كل مصداقية ، وستحل محله حكومة معتدلة . ومن المحـتمل أن تقدر إسرائيل وبعض الدول الأخرى على إقرار السلام فى الشرق الأوسط وأن يتقلص نفوذ الاتحـاد السوفيتى فى مصر ، كما أن نصر إسرائيل قد يؤدى إلى تغيير كلى فى الخريطة السياسية .

وأجاب دالاس بأنه ليس هناك أسعد منه بضرب مـصر وعبد الناصر ، فهو منذ الربيع الماضى لديه سبـب وجيه لكراهيته . . إلا أنه مجـبر على العودة إلى تأييد الـقانون الدولى والميثاق، وأنه إذا لم ينسحب الغزاة ويرجعوا خلف الحدود. . فإن همرشولد سيستقيل [١٦].

الجمعية العمومية :

انعقدت الجمعية الـعمومية للأمم المتحدة ، بناء على الاقتراح الـيوغوسلافى الذى أقرته غالبية أعضاء مجلس الأمـن - فى دورتها الاستثنائية الـطارئة ابتداء من ١ حتى ١٠ نوفمبر سنة ١٩٥٦ - وأتخذت خلال هذه الدورة الاستثنائية سبعة قرارات . ثم اجتمعت فى دورتها العادية ابتداء من ١٢ نوفمبر ١٩٥٦ ، واتخذت فى ٢٤ نوفمبر ١٩٥٦ ، قرارين : أحدهما خاص بانسحاب القوات المعـتدية ، وثانيهما خاص بتطهير قناة السويـس ، وفتحها للملاحة العالمية . كما قدم السكرتير العام إلى الجمعية العمومية مجموعة من التقارير .

وكان التساؤل عندما بدأت الجمعية الـعمومية اجتماعها ، يوم أول نوفمبر ١٩٥٦ الساعة الخامسة والـنصف مساءً بتـوقيت نيويورك ، هـو : ما الذى يجب أن تقـرره الدول الإحدى والسبعين المجـتمعة فى هذه القاعة ؟ ومـا الذى يجب أن يتخذ من قرارات لمـواجهة العدوان الإسرائيلى ، الـذى يواصل تقدمه صوب قناة الـسويس ، بعد انسحاب القـوات المصرية من سيناء ؟وكيف تواجه الهجوم الجـوى الأنجلـوفرنسـى الـذى تتعـرض لـــه المدن والمطــارات المصريــة ليل نهار ؟

وبمجـرد أن افتتح داج هـمرشولد الجلسة ، دعا مندوب شيلى لـيرأسها ، وبعد إقرار جدول الأعمال " وهو المسألة التى بحـثها مجلـس الأمن فى اجتمـاعه يوم ٣٠ أكـتوبر "

صوتت الجمعية العمومية بأغلبية ٦٢ ضد ٢ (المملكة المتحدة - وفرنسا) ، وامتنع ٧ عن التصويت على جدول الأعمال ، كان من ضمنهم إسرائيل [١٧] .

القرار الأول للجمعية العمومية ، الصادر فى جلسة ٢ نوفمبر ١٩٥٦ ، الذى تقدمت بمشروعه الولايات المتحدة :

كانت الحالة النفسية لأعضاء الجمعية العمومية يسودها التوتر ، وتتردد بينهم الشائعات التى يختلقها المندوبون داخل الكواليس . وفى هذا الجو المشحون ، تقدمت الولايات المتحدة بمشروع قرار للجمعية العمومية بوقف إطلاق النار فى الشرق الأوسط من جميع الأطراف ، وانسحاب القوات الإسرائيلية إلى ماوراء خطوط الحدود وخط الهدنة ، ومنع إرسال العتاد الحربى إلى المنطقة ، مع اتخاذ الإجراءات اللازمة ؛ لإعادة فتح القناة وضمان حرية الملاحة فيها[١٨] .

وينسجم كل ذلك مع مشروع القرار الأمريكى ، الذى سبق تقديمه لمجلس الأمن ، باستثناء ماورد هنا ، فيما يتصل بمنع إرسال العتاد الحربى إلى دول المنطقة ؛ نظراً لتغير الظروف ، واشتراك المملكة المتحدة وفرنسا فى الأعمال الحربية . وكان فى هذا ما قد يقطع الطريق على مصر ، بل وعلى غيرها من الدول العربية ، إذا حاولت الحصول على عتاد حربى من دول معينة ؛ باتهامها أنها خالفت قرارات الأمم المتحدة .

كما كان مشروع القرار الجديد ينص على ضرورة العمل ، على إعادة فتح القناة ، وضمان حرية الملاحة فيها بمجرد تنفيذ قرار وقف إطلاق النار ، ودون انتظار انسحاب القوات المعتدية[١٩] .

وكان دافع الولايات المتحدة إلى تقديم مشروع القرار ما لمسته من أخطار تهدد السلام العالمى ، ولخشيتها من أن تتقدم المجموعة الأفروآسيوية بمشروع قرار ، يزيد الوضع تعقيداً وحرجاً .

بل إن دالاس استطرد مؤكداً أن سبب الإسراع فى تقديم مشروع القرار الأمريكى ، يعود فى حقيقته إلى الوضع المتردى فى المجر ؛ فلولا الهجوم الانجلوفرنسى على مصر ، لكانت الولايات المتحدة الآن فى حالة تصادم مع الاتحاد السوفيتى . وقد كشف ذلك عن مصدر قلق الولايات المتحدة من خشية اندلاع حرب عالمية ثالثة ، أو الخوف من ثورة العالم

الثالث على تقاعس الولايات المتحدة . كما تبدو أيضاً الحسرة على الفرصة التى أضاعها العدوان على الولايات المتحدة. بفتح جبهة فى المجر تسبب للاتحاد السوفيتى الحرج الشديد .

والواقع أنه عندما وصل " دالاس " إلى الأمم المتحدة ، كانت الوفود قد أجمعت تقريباً على وقوع عدوان على مصر ، يستدعى سرعة صدور قرار بوقف إطلاق النار وانسحاب القوات المعتدية . إلا أن الموقف الأمريكى لم يطالب بإدانة المعتدين بصراحة كافية .

ومع ذلك .. فقد كان المشروع الأمريكى أفضل ما يمكن أن يواجه به العدوان سياسياً؛ ولذلك قام الوفد المصرى بإبلاغ الوفد الأمريكى بموافقته عليه ، بينما كان مندوب الهند يطالب بإدانة أكثر صراحة للعدوان الثلاثى ، إلا أن مصر كان يهمها بدرجة أشد سرعة وقف العدوان عن التمادى فى زحفه داخل الأراضى المصرية .

وبينما كانت الجمعية العمومية تستمع إلى كلمة « جون فوستر دالاس » ، وهو يقدم المشروع الأمريكى ، كانت الغارات مستمرة على القاهرة والقوات المصرية تقف صامدة فى « أبو عويقيلة » لحماية الانسحاب الشامل من سيناء .

وظلت وزارة الخارجية المصرية طيلة تلك الليلة تستمع إلى الأخبار من مقر الأمم المتحدة ؛ انتظاراً للتصويت الذى أذيعت نتائجه فى الساعة التاسعة مساء بتوقيت نيويورك ، الرابعة صباح يوم ٢ نوفمبر فى القاهرة ، بالموافقة على المشروع الأمريكى ، بأغلبية ٦٤ صوتاً ضد ٥ أصوات ، هى (إسرائيل - أستراليا - فرنسا -المملكة المتحدة - نيوزيلندا) ، وامتناع ٦ دول عن التصويت من بينها كندا .

وفى صباح ٢ نوفمبر ، طلبت القاهرة من السفير عمر لطفى إبلاغ همر شولد قبول مصر قرار الجمعية العمومية ، وأنه "من المفهوم ضمناً أن مصر لن تستطيع تنفيذ القرار من جانبها ، وحدها إذا استمرت القوات المغيرة فى عدوانها "[٢٠] .



رالف بانش

وفى ٣ نوفمبر ، اجتمعت الجمعية العمومية ؛ حيث أعلن همر شولد فى بداية الجلسة موافقة الحكومة المصرية على وقف إطلاق النار ، مع الاحتفاظ بحقها فى عدم تنفيذ أحكامه إذا ظلت القوات المهاجمة توالى عدوانها . ثم شكل همرشولد لجنة ثلاثية ؛ لمراقبة تنفيذ وقف إطلاق النار ، ضمّت المستر رالف بانش مساعد السكرتير العام ، وإيليا تشير ليشيف مساعد السكرتير العام ، وقسطنطين ستا فرو بولوس المستشار القانونى للأمم المتحدة .

وكانت القوات المصرية ، وقتئذ قد أتمت انسحابها من شبه جزيرة سيناء وقطاع غزة ونقلت جهدها الرئيسى فى الدفاع إلى الضفة الغربية للقناة . وكشفت القيادة المصرية للشعب فى مصر وللعالم العربى والرأى العام العالمى خطط العدوان المتشابكة ، كما أعلن الرئيس عبد الناصر - من فوق منبر الجامع الازهر - أنه سوف يحارب ، ولن يستسلم أبدًا وكانت لهذه الكلمة أثر كبير فى العالم العربى والشعوب الأفرو آسيوية وأمريكا الجنوبية . وبدلاً من أن يحطم العدوان معنويات شعب مصر وزعامته ، أثار همتهم ورفعها إلى عنان السماء. وعاشت مصر والعرب أمجد أيام القرن العشرين .

وفى أعقاب احتلال إسرائيل قطاع غزة ، أبرقت وزارة الخارجية المصرية فى ٣ نوفمبر إلى السفير عمر لطفى ، تطلب منه الاتصال بهمر شولد ؛ لاتخاذ ما يراه من إجراءات لخدمة مصالح سكان قطاع غزة ، وصيانة حقوقهم التى يكفلها القانون الدولى العام[٢١] . وكان مقصد مصر من ذلك أن تستمر وكالة غوث اللاجئين فى القيام بمسئولياتها كاملة ، تحت الظروف التى استمرت باحتلال إسرائيل للقطاع .

ولم تنقطع البرقيات بين الخارجية المصرية ، ومكتب المندوب المصرى الدائم بالأمم المتحدة ، بل زادت سرعة وتلاحقًا . ففى نفس الثالث من نوفمبر ١٩٥٦ ، تلقت وزارة الخارجية المصرية برقية من السفير عمر لطفى ، تفيد أن ممثل الهند اتصل به ، واقترح أن تعلن موافقتها، على أن تؤلف الأمم المتحدة قوة بوليسية أمريكية ، تعاونها لجنة مراقبة مكونة من ثلاث دول، هى : تشيكوسلوفاكيا ، وكندا ، وإحدى دول آسيا (الهند مثلا) ، وذكر مندوب الهند أنه عرض هذه الفكره على همر شولد فرحب بها ، وقال إن من مصلحة مصر قبولها فى الحال ، وإن كان يعتقد أن إسرائيل ستعارضها[٢٢] .

وعلى أثر ذلك ، اجتمع السفير عمر لطفى بالمندوب الأمريكى كابوت لودج ، حيث أبلغه أن اقتراح الهند محل دراسة واشنطن وأنهم يفكرون فى أن تشترك كندا معهم .

وبناء علي ذلك، اجتمع السفيرعمر لطفى بمندوب الهند ، الذى أخطره بميل الولايات المتحدة إلى أن تشترك مع دولته ، دولة أخرى مثل كندا . وهكذا تأكد السفير لطفى مما سبق أن صرح به المندوب الأمريكى [٢٣] .

وظهر من مجمل المداولات التى دارت حول تلك الفكرة ، أن هناك اتجاها جادًا لإنشاء قوة طوارئ الأمم المتحدة ، وإن ظل المستر ليستر بيرسون ، وزير خارجية كندا ، يجرى بعض المشاركات ، بشأنها قبل اجتماع الجمعية العمومية فى أول نوفمبر ١٩٥٦ .



« إقترح المستر ليستر بيرسون
إنشاء قوة طوارئ الأمم المتحدة »

وبمجرد أن علمت القاهرة بهذا الاتجاه ، تمكنت من تحديد موقفها وسط التطورات السريعة والمتلاحقة للأحداث فى كل من مسرح الحرب بشبه جزيرة سيناء وقناة السويس ، والمعترك السياسى بالأمم المتحدة [٢٤] .

القرار الثانى للجمعية العمومية

ثم تتابعت قرارات الجمعية العمومية للأمم المتحدة ، بدءا بالقرار الثانى ، الصادر بجلسة ٤ نوفمبر ، الذى قضى باحتضان المشروع الكندى ، وتكليف سكرتير عام الأمم المتحدة بتقديم مشروع خلال ٤٨ ساعة ، بإنشاء قوة طوارئ للأمم المتحدة ، توافق عليه الأطراف المعنية ، بهدف مراقبة وقف الأعمال الحربية فى مسرح الحرب ؛ تنفيذاً لقرار الجمعية العمومية ، السابق صدوره فى جلسة ٢ نوفمبر ١٩٥٦ [٢٥] .

مشروع القرار الثالث المقدم من المجموعة الأفروآسيوية

ولم يأت مشروع القرار الثالث ، الذى تقدمت به مجموعة الدول الأفروآسيوية فى ٤ نوفمبر بجديد .[٢٦] وفى اليوم التالى مباشرة ، تقدمت كل من كندا وكولومبيا والنرويج

بمشروع مكمـل للقرار الثانى ، السابق صـدوره بجلسة ٤ نوفمبر ، وقد تضـمّن إنشاء قيادة لقوات طوارئ الأمم المتحدة ، على أن يتولـى الجنرال الكندى إيـدسون بيرنز مسؤولـياتها واختـصاصاتها فى مراقبة وقف العـمليات الحربية بالمسرح ؛ وفـقاً لفقرات قرار ٢ نوفمبر ، على أن يختـار معاونيه من بين ضباط مراقـبة الهدنة الدائمين ، والذين لا يـنتمون لأى من الدول الخمس الدائمة بمجلس الأمن (٢٧) .



وتعيّن الجنرال الكندى إيدسون بيرنز لمراقبة وقف العمليات فى المسرح

وكان السفير عمر لطفى قد أكد على همر شولد ضرورة استبعاد الدول المعتدية من قائمة الدول ، التى سوف تدعى للاشتراك فى قوة طوارئ الأمم المتحدة ، وهو ما صادف قبولاً من همر شولد الذى طمأنـه إلى أنها مستبعدة أصلاً . وزيادة فى الاطمئنـان ، طلب عمر لطفى من مندوب الهـند ، وبعض المندوبين الآخرين ، أن يـشترطوا ذلك فيما سوف يـلقونه أمام الجمعية العمومية من بيانات (٢٨) .

وقبل أن تنفض الجلسة ليلة ٤/ ٥ نوفمبر ، طـلب وزيرا خارجية المملكة المتحدة وفرنسا التأجيل حـتى الساعة الخامسة فجراً ؛ لإجـراء بعض المشاورات ؛ مما أضطر السكـرتير العام إلى تأجيل الإدلاء بتقريره ، حتى الساعة السابعة مساء يوم ٦ نوفمبر (٢٩) .

تقرير السكرتير العام

وقد تناول هذا التقرير حق قائد قوة طوارىء الأمم المـتحدة فى اختيار معاونية من ضباط مراقبة الهدنة ، من غير الدول الأعضاء الدائمـين فى مجلس الأمن ، إلى جانب التنويه بأن هذه القوات ذات صفة مـؤقتة ، تتوقف مدتها علـى انتهاء المهام المحددة لها ، والمتـرتبة على النزاع الحالى فى الشرق الأوسط .

كما أشار أيضًا إلى أن أعمـــال قـــوة طوارئ الأمـــم المتحدة ، تـخضـــع لموافقة الأطراف المعنية ، وتختـلف وظيفتها عـــن وظيفـــة مراقبة الهدنة (٣٠) .

كما تعرض التقرير لمسائل حجم القوة وتكوينـها وتمويلها ومسؤولياتها ، إبتداءً من قناة السويس ، حتى خط الحدود الدولية والهدنة ، مع إقتـــراح إنشـاء لجنـة إستشاريـة لبحث المسائـل الأخـــرى المترتبـــة علـى تكــوين تلك القـــوات ، والـتى لـم يتسـع الوقت أمـــام السكرتيـــر العـــام ليبحثها بالتفصيل (٣١) .

القرار الرابع والخامس

وخلال يوم ٧ نوفمبر ، صـــدر قراران عن الجمعية العمومية للأمم المـتحدة ، هما القرار الخامس الذى تـقدمت به كل من الأرجنتـين وبورما وسيلان ، والدانمرك وأكوادور وأثـيوبيا والسويد ؛ لتأييد واستكمال القـرارين السابقين رقمى ٣ و٤ ، وتقرير الـسكرتير العام ، وقد تناول طريقة تكوين قوات الطوارئ واللجنة الاسـتشارية ؛ بحيث تضم سبعة أعضاء ، بواقع عضو واحد من كـل من الهند وإيران وباكستان وكـندا وكولمبيا والبرازيل والنـرويج برئاسة سكرتير عام الأمم المتحدة ، على أن تكون مهامها كالآتى :(٣٢)

١ – تسهيل عمـل قوات طوارئ الأمم المتحدة ، ووضع تنظيـمها ، وأسلوب الإشراف عليـها ، وحل كل مـا قد يطرأ مـن أمور أخرى ، لم يـتناولهـا قرار الجمعـية العمومية أو السكرتير العام ، ولا تـدخل ضمن إختصاصات قائد قوات الطوارئ مباشرة .

٢ – مساعدة السكرتير العام فى كل المسؤوليـات الملقاة على عاتقه بمقتضى هذا القرار ، وأية قرارات أخرى تصدر فى المستقبل ، وتكون ذات صلة بنفس الموضوع .

٣ – الحق فـى أن تطلب ، وفـقاً للإجراءات المـعتادة ، أن تدعـو الجمعيـة العمومـية للاجتـماع ؛ للنظـر فيما تقـدمه من تقـارير خاصة بالمـسائل ، التى تحتاج إلى مناقشتها بصفة عاجلة .

القرار السادس

أمـا القرار الثانـى الذى صدر فى نفـس اليوم ، وهو الـقرار رقم ٦ ، فقد تقـدمت به

المجموعة الأفروآسيوية ، وقد دعا إسرائيل إلى الانسحاب خلف خطوط الهدنة والحدود الدولية ، كما دعا المملكة المتحدة وفرنسا إلى سحب قواتهما فوراً ، وطالب السكرتير العام بتقديم تقرير كل ٢٤ ساعة عن الموقف فى مسرح الحرب .

وقد اختلفت الآراء على المقصود بكلمة فوراً ، فيما يختص بانسحاب القوات الأنجلوفرنسية ، حيث فسرها البعض بأنها تعنى أنه بمجرد قبول مصر لقوات الطوارئ تنسحب تلك القوات ، بينما أكد البعض الآخر أن انسحاب القوات المعتدية غير مشروط .

كان يوم ٧ نوفمبر الذى صدر فيه قرارا الأمم المتحدة رقمى ٥و٦ سالفا الذكر ، هو نفس اليوم الذى توقفت فيه القوات الأنجلوفرنسية عن القتال ، بعد أن وصلت طلائعها إلى قرية الكاب جنوب بورسعيد .

تقرير السكرتير العام يوم ٢١ نوفمبر

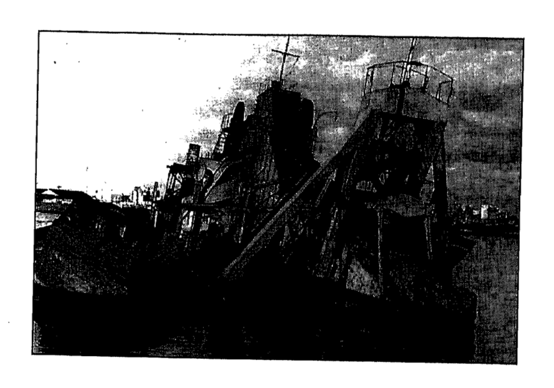
ونتيجة للهدوء الذى ران على مسرح الحرب ، هبط معدل صدور قرارات الجمعية العمومية وتقارير السكرتير العام ، الذى تقدم بتقريره الثالث بعد أسبوعين ؛ أى يوم ٢١ نوفمبر ، وأشار فيه إلى تبادل وجهات النظر مع حكومة مصر ، حول ما طلبته من إيضاحات فى قرارات الجمعية العمومية ، فيما يتعلق بخصائص ومهام قوات طوارئ الأمم المتحدة . وبعد أن وافقت اللجنة الاستشارية على التفسيرات التى اتفق عليها السكرتير العام مع حكومة مصر ، أوصت بالبدء فى إرسال القوات إلى المسرح ، رغم عدم قيام القوات الأنجلو فرنسية بتنفيذ أى قدر من الانسحاب ؛ لإفساح المجال لتلك القوات للعمل(٣٣) .

وقد أرفق المستر همرشولد بتقريره مفكرة بالنقاط الأساسية الخاصة بخصائص قوات طوارىء الأمم المتحدة ، ومهامها التى سبق التفاهم بشأنها مع مصر ، التى أبدت رغبتها فى استمرار التعاون معه فى تذليل النواحى العملية لقوات الطوارئ ، وأماكن تواجدها ، وخطوط مواصلاتها وأسلوب تموينها(٣٤) .

تقرير السكرتير العام الرابع

وفى نفس اليوم ، تقدم المستر همر شولد بتقريره الرابع عن تطهير قناة السويس

وإعدادها للملاحة ، وقد أشار إلى طلب حكومة مصر مساعدة الأمم المتحدة فى تطهير القناة من العوائق الموجودة بالمجرى الملاحى ، مع بدء العمل فور انسحاب القوات المعتدية من بورسعيد ومنطقة القناة ·



سد حطام السفن المجرى الملاحى بالقناة

وقد اقترح المستر همر شولد الترخيص له بعقد اتفاقيات مع مؤسسات هندسية ، تملك الخبرة العملية لاتمام تطهير القناة وفتحها للملاحة (٣٥) .

وبمجرد أن تلقى المستر همر شولد ، رد حكومتى المملكة المتحدة وفرنسا على أسئلته الخاصة بانسحاب قواتهما، قدم تقريره الخامس إلى الجمعية العمومية فى ٢٣ / ١١ / ١٩٥٦؛ موضحاً أن الحكومتين تريان أن قوات طوارئ الأمم المتحدة ، لا تزال فى طور التكوين ، وأنها فى مركز لا يتيح لها القيام بمهامها على الوجه الأكمل ، وحالما يتم ذلك .. فسوف تنسحب القوات الأنجلو فرنسية مع العلم بأنه قد تم فعلاً سحب جزء منها ·

أما موقف إسرائيل .. فقد أوضح السكرتير العام أنها أبدت استعدادها ؛ لسحب

قواتها فوراً لانتهاء ما أسمته اتخاذ " الترتيبات المرضية " ، التى طالبت بها مسبقاً ، مع مطالبتها بإيضاح سياسة مصر نحو الصلح معها . كما وعدت بإبداء رأيها بمجرد دراسة تقرير السكرتير العام (٣٦) .

ثم تقدمت الكتلة الأفروأسيوية بمشروع القرار الثانى فى ٢٤ نوفمبر ، بشأن انسحاب القوات الأنجلو فرنسية والإسرائيلية فوافقت عليه الجمعية العمومية بأغلبية ٦٣ صوتاً ، مع تسجيلها أنها تلاحظ باهتمام بالغ ان ثلثى القوات الفرنسية وكل القوات البريطانية لم تنسحب من مواقعها بعد ، وذلك على الرغم مما أذيع عن إتمام ترتيبات سحب فرقة كاملة .

وبالمثل ، فإن القوات الإسرائيلية لم تنسحب خلف خطوط الحدود الدولية والهدنة ، ولذا . . فإن الجمعية العمومية تعيد دعوة هذه الحكومات الثلاث إلى تنفيذ قراراتها فى ٢و٧ نوفمبر دون إبطاء ، كما تطلب من السكرتير العام إبلاغ قرارها هذا إلى الأطراف المعنية ، مع تقديم تقرير إلى الجمعية العمومية عن مدى تنفيذه (٣٧) .

كما صدر فى نفس اليوم القرار التاسع الذى تقدم به كل من مندوب كندا وكولومبيا والهند والنرويج ويوغوسلافيا والولايات المتحدة ، بشأن قوات طوارئ الأمم المتحدة ، وكذا تطهير قناة السويس . وقد وافقت عليه الجمعية العمومية ، كما وافقت على تقرير السكرتير العام بتاريخ ٢٣ نوفمبر الخاص بتطهير القناة ، ورخصت له باستطلاع الترتيبات التنفيذية والتفاوض لعقد الاتفاقيات ، بهدف سرعة تطهير القناة وفتحها للملاحة الدولية(٣٨) .

وفيما بين ٣ ديسمبر ١٩٥٦ - قبول المملكة المتحدة الإنسحاب من مصر، و٨ مارس ١٩٥٧ . اليوم التالى على انسحاب إسرائيل من قطاع غزة ، صدر تسعة تقارير من سكرتير عام الأمم المتحدة ، كما صدرت خمسة قرارات من الجمعية لعمومية بيانها كالآتى :

التقرير السادس لسكرتير عام الأمم المتحدة بتاريخ ٣ ديسمبر ١٩٥٦ :

وقد تضمن ما أبلغته إياه حكومتا المملكة المتحدة وفرنسا عن قبولهما الانسحاب من مصر (٣٩) .

التقرير السابع بتاريخ ٢١ ديسمبر

وقد بين السكرتير العام أن إسرائيل تحاول المماطلة في الانسحاب ، وأن قواتها تنسحب ببطء شديد ، تاركة وراءها الكثير من العقبات ؛ لمنع تقدم قوات طوارئ الأمم المتحدة . وبعد إلحاح شديد من السكرتير العام ، إعلنت إسرائيل عن اعتزامها الانسحاب على مرحلتين : تبدأ الأولى منها في الأسبوع أول من يناير ١٩٥٧ ، أما الثانية وهي العودة خلف خطوط الهدنة والحدود الدولية . . فلم تحدد ميعاد لها (٤٠) .

التقرير الثامن بتاريخ ١١ يناير ١٩٥٧

وقد سرد فيه السكرتير العام المراحل ، التي مرت بها عملية تطهير قناة السويس وفتحها للملاحة ، وما صدر بشأنها حتى ذلك اليوم من قرارات . وأوضح المستر همرشولد أنه يتعذر في الوقت الحالي تقدير تكلفة عملية التطهير ، وإن كان الوضع يتطلب إن تساهم الدول الأعضاء بصفة مبدئية في تكلفة المرحلة الأولى من العملية(٤١) .

وأرفق السكرتير العام بهذا التقرير ثلاثة ملاحق ، يختص الأول بسير عملية التطهير ومراحلها المختلفة والموارد اللازمة للتنفيذ ، ويختص الثاني باتفاقية الأمم المتحدة مع الحكومةالمصرية من عملية التطهير ، بينما تضمّن الثالث المذكرة التي أرسلها السكرتير العام إلى الدول الأعضاء ؛ لتقديم المبالغ اللازمة بصفة مؤقتة لعملية التطهير ، إلى أن يتم وضع مشروع كامل لها .

التقرير التاسع بتاريخ ١٥ يناير ١٩٥٧

وقد رفعه المستر همرشولد للجمعية العمومية ، ونوّه فيه عن عدم امتثال إسرائيل لقرارات الأمم المتحدة ، التي تقضي بإتمام انسحابها من شبة جزيرة سيناء ، عدا منطقة شرم الشيخ ، قبل ٢٢ يناير ١٩٥٧ ، وعدم ذكر أي انسحاب من قطاع غزة (٤٢) .

كما أشار هذا التقرير أيضا إلى الأهمية الدولية لخليج العقبة ، وضرورة كفالة حق المرور البرئ فيه طبقًا للقانون الدولي ، ثم ختم التقرير فقراته بالإشارة إلى الأهمية الكبرى لقوة طوارئ الأمم المتحدة كوسيلة لحل المشاكل المعلقة .

التقرير العاشر بتاريخ ١٩ يناير ١٩٥٧

تقدم به السكرتير العام تنفيذاً لقرارات الجمعية العمومية الصادرة فى ١٩يناير ١٩٥٧ ، ويعتبر على قدر كبير من الأهمية لما تضمنه من معلومات ، كان على رأسها عدم امتثال إسرائيل لقرارات الجمعية العمومية ، فضلاً عن التأكيد على رفض إدخال أية تغييرات على الحالة القانونية ، التى كانت سائدة فى مكان ما نتيجة أعمال حربية ، جرت فيها بالمخالفة لميثاق الأمم المتحدة ٠

وقد حدد المستر همرشولد فى هذا التقرير مهمة قوات طوارئ الأمم المتحدة ، مع الإشارة بضرورة موافقة الدول ، التى تعمل تلك القوات فى أراضيها إذا ما رؤى التوسع فى اختصاصاتها ، وعدم رستخدامها فى حل المشاكل المتنازع عليها بين تلك الدول (٤٣) .

كما أوضح التقرير استمرار اتفاقية الهدنة المشتركة المتعلقة بقطاع غزة ، بما يستلزم احترامها ، حيث لايمكن للأمم المتحدة قبول أى تغيير فى الحالة التى كانت قائمة قبل العدوان مالم يتم الاتفاق عليه بين الطرفين ٠ وبالتالى لايمكنها قبول إشراف إسرائيل على القطاع ، حتى ولو كان إشرافاً غير عسكرى ٠

وبالنسبه لقوات طوارئ الأمم المتحدة ، فقد حدد التقرير مهمتها مع عدم التوسع فيها إلا بموافقة مصر ، ويمكن اعتبار المادة الأولى من اتفاقية الهدنة بينها وبين إسرائيل بمثابة ميثاق عدم اعتداء ، ومن ثم يمكن إعادة العلاقات بين هاتين الدولتين استناداً إلى تلك المادة ٠

وقد بين السكرتير العام فى هذا التقرير أن وجود قوات طوارىء الأمم المتحدة فى قطاع غزه ، وتجاه العوجة ، يستند إلى قرار الجمعية العمومية الموافق على الفقرة ١٢ ، من التقرير الثانى للسكرتير العام بتاريخ ٦ نوفمبر ١٩٥٦ ٠ أما تواجد تلك القوات على الجانب الإسرائيلى ، وعلى اتجاه العوجة ، بعد نزع سلاحها ، فيستلزم إصدار قرار جديد من الأمم المتحدة ، يخول لقوات الطوارىء مهمة الإشراف على تطبيق اتفاقية الهدنة ، بشرط موافقة كل من مصر وإسرائيل ٠

تبقى منطقة شرم الشيخ وحق المرور البرى بخليج العقبة ومضايق ثيران ، وقد أكد تقرير السكرتير العام أن العمل العسكرى الذى قامت به إسرائيل ، لايساعد على حل المشكلة ، وقد سبق للجنة القانون الدولى فى دورتها الثامنة - أن تحفظت على الوضع

القانون للمضايق ، التى تكون جزءاً من المياه الإقليمية لدولة أو أكثر ، وتكون فى نفس الوقت المنفذ الوحيد إلى موانى دول أخرى · ولسوف تتابع قوات الطوارئ انسحاب القوات الإسرائيلية من منطقة شرم الشيخ ، علماً بأن نظام الهدنة بما له من صفة الدوام ، لا يسوغ لأى طرف التمسك بحقوق المتحاربين ، وينطبق ذلك على خليج العقبة ، ومضايق تيران ·

التقرير الحادى عشر بتاريخ ١١ فبراير ١٩٥٧

وقد قدمه السكرتير العام تنفيذاً لقرار الجمعية العمومية بتاريخ ٢ فبراير ١٩٥٧ ، ويتضمن مباحثاته مع مندوب إسرائيل بالأمم المتحدة · وقد أرفقت به خمسة ملاحق ، تشتمل على مفكّرة إسرائيل إلى السكرتير العام بتاريخ ٤ فبراير ، وخطاب مندوب إسرائيل إلى السكرتير العام للأمم المتحدة بتاريخ ٥ فبراير ، وخطاب السكرتير العام إلى مندوب إسرائيل بتاريخ ٦ فبراير ، وخطاب مندوب إسرائيل إلى السكرتير العام فى ١٠ فبراير ، ثم خطابه التالى فى ٢٥ فبراير ١٩٥٧ ·

وأوضح المستر همرشولد أن إسرائيل أبلغته بأن موقفها من الانسحاب ، سوف يتحدد على ضوء إجابة حكومة مصر عن الأسئلة التالية :

١ - هل توافق مصر على الامتناع الكامل المتبادل عن القيام بأعمال حربية ، سواءً فى البر أو البحر أو الجو ، بعد انسحاب قوات إسرائيل ؟

٢ - هل ستوضع قوات طوارئ الأمم المتحدة - فور انسحاب قوات إسرائيل - فى منطقة شرم الشيخ ؛ لتكون حائلا دون استئناف الأعمال الحربية ، وأن تبقى فى مكانها الى أن يتم الاتفاق بين الأطراف على وسائل فعالة لضمان دوام حرية الملاحة فى خليج العقبة ، وعدم القيام بأية أعمال حربية فى مضايق تيران وداخل الخليج ؟

كما أوضح المستر همر شولد أن إسرائيل أبلغته أيضاً أنها فى مركز ، يسمح لها بافتراض أن مصر سوف تحتفظ لنفسها بحق المحارب بعد انسحاب إسرائيل ، وأنها لن توافق على ضمان حرية الملاحة فى خليج العقبة بعد انسحاب القوات الإسرائيلية ، وأنها سوف تستمر فى إغلاق قناة السويس فى وجه الملاحة الإسرائيلية بعد فتحها ، على نحو مافعلت فى الماضى ، وأن سياسة مصر تجاه إسرائيل سوف تستمر فى عدم الاعتراف

بحقوق إسرائيل فى ظل ميثاق الأمم المتحدة ، كما انها سوف تستمر فى أعمال الإغارات على الحدود المشتركة معها . وبالنسبة لاتفاقية الهدنة ، أوضحت حكومة إسرائيل أن مصر قد امعنت فى خرقها نصا وروحا حتى غدا من المستحيل اصلاحها ، وأن إسرائيل لا تعتبر نفسها فى حالة حرب مع مصر ، وهى على استعداد لتوقيع ميثاق عدم اعتداء معها ·

هذا وقد اوضح السكرتير العام فى تقريره الآتى بعد :

لم تفصح إسرائيل عما إذا كانت تعتزم الامتثال لقرار ٢ فبراير ١٩٥٧ ، الذى يقضى بانسحابها ، وأن السكرتير العام يرى ضرورة أن يشمل هذا الانسحاب الوحدات الإداريه مثل الوحدات العسكرية ·

وفيما يتعلق بمطالب إسرائيل بخليج العقبة فإن وضع قوات طوارئ الأمم المتحدة فى شرم الشيخ ، يقتضى الحصول على موافقة مصر ، وأن حكومة مصر قد أكدت للسكرتير العام رغبتها فى احترام نصوص اتفاقيه الهدنة ، على أن يكون ذلك من كلا الطرفين ·

وذكر السكرتير العام ضرورة أن تفصح حكومة إسرائيل عن موافقتها ، من حيث المبدأ على تواجد قوات الطوارئ داخل أراضيها ؛ تنفيذًا لقرارات الأمم المتحدة ، ثم أنهى المستر همر شولد تقريره برغبته فى أن تشير عليه الجمعية العمومية بالخطوات التالية ، التى ينبغى عليه اتخاذها لتنفيذ قراراتها سالفه الذكر ·

التقرير الثانى عشر بتاريخ ٢٢ فبراير ١٩٥٧

قدم السكرتير العام هذا التقرير شفاهة إلى الجمعية العمومية للأمم المتحدة ، بشأن قطاع غزة ، وقد أوضح فيه النقاط التالية :

١ إن حكومة مصر توافق على أن تتولى قوات طوارئ الأمم المتحده ، الأمور فى قطاع غزة بعد انسحاب إسرائيل منه ·

٢ · ان حكومة مصر راغبة ومستعده ؛ لتقديم ترتيبات خاصة للأمم المتحدة وفروعها كهيئة غوث اللاجئين ، وقوات طوارئ الأمم المتحدة ، بما فى ذلك ترتيبات استخدام تلك القوات فى القطاع ، وخط الحدود الدولية للفصل بين قواتها وقوات إسرائيل بطريقة فعالة ·

٣ - إنه يمكن وضع ترتيبات أخرى مع الأمم المتحدة ؛ لتحديد فترة انتقال للمحافظة على حياة الأهالى ، وممتلكاتهم فى القطاع ، وذلك عن طريق توفير حماية الشرطة المدنية الفعالة لهم لضمان حسن الإدارة المدنية ، وتوفير أقصى مساعدة للاجئين ، وتنمية الأوضاع الاقتصادية فى المنطقة ·

وقد ترك هذا التقرير المجال لبعض التأويلات المغرضة ، بما حدى السكرتير العام إلى أن يتقدم يوم ٢٦ بتقرير آخر ، وضع به حداً لتلك التأويلات ·

التقرير الثالث عشر بتاريخ ٢٦ فبراير ١٩٥٧ ·

وقد تقدم به السكرتير العام الى الجمعية العمومية ، عقب محادثاته مع مندوب إسرائيل لدى الأمم المتحدة ، وقد اشتمل على قسم خاص بقطاع غزة ، وآخر خاص بمنطقة خليج العقبة ، ومضايق تيران ، كان ملخصها الآتى :

قطاع غزه

١ - إن لمصر حق الإشراف على القطاع بمقتضى اتفاقيه الهدنه ·

٢ - إن بيان السكرتير العام بتاريخ ٢٢ فبراير ١٩٥٧ ، بشأن تعاون مصر مع الأمم المتحدة ، فى قطاع غزة صدر فى حدود الأوضاع القانونية السابق الاتفاق عليها دولياً ، وأنه لا يستطيع نقض الحقوق القائمة بمقتضى اتفاقية الهدنة أو إلغائها

٣ -إنه فيما يختص بتواجد قوات طوارئ الأمم المتحدة على جانبى خطوط الهدنة والحدود الدولية ، ومنطقة شرم الشيخ .. فقد أوضح مندوب إسرائيل أنه لايعتبر هذه المسألة متصلة بمشاكل قطاع غزة ، والتى تعتبر ذات صفة عاجلة لأن الانسحاب سوف يتم من القطاع ·

خليج العقبة ومضايق تيران ·

١ - بمجرد انسحاب قوات إسرائيل ، تقوم قوات طوارئ الامم المتحده بمنع أعمال القتال فى تلك المنطقة ، مع عدم املاء أى حل سياسى أو قانونى فى مشكلة المضايق ·

٢ - إن فترة بقاء قوات الطوارئ في منطقة شرم الشيخ ، والتاريخ الذى سوف تنسحب فيه ، سوف يحال أمره إلى الجمعية العمومية ؛ لتصدر بشأنه ما تراه من قرارات .

٣ إن فكرة الحاق وحدات بحرية بقوات طوارئ الأمم المتحدة ؛ للقيام بدوريات بحرية داخل خليج العقبة ومضايق تيران ضمانا لحرية المرور البرئ فيها ، على نحو ما استفسر عنه مندوب إسرائيل ، تخرج فى الواقع عن اختصاصات السكرتير العام للأمم المتحدة ، الذى يلتزم بقرارات الجمعية العمومية فى هذا الشأن .

التقرير الرابع عشر بتاريخ ٨ مارس ١٩٥٧ :

صدر هذا التقرير الأخير تنفيذًا لقرار الجمعية العمومية بتاريخ ٢ فبراير ١٩٥٧ ، وقد تضمن الاتى بعد :

١ أن السكرتير العام أصبح فى مركز ، يسمح له بأن يقرر أن إسرائيل قد أتمت الانسحاب من الأراضى المصرية ، امتثالا لقرارات الجمعية العمومية .

٢ - أن قرارات الجمعية العمومية بتاريخ ٢ فبراير ١٩٥٧ ، توضح بجلاء رغبتها فى البت ، فى تنفيذ باقى الإجراءات الواردة ، فى تقرير السكرتير العام ، فى ٢٤ يناير ١٩٥٧ ، على ضوء مشاوراته مع الأطراف المعنية .

٣ أن مساعدة وكالة غوث اللاجئين ، تعتبر مسألة أساسية فى المرحلة الراهنة ، بما يتطلب توسيع مجال عملها ، وما سوف يترتب على ذلك من صعوبات مالية عند قيام الوكالة بتنفيذ مهامها .

٤ . أنه دون الإخلال ، بالوضع القانونى لهيئة الرقابة على الهدنة .. فإن عمل هذه الهيئة فى قطاع غزة ، سوف يكون تحت اشراف قوات طوارئ الأمم المتحدة ، وبالتعاون الوثيق بينهما .

وفيما يختص بقرارات الجمعية العمومية بالأمم المتحدة فيما بين ٢١ ديسمبر ١٩٥٦ ، و٢٢ فبراير ١٩٥٧ ، فقد صدرت خمسة قرارات ، بيانها كالآتى :

مشروع القرار التاسع للجمعيه العموميه بتاريخ ٢١ ديسمبر ١٩٥٦

وقد تقدمت به حكومة مصر ؛ من أجل المطالبة بتعويضات عن الأضرار التى نجمت عن العدوان الأنجلو فرنسى على منطقة بورسعيد ووادى النيل ، والعدوان الإسرائيلى على شبه جزيرة سيناء وقطاع غزة ، مع قيام السكرتير العام بإجراء الترتيبات اللازمة ؛ لتقدير تلك الخسائر فى الأرواح والأموال والعقارات المترتبة على العدوان ، والتقدم بأسرع وقت بتقرير ، يتضمن تلك التقديرات ؛ لتكون أساسًا لقيام كل من إسرائيل وفرنسا والمملكة المتحدة بدفع التعويضات المناسبة لمصر(٤٤) .

القرار العاشر للجمعية العمومية بتاريخ ١٩ يناير ١٩٥٧

وقد تقدمت بمشروعه الكتلة الأفروآسيوية بضرورة انسحاب إسرائيل ، ووافقت عليه الجمعية العمومية بأغلبية ٧٤ صوتاً ، ولم تعترض عليه سوى فرنسا وإسرائيل فقط ٠

وقد نوّه القرار بأسف الجمعية العمومية لعدم امتثال إسرائيل لقرارتها الخاصة بالانسحاب ، كما طالب السكرتير العام باستمرار بذل الجهود للوصول إلى انسحاب إسرائيل انسحابا كاملا مع تقديم تقرير عن ذلك إلى الجمعية العمومية فى غضون خمسة أيام (٤٥)

القرار الحادى عشر للجمعية العمومية بتاريخ ٢ فبراير ١٩٥٧

وقد تقدم بمشروعه كل من البرازيل ، كولوميا ، والهند ، واندونسيا ، والنرويج ، والولايات المتحدة ، ويوغوسلافيا ، وقد نص أيضًا على ضرورة انسحاب إسرائيل ، ووافقت عليه الجمعية العمومية بنفس عدد أصوات القرار العاشر ؛ أى ٧٤ صوتًا ، بينما اعترضت عليه كل من فرنسا وإسرائيل ، كما نوّه القرار للمرة الثانية بعدم تنفيذ إسرائيل الانسحاب الكامل ، رغم مطالبتها المتكررة بذلك ٠

القرار الثانى عشر للجمعية العمومية بتاريخ ٢ فبراير ١٩٥٧

وقد تقدم به كل من البرازيل وكولومبيا واندونسيا والهند والنرويج والولايات المتحدة ، ويوغوسلافيا ، وطالبت للمرة الثالثة ضرورة انسحاب إسرائيل الكامل ، والفورى من كافة الأراضى التى احتلتها ، ووافقت الجمعية العمومية على هذا القرار بأغلبية ٥٦ صوتا، وامتناع ٢٢ دولة منها مصر عن التصويت ٠

وأوضحت الجمعية العمومية فى هذا القرار انها تلاحظ بكل تقرير السكرتير العام للأمم المتحدة بتاريخ ٢٤ يناير ١٩٥٧ ، وأنها تطلب من مصر وإسرائيل مراعاة تنفيذ اتفاقية الهدنة بكل دقة ، بمجرد انسحاب إسرائيل وراء حدودها ، وقيام قوات طوارئ الأمم المتحدة، بممارسة اختصاصاتها ؛ للمحافظة على الهدوء والسلام فى المنطقة ٠

وجاءت بهذا القرار فقرة تحتمل التأويل ؛ لكونها تطالب السكرتير العام - بعد أن يتشاور مع الأطراف المعنية - أن يتخذ الخطوات الكفيلة بتنفيذ التدابير الملائمة ، على أن يقدم عنها تقريراً إلى الجمعية العمومية ٠

مشروع القرار الخاص بإدانة إسرائيل ، والمقدم للجمعية العمومية بتاريخ ٢٢ فبراير ١٩٥٧ :

وقد تقدمت به كل من أفغانستان ، وأندونيسيا ، وباكستان ، و العراق ، ولبنان ، والسودان . وبذلت الكتلة الأفروآسيوية جهداً كبيراً لحصوله على الأصوات الكافية لتأييده ، مع علمها بأن الولايات المتحدة وحلفاءها لن يصلوا إلى هذا المدى فى إدانة أفعال إسرائيل العدوانية ٠

ولما وجد مقدمو مشروع القرار أنه من الحكمة التريّث ، حتى يضمنوا العدد الكافى من الأصوات إلى جانبهم ، فقد تأجل اجتماع الجمعية العمومية المرة تلو المرة ، حتى تم انسحاب إسرائيل الكامل من الأراضى ، التى احتلتها فلم يعد للمشروع داع ٠

التعليق :

تعددت أطراف أزمة السويس فى خريف عام ١٩٥٦ ، بقدر تعقد المشكلات التى أدت إليها وتلك التى ترتبت عليها . فمصر -- وقد عقدت العزم على التخلص من باقى مظاهر الاستعمار الأنجلو فرنسى أرادت أن تكون لها السيطرة الكاملة على قناة السويس ، بينما تحاول المملكة المتحدة وفرنسا إنقاذ البقية الباقية من نفوذهما فى الشرق الأوسط ، بإبقاء سيطرتهما على القناة، والقضاء على الحكم الثورى فى مصر، الذى تزعم حركة إجلائهما ، عما بقى لهما من قواعد ومصالح بالمنطقة ٠

وترغب إسرائيل فى استغلال الأنواء التى تهب على الشرق الأوسط ، بعد تأميم شركة القناة فى إستكمال المخطط التوسعى ، الذى لم تكتمل أطرافه فى حرب فلسطين ،

وما تبعها من هدنة رودس ، وعلى رأسها حق المرور فى خليج العقبة ، عبر مضايق تيران ، الذى كانت مصر تربطه بحق عودة اللاجئين إلى ديارهم وممتلكاتهم ، التى طردوا منها بفلسطين ، أوتعويض من لا يرغب منهم فى العودة تعويضاً عادلاً ٠

كما كانت إسرائيل - تتطلع مثل المملكة المتحدة وفرنسا - إلى هدف مشترك ، هو إسقاط نظام الحكم فى القاهرة ، بعد أن أصبح يشكل خطراً داهماً على مصالحها فى الشرق الأوسط والكتلة الأفروأسيوية ٠

وبالنسبة للولايات المتحدة .. فقدكانت تدفعها اعتبارات معادية للاستعمار الأنجلوفرنسى، واعتبارت أخرى أنانية تجعلها تسعى إلى استبعاد المملكة المتحدة وفرنسا من الشرق الأوسط ، حتى تخلفهما بنوع جديد من الإمبريالية ، أطلقت عليه مبدأ أيزنهاور لملء الفراغ الناشئ عن رحيل الاستعمار الأنجلوفرنسى بقواعده الكثيرة ، وفتح الأبواب أمام المصالح الأمريكية لتحل محلها ٠

فلما تزعمت مصر جبهة رفض هذا المبدأ ، نشب العداء بينها وبين الولايات المتحدة ، الذى ظهر أولاً فى عملية سحب تمويل السد العالى ، مع التشكيك فى اقتصاد مصر ، ثم راح يتفاقم أمره ؛ حتى وصل درجة الغليان فى صيف عام ١٩٦٧ ، عندما وقفت الولايات المتحدة بكل قوتها مع عدوان إسرائيل على الدول العربية ، ثم راحت تبذل مساعيها ؛ لعرقلة صدورأى قرار من مجلس الأمن ، يطالب إسرائيل بالانسحاب أو يدمغها بالعدوان ٠

وعلى الطرف المقابل ، حرص الاتحاد السوفيتى على أن ينتهز فرصة نزوح الإستعمار الأنجلوفرنسى عن الشرق الأوسط ؛ ليتسلل اليه بنفوذه وأطماعه الدفينة منذ عصر القيصرة كاترين الثانية ، التى كانت تتطلع للوصول الى المياه الدافئه بالبحرين المتوسط والأحمر ٠

وفى مواجهة كل ماسبق ذكره ، حرصت مصر على ادارة معركتها بأسلوب عقلانى ، يهدف إلى كسب تعاطف الضمير العالمى مع وجهات نظرها ، مع التأكيد بشكل حازم وجازم بمصرية قناة السويس لحمًا ودمًا ، وحقها غير المنازع فى بسط سيادتها عليها ؛ تطبيقًا لاتفاقية ٢ فبراير ١٨٦٦ ، التى نصت على خضوع شركة القناه للقوانين والأعراف المصريه ، وكذا المادة ١٣ من معاهدة القسطنطينية عام ١٨٨٢ ، التى أكدت حق السيادة المصرية على القناة ٠

ورغم ذلك ، فقد ظلت الصلة قوية بين صراع مصر ضد الاستعمار ، وبين صراعها ضد السيطرة الأجنبية على القناة ، ومحاولاتها للانفراد بإدارتها واستغلالها كمظهر من مظاهر الإمبريالية الغربية فى الإصرار على استلاب خيرات الشعوب ، التى ترزخ تحت نيرها ٠

لقد استمرت التيارات السياسية تتصادم بعنف حول منطقة الشرق الأوسط وداخلها ، فالولايات المتحدة تتظاهر بعدائها للأستعمار الأنجلوفرنسى ، بينما هى تتهيأ لوراثته ٠ والرئيس أيزنهاور ، ووزير خارجيته جون فوستر دالاس يمقتان الرئيس عبد الناصر ، وكل ما يمثله من تطلعات وطنية ، ورغبة فى السير ببلده فى ركب التقدم والأزدهار ٠ وهما لا يثقان فيه ، وكانا من أشد مؤيدى مؤتمر لندن وقراراته ، التى كادت أن تنجح فى انتزاع السيادة المصرية على شركة القناة بجمعية المنتفعين ، وما لها من حقوق فى استلام رسوم القناة وعدم دفعها للحكومة المصرية ، عملاً بمقولة دالاس الشهيرة ٠٠٠ " لابد من إجبار الرئيس عبد الناصر على أن يتقيأ قناة السويس " ٠

ولم يكن موقف الاتحاد السوفيتى أقل تطلعًا إلى جنى الثمار ؛ فقد بدأ فى مرحلة مبكرة بإبداء الكراهية للرئيس عبد الناصر ، وعدم الثقة فى برنامجه التحررى ، مع وصفه بالرجعية إلا أن معاداة الكرملين للاستعمار الغربى كان أقوى ؛ إذ دفعه إلى تأييد الرئيس عبد الناصر فى المراحل التالية ومؤازرته فى امتلاك مصر الكامل لقناة السويس ، وإدارتها وتحصيل رسومها ٠

لقد كان الاتحاد السوفيتى يريد مصر القوية القادرة على صد هجوم الغرب الإمبريالى ، وتامين الشرق الأوسط من أحابيله ، إلا أنه لم يكن يريدها فائقة القدرة بما يجعلها زعيمة المنطقة ، ذات النفوذ والسيطرة عليها ، وعلى ما حولها من مناطق حيوية ، يشعر الكرملين بشدة الحاجة إليها فى المستقبل القريب ٠

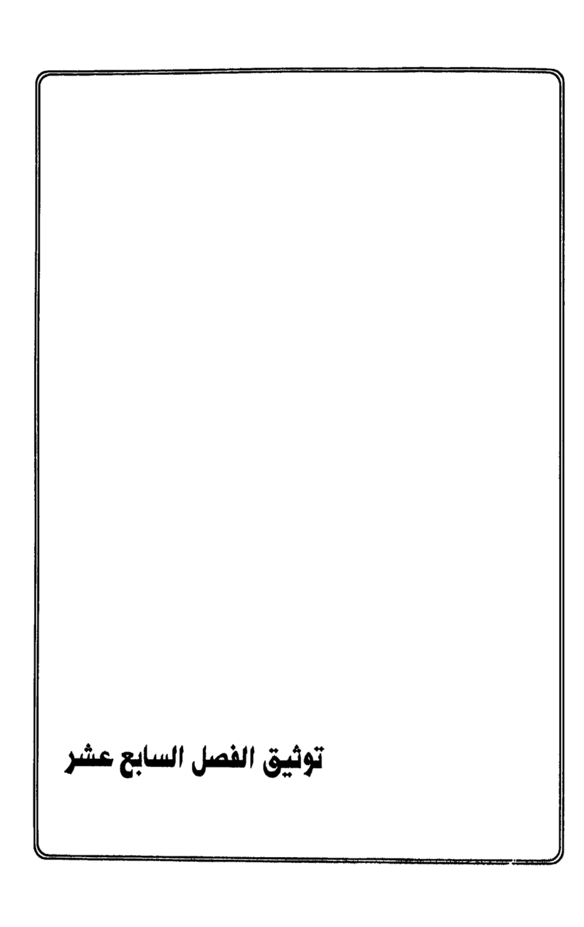
أما الهند فكان موقفها متناقضًا وغير منطقى ؛ فهى تؤيد تحرير القناة من الهيمنة الأنجلوفرنسية ، وتقف مع مصر فى تأمين القناه ، ولكنها فى نفس الوقت تفضل إدارة القناة دوليًا ٠ كما أنها لم تكن تريد للرئيس عبد الناصر ، أن يصبح زعيماً للعرب وللمسلمين حتى لا يسبب لها المشاكل بمئات الملايين من المسلمين داخل الهند ٠

تبقى مجموعة الدول الأفروأسيوية التى فتح مؤتمر باندونج فى إبريل ١٩٥٥ شهيتها للتحرر والتضامن من أجل المصلحة المشتركه · ولقد جاءت أزمة قناة السويس كفرصة لإظهار هذا التضامن ، الذى تجسد فيما قدمته من مشروعات قرار للجمعية العمومية للأمم المتحده ، وما بذلته من جهود متواصلة لإدانة إسرائيل بالعدوان ، ثم السعى فى الحصول على الأصوات الكافية لإصداره ·

ولا تكتمل الصورة دون توضيح دور السكرتير العام للأمم المتحدة فى أزمة الشرق الأوسط ؛ إذ بدأ بنظره عدائيه للرئيس عبد الناصر شبهه فيها بهتلر عام ١٩٣٥ إلا أنه سرعان ما أحسن التقييم للرئيس المصرى ، بعد أن فهم قضية مصر بوضوح أكثر ، فضلاً عن سخطه الشديد على العدوان الثلاثى ، الذى يجافى تفكيره السليم واحترامه الحرفى للقانون الدولى والأعراف المرعية ·

ونتيجة لكل تلك المواقف المتعارضة والمتضاربة توالت قرارات الجمعية العمومية للأمم المتحدة بمعدل سريع ، كاد أن يصل إلى إدانة أطراف العدوان الثلاثى ، بكل ما يتبعه من خسائر مادية ومعنوية ، لولا أن تداركت حكوماته الأمر ، وقبلت الانسحاب الكامل غير المشروط من أرض مصر . وقطاع غزة ·

وكان دور الأمم المتحدة فى كل ذلك بارزاً شديد التأثير على مجريات الأمور فى المسرح، وعلى الساحة الدولية ، إذ ترتب عليه انحسار ظل المملكة المتحدة وفرنسا عن منطقة الشرق الأوسط ، ونزولهما عن قمة الدول العظمى إلى دول الدرجة الثانية .



توثيق الفصل السابع عشر

(١) أوراق السفير أحمد حسين - غير منشورة - رسالة من السفير أحمد حسين إلى الدكتور محمود فوزى ، بتاريخ ٣٠ أكتوبر ١٩٥٦ .

(٢) وثائق الخارجية المصرية ، مقابلة محمود فوزى لسفير بريطانيا فى القاهرة ، بتاريخ ٣٠ اكتوبر ١٩٥٦

(٣) وثائق الخارجية المصرية ، إدارة الأبحاث - قسم النشرات ، نشرة خاصة عن العدوان الثلاثى على مصر ، ص ٧ ، انظر كذلك : صلاح بسيونى ، مصر وأزمة السويس ، ص ٢٢٨ ،

Op. Cit., Mahmoud Fawzi – The Suez War, 1956, pp. 128–129.

(٤) صلاح بسيونى - مصر وأزمة السويس ، ص ٢٢٩ ، ص ٢٣٠ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٣٠ .

(٦) صلاح بسيونى .. مصر وأزمة السويس ، ص ٢٣٠ ، ص ٢٣١ ، انظر كذلك : أزو ، هنرى - فخ السويس ، ص ٣٢٠ .

(٧) صلاح بسيونى ، المرجع السابق ، ص ٢٣١ ، ص ٢٣٢ ، انظر كذلك :

Op. Cit., Mahmoud Fawzi – The Suez War, 1956, pp. 128–129.

(٨) وثائق الخارجية المصرية ، المشروع السوفييتى المقدم لجلسة مجلس الأمن ، يوم ٣٠ أكتوبر ١٩٥٦ .

(٩) وثائق الخارجية المصرية ، نشرة خاصة عن العدوان الثلاثى على مصر ، ص ٦ .

(١٠) صلاح بسيونى . مصر وأزمة السويس ، ص ٢٣٢ .

(١١) وثائق الخارجية المصرية ،برقية مرسلة من السفير عمر لطفى إلى الوكيل الأول لوزارة الخارجية ، يوم ٣٠ أكتوبر ١٩٥٦ .

(١٢) صلاح بسيونى .. مصر وأزمة السويس ، ص ٢٣٢ ، ص ٢٣٣ .

(١٣) وثائق الخارجية المصرية غير منشورة برقية برقم ٤٤٦٥ ، مرسلة من وكيل أول الخارجية إلى السفير عمر لطفى المندوب ، بتاريخ ٣١/ ١٩٥٦/١٠ ، انظر كذلك :

صلاح بسيونى - مصر وأزمة السويس ، ص ٢٣٤ ، محمود فوزى - حرب السويس ١٩٥٦ ، ص ١٠٥ .

(١٤) أوراق السفير أحمد حسين - غير منشورة - برقية مرسلة من السفير عمر لطفى إلى الرئيس جمال عبد الناصر ، برقم ١٣/٤٦٨ ، بتاريخ ٣١/ ١٠/ ١٩٥٦ .

(١٥) وثائق الخارجية المصرية ، مجموعة وثائق أزمة السويس ، مجموعة من البرقيات المرسلة من السفير عمر لطفى إلى وكيل أول الخارجية ، بأرقام ٤٠١، ٤٠٣ ، ٤٠٥، ٤٠٦ ، ١٣/٤١١ فى الفترة من ٣١/ ١٠ ، وفى ١/ ١١/ ١٩٥٦ .

(١٦) Op. Cit., Mahmoud Fawzi – The Suez War, 1956, pp. 130–132.

(١٧) Brdi – United Nations – Official Record of the General Assembly Emergency and a Summary of the Meeting of Security Council Official Record and Annexes also as, Year Book 1956.

(١٨) وثائق الخارجية المصرية ، مجموعة وثائق أزمة السويس ، مشروع القرار الأمريكى المقدم للجمعية العامة فى جلسة ٢ نوفمبر ١٩٥٦ .

(١٩) وثائق الخارجية المصرية ، نشرة خاصة عن العدوان ، ص ٨ .

(٢٠) وثائق الخارجية المصرية - غير منشورة - برقية مرسلة من وكيل أول الخارجية المصرية إلى المندوب المصرى الدائم بنيويورك ، السفير عمر لطفى ، بتاريخ ٢/ ١١/ ١٩٥٦ ، برقية الوزارة الرمزية رقم ١٦٠٠ .

(٢١) وثائق الخارجية المصرية - غير منشورة - برقية مرسلة من وكيل أول الخارجية المصرية إلى السفير عمر لطفى ، بتاريخ ٣/ ١١/ ١٩٥٦ ، برقية الوزارة الرمزية رقم ١٦٠٨ / ١٦٠٩ .

(٢٢) وثائق الخارجية المصرية - غير منشورة - برقية مرسلة من السفير عمر لطفى إلى الخارجية المصرية ، برقم ٥٣٢١/ ٥٣٣٢ ، بتاريخ ٣/ ١١/ ١٩٥٦ .

(٢٣) وثائق الخارجية المصرية - غير منشورة - برقية نيويورك الرمزية ، رقم ٥٣٣٩/ ٥٣٤٠، بتاريخ ٣/ ١١/ ١٩٥٦ .

(٢٤) وثائق الخارجية المصرية - غير منشورة - برقية نيويورك المفتوحة ، بتاريخ ١٩٥٦/١١/٤ .

(٢٥) وثائق الخارجية المصرية - غير منشورة - برقية نيويورك المفتوحة ، بتاريخ ١٩٥٦/١١/٤ .

(٢٦) وثائق الخارجية المصرية - غير منشورة - برقية نيويورك المفتوحة ، بتاريخ ١٩٥٦/١١/٤ .

(٢٧) وثائق الخارجية المصرية - غير منشورة - برقية نيويورك المفتوحة بتاريخ ١٩٥٦/١١/٤ .

(٢٨) وثائق الخارجية المصرية - غير منشورة - برقية نيويورك الرمزية، رقم ٥٣٦٢/٥٣٦٣، بتاريخ ١٩٥٦/١١/٤ .

(٢٩) وثائق الخارجية المصرية - غير منشورة - برقية نيويورك الرمزية رقم ٥٣٦٨ ، بتاريخ ١٩٥٦/١١/٤ .

(٣٠) وثائق الخارجية المصرية - غير منشورة - برقية نيويورك المفتوحة ، بتاريخ ١٩٥٦/١١/٤ .

(٣١) وثائق الخارجية المصرية - غير منشورة - برقية نيويورك المفتوحة ، بتاريخ ١٩٥٦/١١/٦ .

(٣٢) وثائق الخارجية المصرية - غير منشورة - برقية نيويورك المفتوحة ، بتاريخ ٧ نوفمبر ١٩٥٦ .

(٣٣) وثائق الخارجية المصرية ، ادارة الأبحاث - قسم النشرات ، نشرة خاصة عن العدوان الثلاثى على مصر صادرة بتاريخ ٢٩ ديسمبر ١٩٥٦ .

(٣٤) المصدر نفسه ، ص ١٢ .

(٣٥) وثائق الخارجية المصرية - مجموعة وثائق أزمة السويس ، تقرير السكرتير العام الرابع ، بتاريخ ١٩٥٦/١١/٢١ .

(٣٦) وثائق الخارجية المصرية ، إدارة الأبحاث ، تقرير سكرتير عام الأمم المتحدة الخامس ، بتاريخ ٢٣/١١/١٩٥٦ .

(٣٧) United Nations, Year Book of the United Nations, 1956, p. 215.

(٣٨) Ibid, p. 223.

(٣٩) Ibid, p. 231.

(٤٠) Ibid, p. 237.

(٤١) Ibid, p. 10.

(٤٢) Ibid, p. 17–25.

(٤٣) Ibid, p. 48–54.

(٤٤) Ibid, p. 243.

الفصل الثامن عشر

قوات طوارئ الأمم المتحدة

فكرة إنشاء قوات طوارئ الأمم المتحدة - تشكيل قوات طوارئ الأمم المتحدة- تكوين قوات الطوارئ - مهمة قوات الطوارئ - اجتماع اللجنة الاستشارية - مهمة قوات الطوارئ بعد انسحاب إسرائيل - البعد الزمنى والمكانى لمباشرة قوات طوارئ الأمم المتحدة مهمتها - اتفاقية الوضع القانونى لقوات الطوارئ - التعليق .

فكرة إنشاء قوات طوارئ الأمم المتحدة

بدأت فكرة إنشاء قوات طوارئ الأمم المتحدة ، منذ أن رفض المستر سان لوران رئيس وزراء كندا النداء الذى وجهه إليه السير أنتونى إيدن رئيس الوزراء البريطانى فى ٣٠ أكتوبر ١٩٥٦ ؛ لتقف كندا إلى جانب المملكة المتحدة ، فيما تنوى القيام به من أعمال عسكرية ضد مصر [١] .

وقد جاء هذا الرد الكندى يوم ٣١ أكتوبر ، فى صورة رسالة جافة من رئيس الوزراء الكندى أبلغ إيدن فيها معارضة كندا لوجهة نظر المملكة المتحدة ، فى تبرير هجوم إسرائيل على مصر .

وكان رد كندا يعتمد فى الأساس على حرصها على المحافظة على كيانها القومى ، وحساسية جوارها للولايات المتحدة ، فضلاً عن دعم رابطة الكومنولث وحمايته من التصدع . . . وكانت كل هذه العوامل ماثلة فى ذهن رئيس وزراء كندا ، وهو يرفض طلب إيدن . وكان السير ليستر بيرسون وزير خارجية كندا - فى حقيقة الأمر - هو المحرك الأول لموقف الحكومة الكندية ،حيث إنه كان يقدر مدى الأضرار التى ستصيب التحالف الغربى

نتيجة التصدع الذى حدث بالفعل فى أركانه ، بعد العدوان على مصر ومعارضة الولايات المتحدة له [٢] .

لذلك تحرك ليستر بيرسون فى اتجاهين ، فعمل فى الاتجاه الأول على أن يخفف من حدة الصدام بين الحلفاء الغربيين ، وفى الاتجاه الثانى على وقف التدهور الخطير فى الموقف الدولى . وكانت الفكرة التى سيطرت على تفكيره يوم ٣١ أكتوبر - عقب صدور الإنذار الأنجلو فرنسى لمصر وإسرائيل ، وما تبعه من تطورات فى مجلس الأمن - هو إيجاد أداة فعالة لفرض قرارات الأمم المتحدة ، تتمثل فى قوة بوليسية دولية ، قد تكفى لعمل مؤقت فى مواجهة هذا الوضع الطارئ ، خاصة وأن تحقيق هذه الفكرة سوف يحفظ ماء وجه المملكة المتحدة وفرنسا ، اللتين كانتا قد أعلنتا أن تدخلهما عسكرياً يهدف إلى الفصل بين المتحاربين ، الأمر الذى يخوّل لهما الاشتراك بقواتهما مع الدول الأخرى ؛ للعمل كشرطة دولية للأمم المتحدة[٣] .

وقد أبرق ليستر بيرسون إلى سفيره فى لندن ، ليبحث هذه الفكرة مع حكومة المملكة المتحدة ، كما طلب من سفيره فى واشنطن بحثها مع الحكومة الأمريكية . وردت لندن بأنها ترحب بالفكرة وإن كانت لا تحقق أغراضها فى المستقبل القريب . أما واشنطن فقد اعتذرت بأن الوقت لا يتسع لتضمينها فى المشروع الأمريكى ، الذى ستتقدم به إلى الجمعية العمومية .

وذكر إيدن فى مجلس العموم يوم ٣١ أكتوبر أنه اذا كانت الأمم المتحدة راغبة فى تحمل مسئوليتها الفعلية فى الحفاظ على السلام فى المنطقة ، فلن يكون ثمة من هو أكثر منه غبطه بذلك ، ولكن والواجب أن تتخذ إجراءً بوليسيًا . وقد اعتبر وزير خارجية كندا أن هذا يعنى قبولا لبدء إنشاء القوة الدولية .

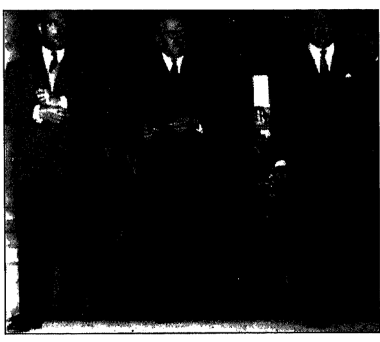
وبمجرد أن وصل الى نيويورك فى أول نوفمبر لحضور الدورة الطارئة للأمم المتحدة ، اجتمع بدالاس ؛ حيث عرض عليه فكرته ، وطلب منه إدراجها فى المشروع الأمريكى ، إلا أن دالاس اعتذر بضيق الوقت ، فضلاً عن أن الموقف لم يعد يحتمل التأخير ، وإن كان لم يعترض على الفكرة فى حد ذاتها ، بل أيدها ، وطلب من بيرسون الاستمرار فيها .

وعند التصويت على المشروع الأمريكى ، امتنعت كندا عن التصويت ، وبرر وزير خارجيته ذلك بأنه يرى " ضرورة ايجاد وسائل فعالة لتحقيق وقف إطلاق النار ، وعدم العودة إلى الأوضاع السابقة ، وأن الحاجة أصبحت تتطلب وجود قوات دولية ؛ لمواجهة هذه الأوضاع ، بشرط أن تكون قوة ذات فعالية لتحقيق السلام وصيانته . "

ثم بدأ الوفد الكندى برئاسة ليستر بيرسون مشاوراته المكثفة مع الوفود المختلفة بالأمم المتحدة ، طوال يومى ٢ ، ٣ نوفمبر ؛ بهدف استطلاع رأيها فى مدى موافقتها على تشكيل هذه القوة الدولية . وفى لقاء تم بين بيرسون وهمر شولد يوم ٣ نوفمبر ، وافق همر شولد على الفكرة واعتبرها مخرجًا للأمم المتحدة ؛ للوصول إلى حل إيجابى وعدم تصدع المنظمة الدولية بتجريم المملكة المتحدة وفرنسا ، وطردهما من الأمم المتحدة ، كما كانت تطلب بعض الدول الأفروآسيوية .

ويشير روبر تيسون فى كتابه " الأزمة " الى أن سان لوران رئيس وزراء كندا اتصل ببيرسون وزير خارجيته ؛ لينقل إليه حديثًا تليفونيًا دار بينه وبين إيدن .. وفيه ذكر الأخير أنه إذا كانت كندا ستقترح قيام هذه القوة الدولية ، فليس ثمة ما يمنع من مضى فرنسا والمملكة المتحدة فى عملياتهما الحربية ضد مصر تحت راية الأمم المتحدة . ولما كانت القوات الأنجلوفرنسية موجودة بالمنطقة فإنها تعتبر فى وضع أفضل من غيرها لتنفيذ قرارات الأمم المتحدة فى هذا الصدد ، وعندئذ رد بيرسون على رئيس وزرائه " ياللسماء أن هذا يعنى إن اللصوص يطلبون قوة بوليسية لحمايتهم أثناء قيامهم بسرقة الخزانة الحديدية " (٥) .

وفى مساء ٢ نوفمبر ١٩٥٦ ، وصل السيد جورج بينو والسيد بورجس مونورى الى لندن للاجتماع ، بإيدن الذى اقترح عليهما وقف إطلاق النار ، شريطة أن تتولى الأمم المتحدة نفسها القيام بالعمليات العسكرية ، وهو ما سبق أن اقترحه على المستر سان لوران فى حديثه التليفونى ، ورفض الفرنسيان الاقتراح ، وطالبا بالتعجيل بإبرار قوات الغزو وبدء العملية موسكيتير المعدلة ، وتردد البريطانيون بعد أن تمكن الجيش المصرى من الانسحاب إلى الضفة الغربية لقناة السويس ، إلا أن إيدين عاد وقبل تحت ضغط الفرنسيين ، ولكنه فى نفس الوقت أبلغ الكنديين بأن إنزال القوات لن يتم ، قبل أن توافق الجمعية العمومية على مشروع إنشاء القوة الدولية بشرط أن يصدر فى ٤ نوفمبر .



ووصل جورج بينو وبورجس مونورى إلى لندن

وازداد نشاط بيرسون والوفد الكندى لإقرار المشروع بأمل تأجيل نزول القوات الأنجلوفرنسية فى بورسعيد، ولكن واشنطن أبدت شكوكها فى صحة ما يذكره البريطانيون، ولم يعد الأمر سراً بين الوفود يوم ٤ نوفمبر ، بأن كندا ستتقدم بمشروع هذه القوة الدولية .

واتصل المندوب الهندى السيد لال بالسفير عمر لطفى ، واقترح عليه أن تعلن مصر موافقتها ، على أن تؤلف الأمم المتحدة قوة بوليسية أمريكية ، تعاونها لجنة مراقبة مكونة من ثلاث دول : تشيكوسلوفاكيا ، وكندا ، وإحدى دول آسيا " الهند مثلا " ، كما أخبره بأن همر شولد يرحب بهذه الفكرة ، وأن من مصلحة مصر قبول هذا الاقتراح فى الحال ، وإن كان يعتقد أن إسرائيل ستعارضه[٦] .

واجتمع السفير عمر لطفى مع مندوبى الولايات المتحده والهند ، حيث أخبره الأول أن المشروع الهندى محل دراسة واشنطن .. كما أبلغه مندوب الهند - بعد ذلك - أن الولايات المتحده تفكر فى أن تشترك معها فى ذلك دولة أخرى مثل كندا[٧] .

وفى نفس الوقت ، كانت الوفود الآسيوية - الأفريقية تعد مشروعا جديداً ، يمهل

المملكة المتحدة وفرنسا وإسرائيل اثنتا عشر ساعة بتنفيذ وقف اطلاق النار ، وحاول بيرسون أن يقنع الهند بتبنى المشروع الكندى ، ولكن المندوب الهندى كان يعطى الأسبقية لوقف إطلاق النار والانسحاب . وشكل ذلك عقدة لبيرسون ؛ إذ إن أصوات الدول الأفروآسيوية التى ستتقدم بمشروع قرارها ١٩ صوتًا ، وإذا لم توافق على مشروع القوة الدولية .. فإنه لن يحصل على أغلبية الثلثين . وفى الوقت نفسه ، كان بيرسون قد حصل على تأييد ثلاثين دولة لمشروعه ، وقد أمكن الوصول إلى اتفاق بأن تؤيد الهند والدول الأفروآسيوية مشروع بيرسون ، مقابل تأييد كندا والمجموعة التى تؤيد اقتراحها مشروع الهند ، بينما اقترحت الولايات المتحدة إدخال تعديلين على النص الكندى .

فالنص فى صورته الأصلية كان يطالب بأن توصى الجمعية العمومية للأمم المتحدة بتعيين لجنة من خمس من الدول الأعضاء ، تتقدم فى غضون ٤٨ ساعة بخطة تهدف إلى اقامة قوة طوارئ دولية فى الشرق الأوسط ، على أن تجند وحداتها من القوات العسكرية الوطنية المتوافرة حالاً ، على أن تكون بحجم مناسب لتنفيذ مهامها (٨) .

وقد نص التعديل الأول على موافقة الأطراف المعنية على تدخل القوة ، بينما طالب التعديل الثانى بحذف الفقرة الخاصة بالقوات العسكرية الوطنية المتوافرة حالاً . وأغضب التعديلان مندوبا المملكة المتحدة وفرنسا ، اللذين ابلغا بيرسون أن المشروع يخالف ما بعث به إلى لندن وباريس ، بما يستدعى الحصول على تعليمات جديدة من حكومتيهما .

وعندما تقدم المستر بيرسون بمشروعه الى الجمعية العمومية ، تمت الموافقة عليه فى الساعة الثانية صباح ٤ نوفمبر ، بأغلبيه ٥٧ صوتًا وامتناع باقى الدول عن التصويت ، ولم يعترض عليه أحد .

وفى نفس اليوم أرسل السفير عمر لطفى برقيه الى الدكتور محمود فوزى وزير الخارجية المصرى ، يخطره بأنه فهم من همر شولد أن السبب فى تأخير ميعاد وقف القتال من الساعة الثامنة مساء اليوم - توقيت جرينتش - حتى الساعة الخامسة من صباح ٥ نوفمبر ، كان بسبب أن وزيرى خارجية المملكة المتحدة وفرنسا أرادا أن يجتمعا قبل إبلاغ قراريهما . وأحس السفير عمر لطفى أن همرشولد يستبعد أن يقبلا وقف القتال(٩) .

ولذلك قدم همرشولد فى نفس يوم ٤ نوفمبر تقريراً إلى الجمعية العمومية ، يطلب فيه

إنشاء قيادة لقوات طوارئ الأمم المتحدة ، تحت رئاسة الجنرال إديسون بيرنز رئيس هيئة مراقبى الهدنة ، والتصريح له بأن يختار من بين ضباط هيئة الرقابة من يعمل معه فى القوة الجديدة . كما ذكر أنه سيعمل على تقديم خطة لإنشاء هذه القوة الدولية على أساس تشكيلها من قوات دول ، ليست أعضاء دائمين فى مجلس الأمن[١٠] وتقدمت كندا والنرويج وكولومبيا بمشروع إلى الجمعية العمومية بالموافقة على تقرير همرشولد ، وتعيين الجنرال بيرنز قائداً للقوه الدولية الجديدة ، وتمت الموافقة عليه بأغلبية ٥٧ صوتا ، وامتناع ١٩ عن التصويت[١١] .

وخلال هذه التطورات ، كان لابد أن يوضح مندوب مصر موقفه ، فأبلغ داج همرشولد قبل التصويت على المشروع الكندى ، بأنه لابد من التأكد من ضرورة استبعاد الدول المعتدية من أن تكون ضمن الدول التى سوف تشارك فى قوات طوارئ الأمم المتحدة وأبلغه همرشولد أن هذه الدول مستبعدة أصلاً ، كما طلب السفير عمر لطفى من الهند - وبعض الدول الأخرى - أن تشترط هذا فى البيانات التى تلقيها[١٢] ، وكانت لهذه الاتصالات فائدة كبيرة فى نوضيح الموقف السابق ، والذى عبر عنه السكرتير العام فى تقريره .

تشكيل قوات طوارئ الامم المتحده :

عقب تقديم السكرتير العام لتقريره المبدئى إلى الجمعية العمومية فى ٤ نوفمبر ، قدم إليها يوم ٦ نوفمبر تقريرة التفصيلى حول انشاء قوة طوارئ الأمم المتحدة وقد عاونته فى إعداد هذا التقرير لجنة غير رسمية مشكلة من بيرسون المندوب الكندى وانجن المندوب النرويجى ، ولال المندوب الهندى . وعملت هذه اللجنة مع همرشولد طوال يومى ٥ ، ٦ نوفمبر ، حتى استكملت تقريرها الخاص بانشاء قوة الطوارئ الدولية ، والذى تضمن النقاط التاليه :[١٣]

١ - تشكل القوة على أساس المبادئ المستخلصة من ميثاق الأمم المتحدة ذاته ، ويترتب على ذلك أن يعين قائد للقوة ، ويكون مسئولاً عن تنفيذ واجباته أمام الجمعية العمومية أو مجلس الأمن ، وتحدد سلطاته بحيث يكون مستقلاً تمام الاستقلال عن سيطرة أى دولة ، كما يجب أن تكون صلته بالسكرتير العام للأمم المتحدة مماثلة لصلة أركان حرب هيئة الرقابة الدولية .

٢ - يمكن للأمم المتحدة أن تكلف دولة أو مجموعة من الدول بمسئولية تشكيل قوة دولية بمعرفتها تتولى تنفيذ الرغبات التى تحددها الأمم المتحدة . ومن الواضح فى هذه الحاله أنه لم يضمن للقوه استقلالا كاملا عن السياسات الوطنية ، كما يحقق بواسطة الحل الأول ·

٣ - أو بأن يتم الاتفاق بين مجموعة من الدول ، على أن تحدد - فيما بعد - علاقة القوات التى تقدمها بالأمم المتحدة ، وهذا الحل ينطبق عليه نفس التحفظات السابق إثارتها بالنسبة للحل الثانى ·

وفى الحالتين الأخيرتين . . لن يكون لقائد هذه القوات نفس الاستقلال ، الذى يكفله الوضع الأول . وبعد أن عرض همر شولد الحلول السابقة ، ذكر للجمعية العمومية أنها بعد أن وافقت على تعيين الجنرال بيرنز كقائد للقوة ، فإنها تكون قد اختارت بالفعل الحل الأول ، رغم أن المملكة المتحدة وفرنسا كانتا تطمعان - فى اقتراحهما للسكرتير العام - بأن يعتمد الحل الثانى حتى يضمن اشتراكهما فى قوة الطوارئ ·

ثم أوضح همر شولد للجمعية العمومية أنها لا تملك الحق بإرسال قوات للعمل فى أرض دولة ، دون الحصول مسبقاً على موافقتها ·

أما عن واجبات القوة ، فهى تتحدد على ضوء قرار ٢ نوفمبر الذى نص على أن تدخل الأراضى المصرية بموافقة الحكومة المصرية ؛ للمساعدة فى حفظ الهدوء أثناء وعقب انسحاب القوات غير المصرية ، ولتحقيق الامتثال للشروط الأخرى الواردة فى قرار ٢ نوفمبر مع العلم بأن القوه ليست عسكرية ، للسيطرة على المنطقة التى تدخلها ·· وانما ستقوم بالتعاون مع السلطات المحلية . وبناء عليه . . فإن اختصاصات القوة تشمل منطقة ، تمتد من قناة السويس إلى خطوط الهدنة المحددة فى اتفاقيه الهدنة بين مصر وإسرائيل ، ثم ذكر همر شولد - فى نهاية تقريره - أنه إزاء وجود عديد من الموضوعات المفتوحة للبحث . . فإنه يقترح أن يناط أمر الاستمرار فى بحث تلك الموضوعات إلى لجنة صغرى ، تشكلها الجمعية العمومية لهذا الغرض ، ويمكن أن تقوم أيضًا بدور الهيئة الاستشارية للسكرتير العام فى شئون العمليات·

وفى ٧ نوفمبر وافقت الجمعية العمومية بأغلبية ٦٤ صوتا ضد لا شيء على تقرير داج همرشولد السكرتير العام للأمم المتحدة ، فتكررت بذلك المبادئ الأساسية لعمل القوة ،

والتى تتلخص فى أنها لن تستخدم الضغط على مصر ، وأنها تدخل مصر بموافقة الحكومة المصرية وحدها ، وليست للقوة أية أغراض أو مهام عسكرية ، ولو أن طبيعتها شبه عسكرية ، كما أنه لا تأثير لها على الميزان العسكرى - وبالتالى الميزان السياسى فى النزاع القائم ، كما قررت الجمعية العمومية منح همرشولد سلطة " إصدار التعليمات والأوامر الضرورية للعمل الفعال للقوه ، وذلك بعد التشاور مع اللجنة الاستشارية " (١٤)

وكان أول ماقررته اللجنة الاستشارية فى ٧ نوفمبر ، شروط اشتراك الدول فى قوة طوارىء الأمم المتحدة ، والتى تلخصت فى الآتى :

١ - إن انشاء قوات الطوارىء ، تم فى إطار انسحاب القوات الأنجلوفرنسية من مصر ، وعلى أساس دعوة إسرائيل إلى الانسحاب إلى ما وراء خطوط الهدنة .

٢ - إن القوة لن تخلف القوات الغازية أو تتولى سلطاتها .

٣ - إن القوات ستعمل على الأراضى المصرية ، ولذلك . . فمن الضرورى موافقة مصر على تشكيلها .

٤ - إن القوة مؤقتة لمواجهة الطوارىء ، وهدفها فصل المتحاربين : مصر وإسرائيل ، وانسحاب الأخيرة طبقاً لقرار الجمعية العمومية .

٥ - ان يكون تشكيل القوة متوازيًا .

وكانت الحكومة المصرية قد تساءلت عما يعنيه السكرتير العام فى تقريره ، من أن تعمل القوة من قناة السويس حتى حدود الهدنة ؟

هل يعنى ذلك أنها ستبقى فى منطقة قناة السويس ؟ وإذا صح ذلك وقد تحقق الانسحاب ، فأى مبرر يسمح لهذه القوات الدولية بالبقاء فى منطقة القناة ؟ وإن افتراض مثل هذا الوضع يعنى أننا نعود مرة أخرى إلى تدويل القناة بصورة جديدة ، والخطورة فيه أنه يتم فى إطار الأمم المتحدة ، وعندما تحتج مصر بعد ذلك . . فإن موقفها يظهر ، وكأنه تحدى لإرادة الأمم المتحدة(١٥) . وقد أثار هذا التساؤل فى الجمعية العمومية مندوب سوريا ، وطلب من السكرتير العام أن يوضح المفهوم من هذه العبارة .

ورد همر شولد على تساؤلات مصر ، موضحاً أن الموقف الحالى يفترض أن قوات

طوارئ الأمم المتحدة ستبدأ عملها بالقرب من قناة السويس ، ولكن بعد التنفيذ المتوقع لتوصيات الجمعية العمومية . . فإن تواجد القوات سيكون عند خطوط الهدنة (١٦) .

تكوين قوات الطوارئ :

لم يحدد أى من قرارات الجمعية العمومية جنسية قواتها ، اكتفاء بما جاء فى تقرير السكرتير العام الثانى من التوصية بتقديم وحدات ذات كفاية ذاتية ، بمعنى إمكان أن تشمل عناصر جوية أو برية أو بحرية .

أما الدول التى لها حق الاشتراك فى تكوين القوة . . فمن غير الدول ذات المقاعد الدائمة فى مجلس الأمن ، الأمر الذى استبعد المملكة المتحدة وفرنسا ، اللتين حاولتا الاشتراك فى القوة . وقد ترك الأمر مفتوحاً بالنسبة لحجم القوة ، التى أشار نفس التقرير إلى احتمال تغيير حجمها .

وفى رسالة السكرتير العام إلى الحكومة المصرية يوم ٧ نوفمبر ، أبلغها أن قوات من كندا ، وكولومبيا ، والدانمرك ، وفنلندا ، والنرويج ، والسويد ستشترك فى القوة ، فهل لدى الحكومة المصرية اعتراضات على أى من هذه الدول ؟

وبوصول الجنرال بيرنز إلى القاهرة ، أبلغه الدكتور محمود فوزى يوم ٨ نوفمبر ، أن مصر سترد على كتاب همر شولد الخاص بتكوين القوة الدولية ، بأن الأساس القانونى لعملها ذو جزئين : الأول خاص بتوصيات الجمعية العمومية ، والثانى خاص بموافقة الدولة التى ستتواجد القوات على أراضيها ، وهذه الموافقة يجب ان تكون مستمرة (١٧) .

أما بالنسبة للدول المشتركة فى قوة الطوارىء ، وتحديد مكان نزول وتحرك هذه القوة ، فسيتم إبلاغ السكرتير العام به . والواقع أنه كان لدى مصر كثير من التساؤلات حول تكوين هذه القوة ؛ فمثلا إذا سمحت مصر بأن تكون القوات على النحو الذى أبلغت به همرشولد ، فمعنى هذا ان مصر تسمح بقوات عسكرية أوربية غربية ، تحل محل قوات عسكرية أوربية غربية ؟ حقيقة أن هذه الدول لها مواقف ضد العدوان ، ولكن لا ننسى أن من بينها دولا أعضاء فى حلف الأطلسى . ثم كيف يمكن قبول قوة دولية على هذا النحو ، ولماذا لا تدخل فيها الدول اللاتينية والآسيوية حتى يتحقق مبدأ توازن التشكيل لهذه القوة(١٨)

وقد رأت مصر أن من مصلحتها ألا تقبل قوات من الكومنولث ، أو دول مشتركة مع كل من المملكة المتحدة وفرنسا فى أحلاف دفاعية ، ولذلك فقد رفضت فى البداية اشتراك النرويج والدانمارك وكندا ، باعتبارها أعضاء فى منظمة حلف شمال الأطلسى ؛ فضلا عن أن الأخيرة عضو فى الكومنولث - على ان السكرتير العام بعث إلى مصر برسائل ، أوضح فيها أن مثل هذا الرفض سيعرقل مهمته ، وسيدعو دولاً أخرى كالسويد وفنلندا الى الانسحاب ؛ نظرًا لأنها تعتبر نفسها جزءاً من الوحدة الاسكندنافية المطلوب إرسالها . وعلى هذا الاساس رأت مصر - إظهارا لتعاونها مع الأمم المتحدة - الموافقة على اشتراك هذه الدول فى قوة الطوارىء الدولية ، كما وافقت على اشتراك أندونسيا ويوغوسلافيا والهند وكولومبيا حتى تكون أكثر توازنًا . ثم انتهت الى قبول مساهمة كندا فى النقل الجوى لهذه القوات ، وفى توفير وحدات إدارية لها (١٩) .

وعلم بيرنز بكل اتجاهات مصر بعد مقابلته للدكتور محمود فوزى يوم ٨ نوفمبر ١٩٥٦ ، فنقلها على الفور الى السكرتير العام . واتصل همر شولد يوم ٩ نوفمبر بالسفير عمر لطفى ، وهو فى حالة قلق شديد على أثر الأخبار التى بلغته من الجنرال بيرنز عن موقف الحكومة المصرية من تأليف القوة الدولية ، وقد أبلغ همر شولد السفير عمر لطفى أن مصر فى هذه الحالة ستصبح منعزلة عن الأمم المتحدة(٢٠) . ثم بعث همر شولد إلى الدكتور محمود فوزى يقول " إنك تعلم الخط الصارم الذى اتخذناه بأن قوات الطوارىء الدولية يمكن أن تبقى بصفة مؤقتة على أراضى مصر ، وبموافقتها فقط ... إن تقارير الجنرال بيرنز أقلقتنى ، والتأخير قد يهدم العمل السريع الذى نحتاجه بشدة . إن تردد مصر الأن سيعزلها دون شك أمام الرأى العام العالمى ، والذى كان أفضل حماية لها حتى الأن .. إن هذا الموقف قد يفتح إمكانيات عمل - تعلمه مثلى تمامًا - إذا تحقق فقد يكون ضد أمالكم بنفس الدرجة التى يكون بها ضد مصالحنا جميعاً (٢١) .

وفى نفس اليوم الذى وصلت فيه هذه الرسالة (٩ نوفمبر) ، اجتمع الدكتور محمود فوزى مرة ثانية بالجنرال بيرنز .. وكان فى تصور الجنرال بيرنز أن رسالة همر شولد بكل ما فيها من تحديرات ستعمل على سرعة تغير موقف القاهرة . ولكن ما حدث كان مخيبا لأماله فقد ذكر له الدكتور محمود فوزى أن مصر ليست أقل حرصا من سواها على سرعة البت فى الشئون القائمة حاليًا ، وأننا واثقون من أن مستر همرشولد وجميع المنصفين سيقدرون تمامًا واجب العناية والحذر من جانب الحكومة المصرية إزاء موضوع حيوى وضخم

كموضوع دخول قوات أجنبية أرض مصر ، ومن واجبنا أن نراعى غاية الدقة فى تناول هذا الأمر الخطير وأن نعرف فى أتم وضوح ما نحن قادمون عليه وما نحن فاعلون ، ومصر بذلك تسهم إسهامًا فعالاً فى جعل الموقف والمقاصد بلورية الوضوح .

ثم سأل الدكتور فوزى الجنرال بيرنز عن حجم هذه القوات ، فأجاب بيرنز .. إنها ستكون فى البداية فى حدود ثلاثة آلاف رجل وقد تزيد - تبعا لتقديره الشخصى - إلى ستة آلاف [٢٢] .

مهمة قوات الطوارىء :

استندت الجمعية العمومية فى قراراتها ، كما استند السكرتير العام داج همر شولد فى تقاريره ، بشأن مهمه قوة طوارئ الأمم المتحدة ، إلى قرار ٢ نوفمبر ١٩٥٦ والذى يتبين منه ومن الاتصالات التى جرت مع السكرتير العام بأن عمل هذه القوة لا ينصرف إلى أهداف أخرى ، خلاف التى جاءت بالقرار ، وتركزت فى مراقبة وقف إطلاق النار والعمليات الحربية ، فلا يحق لها أن تحتل القناة أو جزء منها تمهيداً لتدويلها ، أو أن تحل محل هيئة مراقبة الهدنة التابعة للأمم المتحدة .

ومع أن الجمعية العمومية كما ذكر همر شولد فى تقريره المؤرخ فى ٦ نوفمبر ١٩٥٦ تحتفظ لنفسها بالحق فى تحديد عمل هذه القوات ، إلا أنها سوف تتوخى حسن النية فى مزاولة قوة الطوارئ لنشاطها ، كما أن مصر سوف تراعى من جانبها حسن النية فى ممارسة حقوق السيادة ، فى أى شأن يتعلق بمهمة هذه القوات .

وفى مقابلة الدكتور محمود فوزى للجنرال بيرنز يوم ٩ نوفمبر ، استفسر عن مهمة القوات التابعة للأمم المتحدة ، وطلب إيضاحاً أكثر مما ورد فمثلاً : ماذا عساها فاعلة عند خطوط الهدنة ؟ وما المناطق التى يفكر فى أن تشغلها مع ملاحظة أنه من المفهوم ضمنياً أن تحديدها بالنسبة للأراضى المصرية - لابد أن يكون بموافقة الحكومة المصرية وما مدى الزمن الذى ينتظر أن تمكثه هذه القوات ؟ وما مهمة القوات التى ستنزل فى بور سعيد وقرب قناة السويس ؟ وهل ستكون مهمتها مقصوره - كما يبدو - على مراقبة الفرنسيين والإنجليز ؟ وهل ستنسحب بمجرد انسحابهم ؟ وما معنى التعاون الذى أشير إليه بين القوات الدولية والحكومة المصرية فى حفظ الأمن

والنظام فـى المنطقة ؛ خاصـة بعد انسحاب القـوات الأنجلوفرنسيـة ؟ لأن حفظ الأمن والنظام بعد الانسحاب لا يكون إلا من صميم اختصاص السلطات المصرية وحدها(٢٣) .

وقد أجاب بيرنز علـى استفسارات الدكتور محمود فوزى ، مـوضحا أن انسحاب القوات الإسرائـيلية بشروط ، كـما جاء فى كتاب بن جـوريون ، أما تحديد المنـاطق التى تشغلها القوات فهذا يكون بموافقة مصر ٠

وذكـر بيرنـز عن الزمن أنه ما دام هناك خـطر تصادم بين مصر وإسرائـيل ، فالقوات باقية ، ولها أن تستخدم القوة عند اللزوم لمنع التصادم بين الطرفين ٠ أما عن التساؤلات حول مهمتها فى بور سعيد فإنه يعترف بأنه ليس واضح الذهن فى هذا الشأن (٢٤) .

وفى كلمات واضحة صريحة ، عاد الدكتور محمود فوزى ليجدد مرة أخرى للجنرال بيرنز ما سبـق أن أبلغه له فى اليوم السابـق ، من لـزوم استمرار الموافقة مـن جانب مصر على بـقاء القوات فـى أراضيها ، وأنه فـى الوقت الذى تريـد فيه الدولـة إعلان عدم موافقتها ، يجب على القوات الدولية الانسحاب (٢٥) .

ورغم أن الدكتور فوزى لم يـشأ أن يفصح فى هذه المقابلة عن موقـف الحكومة المصرية بالنسبة لجنسية القوات المشتركة فى القوة الدولية ، إلا أنه رأى أن الاعتبارات الخاصة بجهود ليستر بيرسون فى إنشاء القوة الدولية – وتعيين الجنرال بيرنز – وهو كندى – كقائد لها ، قـد تتطلب التـعبير عن موقـف مصر بالصورة الـتى لا تجرح كرامة كنـدا ٠ فأشار الدكتور فوزى – فى تلك المقابلة – إلى أن القـوات الكندية سوف تأتى حقيقة باسم الأمم المتحـدة ، ولكن لا شك أن كثيـرين يقدرون ويفـهمون أنها قـوات مدينة بالولاء لمـلكة بريطانيا – تعود إلى مصر ، بينما لم يهـبط بعد الغبار الذى ارتفع أثر جلاء قوات المملكة فى يونيو ١٩٥٦ (٢٦) .

صمت بيرنز قليلا ٠٠ وساد السكون لحظات ، قبل أن يتكلم الجنرال بيرنز ٠٠ قائلاِ إن فى عدم قـبول مصر للقوات الكنديـه حرجا ، وقد يضطر بدوره إلى الـتنحى عن مهمتـه الجديدة ، ثم نوّه عن الدور الـذى قامت به كندا فى الجـمعية العمومـية وسواها ، والذى وصفة بالدور الودى والمفيد جدا ٠ وشعر الدكتور فوزى على الفور بمدى الصدمه التى نلقاها الجنرال بيرنز ، وحاول التخفيف عنه ، قائلاً : ليس المقصود كندا ولا القوات الكنديـة ولا الجنرال بيرنز ، فـالأمر منصل بسـلامة الوضع أو عدم سلامـته ، وإنه إذا

كانت هناك قوات كقوات كندا ، تدين بالولاء للملكة الدولة المعتدية فالتعليق على هذا - خاصة من مصر - واضح . عندئذ استفسر الجنرال بيرنز عن الوضع بالنسبة لقوات الهند وباكستان . وكان الغرض واضحًا من التساؤل ، فهي قوات دول أعضاء في الكومنولث . ومع ذلك ورغم أن هذه الدول جمهوريات ولا ينطبق عليها ما ينطبق على كندا مثلا .. فقد أجابه الدكتور فوزى بأن الأمر ليس معروضًا علينا في الوقت الحاضر (٢٧) .

وفى ١٠ نوفمبر ١٩٥٦ ، استدعى الدكتور محمود فوزى سفير كندا فى القاهرة ، وأبلغه أن مصر ترى من الحكمة ، ولمصلحة كل من مصر وكندا ، أن لا تضم القوة الدولية المقترحة قوات كندية ، فكندا دولة عضو فى جامعة الشعوب البريطانية ، كما أنها عضو فى حلف الأطلسى ومصر تعترض على اشتراك الدول التى تمت بصلة إلى المجموعات والأحلاف والارتباطات الإقليمية ، مهما كان شكلها فى القوة الدولية .

وقد حاول السفير الكندى أن يوضح وجهة نظره ، ولكن الدكتور فوزى استمر فى هذا الحديث الصريح ، وأبلغ السفير أنه تباحث مع الجنرال بيرنز ، وأنه ردًّ بأنه سيستقيل من منصبه .. ومصر تأسف أشد الأسف لمثل هذا القرار ، فالجنرال بيرنز موظف دولى ، ووضعه يختلف كل الاختلاف عن وضع القوات الأخرى .

وقد أرسل السفير الكندى فى مصر يخطر ليستربيرسون بمقابلته الدكتور محمود فوزى ، .. وكانت الكتيبه الكندية التى تم اختيارها قد شحنت معداتها بالفعل ، وفى طريقها الى الشرق الأوسط (٢٨) .

وما إن غادر السفير الكندى مقر وزارة الخارجية المصريه حتى كان السفير عمر لطفى يبلغ داج همر شولد أنه يود الحصول على تأكيدات حول الآتى :(٢٩)

١ أن موافقة الدولة المعنية -- مصر - أساسية لدخول وبقاء قوات طوارئ الأمم المتحدة فى أية بقعة من أراضيها ، وإذا لم تعد هذه الموافقة قائمة ، فعلى هذه القوات الانسحاب .

٢ أن قوات طوارئ الأمم المتحدة لن تكون لها أية مهام فى بورسعيد ومنطقة القناة ، بعد انسحاب القوات الأنجلوفرنسية

٣ - أن موقف مصر حيال جنسيات القوات المشتركة أساسية .

وما زلنا نعترض بشدة على القوات الكندية ؛ فهى ترتدى الزى العسكرى البريطانى ، وتدين بالولاء للملكة بريطانيا ، وهى الدولة الأساسية فى العدوان على مصر .

وقد ردَّ همر شولد على الاستفسارين الأول والثانى " بنعم " ، وردَّ على النقطة الأخيرة ، بأن رفض الحكومة المصرية قبول القوات الكندية يعتبر كارثة ، وأوضح همر شولد أن " التشاور " مع مصر أساسى ، ولكنه - دستورياً - يقع عليه مسئولية معينة ، وقال إنه سيعطى كل الوزن لآراء مصر ، ولكنه غير مقتنع بوجهة نظرها .

طلب همر شولد فرصة من الوقت للاتصال بالسير بيرسون ، وبعدها اتصل مرة أخرى بالسفير عمر لطفى ، وأبلغه أن رد فعل بيرسون كان فى غاية السوء ، وأنه يفكر فى تغيير بيرنز ، واقترح بيرسون أن يكون اشتراك كندا بقوات للإمداد الجوى بدلاً عن قوات برية . كما أن بيرسون قد أبلغ همرشولد بأنه سيصل إلى نيويورك غدا ١١ نوفمبر ١٩٥٦ للتباحث معه[٣٠] .

ثم اتصل همرشولد مرة أخرى بالسفير عمر لطفى ، وذكر له إن قبول مصر قوات من الهند قد يساعد فى هذا الموقف - وكان هدف همرشولد أن يخفف من حجج مصر ، فقبولها الهند - وهى عضو فى الكومنولث - قد يدفعها إلى التقليل من حدة معارضتها للقوات الكندية . وطلب همرشولد من مصر أن تعيد النظر فى موافقتها على قبول قوات الهند .

ووجد همرشولد أنه من الأفضل - إزاء تشدد مصر وحقها فى السيادة ، وما يرتبه ذلك من حقوق - أن يبتعد مؤقتًا عن المناقشة فى تشكيل القوة ، وأن يتخذ خطوة إيجابية أمام الجمعية العمومية ، فاقترح فى العاشر من نوفمبر ١٩٥٦ صيغة البيان التالى على الحكومة المصرية لإذاعته : " لقد تم الاتفاق بين السكرتير العام والحكومة المصرية على تمركز قوة طوارىء الأمم المتحدة فى مصر ، وستتحرك الجماعات الأولى من تلك القوة إلى مصر فى أوائل هذا الأسبوع ، ويعتزم السكرتير العام زيارة القاهرة فى أولى مراحل العملية ، كى يبحث التفاصيل مع حكومة مصر ، كما أنه سيقوم أيضا بتفقد منطقة الانتقال الخاصة بقوة طوارئ الأمم المتحدة فى إيطاليا "[٣١] .

وبخصوص قبول مصر لقوات هندية ، فقد كانت الحكومة المصرية أبدت اعتراضها على

أساس انتماء الهند للكومنولث ، وأبلغت الهند بذلك ، فقامت الهند بدورها بإبلاغ السكرتير العام أنها لن ترسل قواتها إلا بموافقة مصر · · وكان لهذا التكتيك المشترك من جانب مصر والهند أثره فى تدعيم موقف الحكومة المصرية من حيث ضرورة " موافقة " مصر - وليس مجرد التشاور معها - على جنسية قوات الدول التى ستشترك فى قوات طوارىء الأمم المتحدة [٣٢] .

وفى القاهرة جرت محاولة أخرى من جانب كندا ، فقد طلب الجنرال بيرنز مقابلة السفير صلاح جوهر مدير إدارة شئون فلسطين ، وعبَّر له عن قلق حكومته بالنسبة لرفض القوات الكندية ، واقترح الاتى للتغلب على هذه العقبة [٣٣] :

١ - أن هذه القوات لن ترتدى الزى المشابه للزى البريطانى العسكرى ، بل ستكون فى لبس الميدان ، وهو يشابه إلى حد كبير الزى الذى يلبسه الجنود المصريون حالياً ·

٢ - متى بدأت القوات التابعة للأمم المتحدة عملها .. فستكون القوات الكندية أول من يتحرك عبر القناة إلى شبه جزيرة سيناء ؛ لمراقبة تنفيذ انسحاب إسرائيل منها ·

٣ - عند نزول هذه القوات بالأراضى المصرية - فى المنطقة التى سوف تحدد فيما بعد - يمكن تخصيص مكان منفصل لها بعيداً عن المناطق الآهلة بالسكان المدنيين ·

ثم أبلغ الجنرال بيرنز القاهرة بالرد على الأسئلة، التى طرحها الدكتور محمود فوزى يوم ٨ نوفمبر ١٩٥٦ ، والذى اشتمل على الآتى :[٣٤]

١ - من المفهوم ان قوات طوارىء الأمم المتحدة ستصل إلى خطوط الهدنة بعد انسحاب إسرائيل من سيناء ، وسيتم الاتفاق من الحكومات المعنية حول الأراضى التى ستحتلها ·

٢ - من المستحيل القول بصفة محددة الى أى وقت ستبقى القوات على خطوط الهدنة ، ولكن صفتها كقوات طوارىء تربطها بالأزمة الحالية ، التى عالجها قرار ٢ نوفمبر والعمل على تصفيتها · وفى حالة الاختلاف فى الرأى حول انتفاء الحاجة الى وجود هذه القوات .. فهذا أمر سيتم التفاوض عليه مع الأطراف ·

٣ - بعد انسحاب القوات الأنجلوفرنسية ، لن تكون لقوات الطوارىء أية مهمة فى بورسعيد ومنطقة قناة السويس .

وفى ١١ نوفمبر ، أبلغت مصر سفيرها فى بيروت ، عبد الحميد غالب ، بأن يبلغ ملوك ورؤساء الدول العربية المجتمعين فى بيروت بالرسالة التالية من الحكومة المصرية " إن مصر صممت على ان تعرف واجب القوة الدولية ، قبل الموافقة على دخولها الأراضى المصرية . وتم الاتفاق مع المستر همر شولد على النقاط الأساسية . لابد من موافقة مصر على دخول قوات طوارىء الأمم المتحدة وتواجدها فى أى مكان من الاراضى المصرية . وإذا سحبت مصر هذه الموافقه فى أى وقت ، فيجب أن تنسحب القوات الدولية فى الحال . ولايكون للقوات الدولية أى عمل فى بورسعيد أو منطقة القناة بعد انسحاب القوات الأنجلوفرنسية منها ، ويجب الحصول على موافقة مصر على الدول المشتركة فى القوة الدولية (٣٥) .

وخلال الاسبوع الأول من شهر نوفمبر ، تقدمت أندونسيا ويوغوسلافيا إلى المستر همر شولد بغرض المساهمة فى القوة الدولية . . وفى ١١ نوفمبر ، أبلغ السفير عمر لطفى السكرتير العام أن مصر توافق على اشتراك كل من كولومبيا والسويد وفنلندا وأندونسيا ويوغوسلافيا فى القوة الدولية ، لأن هذه الدول غير مرتبطة بأحلاف عسكرية مع الدول المعتدية(٣٦)

وفى ١١ نوفمبر ، ردت مصر على المستر همرشولد بشأن البيان ، الذى يقترح إذاعته بالآتى : (٣٧)

١ - إن مصر مازالت تعتبر أن موافقتها ضرورية بالنسبة لجنسيات القوات المشتركة فى القوة الدولية ، وتبدى تحفظها بالنسبة لما أشار اليه السكرتير العام من حقوق دستورية له .

٢ - إن الحكومة المصرية تلاحظ ما يلى :

أ - أنه من المتفق عليه أن موافقتها أساسية بالنسبة لدخول وتواجد قوات طوارىء الأمم المتحدة فى أى جزء من أراضيها . وإذا لم تعد هذه الموافقة قائمة . . فإن على هذه القوات الانسحاب .

ب - لن تكون لقوات طوارىء الأمم المتحدة أية مهمة فى بورسعيد ومنطقة القناة ، بعد انسحاب القوات البريطانية والفرنسية .

٣ - على هذه الأسس ، ليس للحكومة المصرية اعتراض على البيان الذى يقترح المستر همرشولد إذاعته ، على ان يكون " الاتفاق على وصول " قوات طوارىء الأمم المتحدة بدلاً عن " تمركز " .

وبهذا لم تدع مصر أية فرصة لتفسير مخالف لهذا الموقف ، الذى حددته للسكرتير العام . وبعد أن وافق المستر همرشولد على التعديل السابق أصدر بيانه فى ١٣ نوفمبر ، ويلاحظ هنا مغزى التعديل البسيط الذى رأى الدكتور فوزى إدخاله على نص البيان المقترح إذاعته ، ففارق كبير بين الموافقة على " وصول القوات " ، الموافقة على كلمة " تمركز القوات " .

ولكن همرشولد حاول مرة أخرى فرض وجهة نظره ؛ حيث بعث برسالة تتضمن رده على رسالة الحكومة المصرية وتعديلاتها ، وأشار فى هذه الرسالة الى أنه بعد أن استلم رسالة الحكومة المصرية يود أن يسجل موقفين ، أولهما : أن الحكومة المصرية تشير إلى مسألة موافقتها على تشكيل القوة ، وهو لايرى من الضرورى حل مسألة الاتفاق على هذا المبدأ فى الوقت الحاضر ، وفى نيته ان يكون تشكيل القوة على أساس اتفاق ، يتم التفاوض بشأنه مع مصر .

وثانيهما : عبارة " إذا لم تعد موافقة مصر قائمة .. فعلى القوات الانسحاب " ، وهو يود أن يسجل أن الظروف التى تؤدى إلى الموافقة على دخول وبقاء القوات ، هى نفسها الظروف التى تحدد مهام القوات فى قرار الجمعية العمومية ، ولذلك فهو يفترض أنه من المعترف به أنه طالما لم يتم الانتهاء من المهمة المقرره للقوات .. فإن أسباب الموافقة المصرية تبقى قائمة . كما أن سحب موافقة مصر قبل إتمام القوات لمهمتها ، سيكون متعارضًا مع قرار الجمعية العمومية ، وإذا حدث خلاف فى الرأى .. فإنه يجب التفاوض بشأنه مع الأمم المتحدة " (٣٨) .

وبهذا التفسير الذى وضعه المستر همر شولد بهذه اللغه المرنة . وبهذا الشكل المنطقى ، لم يعد ما أبلغته له مصر من وجهة نظر قائمًا ، ما لم ترد عليه وتحدد مرة أخرى موقفها من التفسير الذى قدمه . وفعلاً بعث إليه الدكتور محمود فوزى برسالة ، جديدة وجاء فيها :(٣٩)

١ - أن الحكومة المصرية لا يمكن أن تقبل هذا التفسير ؛ لأن معناه إلقاء المسألة بأكملها في متاهات الغموض والتأخير عن طريق التفاوض ، ثم أنها تعتبر مساساً خطيراً وانتقاصاً للسيادة المصرية ، وأحد مظاهرها الأساسية هو الحق المطلق في اتخاذ قرار بالنسبة لتواجد قوات غير مصرية على أراضٍ مصرية .

٢ - وأن مصر عندما أبلغت موافقتها على " وصول " القوات ، فقد قامت بذلك على أساس مذكرتها في ١١ نوفمبر وما تضمنته من شروط أساسية ؛ خاصة ماتعلق منها بموافقة مصر ، وحقها في سحب هذه الموافقة .

٣ -وقد قبل المستر همر شولد ذلك ، وأصدر بيانه على هذا الأساس .

٤ - وفي ضوء الرسالة الجديدة للسكرتير العام ، فإن الحكومة المصرية تجد نفسها مضطرة إلى أن ترى عدم تنفيذ ما ورد في البيان ، الذى أذاعه السكرتير العام حتى يزول كل سوء فهم .

وفي اليوم التالي ١٣ نوفمبر ... بعث المستر همر شولد برسالة خاصة إلى الدكتور محمود فوزى ، جاء فيها .. " لم أناقش ، وكذلك الجمعية العمومية ، أن دخول وتواجد القوات الأجنبية في مصر يتوقف على موافقة الحكومة المصرية " .[٤٠] واستمر همرشولد في رسالته حيث ذكر .. ولكنني عبرت عن رأيي الشخصي بالنسبة "لأسباب الموافقة " وبقاؤها طالما لم تنته مهمة القوات ، وما ذكرته يفيد أن سحب مصر لموافقتها قبل أن تتم القوة لمهمتها - ولو أنه يدخل في حقوق الحكومة المصرية - إلا أنه يتعارض مع موافقتها على قرار الجمعية العمومية . ومضى المستر همر شولد في توضيح أنه قصد بالتفاوض أن يكون انسحاب قوات الطوارئ الدولية محلاً للتباحث ، حول ما إذا كانت مهمتها على ضوء ما قررته الجمعية العمومية قد إستكملت أم لا .

ثم رجا همر شولد أن ينفذ الاتفاق حتى يمكن وصول القوات الدولية ، ثم ألحق بهذه الرسالة الخاصة ، رسالة أخرى في نفس المعنى ، ويبدو أنه شعر بالأخطار التي تواجه العملية بأكملها .

وكتب همرشولد في رسالته الثانية " أرجو ان تقدر أنه لابد من ان احفظ حقي بالنسبة لمناقشة انسحاب القوات الدولية إذا لم تتم مهمتها "[٤١] وكيف يكون الموقف إذا قبلت

حقكم الدستورى الواضح ، دون أن أحفظ حقى بالنسبة لكيفية ممارستكم لهذا الحق ، إذا تعارض قراركم مع قرار الجمعية العمومية الصادر فى ٥ نوفمبر . إنى لا أرى داعياً للقلق فعلى كل منا أن يحتفظ بحريته فى الحركة ، ونستطيع أن نسير قدماً ، ونحن نأمل بأن موضوع الخلاف لن يثور ، وإذا فشلت الترتيبات .. فسأضطر إلى الذهاب إلى الجمعية العمومية لعرض الموضوع عليها ، وسيكون فى هذا الإجراء إحراج لنا جميعاً ، وأخشى ردود الفعل السياسية له ، وأخشى أن دولاً قليلة ستجد من المعقول أن الاعتراف لكم بحرية الحركة يعنى - بعد سماحكم بدخول القوات - طلبكم انسحابها فى وقت ، تكون فيه نفس الأسباب التى دفعتكم للموافقة ما زالت قائمة ... إنى لا أستطيع ان أحضر الى القاهرة إلا بعد وصول القوات ... لقد فعلت أقصى ما أستطيع لمساعدتكم .. وإنى أثق باسم مصلحتنا المشتركة أنكم ستساعدونى بأن أتمكن من اتخاذ الموقف ، الذى يتمشى مع حقوقى فى الإطار السليم ".[٤٢]

اجتماع اللجنة الاستشارية :

اجتمعت اللجنة الاستشارية فى أول اجتماع لها فى العاشرة من صباح ١٤ نوفمبر ١٩٥٦ . وفى بداية الجلسة ، تكلم المستر همر شولد ، وذكر " أرى أن سيادة مصرالكاملة واللامحدودة هى نقطة البداية فى عمليتى كلها ، ولاريب أن موافقة مصر أمر لابد منه فى هذه المرحلة لإقامة قوة طوارىء الأمم المتحدة عند وصولها .. "[٤٣]

وذكر المستر همرشولد أنه قد تعهد للحكومة المصرية أن لا يكون للقوة الدولية أى عمل فى بورسعيد ، أو منطقة القناة بعد انسحاب القوات الأنجلوفرنسية منها ، وتصبح المهمة الملقاة على عاتق هذه القوة متابعة القوات الإسرائيلية ، وإرغامها على الانسحاب من سيناء وقطاع غزة إلى حدود الهدنة الأصلية .

وترى الحكومة المصرية ضرورة الحصول على موافقتها على كل وحدة من الوحدات التى تشملها هذه القوة الدولية .. وأوضح همر شولد أنه كان يرى أيضًا عدم إرسال وحدة منها الى أى بلد دون موافقته . وليس ثمة شك فى أنه من المستحيل ضم أى وحدة من هذه القوات ، دون موافقة ورضاء الحكومة التى ستتمركز هذه الوحدة فى أراضيها . وبالاختصار ، فإن من حق مصر السيادة على أراضيها ، وأن توافق على دخول هذه القوات إلى أراضيها وبقائها فيها . ومن حقوقها السيادية أيضًا - وإن كان هذا لا ينقص من حقوق

الأمين العام فى تأليف القوة ، ان لا تمضى الى مصر وحدة لا ترضى حكومتها عن وجودها فيها . وبهذه العبارات المحددة ، سلم همر شولد تماما بوجهة نظر الحكومة المصرية .

ولذلك بعث الدكتور محمود فوزى فى نفس اليوم ١٤ نوفمبر ، برسالة الى المستر همرشولد ، أبلغه فيها أنه على ضوء التفسير الواضح للاحترام الكامل للسيادة المصرية ، فإن الحكومة المصرية توافق على وصول قوات طوارىء الأمم المتحدة ، التى سبق الاتفاق عليها[٤٤]

وقد حاول السير ليستر بيرسون أن يشكك فى سلامة الموقف القانونى للحكومة المصرية .. ولكن همر شولد أكد موقفه ، وسانده فى الرأى مندوب الهند الذى ذكر للجنة : " أنا لا أستطيع أن أقبل أى قرار يتخذ حول موضوع تشكيل القوة الدولية ، دون موافقة مصر [٤٥] .

وفى ١٥ نوفمبر ، استدعى الدكتور محمود فوزى ، القائم بأعمال سفارة كندا ، وأبلغه أن الحكومة المصرية قررت ان تقبل اشتراك كندا فى القوة الدولية للأمم المتحدة ، عن طريق المساهمة فى أعمال النقل الجوى . ثم أبلغ محمود فوزى السكرتير العام للأمم المتحدة بذلك[٤٦] .

وفى ١٦ نوفمبر ، طار همر شولد إلى القاهرة ؛ لإجراء مباحثات مكثفه مع الرئيس جمال عبد الناصر ووزير خارجيته عن مهام قوة طوارىء الأمم المتحدة ، وموقعها ، والمدة التى ستبقى فيها ، وأين ستنتشر . وكان هناك اتفاق كامل من ناحية المبدأ ، ولكن بين المبدأ وتحقيقه يمكن أن تنشأ مئات من الآراء المتعارضة [٤٧] .

وفى مباحثات القاهرة ، حاول المستر همر شولد إقناع الرئيس عبد الناصر بأن يترك تكوين القوة فى أيدى السكرتير العام واللجنة الاستشارية ، وأن تشترك الجمعية العمومية فى قرار نهائى بشأن متى تنسحب القوة عندما تنتهى من مهامها . ولكن لم يتم التوصل إلى اتفاق محدد حول هذا الأمر ، بالرغم أنه حدث أن أصدرت الحكومة المصرية تصريحاً بأنها عندما تمارس حقوقها السيادية على أى موضوع ، يختص بوجود ومهام قوة الطوارىء التابعة للأمم المتحدة .. فإنها تسترشد بحسن نية ، بقبولها قرار الجمعية العمومية ٣٩٤ الصادر فى ٥ نوفمبر ١٩٥٦ ، الذى ينشىء قيادة الأمم المتحدة . وهذه الصيغة كانت المفتاح الذى فتح فى النهاية الباب المصرى ؛ للسماح بدخول قوة طوارىء الأمم المتحدة [٤٨] .

وبينما كانت مصر تؤكد موقفها الذى وافقت عليه الجمعية العمومية بوجه عام ، والقائم على مبدأ السيادة الوطنية ، وأن وجود قوة الطوارىء التابعة للأمم المتحدة على أراضيها يتطلب بالضرورة الموافقة المستمرة من الحكومة المصرية . . كان المستر همر شولد يبلغ الدكتور محمود فوزى قراراً بأن مجلس الأمن سواء من ناحية الشكل أو المضمون العملى ، له دور يؤديه ، إذا رأت الدولة المضيفة أن وقت رحيل القوة قد حان(٤٩) .

ورغم وهن هذه الحجج ، فقد قبلت مصر رغبة السكرتير العام ؛ إظهاراً منها لروح التعاون مع الأمم المتحدة ٠

وقد نتساءل : لماذا قبلت مصر قوات من الدانمرك والنرويج ، وهما عضوان فى حلف الأطلسى ٠٠ والرد على ذلك أن الشكل الذى عرض به المستر همر شولد اشتراك هذه القوات هو الذى أدى إلى قبولها ؛ إذ عرض أن تحضر فى إطار قوة إسكندنافية موحدة من الأربع دول (فنلندا - السويد - الدانمرك - النرويج) ٠

وفضلاً عن أن مصر لم تشأ تعقيد الأمور أمام السكرتير العام . . فقد رأت أن المصلحة تقضى بالفعل بالإسراع فى تشكيل القوات وحضورها ، طالما أن انسحاب المعتدين يتوقف على ذلك ٠

وبعد انسحاب إسرائيل . . اقترحت بعض الدول - ومنها كندا - زيادة عدد أفراد القوة ؛ حتى تستطيع القيام بمهامها ٠ وقد طلب الجنرال بيرنز إضافة وحدات كندية جديدة ، عبارة عن وحدات استطلاعية مدرعة ، وقد وافقت الحكومة المصرية على حضور وحدات فنية ميكانيكية كندية ، لتتمركز قرب خطوط الهدنة ، وذلك بعد انسحاب القوات الأنجلوفرنسية من بورسعيد ٠

كما ترددت كذلك فكرة إضافة وحدات بحرية فى خليج العقبة ، وإن كان السكرتير العام قد أوضح فى تقرير بتاريخ ٢٦ فبراير ١٩٥٧ أن هذه الفكرة - بما تتضمنه من توسيع لوظيفة قوات الطوارئ - تخرج عن اختصاص السكرتير العام ؛ طبقاً لقرارات الجمعية العمومية (٥٠) .

ومع أن الجمعية العمومية - كما ذكر همر شولد ، فى تقريره المؤرخ فى ٦ نوفمبر ١٩٥٦ - احتفظت لنفسها بحق التحديد الكامل لأعمال هذه القوات . . فإنها - كما قرر

المستر همر شولد فى مفكرته ، المرفقة . بتقريره ، المؤرخ فى ٢١ نوفمبر ١٩٥٦ - ستتوخى حسن النية فى مزاولة قوات الطوارئ لنشاطها . كما أن مصر سوف تراعى من جهتها حسن النية ، حين ممارستهـا لحقوق سيادتها فى أى شأن يتعلق بمهـمة هذه القوات . وقد أتاحت الأحداث مناقشة جواز توسيع اختصـاصات قوات طوارئ الأمم المتحدة ؛ إذ ربطت إسرائيل بين انسحابها من منـطقة شرم الشيخ وخليج العقبة ، الحصول على ضـمانات كافية ، تكفل لها حرية الملاحـة فى الخليج . كما طلبت فى مفكرتها إلى السـكرتير العام بتاريخ ٢٣ يناير ١٩٥٧ ، أنه بعد انـسحابها من المنطـقة . . لابد أن تراقب قوة طوارئ الأمم المتـحدة حرية الملاحة فى خليج العقبة ، مع البقاء فى المنطقة ؛ حتى يتحقق الحل النهائى للمشكلة .

أما تقرير السكرتيـر العام بتاريخ ٢٤ يناير ١٩٥٧ . . فإنه - وإن كان قد أكد أن أى توسع لاختصاص قوات الطـوارئ ، يقتضى موافقة الأطراف المعنية والجمـعية العمومية - إلا أنه من ناحية أخرى أقترح أن تقوم هذه القوات بمهمة مراقبة تنفيذ اتفاقية الهدنة [٥١] .

كما ذكر السكرتيـر العام فى تقريره الشفوى بشأن الوضع فـى قطاع غزة - بتاريخ ٢٢ فـبراير ١٩٥٧ - أنه يمكن لمصـر وضع ترتيـبات مع الأمم المتحـدة بالنسبـة لفترة الانـتقال للمحافظة على حيـاة الأفراد وممتلكاتهم فى القطاع ، وذلك بتقديم الحماية الـبوليسية الفعالة لضمـان حسـن الإدارة المدنـيـة ، وتحقـيق أقصـى مـسـاعدة لـلاجئين ، وتنمـية الأوضاع الاقتصادية [٥٢] .

ولعل هذا الاتجاه نحو توسيع اختصاصـات قوات طوارئ الأمم المتحدة يظهر واضحاً فيمـا أعـلنـه منـدوب الولايـــات المتحـدة فـــى جلســة الجمعيـــة العمـوميـــة بتـاريخ ٢ فبــراير ١٩٥٧ ؛ حيـث أجمـــل وجهـــة نظـر حكومـتـه بعـد انسحاب إسرائيـل فيه يلى : [٥٣]

١ - قيـام قـــوات الطـــوارئ بكفـالـــة تنفيــذ قـرار الجمعيـة العمـوميـة بتـاريخ ٢ نوفمبـــر .

٢ - استخدام قوات الطوارئ كمانع ، يحـول دون استعمال أى من الطرفين لأى حق من حقوق المحاربين .

٣ - مساهمة قوات الطوارئ فى الرقابة على تنفيذ اتفاقية الهدنة .

٤ - بقاء قوات الطوارئ فى منطقة خليج العقبة ومضايق تيران ؛ للفصل بين القوات البرية والبحرية التابعة لمصر وإسرائيل ، حتى يتضح أن عدم استعمال الطرفين لحقوق المحاربين ، قد أوجد الظروف السلمية ، التى يتعين معها استمرار الملاحة فى تلك المياه ذات الأهمية الدولية .

وقد أوضحت مصر موقفها على لسان وزير خارجيتها الدكتور محمود فوزى ، بتاريخ ٢ فبراير ١٩٥٧ ، بما لا يدع مجالاً للشك ، فأعلنت : أنها على أثر انسحاب إسرائيل ، تتخذ قوات طوارئ الأمم المتحدة مواقعها على جانبى خطوط الهدنة ... وأن دخول وإقامة وتوزيع هذه القوات يجب أن يسبقه موافقة الحكومة المصرية ، كما أوضح الدكتور فوزى أن قوات طوارئ الأمم المتحدة ليست بقوات احتلال ، ولا تحل محل المعتدى أو حل أى مسألة ذات صلة بقناة السويس أو فلسطين أو حرية المرور فى المياه الإقليمية ... وأن قوات الطوارئ الدولية ليست موجودة للانتقاص من السيادة المصرية ، وإنما لتعرب عن رغبة الأمم المتحدة فى وضع حد للاعتداء الذى وقع على مصر ، وكفالة انسحاب إسرائيل إلى ما وراء خطوط الهدنة [٥٤] .

مهمة قوات الطوارئ بعد انسحاب إسرائيل :

بعد انسحاب القوات الإسرائيلية من قطاع غزة يوم ٦ مارس ١٩٥٧ ، أعلن الجنرال بيرنز أن قوة الطوارئ سوف تضطلع بمسئولية تصريف الشئون المدنية فى غزة ، وذلك حتى يمكن الوصول إلى ترتيبات أخرى . كذلك أوضح همر شولد فى تقريره المرفوع إلى الجمعية العمومية بتاريخ ٨ مارس ١٩٥٧ ، أنه دون الإخلال بالوضع القانونى لهيئة الرقابة على الهدنة .. فإن عمل هذه الهيئة فى قطاع غزة ، سوف يكون تحت إشراف قوات الطوارئ الدولية[٥٥] .

وقد قام الكولونيل الدنماركى كارل الجوهيلم بأعمال الحاكم العسكرى بالقطاع ، تعاونه لجنة من خمسة أعضاء من سكان غزة لتصريف الشئون المدنية فى المدينة . ولما قامت المظاهرات فى غزة منادية بعودة الإدارة المصرية ، وتفاقمت الحالة .. وأعلنت مصر فى ١١ مارس سنة ١٩٥٧ أن الإدارة المدنية المصرية سوف تقوم بمسئولياتها فى القطاع فوراً ، وأنه قد تم تعيين اللواء محمد حسن عبد اللطيف حاكماً إدارياً لقطاع غزة .

كما قامت مصر بالاحتجاج لدى السكرتير العام ، على خروج قوة طوارئ الأمم المتحدة عن مهمتها الأصلية - وهى إيقاف القتال ومتابعة انسحاب القوات المعتدية إلى ما وراء خطوط الهدنة - ومحاولتها أن تأخذ لنفسها صفة إدارية فى القطاع ، وقيامها بإطلاق النار على الأهالى المدنيين والاعتداء على حرياتهم .

الحد الزمنى والمكانى لمباشرة قوات طوارئ الأمم المتحدة مهمتها :

يؤخذ من قرارات الجمعية العمومية وتقارير المستر همر شولد أن دخول قوات الطوارئ وإقامتها أو عملها ، لا يمكن أن يتم دون موافقة الدولة التى ستعمل فى أراضيها (الفقرة التاسعة من تقرير همر شولد) . وتأسيساً على ذلك .. سجلت مصر وجوب استمرار موافقتها على بقاء هذه القوات فى أراضيها ؛ حتى يسمح لها بالبقاء ، فلها أن تطلب منها الانسحاب من الأراضى المصرية ، إذا وجدت أنه ليس ثمة مايدعو لبقائها ، غير أن همر شولد بعث لمصر بتفسير لها وأنه يعتبر الموافقة قائمة ما دامت القوات لم تفرغ من مهمتها . وبما ان مصر وافقت على قرارات الجمعية العمومية فى هذا الصدد .. فإن سحب موافقتها قبل انتهاء مهمة هذه القوات يتعارض وقرارات الأمم المتحدة ، ويقتضى الأمر حينئذ إجراء مفاوضات مع الأمم المتحدة فى هذا الشأن.

ونظراً لخطورة هذا التفسير الذى ينازع مصر حقها ؛ مما قد يجرها إلى مفاوضات قد تطول وتعقد الموقف ... فقد سجلت مصر فى رسالة لهمر شولد قبيل وصول قوات الطوارىء ان دخولها أرض مصر ، إنما يستند إلى موافقتها ، دون المساس بسيادتها .

وقرر همر شولد فى تقريره - ثم أكد فى بيان له بعد ذلك - أن قوات الطوارىء ستبدأ مهمتها فى الأراضى القريبة من قناة السويس ، وتنتهى عند خطوط الهدنة بين مصر وإسرائيل . وهكذا تم تقسيم مهمة القوة - من حيث الحد الزمنى والمكانى - إلى قسمين .. القسم الأول : مراقبة انسحاب القوات الأنجلوفرنسية من منطقة بورسعيد - وهى مهمة مؤقتة .. تنتهى بانسحاب هذه القوات الذى تم فعلا يوم ٢٢ ديسمبر ١٩٥٦ ، وصرح الجنرال بيرنز بأن قواته ستنتقل إلى سيناء .. والقسم الثانى : مراقبة انسحاب القوات الإسرائيلية إلى ماوراء خطوط الهدنة ؛ حيث تستقر القوات الدولية ، على أن تحدد المناطق التى ستقيم فيها هذه القوات ، بالاتفاق مع الأطراف المعنية .

وبعد انسحاب القوات الإسرائيلية ، برزت مسألة الحد الزمانى والمكانى لقوات طوارىء الأمم المتحدة ؛ إذ إنه بتمام الانسحاب تنتهى مهمتها ، وتثار مسألة مدة بقائها والنطاق الإقليمى الذى تعمل فيه . فبخصوص الحد الزمنى ، أوضح السكرتير العام فى تقريره المقدم إلى الجمعية العمومية بتاريخ ٢٦ فبراير ١٩٥٧ ، أنه بخصوص فترة بقاء القوات الدولية فى شرم الشيخ وتاريخ انسحابها منها . . فسوف يحيل الأمر إلى اللجنة الاستشارية لقوة الطوارىء ؛ لتقرير إحالته إلى الجمعية العمومية .

أما عن الحد المكانى لقوة الطوارىء الدولية . . فيمكن إجماله فى النقاط التالية :

١ - مازال مركز قيادة الجنرال بيرنز فى البلاح ، وقد أعلن أنه سوف ينقله إلى قطاع غزة قريبًا .

٢ - توجد القوات الفنلندية فى منطقة شرم الشيخ وخليج العقبة .

٣ - دخلت قوات الطوارىء قطاع غزة على الوجه التالى :

- القوات الدانمركية والنرويجية بمدينة غزة .
- القوات السويدية فى رفح .
- القوات الكولومبية فى خان يونس .
- القوات اليوغوسلافية المدرعة فى الجنوب خارج القطاع .

٤ - وبعد تولى الإدارة المدنية المصرية فى قطاع غزة ، بات من المنتظر أن تستقر قوات الطوارىء على جانبى خطوط الهدنة ، وبرزت مسألة موافقة إسرائيل على وجودها على الجانب الإسرائيلى من خطوط الهدنة .

اتفاقية الوضع القانونى لقوات الطوارئ

فى أوائل ديسمبر ١٩٥٦ ، تم الاتفاق على الوضع القانونى لقوات الطوارىء ، فى مباحثات دارت بين المستر ستافرو بولوس المستشار القانونى للسكرتير العام ، ووزارة الخارجية المصرية .

وصار توقيع هذه الاتفاقية بالأحرف الأولى بوزارة الخارجية المصرية يوم ٤ فبراير

١٩٥٧ ، كما تم تبادل الخطابات بشأنها بين السكرتير العام ووزير الخارجية المصرية بتاريخ ٨ فبراير ١٩٥٧ وهى ترتكز على اتفاقية امتيازات وحصانات الأمم المتحدة ، التى انضمت اليها مصر فى ١٧ سبتمبر سنة ١٩٤٨ . وأهم المسائل التى تناولتها :

١ - تعريف قوات طوارىء الأمم المتحدة ، والأفراد الذين ينتمون اليها ، والرقعة التى تعمل فيها .

٢ - احترام افراد القوة للقوانين واللوائح المصرية ، وامتناعهم عن مزاولة أى نشاط سياسى فى مصر ، أو أى عمل يتعارض مع الطبيعة الدولية لهذه القوة .

٣ - إعفاء أفراد القوة من الخضوع للوائح الجوازات والتأشيرات ، وقيود الدخول أو الخروج من الأراضى المصرية .

٤ - الولاية الجنائية : لا يخضع أفراد القوة للقضاء الإقليمى المصرى بالنظر للأفعال الجنائية التى تقع منهم فى مصر .

٥ - الولاية المدنية تكون على الوجه التالى :

أ - لا يخضع أفراد القوة للولاية القضائية المدنية للمحاكم المصرية ، بالنسبة للمسائل المتعلقة بأعمالهم الرسمية .

ب - الدعاوى المدنية التى يرفعها مصرى بالنسبة للأضرار التى تلحقه ، والتى يكون سببها عملاً أو امتناعًا عن عمل يأتيه أحد أفراد القوة ، وكذلك الدعاوى المدنية التى ترفعها الحكومة المصرية على أحد أفراد القوة ، يتم النظر فيها بواسطة لجان خاصة تشكل لهذا الغرض .

جـ - المنازعات التى تنشأ عن عقود العمل بالنسبة للأفراد المحليين ، يتم النظر فيها بالإجراءات الإدارية ، التى يضعها قائد قوات الطوارىء .

٦ - الشرطة العسكرية التابعة لقوات الطوارىء الدولية واختصاصاتها وسلطاتها .

٧ - قيام السلطات المصرية بتوفير أماكن الإعاشة والإقامة للقوة ، وتعتبر هذه الأماكن أراضٍ مصرية .

٨ - حق قوة الطوارىء فى رفع أعلام الأمم المتحدة ، وحق أفراد القوة فى ارتداء الأزياء الخاصة بها ، ووضع علامات مميزة على معداتها ٠

٩ - حمل أفراد القوة لأسلحتهم ، أثناء القيام بالمهام الموكولة إليهم ٠

١٠ - تمتع قوات الطوارىء بالامتيازات والحصانات المقررة لمختلف فروع الأمم المتحدة٠ (إعفاء أفراد القوة من الرسوم والضرائب واللوائح الجمركية ، وتمتع القوة بمختلف التسهيلات بالنسبة للمواصلات) ٠

١١ - تمتع قوات الطوارئ بحرية الحركة ، واستعمال الطرق البرية والمائية وسائر المنافع العامة ٠

١٢ - تقدم الحكومة المصرية للقوة العملات المصرية اللازمة ، نظير الدفع بمقابل (دولارات - فرنكات سويسرية)٠

١٣ - تقوم الحكومة المصرية بتقديم مختلف التموينات ٠

١٤ - تيسير حصول القوة على اليد العاملة المحلية اللازمة لها ٠

١٥ - تعتبر هذه الاتفاقية سارية المفعول من يوم وصول أول عنصر من قوات الطوارئ ، وحتى تاريخ رحيل هذه القوات ، على أن يتم تحديد هذا التاريخ بالاتفاق بين الحكومة المصرية والسكرتير العام للأمم المتحدة ٠

وقد أثبتت الأيام سلامة الموقف الذى اتخذته حكومة مصر، وأوضحت أنه - فى أحلك الظروف - لابد للدول من أن تحافظ على هدوء أعصابها ، وتتحرك لمواجهة المواقف التى تواجهها فى إطار سيادتها واستقلالها ، وأن التفريط فى الحقوق السياسية والقانونية يسبب أضراراً لا يمكن تعويضها مستقبلاً ٠٠ وخير للدولة أن تتحمل مزيداً من الأضرار المادية ، على أن تتخلى عن مبادئها وسيادتها ٠

التعليق :

أدت الأزمة السياسية التى انتهت إلى العدوان الثلاثى على مصر ، فى خريف عام ١٩٥٦ أن تستقبل مصر فوق أراضيها - ولأول مرة - قوة سلام تابعة للأمم المتحدة عرفت

باسم قـوة طوارىء الأمم المتحدة ؛ لـتأمين وقف الأعمـال العدائيـة ومراقبة انسـحاب قوات العدوان الثلاثى ؛ وفقا للقرار رقم ٩٩٧الصادر فى ٢ نوفمبر ١٩٥٦ ٠

وجاء إنـشاء تلك القـوة مستـندًا إلى قـرار الاتحاد من أجل الـسلام ؛ حيـث إن الأمر بإنشائها لم يصدر من مجلس الأمن ، بل من الجمعـية العمومية للأمم المتحدة ؛ طبقا للفقرة التاسعة من تقرير السكرتير العام ، المؤرخ فى ٦ نوفمبر ١٩٥٦٠

وهى تعتبـر قوة احتلال اتفاقى فى وقت الـسـلم ، وفقا للقانون ، لهـا أربع خصائص مميزة ، هى : أن تكون قوة سـلام ، وألا تكون ناقلة للسيـادة ، وأن تعمـل بالاتفـاق مع الـدول المضيفـة ، وأن تكـون ذات طبيعـة مؤقتـة [٥٦] .

وبمطابقة تـلك الخصائص على قوة طوارىء الأمم المـتحدة ، التى عملت فـى مصر منذ شهر نوفمبر ١٩٥٦ ، حتى انسحابها فى منتصف شهر مايو ١٩٦٧ ، يتضح الآتى :

١ - أن قوة طوارىء الأمم المتحدة كانت قوة سلام غير محاربة ٠

٢ - أن السيـادة المصريـة كانـت مكفولة ، فيمـا عدا بعض القيود التـى تطلبتهـا ضمانـة أمـن افـراد القـوة ، ومنحهـا حـق . . ٠ـامـة داخـل مصـر ٠

٣ - أن أساس تواجد الـقوة وممارسة وظائفهـا فى مصر يستـمد شرعيته من اتـفاقية قانونية بين السكرتير العام للأمم المتحدة والسلطات الشرعية المصرية[٥٧] .

٤ - أن القوة ذات طابع مؤقت ٠

٥ - أن القـوة ترمز الى المجـتمع الدولى ، وتـوجد على أرض مـصر لخدمة قـضية السلام ، وليس لخدمة مصالح أية دولة اخرى ٠

٦ -أن القوة تـهدف - فى نهايـة الأمر - إلى المساعدة والإشـراف على تنفـيذ قرارات الجمعية الـعمومية ومجلس الأمن ، ولـيس فرض شىء معين على الدولـة المضيفة عن طريق القسر ٠

٧ - أن أهم شروط عمل القوة هو الالتزام التام بالحياد بين الأطراف المتنازعة ، وعدم التأثير على المواقف القانونية أو السياسية أو العسكرية ٠

وإذا كان البعض قد اطلق علـيها اسم البوليس الدولى . . فإنه يعتبر تـسمية تفتقر إلى

الدقة القانونية ؛ لأنها تخلط بلا مبرر - بين الأجهزة الامنية التى تستخدمها الدولة داخليا ، وبين الجهاز الذى تـنشئه الأمم المتحدة ليعمـل فى النطاق الدولى ، والذى يختـلف من كافة الوجوه عن وظائف الأجهزة الداخلية فى الدولة ·

وقد كان من المتفق عليه عنـد انشاء قوة طوارىء الأمم المتحدة فى نوفمبر ١٩٥٦ ، أنها تعـتبر من الفروع القانونية ، التى نصت المادة ٢٩ من ميثاق الأمم المتحدة على أحقية مجلس الأمن فى أن ينشىء من الفروع الثانوية ما يرى ضرورته لأداء وظيفة معينة ·

ويترتـب على هذا تكـييف قانونى لـقوة الطوارىء بأنهـا أحد الأجهزة الفرعـية للأمم المتحدة ، تتمتع بسائر مزايا أجهزة الأمم المتحدة الرئيسية وحصاناتها . كما أن أفراد القوة - على الرغم من استمرار بـقائهم فى الخدمة الوطنية للدول التى يتبعـونها - فإنهم يعدون من الموظـفين الدولـيين ، الذين يخضـعون مباشـرة لقيادة الأمم المتحدة ، ممثلة فـى سكرتيرها العام ، تحت سلطة مجلس الأمن(٥٨) .

وتتشكل قوات الطوارىء من عدد من الوحدات العسكرية ، التى تقدمها الدول التى يقع عليها اختـيار السكرتير العام ، بعـد التشاور مع مجلس الأمن والأطراف الأخـرى المعنية . ومن المسلم به أن من حق الـدولة التى تشترك بوحدة عسكرية ، أن تسحـبها وقتما تشاء ، وهو حق مكفـول لها بغايـة الوضوح فى قرار الجمعية العمومية ، رقم ٣٢٧٦ / أ ، بتاريخ ٤ نوفمبر ١٩٥٦ ، كـما تقررت الإشارة إليه فى الفـقرة الأولى من تقرير السكـرتير العام ، المؤرخ فى ٦ نوفمبر ١٩٥٦ ·

ومن الطبيـعى ألا يستخدم هذا الحق بهـدف التعنت ، وعادة ما تراعى الـدولة صاحبة الوحدة العسكرية المـطلوب سحبها ، أن تعطى الأمم المتحدة ، فرصـة زمنية كافية ؛ لإحلال وحدة بديلة محل التى يجرى سحبها حتى لا تختل مهمة قوة الطوارىء (٥٩) .

وبالنـسبة للـحقوق الأخرى لـسائر الاطراف المـباشرة فى الـنزاع القائـم ، الأمر الذى استدعى توجيه قـوة الطوارىء لحفظ الأمن والسلام فى مسرحه - فـإن تلك الأطراف المباشرة تنقسم إلى قسمين متميزين ، هما : الدول المضيفة لقوات الطوارىء ، والدول غير المضيفة ، ولكنها تقع داخل حلقة الصراع ·

وفى حالتنا هذه تعتبر مصر هى الدولة المضيـفة ، التى نص تقرير السكرتير العام المقدم

للجمعيــة العمومية بـتاريخ ٦ نوفـمبر ١٩٥٦ ، فى البنـد التاسع منه : " أن قـوة الطوارئ الدولية عـندما تنشأ ، سوف تـكون محدودة فى أعمالهـا بموافقة الأطراف المعنـية ، فى ظل الشروط المتعارف عليها دولياً ، وأن الجمعية العـمومية لا تستطيع أن تطلب تواجد هذه القوة أو ممارسة عملها فى أراضى دولة معينة بغير موافقة حكومة هذه الدولة ٠ "

وقد وافقت الجمـعية العمومية على هذا البند الـتاسع ، فى قرارها رقم ١٠٠١ بتاريخ ٧ نوفمبر ، ثم تبادلت الحـكومة المصرية والسكرتير العام بعد ذلك اتـفاق نوايا حسنة فى ٢٠ نـوفمبر ١٩٥٦ ، أودع وثائق الأمم المتحدة ، وأكد فيـه الجانبان على ضرورة مـوافقة الدول المضيفة على تواجد وعمل قوة الطوارئ على أراضيها ٠

ثم أعلنت الحكومة المصرية – بعدئذ – أنها عنـدما تمارس حقوق سيادتها ، فيما يتعلق بتواجد وعمل قوات الطوارئ . . فسوف تسترشد بالنوايا الحسنة . وقد تبعتها الأمم المتحدة ، ومـن ناحيتـها بنفس الإعــلان ، مؤكـــدة أن نشاط الطوارئ سوف يسترشد أيـضاً بالنوايا الحسنة ٠

وقد اتفقت آراء الفـقهاء حتى قبل أن تثور مشكلة صيف ١٩٦٧ ، عندما طلبت حكومة مصر إنهاء مـهمة قوات الطوارئ ، وسحبـها من أراضى مصر ، على أن اسـتمرار وجودها مرتهن بموافقة مصر ، وإن كان البعض قد انتقد ذلك الوضع ووصفه بالقصور ٠

فهذه القوة ليـست وسيلة احتلال عسكرى ؛ ليـحق لها البقاء حتى لو طـلبت الحكومة المضيفة سحـبها ، وهو ما أيدته محكمـة العدل الدولية فى رأيها الاستـشارى ، الصادر فى يوليو ١٩٦٢ ، بخصوص الطبيعة القانونية لقوات الطوارئ ٠

ثم تأكد ذلك بصورة قاطعة يوم ١٨ مايو ١٩٦٧ ، عندما طلبت مصر سحب القوات ، ونزل السـكرتير العـام للأمم المتحدة عـلى طلبـها ، رغم معارضـة الولايات المتحـدة وكندا وإسرائيل ٠

وقد برر السكـرتير العام قراره بالأسانـيد القانونية والاعتـبارات العلمية ، التـى جعلت استمـرار القوة فى أماكنـها ومباشرة مـهامها ضربـا من المستحيـل ، بعد أن سحبـت مصر موافقتها على بقائها[٦٠] .

وتلخصت تلك المبررات والأسانيد فى الآتى :

١ - أن الحكومة المصرية سبق أن أوضحت بكل جلاء أن وصول القوة إلى أراضيها والعمل فيها لا يمس سيادتها ، وان أى طلب منها بسحبها سوف يحترم[٦١] .

٢ - أنه إذا سحبت الدولة المضيفة موافقتها على بقاء القوة فى أراضيها ، وطلبت جلاءها ، فليس للسكرتير العام أن يتمسك ببقائها بغير الإخلال بسيادة الدولة المضيفة ، لأن تلك القوة إنما تضطلع بمهمة سلام واضحة ، فإذا أصرت على البقاء رغما عن الدولة المضيفة .. تحولت المهمة إلى عمل قهرى ، يتعارض مع الأساس الذى قامت عليه تلك القوة ·

٣ - أن استمرار القوة ضد رغبة الحكومة المصرية ، سوف يحرمها من المساعدات والأيدى العاملة المحلية ، التى تعتمد عليها فى حياتها اليومية بصورة شبه كاملة ، فضلا عن أنها سوف تجد نفسها فى مواجهة يومية مع حكومة مصر وقواتها المسلحة وشعبها ، بل والشعوب العربية المجاورة ·

٤ - أن تقدم قوات مصر المسلحة إلى خط الحدود الدولية ، وخطوط الهدنة جعل قيام قوات طوارىء الأمم المتحدة بمهامها فى حكم المستحيل · ولم يكن من سلطة تلك القوات أولا السكرتير العام للأمم المتحدة أن يمنع مصر من تحريك قواتها المسلحة ؛ حيثما شاءت لأن قوات الطوارىء - كما سبق القول - ليست قوات قهر بل قوات سلام ·

٥ - أن مبادرة حكومات يوغوسلافيا والهند بسحب وحداتها العسكرية من قوات طوارىء الأمم المتحدة ، ساعد عمليًا على جعل استمرارها متعذرًا ومعرضًا للتفكك والتلاشى[٦٢] .

٦ - أن إسرائيل عندما عرض عليها السكرتير العام للأمم المتحدة نقل قوة طوارىء الأمم المتحدة الى أراضيها ، رفضت ذلك رفضا باتا ، فلا يحق لها أن تحتج بعدئذ على قرار السكرتير العام بسحب القوات من مصر ؛ حتى لا تطالب بإجبار دولة على فعل شىء ترفضه هى نفسها ، وتحت نفس الظروف والملابسات ·

٧ - أن السكرتير العام كلف مستشاريه فى اللجنة الاستشارية لقوات طوارىء الأمم المتحدة ، ببحث الأمر قبل أن يصدر قراره الخاص بالموافقة على سحب القوة يوم ١٨ مايو ١٩٦٧ ، وقد أشارت عليه تلك اللجنة بحق مصر فيما تطالب به[٦٣] .

٨ - إنه عندما وافقت مصر على تواجد قوات طوارىء الأمم المتحدة على أراضيها رفضت إسرائيل ذلك ، ولم تسمح بإحلال القوة على أرضها مستعملة حقها القانونى فى ذلك ، فكيف تحرم مصر من حق ، سبق لها أن مارسته هى نفسها من قبل ؟

٩ - إذا كانت قوات طوارىء الأمم المتحدة قد نجحت لأكثر من عشر سنوات فى أداء مهامها ، بفضل تعاون الحكومة المصرية ، فكيف يستسيغ السكرتير العام رفض طلبها سحب هذه القوات ، أو الزعم بأنها لا تملك حق طلب سحبها ، رغم أن ذلك قد يعنى ضمنًا معاقبتها على ما أبدته من تعاون صادق طيلة تلك المدة[٦٤] .

وخلاصة القول إن قوات طوارىء الأمم المتحدة التى أنشئت فى نوفمبر ١٩٥٦ ، كانت ذات طابع رضائى بحت فى تواجدها داخل الأراضى المصرية ، وفى أداء مهامها فيها ٠كما أنها لم تكن تستطيع الاستمرار فى التواجد على أرض مصر ، أو مباشرة مهامها هناك بغير الموافقة التامة من جانب الحكومة المصرية ، بمعنى أنه كان يتعين عليها أن تنسحب ، بمجرد أن طلبت الحكومة المصرية ذلك من سكرتير عام الأمم المتحدة يوم ١٨ مايو ١٩٦٧ ٠

ثم تبقى كلمة موجزة عن تقييم عمل تلك القوات ، على امتداد عشر سنوات ونيف فى إقرار السلام والاستقرار على خطوط الحدود والهدنة بين مصر وإسرائيل ٠ والواقع أنها فى مرحلة متابعة انسحاب قوى العدوان من الأراضى المصرية فى منطقة القناة ، ثم شبه جزيرة سيناء وقطاع غزة .. قد بذلت جهودًا مضنية ، وكانت شديدة الالتزام بالحياد ، كما أنها تحملت خلالها بعض الخسائر المادية وفقد الأرواح من جراء ما عمدت إليه القوات الإسرائيلية المنسحبة من حرث الطرق المسفلتة ، وزرع الألغام المبعثرة هنا وهناك ، ووضع الشراك الخداعية فى عديد من الأمان والمبانى ، التى أودت بحياة بعض جنود قوات الطوارىء ، وجرحت البعض الآخر جراحاً بليغة .

إلا أنه مع تطاول الزمن عليها ، بدأت قلة من جنودها فى التربح ، مستغلة مزايا الإعفاء من الرسوم والجمارك على وارداتها من الخارج فى نفس الوقت ، الذى كان استيراد البضائع من خارج مصر محظورا حظرًا تاماً على الشعب ؛ الأمر الذى أدى الى انتشار سوق

سوداء فى مدن قطاع غزة وشبه جزيرة سيناء وبعض مدن وقرى القناة ، صب فيضًا من التجارة فيها ، قرب نهاية مدة القوات ٠

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى .. فقد اتضح أثناء مراجعة بعض أسماء أفراد تلك القوات أن بهم نسبة ضئيلة من اليهود ، وقد بادرت هيئة الاتصال المصرية بقوات طوارىء الأمم المتحدة إلى لفت نظر قيادة القوات ، إلى مجافاة هذا الوضع لمقتضيات الحياد المطلوب ؛ إذ لا يصح أن يقف أحد جنودها على خط الحدود أو الهدنة ؛ ليفصل بين القوات الإسرائيلية والقوات المصرية ، بينما هو يهودى الأمر الذى يضعه دون داع موضع الشك والريبة ٠

وقد قامت قيادة قوات الطوارىء على الفور باستبعاد هؤلاء الأفراد اليهود من الخدمة على خطوط الهدنة والحدود الدولية توطئة لترحيلهم المبكر لبلادهم ، كما طلبت من حكومات الدول المشتركة فى قوات الطوارىء ألا ترسل أفرادًا من اليهود ضمن قواتها ٠

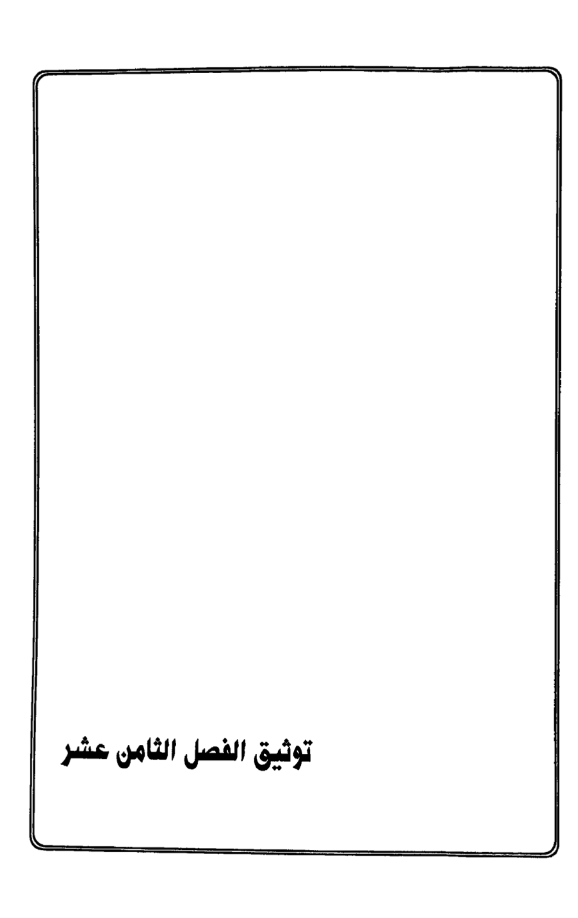
وفيما يتعلق بالمتعاطفين مع الحركة الصهيونية من أفراد قوات الطوارىء .. فلم يحدث خلال السنوات العشر ، سوى عدد قليل من الأفعال ، التى ضبط فيها قليل من الأفراد من هذه الطائفه ، كان أهمها ما حدث من مقدم كندى كان يشغل منصب رئيس مخابرات قيادة قوات الطوارىء ، وحدثت منه عدة تجاوزات فى مراقبة وتصوير الأماكن العسكرية المصرية ، وقد انتهى أمره بعد لفت نظره عدة مرات إلى اعتباره شخصًا غير مرغوب فيه ، ، فقامت حكومته بسحبه على الفور ٠

وكذلك قضية قيام رقيب أول كندى بإحضار ثلاث مجندات إسرائيليات داخل قطاع غزة ، ثم إبقائهن فى منزله عدة أيام تخللها زيارات تفقدية لأماكن كثيرة بقطاع غزة وشبه جزيرة سيناء ٠ وقد تم القبض عليهن وصدرت بشأنهن أحكام بالسجن ، كما صدر بشأن هذا الرقيب أول حكم مجلس عسكرى كندى بالطرد من الخدمة العسكرية ، مع حرمانه من مرتب التقاعد ٠

والواقع إن الأجهزة الإسرائيلية نشطت بالإغراءات المادية والجنسية والترفيهية ؛ للاستفادة من كل الفرص المواتية فى هذا المجال ، على نحوما تحدث عنه الجنرال السويدى

كارل كارلسون فان هورن فى كتابه القيِّم " الخدمة العسكرية من أجل السلام(*) " ، والذى ساق فيه بعض ذكرياته إبَّان قيادته قوات طوارىء الأمم المتحدة ؛ خاصة الفصل الذى أسماه " أحاديث الوسادة " ، ولخص فيه محاولات تلك الأجهزة الإسرائيلية فى استمالة وشراء ضمائر بعض جنوده ، والتى لم يسلم هو نفسه منها ٠

وإذا كانت هذه الحوادث القليلة تكشف عن بعض الانحرافات والتجاوزات . . فإن الغالبية العظمى من أفراد قوات طوارىء الأمم المتحدة أدت واجباتها بشرف وإخلاص وحياد تام ، ظهرت نتائجه فيما نعمت به المنطقة من هدوء واستقرار ، على امتداد نيف و عشر سنوات ٠



توثيق الفصل الثامن عشر

(١) Canada and the Suez Canal Crisis – Department of External Affairs, Ottawa.

(٢) Ibid.

(٣) Ibid.

(٤) Robertson, Terence : Crisis, pp. 35–37.

(٥) وثائق الخارجية المصرية – غير منشورة – برقية نيويورك رقم ٥٣٢١/٥٣٣٢ ، بتاريخ ١٩٥٦/١١/٣ .

(٦) وثائق الخارجية المصرية – غير منشورة – برقية نيويورك الرمزية رقم ٥٣٣٩/ ٥٣٤٠ ، بتاريخ ١٩٥٦/١١/٣ م

(٧) United Nations, Resolutions Adopted by the General Assembly During Its Emergency Special Session From 1 To 10 November 1956, No. 1 A/3354.

(٨) وثائق الخارجية المصرية – غير منشورة – برقية نيويورك الرمزية ، رقم ٥٣٦٨ ، بتاريخ ١٩٥٦/١١/٤ .

(٩) المصدر نفسه .

(١٠) وثائق الخارجية المصرية ، برقية.نيويورك المفتوحة ، بتاريخ ١٩٥٦/١١/٤ .

(١١) وثائق الخارجية المصرية – غير منشورة – برقية نيويورك الرمزية رقم ٥٣٦٢/٥٣٦٣ ، بتاريخ ١٩٥٦/١١/٤ .

(١٢) وثائق الخارجية المصرية ، إدارة الأبحاث ، سرى جداً ، نشرة خاصة عن العدوان الثلاثى على مصر ، ص ١٤ ، انظر كذلك : تقرير همرشولد إلى الجمعية العامة ، يوم ٦ نوفمبر ١٩٥٦ .

(١٣) تم الاتفاق على أن تشكل اللجنة الاستشارية من كندا والبرازيل وكولمبيا والنرويج والهند وباكستان . وكان لهذه اللجنة دور مهم فى الأيام والسنوات التالية للعدوان

الثلاثى ، وفى مايو عام ١٩٦٧ . وعندما طلبت مصر سحب قوات الطوارئ الدولية ووافق السكرتير العام ، اجتمعت اللجنة ، ولم يكن رأى أغلبية أعضائها معارضاً للسكرتير العام يوثانت .

(١٤) وثائق الخارجية المصرية - غير منشورة - برقية وزارة الخارجية المصرية الرمزية ، رقم ١٧٠١ بتاريخ ١٩٥٦/١١/٩ إلى السفير عمر لطفى ، المندوب المصرى الدائم فى نيويورك ، مقابلة محمود فوزى للجنرال بيرنز يوم ١٩٥٦/١١/٨ .

(١٥) وثائق الخارجية المصرية - غير منشورة - برقية نيويورك المفتوحة ، بتاريخ ١٩٥٦/١١/٧ ، وهذه البرقية تتناول شرح همرشولد للمنطقة التى ستعمل فيها القوات الدولية .

(١٦) وثائق الخارجية المصرية - غير منشورة - برقية الوزارة الرمزية ، رقم ١٧٠١ ، بتاريخ ١٩٥٦/١١/٩ ، مقابلة محمود فوزى للجنرال بيرنز .

(١٧) المصدر السابق نفسه.

(١٨) وثائق الخارجية المصرية - غير منشورة - برقية رمزية من السفير عمر لطفى ، برقم ٥٤٨٠ ، بتاريخ ١٩٥٦/١١/٩ إلى وزير الخارجية محمود فوزى .

(١٩) المصدر نفسه .

(٢٠) وثائق الخارجية المصرية - غير منشورة - رسالة من المستر داج همرشولد إلى الدكتور محمود فوزى ، يوم ٩ نوفمبر ١٩٥٦ ، عاجلة .

(٢١) وثائق الخارجية المصرية - غير منشورة - محضر اجتماع الدكتور محمود فوزى بالجنرال بيرنز يوم ٩ نوفمبر ١٩٥٦ ... وقد سجل محضر هذا الاجتماع الوكيل المساعد للشئون السياسية السفير ، مصطفى يوسف .

(٢٢) وثائق الخارجية المصرية ، مقابلة محمود فوزى للجنرال بيرنز يوم ٩ نوفمبر ١٩٥٦ المصدر نفسه .

(٢٣) وثائق الخارجية المصرية ، مقابلة محمود فوزى للجنرال بيرنز يوم ٩ نوفمبر ١٩٥٦ المصدر نفسه.

(٢٤) المصدر نفسه .

(٢٥) المصدر نفسه .

(٢٦) المصدر نفسه .

(٢٧) وثائق الخارجية المصرية - غير منشورة - محضر اجتماع الدكتور محمود فوزى بالسفير الكندى يوم ١٠/١١/١٩٥٦ .

(٢٨) وثائق الخارجية المصرية - غير منشورة - برقية نيويورك الرمزية، رقم ٥٥٦١/٥٥٦٤، بتاريخ ١٠/١١/١٩٥٦ :

(٢٩) وثائق الخارجية المصرية - غير منشورة - برقية نيويورك الرمزية، رقم ٥٥٦٦/٥٥٦٨، بتاريخ ١٠/١١/١٩٥٦ .

(٣٠) وثائق الخارجية المصرية - غير منشورة - برقية نيويورك الرمزية ، رقم ٥٤ ، بتاريخ ١٠/١١/١٩٥٦ .

(٣١) وثائق الخارجية المصرية - غير منشورة - رسالة من السفير عمر لطفى إلى الدكتور محمود فوزى ، بتاريخ ١٠/١١/١٩٥٦ .

(٣٢) وثائق الخارجية المصرية - غير منشورة - برقية نيويورك الرمزية، رقم ٥٥١٠/٥٥١١، بتاريخ ١٠/١١/١٩٥٦ .

(٣٣) وثائق الخارجية المصرية ، مقابلة السفير صلاح جوهر للجنرال بيرنز ، يوم ١٠/١١/١٩٥٦ .

(٣٤) وثائق الخارجية المصرية - رسالة أرسلها همرشولد إلى الجنرال بيرنز ، يوم ١٠/١١/١٩٥٦؛ رداً على بعض النقاط ، التى أثارتها الحكومة المصرية .

(٣٥) وثائق الخارجية المصرية - غير منشورة - برقية من الخارجية المصرية إلى سفير مصر فى بيروت بتاريخ ، ١١/١١/١٩٥٦ ؛ لتبليغها للملوك والرؤساء العرب سعود ، حسين ، فيصل ، القوتلى ، شمعون ، ورئيس مجلس السيادة السودانى .

(٣٦) وثائق الخارجية المصرية - غير منشورة - برقية رمزية مرسلة من الوزارة إلى السفير عمر لطفى ، برقم ١١١٥ ، بتاريخ ١٩٥٦/١١/١١ .

(٣٧) وثائق الخارجية المصرية ، برقية الوزارة الرمزية رقم ١١١٦ ، بتاريخ ١٩٥٦/١١/١١، إلى السفير عمر لطفى .

(٣٨) وثائق الخارجية المصرية ، برقية نيويورك الرمزية رقم ١١٢٧ ، بتاريخ ١٩٥٦/١١/١٢ .

(٣٩) وثائق الخارجية المصرية ، رسالة من الدكتور محمود فوزى إلى داج همرشولد ، بتاريخ ١٩٥٦/١١/١٢ .

(٤٠) وثائق الخارجية المصرية ، رسالة من داج همرشولد إلى الدكتور محمود فوزى ، بتاريخ ١٩٥٦/١١/١٣ .

(٤١) وثائق الخارجية المصرية ، رسالة من همرشولد إلى الدكتور محمود فوزى ، بتاريخ ١٩٥٦/١١/١٣ .

(٤٢) المصدر السابق نفسه .

(٤٣) وثائق الخارجية المصرية ، برقية نيويورك الرمزية ، رقم ١٢٣٠ ، بتاريخ ١٩٥٦/١١/١٤ .

(٤٤) Mahmoud Fawzi : The Suez War 1956, p. 151.

(٤٥) Ibid, p. 151.

(٤٦) Ibid, pp. 151–152.

(٤٧) وثائق الخارجية المصرية ، رسالة من الدكتور محمود فوزى إلى داج همرشولد ، بتاريخ ١٩٥٦/١١/١٤ ، برقية الوزارة رقم ١١١٦ ، بتاريخ ١٩٥٦/١١/١٤ .

(٤٨) برقية نيويورك الرمزية رقم ١٨ ، بتاريخ ١٩٥٦/١١/١٤ .

(٤٩) برقية نيويورك الرمزية رقم ١١١٧ ، بتاريخ ١٩٥٦/١١/١٥ .

(٥٠) وزارة الخارجية ، إدارة الأبحاث ، نشرة عن العدوان الثلاثى ، الجزء الثانى ، ص ١٢ .

(٥١) وزارة الخارجية ، إدارة الأبحاث ، نشرة عن العدوان الثلاثى ، الجزء الثانى ، ص ١٣ ، انظر كذلك تقرير السكرتير العام .

(٥٢) تقرير السكرتير العام للأمم المتحدة ، بتاريخ ٢٤/ ١/ ١٩٥٧ .

(٥٣) تقرير السكرتير العام للأمم المتحدة ، بتاريخ ٢٢/ ٢/ ١٩٥٧ .

(٥٤) كلمة مندوب الولايات المتحدة الأمريكية ، أمام الجمعية العامة فى جلستها ، يوم ٢/ ٢/ ١٩٥٧ .

(٥٥) وثائق الخارجية المصرية ، خطاب الدكتور محمود فوزى ، أمام الجمعية العامة ، بتاريخ ٢/ ٢/ ١٩٥٧ .

(٥٦) وثائق الخارجية المصرية ، تقرير السكرتير العام إلى الجمعية العامة بتاريخ ٨/ ٣/ ١٩٥٧ .

(٥٧) Robin, Des Occupations Militaires Dehors Des Occupations de Gverre, Paris, Sirey, 1913.

(٥٨) إقرار رقم ١١٢١ (١١) بتاريخ ٢٤ نوفمبر ١٩٥٦ ، وتقرير السكرتير العام بتاريخ ٨ فبراير ١٩٥٧ رقم ٣٥٢٦/ أ ، الذى اعتمدته الجمعية العمومية للأمم المتحدة فى ٢٢ فبراير ١٩٥٧ ، بقرارها رقم ١١٢٦/ ١١ .

(٥٩) نشرة القواعد المنظمة لقوات طوارئ الأمم المتحدة ، الصادرة من السكرتير العام للأمم المتحدة ، بتاريخ ٢٠ فبراير ١٩٥٧ ، الفقرة رقم ٦ . وانظر أيضًا :
Elauterpacht, The United Nations – Emergency Force, Basic Documents, New York, 1960, p. 37.

(٦٠) Recner, Gabiwiell, United Nations Emergency Force, New York, 1963, pp. 504–506.

(٦١) تقارير السكرتير العام للأمم المتحدة ، أرقام ٦٧٣٠/أ ، ٧٨٩٦/س ، ٧٩٠٦/س ، ٦٦٧٢/أ بتاريخ ١٨ مايو ١٩٦٧ ، وما بعده .

(٦٢) خطاب الدكتور محمود فوزى أمام الجمعية العمومية فى ١٩٥٦/١١/٢٧ ، الذى تمسك فيه بما سبق أن أقرته الجمعية العمومية ، من أنه من غير الممكن أن تتواجد القوة فى أراضى دولة معينة ، بغير موافقة تلك الدولة .

(٦٣) يرجع ذلك إلى حق الدول المساهمة فى سحب قواتها وقتما تشاء .

(٦٤) وذلك استناداً إلى الحق المخول له فى الفقرة ٩ ، من قرار الجمعية العمومية رقم ١٠٠١ سالف الذكر ، وانظر أيضًا عطية جمال الدين .

Hes Force Armees Des U.N. en Caree et an M.O., Geneve, 1963, p. 272.

(*) Van Horn, Carl Carlson, Soldiering For Peace.

حيث يقول فى ص ١٣٦ : « وقمنا بتحريات متشعبة ، ولكن انفعالات اللسان وأحاديث الفراش والتحول لتأييد إسرائيل ، كانت كلها أمورًا تافهة بالنسبة لعمليات الفساد والرشاوى المنظمة ، وسرعان ما عرفنا كثيرًا عن طبيعة قوائم المرتبات الإسرائيلية ومحتوياتها ، والدخول العالمية للغاية من أشكال التوظيف عند الإسرائيليين ، وقررنا أن نعرف مزيدًا عن الفتيات الإسرائيليات الجميلات ، اللاتى يتولين الترفيه عن رجال الأمم المتحدة .

الفصـــــل التاسع عشر

الانسحـــــاب

تمهيد - موقف المملكة المتحدة وفرنسا من الانسحاب - غليان فى باريس ولندن - انسحاب إسرائيل - موقف إسرائيل من الانسحاب - موقفها من قطاع غزة - موقفها من خليج العقبة ومنطقة شرم الشيخ - المرحلة الاخيرة للانسحاب : موقف إسرائيل . بالنسبة لخليج العقبة . بالنسبة لقطاع غزة . موقف الولايات المتحدة الامريكية : قطاع غزة . منطقة شرم الشيخ وخليج العقبة - موقف مصر ٠

تمهيد :

تلـكأ المعتدون عن عمد فى تنفـيذ قـرارات الجمعيــة الـعمومية أيام ٢ ، ٤ ، ٧ نوفمبر القاضية بانسحابهم من مصر فطلبت الجمعيــة العمومية من السكرتير العام بقرارها الصادر فى ٧ نوفمبر – الذى تقدمت بمشروعه الكتلة الأفــروأسيوية – أن يقدم تقريراً عن مدى استجابة الدول الثلاث لقراراتها الخاصة بالانسحاب ٠

وقدم السكرتير العام تقريره فى ٢٧ نوفمبر ١٩٥٦ متضمناً ردود الدول الثلاث ، وكان واضحاً أنهــا تبغى التلكــؤ والتسويف ؛ مما أثار الــرأى العام العالمى ، وظهــر ذلك فى قرار الجمعية الـعمومية بتاريخ ٢٤ نوفــمبر ، عندما وافقت ٦٣ دولة علــى مشروع القرار المقدم من الكتلة الأفروأسيوية بمطالبة القوات المعتدية بالانسحاب دون إبطاء ٠

وكان الدكتــور محمود فوزى قد سافر يــوم ٢٠ نوفمبر ١٩٥٦ إلى نيــويورك ؛ لحضور دورة الجمعية العمومية ، ولمواصلة اتصالاته مــع السكرتير العام ، وتوجيه الأمور فى الطريق الصحيح ٠ وكانت مهمته الأولى دفع عجــلة انسحاب قوات العدوان ، وقد تركزت اتصالاته

مع السكرتير العام حول هذه القضية التى صدرت بشأنها عدة قرارات متتالية للجمعية العمومية ، تقضى كلها بالانسحاب ٠

وقد قبلت مصر قرار إنشاء قوات الطوارئ ، وقبلت دخولها وتواجدها ، كما اتفقت على جنسياتها مع السكرتير العام ، وفوق كل هذا فمصر دولة معتدى عليها ويقف بجانبها أعضاء الأمم المتحدة ، فهى ليست فى مركز سياسى ضعيف ، ومع ذلك فإنه يجب أن تتم الموازنة بدقة متناهية بين المركز السياسى القوى الذى تتمتع به مصر ، والمركز العسكرى الدقيق الذى تواجهه ، وضرورة المحافظة على هذا الخيط الرفيع الذى يحفظ للقوة السياسية فعاليتها ، بينما يحمى قوتها العسكرية من التهور والاندفاع مرة أخرى ٠

موقف المملكة المتحدة وفرنسا من الانسحاب :

فى يوم ٢٠ نوفمبر ١٩٥٦ ، بدأ عميد الدبلوماسية المصرى الدكتور محمود فوزى اتصالاته بهمر شولد ، وكان الرئيس عبد الناصر قد أرسل إليه ، يطلب سرعة مقابلة همر شولد وتوجيه نظره إلى المذابح ، التى ترتكبها إسرائيل فى رفح والعريش وغزة ؛ لاتخاذ نفس الإجراء الذى تم بالنسبة لبورسعيد ، وهو إرسال قوات طوارئ الأمم المتحدة إلى تلك المناطق فوراً [١] .

وفى يوم ٢١ نوفمبر ، ردّ الدكتور محمود فوزى على الرئيس عبد الناصر ، بأنه قابل همر شولد الذى أخطره بأنه يواصل - بمنتهى الحزم والسرعة جهوده للإسراع بانسحاب قوات العدوان ٠ كما ذكر همر شولد انه سلم عدداً من الأسئلة إلى سلوين لويد وكريستيان بينو وجولدا مائير ، وطلب الرد عليها فى وقت لا يتأخر عن يوم الأربعاء الموافق ٢١ نوفمبر ١٩٥٦ ؛ حتى يستطيع ان يتقدم إلى الجمعية العمومية بتقريره فى هذا الشأن تنفيذاً لقرارها الخاص بالإنسحاب ، وحدد همرشولد موعد تقديم تقريره يوم الخميس ٢٢ أو الجمعة ٢٣ نوفمبر على أبعد تقدير ٠ وكانت تلك الأسئلة كالآتى :

١ - هل بدأ الانسحاب ؟ وإذا كان قد بدأ ، فإلى أى مدى ؟

٢ - الا يمكن ذكر أى شئ خاص بخطط الانسحاب ؟

٣ ما الأسباب التى تقدمونها إزاء الحقيقة بانه حتى الآن لم يتم أى تقدم فى شأن الانسحاب ؟

٤ - ما وجهة نظركم بالنسبة لتنفيذ وقف إطلاق النار ؟

والواقع أن إسرائيل كانت تحيك خطوط مؤامرة جديدة ؛ إذ لم تكن تقبل أن ينتهى الموقف عى هذه الصورة ، فلا يكون أمامها سوى الانسحاب فى أعقاب انسحاب القوات الأنجلوفرنسية ، بعد أن تضمن رد حكومة فرنسا فى ٢١ نوفمبر ١٩٥٦ استعدادها للاستمرار فى الانسحاب ، إذا ما صارت قوات طوارئ الأمم المتحدة فى مركز يسمح لها بتأدية المهام التى وكلت إليها ؛ طبقاً لقرارات الجمعية العمومية فى ٢و٧ نوفمبر ، وعلى الأخص قدرتها على ملاحظة تنفيذ السلطات المصرية لقرار وقف إطلاق النار ، وعلى حفظ الهدوء ، وضمان حماية الأشخاص أياً كانت جنسياتهم ، خلال وبعد عملية انسحاب القوات الأنجلوفرنسية ، كما تضمن الرد أنه قد تم سحب ثلث القوات الفرنسية التى اشتركت فى العمليات الحربية ٠

ولم يخرج رد المملكة المتحدة عن الرد الفرنسى ، وقد أشار إلى التسهيلات التى تقدمها القوات الأنجلوفرنسية لقوات الطوارئ ، وإلى ما سبق أن طلبته كشروط لإيقاف أعمالها العسكرية (وقف إطلاق النار - إنشاء قوة دولية قادرة على بلوغ الأهداف الواردة فى قرار الجمعية العمومية المؤرخ فى ٢ نوفمبر سنة ١٩٥٦) ، ثم ذكرت أن القوات الأنجلوفرنسية سوف تنسحب ، عندما تتأكد من أن قوات الطوارئ أصبحت فى مركز يسمح لها بالقيام على وجه فعال بالمهام الموكولة إليها ٠ وأضافت أن قوات الطوارئ ما زالت فى مرحلة التكوين ، وليست فى مركز يمكنها من القيام بالمهام المنوطة بها ، على الوجه الأكمل ٠

وكان الدكتور محمود فوزى قد أرسل إلى الرئيس عبد الناصر يوم ٢١ نوفمبر ، يخطره بأن رالف بانش مساعد السكرتير العام للأمم المتحدة قد زاره فى مقر إقامته فى نيويورك ، وأخبره بأنه فهم من روفائيل جدعون عضو الوفد الإسرائيلى بالجمعية العامة للأمم المتحدة ، ومدير إدارة الهيئات الدولية فى وزارة خارجية إسرائيل أن المناورة الإسرائيلية مبنية على الأمل بأن تمانع المملكة المتحدة وفرنسا فى الانسحاب من مصر فتمانع إسرائيل بالتالى تحت إدعاء أن قوة طوارئ الأمم المتحدة ليست كافية ، فينهار الموقف إلى حد يتبعه حضور متطوعين من الاتحاد السوفيتى ، وانقلاب فى سياسة الولايات المتحدة فتصبح ضد مصر ، وتتعاون مع دول العدوان الثلاثى (٢) .

على أن الخطة الإسرائيلية لم يقدر لها النجاح لعدة عوامل ، من أهمها أن الولايات

المتحدة كانت على علم بها ، ولم تخف قلقها تجاه هذا المخطط ، بالإضافة إلى أن هذه المعلومات وصلت إلى القاهرة . ولذلك استمر السكرتير العام فى حملته التى بدأها بالأسئلة التى وجهها إلى دول العدوان الثلاثى .

وفى ٢٣ نوفمبر ، قدم المستر همر شولد تقريره إلى الجمعية العمومية عن مدى الامتثال لقرار الانسحاب ، وضمنه الأسئلة التى وجهها إلى المملكة المتحدة وفرنسا وإسرائيل ، وردود هذه الدول عليها . وكان مجرد إذاعة هذه الأسئلة والإجابات التى لم تتضمن تحديد موعد الانسحاب كافياً ، لإثارة غضب الجمعية العمومية على المعتدين [٣] .

كما ظهر من الاتصالات التى قام بها السكرتير العام مع لويد ، بينو ، وإتصالات اخرى قام بها كابوت لودج ، أن الدولتين ترفضان إعلان موعد الانسحاب ما لم تعلن الحكومة المصرية موافقتها على تطهير القناة ، والواقع أن عملية تطهير القناة كانت الشغل الشاغل لإيدن منذ بدء العدوان على مصر [٤]

وقبل أن يعلن إيدن قبول وقف إطلاق النار ، حاول أن يحصل على موافقة الأمم المتحدة بأن تتولى السفن البريطانية عملية تطهير القناة غير أن الولايات المتحدة رفضت ذلك ، كما رفضه السكرتير العام .

وقبل الجميع منذ البداية وجهة نظر مصر فى أن التطهير لا يمكن البدء فيه ، قبل اتمام الانسحاب ، وألا تقوم به شركات بريطانية أو فرنسية . وقد أخطر السكرتير العام حكومتى المملكة المتحدة وفرنسا بذلك ، وقد حاولت بريطانيا أن تقنع السكرتير العام بأن الفنيين وسفنهم سيعملون تحت اسم وراية الأمم المتحدة إلا أن همر شولد أكد رفضه . وكان همرشولد من الواقعية وبعد النظر ، بحيث لم يقف ساكناً أمام عملية التطهير ، بالنظر إلى اهميتها الدولية ، وإلى أن الإعداد لها يتطلب دراسات فنية عالية ومفاوضات مع الحكومة المصرية [٥] .

ولقد كان الموقف المصرى يحوز رضاء الولايات المتحدة ، وصرح كابوت لودج فى لقاءاته مع الدكتور محمود فوزى بضرورة أن يتم انسحاب القوات الانجلوفرنسية أولاً ، ليتلوه انسحاب قوات الأمم المتحدة من بورسعيد ومنطقة القناة لتبدأ تطهير القناة ، ثم بحث مسألة القناة [٦] .

وعقب تقديم السكرتير العام تقريره الخاص يوم ٢٣ نوفمبر ، اجتمعت الوفود العربية مع الوفود الأفروآسيوية ؛ حيث إتفقت على التقدم بمشروع قرار بشأن الانسحاب . وعندما اجتمعت الجمعية العمومية فى ٢٤ نوفمبر تقدمت جبهة الدول الأفروآسيوية بمشروع قرار تضمن إبداء الأسف لعدم امتثال المملكة المتحدة وفرنسا وإسرائيل لقرارات الجمعية العمومية الخاصة بالانسحاب ، رغم مرور وقت كاف على صدورها .

وكان نص المشروع الأصلى يشير "إلى القلق الشديد" وإلى عدم الانسحاب ، رغم مضى وقت طويل على صدور القرارات ، ولكن المجموعة الأفروآسيوية عدلته إلى ملاحظة الأسف " و" مرور وقت كاف " ، حتى تضمن عدم معارضة دول غربية ولاتينية ، لم تكن ترغب فى زيادة إحراج بريطانيا وفرنسا (٧) .

وحاولت بلجيكا تعديل المشروع بنص آخر ، يشير إلى أن الجمعية العمومية ترى شروع الدول الثلاث فى تطبيق قرارى ٢ ، ٧ نوفمبر بنفس الروح التى أرادتها الجمعية العمومية ، إلا أن الجمعية العمومية ، رفضت هذا التعديل ووافقت على الأول بأغلبية ٦١ صوتا ضد ٥ أصوات وامتناع ١٦ عن التصويت (٨) .

واستمر الضغط من جانب الولايات المتحدة على المملكة المتحدة ؛ لتعلن موعد انسحابها ، وتوازى ذلك مع ضغط مماثل من جانب السكرتير العام على دول العدوان ، الذى كان يشعر من واقع اتصالاته مع مندوبى هذه الدول أن الجمعية العمومية تقف وراءه بقراراتها وتؤيد وجهة نظره . كما أن الولايات المتحدة - من جهة أخرى - تبارك جهوده ، وتعمل على تدعيمها وتنسيق مواقفها معه ، وإخطاره بالخطوات التى تتخذها ، وقد أضاف كل ذلك مزيدًا من الفاعلية لدور السكرتير العام فى تلك المرحلة وغيرها (٩) .

كما لعبت دبلوماسية الدكتور محمود فوزى دورًا مهمًا فى تلك الفترة فى مواصلة الضغط على المعتدين ، من جانب كافة القوى والسكرتير العام ، ونجح فى أن يجعل القوى العالمية المختلفة تبدو وكأن بينها تنسيقًا واتفاقًا فى مواجهة العدوان ، وبأنه يوجه تلك القوى فى طريق واحد برغم ما بينها من تباين واختلاف . ولقد كان ضمن عناصر النجاح الذى حققه وزير الخارجية المصرى ، مكانته العالمية فى المنظمة الدولية والثقة فى كلمته وحكمته ، وصلته الوثيقة بالوفود ، ثم هذه العلاقة الخاصة ، والوثيقة التى كانت تربطه بصديقه داج همر شولد .

وتبين للدكتور محمود فوزى ، منذ أغلقت القناة وتوقف إطلاق النار أن هناك " ورقة ثمينة بيد مصر ، ينبغى ألا تفرط فيها " وتتمثل فى لهفة المملكة المتحدة وفرنسا وسائر دول غرب أوربا بوجه عام على المسارعة فى فتح القناة للملاحة مرة ثانية ، وقد ظهر ذلك بجلاء من خلال اتصالات همر شولد بسلوين لويد ، وإلحاحه على بدء عملية التطهير قبل تمام الانسحاب ، ثم محاولاته المتكررة لاستخدام سفن التطهير البريطانية للإسراع لتنفيذ هذه العملية ، رغم سابق رفض السكرتير العام والولايات المتحدة ، تضامنًا مع مصر فى رفض هذا الطلب [١٠] .

وكانت مصر قد سهلت على همر شولد مهمة الضغط على حكومتى المملكة المتحدة وفرنسا ، عندما أعربت عن رغبتها الأكيدة فى المسارعة بتطهير القناة ، وإن كانت قد وضعت لبدء ذلك شرطاً معقولاً هو تمام انسحاب القوات المعتدية ، ثم إنها لم تغلق الباب نظرياً فى موضوع التطهير ، فدعمت الشعور بأنها جادة فى رغبتها ، فى عودة الملاحة فى القناة إلى حالتها الطبيعية فى أقرب وقت ، واستنادًا إلى هذا الموقف ، أبلغ همر شولد كلاً من حكومة المملكة المتحدة وفرنسا أنه ما لم تعلنا عن موعد انسحابهما ، فإن عملية تطهير القناة ستبقى معطلة ، ولن يمكن مجرد مناقشتها [١١] .

وكان المستر همر شولد يعمل . فى نفس الوقت لإتمام تطهير القناة ، إذ جند عدداً كبيراً من المستشارين الفنيين لدراسة عملية التطهير والإعداد لها . كما قامت سكرتارية الأمم المتحدة بإعداد دراسات فى هذا الشأن ، واختار المستر همر شولد بالفعل الشخص الذى سيتولى هذه العملية ، وهو الجنرال هويلر أحد مستشاري البنك الدولي الفنيين ، الذى كان يشغل سابقاً منصب مدير سلاح المهندسين فى جيش الولايات المتحدة ، وله خبرة واسعة فى هذا النوع من الأعمال [١٢] .

غليان فى باريس ولندن :

حدث فى لندن وباريس فيما بين ١٥و١٨ نوفمبر غليان شديد ، وأبرقت حكومة إيدن إلى الجنرال ستوكويل بقبرص أن يستعد لتلقى تعليماتها خلال فترة قصيرة لا تتجاوز يوم ٢٤ نوفمبر بأن تستأنف الهجوم على مصر . وعقب ذلك ببضعة أيام عاد الجنرال جاران رئيس هيئة أركان حرب الجنرال بارجو إلى باريس ، حيث تلقى تعليمات مشابهة . وقد

أرسلت هذه الأوامر إلى بورسعيد وبورفؤاد حيث تلقاها الفرنسيون بسرور بالغ ، وأعدت الترتيبات لاستئناف العدوان على مصر بحماس شديد (١٣) .

كانت الخطة التى رسمت تقضى بأن تبدأ الهجوم خمسون دبابة بريطانية ، تساندها كتيبة وخمسون دبابة فرنسية وأربع كتائب من جنود المظلات على ألا تبدأ الزحف ، إلا بعد أن تصل للبريطانيين الفرقة العاشرة المدرعة الموجودة فى ليبيا . فبوصولها تصبح لدى القوات المهاجمة الحجم اللازم لمتابعة التقدم نحو القاهرة ، رغم أن الخطة لم تتضمن ترتيبات صريحة للهجوم على القاهرة (١٤) .

وكان قد أعد قبلاً كل شىء للهجوم على القاهرة بعد احتلال الفرنسيين لبور فؤاد والقنطرة والإسماعيلية ، واحتلال البريطانيين لبورسعيد و« أبو صوير » وفايد والسويس . ولكن البعض فى لندن من الحزب المعارض ، وجد أن المسألة قد تجاوزت الحدود ، وكان هؤلاء هم أنفسهم الذين ضغطوا على إيدن ليقبل وقف اطلاق النار ، وقد لاحظوا أن ثمة ادلة واضحة على أن رئيس الوزراء يعانى إرهاقاً شديداً ، كما كان الدكتور إيفانز طبيبه الخاص مقتنعاً أيضاً بذلك .

وفى اليوم التالى ٢٢ نوفمبر ، حينما شعر إيدن باتجاه فرنسا لاستئناف العمليات الحربية ضد مصر ، اتخذ قرارة بالتخلى عن مهامه مؤقتاً ، وبعث برسالة إلى زميله الفرنسى موليه يخطره بذلك . وقد تولى ريتشارد بتلر أعمال رئيس الوزراء نيابة عنه (١٥) .

وهكذا نجد أن حكومة المحافظين التى أصبح بتلر يتولى شئونها - نيابة عن إيدن - وجدت أنها مضطرة لانتهاج سياسة مضادة لسياسة رئيس الوزراء الأصلى وتعارض ما اعتزمته فرنسا من استئناف العدوان بل إنها بدأت تتخلى عن سياسة القوة ، وفكرة الاحتفاظ بالمكاسب التى حصلت عليها ، وذلك رضوخاً لقرارات الأمم المتحدة . وهكذا عملت حكومة المحافظين بقيادة بتلر كحكومة تصفية ، إلا أنها لم تكن تستطيع اتخاذ قرار سريع فى مسألة الجلاء النهائى عن مصر .

وهكذا بدأت فترة الوساطة ما بين ٢٢ نوفمبر و٣ ديسمبر ، الذى صدر فيه الأمر بالجلاء النهائى . وخلال هذه الفترة كانت السياسة الأنجلوفرنسية تهدف إلى خوض معركة دبلوماسية ؛ للحصول على بعض المزايا مقابل الجلاء عن مصر ، وإنقاذ ما يمكن إنقاذه . ومنذ يوم ٢٢ نوفمبر ١٩٥٦ ، استبعد كل افتراض باستئناف الأعمال العسكرية (١٦) .

وهكذا حين اجتمعت الجمعية العمومية للأمم المتحدة فى اليوم نفسه -٢٢ نوفمبر -لمناقشة تقريرين مقدمين من السكرتير العام العائد من مصر ، أحدهما يتناول تشكيل القوة الدولية ، والأخر تطهير قناة السويس . . كانت فصول المسرحية قد تمت ٠ وكان الفرنسيون والبريطانيون قد قرروا الانسحاب محاولين – فى الوقت نفسه – الاحتفاظ بكرامتهم على قدر الإمكان ، وعدم الظهور بمظهر المهزومين ، وإنما تظاهروا بأنهم أعضاء مخلصون للأمم المتحدة ويحترمون قرار الأغلبية ، ويتضح ذلك من المذكرة التى قدمتها فرنسا والمملكة المتحدة لداج همر شولد ، رداً على ما زعمتاه أن ثمة مذكرة أرسلها هو إليهما ٠ والواقع أنه لم تكن هناك مذكرة ، بل إنذار يلزمهما ببدء عملية الجلاء فى الوقت نفسه ، الذى تصل فيه جنود قوات طوارئ الأمم المتحدة إلى مصر ٠ أما إسرائيل . . فقد بعثت أيضاً بمذكرة إلى همر شولد ولكنها كانت تراوغ ، إذ أوضحت أن القوات الإسرائيلية بدأت تنسحب وستواصل انسحابها ، ولكن بشرط الوصول إلى اتفاق مع الأمم المتحدة يؤمن ويضمن أمن إسرائيل ٠

بعد الاقتراع الذى جرى يوم ٢٣ نوفمبر فى الأمم المتحدة . . تحول مجرى الأمور ، فقد تخلى الجميع – فيما عدا مجموعة قليلة من العسكريين الفرنسيين المحيطين بالجنرال جاران – عن فكرة إستئناف المغامرة العسكرية إلا أن المعركة إستمرت فى شكل انسحاب سياسى منتظم ، وذلك فى مجالين ، هما : إنشاء القوة الدولية ، وتطهير القناة [١٧] .

وفى اليوم التالى للاقتراع الذى جرى فى الأمم المتحدة ، وصل الجنرال بيرنز قائد قوة طوارئ الأمم المتحدة إلى بورسعيد ؛ حيث تباحث فوراً مع الجنرال ستوكويل ٠ ولم يقابل وصول بيرنز بحماس ، بل لقى عداءً مستتراً من جانب البريطانيين ، وعداءً سافراً من جانب الفرنسيين [١٨] .

وفى ٢٣ نوفمبر ، أعلن الجنرال كيتلى أن قرار الجلاء عن مصر قد اتخذ بصفة مبدئية ، ثم طلب من الفرنسيين يوم ٢٤ نوفمبر بياناً عن الاستعدادات التى اتخذوها تمهيداً لاحتمال الانسحاب من مصر ٠

وقد لوحظ أن هناك تراخياً من جانب الفرنسيين بشأن خطط الجلاء ، وكانت باريس تشجع كلاً من بارجو وجاران على ذلك ٠ أما البريطانيون . . فإنهم – على العكس من ذلك – استعدوا للرحيل وهم راضون ،إذ لم تكد الكتيبة النرويجية التابعة للأمم المتحدة

تصل من « أبو صوير » إلى بورسعيد بقطار يوم ٢٢ نوفمبر ، حتى أمر الجنرال كيتلى - قبل أن يبلغ الفرنسيين يوم ٢٣ نوفمبر قرار العودة إلى الوطن - بترحيل إحدى الكتائب الإنجليزية(١٩) .

وأرسل الدكتور محمود فوزى إلى الرئيس عبد الناصر ، يخطره بأنه التقى بالمستر داج همر شولد يوم ٢٦ نوفمبر ؛ حيث يشاطر مصر وجهة نظرها فى وجوب الإسراع بالجلاء عن الأراضى المصرية ، والانسحاب الفورى الذى لن يكف عن المطالبة به . كما ذكر الدكتور فوزى فى برقيته أن همر شولد يرجو أن تسمح الحكومة المصرية ، بأن تقوم الأمم المتحدة بعمل البحوث اللازمة فى مصر ، والاتصال بأعضاء الحكومة المختصين فى هذا الشأن ؛ تمهيداً لبدء عملية تطهير القناة فور إتمام الانسحاب . ومن جانبه .. فقد بدأ همرشولد فى تنظيم جانب الدراسات التى تقوم بها السكرتارية العامة للأمم المتحدة لتطهير القناة ، وقد سلم نسخة منها للدكتور محمود فوزى بصفة شخصية وغير رسمية ؛ إذ إنها محاولة أولى للدراسة ولا تعتبر بعد من وثائق الأمم المتحدة (٢٠) .

وعمل همر شولد على ترتيب اجتماع فى مكتبه يوم ٢٥ نوفمبر ، بين الدكتور محمود فوزى والجنرال هويلر ، لبحث ترتيبات التطهير ، ولم تكن الدول المعتدية قد حددت موعداً للانسحاب . وقد أوضح الدكتور فوزى - خلال هذا الاجتماع - أن تطهير القناة لا يمكن - عقلاً ولا عدلاً ولا عملياً - أن يبدأ إلا بعد تمام انسحاب القوات المعتدية. وليس هذا فقط ، بل إنه " لا يجوز أن يذهب إلى مصر أشخاص ، ولا معدات متصلة بعملية التطهير ، دون إذن الحكومة المصرية .... وبينما لا نستطيع ولا نريد أن نمانع في عمل دراسات نظرية منذ الآن بصدد تطهير القناة ، فإنى لست متأكداً من أن الحكومة المصرية توافق على القيام بدراسات تطبيقية قبل انسحاب القوات المعتدية " . ووافق همر شولد على ما ذكره وزير خارجية مصر محمود فوزى (٢١) .

وفى ٢٧ نوفمبر ، أبلغ همر شولد المستر لويد وزير خارجية بريطانيا ، بناءً على طلب الحكومة المصرية أنه لم يتم تحديد موعد الانسحاب ، فلا يتوقع أى تقدم بالنسبة لعمليات التطهير . ومع تشدد السياسة المصرية بالنسبة لرفض البدء فى عملية التطهير قبل إتمام الانسحاب .. إلا أنها رأت أن تتخذ خطوات معينة ، لا تتعارض مع المبدأ الذى قررته وصممت عليه ، وكانت هذه الخطوات هى إعلان رغبتها فى إعادة فتح القناة بأسرع

ما يمكن ، مع قبولها التباحث نظرياً فى أمر التطهير ، ثم اتخاذ خطوة ثالثة تسير فى نفس الاتجاه ، وهى تسلم مفكرة السكرتير العام حول إيفاد الجنرال هويلر ومجموعة من الخبراء ؛ لبحث تطهير القناة (٢٢) .

وكان من الضرورى – فى واقع الأمر – إبداء تلك المرونة فى الأسلوب ، طالما أنه لا يمس المبدأ الأساسى ، الذى صممت عليه مصر ، وهو ألا يبدأ التطهير قبل الانسحاب الكامل . ووجه الضرورة أن السياسة أخذ وعطاء ، وأن مصر قد وقع عليها عدواناً ينبغى إزالة آثاره فى الإطار ، الذى لا يمس سيادتها أو استقلالها.

وبعبارة أخرى .. ليس هناك ما يمنع من المشاورة فى الإطار المتقدم ، حتى يتحقق فى أسرع وقت الهدف الذى تسعى إليه السياسة ، وهو اتمام الانسحاب ، ولقد تبين – على ضوء مشاورات السكرتير العام واتصالاته مع المملكة المتحدة وفرنسا – أن مسألة تطهير القناة تحتل الركن الرئيسى والمهم فى قبول وتحديد موعد انسحاب القوات الأنجلوفرنسية والإسرائيلية .

وترتيبًا على ذلك ، اتخذت مصر الخطوات الضرورية ؛ لتسهل على المعتدين تحديد موعد انسحابهم ، فاذا ما أعلنوا عن ذلك الموعد ، لم يعد هناك ما يمنع البدء فى خطوات إيجابية وعملية لتطهير القناة ، دون أن يبدأ العمل بصورة فعلية ؛ أى إنه يمكن أن تقبل مصر وصول القاطرات والكراكة ، والفنيين ، وأن تبدأ التباحث معهم حول أسلوب العمل الذى سيتم به التطهير .. فمثل تلك الخطوات تستغرق وقتًا قد يكون معادلاً للوقت الذى يتم فيه الانسحاب بصورة كاملة .

ثم اجتمع المستر همر شولد مرة أخرى بسلوين لويد ، يوم ٢٧ نوفمبر ، ودار بينهما حديثا طويل حول أهمية إعلان موعد الانسحاب، فاستجاب لويد اخيرا لمقتضيات الموقف ، وأبلغ المستر همر شولد أنه سيسافر إلى لندن ؛ لحضور اجتماع مجلس الوزراء يوم الأربعاء ٢٨ نوفمبر ، وأنه اذا صارت الأمور على ما يرام .. فسيعمل على الحصول على موافقة المجلس ، ثم يعلن فى مجلس العموم الساعة الثالثة ونصف بعد الظهر الخميس ٢٩ نوفمبر ، أن الحكومة البريطانية قررت اتمام الانسحاب ، فى موعد لا يتجاوز أسبوعين . وطلب سلوين لويد – تسهيلا لمهمته فى هذا الشأن – أن يصدر المستر همر شولد . بيانين: أحدهما عن حجم " القوة الدولية " ، والثانى عن المواعيد المتصلة بتطهير القناة (٢٣) .

ثم اجتمع المستر همر شولد بالدكتور محمود فوزى صباح يوم ٢٨ نوفمبر ، وأبلغه بالموقف الذى انتهى إليه مع سلوين لويد . و قد ذكر أن هذين البيانين قصد بهما إنقاذ وجه حكومة المملكة المتحدة ، وأنه لا يرى صعوبة إطلاقا فى إصدار البيان الأول ، ولايرى إلا صعوبة قليلة بالنسبة للبيان الثانى ، سيتغلب عليها بالقول بأن الأمم المتحدة ستكون فنيًا قد أتمت استعدادها ؛ لبدء عملية تطهير القناة فى يوم ١٥ ديسمبر مثلاً ، وهو تاريخ يلى الوقت المنتظر للانتهاء من انسحاب القوات الأنجلوفرنسية ، وأن مثل هذا الإعلان لا يربط أحدًا ، ولا يحرج أحدًا إلا أن رد الدكتور محمود فوزى كان الاستياء الشديد من طول مدة الأسبوعين ، التى حددها لويد لإنهاء الانسحاب [٢٤] .

واتصل حديث همر شولد مع الدكتور محمود فوزى بموضوع انسحاب القوات الفرنسية والإسرائيلية ؛ فذكر همر شولد أن فرنسا مجرد تابع ، وأنها سوف تعمل مثل ما تعمل المملكة المتحدة ، وأنه يعتقد أنه عند انتهاء انسحاب القوات الأنجلوفرنسية ، ستكون إسرائيل قد سحبت فعلاً معظم قواتها ، وأخلت غالبية الأراضى التى تحتلها ، كما ذكر المستر همرشولد ، أنه تحدث مع لويد بشأن المستقبل ، إلا بعد مدى ، وهو حل مشكلة قناة السويس نفسها وقد انتهى حديثهما بأن لويد يعتقد أن حكومته قد تقبل بحثها على أساس اقتراحات همر شولد التى تتركز فى استئناف البحث ، على ضوء المبادئ الستة التى قررها مجلس الأمن.

وعندما أبلغ المستر همر شولد وجهة النظر البريطانية إلى الدكتور فوزى ، أكد له أنه أفهم كلاً من سلوين لويد وبينو أنه من العبث محاولة العودة إلى طلب أن تكون اقتراحات الثمانى عشر دولة أساسا للبحث ، ثم أضاف همر شولد أنه لم يجد منهما مقاومة جدية فى هذا الشأن [٢٥] .

ثم عرض المستر همر شولد أفكاره عن التفاوض حول هذه القضية ، فقال " إنه إذا ما جاء الوقت لمعاودة البحث – وهذا لن يكون بطبيعة الحال إلا بعد انتهاء الانسحاب – فإنه سيكون طبيعياً أن يجرى هذا البحث فى إطار جديد ، غير إطار الاجتماع الثلاثى ، ثم أضاف السكرتير العام أنه – من ناحية ثانية – لم يكون رأياً بَعْدَ عن نوع الإطار الجديد ، وإن كان يرى منذ البداية ألا تشترك فى هيئة المفاوضة الولايات المتحدة أو الاتحاد السوفيتى " [٢٦] .

وانتظر المستر هـمر شولد ردّ الدكتور محمود ، إلا أن وزير خارجـية مصر لم يرد أو يناقش الأفكار التى عرضها السكرتير العام ، فإن مجرد المناقشة تشير أحيانًا إلى الرضاء عن المبدأ ، ولذلك آثر الدكتور فوزى ألا يتعرض لهذا الموضوع .

وكان لدى وزير خارجية مصر ما يبرر اتخاذ هذا الموقف . . فليس من المستساغ الحديث فى هذا الموضـوع ، بينما قوات الـعدوان موجودة على أرض مـصر . إلا أن أى حديث أو تباحث سيتخذ مظهـر الضغط على مصر ؛ للحصول على تسوية للـمشكلة أثناء وجود تلك القوات . ثم إذا قبلت مـصر بحث هذا الموضوع فى تلك المرحلة ، وتـعثرت المباحثات . . فما الذى يمنع من تأخير الانسحاب أو عرقلته فى مراحله الأخيرة ؟

وأيضاً . . فإن هذه المباحثات التى تطمع فيها الدول المعتدية ، كان من المفروض أن تتم على أساس الحـل السلمى . ولكـن المملكة المتـحدة وفرنسا لم تـقبلا هذا الحل السـلمى ، وفضلتا استخدام القوة وحاولتا الاستيلاء على القناة بالعدوان ، فهل تقبل مصر بعد ذلك أن تدخل فى مباحثات حول هذا الموضوع ، الذى اعتبرته منذ البداية من صميم أعمال السيادة ، لا سيما وأن كـل ما عليها من الـتزامات لا يتعدى ضمان حـرية الملاحة على ضوء اتـفاقية ١٨٨٨ م ، وتحصيل الرسوم المقررة لذلك ، ثم صمت الدكتـور محمـود فـوزى فـى هـذه المـرحلـة ، ولـم يـرد على السكرتيـر العـام [٢٧] .

وفى ٢٩ نوفمبر ، أرسل الرئيس عبد الناصر بـرقية عاجلة إلى الدكتور فوزى ، يخطره فيها أنه لا يمانع من وصول الفنيين المطـلوب حضورهم إلى مصر ؛ شريطة ألا يحضروا إلا بعد أن يعلـن سلوين لويد رسميـاً من مجلس العموم الـبريطانى تاريخ انتـهاء الانسحاب . وفيما يختص ببحث موضوع قناة السويـس ، على أساس اقتراحات المستر همر شولد ، فمن المستحيل تناول هـذا الموضوع بالبحث طالما بقيت قوات معتـدية على أرض مصر ؛ حتى لا تأخذ تلك المباحثات مـظهر الضغط على مصر ؛ للحصول على تسويـة للمشكلة ، وقد أثار هذا الانتقاد أنورين بيفان فى مجلس العموم الليلة [٢٨] .

ورد الدكتور فوزى على الرئيس عبد الناصـر بأن المستر همر شولد ، ذكر له أن سلوين لويد بعث برسالة تليفونية ، يذكر فيها أنه سيلقى بياناً فى البرلمان يوم ٢٩ نوفمبر كما سبق أن وعده . ولكن هذا البيان سيكون مبدئياً ، إذ إنه لا زال فى حاجة إلى قليل من الوقت ؛

لإقناع فرنسا بالموافقة على خطة المملكة المتحدة فى شأن الانسحاب وتوقيته . ولهذا . . فسوف يتبع بيانه المبدئى ببيان آخر يوم الاثنين وهو أول يوم ينتظر أن يجتمع فيه البرلمان بعد الخميس ، وسيعلن فيه بالتفصيل والتحديد عن تنظيم وموعد الانسحاب .

وأضاف المستر همر شولد أنه ردّ على هذه الرسالة قائلاً : " إذا تأخر البيان التفصيلى المحدد إلى يوم الاثنين ، فهو يلح فى أن يراعى فيه التاريخ الأساسى الذى يجب أن يتم الانسحاب قبله ، بحسب ما كان مزمعاً أن يقال فى بيان باكر ؛ أى إنه إذا كان الانسحاب على الغرض الأول سيتم فى وقت لا يتجاوز ١٤ ديسمبر . . فإن هذا التاريخ يجب أن يبقى حداً أقصى ، يجب أن يتم الانسحاب قبله "[٢٩] .

واجه سلوين لويد وزير خارجية المملكة المتحدة حملة عنيفة ، من المعارضة العمالية وجناح السويس المحافظ من مجلس العموم . وكما وصفه احد الكتاب فإنه " ظل يحتمل وطأة الاتهامات العنيفة والسباب المقذع ، الذى كان ينهال عليه من كل جانب " . وبين جلسة الخميس ٢٩ نوفمبر والإثنين ٣ ديسمبر ، احتدم النقاش ، وحاول سلوين أن يبرر العدوان بالزعم أنه عملية عسكرية ناجحة ، وأن قوات الطوارئ تعتبر نقطة تحول فى تاريخ الأمم المتحدة ، وأنها ماكانت لتتحقق ؛ لولا الإجراء الأنجلوفرنسى ، كما تكلم لويد عما أسماه بمؤامرة شيوعية لإثارة الحرب فى الشرق الأوسط . وعندما اقترع المجلس فى ٣ ديسمبر على اقتراح العمال بلوم الحكومة ، حصلت الأخيرة على أصوات المحافظين .

وخلال ذلك ، نشط الاتصال بين لندن وباريس الذى بدأته العاصمة الفرنسية كعادتها ؛ لمعارضة تحديد موعد اتمام الانسحاب ، إلا أن الظروف الاقتصادية الصعبة التى كانت تعيشها المملكة المتحدة ، وقتئذ ، كانت قد بلغت حد الخطر .

وخلال تلك الأيام الحرجة ، بعث الرئيس إيزنهاور بنائبه هيوبرت همفرى ؛ ليبلغ حكومة المملكة المتحدة أن الولايات المتحدة لن تقدم أى معونة إليها ، ما لم تقرر الانسحاب ، وبهذا لم يعد هناك أى تردد من جانب لندن فى اقناع باريس بخطورة الموقف ، وعدم احتماله لأية هزات اقتصادية جديدة ، فاقتنع موليه وبينو بأنهما لن يتمكنا من الاستمرار بمفردهما ؛ خاصة وأن ظروف فرنسا الاقتصادية لم تكن بأحسن من حليفتها .

وقد انتهت المداولات الأنجلوفرنسية ببيان ، أصدره بينو وسلوين لويد فى ٣ ديسمبر جاء فيه : " إن ثمة قوة دولية ترابط الآن فى بور سعيد ، ولذلك فإن الجلاء عن مصر

أصبح ممكنًا : وأوضح البيان " أنه نظرًا لهذه الظـروف ، فقد أصدرنا أمرنا للجنرال كيتلى قائد القوات المتـحالفة ؛ لكى ينظم مع الجنـرال بيرنز عملية الجلاء " ولم يحـدد البيان متى سيتم الانسحاب ، مكتفياً بالتعهد أنهم " سينظمون هذه العملية " ، ثم أشار إلى :

١ - مسئولية السكرتير العام للأمم المتـحدة فى تطهير القناة فى أقرب وقت وكان هذا اعترافـاً بأن التطهـير ستقوم بـه الأمم المتحدة ، ولـيست الأساطيـل البريطانـية والفرنسيـة والفنيون من الدولتين .

٢ - ضرورة ضمان حـرية الملاحة ، ومطالـبة السكرتيـر العام بإجراء مبـاحثات فى أقرب وقت ، بشـأن نظام القناة فـى المستقبل ، علـى أساس المبادىء الستــة ، التـى تضمنهــا قــرار مجلس الأمــن بتاريخ ١٣ أكتوبر .

وفى نفس الوقـت الذى صدر فيه البيان ، قام كل مـن لويد وبينو بتسلـيم المستر همرشولد مفكرة تتضمن عزم الحكومتين على تنـفيذ قـرارات الجمعيـة العموميــه بالانسحــاب ، دون ذكـر تاريــخ الانسحاب (٣٠) .

كمــا تقـدم السكرتيـر العــــام إلــى الجمعيــة العموميــة ، بتــاريــخ ٣ ديسمبر ١٩٥٦ ، بتقرير تضمن ما أبلغته إياه حكومتا المـملكة المتحدة وفرنسا عن قبولهما الانسحاب من مصر ، وقد جاء فيه ما يلى :

١ - أن الحكومتين قد قررتـا استمرار سحب قواتهما من بورسـعيد ، دون إبطاء ، وذلك بعد أن تأكدت من الآتى :

أ - وصول قوات تابعة لـلأمم المتحدة إلى مصر بطريقـة فعالة ؛ للقيام بالمهـمة الموكلة إليها ؛ طبقاً لقرارات الجمعية العمومية بتواريخ ٢ و ٥ و ٧ نوفمبر ١٩٥٦ .

ب قبول السكرتير العام مسئولية القيام بتطهير القناة بالسرعة الواجبه .

جـ - سريان الملاحة الحرة بعـد تطهير القناة ؛ طبقًا لقرار الجمعية الـعمومية بتاريخ ٢ نوفمبر ١٩٥٦ .

د - عمل السكرتـير العام على قيام مفاوضــات ، بخصوص مستقبل القـناة طبقًا لقرار مجلس الأمن بتاريخ ١٣ اكتوبر ١٩٥٦ .

٢ -أن الحكومتين قد خولتا قائد القيادة المتحالفه ، الجنرال كتيلى الوصول إلى اتفاق مع قائد قوات الطوارئ على جدول الانسحاب الكامل ، على أن يؤخذ بعين الاعتبار مايلى :

أ - إتمام انسحاب الأفراد والمعدات بطريقة منظمة وفعالة .

ب - السهر على استتباب الأمن العام فى المنطقة الموجودة ، تحت إشراف القوات المتحالفة .

جـ - ضمان سلامة المعدات البريطانية والفرنسية المتروكة تحت تصرف الأمم المتحدة لتطهير القناة .

د - ضمان حسن معاملة الرعايا البريطانيين والفرنسيين الموجودين فى مصر .

وفى غير حماس ، أخذت القيادات العسكرية تضع خطة الانسحاب التى سميت خطة " هاريد إن " وكانت مرحلتها الأولى تبدأ يوم ٢ ديسمبر ، وأصبح من المتوقع البدء فيها يوم ٤ ديسمبر ؛ لتنتهى يوم ١٠ من ديسمبر .

كما تقرر أن تتم عملية الانسحاب بمعدل ثلاثة أفواج ، فى ٩ و ١٣و١٧ ديسمبر ، على ألا يبقى فى بورسعيد بعد يوم ١٧ ديسمبر ، غير عدد قليل ، سوف يبحر فى آخر لحظة . إلا أنه حدثت بعض أخطاء ومناورات ، أدت إلى اختلاف المواعيد .

وفى مساء يوم ٢ ديسمبر ، أبلغ الجنرالات حكوماتهم أنهم على استعداد للرحيل بمجرد تلقى الأوامر . ومع تردد لندن فى إصدار تلك الأوامر ، وعدم رغبة باريس فى إصدارها إطلاقاً . . جعل الضغط الأمريكى يزداد على الحكومتين ، ولا يفتر على الإطلاق[٣١] .

وفى ٣ ديسمبر ، صرح سلوين لويد فى مجلس العموم البريطانى بأن المملكة المتحدة وفرنسا قررتا سحب قواتهما من مصر ، دون تأخير ، ولكنه لم يحدد ميعاداً معيناً للانسحاب . وفى اليوم نفسه أعلن متحدث باسم السكرتير العام للأمم المتحدة ، أن القوات الأنجلوفرنسية سوف تنسحب من مصر فى منتصف ديسمبر ، وأن السكرتير العام قد أعطى تعليمات للجنرال بيرنز للاتصال بالقيادة الأنجلو فرنسية ؛ لتنظيم ترتيبات الانسحاب الكامل .

وكانت قوات طوارئ الأمم المتحدة التى وصلت إلى مصر فى ١٥ نوفمبر ١٩٥٦ ، قد دخلت الخطوط الأنجلوفرنسية يوم ٢١ نوفمبر ١٩٥٦ ؛ حيث قامت بتعزيزها ، بحيث انتشرت على طول مواجهة بورسعيد وبورفؤاد وجنوب بورسعيد على خط النار بين القوات المصرية والقوات الأنجلوفرنسية . وقد تأخرت عملية الانسحاب عن الموعد المنتظر - ١٥ ديسمبر - بسبب تباطؤ المعتدين . ولو أن قوات الطوارئ كانت تتسلم مدينة بورسعيد جزءاً وراء الآخر ، إلى أن تم الانسحاب نهائياً يوم ٢٢ ديسمبر ١٩٥٦ . وبات من المنتظر أن تنتقل - فى الوقت القريب - كل قوات طوارئ الأمم المتحدة من بوسعيد إلى سيناء ؛ لتنضم إلى القوات اليوغسلافية الموجودة فيها ٠

وعندما التقى داج همر شولد بالدكتور محمود فوزى ، أبلغه بالموقف المتقدم ، وذكر ما يعتقده من أن أى تأخير فى الانسحاب ، قد يكون عبئاً على الحكومتين ، وإضراراً سياسياً بهما ٠ ومرة أخرى - وفى مساء نفس اليوم ٧ ديسمبر - اتصل همر شولد بالدكتور فوزى ؛ ليبلغه بأنه قد صدرت تعليمات مبدئية لقائد القوات الأنجلوفرنسية ، بالانسحاب فى وقت لا يتعدى ١٤ ديسمبر ١٩٥٦ .

وكان الحصول على إعلان المملكة المتحدة وفرنسا لقرار الانسحاب ، خطوة واسعة نحو إزالة آثار العدوان ٠ على أنه لا ينبغى التغافل عن أنه بجانب الظروف الاقتصادية والضغط الأمريكى . . فإن هناك الأصوات الشريفة الحرة ، التى ارتفعت فى مجلس العموم البريطانى ؛ من أجل إدانة العدوان والهجوم العنيف على حكومة المحافظين والمظاهرات ، التى استمرت لأيام تهتف بسقوط إيدن ، وتطالب باستقالته أمام مبنى رئاسة الوزارة البريطانية ٠ولا يصح التغافل أيضاً عن موقف الاتحاد السوفيتى ، وما مارسه من ضغوط عنيفة وتهديدات خطيرة للمعتدين ، بلغت الذروة فى الإنذار الذى أصدره الرفيق خروشوف لتل أبيب ولندن وباريس ، مهدداً إياهم بالصواريخ حاملة الرؤوس الذرية ، وأخيراً - وليس آخراً - ذلك الموقف الشهم ، الذى وقفته حكومة الهند وشعبها فى مؤازرة مصر ٠

ولم يكن كل ما سبق يؤتى ثماره ، لولا صمود زعامة وشعب مصر وأمة العرب فى وجه العدوان الثلاثى ومعاركه الوحشية غير المتكافئة ، التى خاضها ضد أهالى بورسعيد ، والتى ساهمت بدورها فى إتمام الانسحاب الأنجلوفرنسى ٠

وعندما دخل الجنرال بيرنز بورسعيد يوم ٢٥ نوفمبر ١٩٥٦ - ودخلت معه القوة اليوغسلافية - أعلن أنه سيعمل مع قوات طوارئ الأمم المتحدة على المحافظة على النظام فى بورسعيد ، بالتعاون مع السلطات المصرية فيها . وبدأت عمليات الانسحاب ؛ فغادر أخر جندى من القوات الأنجلوفرنسية أرض مصر يوم ٢٢ ديسمبر ١٩٥٦ .

انسحاب إسرائيل :

بعد أن انسحبت القوات المصرية من سيناء ، ووصلت القوات الإسرائيلية إلى مسافة عشرة أميال شرق قناة السويس ،أعلن بن جوريون" أن اتفاقيات الهدنة ماتت ودفنت " .

وفى ٤ نوفمبر ١٩٥٦ أعلن السكرتير العام فى تقريره للجمعية العمومية حول قرارات يومى ٢ ، ٤ نوفمبر ، أنه تلقى من جولدا مائير وزيرة خارجية إسرائيل ، الرد على وقف إطلاق النار والانسحاب ، وأن هذا الرد يتضمن طلب ايضاحات من مصر حول الأسئلة التالية :

- هل وافقت مصر دون شروط على وقف إطلاق النار ؟
- وهل مازالت مصر تصر على أنها فى حالة حرب مع إسرائيل ؟
- وهل مصر على استعداد للتفاوض مع إسرائيل ، من أجل إقرار السلام ؟
- وهل وافقت مصر على وقف المقاطعة الاقتصاديه ضد إسرائيل ؟
- وهل وافقت على استدعاء عصابات إلفدائيين ، الذين يعملون بتوجيهات من دول عربية مجاورة لإسرائيل ؟

وكانت هذه بداية الطريق الطويل الشاق ، الذى سلكته قضية انسحاب إسرائيل من شبه جزيرة سيناء وقطاع غزة .وكانت هذة البداية بمثابة المؤشر للاتجاه الذى سوف تجنح إليه السياسة الإسرائيلية فى محاولة الإفادة من الأوضاع المترتبة على العدوان الثلاثى ، والعمل على تحقيق مكاسب سياسية وعسكرية واقتصادية نتيجة لعدوانها .وكانت إسرائيل تأمل تحقيق كل ماتستطيع من مكاسب قبل انسحابها من سيناء وقطاع غزة .

ولكن الظروف السياسية الدولية السائدة قبل العدوان الثلاثى ، كشفت عن أن استخدام القوة مرفوض تماماً من مراكز القوى العالمية ، التى تعارضه بعنف شديد خاصة بعد أن

انكشف أمر التـواطؤ ، وما أن وقع العدوان . . حتى تبين أن مراكز الـقوى هذه - برغم ما بينها من تناقـضات - ما زالت على موقفها ، وأنها تخطو - فى إيـجابية - نحو إزالة آثاره وممارسة كل أنواع الضغوط المعتدين لوقفـه ، وقد أثمرت هذه الضغوط عن سرعة الانسحاب الأنجلوفرنسى ، على خلاف الحال مع إسرائيل لاختلاف وضعها عن حليفتيها فى العدوان ، سواء من حيث ظروفها ونـشأتها كدولة دخيلة على المنطقة ومرفـوضة من شعوبها ، أو من حيث اعتمادها الكبير على المؤسسات الصهيونية العالمية (٣٢) .

ولقد كان الموقف من وجهـة نظر إسرائيل ، يتوقف على مدى الضغـــط الأمريكـــى ، الذى تستطيع أن تتحمله . وإسرائيل فى هذه الـنظرة ، تسير مع الأمور فى طبيعتها ، وهى لا تغالى أو تـعيش فى أوهام ، بل تحدد نـظرتها إلى ما سيـحدث على أساس إمكانـياتها ونفوذها فى الولايات المتحدة . لم تتحمل بريطـانيا أو فرنسا الضغوط المختلفة واضطرتا إلى الانسحاب، ولكن الوضع اختلف مع إسرائيل نتيجة وجود قوة ذات تأثير ، تستطيع استخدام الأجهزة السياسـية الأمريكية فى صالحها ، وهذه الـقوة تخدم السياسة الإسرائيـلية فى كافة مراكز الثـقل الأمريكية ؛ فهـى فى الكونجرس وفى الـبيت الأبيض وفى الصـحافة والإذاعة والتليفزيون ، وفى الجمعيات المنتشرة عبر القارة الأمريكية .

كما أنهـا تتمثل أيضـاً فـى النشـاط المنظـم لـرجال الدين اليهـود ، وفى رجال المال والبنوك ؛ فـالصهيونيـة لها وجود فى الحيـاة الأمريكية ، وتلـعب دوراً أساسياً فى تـوجيه السياسة الأمريكيـة . ولقد قدرت إسرائيل - منذ البداية - أن هناك عـوامل وأوضاعاً معينة فى الولايات المتحدة ، تسمح لها بأن تصمد أمام الضغط الأمريكى ، بل ويمكنها أن تحد من تأثير هذا الضغط(٣٣) .

وواجهت إسرائيل أيضاً ضغطاً من جانب الـرأى العام العالمى ، الذى استنكر عدوانها منذ البـداية ، وتغيرت نظرته إلـيها ؛ خاصة الدول الحديـثة الاستقلال ، والتى تبـينت فى ذلك الوقت الـتحالف بين إسرائيل والاسـتعمار ، وأفاقت علـى الحقيقة الاستعمـارية لهذه الدولة . ولم يـكن هذا بالأمر الهين عـلى إسرائيل وهى تعتـمد فى تجارتها ونفـوذها على الميادين ، الـتى فتحها لـها الاستعمار فـى هذه الدول ، وتعمل عـلى تخفيف آثـار الحصار السياسى الاقتصادى العربى عليها ، عن طريق علاقاتها المطردة مع تلك الدول(٣٤) .

ثم واجهت إسرائيل السكرتير العام للأمم المتحدة ، بكل قوته ومهارته السياسية ، ولم يكن همر شولد ، وهو يتابع الأحداث راضياً عن مسلك إسرائيل ، بل كان مصمماً - طوال الوقت - على انسحابها غير المشروط من جميع الأراضى المصرية ، التى احتلتها أثناء الحرب . وقاوم كل المحاولات الإسرائيلية لربط هذا الانسحاب بأية شروط ، مثل : حرية المرور لإسرائيل فى خليج العقبة ، بالرغم من أنه كان يؤيد حرية المرور بعد إتمام الانسحاب ، وكموضوع منفصل لا ارتباط له بأية قضايا أخرى[٣٥] .

وعندما استلم المستر همر شولد رسالة جولدا مائير ، وما حوته من استفسارات موجهة للحكومة المصرية ، نشر تلك الرسالة ولفت نظر الجمعية العمومية ، إلى تصريح بن جوريون بأن اتفاقيات الهدنة لم تعد قائمة ، وإلى رفض إسرائيل قبول قوات طوارئ الأمم المتحدة على أرضها . وكان هذا الإجراء من جانب داج همر شولد ، أول خطوة إيجابية منه لتحذير إسرائيل من الأسلوب الذى ينوى اتباعه تجاهها ، وهو كشف مسلكها أمام الجمعية العمومية أولاً بأول ، وتعريضها لغضب المجموعة الدولية .

والواقع أننا إذا نظرنا إلى مطالب إسرائيل الخمسة .. نجد أنها تحدد المكاسب التى تطمع فى تحقيقها من وراء العدوان .. فهى تطلب إنهاء حالة الحرب ، وما يعنيه ذلك من الاعتراف بإسرائيل ، وحرية المرور فى الممرات الدولية ، وهى خليج العقبة وقناة السويس ، ثم ترى اعتبار اتفاقيات الهدنة كأن لم تكن ، وتطلب عقد معاهدة صلح ، يتم الوصول إليها عن طريق المفاوضات المباشرة ، ثم تطلب إنهاء المقاطعة الاقتصادية ، باعتبار أنها تترتب على إنهاء حالة الحرب .

هذه فى الواقع هى مطالب المنتصر ، الذى يريد إملاء شروطه وفرض إرادته ، ولم يكن ذلك مقبولاً ؛ لأن الأمم المتحدة وكذا الولايات المتحدة الأمريكية والمجتمع الدولى كله ، لم يقبلوا ادعاء إسرائيل بأن اتفاقيات الهدنة لم تعد قائمة ، بل إن كافة المشاريع التى قدمت إلى الجمعية العمومية حددت الانسحاب إلى ما وراء خطوط الهدنة ، كما أن أماكن عمل قوات طوارئ الأمم المتحدة تحددت عند خطوط الهدنة .

وتبقى بعد ذلك مسألة إنهاء حالة الحرب ، وما يترتب عليها ، وهذه - وإن لم تكن محل رفض مطلق من جانب الولايات المتحدة - كانت ترفض مناقشتها ، قبل أن يتم

الانسحاب . ومن هنا تركزت المفاوضات والمساومات ، هل يتم الانسحاب قبل تحقيق أمن وسلامة إسرائيل ؟ أم تعود الأوضاع إلى ما كانت عليه أولاً ؛ فتتعرض إسرائيل مرة ثانية لخطر الحرب .

وعندما أعلنت إسرائيل يوم ٦ نوفمبر قبولها لوقف إطلاق النار ، لم تشر إطلاقاً إلى الانسحاب . وفى ٧ نوفمبر ، وجه الرئيس إيزنهاور رسالة إلى بن جوريون ، يطلب الامتثال لقرار الجمعية العمومية بالانسحاب إلى خط الهدنة العام . وذكر إيزنهاور أن هذا القرار قدمته الولايات المتحدة ، ولقى تأييداً شاملاً فى الجمعية العمومية ، وقد أدت رسالة أيزنهاور إلى تعديل سريع فى موقف إسرائيل (٣٦) .

لذلك أبلغت جولدا مائير السكرتير العام ، أن إسرائيل على استعداد للانسحاب من سيناء ، وأشارت إلى ضرورة إنهاء حالة الحرب والمقاطعة الاقتصادية والحصار ، ووقف أعمال الفدائيين ، وبدء المفاوضات المباشرة للصلح .

وفى يوم ١١ نوفمبر ، ردّ عليها المستر همر شولد ، طالباً التباحث معه لوضع أسس الانسحاب حسبما ورد فى خطابها يوم ٨ نوفمبر . ثم وجه المستر همر شولد استفهاماً إلى حكومات العدوان الثلاثى يوم ١٩ نوفمبر ؛ لاستيضاح موقفها من الامتثال لقرارات الجمعية العمومية فى ٢ و ٧ نوفمبر ؛ حتى يكون ردها أساساً لتقريره الذى سوف يرفعه إلى الجمعية العمومية (٣٧) .

موقف إسرائيل من الانسحاب :

أبلغت إسرائيل السكرتير العام يوم ٢١ نوفمبر ١٩٥٦ أنها على استعداد لسحب قواتها من مصر فوراً ، عقب الانتهاء من الترتيبات المرضية مع الأمم المتحدة ؛ بخصوص قوات طوارئ الأمم المتحدة ؛ بحيث تكفل هذه الترتيبات أمن إسرائيل إزاء خطر الهجوم عليها ، أو التهديد به ، وبالنسبة للأعمال الحربية فى البحر أو البر ، كما علقت انسحابها على تعرف سياسة مصر ونواياها تجاه إسرائيل صلحاً كانت أم حرباً (٣٨) .

وحرصت القيادة الإسرائيلية يوم ٢ ديسمبر ١٩٥٦ ، بأنها قد سحبت ثلاثة لواءات من سيناء ، وأن باقى القوات الإسرائيلية قد انسحبت لمسافة ٥٠ كيلو متراً شرق قناة

السويس . وقد قامت القوات الإسرائيلية أثناء انسحابها بعمليات تخريب وتدمير واسعة النطاق من حرث للطرق وبث للألغام وتدمير للمنشئات ؛ مما حدا بالحكومة المصرية إلى أن تطلب من الجنرال بيرنز إرسال وحدة من قوات الطوارئ الدولية – على أن تكون يوغسلافية الجنسية – إلى منطقة آبار البترول المصرية فى سدر والبلاعيم ؛ للمحافظة على المنشئات والآبار فيها ، ولحمايتها من تخريب القوات الإسرائيلية (٣٩) .

وفى الثانى من ديسمبر ، قدم المستر همر شولد تقريره للجمعية العمومية ، وقد تضمن ردَّ إسرائيل السابق ذكره ، والذى جاء به : (٤٠)

١ - تم سحب القوات الإسرائيلية إلى مسافات مختلفة ، على طول الجبهة المصرية .

٢ - تعيد الحكومة الإسرائيلية موقفها ، الذى سبق توضيحه للسكرتير العام فى ٨ نوفمبر ، وستقوم بسحب قواتها من مصر مباشرةً عقب وضع ترتيبات مرضية مع الأمم المتحدة ، بشأن قوات طوارئ الأمم المتحدة ، والترتيبات المرضية التى تطلبها إسرائيل ، وهى تلك الترتيبات التى تضمن سلامة إسرائيل ، ضد تكرار خطر الهجوم والأعمال العدوانية من البر او البحر .

٣ - ما زالت إسرائيل تدرس تقرير السكرتير العام حول قوات الطوارىء .

٤ -ما زالت حكومة إسرائيل فى انتظار إجابة عن الاستيضاح الذى طلبته .

وفى يوم ٣ ديسمبر ، تحركت القوات المدرعة اليوغوسلافية من البلاح ، داخل سيناء فصادفتها صعوبات جمة ، كما لم تجد بعد تقدمها لمسافة تتراوح بين ١٢ و ٣٠ كيلو متراً أى أثر للطرق المرصوفة ، واضطرت إلى ترك العربات ، والسير على الأقدام حتى وصلت فى يوم ٥ ديسمبر إلى مسافة ٢٨ كيلو متر شرق القنطرة ، و٤٠ كيلومتراً شرق الإسماعيلية ؛ حيث توقفت تماماً لكثرة الألغام ، وعدم تمكن الحملات الميكانيكية من متابعة التقدم لعدم وجود طريق معبد .

وظهر عندئذ أن القوات الإسرائيلية عند انسحابها ، قامت بحرث الطرق ، وتخريبها ، ووضع الألغام لتعطل تقدم القوات الدولية . وكان واضحاً أن وراء هذا التخريب الإسرائيلى محاولة لكسب الوقت ، وعرقلة عملية قوات الطوارئ الدولية ؛ حتى تتمكن من الحصول على مكاسب سياسية (٤١) .

وقد أرسل المستر همر شولد يوم ٧ ديسمبر ١٩٥٦ مذكرة إلى الحكومة الإسرائيلية ، طلب فيها وقف أعمال التخريب والتدمير ؛ بناء على طلب الحكومة المصرية ؛ للتغلب على تعطيل تقدم قوات طوارئ الأمم المتحدة لمتابعة الانسحاب الإسرائيلى ، والوصول بأسرع ما يمكن إلى منطقة العريش - رفح - غزة ، كما طلبت الحكومة المصرية من المستر همر شولد أن تنتقل قوات طوارئ الأمم المتحدة إلى العريش رأساً ، وبطريق الجو لإنقاذ السكان المدنيين فى العريش ورفح وقطاع غزة ، وحماية باقى خطوط المواصلات ، وحتى تضمن مصر توقف المذابح من جانب اليهود ضد المواطنين (٤٢) .

ولذلك . . كلف المستر همر شولد الدكتور رالف بانش بسؤال الحكومة الإسرائيلية عن حقيقة التخريب والتعذيب ، كما طلب من الجنرال بيرنز موافاته بتقرير عن الموقف . وحتى ١٧ ديسمبر ، وصل تقدم القوات اليوغسلافية على الطريق الشمالى (القنطرة - العريش) حتى الكيلو ٦١ ؛ حيث قابلت دورية إسرائيلية ، أوضحت لها أنه يجب عليها ألا تتقدم أكثر من الكيلو ٥٠ شرق القناة ، على أن يشمل ذلك أيضاً الطريق الأوسط (الإسماعيلية - أبو عجيلة) ، والطريق الجنوبى (السويس - سدر الحيطان -نخل) ، وإذا أرادت التقدم أكثر من ذلك . . فيكون بعد اتفاق بيرنز مع حكومة إسرائيل .

وبناء على هذه المعلومات ، قدر الخبراء العسكريون التابعون للأمم المتحدة أن انسحاب القوات الإسرائيلية لن يتم قبل أربعة أو ستة أسابيع مما دعا الجنرال بيرنز فى ١٧ ديسمبر ١٩٥٦ إلى إبلاغ إسرائيل أن السكرتير العام لن يقبل ذلك (٤٣) .

وحتى ذلك الوقت ، كان جنوب سيناء لا يزال فى أيدى القوات الإسرائيلية ، ولا سيما منطقة آبار البترول فى سدر وبلاعيم ؛ حيث علمت مصر أن السفن تقوم بتعبئة البترول الخام ، وتتجه به إلى ميناء إيلات ؛ علما بأن الجنرال بيرنز كان قد وعد بإرسال مراقبين دوليين إلى منطقة سدر وبلاعيم ؛ لإيقاف أعمال النهب التى تجرى هناك ، ولكنه لم يفعل شيئا حتى ذلك الوقت ، وكان قائد القوة اليوغوسلافية التى تعمل فى سيناء ، قد دفع بقوة محدودة من الشط إلى مدينة الطور ، غير أن الجنرال بيرنز أمر بعودتها ، ولام القائد اليوغسلافى على هذا التصرف ، الذى رد بأنه فعل ذلك بقصد تأمين جناحه الأيمن ، اثناء تقدمه فى شمال سيناء (٤٤) .

ولم يبت الجنرال بيرنز فى مسألة انزال قوات يوغسلافية ، مباشرة فى العريش سواء

بالمطار الموجود هناك ، أو بطـريق البحر ؛ بقصد تلافى الصعوبات المتعـمدة ، التى أقامتها إسرائيل؛ لإعاقة تقدم القوات اليوغسلافية كـالألغام وتدمير الطرق ؛ علمًا بأن الجنرال بيرنز سبق أن أخبـر القيادة العامة المصـرية بأنه طلب موافقـة السكرتير العام ، عـلى إنزال قوات طوارىء الأمم المتحدة مباشرة بالعريش .

وقد طلب الرئـيس عبد الناصر من الـدكتور محمود فوزى - الموجـود فى ذلك الوقت بنيويورك - ابلاغ المستر همرشولد أن السبب فى تعـطيل تطهير القناة لا يرجع إلى السلطات المصرية ، بل إلى تلكؤ القوات المعتدية فى الانسحاب من الأراضى المصرية بوجه عام ، وأن السلطات المصرية قدمت معاونة صادقة فـى المراحل الاستطلاعية الجارية الآن ، قبل البدء فى تطهير القناة (٤٥) .

وقد أبلغ القـائد العام للقوات المسـلحة المصرية الجنرال بيـرنز أن الطريقة التى تـتبعها إسرائيل فى الانسحاب لا تتفق مع ما جـاء بقرارى الجمعية العمومية بتاريخى ٢ ، ٧ نوفمبر ، بل تعتبر تعطيلاً لعملية الانسحاب من سيناء إلى ما وراء خطوط الهدنة ، وإن الأسلم أن يكون الانسحاب من جنوب شبه جزيره سيناء ، عن طريق ممر متلا إلى الشرق مباشرة حتى خطوط الهدنة (٤٦)

وأمام هذا الموقف ، طلبت مصر من السكرتير العام أن يعالج هذا الوضع المائع ، الذى تسبب فى تأخير عملية تطهير القناة . وردَّ المستر همر شولد على تحذير الحكومة المصرية بأنه تلقى من إسرائيل كتاباً بتاريخ ٢١ ديسمبر ١٩٥٦ ، يفيد أنها ستنسحب على مرحلتين . . فحتى الأسبوع الأول مـن يناير ١٩٥٧ ، تـكون القوات الإسرائيـلية قد انسحـبت إلى غرب العريش بينما يستمر احتلال إسرائيل لشـرم الشيخ وتيران ، ثم تنسحب القوات الإسرائيلية إلى ما وراء خطوط الحدود و الهدنة فى ميعاد معين (٤٧) .

ولـم يكن المستر همر شولد - فى واقع الأمر غير منتبه للعراقيل ، التى تضعها إسرائيل أمام انسحابها ، بل كان يلاحق الحكومة الإسرائيلية برسائل متتالية ، يطلب فيها الانسحاب الكامل إلى ما وراء خطوط الحدود والهدنة . ففى شهر ديسمبر ، طلب من الوفد الإسرائيلى أفادته عن صحة ما ردده بن جوريون من أن اتفاقيـات الهدنة ماتت ، وعن صحة تصريحات بعض رجال وزارة الخارجية الإسرائيلية بشأن عدم الانسحاب من غزة .

وكان السكرتير العام يؤكد فى رسائله للحكومة الإسرائيلية ، ضرورة تنفيذ قرارات الجمعية العمومية بالانسحاب الفورى إلى ما وراء خطوط الحدود والهدنة ، وهو مايعنى قطاع غزة ضمناً ، وبذلك يقطع الطريق على التصريحات المتتالية من جانب المسئولين الإسرائيليين حول البقاء فى هذا القطاع . وفى الوقت الذى كان المستر همر شولد يتخذ هذا الموقف ، كان يتوازى مع جهوده أمران : أولهما : أن الجمعية العمومية تلاحق إسرائيل بطلب الانسحاب الفورى ، وثانيهما : أن الولايات المتحدة لم تتردد لحظة فى أن تبدى غضبها واستياءها لعدم اتمام إسرائيل الانسحاب .

وقبل انتهاء شهر ديسمبر ١٩٥٦ .. كانت القوات الأنجلوفرنسية قد أتمت انسحابها ؛ فبقى الأمر اعتباراً من مطلع شهر يناير١٩٥٧ غير واضح بالنسبة للانسحاب الإسرائيلى . حقيقةً أن إسرائيل قد انسحبت من معظم شبه جزيرة سيناء ، بعد أن خربت ودمرت طرقها ومنشآتها وبث الالغام فى كل مكان ، إلا أنها استمرت ترفض الانسحاب من قطاع غزة ومنطقة شرم الشيخ .

وفى ١٥ يناير ١٩٥٧ ، قدم السكرتير العام تقريره إلى الجمعية العمومية ، وجاء فيه :(٤٨)

١ – إنه على ضوء ما حدده المندوب الإسرائيلى فى ١٤ يناير .. فإنه فى ٢٢ يناير ١٩٥٧ ستكون القوات الإسرائيلية قد انسحبت من صحراء سيناء ، باستثناء منطقة شرم الشيخ . كما أعلنت إسرائيل على لسان المسئولين فيها أنها لن تنسحب من قطاع غزة . أما انسحابها من منطقة شرم الشيخ وخليج العقبة ومضايق تيران .. فإنه يتوقف على حصولها على ضمانات كافية ، بعدم منع السفن الإسرائيلية من المرور فى خليج العقبة .

٢ – إن الصفة الدولية لخليج العقبة قد تعتبر مبرراً لحق المرور البرئ فى مضايق تيران وفى خليج العقبة ؛ طبقاً للمبادئ المعترف بها فى القانون الدولى .

٣ – إن قرار الجمعية العمومية فى ٢ نوفمبر ، الذى طلب من السكرتير العام العمل على انسحاب كافة القوات ، إلى ما وراء خطوط الهدنة قد أشار إلى أمرين آخرين وهما مطالبة الأطراف بالامتناع عن الغارات عبر خطوط الهدنة ، والتنفيذ الدقيق لأحكام اتفاقية الهدنة .

وفى ١٧ يناير ، استأنفت الجمعية العمومية بحث الموقف ، وألقى الدكتور محمود فوزى كلمة قصيرة ، طالب فيها الأمم المتحدة بتحمل مسئولياتها ، وأكدَّ على أنه يجب على الجمعية العمومية أن تقرر هل ستسمح أو لا تسمح للعدوان بأن يسود ويحكم ، وهل ستسمح بأن يجنى المعتدى ثماراً عدوانه . ؟ (٤٩)

ثم تقدم مندوب سيلان بمشروع قرار باسم ٢٥ دولة ، يطالب إسرائيل بالانسحاب ، ويكلف السكرتير العام بأن يقدم تقريراً إلى الجمعية العمومية ، فى خلال خمسة أيام ، حول مدى تنفيذ إسرائيل لقرارات الجمعية العمومية ·

وتحدث أبا إيبان ، فتحدى الجمعية العمومية بقوله إن الانسحاب من شرم الشيخ وقطاع غزة ستتم مناقشته فى مرحلة متأخرة ؛ لأنه يمس أمن إسرائيل · كما تحدث أيضا مندوب أستراليا ليشرح وجهة نظر إسرائيل ، فقال إن عليها الانسحاب كطلب الجمعية العمومية · ولكن هذا الطلب لايعنى العودة إلى أوضاع غير قانونية ، سادت قبل الهجوم الإسرائيلى ، مثل : تسلل الفدائيين من قطاع غزة ومنع السفن الإسرائيلية من المرور فى خليج العقبة · واستشهد مندوب استراليا بما أورده السكرتير العام فى تقريره ، حول المرور البرىء فى خليج العقبة ، وذكر أنه من الضرورى عند انسحاب إسرائيل من قطاع غزة وخليج العقبة ، ألا تحتل هذه المناطق القوات المصرية ؛ مما قد يؤدى إلى موقف خطير ، وطالب بأن تدخل قوات طوارىء الأمم المتحدة هذه المناطق لمعالجة هذا الوضع ·

وبذلك . . بدأ يظهر الاتجاه الجديد الذى سعت إليه إسرائيل ، وهو تحقيق ضمانات لها بالنسبة لقطاع غزة وشرم الشيخ · وقد عقب مندوبون من أمريكا اللاتينية ودول غربية على تقرير السكرتير العام ، وأيدوا وجهة النظر الإسرائيلية . ولكن عند التصويت فى ١٩ يناير ١٩٥٧ ، وافق على المشروع الأفرو - آسيوى ٧٤ دولة وعارضته إسرائيل وفرنسا . وكان أهم مالوحظ على هذا التصويت ، هو عدم معارضة المملكة المتحدة - لأول مرة - لقرار الجمعية العمومية · وقد سجل قرار الجمعية العمومية على إسرائيل عدم امتثالها لقراراتها ، وطلب من السكرتير العام ان يقدم تقريراً عن انسحاب إسرائيل انسحابا كاملاً خلال خمسة أيام ·

وفى ٢٣ يناير سنة ١٩٥٧ ، بعثت إسرائيل بمفكرة إلى السكرتير العام ، أوضحت فيها موقفها من الانسحاب على الوجه التالى :

أ - قطاع غزة :

١ - لن تبقى القوات الإسرائيلية فى قطاع غزة ٠

٢ - استمرار إسرائيل فى القيام بالخدمات الإدارية فى المنطقة ، ويدخل فى ذلك الصناعة والزراعة والصحه والتعليم ، وغير ذلك من المرافق العامة ٠

٣ - تتولى الشرطة الإسرائيلية مهام المحافظة على الأمن والنظام ٠

٤ - لا توافق إسرائيل على دخول قوات دولية فى قطاع غزة ؛ لأن مثل هذه القوات لن يمكنها الاضطلاع بالمهام البوليسية اللازمة لمنع نشاط الفدائيين ، كما أن هذه القوات لن يمكنها القيام بالخدمات الإدارية والاقتصادية فى هذا القطاع ٠

خليج العقبة ومنطقة شرم الشيخ :

١ - انسحاب إسرائيل من هذه المنطقة موقوف على حصولها على ضمانات تكفل لها حرية المرور فى خليج العقبة ومضايق تيران ٠

٢ - مرابطة قوات طوارىء الأمم المتحدة فى المنطقة ، بعد انسحاب القوات الإسرائيلية ؛ لمراقبة حرية الملاحة فى خليج العقبة ، ومنع الأطراف من استعمال حقوق المحاربين فيها ، والبقاء فى المنطقة ؛ حتى يمكن الوصول إلى حل نهائى للمسألة ٠

وكذلك أعلن بن جوريون فى الكنيست يوم ٢٣ يناير ١٩٥٧ ، أن إسرائيل لن تنسحب من شرم الشيخ أو قطاع غزة ، قبل أن تحصل على الضمانات التى طلبتها ٠ وفضلاً عن ذلك : كانت إسرائيل مستعدة لتوقيع ميثاق عدم اعتداء مع مصر ، وقدم المندوب الإسرائيلى فى الأمم المتحدة اقتراحات بن جوريون المطولة إلى همر شولد ، ووزعت على جميع الأعضاء ٠ وكان كابوت لودج المندوب الأمريكى فى الأمم المتحدة وجون فوستر دالاس وزير خارجيتها والرئيس أيزنهاور قد تزايد غضبهم ، ونفذ صبرهم يومًا بعد يوم ، فدعوا إسرائيل إلى الانسحاب ، مستخدمين الكلمة المختارة التى عثر عليها كريشنا مينون لبريطانيا وفرنسا " فى الحال " (٥٠) .

وفى ٢٤ يناير ١٩٥٧ ، قدم السكرتير العام تقريره إلى الجمعية العمومية بعد انقضاء

مهلة الخمسة أيام ، التى حددتها فى قرار ١٩ يناير ، وقد أوضح فى هذا التقرير أن الأمم المتحدة لا يمكن أن تقبل تغييراً فى الأوضاع القانونية ، بناء على أعمال عسكرية ، وأن قوات طوارىء الأمم المتحدة غير منوط بها فرض تسويات . وكذلك أوضح أنه لا يمكن قبول فكرة إشراف إسرائيل على قطاع غزة - ولو كان ذلك بصفة غير عسكرية - وإن أى توسيع لاختصاصات قوات الطوارىء ، لا يمكن أن يتم دون موافقة الأطراف . وعن مشكلة خليج العقبة ، ذكر المستر همرشولد أن الأعمال العسكرية لإسرائيل لا ينبغى ان يكون لها دور فى حل هذه المشكلة(٥١) .

وما إن صدر هذا التقرير ، حتى اتجهت الولايات المتحدة إلى إعداد مشروع قرار ، يسعى إلى إحالة مسألة المرور فى خليج العقبة إلى محكمة العدل الدولية ، بأمل أن يصدر حكمها بمنع الأطراف عن ممارسة حقوق المحاربين فى مياه الخليج ، أو التدخل بأية صورة فى حق المرور البرىء (٥٢) .

وقد عرض المندوب الأمريكى كابوت لودج هذا المشروع على الدكتور محمود فوزى ، الذى أوضح أن هذا المشروع يعتبر رضوخًا لضغط إسرائيل ، ورهنًا تضعه الجمعية العمومية فى يد إسرائيل كى تنسحب ، وإنه لا يمكن لمصر أن تقبل ذلك . وإزاء رفض مصر لهذا المشروع ، قام الوفد الأمريكى برئاسة لودج بتعديل النص ، فأصبح ينص على " التزام الأطراف بأحكام اتفاقية الهدنة ، وأن هذا يقتضى وضع قوات طوارىء الأمم المتحدة على خط الهدنة المصرى - الإسرائيلى ، وتنفيذ الإجراءات الأخرى التى يراها السكرتير العام لازمة ؛ للوصول إلى المواقف التى تؤدى إلى حفظ السلام فى هذه المنطقة (شرم الشيخ وقطاع غزة) (٥٣) .

على أنه فى نفس الوقت ، كانت الولايات المتحدة قد أعدت مشروع قرار آخر ، يدين إسرائيل لعدم تنفيذها الانسحاب الكامل ، وعرض للتصويت أولا قرار إدانة إسرائيل فى جلسة الجمعية العمومية فى ٢ فبراير ١٩٥٧ ؛ فوافقت عليه بأغلبية ٧٤ صوتا ضد صوتين (فرنسا - وإسرائيل) ، وامتناع دولتين (كوبا وكوستاريكا) . وقد نعت الجمعية العمومية على إسرائيل فى هذا القرار عدم امتثالها لقرارات الجمعية العمومية المتكررة ، وطالبتها للمرة السادسة بالانسحاب إلى ما وراء خطوط الهدنة . إلا أن إسرائيل واصلت تحديها للأمم المتحدة ، وأعلنت أنها مازالت مصرة على موقفها (٥٤) .

وعندمــا عرض مشروع القـرار الأمريكى الثانـى ، وهو إحالة المرور فـى خليج العـقبه لمحكمة العدل الدولـية ، وافقت عليه ٥٦ دولة وامتنعت ٢٢ عن التـصويت ، وكانت مصر من الدول التى امتنعـت عن التصـويت (وأيدتها فى موقفها الـدول الاشتراكية وكافة الدول العربية - كما امـتنعت أيضا إسرائيل باعتبـار أن هذه ضمانة غير كافية بالنـسبة لها)٠ ولم يكن أمام مصــر سوى الامتناع عن التصويت ؛ تحـديداً لموقفها ، وعدم قبولهـا لهذا الوضع الجديد ٠ وكان الدكتور مـحمود فوزى قد أبدى استعداد الحكومة المصريـة ، للالتزام الكامل بأحكام اتـفاقية الهدنة ، مـع ضرورة انسحاب إسرائـيل الكامل والفورى ، ثـم تمركز قوات الطـــوارىء علـى " جـانبى " خط الهـدنه ، وأن تعمل هـذه القوات فى الإطار القـانونى لمهمتها ، كما حددته الجمعية العمومية . أما أبا أيبان . . فقد صمم على أن اتفاقيات الهدنة لم يعد لها وجود ، وأنه من الضرورى أن تعلن مصر تخليها عن حالة الحرب [٥٥] .

وبذلك تـكون الولايات المتحـدة قد حققت وضـعًا خاصًا لإسرائيل ؛ لأنه عـلى ضوء القرار . . ستتواجد قوات الطوارىء الدولية فى قطاع غزة وشرم الشيخ ، كما أن هناك مطالبة من جانب الجـمعية العموميـة بعدم استخدام حقوق المحـاربين فى تلك المنطقـة ٠ وعلى أثر القرار الأمريكى المقدم للجمـعية العمومية فى ٢ فبراير(الخاص بالمـرور فى خليج العقبة) . . وجه الرئيس أيزنهاور رسالة إلى بن جوريون ، فسر فـيها هذا القرار ، بأن تقرير السكرتير العام يضـع الأسس لنتيجة سـلمية فى شرم الـشيخ وقطاع غزة ، وأن الخطـوة الأولى تظل ضرورة الانسحاب إلى ماوراء خطوط الهدنة ، ثـــم اضاف الرئيس أيزنهاور فى لهجة تحذير " إنه يرجو أن تـستمر علاقات الصداقـة والتعاون بين البلـدين ، والتى ساهمت فى تـنمية إسرائيل " .[٥٦] وكانت لهجة الـتحـذير تفيد أنه مـا لم تغير إسرائيل من موقـفها ، فقد تتوقف الولايات المتحدة عن معونتها لها ٠

وفى ٥ فبرايـر ، أدلى المستر دالاس فى مؤتمره الـصحفى بحديث قـال فيه : " إنه إذا اتخذت الأمم المتحدة قراراً بتـوقيع عقوبات على إسرائيل ، فإن الولايات المـتحدة ستولى هذا الأمر عناية كبيرة " [٥٧] .

وعـندما قابل الـدكتور محمـود فوزى المستر كـيرن يوم ٦ فبراير ، ذكر لـه أن موقف الحكومة الأمريكـية ازاء مسألة انسحاب إسرائيـل يحتاج إلى التدعيم ، ومما يـساعد واشنطن على تأييد قرار فرض العقوبات الاقتصاديـة على إسرائيل ، أن تدلى دول صديقة كلبنان أو إيران أو اليابان ببيانات تطلب فيها قراراً بتلك العقوبات ٠

واوضح الدكتور فوزى إن أى تـأخير فى هذا الشأن بالغ الضرر ، فرد المستر كيرن أنه وعدد من أصدقائه ، يواصلون العمل كى تسير الأمور كما يجب ، وأنه سيقابل كثيرين ومنهم السناتور نولاند ، الذى كان قد ادلى بتصريح ، يقاوم فيه اتجاه فرض العقوبات على إسرائيل مما زاد من البلبلة ، التى سببها التصريح الذى أدلى به دالاس بالأمس ، والتى لم ينجح فى تخفيف وقعها تصريح الرئيس أيزنهاور اليوم (٦ فبراير) . ولو ان داج همرشولد يرى فى تصريح دالاس وأيزنهاور ما يبعث الأمل فى حسم مسألة انسحاب إسرائيل بطريقة مرضية [٥٨] .

وفى ٨ فبراير ، ردَّ بن جوريون على الرئيس أيزنهاور ؛ مؤكداً موقف إسرائيل وحاجتها إلى الضمانات والسلام ، بما أوقع الحكومة الأمريكية فى حرج شديد ، بعد أن بدأ الضغط الصهيونى يصل إلى ذروته ، ومعنى هذا ان الكونجرس لن يوافق على سياسة الرئيس أيزنهاور الجديدة فى الشرق الأوسط ، وبالتالى .. فإن المخطط الأمريكى لملء الفراغ والهيمنة على هذه المنطقة ، وإيجاد زعامات منافسة للرئيس عبد الناصر ، مثل الملك سعود ، سوف تتعرض للفشل الذريع[٥٩] .

ولذلك اجتمع دالاس بأبى إيبان يوم ١١ فبراير ، وسلمه مفكرة حول موقف الولايات المتحدة من قطاع غزة ومنطقة شرم الشيخ ، حيث أشار إلى أن غزة مصدر للتسلل العسكرى لإسرائيل ، وأن الولايات المتحدة تعتقد ان خليج العقبة مياه دولية ، وأنه ليس من حق أية دولة أن تمنع الملاحة الحرة البريئة فيها . وذكرت المفكرة أنه ما لم تتخذ محكمة العدل الدولية قراراً مخالفًا ، فإن الولايات المتحدة على استعداد لدعم حق المرور البرىء بالاشتراك مع آخرين ؛ لضمان الاعتراف العام بهذا الحق [٦٠] .

ثم توقعت الولايات المتحدة بعد ذلك أن تعلن إسرائيل انسحابها ، وتغير من الموقف المتشدد الذى أبلغت به همرشولد يوم ٤ فبراير ، ثم أبلغه همرشولد إلى الجمعية العمومية فى تقريره بتاريخ ١١ فبراير . ولكن الحملة الصهيونية ضد الرئيس أيزنهاور اتخذت أبعاداً جديدة ؛ فقد هاجم السناتور وليم نولاند زعيم الأغلبية فى الكونجرس موقف الرئيس أيزنهاور ، وأعلن ان الكونجرس لن يوافق على فرض عقوبات على إسرائيل .

ثم بعث ليندون جونسون - زعيم الديمقراطيين فى الكونجرس - برسالة إلى فوستر دالاس هاجم فيها موقف الولايات المتحدة تجاه إسرائيل ، وطالب بعدم توقيع عقوبات

عليها . وحاول دالاس أن يخفف من حدة الهجوم على سياسة الولايات المتحدة تجاه إسرائيل ، فاقترح على الرئيس ايزنهاور دعوة ثمانية من كبار الشخصيات اليهودية الأمريكية للتباحث معهم ، وإقناعهم بأنه لا يعمل على الإضرار بإسرائيل .

ثم حاول دالاس مرة ثانية ان يحصل من زعماء الكونجرس على بيان بالموافقة على سياسته ، ولكن السناتور ويليام فولبرايت رفض ، وأعلن أنه لا يوافق ما لم تحصل إسرائيل على حقوقها بعد ان تنسحب . وكانت أنباء هذا الضغط تصل تباعا إلى نيويورك ، وأصبح الموقف الأمريكى محلاً لأكثر من تساؤل ، وما الذى تريده إسرائيل بعد المفكرة الأمريكية فى ١١ فبراير ، والتى اعلنها أيزنهاور فى ١٧ فبراير[٦١] . ولذلك سافر أبا إيبان إلى تل أبيب ؛ للتشاور قبل العودة إلى نيويورك .

وفى يوم ٢٠ فبراير ، وجه أيزنهاور - بإيحاء من دالاس - خطاباً إلى بن جوريون يقول فيه : " إننى أعلق أهمية قصوى على قرار الأمم المتحدة " الخاص بانتهاء الأعمال العدائيه فى مصر ، وقد أسعدنى خطابك فى ٧ نوفمبر الذى قلت إنكم ستنسحبون إلى خط الهدنة ؛ طبقاً لقرار الأمم المتحدة فى ٢ نوفمبر ، والآن - وقد مرت ثلاثة أشهر - وذهب البريطانيون والفرنسيون فإن إسرائيل لم تذهب بعد ، وهذا التأخير فى تنفيذ قرار الأمم المتحدة قد أدى إلى استمرار التوتر فى الشرق الأدنى ، وأثَّر على جهود الوصول إلى سوية مع حلول دائمة للسلام .

ثم أوضح أيزنهاور فى خطابه أن الخطوة الجوهرية الأولى ، هى أن تنسحب إسرائيل خلف خط الحدود ، وأن يتم ذلك بلا تأخير ، ثم أردف أيزنهاور قائلاً : « لقد حاولت الأمم المتحدة القيام بعمل بناء ، ونأمل أن تفعلوا نفس الشئ . لقد بذلنا كثيراً لتسوية الأمور بعدل ، وآمل أن تسهموا أنتم أيضاً فى ذلك » .

وفى ٢١ فبراير ، أرسل الرئيس عبد الناصر برقية عاجلة للدكتور محمود فوزى ، يخطره فيها أنه لا يمكن أن تتعهد الحكومة المصرية بمناقشة موضوع قطاع غزة ، قبل الانسحاب الإسرائيلى الكامل ، وإلا اعتبر هذا رضوخاً لاشتراطات إسرائيل . كما لا يمكن التباحث فى أى موضوع فرعى ، مالم تنفذ إسرائيل قرارات الأمم المتحدة بالكامل . ولن تقبل مصر الآن أو فى المستقبل أى إدارة غير مصرية لقطاع غزة . وطلب الرئيس عبدالناصر أن يبذل الدكتور فوزى جهوده من أجل الا يتضمن تقرير السكرتير العام أى شيء عن هذا الموضوع ، كما لا يمكن التعرض لمسألة القناة قبل انسحاب إسرائيل .

وعلى الفور رد الدكتور فوزى على برقية الرئيس ببرقية عاجلة ، يخطره فيها بأنه لو نجحت اتصالات واشنطن وتل أبيب فى انسحاب إسرائيل فمعظم المسائل المتبقية ستكون صعبًا ودقيقًا ؛ فقد يزداد الضغط على مصر فى مسألة المرور فى خليج العقبة وقناة السويس وقطاع غزة ، وتشير الاتجاهات الحالية إلى الاحتمالات التالية :

١ - محاولة استصدار قرار من الجمعية ؛ لتوسيع أعمال قوة طوارئ الأمم المتحدة ، وبالذات فيما يتعلق بخليج العقبة وقطاع غزة ·

٢ - محاولة فصل قطاع غزة عن الإدارة المصرية ·

٣ - اختبار مرور سفن بخليج العقبة تابعة لدول كثيرة ؛ بقصد إضفاء الصفة الدولية على مياه الخليج ·

٤ - محاولة مرور سفن وبضائع لإسرائيل فى قناة السويس · ولا بد من متابعة العمل على هزيمة هذه المحاولات ، وفرصتنا متفاوتة تبعاً لتنوع المسائل ، فمركزنا قوى فيما يتعلق بأعمال قوة طوارئ الأمم المتحدة ، وأقل من هذا فى مسألة قطاع غزة ، ثم فى البندين ٣ ، ٤ ·

ومن الخطوات التى يقتضيها سير هذه المعارك أن تعمل مصر على التحفظ اللازم فى الوقت المناسب ؛ للإبقاء على حقها فى اعتبار خليج العقبه مياهاً إقليمية ، وأن تفكر فى جعل استشارة محكمة العدل الدولية خطاً ثانياً للدفاع ؛ فتوعز - إن لزم الأمر - إلى إحدى الدول الصديقة بتوجيه الأمم المتحدة إليه فيما يتصل بمرور سفن وبضائع لإسرائيل ، بالخليج ، وربما بقناة السويس [٦٣] .

وفى ٢٢ فبراير ، أرسل الدكتور فوزى برقية للرئيس عبد الناصر ، يخطره أن همرشولد أخبره اليوم أنه سيحاول - فى بيانه بالجمعية العمومية - إفساد ما يدبره ليستر بيرسون ومن معه خصوصاً فى شأن قطاع غزة ·كما أن لودج أخبره أنه لا ينتظر أن يحضر أبا إيبان بجديد ، يغير من الطابع الأساسى للموقف ، وأنه من الخير ألا تتقدم الولايات المتحدة بخطوتها الأولى فيما يتعلق بانسحاب إسرائيل ، قبل عودة إيبان [٦٤] .

وعندما استانفت الجمعية العمومية بحث الموقف فى يوم ٢٢ فبراير ١٩٥٧ ، أوضح المستر همرشولد أنه لا ينوى اتخاذ أية إجراءات بالنسبة لقطاع غزة ، تخالف إطار السيطرة

المصرية على القطاع ؛ طبقاً لاتفاقية الهدنة ، وبذلك استبعد همرشولد فكرة الإدارة الدولية ، وأكد خضوع القطاع للإدارة المصرية .

وكان الموقف على ضوء المعلومات التى وردت من نيويورك ، والضغط الذى لمسه الوفد المصرى على أعضاء الوفد الامريكى من اللوبى الصهيونى ، يتطلب سرعة دفع الأمور وتحريكها ، مع التشدد فى المطالبه بتوقيع العقوبات الاقتصادية على إسرائيل (٦٥) .

وفعلاً . . تم تقديم مشروع فى ٢٢ فبراير ، بفرض عقوبات اقتصادية وعسكرية على إسرائيل إزاء عدم تنفيذها الانسحاب . ولكن ليستر بيرسون عارض ذلك بكل قوة ، ودافع عن أمن وسلامة إسرائيل ، وهاجم العرب ، واتهمهم بالعدوان وقدم مشروع قرار مضاداً ، يضمن لإسرائيل مطالبها ، وبهذا كشف وجهه الحقيقى ، كما ظهر من الجو العام أن قرار توقيع العقوبات لن يحظى بتأييد الولايات المتحدة ، كما أنه لن يحصل على الأغلبية اللازمة ولذلك لم يعد هناك ما يدعو إلى الإصرار على التصويت عليه (٦٦) .

وفى ٢٤ فبراير ١٩٥٧ ، أخطر الدكتور محمود فوزى الرئيس جمال عبد الناصر ، بأن بيان همر شولد فى الجمعية العمومية مساء ٢٣ فبراير دعم مركز مصر وأحرج خصومها ، وإن لم يثنيهم عن تآمرهم ، وعلى رأسهم إسرائيل وفرنسا وكندا .

وفى ٢٤ فبراير ، عاد أبا إيبان إلى واشنطن ؛ ليضع أمام دالاس خمسة أسئلة ، يطلب الإجابة عنها . . .

السؤال الأول : هل سترسل الولايات المتحدة سفينة إلى خليج العقبة ؟ وهل ستتخذ إجراء إذا ما أوقفت ؟ وردّ دالاس بنعم .

السؤال الثانى : هل تؤيد الفكرة بأن تبقى قوات الأمم المتحدة فى شرم الشيخ لمدة طويلة ؟ وردّ دالاس بنعم .

السؤال الثالث : هل سترسل سفينة تحمل علم الأمم المتحدة فى الخليج : وردّ دالاس إن هذا يتوقف على رأى همر شولد .

السؤال الرابع : هل ستفتح لنا طريقاً لنقل النفط من إيران عن طريق البحر الأحمر وخليج العقبة ؟ وردّ دالاس بنعم .

السؤال الخامس : هل سيصبح قطاع غزة تحت إدارة الأمم المتحدة ؟ وردَّ دالاس سنبذل أقصى جهدنا ؛ لكى نقنع الأمم المتحدة وهومر شولد بهذا الإجراء (٦٧) .

ثم سافر أبا إيبان إلى نيويورك ليستفسر من همر شولد عن السؤالين الثالث والخامس . واستهجن همر شولد هذا الأسلوب ، رافضاً اقتراح إرسال سفينة تحمل علم الأمم المتحدة ، أو التسليم بأن يكون قطاع غزة تحت إدارة الأمم المتحدة . ويبدو أن «أبا إيبان» عاد إلى واشنطن بعد ذلك ، ونقل ردًا من همر شولد محرفاً ، كما أنه خلال حديثه مع همر شولد نقل إليه إجابات دالاس محرفه ، ولكن عندما تم الاتصال بين الرجلين ، تبين كل منهما أنَّ أبا إيبان حاول الوقيعة بينهما (٦٨) .

المرحلة الأخيرة للانسحاب :

لقد كانت هذه المرحلة امتحاناً عسيراً للأمم المتحدة وهيبتها . ولقد أوضح الدكتور محمود فوزى وزير خارجية مصر ، هذه الحقيقة المرة فى خطابه أمام الجمعية العمومية يوم ٢٨ فبراير ١٩٥٧ ، حينما ذكر أن إسرائيل قد أذلت الأمم المتحدة ، وجعلت منها أكبر أضحوكة فى زماننا .

موقف إسرائيل :

سلكت إسرائيل كعادتها طريق التلكؤ والتحدى والتسويف معولة على دعاية الصهيونية العالمية ، تساندها فى ذلك فرنسا داخل و خارج الأمم المتحدة ، والتى شجعتها على المضى فى غيِّها فأعلنت إسرائيل الآتى :

(١) أنها لا تقبل عودة الإدارة المصرية لقطاع غزة ، سواء كانت مدنية أو عسكرية .

(٢) أن اتفاقية الهدنة – وقد نقضتها مصر فى مناسبات عديدة – لم يعد لها محل ، وبالتالى لا يمكن الاستناد إليها لعودة مصر إلى قطاع غزة.

(٣) وجوب الحصول على ضمانات كافية ، تكفل لها حرية المرور فى خليج العقبة ، وأن تبقى قوات الطوارئ الدولية فى المنطقة ؛ لتمنع استعمال حقوق المحاربين حتى يمكن الوصول إلى تسوية نهائية للمسألة .

واخيراً جاء القرار الذى قال عنه الرئيس أيزنهاور أنه لم يكن بالقرار السهل !! ففى

أول مارس سنة ١٩٥٧ ، أعلنت وزيرة خارجية إسرائيل فى الجمعية العمومية ، أن إسرائيل على استعداد للانسحاب من قطاع غزة ومنطقة شرم الشيخ ، وهى على ثقة انه ستكون هناك حرية الملاحة لإسرائيل ولكافة الدول فى مياه الخليج . وذكرت أنه من المفهوم ان قوات طوارئ الأمم المتحدة ستمنع استخدام حقوق المحاربين ، ثم ذكرت « إن التدخل فى حرية ملاحة السفن الإسرائيلية سيعتبر بمثابة هجوم يخولها حقها فى الدفاع عن نفسها ؛ طبقاً للمادة ٥١ من الميثاق[٦٩] ».

وقد ربطت إسرائيل قرار انسحابها بما أسمته الولايات المتحدة آمالاً وأمانى ، وليست شروطاً ، وهى تتلخص فيما يلى :[٧٠]

ا - بالنسبة لخليج العقبة :

(١) إن مياه خليج العقبة مياه دولية ، وإن مايهم إسرائيل هو ضمان حرية الملاحة فيها بعد انسحابها[٧١] .

(٢) إن إسرائيل مصممة باسم السفن الإسرائيلية المسجلة فى إسرائيل على ممارسة حق المرور البرئ فى خليج العقبة وسوف تحمى السفن التى تحمل أعلامها ، وإن أى تدخل مسلح ضد السفن الإسرائيلية - وهى تمارس حق المرور البرئ فى خليج العقبة - سوف تعتبره إسرائيل بمثابة اعتداء عليها ، يخول لها حق استعمال القوة دفاعاً عن نفسها ؛ طبقاً لأحكام ميثاق الأمم المتحدة[٧٢] .

ب - بالنسبة لقطاع غزة .

بنت إسرائيل انسحابها على الافتراضات الآتية[٧٣] :

(١) إن قوات طوارئ الأمم المتحدة هى وحدها ، التى سوف تحل محل الإدارة المدنية والعسكرية الإسرائيلية .

(٢) إن الأمم المتحدة سوف تكون الجهة ، التى يكون من وظيفتها القيام بالمهام ، التى حددها السكرتير العام فى تقريره الشفهى يوم ٢٢ فبراير ١٩٥٧

(٣) إن مسئوليات الأمم المتحدة فى إدارة قطاع غزة سوف تبقى أثناء فترة الانتقال ، إلى أن يمكن الوصول إلى تسوية سلمية أو إلى اتفاق نهائى بشأن القطاع .

(٤) أعلنت وزيرة خارجية إسرائيل يوم ٤ مارس فى الجمعية العامة ، أنه قد تم الاتفاق بين قائد قوات طوارئ الأمم المتحدة ، وبين القائد الإسرائيلى على الترتيبات الفنية للانسحاب(٧٤) .

(٥) كما دخلت قوات الطوارىء الدولية منطقة شرم الشيخ فى ٨ مارس سنة ١٩٥٧ ، وبقى فى شرم الشيخ بعض الفنيين الإسرائيليين ؛ لشحن بعض المعدات التى تم سحبها نهائياً مساء ١٢ مارس سنة ١٩٥٧ .

(٦) وبعد تسلم الإدارة المصرية لقطاع غزة ، قامت إسرائيل بدعاية واسعة النطاق ، ترمى إلى تصوير التطورات الاخيرة بأنها خطيرة للغاية ، وطارت جولدا مائير وزيرة خارجية إسرائيل للاجتماع بجون فوستر دالاس ، وأعلن بن جوريون فى الكنيست الإسرائيلى أن إسرائيل سوف تحتفظ لنفسها بحرية التصرف ، وأن ماحدث مرة يمكن أن يحدث مرة أخرى .

موقف الولايات المتحدة الامريكية .

لعبت الولايات المتحدة الأمريكية دوراً مهمًا داخل الأمم المتحدة وخارجها . وقد أعلن المسئولون الأمريكيون فى مناسبات عديدة أن موقف حكومتهم ، يمكن تحديده على ضوء ما ورد فى خطاب مندوب الولايات المتحدة بالجمعية العمومية بتاريخ ٢ فبراير ١٩٥٧ ، ومفكرة الحكومة الأمريكية إلى إسرائيل بتاريخ ١١ فبراير ١٩٥٧ ، وخطاب الرئيس أيزنهاور إلى بن جوريون بتاريخ ٢٠ فبراير ١٩٥٧ ، وخطاب مندوب الولايات المتحدة أمام الجمعية العمومية بتاريخ ١ مارس ١٩٥٧ .

ومن المناسب أن نتبين موقف الولايات المتحدة ، أولاً من قطاع غزة ، ثم من الملاحة فى خليج العقبة ومضيق تيران(٧٥) .

أ - قطاع غزة :

١ - ذكر كابوت لودج المندوب الأمريكى فى الأمم المتحدة فى خطابه أمام الجمعية العمومية ، بتاريخ ٢ فبراير ٥٧ أن حكومته ترى بعد انسحاب إسرائيل أن توزع قوات طوارىء الأمم المتحدة على جانبى خطوط الهدنة ؛ خاصة فى قطاع غزة ومنطقة العوجه ، وتبقى فى المنطقة كحائل يمنع استعمال حقوق المحاربين ، بما يخالف اتفاقية

الهدنة ، وهذا يسمح لها بالتعاون بطريقة فعالة فى مهام الرقابة على الهدنة ، التى تقوم بها هيئة الرقابة على الهدنة .

٢ - وجاء فى مفكرة الحكومة الأمريكية إلـى إسرائيل بتاريخ ١١ فبراير ٥٧ ، أن اتفاقية الهدنة تعطى مصر حق الاحتلال ومسئولياته ، وبالتالى فعلى إسرائيل أن تنسحب دون شـرط أو إبـطاء ، تاركة البت فى مـستقبل قطاع غـزة لجهود الأمم المتحدة ومسـاعيها الحميدة .

٣ - وذكر أيزنهاور فى خطابه الذى ألقاه يوم ٢٠ فبراير ١٩٥٧ ، أنه يجد نفسه غير أهل للمركز السـامى الذى يحتله ، إذا ما سمـح للولايات المتحدة أن توافق عـلى أن يسمح لدولة تـغزو دولة أخرى من أن تـفرض شروطاً للانـسحاب ، وأن الولايات المـتحدة لايسعـها إلا أن تضغـط على إسرائـيل ؛ حتى تمـتثل لقـرارات الأمم المتحدة كـما أن الولايات المتـحدة سوف تعمل على إشـراك الأمم المتحدة نوعاً ما فـى إداره قطاع غزة ، بموافـقة الحكومـة المصريـة ، وتنظيـم قوات طوارىء الأمم المـتحدة بـشكل لا يســمح باستعماله كقاعدة للتسلل المسلح وأعمال الانتقام .

٤ - وفى خطـاب كابوت لودج المندوب الأمـريكى أمام الجمعـية العموميـة يوم الأول من مـارس سنة ٥٧ ، أعـلن أن الولايات المتحـدة ترى أن مستقبـل قطاع غزة من النـاحية القانونية يجب أن يقرر فى نطاق اتفاقية الهدنة .

٥ - ويتضح من الظروف التى أحاطت بانسحاب القوات الإسرائيلية ما يلى :

أ - أنه كان للضغط الأمريكى على إسرائيل أكبر الأثر فى سحب قواتها ، ومع ذلك فإنها لـم تسحب هذه القـوات إلا بناء على ما تـبين لها من أن الولايـات المتحدة ستأخذ على عاتقها تحقيق ما تصبو إليه .

ب - أن الولايات المتحـدة ستحاول كفالة الضمانـات التى تدعيها إسرائيـل ، ولكنها إبقاءً على مظاهـر العدالة ، ومحافظة علـى سمعتها الدولية ، رفضت التسليم لها بما طلبت قبل اتمام الانسحاب

جـ - أن السياسـة الأمريكية تهدف إلى إعـطاء صفة الدوام للقوات الـدولية ، ووضع هذه القوات عـلى جانبى خطـوط الهدنه مع توسـيع اختصاصات هـذه القوات ؛ لتصبح فى النهاية القوة التنفيذيه لهيئة الرقابة على الهدنة .

ب - منطقة شرم الشيخ وخليج العقبة :

١ - أوضح مندوب الولايات المتحدة الأمريكية فى خطابه ، أمام الجمعية العمومية ، يوم ٢ فبراير سنة ١٩٥٧ ، أن الحكومة الأمريكية تفضل أن تبقى قوات طوارىء الأمم المتحدة فى منطقة خليج العقبة ؛ لتفصل بين القوات المصرية والإسرائيلية ، إلى أن يبدو جلياً أن عدم استعمال حقوق المحاربين من شأنه أن يوجد الأحوال السلمية فى هذه المياه ، ذات الأهمية الدولية ، دون أن يخل ذلك بأى قرار ، يمكن أن يتخذ بشأن الوضع القانونى لخليج العقبة .

٢ - وقد جاء فى مفكرة الحكومة الأمريكية إلى إسرائيل بتاريخ ١١ فبراير سنة ١٩٥٧ ، أنه مالم يصدر قرار مخالف من محكمة العدل الدولية ، فإن الولايات المتحدة على استعداد باسم السفن المسجلة فى الولايات المتحدة أن تباشر حق المرور البرىء فى خليج العقبة ، وأن تشترك مع غيرها من الدول لضمان الاعتراف بهذا الحق .

٣ - وذكر الرئيس أيزنهاور فى خطابه الذى ألقاه يوم ٢٠ فبراير ١٩٥٧ ، أنه لا ينبغى أن نفترض بعد انسحاب إسرائيل - أن تقوم مصر بمنع سفن إسرائيل من المرور فى قناة السويس أو خليج العقبة ، فإذا حدث أن أخلت مصر باتفاقية الهدنة أو سائر التزاماتها الدولية ، فإن ذلك يجب معالجته بحزم بواسطة جامعة الدول .

٤ - وفى خطاب المندوب الأمريكى أمام الجمعية العمومية ، يوم الأول من مارس ١٩٥٧ ، أشار إلى مذكرة الحكومة المصرية إلى الحكومة الأمريكية المؤرخة فى ٢٨ يناير ١٩٥٠ ، والتى جاء فيها أن احتلال مصر لجزيرتى تيران وصنافير ، يهدف فقط إلى حماية هاتين الجزيرتين ، وأن هذا الاحتلال لا يهدف بأية حال إلى منع المرور البرىء ، خلال المياه التى تفصل الجزيرتين عن الساحل المصرى .

٥ - ومن هذا يبدو جلياً أن الحكومة الأمريكية تقر مبدأ حرية الملاحة للسفن الإسرائيلية فى خليج العقبة ، وأنها قد تعمل - بالتعاون مع بعض الدول البحرية - على ضمان حريه الملاحة بتقرير هذا المبدأ من الناحية العملية ، وذلك بتمرير سفنها وسفن هذه الدول فى هذه المياه ، فى حدود ما يصطلح على تعريفه بالمرور البرىء .

٦ - وبعد انسحاب إسرائيل تردد أن الولايات المتحدة قد أعطت إسرائيل ضمانات ، وأنها اتفقت معها سراً على أن تقبض إسرائيل ثمناً لاعتدائها ، وهذا ما ألمح إليه الدكتور

محمود فوزى فى خطـابه أمام الجمعية العـمومية يوم ٢٨ فبراير ١٩٥٧ ، أنه لم يكن هناك أى أتفاق سرى أو تفاهم بين الولايات المتحدة وإسرائيل .

موقف مصر :

لقـد تذرعت مـصر خلال تـلك الفـترة الحاسمـة بالصـبر والحكـمة ، أمام مـؤامرات الصهيـونية فضربت مثالاً عـملياً للتعاون الـدولى . وقد أشاد المندوب الأمريكـى بذلك فى خطابة يوم الأول من مارس ١٩٥٧ ، فنوّه بأن مصر قبلـت على مضض تأجيل عقد الجمعية العموميـة المرة تلو الأخرى ، خشية أن يقال أنـها لم تتح مجالاً كافياً لـلجهود خارج الأمم المتحدة .

وقد أصرت مصر على موقفها ، الذى يمكن إجـماله فى وجوب الانسحاب الكامل غير المشروط ، وعدم حصول إسـرائيل على أى ثمرة لاعتدائها ، وعدم رضـاء مصر بغير الإدارة المصريه لقـطاع غزة ، مع تمسكها باتـفاقية الهدنة مع إسـرائيل بما يستتبع ذلـك من استمرار حالة الحرب بينهما ؛ مما يخول لها استعمال حق المحارب فى خليج العقبة ومضايق تيران ، ومنع السفن الإسرائيلية من المرور فى خليج السويس ، كل هذا مضافاً إليه عدم أعتراف مصر بأية مساومة ، تكون قد حصلت منها إسرائيل على ثمن لانسحابها .

وفى ٨ مارس ، أعلن داج همر شولد السكرتير العام للأمم المتحدة ، أن إسرائيل أتمت انسحابها من غـزة وشرم الشيخ ، وفى ١٣ مارس سنة ١٩٥٧ تسلمـت الإدارة المصرية قطاع غزة ، وتمركزت قوات طوارىء الأمم المتحدة فى شرم الشيخ .

وخلاصة القول أن إسرائيل لم تنسحب بسهولة ، إذ وقع عليها ضغط شديد من جانب الرأى العام العالمـى ، الذى أستنكر عدوانها منـذ البداية ، وتغيرت نظرته إلـيها ، وخاصة الدول الحديثة الاستقلال ، والتى تبينت فى ذلك الوقت التحالف بين إسرائيل والاستعمار ، وأفاقت على الحقيقة الاستعمارية لهذه الدولة .

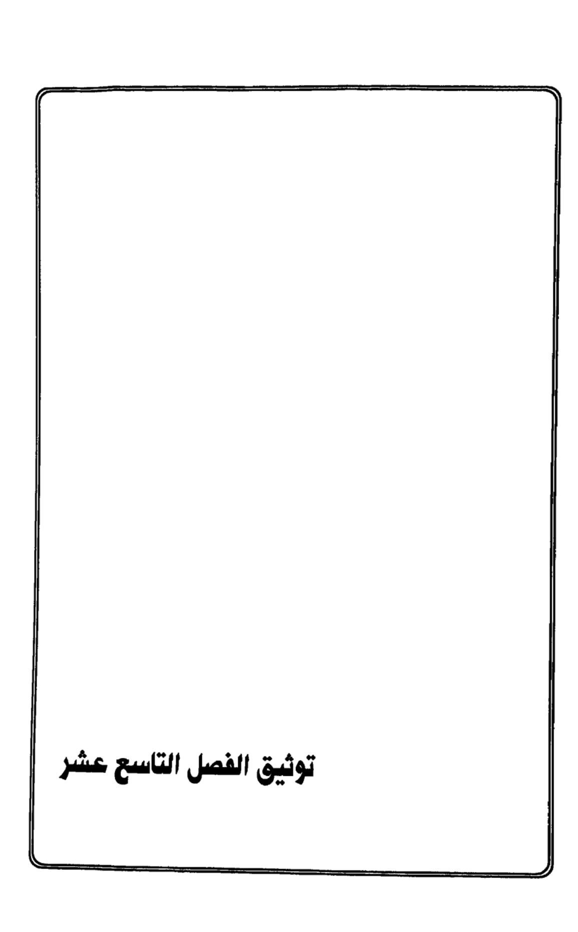
ثم واجهت إسرائيل السـكرتير العام للأمم المتحدة بكل قوته ومهـارته السياسية ، ولم يكن المستر همرشـولد - وهو يتابع الأحداث - راضياً عن مسلك إسرائـيل ، ووراءه موقفها العدوانى ، وتآمرها مع اثنتين من الدول الكبرى .

ويملك السكرتير العام قوة سياسية كبـيرة قادرة على تحريك الأحداث ، وتوجيه الجمعية

العمومية . خاصة عندما تسانده الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى . وقد استخدم همر شولد قوة الإجماع الدولى ضد المعتدين كسوط ، يلهب ظهورهم للإسراع فى الانسحاب ، وظل يستخدم هذا السوط حتى تم الانسحاب فعلاً .

ثم كانت دبلوماسية الدكتور محمود فوزى ، الذى عمل على أن يضع إسرائيل فى مكانها الصحيح ، أمام الجمعية العمومية للأمم المتحدة كدولة معتدية متآمرة ، وأن العدوان وإن لم يكن جديداً عليها ، إلا أنه دليل لا يحتمل الجدل على حقيقتها العدوانية . . ولقد استفاد الدكتور فوزى من كل الظروف الدولية التى أحاطت بالعدوان ، ولم ينقطع عن مواصلة الإلحاح من أجل دفع عجلة الضغط الأمريكى ، والجمعية العمومية ، والسكرتير العام حتى انسحبت إسرائيل فى النهاية وهى راضخة صاغرة .

والواقع أن الدبلوماسية والسياسة المصرية حققت نصراً كبيراً فى العدوان الثلاثى عليها ، بينما لم يكن الإنجاز العسكرى على نفس المستوى ، بل شابة الكثير من الأخطاء والهنات التى يأتى على رأسها أسلوب انسحاب القوات المصرية من سيناء وقطاع غزة ، الذى وضع الجرثومة الخبيثة للمرض الفتاك الذى أصابها فى انسحاب صيف ١٩٦٧ .



توثيق الفصل التاسع عشر

(١) وثائق الخارجية المصرية ، برقية الوزارة الرمزية ، رقم ١٧٢٧ ، بتاريخ ١٩٥٦/١١/٢٠ .

(٢) وثائق الخارجية المصرية ، برقية نيويورك الرقمية ٢٢/٢٩ ، بتاريخ ١٩٥٦/١١/٢١ .

(٣) وثائق الخارجية المصرية ، برقية نيويورك ، رقم ٣١/٦٣ ، بتاريخ ١٩٥٦/١١/٢١ .

(٤) وثائق الخارجية المصرية ، برقية نيويورك ، رقم ٣٧/٤١ ، بتاريخ ١٩٥٦/١١/٢٣ .

(٥) المصدر السابق نفسه .

(٦) وثائق الخارجية المصرية ، برقية نيويورك ، رقم ٤٢/٦ ، بتاريخ ١٩٥٦/١١/٢٣ .

(٧) المصدر السابق نفسه .

(٨) وثائق الخارجية المصرية ، برقية نيويورك المفتوحة ، رقم ٣٧٦ ، بتاريخ ١٩٥٦/١١/٢٣ .

(٩) أزو ، هنرى : فخ السويس ، ص ٤٥٣ .

(١٠) وثائق الخارجية المصرية ، برقية من الدكتور محمود فوزى إلى الرئيس عبد الناصر ، مرسلة إلى مكتب نيويورك ، برقم ٤٧/ ٥٠ ، بتاريخ ١٩٥٦/١١/٢٤ .

(١١) وثائق الخارجية المصرية ، برقية من الدكتور محمود فوزى إلى الرئيس عبد الناصر ، مرسلة من نيويورك ، برقم ٥٢/٦٨ ، بتاريخ ١٩٥٦/١١/٢٦ .

(١٢) المصدر نفسه .

(١٣) المصدر نفسه .

(١٤) أزو ، هنرى : فخ السويس ، ص ٤٥٠ .

(١٥) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها . سوف يتم تناول العمليات العسكرية بصورة شاملة فى الجزء المخصص لذلك .

(١٦) المصدر نفسه ، ص ٤٥٠-٤٥١ ، انظر كذلك :
Robertson, Terence : Crisis, p. 167.

(١٧) أزو ، هنرى : فخ السويس ، ص ٤٥١/٤٥٢ . انظر كذلك :
Chieers, Erskine : Road to Suez, pp. 188–189.

(١٨) أزو ، هنرى : فخ السويس ، ص ٤٥٤ .

(١٩) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(٢٠) المصدر نفسه ، ص ٤٥٦-٤٥٧ ، انظر كذلك :
Finer, Herman : Bulles Over Suez, pp. 155–157.

(٢١) وثائق الخارجية المصرية ، برقية من الدكتور محمود فوزى إلى الرئيس عبد الناصر ، بتاريخ ١٩٥٦/١١/٢٦ ، مرسلة من مكتب نيويورك . . . وقد ذكر محمود فوزى فى هذه البرقية أنه سيبعث بنص هذه الأوراق فى برقية منفصلة ، وذلك لطول هذه الدراسات التى أجرتها سكرتارية الأمم المتحدة .

(٢٢) وثائق الخارجية المصرية ، برقية مكتب نيويورك ، رقم ٦٨/٥٢ ، بتاريخ ١٩٥٦/١١/٢٦ .

(٢٣) وثائق الخارجية المصرية، برقية نيويورك الرمزية، رقم ٧٥ ، بتاريخ ١٩٥٦/١١/٢٧ .

(٢٤) وثائق الخارجية المصرية ، برقية نيويورك الرمزية رقم ٩٢/٩٣/١٠٠ ، بتاريخ ١٩٥٦/١١/٢٨ ، مقابلة همرشولد للمستر سلوين لويد صباح ٢٨ نوفمبر ١٩٥٦ .

(٢٥) وثائق الخارجية المصرية ، المصدر السابق نفسه ، اجتماع الدكتور محمود فوزى للمستر همرشولد صباح ٢٨ نوفمبر ١٩٥٦ .

(٢٦) وثائق الخارجية المصرية ، المصدر السابق نفسه .

(٢٧) وثائق الخارجية المصرية ، المصدر السابق نفسه .

(٢٨) وثائق الخارجية المصرية ، المصدر السابق نفسه .

(٢٩) وثائق الخارجية المصرية ، برقية الوزارة إلى نيويورك برقم ٨٢/٨٤ ، ٨٧ ، بتاريخ ١٩٥٦/١١/٢٩ .

(٣٠) وثائق الخارجية المصرية ، برقية نيويورك إلى السيد جمال عبد الناصر ، برقم ٩/٣٥٢ ، فى تاريخ ١٩٥٦/١١/٢٩ .

(٣١) وثائق الخارجية المصرية ، مقابلة الدكتور محمود فوزى للمستر داج همرشولد بمقر إقامته بنيويورك ، يوم ١٩٥٦/١٢/٣ .

(٣٢) أزو ، هنرى : فخ السويس ، ص ٤٥٨ .

(٣٣) صلاح بسيونى : مصر وأزمة السويس ، ص ٣٥٠ .

(٣٤) المصدر السابق نفسه ، ص ٣٠٥-٣٠٦ .

(٣٥) المصدر السابق نفسه ، ص ٣٠٦-٣٠٧ .

(٣٦) Mahmoud Fawzi : The Suez War 1956, pp. 145–146.

(٣٧) Eisenhower, Dwight : Waging Peace, pp. 86–88.

(٣٨) Finer, Herman : Bulles Over Suez, pp. 122–123.

(٣٩) وثائق الخارجية المصرية ، إدارة الأبحاث ، نشرة خاصة عن العدوان الثلاثى ، الجزء الأول ، ص ٢١ . انظر كذلك برقية نيويورك الرمزية ، رقم ٢٩/٢٢ ، بتاريخ ١٩٥٦/١١/٢١ .

(٤٠) وثائق الخارجية المصرية ، إدارة الأبحاث ، نشرة خاصة عن العدوان الثلاثى ، ص ٢٢ .

(٤١) United Nations : Official Record of The General Assembly Emergency and Ordinary Meeting. See Also : Year Book of the United Nations, 1956.

(٤٢) وثائق الخارجية المصرية، إدارة الأبحاث، نشرة خاصة عن العدوان الثلاثى، ص ٢٢.

(٤٣) وثائق الخارجية المصرية ، برقية من الرئيس جمال عبد الناصر إلى الدكتور محمود فوزى بنيويورك ، برقم ١٥/١٣ بتاريخ ١٩٥٦/١٢/٧ . انظر كذلك : مقابلة بين الدكتور محمود فوزى وداج همرشولد ، بتاريخ ١٩٥٦/١٢/٨ .

(٤٤) وثائق الخارجية المصرية ، برقية من الرئيس جمال عبد الناصر إلى الدكتور محمود فوزى ، الموجود فى نيويورك ، بتاريخ ١٦/١٢/١٩٥٦ .

(٤٥) المصدر نفسه .

(٤٦) المصدر نفسه .

(٤٧) وثائق الخارجية المصرية ، برقية من الرئيس جمال عبد الناصر إلى الدكتور محمود فوزى ، الموجود فى نيويورك بتاريخ ١٨/١٢/١٩٥٦ . تحتوى هذه الرسالة على معلومات صادرة من الجنرال بيرنز، أراد الرئيس عبد الناصر إبلاغ محمود فوزى بها .

(٤٨) وثائق الخارجية المصرية ، برقية نيويورك الرمزية ، رقم ٤٢/٣٥ ، بتاريخ ٢٢/١١/١٩٥٦ ، ومقابلة بين الدكتور محمود فوزى وداج همرشولد .

(٤٩) United Nations : Official Record of the General Assembly Emergency and Ordinary Meeting..

(٥٠) وثائق الخارجية المصرية ، كلمة الدكتور محمود فوزى ، أمام الجمعية العمومية ، يوم ١٧/١١/١٩٥٧ .

(٥١) Mahmoud Fawzi : The Suez War 1956, pp. 145–147.

(٥٢) وثائق الخارجية المصرية ، تقرير السكرتير العام إلى الجمعية العامة ، يوم ٢٤ يناير ١٩٥٧ ، وانظر كذلك خطاب الدكتور محمود فوزى ، أمام الجمعية العامة ، يوم ٢٨/٢/١٩٥٧ .

(٥٣) صلاح بسيونى : مصر وأزمة السويس ، ص ٣١٧ .

(٥٤) وثائق الخارجية المصرية ، مجموعة وثائق أزمة السويس ، مقابلة الدكتور محمود فوزى للمستر كابوت لودج المندوب الأمريكى فى الأمم المتحدة ، يوم ٢٨/١/١٩٥٧ ؛ حيث عرض عليه مسودتى المشروعين .

(٥٥) وثائق الخارجية المصرية ، إدارة الأبحاث ، نشرة خاصة عن العدوان الثلاثى ، ص ٢٢ .

(٥٦) صلاح بسيونى : مصر وأزمة السويس ، ص ٣١٨ . انظر كذلك : وثائق الخارجية المصرية ، مجموعة وثائق أزمة السويس ، مقابلات الدكتور محمود فوزى مع المستر داج همرشولد والمستر كابوت لودج ، يوم ٦/ ٢/ ١٩٥٧ .

(٥٧) Eisenhower, Dwight : Waging Peace, pp. 211–212.

(٥٨) صلاح بسيونى : مصر وأزمة السويس ، ص ٣١٩ .

(٥٩) وثائق الخارجية المصرية ، مجموعة وثائق أزمة السويس ، مقابلة الدكتور محمود فوزى للمستر كيرن ، يوم ٦/ ٢/ ١٩٥٧ .

(٦٠) وثائق الخارجية المصرية ، مجموعة وثائق أزمة السويس ، مقابلة الدكتور محمود فوزى للمستر كورديبه (أحد مساعدى همرشولد) مساء يوم ١٠ فبراير ١٩٥٧ ، برقية نيويورك الرمزية رقم ٨٨٠/ ٨٨٤ بتاريخ ١١/ ٢/ ١٩٥٧ . انظر كذلك : صلاح بسيونى : مصر وأزمة السويس ، ص ٣١٩ .

(٦١) وثائق الخارجية المصرية ، برقية نيويورك الرمزية ، رقم ٨٨٠/ ٨٨٤ ، بتاريخ ١١/ ٢/ ١٩٥٧ .

(٦٢) وثائق الخارجية المصرية ، رسالة من الدكتور محمود فوزى إلى الرئيس جمال عبدالناصر ، يوم ١٣/ ٢/ ١٩٥٧ . انظر كذلك

Finer, Herman : Bulles Over Suez, pp. 221–223.

(٦٣) Op.Cit.: Waging Peace, pp. 175–177, See Also : Op.Cit.: The Suez War 1956, pp. 147–148.

(٦٤) وثائق الخارجية المصرية ، رسالة من الرئيس جمال عبد الناصر إلى الدكتور محمود فوزى ، بتاريخ ٢١/ ٢/ ١٩٥٧ .

(٦٥) وثائق الخارجية المصرية ، رسالة من الدكتور محمود فوزى إلى الرئيس جمال عبدالناصر يوم ٢١/ ٢/ ١٩٥٧ .

(٦٦) وثائق الخارجية المصرية ، رسالة من الدكتور محمود فوزى إلى الرئيس جمال عبدالناصر ، يوم ٢٢/ ٢/ ١٩٥٧ .

(٦٧) وثائق الخارجية المصرية ، برقية نيويورك الرمزية ، رقم ٣٥، بتاريخ ١٩٥٧/٢/٢٢ .

(٦٨) المصدر نفسه .

(٦٩) وثائق الخارجية المصرية ، رسالة من الدكتور محمود فوزى إلى الرئيس جمال عبدالناصر ، يوم ١٩٥٧/٢٤ .

(٧٠) صلاح بسيونى : مصر وأزمة السويس ، ص ٣٢٠-٣٢١ .

(٧١) المصدر نفسه : ص ٣٢١ .

(٧٢) المصدر نفسه ، نفس المكان .

(٧٣) وثائق الخارجية المصرية ، إدارة الأبحاث ، نشرة خاصة عن العدوان .

(٧٤) وثائق الخارجية المصرية ، برقية نيويورك المفتوحة ، كلمة جولدا مائير أمام الجمعية العامة ، يوم ١٩٥٧/٣/٤ .

(٧٥) وثائق الخارجية المصرية ، إدارة الأبحاث ، نشرة خاصة عن العدوان الثلاثى على مصر ، الجزء الثانى ، ص ٢٣-٥٤ .

الفصل العشرون

التطهير ومسألة قناة السويس

مقدمة - جهود همرشولد - مصر تطلب مساعدة الأمم المتحدة - الأمم المتحدة تقرر مساعدة مصر - موقف الحكومة المصرية من عملية التطهير - موقف حكومة المملكة المتحدة سير عملية التطهير - اتفاقية تطهير القناة - تغطية النفقات - التعويضات - جهود همرشولد لتسوية مسألة القناة - موقف الحكومة المصرية - مواقف جديدة تواجه مصر - البيان المصرى - انعقاد مجلس الأمن وانتصار مصر .

مقدمة :

عند تناول التطورات التى مر بها انسحاب القوات الانجلوفرنسية من بورسعيد .. كان من الضرورى أن نلمس مسألة تطهير قناة السويس بحكم الدور ، الذى لعبته فى الإسراع بإتمام الانسحاب ، وكيف تمكنت الدبلوماسية المصرية من استغلال لهفة المملكة المتحدة وفرنسا على سرعة إعادة الملاحة فى القناة لفرض شروطها ، وقد أكد الدكتور محمود فوزى لسفير الولايات المتحدة الأمريكية فى القاهرة يوم ٨ نوفمبر ١٩٥٦ على ضرورة وقف القتال ، وسحب القوات المعتدية قبل البدء فى تطهير القناة بسرعة . كما أكد محمود فوزى على أنه من الطبيعى ألا يشترك أى من دول العدوان فى عملية التطهير ، فالعالم ملىء بالشركات ويمكن للمصريين القيام بتلك المهمة بكفاءة . وقد أبدى السفير الامريكى تفهمًا كاملاً لوجهة النظر المصرية بالنسبة لعملية التطهير ، ووجوب أن تكون مسبوقة بوقف القتال ، وانسحاب القوات المعتدية[١] .

وكانت مشكلة التطهير قد سبق دراستها فى باريس ولندن ، قبل الهجوم على بورسعيد ؛ إذ عقدت اجتماعات فى باريس فى أول سبتمبر ؛ لإنشاء هيئة مؤقتة أطلق عليها

اسم « وكالة أعمال قناة السويس » . ولكن هذه الهيئة لم يكن لها وضع قانونى واضح ، كما أن البيان المشترك الذى كان ينبغى أن تصدره لندن وباريس فى هذا الشأن لم ير النور قط . ومع ذلك .. فقد تم التوصل إلى نوع من الاتفاق ، حينما كلفت باريس الأميرال شامبيون يوم ٣١ أكتوبر بدراسة تطهير القناة ، فى ضوء الاتفاقية المعقودة مع لندن حول توزيع مهام هذه العملية . وشكلت " القوة ٣٣٩" التى تضم الجماعات ، التى عهد إليها رفع الأتربة من القناة ، كما كلفت البحرية البريطانية بانتشال السفن الغارقة فى حين كلف الفرنسيون بالقيام بأعمال الهندسة المدنية . وهكذا اطلق على الأميرال شامبيون اسم أميرال القناة ، وكان له مساعد انجليزى هو الكابتن البحرى بودجير . وكانت عملية انتشال السفن فى مناطق بورسعيد والإسماعيلية والسويس تخضع لأوامر شامبيون [١] . أما القاهرة فكان لها رأى خاص فى موضوع تطهير قناة السويس ينسجم مع سياستها .

جهود همرشولد:

بدأ السكرتير العام فى اتخاذ الخطوات اللازمة لعملية التطهير ، منذ صدور قرار الجمعية العمومية فى ٢ نوفمبر ١٩٥٦ ، الذى نص على حث الجمعية العمومية - بمجرد وقف اطلاق النار على اتخاذ الخطوات لإعادة فتح قناة السويس .

وصارت جهود السكرتير العام فى هذا الشأن جنبًا إلى جنب - مع جهوده الرامية إلى وقف إطلاق النار وتحقيق الانسحاب ، وكان من الضرورى لمصر - أمام إخلاص السكرتير العام فى جهوده ، وأمام الحاجة إلى معاونته فى مهمته - أن تقدم له المساعدات التى تسهل مهمته [٣] .

وكانت الخطوة الأولى التى سعى اليها همرشولد هى التحرك فى اتجاهين : أولهما أن يبدأ فى الاتصال بالشركات العالمية ، التى يمكن أن تتولى عملية التطهير ، وثانيهما أن يتعرف نوايا الحكومة المصرية تجاه تطهير قناة السويس . وقد حقق همرشولد التحرك السريع بالنسبة للاتصال بالشركات النرويجية والهولندية ؛ لبحث إمكانية قيامها بهذا العمل . أما موقف مصر من عملية التطهير ، فلم يكن من المناسب أن يتحدث همرشولد مع الحكومة المصرية فى ذلك ، بينما قنابل الأعداء تتساقط عليها ، والقوات المعتدية تغزو أراضيها ، ولذلك جاء تحرك همرشولد بعد وقف إطلاق النار [٤] .

مصر تطلب مساعدة الأمم المتحدة :

وما أن توقف اطلاق النار ، حتى توجه همرشولد إلى القاهرة ليجرى مباحثات مع الرئيس جمال عبدالناصر ، ووزير خارجيته ، خلال الفترة من ١٦ - ١٨ نوفمبر ١٩٥٦ . وعلى إثر هذه المباحثات ، صرح فى ١٨ نوفمبر أن مصر طلبت مساعدة الأمم المتحدة فى تطهير القناة من العوائق ، بعد انسحاب القوات الأجنبية من بورسعيد ومنطقة قناة السويس . كما أوضح همرشولد أن الأمم المتحدة راغبة فى القيام بهذه المهمة ، وأنه سيقدم تقريراً للجمعية العمومية فى هذا الشأن (٤) .

وحددت مصر موقفها على أساس ألا يبدأ أى تطهير قبل إتمام الانسحاب ، وأنه ينبغى عدم التفريط فى هذا المبدأ تحت أية ظروف ، وإلا فقدت مصر أهم ورقة ، تستطيع أن تضغط بها على المعتدين ليتم انسحابهم . ولكن مع تشدد مصر فى رفض بدء عملية التطهير قبل اتمام الانسحاب . . فإنها قبلت التباحث نظريا مع همرشولد فى أمر التطهير . . لتبعد عنها أية مظنة عن التشدد ، ولترضى أصدقاءها فى الدول النامية ؛ لأن إغلاق قناه السويس يضر باقتصاديات تلك الدول .

الامم المتحدة تقرر مساعدة مصر :

تقدم همرشولد يوم ٢٢ نوفمبر ١٩٥٦ بتقريره إلى الجمعية العمومية ، وطلب الترخيص له بعقد اتفاقات مع مؤسسات مختصة تابعة لدول خارج نطاق النزاع القائم ؛ لتقوم بتطهير القناة ، وبالتشاور مع اللجنة الاستشارية للدخول فى الالتزامات المالية ، التى يستدعيها الأمر رغم صعوبة تحديد التكاليف فى هذه المرحلة المبكرة . كما طلب همرشرلد بضرورة إرسال خبراء ، مشيراً إلى عزمه على استخدام الخبراء العاملين فى برنامج المساعدة الفنية لأمم المتحدة ، على أن يعاونهم ممثلو المؤسسات التى تم الاتصال بها ، وذلك لمعاينة القناة دون تأخير ، وإن كان المفروض الا يبدأ العمل الا بعد انسحاب القوات غير المصرية من بورسعيد ومنطقة القناة وبموافقة مصر (٦) .

وقد رخصت الجمعية العمومية فى قرارها بتاريخ ٢٤ نوفمبر ١٩٥٦ للسكرتير العام ؛ بالبدء فى استطلاع الوسائل العملية ، وعقد الاتفاقات اللازمة ؛ حتى تسير عملية التطهير بسرعة وبطريقة فعالة ، فعين الجنرال هويلر لمباشرة تنفيذ عملية التطهير(٧) .

وكان واضحًا فى الفترة مابين صدور قرار الجمعية العمومية فى ٢ نوفمبر ، وتقديم همرشولد لتقريره اليها حول التطهير فى ٢٢ نوفمبر ، أن السكرتير العام يستخدم مسألة تطهير قناة السويس ؛ للضغط على المملكة المتحدة وفرنسا ، وأنه فى الوقت الذى يبذل فيه الجهود المتصلة لترتيب هذه العملية ويستحث الحكومة المصرية فى هذا الاتجاه ، فإنه لا يبدى كل التشدد فى اتصالاته بالمملكة المتحدة وفرنسا حول هذه المسألة[٨] .

وقد أثار البريطانيون معه فى تلك المرحلة قيام أسطول التطهير ، الذى وصل إلى بورسعيد بالعملية تحت اسم الأمم المتحدة ، وعندما استطلع همرشولد رأى مصر فى هذه النقطة أوضحت بحسم أنها لا تسمح للمعتدين بالتواجد تحت أى مبرر فى منطقة القناة ، وأنها ترفض تمامًا استخدام سفن التطهير البريطانية ومهندسيها فى هذه العملية .

وقد أكد همرشولد هذا الموقف فى رده على حكومتى المملكة المتحدة وفرنسا فى ٦ نوفمبر ، عندما أشار إلى أن التطهير ستقوم به شركات من دول غير متورطة فى النزاع ، وقد ردت المملكة المتحدة على ذلك بأنها على استعداد لتقديم ٣٦ سفينة للمساهمة فى العملية ، غير أن السكرتير العام رفض هذا العرض [٩] .

ثم عين السكرتير العام الجنرال ريموند هويلر ممثلاً خاصًا له فى عمليات التطهير ، وكان يشغل منصب قائد سلاح المهندسين فى الجيش الأمريكى ، وله خبرة طويلة فى أعمال التطهير . وعندما وصل الدكتور محمود فوزى إلى نيويورك ، طلب منه همرشولد أن توافق مصر على سفر الجنرال هويلر إلى مصر ؛ ليبحث مع رجال الحكومة المصرية المختصين المسائل المتصلة بالتطهير ، وأكد همرشولد أن هذا الطلب لايمس المبدأ الأساسى المتفق عليه بعدم بدء التطهير قبل اتمام الانسحاب . ثم رتب همرشولد اجتماعًا بين الدكتور محمود فوزى والجنرال هويلر فى يوم ٢٥ نوفمبر ؛ حيث أوضح له هويلر رغبته فى السفر إلى مصر لبحث الأوضاع الخاصة بالتطهير ، كما أكد أن البدء فى التطهير ؛ سوف يكون بعد الانسحاب الكامل من منطقة القناة [١٠] .

موقف الحكومة المصرية من عملية التطهير :

سمحت مصر للجنرال هويلر ومساعديه بالحضور فى أوائل ديسمبر ١٩٥٦ ، بعد أن أعلنت المملكة المتحدة وفرنسا قبولهما الانسحاب رسميا ، وذلك لمناقشة الإمكانات المشتركة

لمصر والأمم المتحدة لتعبئة المعدات الفنيــة والموظفين اللازمين بأقصى سرعة ، والقيام بإجراء المعاينات ؛ لحصر كافة العوائق بالقناة بالاتفاق مع الحكومة المصرية (١١) .

وما أن وصـل الجنرال هويــلر ، حتـى فوجئت الـدوائر المسـئولة فـى مصر بالجـنرال الأمريكى يـعقــد مؤتمراً صـحفيًا فى بورسعيــد ، ذكر فيه أن كوبرى الفـردان نسف ، ولم يصــب بقنابــل الإنجليز ٠٠ وكــان ذلك يوم الحـادى عشر من ديـسمبر ١٩٥٦ ، وكـانت بورسعيد مازالت تحت الاحـتلال ٠ وعلى الفور اتصلت مصر بالسكـرتير العام ، واحتجت لديه على هــذا التصريح وأوضحت أنها لاتـقبل إطلاقا أن يخرج الجنرال هــويلر عن حدود المهمة المرسومة له كممثل خاص للسكرتير العام فى عملية التطهير ٠ وأن واجباته تنحصر فى الإشراف على العــملية ، وليس اصدار أحكــام مغرضة حول مثل هذه المــسائل ٠ وكان هذا يعنى أن مصر قد لاتوافق علــى استمرار الجنرال هـــويلر فى عمله ، مما يترتب عليه تعطيل الأعمال التمهيدية لعملية التطهير ٠ وعلى الفور أبرق همرشولد إلى الجنرال هويلر يطلب منه الامتناع عن الإدلاء بأية تصريحات ، ويلومه على تصرفه (١٢) .

ثم ثارت قضية أخرى خاصة بعملية التطهير ، بعد انسحاب القوات الأنجلوفرنسية نتيجة الحاح المملكــة المتحدة على همرشــولد ؛ ليستخدم أسطول الـتطهير الذى اصطحـبته القوات الأنجلوفرنسية فى غزو مصر ٠

وأعادت مصر رفـضها القاطع لاســتخدام تلك الســفن وبحارتها ، إلا أن إيــدن اتصل بالسكرتــير العام ، وألح عليه فى استـــخدام هذه السفن تحت علم الأمم المــتحدة ، وكان هذا التصرف من جانبه يفــصح عن محاولته الظهور للرأى العام البريطانــى أنه يشارك فى عملية اعادة فتح القناة للملاحة بمايضمن سرعة تطهيرها ٠ وفى نفس الوقت رأى الجنرال هويلر أن العوائق بالقــناة تحتاج إلى أسطول ضـخم بينمــا الإمكانيات المتوفرة لدية لاتكفــى القيام بهذا العمل ، ولذلك اقترح على همرشولد الاستعانة بالسفن والقاطرات البريطانية (١٣) .

وعندئذ تحرك همرشولد رغم أن الانسحاب الانجـلوفرنسى لم يكن قد تم ، فراح يجس النبض حول مدى تساهــل مصر فى هذه العملية ، وأوضح ان استخدام تــلك السفن سيكون بصفة مؤقتة لاستخدامها ، خاصة وأنه من مصلحة مصر فتح القناة للملاحة ٠ وللمرة الثانية رفضت مصر استقبال بحارة من دولة اعتدت على مصر (١٤) .

وعاد همرشولد يقترح أن تحصل الامم المتحدة على ست سفن انجلوفرنسية لعمليات التطهير ، وأن تستخدم الفنيين البريطانيين عليها بمقتضى عقود مدنية ، على أن يبقى على كل سفينة بعد تحويلها للأمم المتحدة ، ولمدة سبعة أيام فقط ، ثلاثة من بحارتها ذوى الجنسية البريطانية لاغراض التدريب ، وفق شروط تلخصت فى ألا تتعدى عملية التطهير منطقة القنطرة ، والاستغناء باقصى سرعة عن البحارة البريطانيين المدنيين ، واستبدالهم ببحارة من جنسيات أخرى بالإضافة إلى أن هذه السفن وبحارتها لا تخضع لغير توجيهات الأمم المتحدة (١٥) .

وقد أعلنت مصر على لسان وزير خارجيتها أنها على استعداد لاستعمال جميع المعدات البحرية وسفن الإنقاذ الخاصة بأعمال تطهير القناة بغض النظر عن جنسياتها ، على ألا تستعمل هذه السفن أحد من رعايا المملكة المتحدة أو فرنسا ، وذلك حرصاً على حياتهم ، خاصة وانهم سيعملون فى منطقة القناة التى نالها نصيب كبير من الدمار ؛ نتيجة العدوان الوحشى الذى قتل النساء والأطفال ودمر المنازل والمؤسسات الأهلية (١٦) .

ولما الح السكرتير العام على الحكومة المصرية باستخدام السفن الست البريطانية ، وافقت على بقاء بعض أفراد الأطقم البريطانية لمدة أسبوع ، إظهاراً لحسن نواياها وتعاونها مع الأمم المتحدة ، وحرصاً على سرعة تطهير القناة من آثار العدوان الأنجلوفرنسى (١٧) .

موقف حكومة المملكة المتحدة :

أبدت حكومة المملكة المتحدة تعنتاً شديداً ، وأصرت على أن تكون جميع سفن الإنقاذ الأنجلوفرنسية ومعداتها وأفرادها وحدة واحدة لا تتجزأ ، فاما ان تبقى وإما أن ترحل ۰۰۰ ولما قوبل ذلك بالرفض من جانب الحكومة المصرية. أخذ المسئولون البريطانيون فى مهاجمة همرشولد ومعاونيه ۰ كما أثارت حكومة المملكة المتحدة أيضاً ما اسمته بمسألة أمن البحارة البريطانيين المشتركين فى عملية التطهير ، فقد طلبت فرض حراسة من الأمم المتحدة على كل سفينة ليس فقط للدفاع عنها ؛ بل أيضاً لمقاومة أى عمل عدائى ضدها ، أو ضد طاقمها ، وقيام قوات برية تابعة لامم المتحدة بحراسة السفن من ضفة القناة ، مع وجود دوريات لتامين قوافل المعدات ۰ وقد بذل همرشولد جهدة فى هذا الصدد ، حتى تراجعت حكومة المملكة المتحدة ۰ عن هذة الشروط التعسفية (١٨) .

سير عملية التطهير

بـدات عمليات التـطهير من الطـرف الجنوبى للقـناة فى ٢٨ ديسمبر ، ثم مـن الطرف الشمالى بعـد ذلك بثلاثة أيام . وقد وضع هويلر بمسـاعدة مستشاريه الفنيين مـشروعاً لسير عمليات التطهير ، وافقت عليه السلطات المصرية ، وتلخص فى ثلاث مراحل .

المرحلة الاولى : تشمل العمليات ، التى من شانـها السماح بمرور السفن التى تكون حمولتها حوالى ١٠,٠٠٠ طن ، ويصير خلالها إزالـة تسعة عوائق ، وقنطرتين ، وتنتهى هذه المرحلة فى أوائل مارس ١٩٥٧ .

المرحلة الثانية : وتشمل إزالة سائر العوائق ، والتى تـسمح بمرور السفن التى تزيد حمولتها على ١٠,٠٠٠ طن ، وتنتهى هذة المرحلة فى أوائل مايو ١٩٥٧ .

المرحلة الثالثة :وتتركـز خلالها الأعمـال على العـوائق ، التى وإن كانـت لا تمنع المرور فى القناة ، إلا أن الأمر يقتضى إزالتها من الموانى [١٩] .

وفـى نهاية ينـاير غادرت بورسعيد ١٥ سفيـنة بريطانية ، بعد أن انتهت المهمة الموكلة إليها [٢٠] .

اتفاقية تطهير القناة :

وقعت اتفاقيـة بالأحرف الأولى بوزارة الخارجية المصرية فى ٣ يناير سنة ١٩٥٧ ، على أن يسرى مفعولها ابتداء من ٨ يناير ١٩٥٧ ، وقد تضمنت ما يلى . (١)

١ - قيام الأمـم المـتحدة بمساعدة الحكومة المصريـة فى العمليات اللازمة بسـرعة تطهير القناة .

٢ - قيام الأمم المتـحدة بإدارة العمليـة ، بواسطة ترتيبـات تعاقدية مع منـشآت خاصة خاضعة لتوجيهات واشراف السكرتير العام ، وممثليه .

٣ - تعتبر العملية كمشروع تابع للأمم المتحدة " مقاولة أمم متحدة " .

٤ - ترفع سفن التطهير أعلام الأمم المتحدة وحدها دون أعلامها الوطنية .

٥ - تخضـع الأموال المستخـدمة فى العـملية ، والاشخـاص المشتركون فـيها لاتفـاقية امتيازات وحصانات الأمم المتحدة ، التى تعتبر مصر طرفاً فيها .

٦ - نظراً لـوجوب اتمام العـملية فى أسـرع وقت ، تقوم الأمم المتـحدة بالتـشاور مع الحكومة المصـرية ، باتخاذ جميع التـدابير ، التى من شأنها تجـنب الأضرار غير الضرورية فى الأنفس والأموال ، وإن كان من المفـهوم ان الأمم المتحدة لن تتحمل أية مسئولـية عن الأضرار المحتملة ، التى قـد تصيب السفن المصرية المـستقرة فى القناة والتى تنجم أثناء سير العمليات اللازمة لسرعة تطهير القناة ·

٧ - تحتفظ الأمم المتحـدة بحقوق المنقذ البحرى بـالنسبة للسفن والأموال المـغاثة ، غير تلك التى تكون ملكاً للحكومة المصرية ·

تغطية النفقات :

طلب السـكرتير العام الـسماح له بعقـد قرض فى حدود ١٠ ملايين دولار ؛ لـتمويل عمـلية تطهير القناة · وذكر فى التـقرير الذى قدمه للجمعية العـمومية بتاريخ ١١ يناير سنة ١٩٥٧ ، أنه ليس فى مركز يسمـح أن يقدم للجمعية العمومية تقريـراً عن التكاليف ، التى تستلزمها عملية التطهير، ولذلك فقد أحال المسألة إلى اللجنة الاستشارية لهذا الغرض (٢٢) .

ولما كانت عمليـة التطهير فى مرحلتها الأولى ، تسـتلزم مبالغ معينة لتغطـية التكاليف الضرورية لهذة العمـلية إلى أن يتم الوصول إلى قرار نهائى فى الموضـوع ، طلب السكرتير العام فى ٢٣ ديـسمبر ١٩٥٦ من الدول الأعضـاء المساهمة فى تقديم المـبالغ ، التى تتطـلبها الأمم المتحدة فى هـذة المرحلة الأولى · وقد لبى بعـض الدول نداء السكرتير العـام ، بينما رفضه البعض الآخر ·

ويبدو أن همر شولد يميل بشان تمويل عمليـة التطهير إلى أن تستدين الأمم المتحدة لهذا الغرض ، على أن يكون سداد هذا الدين فى المسـتقبل من دخل القناة ، أو أن يتم ذلك عن طريق فرض رسـوم إضافية ، يسدد منهـا ذلك الدين ، وإن كان من الواضـح أن مصر لم تتسبب فى سد القناة ، وعلى المعتدى أن يتحمل مصاريف فتحها (٢٣) .

وقد تم تطهير الـقناة فى ٤ مارس ١٩٥٧ ، بـاستثناء قاطرة تابـعة للهيئة تـسمى إدجار بونيـة والفرقاطة " أبوقـير " · وفى ١٢ مارس بدأ العـمل فى إزالة القاطـرة ، ثم فى ٢٢ مارس بالنسبـة للفرقاطة · وفى منتصف أبريـل ، تم التطهير الكامل لقنـاة السويس ، قبل الموعد المحدد بتسعة أسابيع · وفى أوائل مايو ، غادرت سفن الإنقاذ منطقة القناة (٢٤) .

وفى ١٢ أبريل ١٩٥٧ أعـلن همرشولد أنـه تلقى قروضاً مـن الدول ؛ لتغطيـة نفقات التطـهير بلـغت ١١ مـليون دولار من كـل من كندا ، والـسويد ، ولـيبريا ، وسـيلان ، واستـراليا ، والولايـات المتحـدة وألمانيا الاتحـادية ، والنرويـج ، والدانمرك ، وهولـندا ، وإيطاليا . وقـد غطى هذا المبلغ نفـقات العملية باكـملها .(٢٥) وهكـذا .. نجد أن مـصر تمكنت من السيطرة على عملية التطهير بإحكام مطلق .. حقيقة أن الأمم المتحدة تولت تلك العملية ، ونفذتـها ، ولكن ذلك تم ، بعد أن وافقت مصر على خطـة التطهير ، وحددت وسائل التنفيذ بالـصورة التى تتفق مع سيطرتها وإدارتها لقنـاة السويس ، وبذلك تم القضاء تماماً عـلى أية شكوك حـول حق مصر المشروع فـى قناة السويـس . كما نجحت مـصر فى استخدام ورقة " القناة " بمهارة ، فكانت القناة هذه المرة سلاحًا لمصر فى المعركة العسكرية ، وفى المعركة السياسية ايضاً .

التعويضات :

نتيجة الخسائر التـى نزلت بمصر بسبب العدوان الثلاثى ، فقد طالـبت مصر بحقها فى التعـويض كاملاً ؛ إذ تـقدم الدكتـور محمود فـوزى وزير خارجيـة مصر بمشـروع قرار إلى الجـمعية العمـومية فى ٢١ ديسمـبر سنة ١٩٥٦ ، أشـار فيه إلى قرار الأمم المتـحدة ، بشان إيقاف إطلاق النار والانسحـاب ، والأعمال العدوانية التى اقترفتها إسرائيـل وفرنسا والمملكة المتحدة ضد مصر ، وما سببته من خسائر فى الأرواح والأموال .

ثم طلب المشروع تقديـر الأضرار الناتجة عن ذلك ؛ خاصة ما تعلق منـها بالخسائر فى الأرواح بين سكـان مصر وقطـاع غزة ، وكذا التدمـير الذى وقع فـى قطاع غزة ، وسـيناء وبورسعيد وقناة السويس وبـقيـة أنحـاء مصر ، إلى جـانب ما أصـاب القناة ومنشآتها ، وما نـتج عـن تعطـيل الملاحـة فيها وفـى الموانئ والمـطارات المصـرية ، وتدمـير الأملاك والمشروعات الخاصة ، وبالاقتصاد المصرى فى جملته (٢٦) .

وطالب مشـروع القرار المصرى أن يقـدم السكرتير الـعام - فى اقرب فرصة - تـقريراً بتقديراتهم للأضرار ، التى حملتها مصر ؛ بـاعتبارها أساساً للتعويض المناسب الواجب أن تدفعه كـلا مـن إسرائيل وفرنـسا والمملكة المتـحدة . وسجلت مصر بذلـك وجوب احترام حقها ؛ حتى لا يترك المعتدون دون محاسبة(٢٧) .

جهود همرشولد لتسوية مسألة القناة :

بذل السكرتير العام للأمم المتحدة جهداً لتسوية مسالة قناة السويس ، إثر صدور قرار الانسحاب . وأثار همرشولد تلك المسالة مع الدكتور محمود فوزى ؛ حيث لم يتقدم الموقف المبادئ الستة ، ثم جاء العدوان لتتجمد عنده تلك التسوية . وفى اجتماع همرشولد مع سلوين لويد فى ٢٧ نوفمبر ، ذكر لويد أنه يعتقد أن حكومته قد تقبل الآن بحث المسالة على أساس اقتراحات همرشولد ، التى تتركز فى استئناف البحث على ضوء المبادئ الستة ، التى قررها مجلس الأمن .

وبينما كان همرشولد يبذل جهوده لوقف إطلاق النار واتمام الانسحاب ، كان يحرك من حين لآخر مسالة القناة ، وإن كان استئناف المباحثات حولها بين مصر والمملكة المتحدة وفرنسا قد توقف فى ١٣ اكتوبر ١٩٥٦ بصدور المبادئ الستة . كانت هذة وجهة نظر همرشولد ، التى والى - دون كلل - إبلاغ مصر بها منذ الأيام الأولى للعدوان ، ومطالباً الحكومة المصرية بأن تتخذ من جانبها خطوة تدعم من مركزها ، وتؤكد سلامة نواياها تجاه هذا الممر المائى الدولى . إلا أن الحكومة المصرية أبلغت همرشولد فى شهر نوفمبر ، أنها ترفض هذا الموضوع ، قبل أن يتم الانسحاب .

وتكرر نفس الأمر فى شهر ديسمبر ، إلا أنه عندما تم الانسحاب الأنجلوفرنسى .. جاء ضمن المواقف المعلنة فى لندن وباريس ، أنه سيتم استئناف المباحثات حول موضوع قناة السويس .

موقف الحكومة المصرية :

كان لمصر وجهة نظر أخرى غير وجهة نظر همرشولد والمملكة المتحدة وفرنسا .. فعلى حين أنها ترفض استئناف المفاوضات وتترك الأمور معلقة .. إلا أنها اات بعد أن وقع عدوان عليها من جانب ثلاث دول ، منها اثنتان كانت تتفاوض معهما حول تسوية للأزمة ، ولكنهما آثرتا استخدام كل وسائل الخداع والتمويه والتآمر ، وفضلتا الالتجاء إلى أسلوب الحرب بدلاً عن التفاوض . وطالما كان هذا هو أسلوب المملكة المتحدة وفرنسا ، فأى مفاوضات يمكن أن تبدأ أو تستأنف معهما ، وعلى أى أساس ، وبأى منطق يمكن أن تطلب دول معتدية من دولة معتدى عليها أن تتفاوض معهما فى نفس الموضوع ، الذى شنتا عليها الحرب من أجله .

لقد أدارت مصر القناة بعد تأميمها فى كفاية ، رغم الظروف الصعبة التى وضعتها المملكة المتحدة وفرنسا أمامها ما بين سحب المرشدين ، والامتناع عن دفع رسوم المرور ، وحملات التشكيك فى سلامة الإدارة المصرية وعدم قدرتها . لقد أعلنت مصر أنها تضمن حرية المرور فى قناة السويس طبقاً لاتفاقية سنة ١٨٨٨ ، وسجلت إعلانها فى الأمم المتحدة ، وأكدت أنها لن ترفع رسوم المرور المقررة إلا بعد الاتفاق مع الدول المنتفعة بالقناة ، وسجلت ذلك على نفسها فى الأمم المتحدة .

فماذا يمكن أن تحققه المفاوضات بعد كل هذه المواقف من جانب مصر ، اللهم إلا إذا كان الهدف منها ، هو العودة إلى محاولات تدويل إدارة القناة ، أو إخضاعها لإدارة الأمم المتحدة وغير ذلك من الاقتراحات التى رفضتها مصر ، ليس قبل العدوان ، بل قبل أن يجتمع مجلس الأمن ويقرر المبادئ الستة .

من هنا حددت مصر موقفها على أساس أن العدوان - وإن لم يغير من المبادئ والأسس التى حددتها مصر ، منذ أعلنت التأميم إلا أنه أيضاً غيَّر من الظروف السياسية ، التى كانت تدور خلالها المفاوضات ، وخلق موقفاً جديداً يكفى فيه أن تحدد مصر مبادئها ، والأسس التى تنوى السير عليها فى إدارة قناة السويس . ورأت مصر أن أنسب وقت للإعلان عن هذا ، هو انتهاء التطوير ، وفتح القناه للملاحة بصورتها الأولى فى ٢ إبريل ١٩٥٧ .

مواقف جديدة تواجه مصر :

واجهت سياسة مصر فى شهر إبريل سنة ١٩٥٧ مواقف جديدة ، لم تكن قائمة فى الشهور السابقة ، فبعد أن تم انسحاب القوات الأنجلوفرنسية . . بدأت الولايات المتحدة تنحو نحو سياسة رأب الصدع الذى حدث فى التحالف الأطلسى ، فراحت تقدم المساعدات الاقتصادية للتخفيف من أزمة حليفتها ، وبدا كما لو أن الولايات المتحدة - بسلسلة من التصرفات - تحاول أن تكفر عن خطيئتها .

وكان قد ظهر فى يناير ١٩٥٧ مشروع إيزنهاور لملء الفراغ المتخلف عن انحسار نفوذ المملكة المتحدة فى الشرق الأوسط . وما إن انسحبت إسرائيل ، حتى عادت المساعدات والمعونات الأمريكية لها بأكثر مما كانت ، وبدا كما لو أن الولايات المتحدة تحاول أن تجفف

دموع طفلتها المدللة إسرائيل . ولقد شعرت مصر بهذا التحول فى شهر يناير ١٩٥٧ ، وعبّر الدكتور محمود فوزى عن اختلال الموازين فى معاملة المعتدين والمعتدى عليه ، إذ فى الوقت الذى يجب أن تـفرض فيه على المعـتدى التعويضـات لما سببه من أضرار ، إذا بـالمساعدات والمعونات تقدم إليه لإرضائه . ليس هذا فقط بل تجد مصر أن الولايات المتحدة الأمريكية قد كشفت القناع عن سياسة جديدة ، تعمل على احتواء كل الدول العربية تحت لوائها . وكان على مصر مقابل ذلك أن توازن بين مبادئها واسـتقلالها ، غضب الولايات المتحدة فى تلك الفترة الحرجة ، قبل أن يتم الانسحاب الإسرائيلى ، ومازالت الحاجة إلى الضغط الأمريكى ماسة ؛ لكى يتم هذا الانسحاب الكامل .

من هنـا كان الموقف الإسرائيلى فـى أول شهر ابريل ١٩٥٧ متغيراً ، وله تـأثير جديد على جو العلاقات المصرية الأمريكية فى ذلك الوقت . وفى الثانى من أبريل سنة ١٩٥٧ ، أبلغ الدكتور محمود فوزى السفير الأمريكـى فى القاهرة بمشروع البيان ، الذى تنوى القاهرة إذاعته ثم تسجيله فى الأمم المتحدة . إلا أن السـفير أبدى انشغاله ، ورجا الدكتور فوزى فى إلحاح أن ترجئ الحـكومة المصرية إصـدار هذا البيان ، إلى يـوم السبت ٦ ابريل ؛ لـتتيح للحكومة الأمريكية فرصة التعبير عن آرائها وتتشاور مع لندن . ولكن حينما ذكر له الدكتور فوزى ضيق الوقت الباقى على افتتاح القناة ، وضرورة أن يعرف العالم الأساس الذى سوف تسير عليه أعمال القناة طلب السفير إرجاء البيان إلى يوم ٤ أبريل [٢٨] .

وفى اليوم التالى ، عاد ريموند هير ليبلـغ الدكتور محمود فوزى عدم رضاء واشنطن عن البيان [٢٩] .

وفى ١٥ أبريـل ، أبلغ ريمونـد هير الدكتـور فوزى أن الولايات المـتحدة تقـترح دعوة مجلـس الأمن للانعقاد ؛ لـلنظر فى مسـألة قناة السويـس ، وأنه إذا لم توافق مصـر على الاشتراك فى هذه الدعوة .. فإنها ستتقدم بها بمفردها [٣٠] .

وفى صباح يوم ١٦ أبريل ، طـلب ريموندْ هير مقابلة الدكتـور فوزى ؛ حيث أبلغه أن المستر راونـترى وكيل الخارجية الأمريـكية المساعد لشئـون الشرق الأوسط ، حدثه تليـفونيا مستعجلا رد مصر فى شـأن اجتماع مجلس الأمن المقترح ؛ للنظر فى مـسألة قناة السويس ، ثم ذكر أنه إذا لـم تتسلم واشنطن الـرد فهى ماضية اليوم فـى سبيلها ، وستطـلب وحدها انعقاد مجلس الأمن للنظر فى مسألة قناة السويس [٣١] .

وفى نفس اليوم ، دعا الدكتور فوزى السفير الأمريكى لمقابلته ، حيث أخبره أن الحكومة المصرية لاترى الأخذ بما اقترحته حكومته ، من أن يجتمع مجلس الأمن فى الأيام القادمة للنظر فى مسألة قناة السويس ؛ إذ تجد فى هذا مزالق وأخطار لاداعٍ لها ، ولهذا . . فهى ليست مستعدة لمشاركة حكومة الولايات المتحدة فى طلب اجتماع مجلس الأمن ، إذا ما صممت هذه على المضى فى طلب ذلك الاجتماع ، ورجا الدكتور فوزى أن ينهى السفير إلى حكومتة رأى الحكومة المصرية ، وإذا لم يؤخذ به واجتمع مجلس الأمن . . فإن حكومة مصر سوف تحتفظ بموقفها كاملاً وبالخطة التى تنتهجها .عندئذ طلب السفير الأمريكى ألا تتخذ مصر موقفًا من شأنه إثارة المشاكل ، وكان واضحاً أن السفير يطلب من مصر تأجيل إصدار البيان الخاص بقناة السويس . (٣٢) .

وأمام وجهة النظر المصرية ، رأت واشنطن أن تؤجل طلب انعقاد المجلس لبعض الوقت ، ومحاولة إقناع مصر مرة أخرى بخطورة الالتجاء إلى مجلس الأمن ؛ لعدم إثارة الهواجس ، خاصة وأن السفير ريتشاردز المبعوث الأمريكى للشرق الأوسط ، كان فى طريقه إلى المنطقة ليناقش مشروع أيزنهاور . وفى يوم ٢١ أبريل ، دعا الدكتور فوزى سفراء الهند ويوجوسلافيا والاتحاد السوفيتى لمقابلته ؛ حيث أنهى إليهم آخر تطورات الموقف الخاص بموضوع قناة السويس ، كما تبادل معهم الرأى فى بعض النقاط . .وقد اعلنوا جميعاً ارتياحهم لموقف الحكومة المصرية ، وللأسلوب الذى تنتهجه فى هذا الشأن ، كما أعربوا عن الاعتقاد بأنه من الأفضل إصدار البيان الخاص بقناة السويس ، وإبلاغه فى أقرب وقت ممكن لسكرتير عام الأمم المتحدة (٣٣) .

وعندما تبين للولايات المتحدة تصميم مصر على موقفها . . بدأت فى بحث تعديلات فى البيان المصرى ؛ فاقترحت أن تتضمن مقدمته الإشارة إلى المبادئ الستة ، وأن يحدد فى البيان هيئة معينة تمثل المنفعين ، أو أن تحدد الأمم المتحدة هذه الهيئة ، وضرورة اتفاق مصر مع المنتفعين حول لائحة القناة ، وقبول مصر للتحكيم ، والتقاضى فى حالة أى خلاف إلى جانب تعديلات أخرى لفظية كثيرة .ولكن مصر لم تقبل كل التعديلات التى أرادت الولايات المتحدة إدخالها على بيانها . وكان معها ورقة ثمينة هى حرص الولايات المتحدة على نجاح مهمة مبعوثها ريتشاردز إلى المنطقة ، ولذلك رأت مصر أن يؤجل المبعوث الأمريكى زيارته حتى الانتهاء من مسألة القناة (٣٤) .

ووافقت الحكومة الأمريكية يوم ٢٣ أبريل على خطة مصر فى معالجة موضوع القناة ، وطلبت أن يكون البيان المصرى واضحاً وأنه عند انعقاد مجلس الأمن . . سيعلن مندوبها أن البيان ، وإن لم يعبر تعبيراً وافياً عن المبادئ الستة ، إلا أن الولايات المتحدة ترى إعطاء فرصة للنظام الذى تقترحه الحكومة المصرية (٣٥) .

البيان المصرى :

فى ٢٤ أبريل ، أبلغت مصر سكرتير عام الأمم بإعلانها الخاص بقناة السويس . وفى الرسالة التى وجهها إليه الدكتور محمود فوزى ، ذكر أن مصر تفهم المبادئ التى قررها مجلس الأمن فى ١٣ أكتوبر ١٩٥٦ ، رغم أن ذكر المبادئ لم يرد فى طلب الإعلان المصرى . ثم طلبت مصر إيداع الإعلان وتسجيله فى سكرتارية الأمم المتحدة ، وباعتباره - وما يتضمنه من التزامات - وثيقة دولية (٣٦) .

لقد حدد الإعلان أن الحكومة المصرية ستستمر فى احترام ومراقبة وتنفيذ اتفاقية ١٨٨٨ ، والالتزام بميثاق الأمم المتحدة ومبادئه وأهدافه . . وأنها حريصة على استمرار الملاحة لكل الأمم فى نطاق الحدود ، التى رسمتها اتفاقية ١٨٨٨ ، مع التأكيد على استمرار الرسوم طبقاً لآخر اتفاق وقع فى ٢٨ ابريل ١٩٣٦ ، بين الحكومة المصرية وشركة قناة السويس العالمية ، وأى زيادة فى الرسوم لن تزيد على ١٪ . وسوف تدير القناة الهيئة العامة لقناة السويس ، وترحب الحكومة المصرية بالتعاون بين الهيئة و " ممثلى شركات الملاحة والتجارة " . وأى خلافات حول اتفاقية ١٨٨٨ ، أو هذا الإعلان تحل طبقاً لميثاق الأمم المتحدة . . وإذا لم يحل الخلاف بين أطراف هذه الاتفاقية حول تفسير أو تطبيق نصوصها فيحال إلى محكمة العدل الدولية . وستتخذ حكومة مصر الخطوات الضرورية لقبول الاختصاص الإجبارى لمحكمة العدل الدولية ، طبقاً لنص المادة ٣٦ من نظامها الأساسى .

انعقاد مجلس الأمن وانتصار مصر :

وبناء على طلب الولايات المتحدة . . انعقد مجلس الأمن فى ٢٦ أبريل برئاسة مندوب المملكة المتحدة ، حيث أعلن مندوب الولايات المتحدة أن البيان المصرى لا يتفق تماماً مع المبادئ الستة ، وأنه لا يتضمن إجراءات محددة منظمة للتعاون بين مصر والمنتفعين ، ولكنه أردف قائلاً إن حكومته رأت إتاحة الفرصة لتعرُّف مدى صلاحية النظام ، الذى أعلنت مصر

أنها ستسيِّر القناة بمقتضاه . ثم تكلم مندوب الاتحاد السوفيتى ، وأعلن موافقته التامة على البيان المصرى .

وأعلن مندوب المملكة المتحدة فى مجلس الأمن يوم ٢٦ أبريل ١٩٥٧ أن حكومته ما زالت متمسكة بالمبادئ الستة ، التى أقرها مجلس الأمن فى ١٣ أكتوبر ١٩٥٦ ، ورغماً عن ذلك .. فإنه يجد البيان المصرى متمشياً فى كثير مع المبادئ الستة سالفة الذكر ، وأوضح أنه بيان من جانب واحد . وهكذا .. نرى أن المملكة المتحدة - تحت ضغط مصالحها الاقتصادية - بعد ما تكبدته من خسائر مادية فادحة بسبب موقفها العدائى من مشكلة قناة السويس ، أدركت أنه من غير المنطق أن تنفرد وحدها دون بقية الدول المنتفعة بالقناة بمقاطعتها ، وبهذا قبلت الأمر الواقع ، وسمحت لسفنها باستخدام قناة السويس ، ودفع رسوم المرور ، مع تقديم الاحتجاج حتى تتم تسوية نهائية للمشكلة تكون مرضية بالنسبة لها (٣٧) .

أما مندوب فرنسا .. فقد أعلن ان البيان المصرى لا يحقق المبادئ الستة ، وأنه تصريح من جانب واحد ؛ مما يسمح لمصر بأن تعدله حينما تشاء . وطالب المجلس باستئناف المفاوضات للوصول إلى معاهدة دولية ، بدلاً عن البيان المصرى الصادر من جانب واحد .

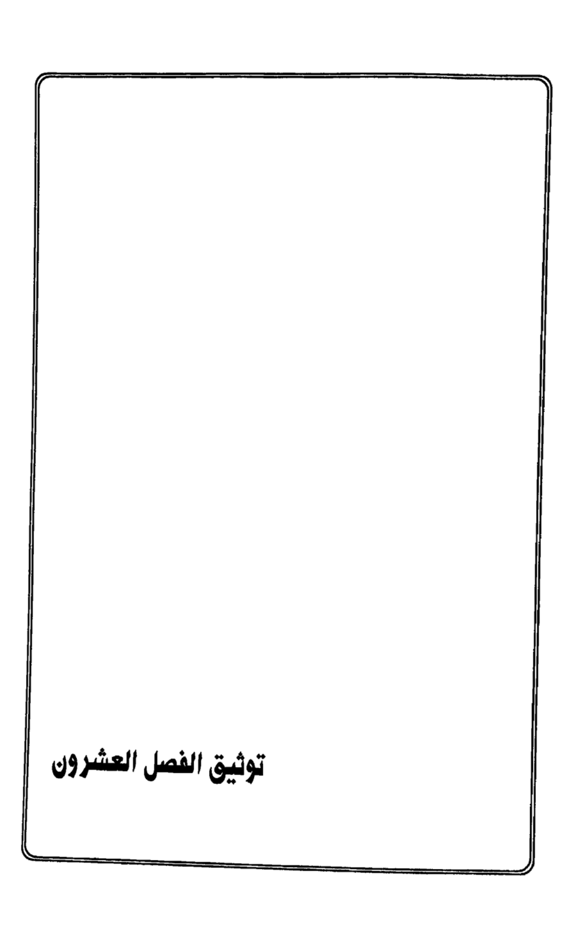
واستمرت فرنسا فى مقاطعة قناة السويس .(٣٨) بينما أعلنت أغلبية الدول البحرية قبولها للبيان المصرى ، ومنهم جميع المنتفعين باستثناء فرنسا (٣٩) .

ووجدت فرنسا أن آخر حلقات الصراع بينها وبين مصر توشك أن تنتهى ، وقد استعادت مصر حقها وتم الاعتراف به دولياً ، وأنها أصبحت تقف بمفردها فى مواجهة الوضع الجديد للقناة ، وأن هذا هزيمة سياسية لها فى الداخل والخارج ، ولذلك اجتمعت الحكومة الفرنسية برئاسة جى موليه ، وأصدرت بياناً رفضت فيه البيان المصرى مرة أخرى ، وعبرت عن أسفها للقرار الذى اتخذه المنتفعون باستخدام القناة ، وعدم قبولها حلاً يتعارض مع المبادئ الستة (٤٠) .

ثم طلبت فرنسا عقد مجلس الأمن فى ٢٠ مايو لمواصلة بحث القضية . وسافر بينو وزير خارجية فرنسا إلى واشنطن ؛ لمحاولة إقناع الولايات المتحدة بالعمل على إصدار قرار من مجلس الأمن ، يدعو مصر إلى التفاوض من جديد . ولم تقبل الولايات المتحدة هذا

الاقتراح ، وإن وافقت على أن يدلى مندوبها كابوت لودج ، بوصفه رئيساً للمجلس ، ببيان فى نهاية المناقشات ، يرضى به وجهة النظر الفرنسية . وانعقد المجلس فى ٢٠ مايو ، ولم تتقدم فرنسا بمشروع قرارها فأنهى لودج الجلسة بتلخيص لما دار فيها[٤١] . وفى شهر يونيو ، أعلنت فرنسا موافقتها على مرور سفنها فى قناة السويس ، وأعقب ذلك إعلان مصر قبولها الولاية الجبرية لمحكمة العدل الدولية ، فيما يتعلق بتفسير وتطبيق إتفاقية ١٨٨٨ على ضوء ما ورد فى بيان ٢٤ أبريل ١٩٥٧[٤٢] .

وهكذا انتهت مسألة قناة السويس بعد نضال طويل ، حرصت مصر خلاله على أن تتخلص من الاستعمار ، وتستعيد السيطرة الكاملة على القناة ، التى أكدت بشكل قاطع أنها ملك مصر ، وتحت السيادة غير المنازعة لمصر ، وأن السيطرة على القناة لا يشارك مصر فيها أحد .



توثيق الفصل العشرون

(١) وثائق الخارجية المصرية ، برقية الوزارة الرمزية، رقم ١٧٠١، بتاريخ ١٩٥٦/١١/٩، مرسلة للسفير عمر لطفى ، مندوب مصر الدائم فى الأمم المتحدة .

(٢) أرو ، هنرى : فخ السويس ، ص ٤٧١-٤٧٢ .

(٣) صلاح بسيونى : مصر وازمة السويس ، ص ٣٢٤ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٢٤-٣٢٥ .

(٥) وثائق الخارجية المصرية ، إدارة الأبحاث ، قسم النشرات ، نشرة خاصة عن العدوان الثلاثى ، الجزء الأول ، ص ٢٤ .

(٦) المصدر السابق نفسه ، الصفحة نفسها .

(٧) وثائق الخارجية المصرية ، برقية نيويورك الرمزية ، رقم ٤١/٣٧ ، بتاريخ ١٩٥٦/١١/٢٣ ، برقية من الدكتور محمود فوزى إلى الرئيس جمال عبد الناصر .

(٨) وثائق الخارجية المصرية ، برقية نيويورك الرمزية ، رقم ٥٥/٤٧ ، بتاريخ ١٩٥٦/١١/٢٦ ، برقية من الدكتور محمود فوزى إلى الرئيس جمال عبد الناصر .

(٩) وثائق الخارجية المصرية ، برقية نيويورك الرمزية ، رقم ٦٨/٥٢ ، بتاريخ ١٩٥٦/١١/٢٦ ، برقية من الدكتور محمود فوزى إلى الرئيس جمال عبد الناصر .

(١٠) وثائق الخارجية المصرية ، برقية نيويورك الرمزية ، رقم ٨٤/٨٢ ، ٨٧ ، بتاريخ ١٩٥٦/١١/٢٩ ، برقية مسلمة من الرئيس جمال عبد الناصر إلى الدكتور محمود فوزى .

(١١) وثائق الخارجية المصرية ، رسالة من الرئيس جمال عبد الناصر إلى الدكتور محمود فوزى ، يوم ١٩٥٦/١٢/١١ . وأيضاً رسالة من الدكتور محمود فوزى إلى الرئيس جمال عبد الناصر ، يوم ١٩٥٦/١٢/١٣ .

(١٢) وثائق الخارجية المصرية ، مقابلة بين همرشولد والدكتور محمود فوزى ، يوم ١٩٥٦/١٢/١٨ .

(١٣) المصدر السابق نفسه .

(١٤) وثائق الخارجية المصرية ، إدارة الأبحاث ، قسم النشرات ، نشرة خاصة عن العدوان الثلاثى ، الجزء الأول ، ص ٢٥ .

(١٥) المصدر السابق ، ص ٢٦ .

(١٦) المرجع السابق ، ص ٢٦-٢٧ .

(١٧) وثائق الخارجية المصرية ، تقرير السكرتير العام ، بتاريخ ١١/١/١٩٥٧ ، بشأن تطوير القناة .

(١٨) صلاح بسيونى : مصر وأزمة السويس ، ص ٣٢٩ .

(١٩) وثائق الخارجية المصرية ، نص الاتفاقية بين الأمم المتحدة والحكومة المصرية ، بشأن تطهير قناة السويس ، بتاريخ ٣ يناير ١٩٥٧ .

(٢٠) وثائق الخارجية المصرية ، إدارة الأبحاث ، نشرة خاصة عن العدوان الثلاثى على مصر ، الجزء الأول ، ص ٣٣ .

(٢١) المصدر السابق ، ص ٣٣ ٣٤ .

(٢٢) صلاح بسيونى : مصر وأزمة السويس ، ص ٣٣٠ .

(٢٣) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

(٢٤) وثائق الخارجية المصرية ، مشروع القرار الذى قدمه الدكتور محمود فوزى ، يوم ٢١ ديسمبر ١٩٥٦ .

(٢٥) المصدر السابق .

(٢٦) وثائق الخارجية المصرية ، مقابلة الدكتور محمود فوزى لسفير الولايات المتحدة الأمريكية بالقاهرة ، يوم ٢ ابريل ١٩٥٧ .

(٢٧) وثائق الخارجية المصرية ، مقابلة الدكتور محمود فوزى للسفير ريموند هير ، يوم ٣ أبريل ١٩٥٧ .

(٢٨) وثائق الخارجية المصرية ، مقابلة الدكتور محمود فوزى للسفير الأمريكى ، يوم ١٥/٤/١٩٥٧ .

(٢٩) وثائق الخارجية المصرية ، مقابلة الدكتور محمود فوزى للسفير الأمريكى ، ظهر يوم ١٦/ ٤/ ١٩٥٧ .

(٣٠) وثائق الخارجية المصرية ، مقابلة الدكتور محمود فوزى للسفير ، مساء يوم ١٦/ ٤/ ١٩٥٧ ، بمنزل الوزير .

(٣١) وثائق الخارجية المصرية، حديث تليفونى بين السفير الأمريكى والدكتور محمود فوزى، يوم ١٧/ ٤/ ١٩٥٧ .

(٣٢) وثائق الخارجية المصرية ، مقابلة الدكتور محمود فوزى لسفراء الهند ، ويوغوسلافيا ، والاتحاد السوفييتى ، يوم ٢١/ ٤/ ١٩٥٧ .

(٣٣) وثائق الخارجية المصرية ، مقابلة الدكتور محمود فوزى للسفير الأمريكى بالقاهرة ، يوم ٢١/ ٤/ ١٩٥٧ .

(٣٤) وثائق الخارجية المصرية ، مقابلة الدكتور محمود فوزى للسفير الأمريكى ، يوم ٢٣/ ٤/ ١٩٥٧ .

(٣٥) وثائق الخارجية المصرية، رسالة مرسلة من الدكتور محمود فوزى إلى داج همرشولد ، يوم ٢٤/ ٤/ ١٩٥٧ .

(٣٦) وثائق الخارجية المصرية ، الإعلان الخاص بقناة السويس ، الذى سُلِّم لداج همرشولد، يوم ٢٤/ ٤/ ١٩٥٧ .

(٣٧) وثائق الخارجية المصرية ، كلمة مندوب الولايات المتحدة أمام مجلس الأمن ، يوم ٢٦/ ٤/ ١٩٥٧ ، وكذا كلمة المندوب السوفييتى .

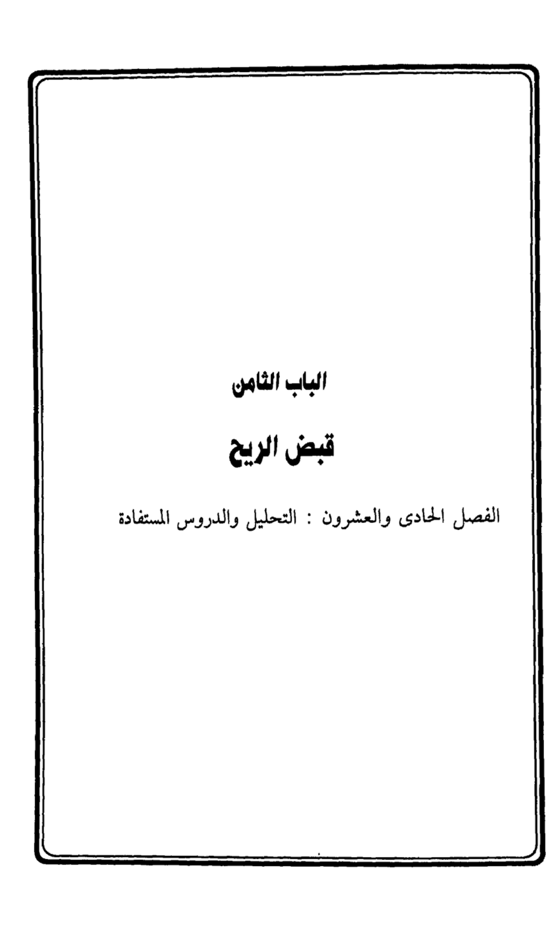
(٣٨) وثائق الخارجية المصرية ، كلمة مندوب بريطانيا ، أمام مجلس الأمن ، يوم ٢٦/ ٤/ ١٩٥٧ .

(٣٩) وثائق الخارجية المصرية ، كلمة مندوب بريطانيا ، أمام مجلس الأمن ، يوم ٢٦/ ٤/ ١٩٥٧ .

(٤٠) وثائق الخارجية المصرية ، كلمة مندوب فرنسا ، أمام مجلس الأمن ، يوم ٢٦/ ٤/ ١٩٥٧ .

(٤١) وثائق الخارجيـة المصرية ، وكالة الوزارة للشئـون السياسية ، ردود الفعل عـلى البيان المصرى ، بشأن تنظيم الملاحة فى قناة السويس .

(٤٢) وثائق الخارجية المصرية : بيان الحكومة الفرنسية .



الباب الثامن

قبض الريح

الفصل الحادى والعشرون : التحليل والدروس المستفادة

الفصل الحادى والعشرون

التحليل والدروس المستفادة

مقدمة - مهارة سياسية وشطط عسكرى - الحنكة السياسية تتسبب فى ورطة عسكرية - المطرقة والبندقة - القصف البالغ العنف - نقطة التحول - كيف ادار اطراف التواطؤ الصراع - اولاً: المملكة المتحدة - ثانيا : فرنسا -العمل المشترك بين المملكة المتحدة والولايات المتحدة - ثالثاً : مصر - النتائج الاقتصادية - آثار الحرب على اقتصاد المملكة المتحدة - آثار الحرب على الاقتصاد الفرنسى - آثار الحرب على الاقتصاد المصرى٠

مقدمة

تمثل حرب العدوان الثلاثى على مصر نقطة تحول فى تاريخ الشرق الأوسط ، كما تشكل حدثاً عالمياً أعاد رسم الخريطة السياسية فى كثير من أرجاء العالم عامة ، والوطن العربى على وجه الخصوص ؛ إذ نشطت حركات التحرر الوطنى فى ربوع آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية نحو آفاق الاستقلال والحرية ، وأنهت الهيمنة الأنجلوفرنسية على التقسيم الاستعمارى للعالم الذى استمر لعدة قرون ٠

ولم يكن تأميم شركة قناة السويس السابقة الأولى فى المعترك الدولى ، إذ سبقتها قرارات تأميم أخرى ، كانت المملكة المتحدة نفسها واحدة منها ، عندما أممت صناعة الصلب وبعض الخدمات الأهلية الأخرى فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ٠

إلا أن تأميم الشركة أزعج الدول الاستعمارية خشية أن يصبح فاتحاً لشهية الدول المقهورة على أمرها ؛ لتتطلع إلى تحرير إرادتها ، والتصرف فى خيرات بلادها ٠

ولقد تميزت إجـــراءات التأميم بالالتزام بالشرعية والقوانين الـدولية ، بفضل الدراسة المتأنية ، والجرأة مع التسلح بالمفاجأة ، فلم تأت تلك الإجراءات كرد فعل محموم ، أو للثأر من إهانة التشكيك فى سلامة الاقتصاد المـصرى ، وسحب تمويل مشروع السد العالى ، بل كانت تعبيراً عن إرادة شعـبية طال تطلعها إلى التخلص من الهيمـنة والكبت الاستعمارى ، ومـن تلك الدولـة داخـل الدولة ، التى كـانت تـدير قناه السويس فى معزل عـــن السلطة المصريـة ، وتتدخل فى مـجالات كثيرة أخرى خـارج نطاق عملـها ، وتبدى من الـصلف والاستعلاء مـا لا يمكن قبوله ورغـم ما وضعته بعـض الدول من عراقيل فـى طريق الإدارة المصرية التى تـولت أمور القناة ، فقد سار العـمل فيها بصورة جيدة ، لم تـترك للمؤامرات الأنجلوفرنسية من سبيل ، إلا استخدام القـوة الغاشمـة لإعـادة احتـــلال مصر ، وإرجاع عقارب الزمن إلى قرون ، ولَّت وصارت فى ذمة التاريخ .

كما مثَّل العـدوان الثلاثـى أيضاً أشـــد حروب القرن العشرين ظلماً وتبجحاً ، فكل ما قدمه أطراف العدوان الثلاثة من مبررات لإشعالها ، كانت أعذاراً أقبح من الذنب ، وكل ما زعموه عـن مواقف مصر المعاديـة للسلام العالمى ، أو المخـالفـة للـشرائـع والقـــوانين الدوليـة ، كان أو هى من خيط العنكبوت :

١ - فإسرائيل تـبرر عدوانها بالرغبة فى الـقضاء على أوكار الفدائيين فـى شبه جزيرة سيناء ، التى يتسـللون منها عبر الحدود المشتركة ، لشـن الإغارات العدوانية على المواطنين ، ثم يعتـرف الجنرال أرييل شارون فى كتابه الذى نشـره بعد ذلك بعده حقب ، أنه لم يصادف منها وكراً واحداً خـلال زحفه الطويل ، فى أرجاء سيناء فى خريف عام ١٩٥٦ .

٢ - وتبرر فرنسـا عدوانها على مصر بالرغـبة فى إسقاط نظام الرئيس عـبد الناصر ، الذى ينـاصر ثورة الجزائـر بالاموال والأسلـحة والخبرات ، فـتكشف عـن جهل بحتمية الـتاريخ ، الذى لم يعد فيه مكـان لاستعمار القرن التاسع عـشر فى قهر الشعوب ، وكبت المشاعر الوطنية . . ، والبطش بتطلعات التحرر والاستقلال .

٣ - وتبرر المملكة المتحدة عدوانها على مصـر بالرغبة فى دعم القناة ، وتحطيم الرئيس عبد الناصر ، فينتهى ذلك العدوان بتحطيم القناة ، ودعم عبد الناصر الذى تحول

بفضل هذه الحرب إلى زعيم دولى ، تدين له شرائح عريضة من الرأى العالمى بالتأييد والإعجاب .

هل كان العدوان الانجلو فرنسى مفاجئاً لمصر ؟

لقد ظل الرئيس عبد الناصر يستبعد قيام المملكة المتحدة أو فرنسا بشن عدوان على مصر ، رغم توالى المعلومات من مختلف المصادر ، التى يؤكد بعضها قرب وقوعه ، بينما يحذر البعض الآخر من احتمال وقوعه .

فالملحق العسكرى بفرنسا ، ثروت عكاشة ، حصل على خطة تحركات القوات الفرنسية ، قبل وقوع العدوان بعشرة أيام ، وأرسلها إلى الرئيس عبد الناصر بخطاب خاص مع الملحق الصحفى بالسفارة عبد الرحمن صادق، قام بتسليمها يداً بيد للرئيس [1] .

وكذا الملحق العسكرى بتركيا زكريا العادلى إمام ، الذى حصل على معلومات مؤكدة عن العدوان ، وتفصيلات الحشد الأنجلوفرنسى بجزيرة قبرص ، بل وفى إسرائيل أيضاً ، وذلك عن طريق بعض الأتراك الذى جندهم لهذا الغرض ، وقد أرسل تلك المعلومات الثمينة فى برقية شفرية يوم ٦ أكتوبر ١٩٥٦ تقول : " ستوجه المملكة المتحدة وفرنسا إنذاراً نهائياً إلى مصر ، سوف يعقبه عدوان مشترك بالتعاون مع إسرائيل ، وذلك فى منتصف نوفمبر " .

ولقد كنت شاهداً فى جلسة عتاب صاخبة بين زكريا العادلى إمام ، وتوفيق عبد الفتاح مدير مكتب اللواء محمد عبد الحكيم عامر فى أعقاب العدوان ، وذلك فى صباح يوم ٢٢ نوفمبر ١٩٥٦ ، وكان توفيق عبد الفتاح يعتذر لزكريا بأن بلاغاته لم تأخذ الاهتمام الجدير بها [2] .

ثم تبعها برسالة سرية أخرى ، قدم فيها موعد العدوان ، وكان نصها كالآتى :
" رغم أن المعلومات المتوفرة لدىّ تشير إلى أن العدوان سوف يقع فى منتصف نوفمبر ، إلا أن الظواهر تدل على أنه سوف يكون قبل نهاية أكتوبر " .

وقد أرسل تلك الرسالة السرية مع الملحق الإدارى بالسفارة ، الذى توجه للقاهرة ، وسلمها إلى المخابرات الحربية المصرية ، التى ردت عليه بأنه الملحق العسكرى الوحيد الذى أبلغها بهذه المعلومات !

ولما استشعر زكريا العادلى إمام الخطر مع عـدم الاقتناع بما أرسله من معلومات ، توجه بنفسه إلى القاهرة يوم ١٩ أكتوبر ، ليبلغ عن أمرين :

* إن إسرائيل أعدت ودربت شخصاً من عائلة الحوت لاغتيال الرئيس عبد الناصر .

* إن العدوان الأنجلوفرنسى مؤكد ووشيك الوقوع .

وقد أبلغ زكريا هـذه المعلومات للواء عبد الحكيم عامر القائد العام للـقوات المسلحة ، الذى لم يظهر الاهتمام الجدير بها ، ولما ألحّ زكريا فـى طلب مقابلة الرئيس عبد الناصر لم تتح له الفرصة ، فعاد كسير الخاطر إلى محل عمله بـإسطنبول يوم ٢٧ أكتـوبر ، ليجيش صدره باللوعة مساء ٢٩ عندما وقع العدوان الذى حذّر منه [٣] .

هذا عن المصادر المصرية ، أمـا الشواهد الأجنبية فقد كانت كثيـرة ، ومنها تصريحات أنتونى إيدن بمجلس العموم البريطانى ، التى كانت تشير بوضوح إلى عزمه على اتخاذ عمل ضخم ضد مصر ؛ لضمان حقوق المملكة المتحدة .

كما أكد روبرت منـزيس فى مقابلته للرئيـس عبد الناصر بمنزله بالقـاهرة ، بعد مؤتمر لندن الأول فى ٣ سبتمبر ١٩٥٦ " أن المؤتمر لم يستبعد استعمال القوة ضد مصر . ".

أما التصريحات التـى كانت تصدر من لندن وباريس مغلّفة بنبـرة تهديد سافر لمصر ، فكانت من الكثرة بحيث لم يكـــن يصـــح إهمالها ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر ، ما أعلنتـه لندن يوم ٣٠ اغسطس رسـمياً عن نقل قوات فرنـسية إلى قبرص لتعـزيز القوات البريطانية بالجزيرة ، ولكى تكون الدولتان على أهبة الاستعداد لطوارئ أزمة السويس [٤] .

حنكة سياسية وشطط عسكرى :

على خلاف الجـانب السياسى الذى مـارسته إدارة مصر مثـلاً يحتذى للحنـكة والمهارة وضبط النفس ، بما حقق لها نصراً سياسـياً ضخماً ، وترك أطراف العدوان يقبضون الرياح فى ختام القتال .. فإن الجانب العسكرى ومـا تضمنه من إدارة المعارك على الجانب المصرى بأوجهها المختلفـة وقع فى أخطاء كثيرة ، وعثرات عديدة شكلت مجـالاً واسعاً للنقد ، بما دفع القيادة العسكرية العليا إلى إسدال ستار من الكتمان عليها ، وحجبها خلف ذلك النصر السيـاسى الذى عمدت إلـــى استثمـار نتائجه لصالح الأداء العسكرى بغير وجه حق .

ويأتى على رأس قـائمة تلك الأخطاء العسكـرية فى المجال البرى ، كثرة تغـيير أماكن الوحدات والتشكيلات بما أرهق أفرادها وأضر بأسلـحتها ومعداتها ، بالإضافة إلى الميل إلى تفتيتـها ، ثم نشر أجزائها فـى أرجاء المسرح ، بما يحرمهـا من ميزة العمل فى قـوة قتالية واحدة ، يمكـنها من إبراز كامـل كفاءتها الميـدانية على أفضـل الصور ، فضلاً عن تحـقيق التعاون الوثيـق بين مختلف أجزاء تلك القوة ، بفـضل سابق معرفتها ببعضـها البعض من واقع العمل المشترك معاً فى التدريبات والمناورات السابقة .

وفيما يختص بأوامـر الانسحاب التى أصدرتها القيادة العامة ؛ لـسرعة إخلاء سيناء من القوات المصرية . . فعلى قـدر ما كانت ضرورية من وجهة النظر الإستراتيجـية لتجنب قطع مؤخرة تلك القوات بالغزو الأنجلوفرنسى الوشيك ، بقدر ما كانت مجافية من ناحية التكتيك للأسلوب الميدانى المعتمد .

فالإنسحاب الناجح يتم وفق خطة لا تهمل الروح التعرضية كلية ، وتحرص على تكبيد العدو أكبر قدر من الخسـائر ، مع استنفاد جهده ووقته بالهجمـات المضادة المفاجئة ، وبزرع الألغام والشراك الخداعية والكمائن فى طريقه ، وبـتدمير وقفل المضايق والمحاور التى تخترق سلاسل الجبـال والتلال ، وبالمؤخرات الجـسورة التى تنهـك العدو ، وتوقع به الخـسائر ، وتعطله أطول المدد الزمنيـــة الممكنة ، وقد أهمل أمر الانسحاب الذى صدر لقوات سيناء ليلة ٣١ أكتوبر كل ذلك ، كما اتبعت تلك القوات أسلوباً أقرب إلى التقهقر غير المنظم ، الذى لا علاقة له بشكل معـركة التخلص من القتال المعتمد فـى كافة مدارس الحرب ، والذى يتم على وثبات متتالية للخلف .

أما عن المجال الجوى . . فقد كان تحطيم الطـائرات المصرية ، وهى جاثمة على الأرض دافعاً إلى عقد الدراســات المخلصة لاستخلاص الخبرة والخروج بالدروس المسـتفادة التى تمنع تكرار هذا الحـدث الجلل مرة أخرى . فلمـا لم تأخذ هذه التجـربة المريرة حقها مـن اهتمام المسؤولين ، تكرر وقوعها وبصورة أشد إيلاماً وأسرع زمناً فى مستهل الجولة التالية .

ولقد ترتب علـى هذا المسلك الذى حاولت الزعامـة السياسية المصرية التـدخل لمعالجة بعض أسبابه دون طـائل ، ومنها تغيير القـــادة العسكريين الذين أظهـروا فشلهم فى إدارة القتــال - أن استفحلت الأخـطاء على مدى السـنوات التاليـة ، حتى ظهرت علـى الملأ فى صورتها القبيحة يوم الخامس من يونيو ١٩٦٧ ، وما تلاه من أيام غبراء .

ويأتـى علـى رأس تحليـل نتائج حـرب العدوان الثلاثى على مصر الآتى بعد :

١ - أن هذا العـدوان أثبت بجلاء أن الـتدخل المباشر بـالقوات المسلـحة ضد الإرادة الوطنية للدول النامية ، لم يعد له محـل فى عالم اليوم ، فضلاً عما ينطوى عليه من مخاطر لا تؤمن عواقبها ، الأمر الذى يجعـل استراتيجية الاقتراب غير المباشر فى مثل تلك الأزمات ، هى الأقرب للنجاح .

٢ - وقد تـرتب علـى ذلك أن استـفحـل دور مناورات إثـارة الأزمات والانقـلابات الداخليـة ، وإشعال الحروب التخـريبية والأيديولوجـية والمعنوية والاقـتصادية ، والانفجار من الداخل ، حـتى أصبحت هى السمة السائدة فـى الصراعات المحلية والإقليمية ، بعد حرب العدوان الثلاثى على مصر ، وكدرس مستفاد منها .

٣ - ونتيجة لما سبق .. تحول الاستعمار الاحتلالى إلى إمبريالية احتكارية ، لا تحتل أرضاً ولا تبنى معسكـرات برية أو قواعد جوية أو موانى حربية لتفـرض هيمنتها على ضحاياها من الدول الصغيرة ، بل صارت تـسيطر على مواردها الطبيعية ، ، وتحتكر ثرواتها الوطنية ، وتتحكـم فى اقتصادها عن طريق البنوك ذات الفروع عبر القارات ، والـشركات متعددة الجنسيـة ، والمؤسسات عبر البحـار التى باتت تشكـل كـلهـا مجـالاً رحبـاً ؛ لانتهـاب خيـرات الشعـوب واستـلاب مـوارد الـدول الـصغيـرة التـى لا تملك تـرسانـات نوويـة ، ولا أسـلحـة حـرب الفضـاء .

ذرائع سريعة العطب :

قامت حبكة مخطط التواطؤ الثلاثى على ذريعة مهترئة ، وفرتها إسرائيل لحليفتيها كيما يبررا تدخلهما بالقوات الأنجلوفرنسيـة المسلحة ، وبذلك اندرج هذا العدوان فى قوائم حروب الذرائع . ورغم ما تجمع للاسـتعمار الأنجلوفرنسى من خبرة واسعة سابـقة فى أساليب خلق وافتعال مثل تـلك الذرائع ، ومنها ذريعة الصفعـة الشهيرة التى كالها داى الجزائـر للفرنسى الوقح الذى تجاوز معه حدود الأدب ؛ فاتخذتها حكـومة فرنسا سبباً لاحتلال الجزائر ، وكذا ذريعـة المالطى وتـلك المشـاجرة التـى حدثت بيـنه وبين صـاحب الحمـار فى الإسكنـدرية لاختلافهما على الأجرة ، التى كانت سبباً فى إحتلال مصر عام ١٨٨٢ ، فإن ذريعة عدوان

١٩٥٦ جاءت شديدة التهافت هذه المرة ، ثم راحت تتغير وتتبدل ، كلما انكشف أمرها ، حتى حولت تراجيديا العدوان إلى كوميديا هزلية ، طبعت بسمة السخرية على شفاه العالم ، وأثبتت أن الذرائع بضاعة سريعة العطب ٠

ولقد توالت تلك الذرائع على النحو التالى :

١ - تفتق ذهن أطراف التواطؤ الثلاثى عن أول ذريعة فى شكل "حجة الفصل بين المتحاربين ، على مقربة من قناة السويس ؛ حرصاً على سلامتها واستمرار قوافل الملاحة فيها " . إلا أن بُعد القتال الدائر على مسافة تزيد عن ٦٠ كيلومتراً من ضفة القناة الشرقية ، كان يكفى وحده لهدم تلك الذريعة وتعريتها من أية مصداقية ٠

٢ - وبمجرد سقوطها تدارك رئيس وزراء المملكة المتحدة الأمر ، فوقف يعلن فى مجلس العموم أن حكومته وحكومة فرنسا اضطرتا للتدخل بهدف حماية أرواح الرعايا الأجانب ، وسلامة السفن التى تعبر قناة السويس ." ولما كانت ذريعة حماية أرواح الأجانب قد استنفدت أغراضها من زمن بعيد .. فقد سخر العالم من عودة إيدن إلى استخدامها . كما أن السفن التى عبرت القناة بسلام خلال هذا اليوم ، بلغ عددها ٥١ سفينة لم يكن بينها واحدة بريطانية أو فرنسية !

٣ - وعندما وقف العالم كله ضد التدخل الأنجلوفرنسى .. خرج إيدن ومموليه بالذريعة الثالثة ، فأعلنا عن تطوعهما نيابة عن الدول المحبة للسلام ؛ لإيقاف الحرب المشتعلة بين مصر وإسرائيل ، وفات عليهما أنهما يشعلان بذلك حرباً ثانية ليوقفا الحرب الأولى ، وهو ما يخالف المنطق السليم ٠

٤ - ثم بدت نغمة جديدة فى اليوم الذى تلى ضرب مصر بالطائرات الأنجلوفرنسية ؛ إذ زعم إيدن ومموليه أن تدخلهما يهدف إلى فرض تسوية نهائية للأزمة العربية الصهيونية ، التى طال بها العهد حتى أزمنت ، علاوة على حل مشكلة قناة السويس بما يحفظ لكافة المصالح حقوقها القانونية . إلا أن هذه الذريعة الرابعة فإتها أن تسوق المبرر لضرب مصر وتدمير منشئاتها ، واحتلال جزء من أرضها لتحقيق تلك المزاعم المكشوفة ٠

٥ - وبينما كانت الطائرات الأنجلوفرنسية تدك مصر المنهمكة فى صد عدوان إسرائيل على أرضها ، خرجت الذريعة الخامسة ، تؤكد رغبة لندن وباريس فى تدارك المشكلة ، قبل أن ينطلق جيش إسرائيل فى أعماق المسرح طولاً وعرضاً . . . فلما تساءلت القاهرة عمن أعطاهما هذا الحق ؟ لم يحر إيدن أو موليه جواباً .

٦ - ومع تصاعد حدة المناقشات فى قاعات الأمم المتحدة - بما دفع تل أبيب إلى الرضوخ لضغط الرأى العام العالمى - إنتهت صلاحية الذريعة الأنجلوفرنسية بالرغبة فى الفصل بين المتحاربين ، ولم يعد هناك سبب لغزو بورسعيد صباح الغد ، إلا أن الجعبة لم تكن قد نضبت بعد من الذرائع ؛ إذ خرج إيدن وموليه على العالم بإعلان جديد بأن الغزو البحرى الوشيك يهدف إلى ملء الفراغ فى الشرق الأوسط ، لحين وصول قوات الأمم المتحدة ، التى يعمل السكرتير العام على تكوينها فى تلك الساعات .

٧ - فلما إن نزلت قوات الغزو بساحل بورسعيد ، أصبحت الذريعة حث إسرائيل على الانسحاب من سيناء ! وقد جاءت هذه المرة مغرقة فى السذاجة فى زعمها أن احتلال جزء جديد من أرض مصر ، هو لحث معتدٍ آخر على النزوح عن جزء سبق احتلاله .

٨ - ولما توقف القتال وفشلت الذرائع السبع السابقة فى إقناع أحد ، عثرت الدولتان على ذريعة ثامنة ، هى الرغبة فى القضاء على محور موسكو - القاهرة ، إلا أن المعلقين السياسيين سرعان ما أكدوا لهما أن هذا الغزو البحرى زاد العلاقات المصرية السوفيتية قوة وارتباطاً .

٩ - ثم ختم إيدن وموليه ذرائعهما بالزعم بأن عدوانهما كان له الفضل فى تنشيط الأمم المتحدة ، على حين كانت المملكة المتحدة وفرنسا أشد الدول عرقلة لمساعى الأمم المتحدة لحل الأزمة ، كما كانتا الدولتين الوحيدتين اللتين استخدمتا الفيتو مرتين متتاليتين لهذا الغرض ؛ مما دفع أعضاء الأمم المتحدة التسع والتسعين إلى نقل القضية إلى الجمعية العمومية ؛ حيث لا يحق لأحد أن يستخدم الفيتو فى عرقلة الإجراءات .

الحنكة السياسية تسبب ورطة عسكرية :

فرضت الحبكة السياسية للعدوان الأنجلوفرنسى على جهاز التخطيط العسكرى أن يوجه الغزو البحرى إلى ساحل بورسعيد . وكانت تلك هى المرة الأولى التى ينتخب فيها رأس شاطئ ، ليس له مخرج سوى عنق زجاجة بالغ الطول قليل العرض ، بما جعل القوات المكلفة بالإنطلاق من خلالها ، نحو الإسماعيلية والسويس ، تقع فى ربكة شديدة لم ينقذها إلا قبول حكومتا المملكة المتحدة وفرنسا إيقاف إطلاق النار، بعد منتصف ليلة ٦/٧ نوفمبر.

وكان الجنرال ستوكويل قد اعترض على انتخاب شاطئ بورسعيد لعملية الغزو البحرى بقوله : " إنه أسوأ مكان لعملية غزو ، فلا هو يصلح للهجوم ، ولا للدفاع . " (٥) .

أما القائد العام الجنرال تشارلز كيتلى .. فقد شبهه " بعنق الزجاجة الطويل ، الذى يتعين على المرء أن يحشر فيه يده ؛ ليغترف ما فى بطن الزجاجة من رحيق "

وعلى حين اجتمعت كلمة العسكريين الأنجلوفرنسيين على تفضيل ساحل غرب الأسكندرية لشن العملية نظراً لأنه الأكثر مناسبة ، والأقرب إلى القاهرة ، والأفضل لتحقيق هدف الغزو .. إلا أن النزول فيه كان يتعارض مع مزاعم الذريعة التى سوف تسقط للتو إذا ما نزل الغزو بغير ساحل بورسعيد ، وهو ما دفع السياسيون إلى الإصرار عليه ليلقوا بقوات الغزو فى ورطتين : ورطة القتال فى المناطق المبنية ، وورطة الدخول فى عنق الزجاجة جنوب بورسعيد .

ومع التسليم بأن الخطط الحربية يجب أن تنصاع للقرار السياسى بحكم أن الحرب امتداد للصراع السياسى بوسائل أخرى .. فإنه يتعين على الزعامة السياسية بالمقابل ألا تورط القيادة العسكرية فى وضع يتعارض مع المنطق العسكرى ، أو يعرض قواتها المقاتلة لمواقف شديدة التعقيد ، على نحو ما واجهته القيادة المشتركة للعملية موسكتيرالمعدلة النهائية ، عندما فرضت عليها قيادتها السياسية رأس شاطئ بورسعيد ؛ لتنفيذ عملية الغزو البحرى رغم اعتراض جميع القادة العسكريين عليه ، والتركيز على غرب الإسكندرية بوصفه الأفضل والأضمن لنجاح الغزو بأقل تكلفة وأسرع وقت .

ولقد أثارت تلك الاختلافات فى الرأى بين السياسيين والعسكريين جدلاً حاداً ، لايزال يتردد صداه داخل مؤسسات الأمن الوطنى ، ومراكز اتخاذ القرارات ، عما إذا كان على العسكريين الطاعة العمياء ، وأن ينزلوا على وجهة النظر السياسية مهما كانت خطأ من

وجهة نظر فن الحرب ، أم أن من واجبهم أن يعترضوا عليها ، ويوضحوا مغبتها ، ثم يصروا على وجهة نظرهم ، حتى يقنعوا السياسيين بها أو يتنحوا هم عن القيادة .

المطرقة والبندقة

الاقتصاد فى المجهود أحد مبادئ الحرب التسعة المعتمدة فى كافة المدارس العسكرية المعاصرة ، ومن أحكام هذا المبدأ الهام ألا تحاول كسر بندقة بمطرقة ضخمة ؛ حتى لا تستنفد جهداً أكبر مما تستحقه تلك البندقة ، التى سوف تُسحق تماماً فلا يبقى لها نفع .

لقد كان هيكل الدفاع عن ساحل ومدينة بورسعيد من الضعف وعدم الاستعداد بالقدر الذى لم يكن يستلزم من القيادة الأنجلوفرنسية كل تلك النيران والقوات الضخمة ، التى حشدتها لتستولى على رأس شاطئ فيه .

كما أن تلك القيادة وقعت بنزولها فى بورسعيد فى خطأ تعبوى كانت له عواقب تكتيكية خطيرة ، اضطرتها إلى القتال فى مناطق مبنية ، ثم حشد قواتها اللاحقة داخل شريحة أرضية ضيقة ليس لها إلا مخرج واحد ، عبارة عن عنق زجاجة يضيق فى بعض أجزائه ، حتى لا يتجاوز بضع أمتار وتحف به المياه من الجانبين ، قناة السويس شرقاً ، وترعة المياه العذبة ، وبحيرة المنزلة غرباً .

كشف حجم النيران التى وجهها العدوان الأنجلوفرنسى على مصر عن مقدار التخبط ، الذى وقع فيه أنتونى إيدن بين الأمل فى أن ينجح هذا القصف العنيف فى إثارة جماهير شعب مصر ضد زعامتها السياسية لتسقطها ، والخشية من أن تثير تلك الوحشية الدموية الرأى العام العالمى بدرجة أكثر حدة وإيجابية ، بما يفقد المملكة المتحدة وفرنسا احترام العالم .

والواقع أنه بعد أن نجحت الضربة الجوية الشاملة فى تحطيم الغطاء الجوى المصرى ، ثم تحطيم دفاعات ساحل الغزو المنتخب فى فترة التمهيد النيرانى التالية .. فإنه لم يعد هناك مبرر لاستمرار ذلك القصف الجوى العنيف طيلة الأيام السبعة ، فيما بين مساء ٣١ أكتوبر وصباح ٦ نوفمبر ١٩٥٦ ، إلا أن يكون القصد منه هو مجرد تغطية الفترة الزمنية التى استغرقتها رحلة أساطيل الغزو ، فيما بين موانى الإقلاع فى الجزائر ومالطة وقبرص ، وحتى الوصول إلى ساحل بورسعيد ، وهو مبرر يتعارض مع المنطق العسكرى والإنسانى السليم .

نقطة التحول :

لـقد شكل العدوان الإسرائيلى فى جولة خريف ١٩٥٦ ، نقطة التحول بالنسبة للقوات المسلـحة الإسرائيليـة من مستوى خوض الإغـارات الإنتقامية ، فـى ميادين القتـال إلى شن العمليات الحربية فى مسارح الحرب ، وكان وراء هذا التحول الكبير عدة مؤثرات نجملها فيما يلى :

١ - أن الزعامة السياسية الإسرائيلية ، بـعد أن أيقنت أن التواطؤ كان الصخرة التى تحطم عليها العدوان ، وأجبره على إعـادة كل ما إكتسبه . . عقدت العزم على أن تشن الجولة التالية بالقدرات القتالية الذاتية ، دون تواطؤ خارجى سافر .

٢ - أن القيادة العـسكرية الإسرائيليـة بذلت جهداً ضخماً فـى دراسة حرب العدوان الثلاثى من جميع جوانبها السياسيـة والعسكرية والاقتصادية والمعنوية ، وحصرت نقاط القوة والضعف ، كما أنها استغلـت الأشهر الأربعة التى ظلت تحتل خلالها شبه جـزيرة سيـناء حتـى مارس ١٩٥٧ فـى دراسة طبـوغرافيـة الأرض ، ورسم خرائطهـا ؛ توطئة لتطـبيق مأثورة « هنـى بعل » الشهيـرة : " دع الأرض تقاتل معك وتذود عنك " فى الجولة التالية .

٣ - إن تلك القيادة العـسكرية راجعت مستوى أداء ضباطهـا فى الميدان ، بدءاً بقادة الكتائب ، حتى قادة المناطق العسكرية الإسرائيلية ، فأنهت خدمات من ثبت عدم صلاحيتهم للقيادة الميدانية وهم لم يكونوا قلة ، وركزت اهتمامها على زيادة كفاءة من أثبت منهم قدرة عـالية على سرعة التصرف فى المواقف الصـعبة ، مع التحلى بالروح الهجـومية ، والقدرة على قيادة المجـموعات الكبيرة من الجـنود . وتكفى النظرة علـى قوائم قادة مجموعات العـمليات ، ثم قادة اللواءات فـى جولة صيف ١٩٦٧ ؛ لنجد أنهم كانوا أبرز قادة اللواءات والكتائب فى جولة خريف ١٩٥٦ .

٤ - وقد حقق جـيش الدفاع الإسرائيلـى بفضل تلك الجـهود نقطة التحـول سالفة الذكر ، التى كانت قد دفعت قائدين من أبرز أفـراد المؤسسة العسكرية الإسرائيلية إلى إبداء شكهمـا قبل عدوان خريف ١٩٥٦ ، فى أن يكون جيشـهما قادراً على تنفيذ خطة " قادش الهجومية " ، رغم ما سوف يقدمه التواطؤ الأنجلوفرنسى من

مساعدات ضخمة ، أبرزها تحقيق السيادة الجوية المطلقة فى سماء المسرح الصحراوى المكشوف فى شبه جزيرة سيناء :

(أ) فالجنرال ديان رئيس الأركان العامة إبّان جولة ١٩٥٦ ، يقول فى كتابه " يوميات معركة سيناء " الصفحة ٩٠ «إننا سندخل معركة سيناء ووراءنا عدد كبير من العمليات الانتقامية ، وصل فيها الجيش إلى مستوى قياسى فى القدرة والإستعداد بالوحدات الصغيرة ، فهل نحن مخطئون الأن فى توقعنا بأن جنودنا سوف يحققون فى العمليات الحربية القادمة مستوى قتال ممتاز مثل ما فعلوه فى العمليات الإنتقامية ؟ إننى آمل أن نستطيع أن نفعل ذلك . »

(ب) وهذا الألوف مشنيه عايزر وايزمان ، قائد قاعدة حاتسور الجوية يتساءل بدوره عن نفس الأمر ، ولكن بتعبير مختلف ؛ حيث يقول فى كتابه على أجنحة النسور : " لقد راودنى الشك فى قدرة جيشنا على إنجاز تلك المهام الضخمة ، فرحت أسائل نفسى : هل يحق لنا اعتماداً على ما أنجزناه عام ١٩٤٨ ، أن نطمئن على قدرتنا على فعل نفس الشئ مرة ثانية دون أن نضع فى اعتبارنا الظروف المعاكسة والقيود الشديدة ، التى كانت تكبل أيدى أعدائنا عام ١٩٤٨ ؟ "

أما الألوف حاييم لاسكوف قائد مجموعة العمليات ٧٧ ، التى هاجمت محور رفح العريش ، والذى خلف موشيه ديان فى منصب رئيس الأركان العامة سنة ١٩٥٨ ، فقد كتب نقداً عن حملة سيناء ، جاء فيه :

" إننا حاولنا بناء أسطورة حول جيش إسرائيل وفكرة أنه لا يهزم . وأردنا أن يكون لهذه الأسطورة تأثير ضخم على معنويات الجيش والشعب . وقد أضاف الجنرال ديان إلى ذلك دعاية شخصية لذاته ، على أساس أن وجود قائد له سمعة أسطورية ، هو جزء من أسطورة الجيش نفسه ، ولكن الخطر يجئ إذا صدقنا هذه المقولة ، وخلطنا بين الدعايات التى نروجها للآخرين ، وبين الحقائق التى يجب أن نضعها نصب أعيننا ."

١ - فخطة قادش التى وُضعت عام ١٩٥٥ لم تختبر فى أى مناورة عامة قبل تنفيذها فى أكتوبر ١٩٥٦ .

٢ - ولا ينبغى أن تؤخذ العملية مقياساً لكفاءة القيادات ؛ لأن رئيس الأركان العامة

دخل المعركة وهو يعلم سلفاً أن القوات الأنجلوفرنسية سوف تقوم بالدور الرئيسى فى الحرب ، بما أتاح لـه أن يتخذ موقفاً مريحاً يمكنه من الانتظار . ولهذا كان تأكيده على القادة المرؤوسين ألا يتورطوا فى قتال رئيسى مع جيش مصر ، قبل أن يحدث التدخل الأنجلوفرنسى .

٣ - وعلى سبيل التأكيد . . فإن الطيران الإسرائيلى ، لم يقم بشل فاعلية طيران مصر ، على نحو ما كان يتعين عليه فيما لو حاربت إسرائيل وحدها مصر .

٤ - ولقد تطلبت حبكة التواطؤ تغيير هدف العملية قادش ، قبل أيام من تنفيذها ليصبح " خلق حالة تهديد على مشارف قناة السويس ، تعرض الملاحة فيها لخطر التوقف . "

٥ - والواقع أن معارك جيش إسرائيل فى سيناء كانت محدودة جداً لعدة أسباب :

(أ) إن ستة لواءات كانت قد سحبت من القوات المصرية بسيناء فى نهاية عام ١٩٥٥ وأوائل ١٩٥٦ ؛ لكى يعاد تسليحها وتدريبها على العتاد السوفيتى .

(ب) بعد احتدام أزمة تأميم شركة قناة السويس ، وترجيح مصر بأن خطر الحرب قد تحول من ناحية إسرائيل إلى توقع غزواً أنجلوفرنسى وشيك ، قامت القيادة العامة المصرية بسحب كل قواتها من سيناء تقريباً باستثناء ست كتائب فى أم قطف والعريش ورفح وكتيبة سابعة فى شرم الشيخ .

(جـ) وقد دارت المعارك فى سيناء فى أم قطف بقيادة الألوف سمحونى حيث نجح العقيد سامى يس فى وقف هذا الهجوم لمدة طويلة ، وفى رفح حيث فعل العقيد جعفر العبد نفس الشئ ، وفى متلا حيث تعرض لواء شارون المظلى لمحنة حقيقية داخل الممر ، لم ينقذه منها إلا غارات الطائرات الفرنسية على المواقع الدفاعية المصرية .

٦ - وقد ختم لاسكوف نقده بالتحذير من أخذ حملة سيناء كدرس فى الأداء العسكرى الجيد للأسباب التالية :

(أ) إن رئيس الأركان العامة كان مشغولاً بالترتيبات السياسية وحبكة التواطؤ مع المملكة المتحدة وفرنسا ، أكثر من انشغاله بقيادة الجيش .

(ب) إن الخطة قادش لم تكن تثق بحلفائها الأنجلوفرنسيين ، وأنهم سوف ينفذون دورهم فى بروتوكول التواطؤ ، ولهذا فقد كان بن جوريون وديان على استعداد دائم للإعلان بأن العملية لا تعدو إغارة ضخمة على أوكار الفدائيين العرب بسيناء ، يتم بعدها الانسحاب داخل الحدود .

(جـ) إن البريطانيين حرصوا على إخفاء التواطؤ ، لدرجة قيامهم بإطلاق النار من إحدى طائراتهم على جنودنا ، الذين أسرعوا بتقديم المساعدة لطيار بريطانى أصابت المدفعية المصرية طائرته ، وأرغمتها على الهبوط .

(د) إن جو عدم الثقة وصل إلى درجة إيقاف إطلاق النيران . بواسطة الزعامة السياسية الإسرائيلية يوم ٤ نوفمبر ، قبل أن تنزل القوات الأنجلوفرنسية على شاطئ الغزو ببورسعيد ؛ مما سبب حرجاً بالغاً لإيدن وموليه حيث انتفت ذريعة عدوانهما التى زعمت الرغبة فى الفصل بين قوات إسرائيل ومصر .

(هـ) إن قوات إبراهام يوفيه دخلت شرم الشيخ - الهدف النهائى للحملة - بعد وقف إطلاق النار ، وبعد صدور أمر الانسحاب إلى العقيد رؤوف محفوظ زكى .

كما كتب البريجادير الأمريكى ستيوارت تقريراً عسكرياً للبنتاجون ، بوصفه الملحق العسكرى الأمريكى بتل أبيب ، جاء فى ديباجته " إن العيب الأساسى لحملة إسرائيل ضد سيناء كان سوء التنظيم والتخطيط ، بالإضافة إلى ضعف سيطرة القيادة العامة عليها ، والتى لم ترتفع إلى مستوى قيادة العمليات الحربية فى الجيوش العصرية ، بل كانت أقرب شبهاً إلى أسلوب حرب العصابات منه إلى أسلوب الحرب الحديثة . "

وعلاوة على ذلك .. فقد أغارت الطائرات الإسرائيلية على وحدات برية إسرائيلية ، واشتبكت وحدات برية إسرائيلية ضد بعضها فى أم قطف ، وفشلت لواءات إسرائيلية فى احتلال مواقع دفاعية مصرية قليلة العدد ضعيفة التجهيز، وكان التنسيق والتعاون بين القوات الإسرائيلية فى المحور الواحد بالغ الضعف .

وبقدر عنف النقد وتعدد مجالات الخطأ ، بقدر ما كان حرص المؤسسة العسكرية على معالجتها بكل جدية ، الأمر الذى استغرق منها نيف وعشر سنوات لتأتى الجولة الثالثة فى صيف عام ١٩٦٧ خالية من أغلبها ، إن لم يكن كلها .

كيف ادار اطراف التواطؤ الصراع :

اولاً : المملكة المتحدة :

لم يكن إيدن حتى نهاية عام ١٩٥٥ قد حدد بعد موقفه من الرئيس عبد الناصر ، كما كان يشعر بالمرارة لرد الفعل المصرى ، تجاه حلف بغداد ، وفى مطلع عام ١٩٥٦ ، جاءت الضربة التى فاقت مرارتها كل شئ بطرد الجنرال جلوب رئيس أركان الجيش الأردنى ، تلك الواقعة التى التقطها معارضو إيدن لمهاجمته ، بزعم أنه حتى فى مجال تخصصه وهو السياسة الخارجية ، بل وفى أخص مجالاته وهو الشرق الأوسط قد لحقته الهزيمة .

ويقول أنتونى ناتنج " لقد أمضيت معظم تلك الليلة - ليلة طرد جلوب - مع إيدن أحاول أن أحلل على أسس عقلانية تصرف الملك حسين بطرد الجنرال ، ولكن إيدن أصم أذنيه عن كل هذا ، ولم يعد فى ذهنه غير زعم واحد (إن هذا من فعل عبد الناصر) ... ومنذ تلك اللحظة حتى النهاية لم تعد الدنيا تتسع لكليهما معاً .. فأعلن إيدن حرباً شخصية على الرئيس عبد الناصر ... تلك الحرب التى بلغت ذروتها بمأساة السويس . بل إن إيدن ذهب إلى أبعد من ذلك ، فقرر أن يرتدى عباءة سلفه ونستون تشرشل ، فتخلى عن دور الدبلوماسى لكى يتقمص دور المحارب "

ومنذ طرد جلوب .. ظل إيدن عاجزاً عن أن يشن الحرب ضد عبد الناصر ، فكان عليه أن ينتظر حتى شهر يوليو ١٩٥٦ ، عندما قام جون فوستر دالاس بسحب عرض تمويل السد العالى . وسارع إيدن إلى الاقتداء بدالاس فأسقط عرض البنك الدولى لتمويل السد ، وكان رد عبد الناصر أن أمم شركة قناة السويس ، فظن إيدن أن الفرصة قد جاءته أخيراً .

وأعد إيدن خطته الحربية مع فرنسا لغزو مصر ... تلك الخطة التى عرفت بإسم "موسكيتير" ... ولكن عبد الناصر لم يعطه الفرصة التى يمكن أن يتخذها مبرراً وذريعة لتنفيذ تلك الخطة ... فلا الملاحة تعطلت فى القناة ، كما لم تتوقف فيها

سفينة واحدة ، على الرغم من أن السفن البريطانية والفرنسية وسفن بأعلام أخرى وتحت ضغط المملكة المتحدة وفرنسا ظلت تدفع رسوم المرور إلى الشركة القديمة ، وليس للهيئة المصرية ...

لم تتوقف أية سفينة ولم يحل دون أى واحدة منها والعبور فى القناة ، كما لم يقع الضررعلى أى من الرعايا البريطانيين فى منطقة القناة أو قاعدتها ، وبهذا أسقط فى يد إيدن الذى لم يجد مبرراً يتعلل به لتنفيذ خطته العسكرية ، ومن ثم أخذ يبحث عن وسائل أخرى للضغط على مصر .

ثانياً: فرنسا

كان جى موليه رئيس وزراء فرنسا مقتنعاً تماماً - مثل أنتونى إيدن - بأن الرئيس عبد الناصر وراء كل متاعبه فى العالم العربى كما كان تواقاً - مثل إيدن أيضاً - للالتجاء للحل العسكرى فى هذه الأزمة . ولذلك اقتنص فرصة تأميم مصر شركة قناة السويس ؛ ليتفق مع إسرائيل على شن عدوان على مصر ، ولكن سرعان ما برزت مشكلة كبيرة فى الإعداد للضربة العسكرية المشتركة ضد مصر ، إذ وضع بن جوريون شرطاً أساسياً وقاطعاً أن تدمر القوة الجوية المصرية فى مستهل العدوان ؛ حتى لا توقع الضرر بإسرائيل .

ولم تكن فرنسا تملك القدرة وحدها على القيام بهذا العمل .. ففرنسا لا تستطيع أن تضرب القواعد المصرية بالقنابل من القواعد الفرنسية البعيدة ، ويعنى ذلك ضرورة إشراك المملكة المتحدة فى العملية لقرب قواعدها فى قبرص من مصر . ولذلك أوفد إلى لندن يوم ١٤ أكتوبر ١٩٥٦ مبعوثين فرنسيين ، هما : المسيو جازيه وزير خارجية فرنسا بالنيابة والجنرال شال - ليضعا الأمر بين يدى إيدن ، ويعرضا عليه فكرة استخدام إسرائيل كذريعة لتبرير التدخل العسكرى الأنجلوفرنسى ضد مصر ، وهى الذريعة التى كان إيدن يتوق إليها منذ شهر يوليو .

وقبل يومين فقط من وصول المبعوثيين الفرنسيين إلى لندن ... كان سلوين لويد وزير خارجية المملكة المتحدة ، وكريستيان بينو وزير خارجية فرنسا قد توصلا فى نيويورك بحضور داج همر شولد السكرتير العام للأمم المتحدة إلى الخطوط العريضة ، لاتفاق مع الدكتور محمود فوزى وزيرخارجية مصر ، أطلق عليه اسم « النقاط الست » ، يعطى للمملكة المتحدة

وفرنسا - بصورة واقعية وعملية - كل ما يحتاجانه من الضمانات ، التى تؤكد أن قناة السويس ستظل تدار فى المستقبل وفق احتياجات الدول المستخدمة لها ، وأن هذه الخطوط العريضة للاتفاق سيجرى صياغتها والتوقيع عليها فى اجتماع ، يعقد فى جنيف يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ .

وقبل عودة سلوين لويد من نيويورك ، دعا إيدن وزارة الحرب - من الوزراء المتعاطفين مع ميوله - إلى اجتماع لدراسة الخطة الفرنسية . وحضر أنتونى ناتنج وزير الدولة البريطانى للشئون السياسية هذا الاجتماع .

ويصف ناتنج ما دار فى هذا الاجتماع ، فيقول : " لقد جادلت إيدن بعنف ، وعارضت هذه الخطة قائلاً إنها غير أخلاقية من الناحية السياسية ، وأنها خطة خرقاء تماماً عارية من التعقل ، فى الوقت الذى أصبح بين أيدينا اتفاقاً يكاد يكتمل . وقلت أيضاً إننا لا نستطيع أن نفلت من مغبتها بالتظاهر بأننا نرسل قواتنا ؛ لإيقاف حرب نحن أنفسنا قد أشعلناها ، ثم نضرب بقنابلنا المعتدى عليه بدلاً من أن نضرب المعتدى ؛ فننتهك بصورة فاضحة كل التزاماتنا الدولية ، وبالأخص تلك المعاهدة التى وقعتها بنفسى مع عبد الناصر منذ عامين .. ولقد حدث أن وصل سلوين لويد قبل نهاية الاجتماع - وعلى الرغم من أنه قد وافقنى فى البداية على وجهة نظرى .. إلا أن إيدن استطاع - فيما بعد - أن يدير رأسه ، وأخذ الاثنان بعد ظهرذلك اليوم طريقهما سوياً إلى باريس ؛ ليعلنا للفرنسيين موافقتنا على الخطة ، وأننا سننضم إليهم فى تنفيذها " .

العمل المشترك بين الولايات المتحدة والمملكة المتحدة (بان آلفا وأوميجا) :

أقدم إيدن فى نهاية عام ١٩٥٤ على مبادرتين فى الشرق الأوسط ، كانت إحداهما فى العلن وهى : تأييده لحلف بغداد ، والعمل على تدعيمه ، بينما احتفظ بالثانية فى الخفاء ، ولم يكشف عن وثائقها إلا حديثاً ، وتعرف بالاسم الرمزى " بان آلفا " وكانت نتيجة اقتراح من إيدن قدمه لدالاس .. لكى يعمل الاثنان سوياً فى جهد مشترك للوصول إلى تسوية نهائية للقضية الفلسطينية ..

وقد شكل لهذه الغاية فريق مشترك من المفاوضين البريطانيين والأمريكيين ، فكان السير إيفيلين تشاك العضو عن الجانب البريطانى ، والمسترفرانسيس رسل العضو الرئيسى

عن الجانب الأمريكى ، وقد خول الاثنان للعمل بمعزل عن وزارتى الخارجية الأمريكية والبريطانية ، كما كانت معظم الأجهزة الدبلوماسية العادية فى البلدين فى معزل عن هذه الخطة .

وكان الرئيس عبد الناصر فى نظرهما ، هو الشخصية القوية فى العالم العربى ، التى تستطيع أن توقع اتفاقية سلام دائم مع إسرائيل ، وأن تضمن لهذا السلام أن يبقى . ولكى يوفرا فرصة النجاح لخطة " بان آلفا " انصب اهتمام بريطانيا وأمريكا على تدعيم مركزه وتقويته سياسياً .

ولكن فى نفس الوقت ، كان إيدن متورطاً فى العلن فى مبادرة حلف بغداد ، بما يتعارض مع أهداف خطة " بان آلفا " ليس من الناحية النظرية فقط ، وإنما من الناحية العملية إيضاً ؛ إذ يترتب عليه إدخال العراق - بزعامة نورى السعيد - فى حلف دفاعى يهدد المصالح السياسية للرئيس عبد الناصر .

لقد ساعدت الولايات المتحدة كثيراً فى نجاح عقد اتفاقية الجلاء بين مصر والمملكة المتحدة ، رغم عدة أمور كانت تثير قلق الولايات المتحدة ، وعلى رأسها « باندونج » التى كانت بمثابة صدمة للسياسة الأمريكية بما فيها خطط مجموعة ألفا ، وقد تمثلت فى مقابلة الرئيس عبد الناصر لشوان لاى . أما الأمر الثانى . . فكان صفقة السلاح التشيكية التى قلبت موازين القوى فى المنطقة . . وبالرغم من ذلك . . فقد بذل إيدن جهوداً مضنية لإقناع الولايات المتحدة بضرورة تمويل السد العالى ؛ لأن المساعدة الغربية فى بنائه ستضمن ربط مصر اقتصادياً ، بالرغم من صفقة الأسلحة الشرقية ، وكذا إبعاد عبد الناصر عن الدب السوفيتى المتأهب للقفز إلى المنطقة . واستطاع إيدن أن يكسب دالاس إلى جانبه ، بل وإقناع أيزنهاور نفسه بذلك . يبقى الأمر الثالث ، وهو فشل مهمة أندرسون لعقد معاهدة صلح بين مصر وإسرائيل .

وبعد عزل الجنرال جلوب . . بدأت السياسة البريطانية تأخذ اتجاهاً جديداً ، بعد أن أكدت المخابرات البريطانية فى أول إبريل ١٩٥٦ أن جمال عبد الناصر يريد تحطيم إسرائيل نهائياً والسيطرة على العالم العربى كله ، وإنه لم يعد هناك أمل البتة فى استرجاع صداقة عبد الناصر للغرب . وقد أرسل هذا التقييم إلى آلان دالاس فى واشنطن عن طريق المخابرات المركزية الأمريكية فى لندن .

وخلال تلك الفترة حدث تطور هام ، وهو الاعتراف المصرى بالصين الشعبية ، فانتقل العمل فى كل من لندن وواشنطن من المجال السياسى إلى المخابرات ، التى طلبت فى إجتماع عمل مع مندوب المخابرات الأمريكية فى لندن ، ضرورة قتل عبد الناصر للخلاص منه .

فى هذا الوقت قامت الولايات المتحدة من جانبها بتأليف مجموعة إوميجا ، برئاسة السفير ريموند هير لحسم موضوع الرئيس عبد الناصر ، ولم يكن هناك حديث عن عقد صلح ، وإنما أصبح الموضوع هو الخلاص من عبد الناصر طبقاً لخطة أوميجا ، وإن اختلفت الوسائل . فبينما كان البريطانيون يحبذون الغزو .. كان الأمريكيون يفضلون الوقيعة بين الملك سعود والرئيس عبد الناصر ؛ توطئة لإحداث إنقلاب فى سوريا حتى تبقى مصر وحدها ... وفى تلك اللحظة سوف يسهل إسقاط الرئيس عبد الناصر .

ثالثاً: مصر

كان الرئيس عبد الناصر حريصاً قبل إعلان قرار التأميم على التحقق من حجم القوات الأنجلوفرنسية القريبة من مصر ، ودرجة استعدادها .. ولم يتخذ قراره إلا عندما تأكد أن حجمها غير كاف وأنها غير مستعدة للتدخل الفورى .

إلا أن الرئيس عبد الناصر وقع فى خطأين ، أولهما : تصوره أن العمل السياسى أسبوعا وراء أسبوع سوف يجهض فكرة التدخل المسلح ، وبذلك لم يدرك الحالة النفسية التى استبدت بالسير أنتونى إيدن ، والتى أدت فى النهاية إلى سقوطه ، وليس إلى سقوط عبد الناصر كما كان يأمل .

والخطأ الثانى : تصوره أن إيدن سوف يربأ بنفسه عن التواطؤ مع إسرائيل فى حملة عسكرية ضد مصر ؛ حتى لا يحرج أصدقاءه العرب ، ويتسبب فى تقلص النفوذ البريطانى فى المنطقة والإضرار بمصالحه . لكن إيدن تصرف على عكس ما تصور عبد الناصر ؛ فدفع الثمن غالياً حيث سقط وانزوى عن عالم السياسة ، كما دفعت المملكة المتحدة ثمناً غالياً ؛ إذ تحولت من قوة عظمى إلى دولة تابعة للولايات المتحدة

وقد حافظ الرئيس عبد الناصر على هدفه الإستراتيجى ، وهو المحافظة على قناة السويس ؛ فلم يسمح لأية عوامل تكتيكية أن تنال منه .أما هدفه التكتيكى فكان كسب

الوقت لتعبئة الرأى العام العالمى وتحريك موازين القوى لصالحه . وقد أحسن استغلال تناقضات الأطراف ، حتى ولو كانت مرحلية ؛ ليتجنب التدخل العسكرى . ولهذا لم يعترض على مؤتمر لندن الأول ، كما لم يعترض على مجئ بعثة منزيس إلى مصر أو ذهاب المملكة المتحدة وفرنسا إلى الأمم المتحدة ، وإنما استغل كل ذلك للمناورة ، وكسب الوقت ، وتعبئة الرأى العام ، وتحريك الموازين .

وكان عبدالناصر على استعداد لأن يناقش ، ويسمع ، ويبدى رأيه ، ويعقد الاتصالات المباشرة وغير المباشرة ، مع التجاوز عما هو تكتيكى ؛ ليحافظ على هدفه الإستراتيجى ؛ ولهذا سمح بمرور السفن التى لا تدفع الرسوم للهيئة المصرية ، شريطة أن تضاف رسوم مرورها على حساب شركاتها حين يجئ يوم الحساب . ولو أنه تعنت أو رفض أن تمر أية باخرة دون أن تدفع الرسوم ؛ لتسبب فى تعطيل حركة المرور فى القناة ، ولأعطى للمتربصين حجتهم . وتحت ظروف القتال . . فإنه رفض عملياً ومعنوياً أن ينساق إلى قرار بإعلان الحرب على المملكة المتحدة طبقاً لما تقضى به الأصول ؛ فلقد كان ينظر إلى ما بعد إنتهاء المعارك ، ويعرف أنه لا يستطيع أن يطبق على المملكة المتحدة ما يمكن تطبيقه على إسرائيل ، ومنع مرور بواخرها من قناة السويس طالما إستمرت حالة الحرب . وهكذا عالج الأمور بمرونة منذ البداية .

وحافظ الرئيس عبد الناصر على هدفه الإستراتيجى طوال الأزمة ، فمبجرد أن بدأت المعارك ، أصدر أمره بإغلاق قناة السويس حتى لا تتكرر تجربة أحمد عرابى عام ١٨٨٢ . وعندما حان وقت إيقاف تدفق النفط إلى الغرب كجزء من الصراع ، تحقق ذلك على أكمل وجه حينما قامت كل العناصر المؤيدة له على الساحة العربية بنسف خط الأنابيب الممتد من الخليج إلى البحر المتوسط عبر سوريا .

وبعد انتهاء العدوان أعلن تعهد مصر بضمان حرية الملاحة فى قناة السويس ، ولم يستطع أى طرف أن يجادله فى حق مصر فى إدارة قناتها ، حتى دول العدوان نفسها ، التى رضخت للإعلان المصرى ووافقت عليه فى نهاية الأمر .

ثم وجد الرئيس عبد الناصر الفرصة مواتية وملائمة ؛ لإلغاء اتفاقية سنة ١٩٥٤ مع المملكة المتحدة ، دون انتظار مرور الست سنوات التى تقضى نصوصها بها . كما أنهى ما اتفق عليه محمود فوزى من نقاط ست مع لويد وبينو وهمر شولد ؛ لأن المعتدين أنفسهم خرجوا على تلك النقاط .

وأحس الرئيس عبد الناصر بأبعاد التناقض بين المملكة المتحدة والولايات المتحدة ، وعلم إنه مجرد تناقض فى الوسائل وليس فى الأهداف ، ومع ذلك فقد بدا له من تناقض الوسائل ما يمكن استغلاله إلى أقصى درجة . كما رأى أن الإتحاد السوفيتى أمام منعطف مهم ، فإما أن يخرج نهائياً من عزلته التى أطل منها مجرد إطلالة على الشرق الأوسط بعد صفقة السلاح ، وإما أن يعود إلى عزلته القديمة . ورجح أن القيادة السوفيتية لن تترك الفرصة تفلت ؛ لتقفز فوق الحزام الشمالى وتؤيد حركات التحرر الوطنى فى العالم العربى . كما وجد عبد الناصر رصيداً كبيراً من الصداقات ، التى عقدها مع رجالات دولة من أمثال الرؤساء تيتو ونهرو وسكارنو، ثم استغل منابر الأمم المتحدة فى لحظة تاريخية مواتية.

النتائج الاقتصادية :

أولاً: آثار الحرب على اقتصاد المملكة المتحدة :

ويرى إيمرى هيور - عضو مجلس العموم البريطانى - أن هزيمة بلاده فى حرب السويس حمّلت الخزانة البريطانية عبئاً ثقيلاً ... فيقول : " ويدعونا العجب أن نتساءل : ألم يفكر ماكميلان بصفته وزيراً للمالية ومسئولاً عن الشئون المالية فيما يحتمل أن تؤدى إليه حرب السويس من عواقب ؟ ألم يكن من واجبه أن يحذر إيدن ووزارته من أن هذه المغامرة سوف تكون كارثة على بريطانيا ؟ لو أن ماكميلان بصفته وزيراً للمالية أشار - ولو من طرف خفى - إلى أنه سوف يستقيل لو واصلت الحكومة البريطانية استعداداتها للهجوم المسلح على مصر ، لتوقف كل شئ . "

ويحمّل إيمرى هيور ، ماكميلان مسؤولية تأييد حملة قناة السويس ، وما سببته من تدهور للاقتصاد البريطانى .. للحد الذى وصل بإيدن أن يبدى إستعداده لرهن التحف الفنية البريطانية للإنفاق على مغامرة السويس . بل إن الجنيه الإسترلينى قد أصيب بهزة عنيفة فى السوق الدولية ، ولولا دعم الولايات المتحدة للمملكة المتحدة بألف مليون دولار لإنهار الجنيه الإسترلينى .

وطبقاً لتقديرات حزب العمال لتكلفة الغزو البحرى الأنجلوفرنسى ، وما صرف عليه من خزينة المملكة المتحدة ، والمنشورة فى كتاب الشؤون الخارجية بالصفحة ٣ .. فقد بلغت

جملة الإنفاق فيما بين أكتوبر وديسمبر ١٩٥٦ ، ٢٣٤ مليون جنيه إسترليني ، فإذا ما أضيفت إليها هبوط الإنتاج الوطني وقيمة الأسلحة ، والمعدات بالقاعدة البريطانية بقناة السويس التي استولت عليها مصر كغنيمة حرب تصبح التكلفة الإجمالية للعدوان الأنجلوفرنسي على الخزانة البريطانية كالآتي :-

القوات البرية	٢,٤٧٦,٠٠٠ جنيه إسترليني
القوات البحرية	٣,٨٠٠,٠٠٠ " "
القوات الجوية	٨٥٠,٠٠٠ " "
قيمة الأسلحة والمعدات بمخازن القناة	٦٤,٠٠٠,٠٠٠ " "
ممتلكات بريطانية أخرى صارت مصادرتها	٥٠,٠٠٠,٠٠٠ " "
خسائر شركات النفط البريطانية	٩,٠٠٠,٠٠٠ " "
خسائر في الميزان التجاري بين المملكة المتحدة ومصر عام ١٩٥٦	٦,٠٠٠,٠٠٠ " "
و عام ١٩٥٧	٢٦,٠٠٠,٠٠٠ " "
و عام ١٩٥٨	١٦,٠٠٠,٠٠٠ جنيه إسترليني
زيادة تكلفة الواردات بسبب أزمة السويس	١٠٠,٠٠٠,٠٠٠ " "
المجموع الكلي	٣٢٨,٠٠٠,٠٠٠ جنيه إسترليني(*)

ثانياً آثار الحرب على الاقتصاد الفرنسي :

أما على الجانب الفرنسي .. فعقب حملة السويس ، قطعت الحكومة المصرية العلاقات التجارية والاقتصادية مع فرنسا ، وكان ذلك بمثابة ضربة قاضية للنشاط الفرنسي في مصر في المجالات التجارية والصناعية . وقدر مجموع الخسائر الفرنسية في القطاعين الصناعي والتجاري نحو ٤٠٠ مليار فرنك قديم ، أي نحو اربعة مليارات فرنك جديد . فقد وضعت الحكومة المصرية أربعة بنوك فرنسية كبرى ، هي : بنك الكريدي ليونيه ، والكونتوار ناسيونال دي باري ، والبنك العثماني ، والكريدي دوريان تحت الحراسة ، وكذلك شركة

الرهونـات المصرية وتسـع شركات فرنسـية للتأمين وفـروعها والمصالـح الفرنسيـة فى ثلاث مؤسسات للائتـمان العقارى ، والشركة العامة لـتكرير السكر ، ومعامل تـكرير البترول ، والشركة المصرية للبترول وثلاثة مصانع تعتمد على شركة الغاز السائل وغيرها .

وتشمل الخسائر أيضاً العقود الصناعية ، التـى فقدها الفرنسيون ، وهذه العقود تضمنها الاتفاق ، الذى وقّعته مصر وفرنسا فى مارس ١٩٥٤ ، وتشمل تكليف شركة كهرباء فرنسا القيام ببحـوث عامة لإنتاج واستخدام الطاقة الـكهربائية فى مصر ، وإنشاء مـصنع للأسمدة الأزوتـية فى أسوان ، وإنشاء شبـكة كهربائية فـى القاهرة . وقيمة هـذا العقد ٦٠٠ مليون فرنك - وإنشاء محطة كـهربائية فى شبرا وقيمة هذا العقد ٥٠ مليون فرنك ، وتوريد ٢٠٠ ألف من العوارض الخشبية اللازمة للأشغال البحرية ، وقيمة هذا العقد ٣٣٦ مليون فرنك ، وإنشاء خمسة خزانات للبترول ، سعة كل منها عشرة آلاف متر مكعب فى القاهرة ، وإنشاء عشرين قاطرة سكة حديد طراز باسيفيك لخط القاهرة - الإسكندرية ..... الخ .

ومهما يـكن من شأن هذه الخسائـر الفادحة .. فإنهـا لا تشمل غير ناحـية واحدة من القصة كلها . وقد بذلت جهود ضخمة فيمـا بعد ؛ للتخفيف من آثارها ، أسفرت عن عقد اتفاقية فى زيوريخ يوم ٢٢ أغسطس ١٩٥٨ ؛ لإعادة العلاقات الاقتصادية والمالية والثقافية بين فرنسا ومصر إلى حالتـها الطبيعية ، ولكن ذلك حدث بعد مضى شـهر من عقد تسوية بين الحكومة المصرية ، وبين الشركة العالمية لقـناة السويس .. وبعد مضى شهر أيضاً من تولى حكومة جديدة شئون الحـكم فى فرنسا . وقد نصت اتفاقية زيوريـخ - بصفة خاصة - على إنهـاء التدابير الخاصة التـى اتخذت ضد الرعايا الـفرنسيين فى مصر ، ورفـع الحراسة عن ممتلكاتهم ، وإعادتها إليهم ، أو دفع قيمتها لهم .

ثالثاً: آثار الحرب على الاقتصاد المصرى :

انتعاش قناة السويس :

نجحت مصر فى إدارة قناة السويس ؛ إذ ارتفع مجموع حمولة السفن الـتى تعبر القنـاة يوميـاً من ٣٩٣,٠٠٠ طن عام ١٩٥٧ إلى ٥١٢,٠٠٠ طن عام ١٩٦١ ، ثـم ظل هذا الرقم يزداد ارتفاعاً كـل يوم منذ ذلك التاريخ . كما وصلت الإيرادات السـنوية التى كانت ٣١ مليـوناً و١٠٠ ألف جنيه إستـرلينـى عام ١٩٥٥ إلى ٥٠ ملـيون و٤٠٠ ألف جنيه إسترلينى عام ١٩٦٠ ، وذلك دون إضافة أية زيادة على رسوم المرور فى القناة .

وأجريت تحسينات ضخمة فى القناة ، كما تم رفع نحو مائة مليون متر مكعب من الرمال من مجراها ، فتطورت القناة ، ونتج عن ذلك الانتقال من حالة عدم صلاحية لخدمة السفن التى لا يزيد عمق غاطسها على عشرة أمتار وواحد وخمسين سنتيمتراً ، لأن تصبح صالحة لمرور السفن التى يبلغ عمق غاطسها ١١,٢٧ متراً ثم ١٢,١٩ متراً ، كما اتسع سطح القناة حتى وصل عرضه إلى ٢٠٠ متر ، ولا يزال هذا الرقم فى ازدياد مطرد .

تمت كل تلك التحسينات بواسطة قروض ، حصلت عليها مصر من البنك الدولى ، وقد بلغ حجمها خلال الأعوام الستة التى تلت العدوان الثلاثى ثلاثة أمثال التحسينات ، التى قامت بها الشركة العالمية لقناة السويس خلال السبعين عاماً السابقة على التأميم .

تحرير الاقتصاد المصرى :

كما نتج عن العدوان الثلاثى على مصر أن تمكنت الحكومة المصرية من تحرير اقتصادها الوطنى ، بتمصير المؤسسات الأجنبية وفتح الأسواق التجارية مع آسيا ودول الكتلة الشرقية ، والتحرر الفعلى من سيطرة رأس المال الأجنبى .

وكذلك كانت للعدوان نتائج كبيرة على منطقة الشرق الأوسط ، تلخصت فى تدخل الولايات المتحدة فى الشئون الاقتصادية للمنطقة ، عن طريق تقديم الإعانات لبعض دولها ، بعد أن تقلص النفوذ الأنجلوفرنسى فيها ، كما بدأ الاتحاد السوفيتى يتسلل للمنطقة ، عن طريق المساعدات الاقتصادية والإنمائية لدول المنطقة ، وكذلك صفقات الأسلحة والمعدات الحربية .

وتلخصت نتائج العدوان الثلاثى فى المجال الاقتصادى ، فى خسارة دول العدوان اقتصادياً ، وتصدع الإنتاج العام فى أوروبا للافتقار إلى البترول ... بالإضافة إلى الإتجاه إلى إنشاء خطوط أنابيب جديدة بين الخليج العربى والبحر المتوسط عن طريق أراضى حلف بغداد ، وإتجاه المملكة المتحدة إلى خفض مصروفاتها ، والتوسع فى تجارتها مع الصين الشعبية ؛ مما ضاعف من حرج الولايات المتحدة وزاد قلقها .. وأنشئت السوق الأوربية المشتركة لدول غرب أوربا ، ونشطت محاولات استغلال الطاقة الذرية فى غرب أوروبا ؛ لتوليد القوى المحركة بأسرع مايمكن كمصدر بديل للنفط .

الخـــلاصـــة :

ترتب على العدوان الثلاثى أفول لنجم إمبراطوريـتين ، واهتزاز مكانتهما بين الرأى العام العالمى ، ثم نزولهما الواحدة تلو الآخرى إلى دولة من الـدرجة الثانية ، وفقد مستعمراتهما فى مختلف أنحاء العالم ، حتى لم يعد لهما منها شىء تقريباً .

وفى الوقت نفسة صـعد لنجم إمبريالية جديدة ، هى الولايات المتـحدة ، التى كانت قد نفضت عن نفسها سياسة العزلة فى بداية الحرب العالمية الثانية ، وراحت تتطلع إلى الفرصة المواتية لتخلف الاستعمار الأنجلوفرنسى ، لـولا أن استنفدت منها ورطتها فى الحرب الكورية الجهد الكثير ، الذى لم تستعيده إلا قبيل الـعدوان الثلاثى بقليل ، فكان أن انتهزت فرصته لتحقق أملها المعقود فى المنطقة ٠

لقد أرادت الولايات المـتحدة الأمريكية أن تحقـق فائدة مضاعفة من الـعدوان الثلاثى ، فبينما كانت تـؤيد فى الباطن - وبصورة أساسية - ضرب حركات التـحرر الوطنى والعمل على إضعافها ، فإنها وجدت فى هذا العدوان الأنجلوفرنسى فرصتها لترث الشرق الأوسط ، وتحقق الـسياسة التى رسمت خطتها منذ عام ١٩٤٣ . ويؤكد ذلك ما أذاعه الرئيس أيزنهاور عما كان يدور حول قناة السويس " بأن حكومته لا تعتبر استخدام العنف ضرباً من الذكاء ، فضلاً عن أنه لم يعـد الشكل المناسب لحل الأزمات الدولية . ثم ما تـقدمت به فى أعقاب اندحار العدوان الـثلاثى من مشروعات لملء الـفراغ المزعوم فى الشرق الأوسط ، ولـسنا فى حاجة لأن نقول " ملؤه بالهيمنة الأمريكية "

وبفضل العدوان الثلاثى ، نفض الاتحاد السوفيتى عنه أيضاً عزلة عهد ستالين ، وراح يمارس دوراً عالمياً بنشاط وإيجابية ، فقفز فوق الحـزام الشمالى لمنطقة الشرق الأوسط ليصل إلى قلبه ، وما يحيط بالقلب من مياه دافئة، كانت حلم القياصرة منذ عهد كاترين الثانية ٠

ونتيجة لذلك ، لم تعد المواجهة بين الولايـات المتحدة والاتحاد السوفيتى مجرد مناورات ساخنة وراء سـتار حديدى ومتاريـس أيديولوجية ، بـل تحولت إلى صراع ساخـن تنوعت أساليبه ، وتعددت منـاوراته ، واتسعت رقعته حتى شملت كل العالـم الثالث ، مع تركيز خاص على الشرق الأوسط نظراً لقيمته المكانية والسياسية والاقتصادية والفكرية ٠

وأثار الـعدوان الثـلاثى حركة تحـرير كبـرى فى القـارة الأفريقـية عبر عـنها هـارولد

ماكميلان، خليفة أنتونى إيدن فى رئاسة وزارة المملكة المتحدة فى خطابه الشهير الذى أسماه " رياح التغيير " بقوله : " لقد تمت تصفية الإمبراطورية البريطانية فى قارة إفريقيا بعد حرب السويس ، كما انتهجت المملكة المتحدة مع مطلع حقبة السبعينات إستراتيجية شرق السويس ."

وفى أمريكا اللاتينية ، ألهب العدوان الثلاثى حماس شعوبها ، وضرب لهم المثل العملى لما تستطيع إرادة الشعوب المتطلعة للحرية والاستقلال أن تحققه ، مهما كانت قدراتها العسكرية متواضعة بالمقارنة بالخصوم .

وكان هذا التأثير أشد ما يكون فى العالم العربى الذى وعا حقائق مصالحه وحتمية وحدته ومكامن قوته ودعائم أمنه القومى . ولم تكن الشعوب العربية فى أى عصر بعد الدولة الأيوبية، فى مثل هذا الوضع القريب من الوحدة الشاملة ، مثلما كانت عليه فى أعقاب العدوان الثلاثى على مصر .

وفى مصر ، تسبب العدوان الثلاثى فى وحدة جماهير الشعب والتفافها حول زعامتها السياسية ، وفى تركيز قدرات الدولة لترسيخ الاستقلال السياسى والاقتصادى والفكرى ، وفى التوحد مع العالم الذى تنتمى إليه .

وكان الشعب هو البطل الذى انبرى للاستعمار والصهيونية ، ونجح فى مواجهة جبروت من جثم على صدره ثلاثة أرباع القرن ، ولو تردد هذا الشعب ولو لحظة واحدة طوال الأيام العشر المصيرية فيما بين ٢٩ أكتوبر و٧ نوفمبر ١٩٥٦ ، أو أظهر ضعفاً أو اختلافاً ، لما كان هناك جدوى من صمود زعامته السياسية ، أو تماسك قواته المسلحة ،أو مؤازرة العالم الثالث له ، أو إنذار بولجانين لأطراف العدوان ، أو مؤازرة أيزنهاور له .

ومجمل القول إن ذلك العدوان ترك وراءه ست نتائج ، ذات أهمية بالغة تتلخص فى الآتى بعد :

١ - أنه رفع الرئيس عبد الناصر من مرتبة رئيس دولة نامية إلى مصاف زعماء العالم الثالث ذوى الكلمة المسموعة والمنزلة العالمية الرفيعة .

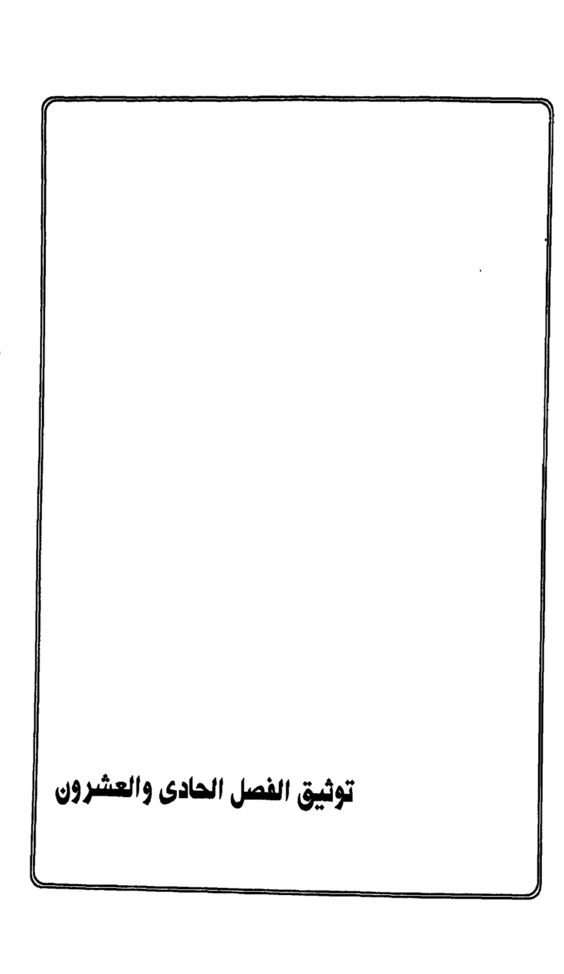
٢ - إنه أنهى - بغير عودة - دبلوماسية « مدفع البارجة » ، التى إستمر الاستعمار الأنجلو فرنسى يستخدمها مائة عام أو يزيد ؛ لقلب حكومات دول العالم الثالث وفرض إرادته عليها .

٣ - أنه أدخل تغييراً جذرياً ، على طبيعة العلاقات بين العالم القديم والعالم الحديث بما أجبر الدول العظمى والكبرى ، على التحول عن أسلوب السيطرة المباشرة إلى السيطرة غير المباشرة ، على مقدرات الشعوب النامية ٠

٤ - أنه أحيا فى العالم الثالث آمال العزة الوطنية والانتماء إلى نفس القضايا ، التى تربط بين دوله وشعوبه ؛ نتيجة وحدة مصالحها ووحدة مصادر الخطر عليها ٠

٥ - إنه أثبت أن مصر ليست أكبر دولة عربية فقط ، بل هى رأس الأمة العربية وضميرها الحى وعقلها المفكر ، وإنه بقيادة مصر ينتظم النضال العربى كله ٠

٦ - كما إنه أثبت أيضاً أن إسرائيل هى وكيلة للإمبريالية ، وعميلها الاحتكارى فى الوطن العربى ، وهى مخلب القط والصنيعة الجاهزة على الدوام لحماية مصالح الدول الاستعمارية فى الشرق الأوسط حتى ولو تطلب الأمر أن تشعل فيه الحروب بالوكالة عن تلك المصالح الاستعمارية ٠



توثيق الفصل الحادى والعشرون

(١) لقاء شخصى للبكباشى حسن البدرى بزكريا العادلى إمام ، بمكتب البكباشى توفيق عبد الفتاح ، بوزارة الحربية بكوبرى القبة ، صباح ٢٢ نوفمبر ١٩٥٦ .

(٢) أحمد حمروش : مصر والعسكريون ، الجزء الثانى (المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٧٥) ، ص ٩٩ - ١٠٠ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) المصدر السابق ، ملفات السويس ، ص ٤٩٥ .

(٥) Thom Hugh, The Suez Affair (Weidenfeld and Nicolson), p. 228.

خاتمة

تميزَّ العدوان الثلاثى على مصر بأنه الحرب التى كسبها سياسيًا أحد جانبيها المتضادين (مصر) ، بينما كسبها عسكريا الجانب الآخر (بريطانيا وفرنسا وإسرائيل) . وقد كان هذا العدوان نقطة تحوّل فى تاريخ منطقة الشرق الأوسط ، إذ أنهى قبضة الاستعمار الفرنسى البريطانى على المنطقة ، وفتح المجال أمام كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى للدخول فيها كقوتين عظميين ، يسعيان إلى أن يرثا المستعمرين السابقين ، ويحققا مصالحهما الذاتية فى هذه المنطقة ذات الأهمية الإستراتيجية البالغة ، بكنوزها المطمورة فى باطن أرضها ، وما يحيط بها من مياه دافئة ، فضلاً عن توسطها قلب الأرض (١) .

والواقع إن أزمة السويس التى أشعلت حرب العدوان الثلاثى على مصر ، قد تفجرّت يوم أقال الملك حسين الجنرال جون باجوت جلوب من منصب رئيس هيئة أركان حرب الفيلق العربى الأردنى فى مطلع شهر مارس ١٩٥٦ . وفى نفس هذا اليوم أعلن السير أنتونى إيدن رئيس الحكومة البريطانية حربًا شخصية على الرئيس جمال عبد الناصر ؛ لظنّه أنه اليد المحركة لما حدث بالأردن ، ثم راحت مشاعر العداوة والبغضاء تضطرم فى قلبه ، حين بلغت ذروتها عندما صرّح بأن العالم لم يعد يتسع له ولعبد الناصر ، وأن على أحدهما أن يتوارى (٢) ، وذلك عندما أمّم الرئيس عبد الناصر شركة قناة السويس فى ٢٦ يوليو ١٩٥٦ ؛ فحذّر السير إيدن دول غرب أوروبا بأن عبد الناصر أصبح يقبض على أعناقها ، وأن الموقف أصبح يتطلب القيام بعمل حاسم ضده (٣) .

وعندما بدأ العدوان الثلاثى على مصر ، سجّل التاريخ الدبلوماسى للنصف الثانى من القرن العشرين كدرس مستفاد منه أن السياسة ليست كعلم الحساب ، بل هى مفعمة بالخدع والحيل والمناورات التى يتطلب نجاحها مستوى رفيعًا من البراعة والإتقان ، وهو ما افتقرت إليه الخطّة السياسية الأنجلوفرنسية لإدارة الأزمة، فكان أن منيت بالفشل السياسى الذريع(٤) .

---

(١) The Geography of Warefare, Patric O'Sullivan et als., Groom Helm Ltd, Kent, 1983, p. 140.

(٢) وأيضا Warriors At Suez, Donald Neff, Amana Books, Brattleboro, Vermont, 1988, pp. 138–139.

(٣) The Sunday Times Weekly Review, 4 September 1956.

(٤) فخ السويس ، هنرى أزوو ، ترجمة محمود حسن إبراهيم ، القاهرة ، ١٩٦١ ، ص ٤٩٥ – ٤٩٦ .

ونتيجة لذلـك اعتبر العدوان الثلاثى نذيراً واقـعيًا لما ينتظره أمثاله من مـغامرات سيئة التحضير والـتنفيذ ، نظراً لما انتهى إلـيه العدوان من فشل سياسى ، كان مـن ضمن عواقبه سقوط حكومة إيدن قبل مضى شهرين على العـدوان ، ثم سقوط الجمهورية الفرنسية الرابعة فى منتصف عام ١٩٥٧ (١) .

كما لم يعد الـغرب بعد هذه المغامرة الفاشـلة ، التى انتهجت شريعـة الغاب وضربت بالقانون الدولى عـرض الحائط ، أهلاً لثقة أحد من دول العالم الثـالث الذى رفض مزاعمه بأنه يمثّل تطلعات بنى الإنسان إلى عالم تسوده العدالة وتحكمه قوانين الشرعية الدولية(٢) .

وبالمقابل ، استطاعت الولايات المتحدة والإتحاد السوفيتى بمناصرتها لضحية العدوان أن ينفذا إلى منطقة الشرق الأوسط التى كانت حلم القـياصرة بمياهها الدافئة ، مثلما هى مطمع الحكومة الأمريكية التى تطلّعت إلى وراثة مركز أوروبا الغربية فى المنطقة .

ولقد ترتّب علـى لنجاح مصر فى إدارة أزمة السويـس من الناحية السيـاسية ، أن إرتفع رصيدها من التقدير والإعجاب بين دول العالم الثـالث ، التى اتخذتها مثلاً يحتذى لما يمكن أن تفعله الشعوب المقهورة على أمرها ، عندما تـصر على تحرير رقبتها من قيود الاستعمار ، وتحرير إرادتهـا الوطنية ؛ إذ سرعان مـا اشتعلت حركات الـتحرُّر الوطنى فى مـعظم قارات العالم ، فعجّلت بسقوط النظم الحاكمة الممالئة للاستعمار العربى ، بدءاً بالعراق الذى خرج من حلف بغداد فحـرم الحلف من اسمه بما اضطر سدنته إلى أن يغـيروه إلى الحلف المركزى بعد أن انتقلت بغداد نفسها إلى المعسكر المضاد .

وكانت المحـصلة لكل ما سـبق ذكره ، أن جرى رسم كثـير من الملامح الجديـدة على الخريطة السياسية لـعالم ما بعد العدوان الثلاثى . فبالنسبة لمـصر كان هذا العدوان دافعًا لها إلى تركيـز جهودها ؛ لاستكمال اسـتقلالها الوطنى ، وتحـرير إرادتها ، وتنمية اقـتصادها وتمصيره ، مع التوحّد مع الـعالم الذى تنتمى إليه ، ويكن أغلب مشاعـر الإعجاب بوقفتها الصلدة فى وجه دولتين كبريين ، دون أن تبدى إزاءهما خشية أو تخاذلاً .

(١) Op.Cit., Warriors At Suez, p. 440.

وأيضاً The Origins of the 2nd Arab–Israeli War, Michael B. Oren, Franc Cass, London, 1992, p. 138.

(٢) Hammerskjold, Brian Urquhart, Bodley Head, London, 1972, pp. 159–160.

كما أنه بفضل هذه الوقفة الصلدة اكتشف شعب مصر مصادر قوته الذاتية وطاقاته الكامنة ، بما أقنع الدول الصغيرة بأنها تستطيع أن تواجه وتتحدى أعتى الإمبراطوريات ، وأن تتصدى لأشد المخاطر والتهديدات لتبلغ أمانيها الوطنية المتشددة .

فلو تردد شعب مصر أو أظهر تخاذلا فى مواجهة الزحف الإسرائيلى والغزو الأنجلوفرنسى ، لما كانت هناك جدوى من أى شىء ، لا من حنكة إدارة الأزمة بواسطة الزعامة السياسية المصرية ، ولا من تضامن شعوب وحكومات العرب ، ولا من تعاطف الشعوب الأفرواسيوية ، ولا من مؤازرة الأمم المتحدة ومجلس الأمن ، ولا من سياسة الولايات المتحدة المنحازة لوجهة نظر مصر ، ولا من الإنذار السوفيتى الذى أطلقه الرفيق بولجانين بعد أن كان العدوان يلفظ أنفاسه الأخيرة (١) .

وإلى جانب موقف مصر ، برز الموقف العربى فى أفضل صور تكاتفه ؛ لدعم وجهة نظر مصر ، وليؤكد قدرة العالم العربى على التأثير فى مجريات الأمور ، ووعية بحقائق إمكاناته السياسية والاقتصادية والعسكرية ، ويقينه بحتمية الوحدة العربية ، وضرورة الارتباط بالجماهير التى يعود إليها الفضل الحقيقى فيما تحقَّق من مكاسب ، وما نزل بالأعداء من هزائم وخسائر سياسية واقتصادية جسيمة (٢) .

أما فى الغرب .. فقد تسبَّب العدوان فى أفول نجم إمبراطوريتين استعماريتين كبيرتين؛ إذ تحولَّت بعده كل من إنجلترا وفرنسا إلى دولتين تجاريتين ، وانتهى عصرهما الإمبراطورى ، بينما صعد نجم قوة جديدة ، هى الولايات المتحدة الأمريكية التى برز دورهما إبَّان الحرب العالمية الثانية وما بعدها ، ثم أتاحت لها أزمة السويس مسرحًا جديدًا نفذت من خلاله إلى منطقة الشرق الأوسط وغيرها من المناطق المتوترة (٣) .

كما خرج الاتحاد السوفيتى بفضل العدوان الثلاثى من عزلة عصر جوزيف ستالين ليمارس دورًا نشطًا بعد أن تمكَّن من القفز عبر الحزام الشمالى إلى الشرق الأوسط ؛ ليصل

(١) المرجع السابق ، وثائق ندوة السويس ، ص ٣٤ .

(٢) No End of A Lesson, The Story of Suez, Antony Nutting, Constable, London, 1967, pp. 163–171.

(٣) حرب السويس ، الدكتور محمود فوزى ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٨٧ ، ص ١٢٥ .

إلى مياهه الدافئة . كما لم تعد المواجهة بينه وبين الولايات المتحدة الأمريكية تدور من وراء الستار الحديدى ومتاريس الكتلة الشرقية ، وإنما صارت صراعًا محتدمًا وشديد السخونة ، تلك السخونة التى أذابت ثلوج الحرب الباردة بوقائعها المتتالية التى تداخلت ديناميات‍ها وتنوّعت أهدافها وأساليبها ، فشملت العالم الثالث مع تركيز خاص على الشرق الأوسط والوطن العربى ، الذى أصبح المنطقة الحرجة فى المواجهة الاقتصادية والسياسية والإيديولوجية بين الكتلتين الغربية والشرقية .

أما بالنسبة لأطراف التواطؤ الثلاثى . . فقد كانت بريطانيا هى التى نزلت بها أفدح الخسائر إذ [1] :

١ - أثار التواطؤ جدلاً سياسيًا صاخبًا بين الأحزاب السياسية وطوائف الشعوب البريطانية ، انقسم بسببه الرأى العالمى إلى أقسام متناوئة أفسدت التجانس القومى ، وأشعلت نيران العداوة والبغضاء بين الجماهير ، ثم أسقطت حكومة انتونى إيدن فى شهر يناير ١٩٥٦.

٢ - فقدت بريطانيا احترام الرأى العام العالمى ، وأدانت الأمم المتحدة عدوانها على مصر ، وأجبرتها على ايقافه ، وسحب قواتها المسلحة من مسرحه .

٣ - خسرت بريطانيا قاعدتها العسكرية الضخمة بقناة السويس ، وكل ما كانت تحتوى عليه من أسلحة وعتاد وذخائر .

٤ - تدهور مركز بريطانيا السياسى والأدبى ، كما استحكمت أزمتها الاقتصادية بتدهور قيمة الجنيه الإسترلينى ، بالقدر الذى دفع الحكومة إلى الإلحاح على الولايات المتحدة لإقراضها مبلغًا ضخمًا لتنقذ به اقتصادها من الإفلاس .

٥ - زادت الأعباء المالية والإدارية على الجهاز الحكومى بالقدر ، الذى دفعه إلى تقليص وجوده فى منطقة الشرق الأوسط وجنوب آسيا ، فيما عرف بإسم « سياسة شرق السويس » .

وبالنسبة لفرنسا فقدت [2] :

(١) Suez 1956, Selwyn, Lloyed, Jonathan Cape, London, 1978, pp. 231–233.

(٢) Ibid pp. 231–233.

١ - فقدت ممتلكاتها ونفوذها فى مصر والعالم العربى بما اضطرها إلى الجلاء عن الجزائر وتونس ومراكش ، كما فقدت مستعمراتها فى أفريقيا بجلائها عن غرب أفريقيا الفرنسية ، وعن أفريقيا الاستوائية .

٢ - وسقطت الإمبراطورية الفرنسية الرابعة نتيجة الأحداث الدامية التى وقعت فى الجزائر ، وقيام عصبة من الجنرالات الفرنسيين بشق عصا الطاعة على الحكومة الشرعية ؛ مما ترتّب عليه عودة الجنرال ديجول لتولى السلطة فى الجمهورية الخامسة ، التى انتهجت سياسة منح المستعمرات الفرنسية استقلالها .

٣ - واضطرت فرنسا إلى البحث عن وسيلة جديدة للاحتفاظ باستقلال قرارها السياسى كدرس مستفاد من العدوان الذى نال من حريتها فى إدارة الأزمات وفق المصالح الوطنية الفرنسية . وهكذا ولدت قوة الضرب الفرنسية المستقلة ، التى دخلت بها فرنسا النادى النووى ، وهو نفس الدرس الذى استوعبته الصين بعدها ، فسعت بدورها إلى دخول هذا النادى ؛ لكى تصبح قوة عظمى مكتملة الأركان بإمكاناتها الذاتية .

أما بالنسبة لإسرائيل . . فقد أحدثت حرب الثلاثى على مصر تحولات مهمة فى سياستها الخارجية ؛ إذ سعت بدورها إلى زيادة ارتباطها بالولايات المتحدة ، وإلى ربط مصالحها الذاتية بتلك الدولة العظمى ، وقد كان ذلك بمثابة بدء ممارسة إسرائيل لدور الشرطى المحلى بالمنطقة . وهو نفس النموذج الذى تكرر فى بعض دول آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية بدعم من الولايات المتحدة ، وإن بقيت لإسرائيل المكانة المتميزة لكونها الشرطى النووى الأوحد بين أقرانها ، وذلك لأول مرة فى تاريخ هذا النوع من الشرطة .

كما خرجت إسرائيل بعدة مكاسب سياسية وعسكرية ، على رأسها الآتى :[١]

- هزيمة جيش مصر وتدمير جزء كبير من سلاحة الشرقى ، وما ترتب على ذلك من اكتساب قواتها المسلحة مكانة عسكرية عالمية ، رفعت من معنوياتها ومعنويات الشعب ، ووثقّت ارتباطات الجاليات اليهودية بدولة إسرائيل ، وزادت من تدفّق التبرعات والهبات المادية والعينية عليها .

(١) قصة السويس ، محمد حسنين هيكل ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، بيروت ، ١٩٨٣ .

٢ - نفذت إسرائيل إلى الترسانة الحربية الفرنسية ؛ حيث حصلت منها - وبشروط ميسَّرة - على طُرُزٍ من الطائرات النفاثة الأسرع من الصوت ، وأنواع متطورة من الدبابات والعربات المجنزرة ، علاوة على حصولها على مفاعل نووى فرنسى ، أهَّلها للدخول عضوًا فى النادى النووى الدولى .

٣ - حقَّقت إسرائيل حريَّة الملاحة فى خليج العقبة لسفنها الحربية والتجارية ، كما ربطت ميناء إيلات بالطرق البحرية التجارية العالمية (١) .

وفيما يتعلّق بآثار ونتائج حرب العدوان الثلاثى على المجال الدولى .. فقد كانت تلك الحرب بمثابة فصل الختام للحروب الاستعمارية ، ونهاية لدبلوماسية مدفع السفينة ، كما أنها أكدت استحالة اشتعال الحروب النووية ، انتهاج الدول لإستراتيجية الدمار الشامل المتبادل ؛ إذ كان العدوان الثلاثى هو لحظة اليقظة لعودة العالم إلى ممارسة إستراتيجية الرد المرن ، على نحو ما أكَّدته أحداث أزمة الصواريخ الكوبية ، التى حدثت بعد خمس سنوات من عدوان خريف ١٩٥٦ .

ولم تكن حرب العدوان الثلاثى علامة بارزة فحسب فى سجل حركات التحرر الأفريقى من ربقة الاستعمار ، بل كانت أيضًا المعول الذى حطَّم بقايا هياكل الإمبراطوريات الاستعمارية فى كثير من القارات .

وقد اقنعت الحرب غالبية الدول بأن التدخُّل المباشر والسافر ضد الآخرين ، ينطوى على مخاطر جسيمة ، بينما يستطيع العمل غير المباشر أن يحقق الأهداف المنشودة بتكلفة أقل وزمن أسرع ، الأمر الذى تسبَّب فى استفحال دور سياسات الانقلاب من الداخل ، وشن الحروب الاقتصادية والنفسية والتخريبية ، على نحو ما حدث بموزمبيق ونيكاراجوا ، وبكثير من الدول التى اكتوت بنيران تلك المؤامرات التى مزَّقت نسيجها الوطنى (٢) .

يبقى الطرف الذى وقع عليه العدوان - وهو مصر - التى استطاعت أن تحقَّق نصرًا

---

(١) Diary of the Sinai Campaign, Moshe Dayan, Da Copa Press, New York, 1966, p. 204.

(٢) ملفات السويس ، محمد حسنين هيكل ، مركز الأهرام للدراسات والنشر ، القاهرة ، ١٩٨٦ ، ص ٦٠٦ - ٦٠٧ .

سياسيًا ضخمًا بفضـل ما أبدته زعامتها السياسية من براعـة من إدارة الأزمة ، حجب الهزيمة العسـكرية التـى ترتَّبت علـى نجاح الضربة الجـوية الأنجلوفـرنسية ، مـن تحطيم الـطائرات والمطارات المصـرية ، خلال ليلة ٣١ أكتـوبر / ١ نوفمبر ١٩٥٦ ، والاستيـلاء على كل شبه جزيرة سيناء فـيما لـم يتجاوز الأسبوع ، ثم نـزول القوة الأنجلوفرنسية إلى شـاطئ بورسعيد دون مقاومة تذكر .

وقد ساعد الزعامـة السياسية المصرية على تحـقيق ذلك النصر السياسى الـعظيم ، وقفة شعب مصر صفًا واحدًا وراء زعامته ، وتضامن شـعوب العرب معه ، وتعاطف الرأى العام العالمى ، ومؤزارة الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأمريكيـة ، ودعم الأمم المتحدة لوجهة نظر مصر .

وساعـد ذلك الحكـــومة المصريـــة على تحقيق مزيد من المـكاسب ، التى كان أهمها الآتى [1] :

١ - إنهاء مشـكلة تأميم قنـاة السويس بما حفظ لمصـر كل حقوقها المشـروعة فى ذلك المرفق الحيوى والشريان البحرى المهم ، وفرض كامل هيمنة مصر عليه .

٢ - إلغاء المعاهـدة البريطانية المصريـة ، وتحطيم آخر الأغلال التى كانـت تقيِّد حرية مصر ، وتربطها بالاسـتعمار الغربى ، وتفقدها جزءًا من ملكـية ترابها الوطنى ؛ ليقيم عليه هذا الاستعمار قواعده العسكرية .

٣ - استيلاء مصر على القاعـدة العسكرية الـبريطانية على ضفتى قناة السويس ، بكل ما تحويه من أسلحة ومعدات وذخائر ضخمة .

٤ - تمصير الاقتصاد المصرى ، وإنهاء عهد الاحتكارات الأجنبية فى مصر .

٥ - تحرير الإرادة المصرية ، واستكمال مقومات الاستقلال الوطنى التام .

٦ - إعلاء شأن مصر إقلـيميًا ودوليًا ، وتبؤها مركز الصدارة عـن جدارة لريادة الوطن العربى على وجه الخصوص ، ودول العالم الثالث المتطلِّعة إلى الحرية والاستقلال على وجه العموم .

---

(١) حرب العدوان الثلاثى على مصر ، الجزء الرابع ، هـيئة البحوث العسكرية ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٢٤٦ - ٢٤٨ .

وأخيرًا .. فقد كان هذا النصر السياسى الذى حقَّقته مصر الباعث لجيل الخمسينات فى العالم العربى إلى حمل مسئولية الانتقال العظيم من عهد الاستعمار الإمبريالى والخضوع للسيطرة الأجنبية إلى عصر الاستقلال والتحرر الوطنى ، غير المقيّد بالمواثيق والمعاهدات التى تحد من حركته .

وكان جيل الخمسينات هذا هو الذى حمل مشعل النضال ؛ لتندفع خلفه أمة بأسرها فى مواجهة عارمة ورافضة لمناورات العمالقة ، فى عصر العمالقة ، ولتفرض تغييرات جذرية فى العلاقات الدولية ؛ لتبدأ بها صفحة جديدة من النظام الدولى ، فى عالم ما بعد العدوان الثلاثى على مصر .

ن . أ . بولجانين

مرفقات وملاحق

قرار رئيس الجمهورية رقم ٢٨٥ لسنة ١٩٥٦

باسم الأمة :

رئيس الجمهورية :

بعد الاطلاع على الفرمانين الصادرين فى ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٥٤ ، و ٥ يناير سنة ١٨٥٦ ، بشأن الامتياز الخاص بإدارة مرفق المرور بقناة السويس ، وبتأسيس شركة مساهمة مصرية للقيام عليه :

وعلى القانون رقم ١٢٩ لسنة ١٩٤٧ بشأن التزام المرافق العامة :

وعلى القانون رقم ٣١٧ لسنة ١٩٥٢ فى شأن عقد العمل الفردى :

وعلى القانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٥٤ بشأن شركات المساهمة ، وشركات التوصية بالأسهم ، والشركات ذات المسئولية المحدودة ، وعلى ما ارتآه مجلس الدولة :

أصدر القانون الآتى

مادة ١ – تؤمم الشركة العالمية لقناة السويس البحرية (شركة مساهمة مصرية ، وتنتقل إلى الدولة جميع مالها من أموال وحقوق ، وما عليها من التزامات ، وتحل جميع الهيئات واللجان القائمة حاليًا على إدارتها ، ويعوض المساهمون ، وحملة حصص التأسيس عما يملكون من أسهم وحصص بقيمتها مقدرة بحسب سعر الإقفال ، السابق على تاريخ العمل بهذا القانون فى بورصة الأوراق المالية بباريس ، ويتم دفع هذا التعويض بعد اتمام استلام الدولة لجميع أموال وممتلكات الشركة المؤسسة) .

مادة ٢ – يتولى إدارة مرفق المرور بقناة السويس هيئة مستقلة ، تكون لها الشخصية الاعتبارية ، وتلحق وزارة التجارة ، ويصدر بتشكيل هذه الهيئات ، وتحديد مكافآت أعضائها قرارًا من رئيس الجمهورية ، ويكون لها فى سبيل إدارة المرفق جميع السلطات اللازمة لهذا الغرض ، دون التقيد بالنظم والأوضاع الحكومية .

وصدر القرار التاريخى بتوحيد الجبهة
فى سعت ٢٢٠٠ يوم ٣١ اكتوبر ١٩٥٦

١ - ينقل المجهود الرئيسى للقوات المسلحة المصرية إلى غرب قناة السويس؛ للتمسك بالمنطقة بورسعيد - السويس - القاهرة؛ بحيث يتم ذلك قبل أول ضوء يوم ٢ نوفمبر .

٢ - تخلى القوات المسلحة المصرية من سيناء إخلاءً كاملاً إلى غرب القناة ، وتتخذ الإجراءات اللازمة لسحب القوات المسلحة فى قطاع غزة ورفح والعريش وشرم الشيخ ، والقوات الاحتياطى المدرع ، والاحتياطى المشاه للقيادة الشرقية .

٣ - تنتقل رئاسة الفرقة الرابعة المدرعة والمجموعة الثانية المدرعة إلى غرب القناة ، وتعمل كاحتياطى استراتيجى هناك .

٤ - تقتصر أعمال الدفاع الجوى على أعمال المدفعية المضادة للطائرات ، والدفاع الجوى السلبى .

٥ - تنقل الطائرات إلى المطارات الجنوبية ؛ توطئة لإقلاعها إلى قواعد صديقة خارج الجمهورية .

٦ - تقتصر أعمال القوات البحرية على تنظيم الدفاع عن الساحل ، والقيام بالدوريات ، والاستطلاع البحرى فى المياه الإقليمية .

٧ - تنظم قوة النضال الشعبى الموضوعة تحت قيادة الجبهات والمناطق العسكرية ، وتنسق أعمالها مع عمليات القوات المسلحة ، وتركز الجهود المشتركة للدفاع عن المدن والقرى إلى آخر طلقة وآخر رجل .

لواء أركان الحرب
قائد عام القوات المسلحة
محمد عبد الحكيم على عامر

الإنذار البريطاني الفرنسي لمصر ٣٠ / ١٠ / ١٩٥٦

استدعى " كيرك باترى " السيد / سامى أبو الفتوح سفير مصر ، في لندن ، وسلمه صورة الإنذار الموجه من الحكومتين البريطانية والفرنسية إلى الحكومة المصرية ، والذى يتضمن طلب :

إيقاف جميع الأعمال الشبيهة بالحربية فى البر والبحر .

سحب جميع القوات العسكرية المصرية إلى مسافة عشرة أميال عن قناة السويس .

أن تقبل مصر احتلال الأراضى المصرية ، بواسطة القوات البريطانية والفرنسية للمواقع الرئيسية فى بورسعيد والإسماعيلية والسويس .

يطلب الإنذار الإجابة عنه فى الساعة السادسة والنصف صباحاً ، بتوقيت القاهرة يوم ٣١ أكتوبر الحالى ؛ فإذا لم تتسلم حكومتا المملكة المتحدة وفرنسا هذه الإجابةفى الوقت المحدد .. فإنهما سيتدخلان بالقوة بالقدر ، الذى تريانه ضرورياً لضمان إجابة مطالبهما .

رد الحكومة المصرية على الإنذار البريطاني الفرنسي ٣٠ / ١٠ / ١٩٥٦

استدعى الرئيس جمال عبد الناصر فى الساعة العاشرة من هذا المساء ، سفير المملكة المتحدة فى القاهرة ، سير همفرى تريفيليان ، وأبلغه رداً الحكومة المصرية على الإنذار البريطانى الفرنسى " إن الإنذار الذى وجهته بريطانيا باسمها واسم فرنسا إلى الحكومة المصرية اليوم ، لا يمكن قبوله بحال بل تعتبره اعتداءً على حقوق مصر وكرامتها وامتهاناً صارخاً لميثاق الأمم المتحدة .. ففى الوقت الذى تدافع فيه عن نفسها داخل أراضيها ضد العدوان الإسرائيلى ، تتحفز بريطانيا وفرنسا للعدوان على المعتدى عليه . "

وانذره الرئيس بأن " مصر لا يسعها إزاء أى عدوان عليها إلا أن تدافع عن حقوقها وكرامتها . "

كما استدعى الرئيس " جمال عبد الناصر " القائم بأعمال السفارة الفرنسية بالقاهرة ، چى دورجيه ، وأبلغه رفض مصر للإنذار البريطانى الفرنسى .

مصر تبلغ مجلس الأمن عن الإنذار البريطانى الفرنسى ،ورفضها له ١٩٥٦/١٠/٣٠

كلفت الحكومة المصرية رئيس وفدها الدائـم بالأمم المتحدة ، بتقديم الخطاب التالى إلى رئيس مجلس الأمن :

فى الساعة الرابعة والـنصف بعد الظهر (جرينتش) ، تسلم السـفير المصرى فى لندن مذكرة من الحكومة البريطانية ، تحتوى على الإنذار التالى الموجه إلى الحكومة المصرية :

إيقاف جميع الأعمال الشبيهة بالحربية فى البر والبحر .

سحب جميع القوات العسكرية المصرية إلى مسافة عشرة أميال عن قناة السويس .

بروتوكول سيفر
٢٤ أكتوبر سنة ١٩٥٦

* تقوم القوات الإسرائيليــة بخلق حالة صراع مسلح على مشارف قناة الـسويس ؛ لتستغل بريطانيا وفرنسا كذريعة للتدخل العسكرى ضد مصر .

* توفر القوات الـفرنسية الحماية الجـوية لإسرائيل ، كما توفـر القوات البحرية الفـرنسية الحماية البحرية للمياه الإقليمية الإسرائيلية .

* تصدر بريطـانيا وفرنسا إنذارًا مشتركًا لـكل من مصر وإسرائيل ؛ لوقف أعـمال القتال والابتعاد عن القناة ، مع قبول مصر احتلال منـطقة القناة احتلالاً مؤقتا بواسطة القوات الأنجلوفرنسية ؛ لحماية الملاحة البحرية فيها .

* تقوم القوات الجوية البريطانية بتدمير المطارات والطائرات والأهداف العسكرية المصرية ، وتحقق السيطرة الجوية فى سماء مصر .

* تدافع فرنـسا عن موقف إسرائيـل فى الأمم المتحدة ، وفى نـفس الوقت تبذل بريـطانيا جهودهـا - بصفة سـرية - بالاتصالات الخـاصة لمسانـدة إسرائيل ، دون أن تـكشف علانية عن ذلك ؛ حتى لايضار مركزها فى الوطن العربى .

* وبالمقابل تتـعهد الحكومة الفرنسية بـإمداد حكومة إسرائيل بمفاعـل ذرى له القدرة على إنتاج القنابل الذرية .

توقيعـــــات

عن المملكة المتحدة	عن الجمهورية الفرنسية	عن دولة إسرائيل
باتريك دين	كريستيان بينو	دافيد بن جوريون

الإنذار السوفييتى

السيد / دافيد بن جوريون

إن الحكومة الإسرائيلية المجرمة التى تفتقـر إلى الشعور بالمسئولية ، تتلاعب الآن بأقدار العالم وبمستقبل شعبها بالذات .

السير / انتونى ايدن

المسيو / جي موليه

ترى الحكومة السوفيتية أنها مـضطرة إلى لفـت نظركم إلـى الحرب العدوانيـة ، التى تشنها بريطانيا وفرنسا ضد مصر ، والتى لها أوخم العواقب على قضية السلام .

كيف كانت بريطانيا تجد نفسها إذا ما هـاجمتها دولة أكثر قوة ، تملك كل أنواع أسلحة التدمير الحديثة ؟

إن هناك دولة الآن لايلزمها إرسال أسطول أو قوة جـوية إلى سواحل بريطانيا ، ولكن يمكنها استخدام وسائل أخرى مثل الصواريخ .

إننا مصمـمـون على سحق المعتـدين ، وإعادة السلام إلى نصابـه فى الشرق الأوسط ، عن طريق استخدام القوة . إننا نأمل فى هذه الـلحظة الحاسمة أن تأخذوا حذركم ، وتفكروا فى العواقب المترتبة على ذلك .

مارشال بولجانين

رسالة من الماريشال بولجانين رئيس مجلس الإتحاد السوفيتى ، إلى بن جوريون ، رئيس وزراء إسرائيل ١٩٥٦/١١/٥

السيد رئيس مجلس الوزراء

لقد سبق للحكومة السوفيتية أن أعلنت تصميمها على إدانة العدوان المسلح ، الذى قامت به إسرائيل ، وكذا المملكة المتحدة وفرنسا ضد مصر ، والذى يعتبر خرقًا صريحًا واضحًا لميثاق الأمم المتحدة ومبادئها .

ولقد أدانت الأغلبية الساحقة من دول العالم هذا العمل العدوانى ، ضد الدولة المصرية فى الاجتماع الاستثنائى ، الذى عقدته الجمعية العامة للأمم المتحدة . كما طالبت حكومات إسرائيل والمملكة المتحدة وفرنسا بإنهاء العمليات الحربية فورًا ، وسحب القوات المعتدية من الأراضى المصرية .

لقد وصم سكان العالم - بإزدراء - تلك الأعمال الإجرامية ، التى قام بها المعتدون ، الذين فرضوا أنفسهم فرضًا على أراضى الدولة المصرية وسيادتها واستقلالها .

ولقد تجاهلت هذا حكومة إسرائيل ، التى جعلت من نفسها آلة فى أيدى القوى الاستعمارية ، ولازالت مندفعة فى مغامرتها الجنوبية خارج حدودها ؛ متحدية شعوب الشرق التى تقاتل الاستعمار فى سبيل الحرية والاستقلال ، ومتحدية أيضًا شعوب العالم المحبة للسلام .

وإن تصرفات حكومة إسرائيل هذه لتكشف حقيقة تلك التوكيدات الكاذبة ، التى سبق أن تصايحت بها عن حبها للسلام ، ورغبتها الصادقة فى التعايش السلمى مع الدول العربية المجاورة ؛ بل إن حكومة إسرائيل - فى إعلانها لتلك التوكيدات - إنما كانت تعمل على تخدير تلك الشعوب ، والتحضير لهجومها الغادر على جيرانها .

وإن حكومة إسرائيل بتلبيتها لمشيئة الغير ، وائتمارها بأوامر أجنبية ، تعبث عبثًا إجراميًا طائشًا بمصير السلام العالمى ، ومصائر شعبها ، كما أنها تبذر بذور فتنة بينها وبين شعوب الشرق ، بذورًا ستلقى ظلاً على مستقبل إسرائيل ، وتهدد كيانها كدولة فى الصميم .

وإن حكومة الاتحاد السوفيتى التى يهمها جديًا المحافظة على السلام ، وتأمين الاستقرار فى الشرقين الأدنى والأوسط . . فى سبيل اتخاذ خطوات حاسمة ؛ لوضع حد للحرب ولردع المعتدين .

وإننا لنهيب بحكومة إسرائيل أن تعدل عن سياستها قبل نفاذ الوقت ، وأن توقف عملياتها الحربية ضد مصر .

وإننا لندعوكم ، وندعو مجلسكم النيابى ، وندعو عمال دولة إسرائيل ، وشعب إسرائيل إلى نهى الاعتداء ووضع حد لإراقة الدماء ، وإلى سحب قواتكم خارج الأراضى المصرية .

وإن الحكومة السوفيتية إذا أخذت بعين الاعتبار الموقف الذى تكشف .. قررت أن تطلب من سفيرها فى تل أبيب مغادرة إسرائيل ، والسفر إلى موسكو فورًا . وإننا لنأمل أن تتفهم حكومة إسرائيل جيدًا هذا الإنذار ، وأن تستقيم إليه .

رسالة من ن . أ . بولجا نين . رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي . إلى سير انتوني إيدن . رئيس وزراء المملكة المتحدة: ١٥ / ١١ / ١٩٥٦

إلى صاحب السعادة سير انتوني إيدن

رئيس وزراء المملكة المتحدة - لندن

السيد المحترم رئيس الوزراء

تجد حكومة الاتحاد السوفيتي أنه من الضروري لفت نظركم إلي حقيقة أن الحرب العدوانية ضد الدولة المصرية ، وهى الحرب التى تشنها المملكة المتحدة وفرنسا ، والتى بدأتها إسرائيل ، حرب محملة بالنتائج الخطيرة التى تهدد السلام العالمى .

وقد اتخذت الجمعية العمومية - فى دورتها الاستثنائية قراراً بإيقاف العمليات الحربية فوراً ، وسحب القوات الأجنبية من أرض مصر . ورغم هذا .. فإن المملكة المتحدة وفرنسا وإسرائيل تتوسع فى عملياتها الحربية ، مستمرة فى دك المدن والقرى المصرية دكاً وحشياً بالقنابل ، وقد أنزلت قواتها على الأرض المصرية بتدمير الأماكن الآهلة بالسكان ، وقتل المدنيين .

وقدمت حكومة المملكة المتحدة - بالاشتراك مع حكومتى فرنسا وإسرائيل - على هذا العمل العدوانى دون استفزاز من مصر .

وإن الدوافع التى تبرر بها حكومة المملكة المتحدة هجومها على مصر ، هى دوافع كلها لا نصيب لها من الصحة ، وقد ذكرت الحكومة البريطانية فى بادئ الأمر أنها تدخلت فى الصراع بين إسرائيل ومصر ؛ لكى تحول دون جعل منطقة قناة السويس منطقة للعمليات الحربية ، وبعد تدخل البريطانيين والفرنسيين ، أصبحت فعلاً منطقة قناة السويس منطقة للعمليات الحربية ، وتعطلت الملاحة فى قناة السويس ؛ مما يضر بمصالح الأمم التى تستعمل قناة السويس .

وإن المحاولات التى تتذرع بها المملكة المتحدة وفرنسا لتبرر عدوانهما ، بالإشارة إلى مصالحها فى حرية الملاحة فى قناة السويس ، هى أيضاً محاولات لا نصيب لها من الصحة . ونحن نفهم مصلحتكم الخاصة فى القناة . وعلى أية حال .. فإن هذا لا يسوغ لكم القيام بعمليات حربية ضد الشعب المصرى ، وفى الوقت نفسه لا تستطيع حكومتنا

المملكة المتحدة وفرنسا أن تقوما بدور القضاة فى مسألة ٠٠٠٠٠٠ تأمين حرية الملاحة فى قناة السويس ، طالما أن هناك دولاً أخرى كثيرة لها مصالحها فى القناة ، وتستنكر الأعمال العدوانية التى تقوم بها المملكة المتحدة وفرنسا . وتطلب هذه الدول حفظ الأمن والسكينة فى الشرقين الأدنى والأوسط ، ويعلم الجميع كل العلم أن مصر كانت تؤمن حرية الملاحة فى قناة السويس ، وتحافظ عليها محافظة تامة ، وأن قناة السويس لم تكن سوى عذر للعدوان الأنجلو - فرنسى ، الذى له أغراض حربية بعيدة المدى ، ولا يخفى أن الحرب العدوانية المسلحة - فى حقيقتها - هى حرب موجهة ضد الأمة العربية ، وهدفها إزالة الاستقلال الوطنى للدول فى الشرقين الأدنى والأوسط ، وإعادة بناء نظام العبودية الاستعمارية ، الذى تأباه الشعوب العربية ٠

وليس ثمة مبرر للحقيقة ، ألا وهى أن القوات المسلحة التابعة للمملكة المتحدة وفرنسا - وهما دولتان من الدول الكبرى ، وعضوان دائمان فى مجلس الأمن - هذه القوات المسلحة التابعة لهاتين الدولتين قد هاجمت دولة لم تنل استقلالها الوطنى ، إلا منذ عهد قريب ، وليست لديها الوسائل الكافية للدفاع عن النفس ٠

وماذا سيكون موقف المملكة المتحدة ، إذا هاجمتها دول أقوى منها ، ولديها جميع أنواع الأسلحة المدمرة الحديثة ؟ وتستطيع أمثال هذه الدول فى الوقت الحاضر أن تكبح جماح نفسها ، وتمتنع عن إرسال قوات بحرية أو جوية إلى شاطئ بريطانيا ٠٠٠٠

بل تستطيع أن تستعمل وسائل أخرى ٠٠٠ مثل الأسلحة الصاروخية ، وإنه إذا استخدمت الأسلحة الصاروخية ضد المملكة المتحدة أو فرنسا ، فإنكم بطبيعة الحال قد تصفون هذه الأعمال أعمالاً وحشية ، ولكن فى أية طريقة من الطرق يختلف هذا عن الهجوم غير الإنسانى الذى شنته القوات المسلحة التابعة للمملكة المتحدة وفرنسا على مصر ، التى ليست لديها إمكانات للدفاع تقريباً ٠

ونظراً لأننا مهتمون اهتماماً بالغاً بالتطورات فى الشرقين الأدنى والأقصى ، تحدونا المصلحة فى حفظ السلام العالمى .. فإننا نعتقد أن حكومة المملكة المتحدة ستصغى إلي صوت العقل ، وتوقف الحرب فى مصر ٠

إننا نطالبكم ونطالب البرلمان وحزب العمال ، واتحادات العمال وشعب المملكة المتحدة كله ، ضعوا حداً للعدوان المسلح وإراقة الدماء .. فإن الحرب ضد مصر تستطيع أن تندلع نيرانها وتنتشر فى دول أخرى ، وتتطور إلى حرب عالمية ثالثة ٠

لقد تقدمت الحكومة السوفيتية - من قبل - إلى الأمم المتحدة ورئيس الولايات المتحدة الأمريكية باقتراح للعمل بالاشتراك مع الدول الأخرى الأعضاء فى الأمم المتحدة ، باستخدام القوات البحرية وجميع القوات الأخرى ؛ لكى نضع حداً للحرب فى مصر ، ونبتعد عن العدوان .

إننا مصممون كل التصميم على سحق المعتدين ، باستخدام القوة ؛ لكى نعيد السلام فى الشرق الأوسط .

ونأمل أن تظهروا الروية والتبصر الصحيح ، وأن تصلوا إلى نتائج ملائمة .

مع احترام المخلص ،،،،،،

ن . أ . بولجانين

للمرسل إليه فقط — ٢٠ أكتوبر ١٩٥٦

إلى : رئيس شعبة العمليات — ٢٥ أكتوبر ١٩٥٦

الموضوع : توجيهات عمليات

الغرض :

(ا) خلق تهديد عسكرى على القناة باحتلال أغراض مجاورة لها

(ب) احتلال مضايق إيلات (١) .

(جـ) إحداث ارتباك فى تشكيل قتال القوات المصرية الموجودة فى سيناء .

الطريقة :

يــــوم ع (٢) : يوم الاثنين ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ ، ساعة بدء الهجوم (سعت ش) (٣) الساعة ١٧٠٠ .

١ - المرحلة الأولى (ا) ليلة ع (٢٩ / ١٠ - ٣٠ / ١٠) (٤) .

(ا) احتلال تقاطع الطرق عند صدر الحيطان، باستخدام قوات إبرار جوى .

(ب) احتلال نخل .

(جـ) احتلال الكونتلا ورأس النقب .

(د) تأمين مدخل القصيمة - نخل .

(هـ) تأمين محور الكونتلا - نخل .

(و) تأمين محور راس النقب - نخل .

(ز) تستعـيد القيادات الأخرى (خلاف قيـادة المناطق الجنوبيـة) للدفاع أول ضوء يوم ٣٠ أكتوبر .

(ح) يستعد سلاح الطيران والسلاح البحرى استعداداً تامًا، ابتداءً من سعت ش؛ لتنفـيذ ما يكلفـان به من مهام بالأسبـقيات التاليـة - الدفاع عن سماء البلاد - مساندة القوات البرية - مهاجمة المطارات المصرية .

٢ - المرحلة الثانية ب فى ليلة ع + ١ (٣٠ / ١٠ - ٣١ / ١٠) .

(ا) التقدم فى محور رأس النقب - شرم الشيخ .

(ب) الاستعداد لصد الهجوم المضاد من القطاع الأردنى .

(جـ) الاستيلاء على القصيمة .

(د) الاستعداد للدفاع عن الحدود الإسرائيلية المتاخمة لسوريا ولبنان .

٣ - المرحلة الثالثة (جـ) ليلة ع + ٢ (٣١ / ١٠ - ١ / ١١) والأيام التالية .

(١) احتلال مضايق إيلات .

(ب) احتلال رفح و « أبو عويقيله » والعريش .

(جـ) تأمـين طريق الاقتراب صـدر الحيطان - الـطور وفتح محـور إلى شرم الشيخ .

(د) فتح محور « أبو زنيمة » إلى دهب .

(هـ) التقـدم صــوب القناة والتـشبث بخط ، يبعد عنها بما لايقل عن ١٥ كيلو متر

موشيه دايان (لواء)
رئيس هيئة الأركان العامة

أمر عمليات حملة
قادش المعدلة الإسرائيلية

القوات الإسرائيلية

الويه مشاه ومدرعة	٢١
دبابة	٢٥٠
مدفع وهاون	٩٩٠
قاذفة قنابل ومقاتلة	٣٣٦
مدمرة	٢
فرقاطة	٥
لنش طوربيد	٢٢
سفن أخرى	٢٦

أمر عمليات الغزو البحرى الانجلو فرنسى

القوات الانجلوفرنسية

ألوية مشاه ومدرعة	١٧
دبابة	٥٠٠
مدفع وهاون	١٥٢٠
قاذفة قنابل ومقاتلة	٩٨٨
بارجة	١
حاملة طائرات	٢
طراد	٨
مدمرة	١٨
فرقاطة	١٩
غواصة	٩
سفن مساعدة	١٠٨

المهام :

* بعد تمهيد جوى مركز ابتدائى لمدة ستة أيام ، وتمهيد مباشر بالطيران وبمدفعية الأسطول . من س - ٣ - ساعة .. تقوم قوات الغزو المشتركة أول ضوء يوم ى ٩ باقتحام منطقة بورسعيد، والاستيلاء على رأس الشاطئ بها بمواجهة ١٠ كيلو مترات، وعمق ٤٠ كيلو متراً كمهمة مباشرة لها، على أن تتم يوم ى ١١ . وتطور الهجوم وتستولى على منطقة الإسماعيلية يوم ى ١٢ كمهمة أساسية لها؛ طبقًا للخطة أ،او تكون مستعدة لاستغلال النجاح لحسم الحرب بالاندفاع صوب السويس والقاهرة للاستيلاء عليها، وتحقيق المهمة الاساسية طبقا للخطة ب .

التشكيل التعبوى لعملية الغزو البحرى ومهام القوات :

(أ) نسق اول قوات الغزو البحرى :

١ - قوة الاقتحام الجوى

القائد : بريجادير باتلر قائد مجموعة اللواء ١٦ مظلات .

القوات : مجموعة اللواء ١٦ المظلات، عدا كتيبتين وآلات مظلات من الفرقة ١٠ المظلات .

المهام : اقتحام منطقة بورسعيد جواً أول ضوء يوم ى ٩، وتأمين مخارجها، والاستيلاء على الأهداف الحيوية بها .

٢ - قوة الاقتحام البرمائى

القائد : البريجادير أدميرال هولاند مارتن .

القوات : مجموعة اللواء ٣ الفدائيين البحريين .

رئاسة الفرقة ١٠ المظلات . كتيبة مظلات من الفرقة ١٠ المظلات . أورطة دبابات خفيفة . ثلاثة كتائب فدائيين بحريين .

المهام : الاستيلاء على رأس الشاطئ وتأمينه كمهمة مباشرة يوم ى ١١ بمواجهة ١٠ ك م وعمق ٤٠ ك م وتطوير الهجوم والاستيلاء على منطقة الإسماعيلية كمهمة أساسية يوم ى ١٢ طبقًا للخطة أ .

(أ) نسق ثانى قوات الغزو البحرى :

القوات اللاحقة :

القائد : الجنرال هيوستوكويل .

القوات : الفرقة ٣ المشاه .

مجموعة اللواء ٥١ المشاه المستقل . مجموعة اللواء . ٥ المشاه المستقل . ٢ كتيبة من مجموعة اللواء ١٦ المظلات الالاى ٦ المدرع . الآى سيارات مدرعة . كتيبة مظلات من الفرقة الأجنبية الفرنسية الآلاى ٧ الخفيفة .

المهام : استغلال نجاح قوة الاقتحام البرمائى، وتطوير الهجوم نحو القاهرة والسويس معًا للاستيلاء عليهما وحسم الحرب .

(جـ) الاحتياطى العام

القوات : الكتيبة الأولى رويال وست كنت .

٢ الآى مظلات فرنسية .

تشارلس كيتلى

جنرال قائد عام قوات الغزو



ببليـوجــرافيــا

أهم الوثائق والمراجع

أولاً: الوثائق

ا- الوثائق غير المنشورة:

(١) وثائق الخارجية المصرية ، أزمة السويس (مجموعة الوثائق - يوليو ١٩٥٦ - ديسمبر ١٩٥٧) ، وتشتمل هذه المجموعة على الآتى :

* جميع البرقيات المرسلة من الدكتور محمود فوزى ، وزير خارجية مصر ، إلى الرئيس جمال عبد الناصر .. وكذا المرسلة من الرئيس إلى وزير الخارجية .

* جميع البرقيات المرسلة من السفير عمر لطفى ، المندوب المصرى الدائم لدى الأمم المتحدة ، إلى الرئيس جمال عبد الناصر والدكتور محمود فوزى .. وكذا المرسلة من الرئيس ووزير الخارجية إلى السفير عمر لطفى .

* جميع البرقيات والرسائل المرسلة من السكرتير العام للأمم المتحدة ، داج همرشولد، إلى الرئيس جمال عبد الناصر والدكتور محمود فوزى .

* جميع مقابلات الدكتور محمود فوزى مع الوزراء والسفراء ، خلال فترة الأزمة .

* جميع البيانات التى أصدرتها الحكومة المصرية أثناء الأزمة ، وهى مسجلة باللغة الإنجليزية والفرنسية وأحيانا أخرى باللغة العربية .

* جميع مقابلات ومباحثات السفير عمر لطفى ، مندوب مصر الدائم فى الأمم المتحدة .

* جميع مناقشات وقرارات الأمم المتحدة ، التى دارت خلال شهور : أكتوبر ونوفمبر وديسمبر سنة ١٩٥٦ .

(٢) وثائق دار المحفوظات المركزية العسكرية ، بوزارة الدفاع المصرية، وتشتمل على الآتى :

* مجموعة كبيرة من تقارير السفارات المصرية بالخارج ، المرسلة لديوان وزارة الخارجية ، وصورة منها مرسلة عن طريق الخارجية المصرية لمكتب القائد العام ، فى ذلك الوقت .

* مجموعة كبيرة من تقارير ونشرات المخابرات العامة عام ١٩٥٦ ، الخاصة بالاعتداء الإسرائيلى على مصر عام ١٩٥٦ ، تحت رقم ٢٥ / ١ .

* تقرير القيادة العامة للموقف العسكرى فى شرق البحر المتوسط عام ١٩٥٦ ، تحت رقم ٢٤٩ / ٢ .

* اتفاقية خاصة بقوات الأمم المتحدة عام ١٩٥٧ ، تحت رقم ٥٠ / ٢ .

* أوضاع قوات الطوارئ الدولية على الجبهة المصرية عام ١٩٥٧ ، تحت رقم ٥٢ / ٤ .

* السياسة الأمريكية والبريطانية فى الشرق الأوسط سنة ١٩٥٧ ، تحت رقم ٨٩٥ / ٧ .

(٣) وثائق لجنة تاريخ الثورة ، دار المحفوظات المركزية العسكرية بوزارة الدفاع المصرية ، وثائق كمال الدين رفعت ، وتشتمل على الآتى :

* نشاط وعمليات وموقف القوات البريطانية ملف رقم ٩٥/ ١ ، مسجل فى دار المحفوظات ، تحت رقم ١٤١/ ٢٢٥ .

* بلاغ رقم ٣٥ عن لجنة المقاومة الشعبية ، بعنوان : « جمال عبد الناصر يتكلم عن حرب ١٩٥٦ والهدف المقصود بالمؤامرة الثلاثية » ، ملف رقم ٢٦ ، مسجل تحت رقم ١٤٢ / ٢٢٥ .

* تقارير عن الحالة السياسية والاقتصادية والعسكرية والأوضاع الداخلية ، ملف رقم ٩٥ / ٢ ، مسجل تحت رقم ١٤٣ / ٢٢٥ .

* وثائق كمال رفعت موضوعات مختلفة عن العدوان الثلاثى ، ملفات أرقام : ٣/٩٥ ، ٤/٩٥ ، ٥/٩٥ ، ٦/٩٥ ، ٧/٩٥ ، ٨/٩٥ ، ٩/٩٥ .

(٤) وثائق جامعة الدول العربية ، الإدارة السياسية ، وتشتمل على الآتى :

* تقرير الأمين العام إلى مجلس جامعة الدول العربية فى دور انعقاده العادى السابع والعشرين .

* قرارات جامعة الدول العربية خلال الفترة من ١٥ إلى ٢٥ أكتوبر ١٩٥٦ .

* قرارات القمة العربية التى عقدت فى بيروت ، فى الفترة من ١٣ - ١٤ نوفمبر ١٩٥٦ .

* تقرير عن أعمال الـوفد الدائم لجامعة الدول العربية فى نيـويورك ، فى الفترة من أول أكتوبر ١٩٥٦ إلى ٣١ يناير ١٩٥٧ .

(٥) أوراق السفير أحمد حسين ، سفير مصر فى واشنطن ، خلال الفترة من ١٩٥٣ ، حتى ١٩٥٨ .

(٦) أوراق السفيـر محمد عبد الشافـى اللبان ، مستشـار السفارة المصرية بواشـنطن ، خلال الفترة من ١٩٥٠ وحتى ١٩٥٦ .

ب - الوثائق المنشورة :

(أ) العربية :

* وثائـق الخارجيـة البريـطانيـة التى أعـدها مـركز الخلـيج للـبحوث والـدراسات الاستراتيجية فى لندن ، وعلّق عليها السير أنتونى ناتنج .

* مجموعة خطب الرئيس جمال عبد الناصر ، خلال الفترة من يناير ١٩٥٤ ، حتى ٣١ ديسمبر ١٩٥٧ .

* وزارة الخارجية المصرية ، الكتاب الأبيض فى تأمـيم شركة قناة السويس ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ١٩٥٦ .

* مصلحـة الاستعلامات ، بيـانات الرئيس جمال عـبد الناصر والوزراء فـى مجلس الأمة سنة ١٩٥٧ ، المجلد الأول ، الثانى ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ١٩٥٧ .

(٢) الأجنبية :

- The Suez Canal Problem, Vol 1, Vol. 2, A Document Publication, The Department of State, New York.

- Private Papers of John Foster Dallas, Princeton University, Princeton, New Jersey.

- Dwight Eisenhower Library.

- United Nations – Official Record of the General Assembly Emergency and Ordinary Meeting. Security Council Official Record and Annexes, Also as a Summary, Year Book of The United Nations, 1956.

- Suez Canal Papers, London, Selected Documents.

ثانيا- المصادر العربية :

(١) أحمد حمروش : مصر والعسكريون .

(٢) ثروت عكاشة : مذكرات فى السياسة والثقافة .

(٣) عبد اللطيف البغدادى : مذكرات البغدادى .

(٤) محمد حافظ اسماعيل : أمن مصر القومى .

(٥) محمد حسنين هيكل : ملفات السويس .

(٦) محمود رياض : مذكرات محمود رياض ، البحث عن السلام والصراع فى الشرق الأوسط .

(٧) هيئة البحوث العسكرية: حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، ٧ كود .

(٨) الهيئة العامة للاستعلامات: مجموعة خطب الرئيس جمال الناصر عام ١٩٥٦-١٩٥٧ .

(٩) وليد أبو مرشد : الانسحاب الإسرائيلى من سيناء .

٦- المصادر الأجنبية :

(10) Andre Beaufr : The Suez Expedition.

(11) Anthony Eden : Full Circle.

(12) Anthony Nutting : The Story of Suez.

(13) Brian Urquhart : Hammarskjold.

(14) Charles Keiglthey : Operation In Egypt.

(15) Christian Pineau : Le Monde, 4 November 1966.

(16) Donald Neff : Warriors at Suez.

(17) Edgar O'Ballance : The Sinai Campagin.

(18) Erskin Childers : The Road to Suez.

(19) Evelyn Shuckburgh : Descent to Suez.

(20) Hugh Stockwell : Suez From the Inside.

(21) Hugh Thomas : The Suez Affair.

(22) Joan Comay : The Six Days of the Sinai Campagin.

(23) Kennett Love : The Twice Fought War.

(24) Paul Ely : Memoirs, The Suez.

(25) Paul Johnson : The Suez War.

(26) Pierre Lealliett : St. Michael and the Dragon.

(27) Sandy Cavenagh : Airborne to Suez.

(28) Selwyn Lloyed : Suez 1956.

(29) S.L.A. Marshall : Sinai Victory.

(30) Stephen Green : Taking Sides.

(31) Sunday Times : The Suez Report.

(31) Terence Robertson : The Inside Story of the Suez Conspiracy.

(32) Trevor N. Dupuy: Elusive Victory.

رابعاً - المصادر الإسرائيلية :

(٣٣) آرييل شارون : مذكرات الجنرال شارون .

(٣٤) حاييم هرتزوج : الحروب العربية الإسرائيلية ١٩٤٨-١٩٨٢ .

(٣٥) روفائيل ايتان : مذكرات الجنرال ايتان .

(٣٦) عساف سمحونى : أوراق شخصية وجدت فى حطام طائرته .

(٣٧) محاضرات الكنيست الإسرائيلى : جلسة يوم ٥ نوفمبر ١٩٥٦ .

(٣٨) موشى دايان : يوميات معركة سيناء .

(٣٩) موشى روز : مجلة القوات المسلحة الأمريكية ، المجلد ٤١ ، سبتمبر ١٩٧٥ .

(40) Abba Eban : Auto Biography.

(41) Avraham Adan : On The Banks of the Suez.

(42) Benyamin Kagan : The Secret Battle for Israel.

(43) David ben, Gurion : The Sinai Campagin.

(44) David Eshei : Israel's Armour in Action.

(45) Ezer Weizman : On Eagles, Wings.

(46) Hayim Gabi : I.D.F. in Three Campagins.

(47) Mordekhai Gur : A Story of a Parachute Company.

(48) Michel Bar – Zohar : The Parachuters, Book.

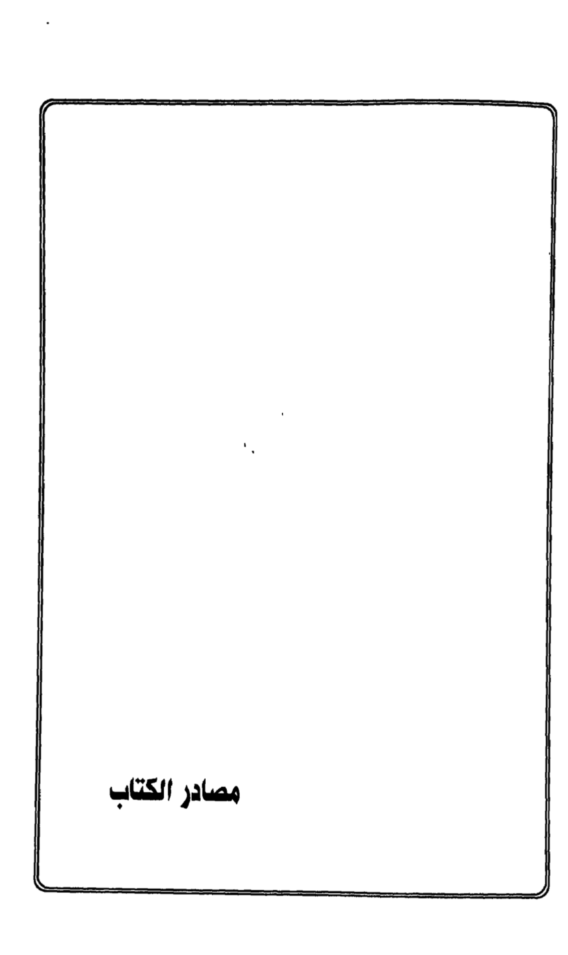
(49) Mordekhai Yacobovitz : From the Palmah to Suez.

(50) Moshe Hadar : Israel Air Force.

(51) Pinhas Yorman : Operation Kadesh.

(52) Shabtai Tevet : I.D.F. Campagin in Sinai.

(53) Uri Reingold : The Marsh To Sharmel – Sheikh.



مصادر الكتاب

أولاً - المصادر العربية :

١- أحمد حمروش : مصر والعسكريون .

٢- ثروت عكاشة : مذكرات فى السياسة والثقافة .

٣- عبد اللطيف البغدادى : مذكرات البغدادى .

٤- محمد حافظ اسماعيل : أمن مصر القومى .

٥- محمد حسنين هيكل : ملفات السويس .

٦- محمود رياض : البحث عن السلام والصراع فى الشرق الأوسط .

٧- محمود فوزى : السويس ١٩٥٦ .

٨- وليد أبو مرشد : الانسحاب الاسرائيلى من سيناء .

٩- هيئة الاستعلامات المصرية : مجموعة خطب الرئيس جمال عبد الناصر ١٩٥٦ - ١٩٥٧ .

ثانياً - المصادر الأجنبية :

10. André Beaufre : The Suez Exedition.

11. Antony Eden : Full Circle.

12. Antony Nutting : The Story of Suez.

13. Brian Urquhart : Hammarskjold.

14. Charles Keightley : Operation In Egypt.

15. Christian Pineau : Le Monde, 4 November 1966.

16. Donald Neff : Warriors At Suez.

17. Edgar O'Ballance : The Sinai Campaign.

18. Erskin Childers : The Road To Suez.

19. Evelyn Shuckburgh : Descent To Suez.

20. Hugh Stockwell : Suez From The Inside.

21. Hugh Thomas : The Suez Affair.

22. Joan Comay : The Six Days Of The Sinai Campaign.

23. Kennett Love : The Twice Fought War.

24. Paul Ely : Memoirs, Le Suez.

25. Paul Jonson : The Suez War.

26. Pierre Leulliette : St. Michael and The Dragoon.

27. Sandy Cavenagh : Airborn to Suez.

28. Selwyn Lloyed : Suez 1956.

29. S.L.A. Marshall : Sinai Victory.

30. Stephen Green : Taking Sides.

31. Sunday Times : The Suez Report.

32. Ternce Robertson : The Inside Story of the Suez Campaign.

33. Trevor N. Dupuy : Elusive Victory.

ثالثا- المصادر الاسرائيلية :

٣٣- أرييل شارون : مذكرات الجنرال شارون .

٣٤- حاييم هرتزوج : الحروب العربية الإسرائيلية ١٩٤٨-١٩٥٦ .

٣٥- روفائيل إيتان : مذكرات الجنرال إيتان .

٣٦- عساف سمحونى : الأوراق الشخصية التى وجدت فى حطات طائرته بالأردن .

٣٧- محاضر الكنيست الإسرائيلى : جلسة يوم ٥ نوفمبر ١٩٥٦ .

٣٨- موشيه ديان : يوميات معركة سيناء .

٣٩- موشيه ديان : قصة حياتى .

٤٠- موشيه روز : مجلة القوات المسلحة الأمريكية ، المجلد ٤١ ، سبتمبر ١٩٧٥ .

41. Abba Eban : Auto Biography.

42. Avraham Adan : On The Banks of the Suez.

43. Benyamin Kagan : The Secret Battle for Israel.

44. David Ben Gurion : The Sinai Campaign.

45. David Eshel : Israel's Armour in Action.

46. Ezer eizman : On Eagles' Wings.

47. Hayim Gabi : I.D.F. in Three Campaigns.

48. Michael Bar Zohar : The Paracherters' Book.

49. Mordkhai Gur : The Story of a Parachute Company.

50. Mordekhai Yakobovitz : From The Palmah To Suez.

51. Moshe Dayan : Diary of the Sinai Campaign.

52. Moshe Hadar : Israel Airforce.

53. Moshe Kordov : Operation Kadesh.

54. Shabtai Tavet : I.D.F. Campaing In Sinai.

55. Uri Reingold : The March To Sharm El–Sheikh.

كشاف تحليلى
للأعلام والبلدان والموضوعات

إعداد كمال محمد على
خبير التوثيق

* الكشاف مرتب ترتيبًا قاموسيا .
* أداة التعريف تبقى رسمًا وتغفل ترتيبًا .
* الكلمة هى الوحدة فى الترتيب ثم الحرف الذى يليها.
* الألف الممدودة تحسب ألفين .
* الأسماء الشرقية تبقى كما هى .
* الأسماء الأفرنجية تقلب باسم العائلة .
* لم يُتعرض للهوامش .
* الألقاب العلمية والعسكرية لم تذكر .

كشاف تحليلي

للأعلام والبلدان والموضوعات

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ع)

(ق)

(ك)

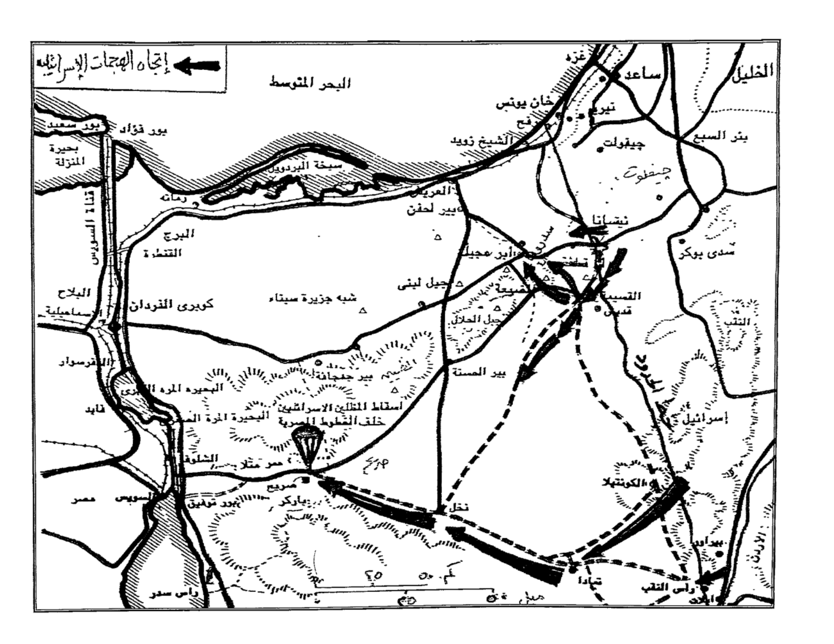
(م)

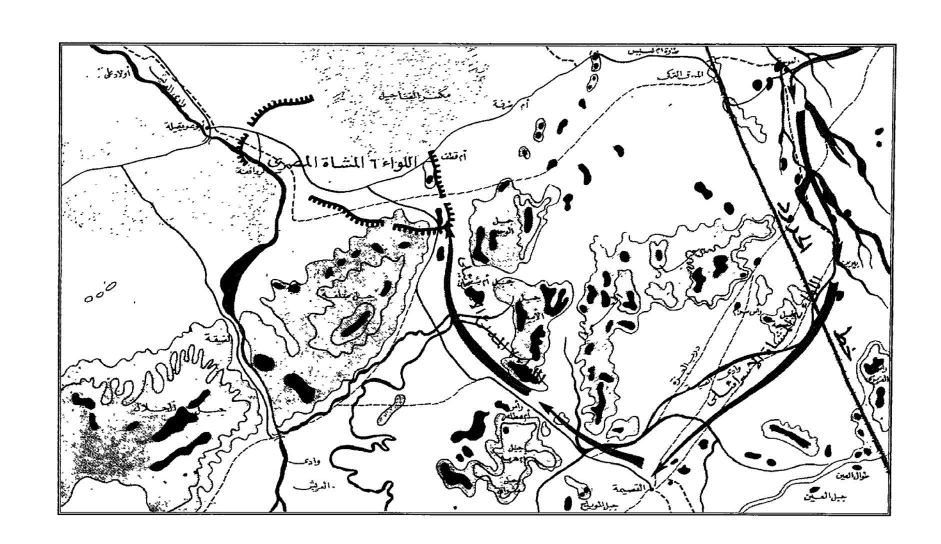
(هـ)

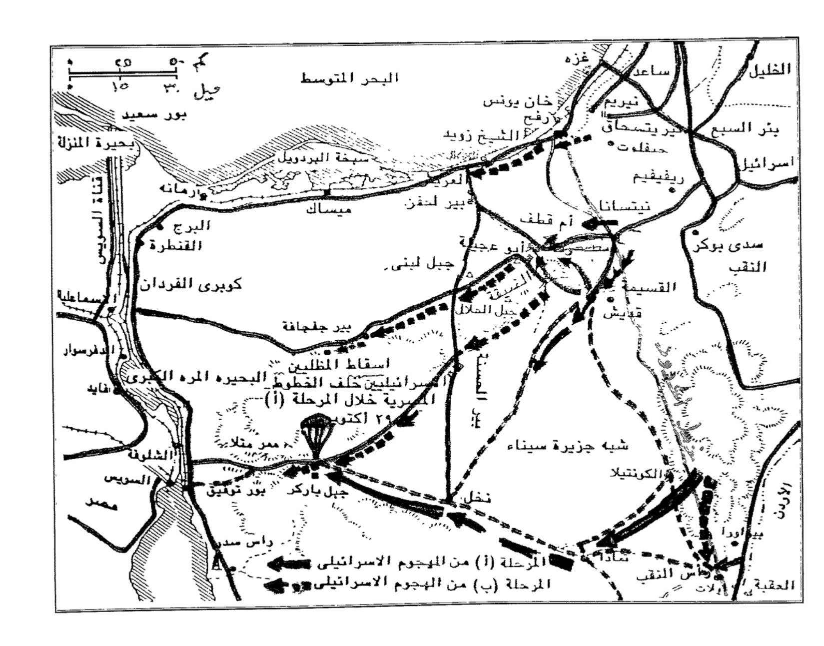
(و)

(ى)

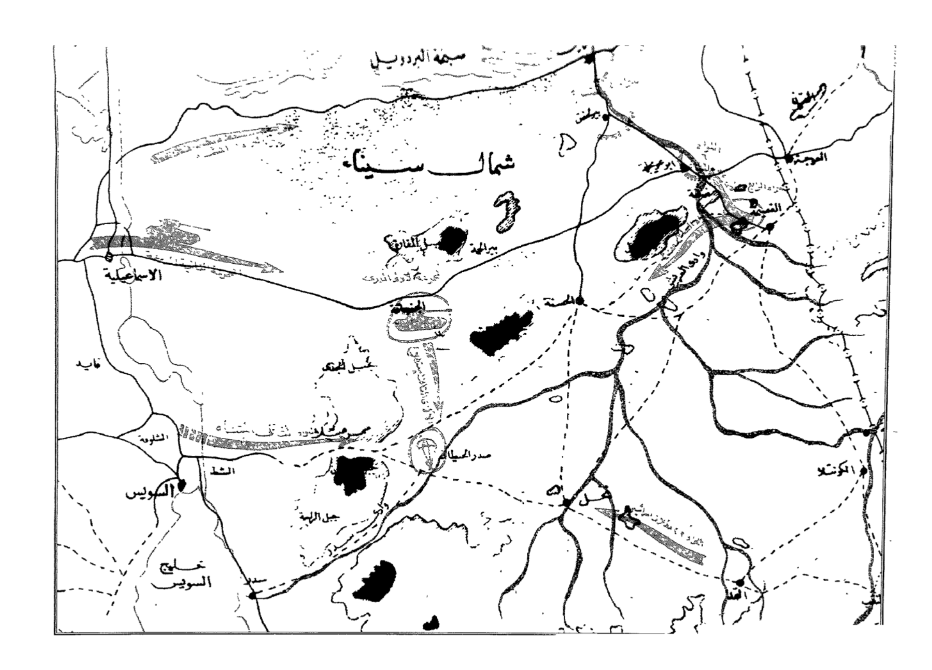
ملحق
الصفحات الملونة


إتجاه الهجمات الإسرائيلية
البحر المتوسط
غزة
ساعد
الخليل
خان يونس
بور فؤاد
بور سعيد
بحيرة المنزلة
الشيخ زويد
بئر السبع
جيقولت
سبخة البردويل
رمانة
العريش
بير لحفن
نيتسانا
سدى بوكر
البرج
القنطرة
قناة السويس
أبو عجيلة
جبل لبنى
القسيمة
البلاح
الإسماعيلية
كوبرى الفردان
شبه جزيرة سيناء
جبل الحلال
النقب
الفرسوار
بير جفجافة
بير الحسنة
البحيرة المرة الكبرى
قايد
أسقاط المظليين الإسرائيليين
خلف الخطوط المصرية
البحيرة المرة الصغرى
إسرائيل
الشلوفة
ممر متلا
الكونتيلا
صدر
باركر
السويس
مصر
بور توفيق
نخل
ثمادا
راس النقب
راس سدر

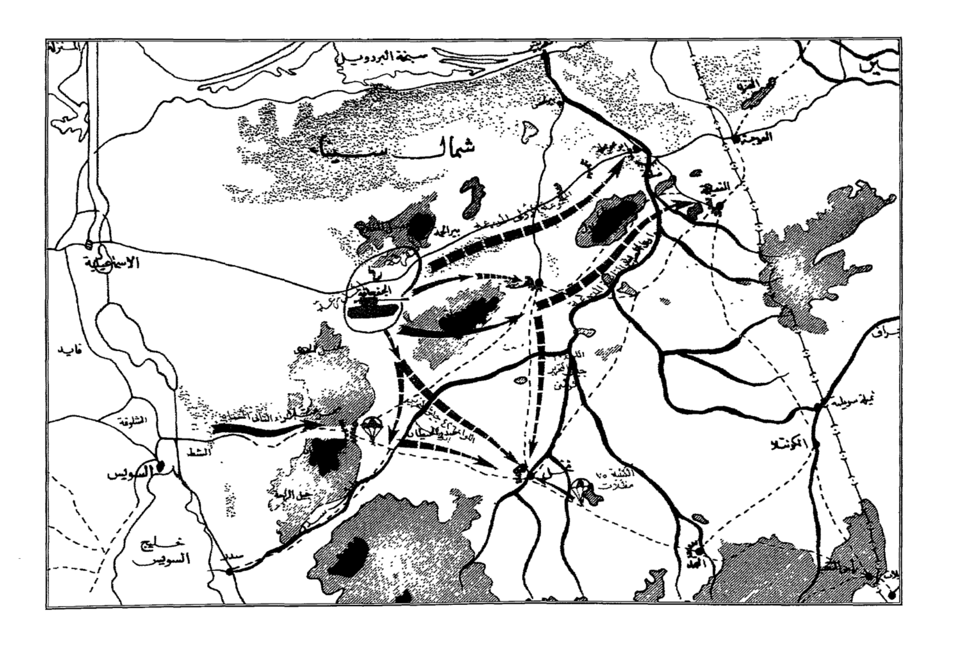

اللواء ٦ المشاة المصري
أم قطف
أولاد على
القسيمة
جبل المويلح
جبل العين
وادى
العريش



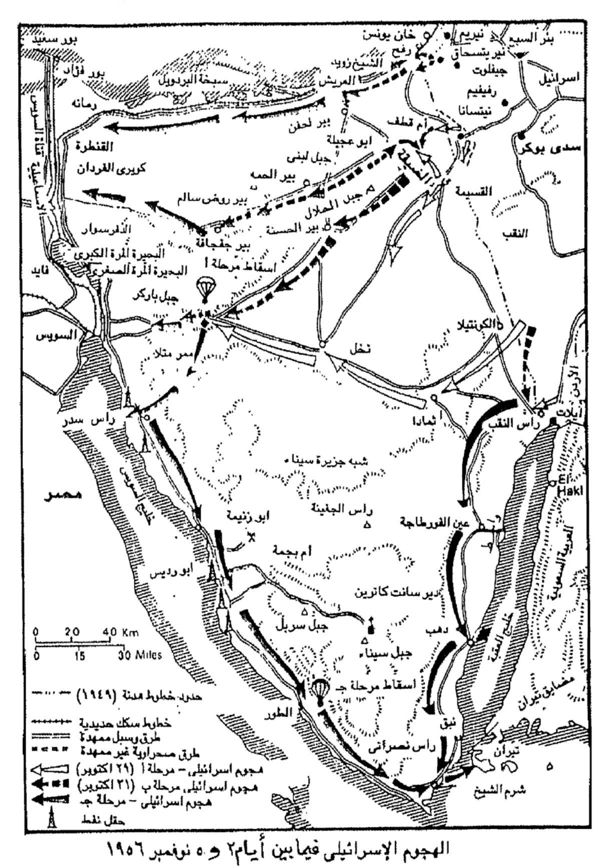
البحر المتوسط
كم
ميل
بور سعيد
بحيرة المنزلة
قناة السويس
غزه
خان يونس
رفح
الشيخ زويد
العريش
سبخة البردويل
رمانه
ميساك
البرج
القنطرة
كوبرى القردان
الاسماعلية
الدفرسوار
فايد
البحيره المره الكبرى
الشلوفة
السويس
مصر
بور توفيق
راس سدر
ساعد
نيريم
بئر السبع
حفلوت
اسرائيل
ريفيفيم
نيتسانا
أم قطف
أبو عجيلة
سدى بوكر
النقب
القسيمة
قديش
بير لحفن
جبل لبنى
جبل الحلال
بير جفجافة
بير الحسنة
اسقاط المظليين
الاسرائيليين خلف الخطوط
المصرية خلال المرحلة (أ)
٢٩ اكتوبر
ممر متلا
جبل باركر
نخل
شبه جزيرة سيناء
الكونتيلا
ثمادا
بير اورا
راس النقب
العقبة
ايلات
الأردن
الخليل
المرحلة (أ) من الهجوم الاسرائيلى
المرحلة (ب) من الهجوم الاسرائيلى



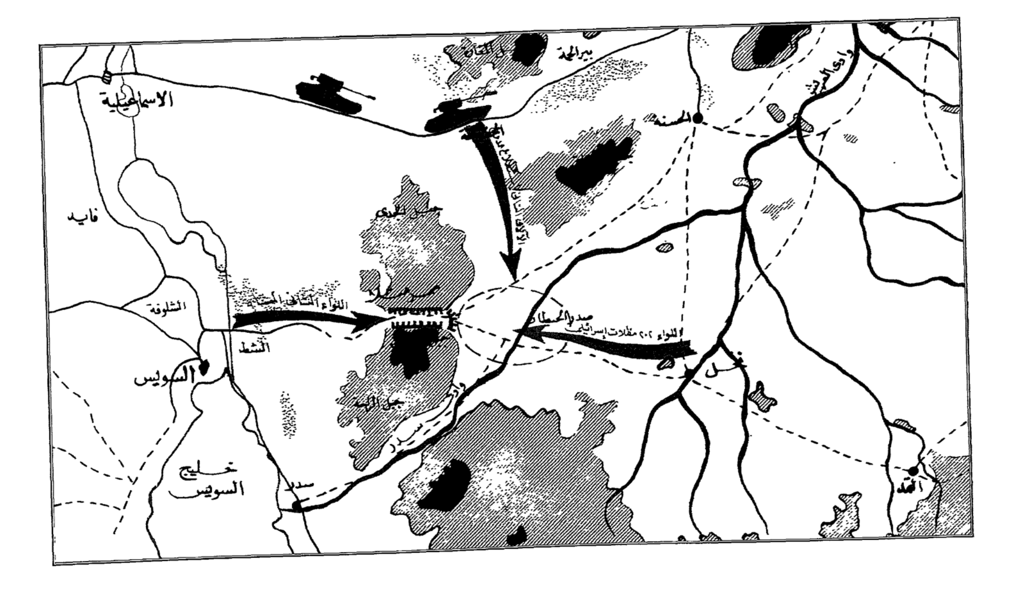
سبخة البردويل
شمال سيناء
الاسماعيلية
بير الجفجافة
الحسنة
الشط
السويس
خليج السويس
صدر الحيطان
جبل الراحة
فايد
الشلوفة
أبو عجيلة
القسيمة
العوجة
الكونتلا
بير لحفن



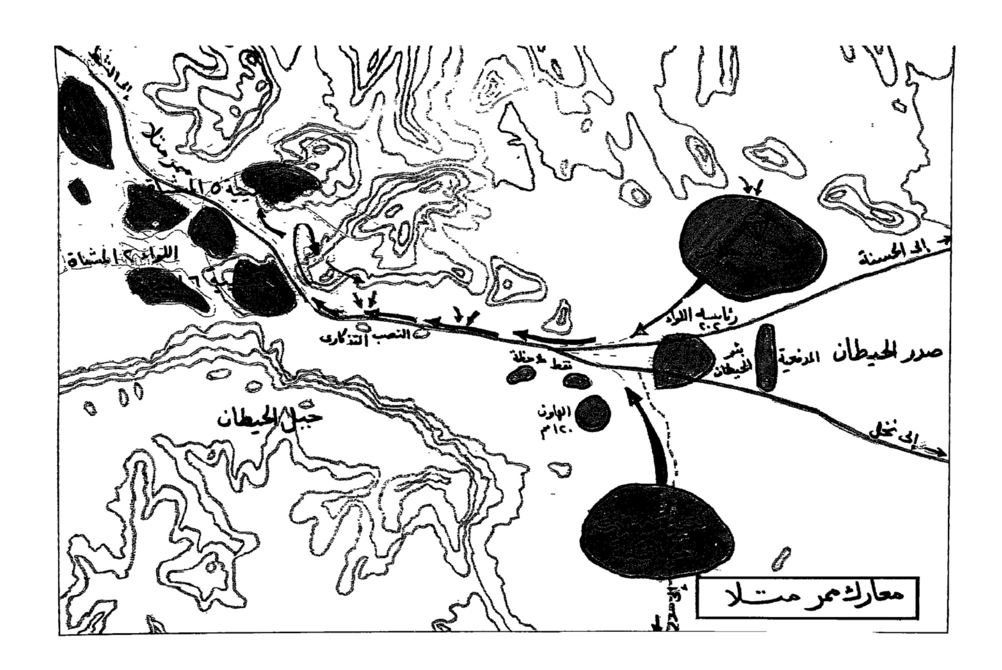
سبخة البردويل
شمال سيناء
الإسماعيلية
فايد
الشلوفة
الشط
السويس
خليج السويس
العوجة
القسيمة
الكونتلا
نقب
الكتيبة ٧٥ مظلات



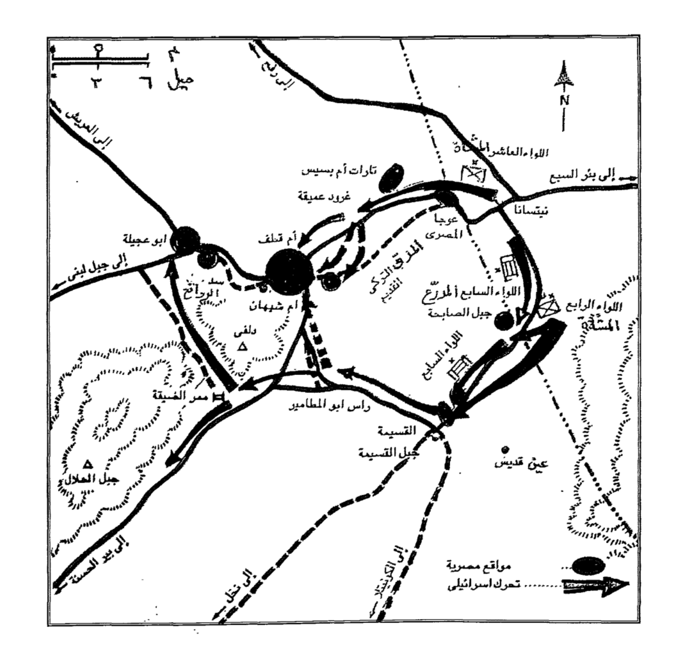
الهجوم الإسرائيلي فيما بين أيام ٢ و ٥ نوفمبر ١٩٥٦



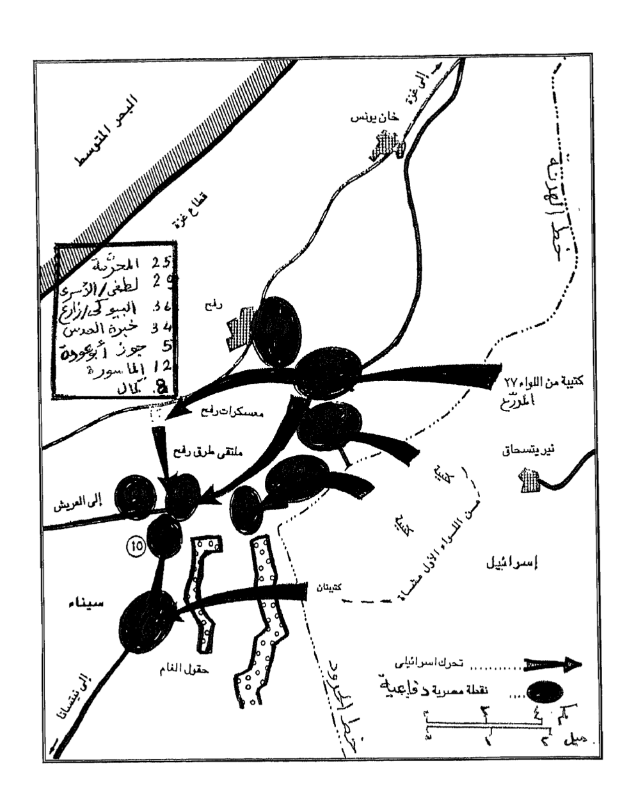
الاسماعيلية
بير الجفة
الحسنة
وادي العريش
فايد
الشلوفة
الشط
السويس
خليج السويس
اللواء الثاني المدرع
صدر الحيطان
اللواء ٢٠٢ مظلات إسرائيلي
نخل
جبل الراحة
وادي سدر
سدر

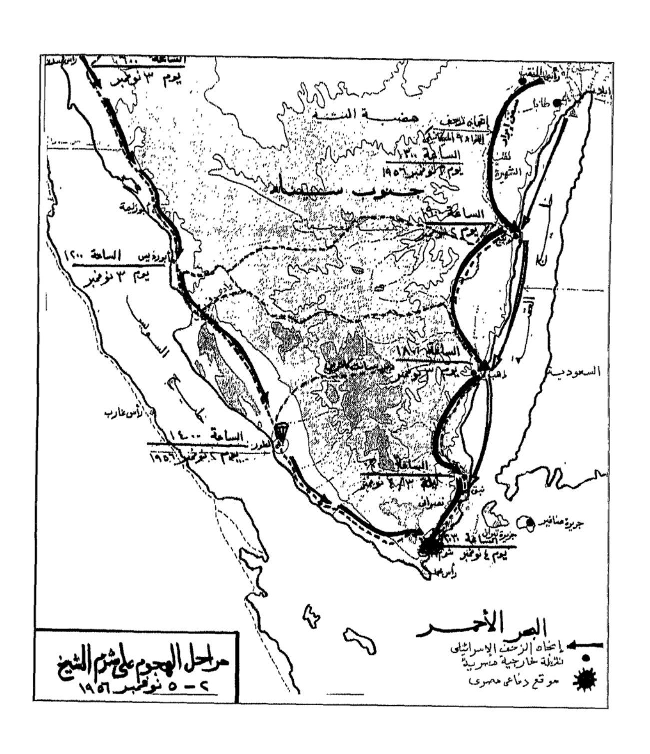


معارك ممر متلا
صدر الحيطان
المدرعية
بئر الحيطان
رئاسة اللواء ٢٠٢
إلى الحسنة
إلى نخل
النصب التذكاري
نقط ملاحظة
الهاون ١٢٠ مم
جبل الحيطان
ممر متلا

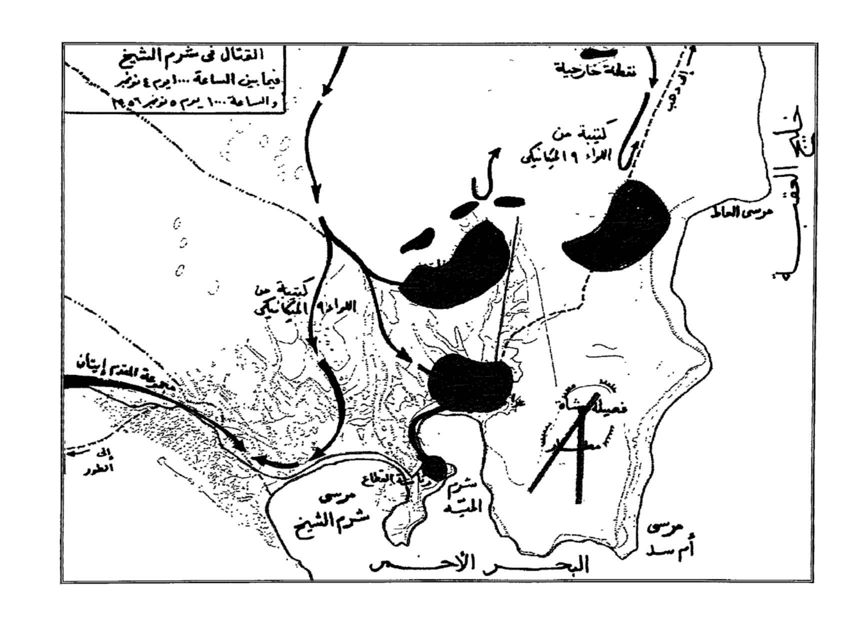


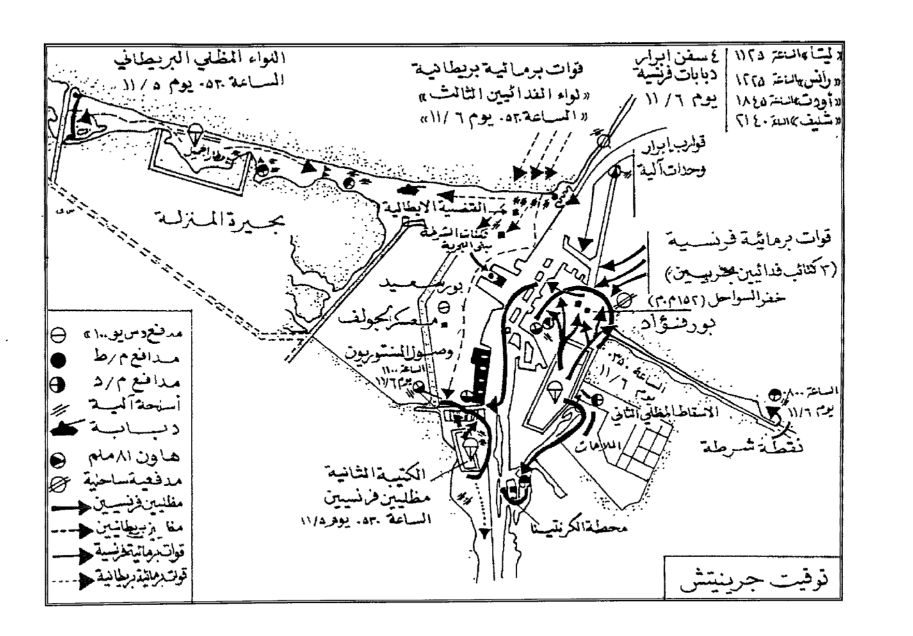
إلى العريش
إلى رفح
اللواء العاشر المشاة
تارات أم بسيس
إلى بئر السبع
غرود عميقة
نيتسانا
عوجا
المصرى
ابو عجيلة
أم قطف
الطريق التركي القديم
إلى جبل لبنى
اللواء السابع المدرع
جبل الصابحة
اللواء الرابع المشاة
أم شيهان
دلفى
اللواء السابع
ممر الضيقة
راس ابو المطامير
القسيمة
جبل القسيمة
عين قديس
جبل الحلال
إلى بئر الحسنة
إلى نخل
إلى الكونتلا
مواقع مصرية
تحرك اسرائيلى
N


البحر المتوسط
قطاع غزة
إلى غزة
خان يونس
رفح
معسكرات رفح
ملتقى طرق رفح
إلى العريش
سيناء
إلى نيتسانا
حقول الغام
كتيبتان
كتيبة من اللواء ٢٧ المدرع
نير يتسحاق
إسرائيل
تحرك اسرائيلى
نقطة مصرية دفاعية
كلم
ميل



يوم ٣ نوفمبر
هضبة التيه
جنوب سيناء
الساعة ١٢٠٠
يوم ٣ نوفمبر
رأس غارب
الساعة ١٤٠٠
يوم ٢ نوفمبر ١٩٥٦
السعودية
جزيرة صنافير
يوم ٤ نوفمبر
البحر الأحمر
إتجاه الزحف الإسرائيلي
نقطة خارجية مصرية
موقع دفاعي مصري
مراحل الهجوم على شرم الشيخ
٢ - ٥ نوفمبر ١٩٥٦


القتال فى شرم الشيخ
فيما بين الساعة ١٠٠٠ يوم ٤ نوفمبر
والساعة ١٠٠٠ يوم ٥ نوفمبر ١٩٥٦
نقطة خارجية
إلى دهب
كتيبة من
اللواء ٩ الميكانيكى
كتيبة من
اللواء ٩ الميكانيكى
مرسى العاط
خليج العقبة
مجموعة المقدم إيتان
إلى
الطور
مرسى
شرم الشيخ
شرم
الميه
مرسى
أم سد
البحر الأحمر



اللواء المظلي البريطاني
الساعة ٠٥٢٠ يوم ٥ / ١١
قوات برمائية بريطانية
« لواء الفدائيين الثالث »
« الساعة ٠٥٢٠ يوم ٦ / ١١ »
٤ سفن إبرار
دبابات فرنسية
يوم ٦ / ١١
« ليتا » الساعة ١١٢٣
« رانس » الساعة ١٢٢٥
« أوود » الساعة ١٨٤٥
« شيف » الساعة ٢١٤٠
قوارب إبرار
وحدات آلية
بحيرة المنزلة
جسر التضحية الابطالية
بور سعيد
معسكر الجولف
قوات برمائية فرنسية
(٣ كتائب فدائيين بحريين)
خفر السواحل (١٥٢ م ٣٠)
بور فؤاد
الساعة ٠٣٥٠
يوم ٦ / ١١
الإسقاط المظلي الثاني
الملاحات
الساعة ٠٨٠٠
يوم ١١/٦
نقطة شرطة
الكتيبة الثانية
مظليين فرنسيين
الساعة ٠٥٣٠ يوم ١١/٥
محطة الكرنتينا
وصول المستوريون
الساعة ١١٠٠
يوم ١١/٦
مدفع وس يو ١٠٠
مدافع م / ط
مدافع م / د
أسلحة آلية
دبابة
هاون ٨١ ملم
مدفعية ساحلية
مظليين فرنسيين
قوات برمائية فرنسية
قوات برمائية بريطانية
توقيت جرينتش



هذا الكتاب

رحل عن دنيانا وهو ممسك بقلمه فارس الكلمة الشجاعة الصادقة اللواء أ.ح/ حسن البدرى- شيخ المؤرخين العسكريين المصريين الذى نذر حياته للتأريخ للعسكرية المصرية - بعد عمر حافل بالعطاء تقلد فيه العديد من المناصب العسكرية الرفيعة، كان آخرها عمله كمديراً لأكاديمية ناصر العسكرية العليا ، ورئيساً لهيئة البحوث العسكرية.

لقد شاء القدر أن يمهل المغفور له اللواء أركان حرب/ حسن البدرى الفرصة حتى ينتهى من إعداد هذا الكتاب مع تلميذه العقيد الدكتور/ فطين احمد فريد. ثم ينهى ايضاً مراجعات هذا الكتاب حتى دخل حيز الطباعة، إلا أن القدر لم يمهله لكى يرى آخر أعماله القيمة « **عن العدوان الصهيونى الأنجلو فرنسى على مصر خريف ١٩٥٦** » التى ستبقى ذكرى تخلد اسم هذا العالم الجليل الذى سيبقى علماً من علماء التأريخ العسكرى ليس فى مصر وحدها بل فى الأمة العربية جميعها.

يصدر هذا الكتاب القيم - الذى بين يديك عزيزى القارئ - بمناسبة مرور أربعين عاماً على حرب العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ ، بعد أن تكشفت حقائق كثيرة من خبايا ذلك العدوان. فجاء الكتاب عرضاً أميناً وموثقاً لأحداث تلك الحرب وملابساتها، والتى أنهت إلى غير رجعة عصر الوجود العسكرى البريطانى فى مصر.

وأخيراً.. أرجو من القراء الأعزاء قراءة الفاتحة ترحماً على روح شهدائنا الأبرار.

الناشر
أحمد أمين

025 - 5



ACADEMIC BOOKSHOP